كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون

بقية الكتاب الثاني

وأول الكتاب الثالث : الجزء الحادي عشر

قرأه وعارضه بأصول المؤلف

إبراهيم شبوح

تونس 2011

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

تقديم

قسم ابن خلدون هذا الجزء الحادي عشر من كتاب العبر، إلى نِصْفين، أكمل في نحو النّصف الأوّل منه تناولَ الطّبقة الرّابعة من العرب، وهي العربُ المُستَعْجِمة. وقد بنى هذه التّسمية على أساس لسانهم اللّغوي، يقول: "ولمّا كانت لغتُهم مستعْجمة على اللّسان المُضَريّ الّذي نزل به القرآن، وهو لسانُ سَلَفِهم، سمّيناهم تلك التسمية. وإنّه حين فَسد ذلك اللّسان وتبدّلَ إعرابُه، مالوا إلى العجمة وإن كانت الأوْضاعُ في أصْلها صَحيحة، واستحقّوا صِفَةَ العُجْمة من أجل الإعْراب" [1].

وقدّم عرضًا تاريخيًا لمراحل تحوّل هذا الجيل الّذي تولّى أوائِلُه " تمهيدَ القواعد وبناء الأسس مُذْ أوّل الإسْلام والدّين، والخلافة من بَعْد ذلك والمُلك، يوم كانوا قبائل من العَرب مَوْفورةَ العدَد، عزيزةَ الأحْياء، نصَروا الايمان والمِلّة، ووطّدُوا أكنافَ الخِلافة، وفتحوا الأمْصار والأقاليم، وغلَبوا عليها الأمم والدّول، وكانوا من مُضَر وربيعة ومن قُضاعة من حِمْيَر اليمنيّة، ومَنْ إلى هؤلاء من الشّعوب والبُطون والأفْخاذ والعشائِر والحُلَفاء والموالي" [2].

وهذه القوى البشرية الجيّاشة بحيويّتها، المتماسِكة بعَصَبيّتها وأنسابها الرّابطة، " أنفقتْها الدّول الإسلامية - حَسَب تعبيره - فابتلعتْهم الثّغور القصيّة وأكلتْهم الأقطارُ المتباعِدةُ واستَلْحمَتْهم الوقائعُ المذكورة، فلم يبق منهم حَيٌّ يُطرق، ولا حِلّةٌ تنجَعُ، ولا عشيرٌ يُعرف، ولا قبيلٌ يُذكر، إلاّ بقايا أعقابٍ متفرقين في الأمصار، ألْوَى الخمول بجُمْلتهم وأصْبحوا خوَلاً للأمراء، وقام بالإسلام والمِلّة غيرهم، فغلَب أعاجمُ الشرق، من الدّيالم والسّلْجوقيّةِ والأكْراد والغزّ والتّرك على مُلكِه ودُوَلِه، وغلَب أعاجمُ البَرْبر على أمْرِهِ أيضًا. وانقرض أكثرُ الشّعوب الذين كان لهم المُلكُ من هؤلاء، ولم يَبْق لهم ذِكْرٌ، وانتَبَذ بقيّةُ شُعوب هذه الطبقة بالقِفار، وأقاموا أحياءً بادِينَ" [3].

(1) العبر 11 : 8

(2) المصدر نفسه 11 : 5

(3) المصدر نفسه 11 : 6

ثم خص بالذكر "بقية هؤلاء الشعوب في تلك الطبقة بالمَغرب والمَشْرق، وعُنِيَ بالحديث عن أهل الأحياء النّاجعة والأقدار النّابهة، وألقى المُنْدرجين في غيرهم، وتحدّث عن المتنقّلين من تلك الطّبقة إلى إفريقيَة والمَغرب، فاستَوْعب أخبارَهم، لأنّ المغرب لم يكن موطِنَهم، وإنّما انتقلوا أواسِط المائة الخامسة أفاريقَ من بَني هلال وسُلَيْم، اختلطوا بالدّوَل هنالك، فكانت أخبارُهم من أخبارها، فلذلك استوعَبَهم"[1].

ثم تتبّع مواطنَهم واستقرارَهم وحركتَهم وبعض تاريخهم ودواعي تنقُّلِهم والتّنازع فيما بينهم، وارتباطَهم بالمواقع، والاختلاف في أنسابهم، وقد يُرجّح ما يَرى أنّه جِذْمَهم الذي تَنْتمي إليه العشيرةُ، استنادًا على ما يأخذُه مباشرةً عن نسّابتهم ممّا لم يودَعْ في كُتب الأنساب المعروفة عنده.

فأشار إلى قُرّة بن هِلال الموطَّنين ببَرْقَة ومن بَقي منهم في مواطِنهم من أحياء بَني جعفر، ثم أولاد سلاّم، وأولاد مقدّم، وحيّ مُحارب من آل جعفر، وبني كلاب بن ربيعة، وبني هلال بنواحي الصعيد، وقبائل من جُهَيْنَةَ إحدى بطون قُضاعة ويوجدون بالصعيد الأعلى من أسوان وما وراءها، منهم أولاد الكَنْز والجعافرة.

وبنواحي مصر إلى العقبة أحياء من جُنام، قائمون على حماية الطريق بإقطاع من السلطان، وتتوزّعُ قبائل بَلِيّ من قضاعة بين عقبة أيْلَةَ إلى الأزْلَم، وقبائل جُهَيْنَة من الأزْلَم إلى اليَنْبُع، وبين مكّة والمَهْجَم ممّا يلي اليمن قبائل بني شعبة من كنانة، وفيما بين الكَرَك وغزّة قبائل جَرْم من قضاعة، وهم أمراء غزّة، يُقْطِعهم السلطانُ على العَسْكَرة وحِفْظ السّابلة. وفي الشام بنو حارثة من سِنْبِس، وآل مِرًا من ربيعة أخوة آل فضل الملوك على العرب في برية الشام والعراق ونَجْد.

(1) العبر 11 : 8 وقد أغفل ابن خلدون الحملات والهجرات العربية التي أمّت الكثير منهم، بدءًا من أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي دخلت في عهده بطونٌ من بني أميّة، وبني أسد، وبني زُهرة، وبني تميم، وبني عَديّ، وبني سَهْم، وبني عامر بن لُؤيّ، وبني هُذيل، وجُهينة، وأسلم، ومُزينة، وبني سُلَيم، وبني الدُّئِل، وضَمْرة، وغِفار، وعبد مناة، وغطَفان، وفزارة، ومُرّ، (أبو العرب التميمي: طبقات علماء إفريقية 13) وفي القرن الثّاني كانت العرب تضع أثقالها عند دُخولها إفريقية بالقيروان، ولذلك سُمّيت القَيْروان، وهي الأثقال في كلام العرب (الزبيدي: طبقات اللغويين والنحاة ص 26).

وفصّلَ القَوْلَ في آل فَضْلٍ أمراء الشّام والعراق من طيّء، وفي بني مُهَنّا منهم، واعتبرهم نموذَج أعراب الشّام جميعًا. وقد ولاهُم سلاطينُ المماليك إصلاحَ السّابلة ما بين الشام والعراق وولّوهم على أحياء العرب وأقطعوهم. وكان مبدأُ رئاستهم من أوّل دولة بني أيوب، استلموها من بني جَرّاح، من صنائع الفاطميين.

وعرضَ متابعًا بترتيبِ رئاستَهم على عرب الشّام منذ أيام العادل الأيّوبي إلى سنة 796 هـ، وذكَرَهم واحدًا واحدًا مُتوقّفا عند أهمّ أحداث حياته، وخصّ منهم مُهنّا بن عيسى الّذي امتُحِن وتَشرّد، وكان له مَيْل إلى الطَّطَر، فلحق بمَلِكهم خُدَابَنْدا سنة 716 هـ فأكرمه وأقطعه بالعراق[1]. ثم أعْتَب الملكُ الناصرَ محمدَ ابن قلاوون فردّ عليه إقطاعه وإمارته التّي أديلت منه بأخيه فَضْل، وذلك سنة 717 هـ. ثم عاد إلى دينه في مُمالأة الطّطر، وتواصل إجلابُه على الشّام، فنقِم عليه السلطان وسَخِط قومَه أجمعَ، وتقدّم إلى نُوّاب الشّام سنة عشرين وسبع مائة بطَرْد آل فَضْل من البلاد، وأدال منهم بآل عليّ وصرف لهم إقطاع مُهنّا. ثم وفد سنة 713 هـ متوسّلاً بابن المؤيّد صاحب حماة وتطارح على السلطان، فردّ عليه إقطاعه وإمارتَه.

وينقل ابن خلدون عن بعض كبار الأمراء بمصر ممن أدرك وفاته أو حُدّث بها، أنّه تجافَى في هذه الوفادة عن قبول شيء من السّلطان، ولم يَغْشَ بابَ أحد من أرباب الدولة ولا سأل منهم شيئًا من حاجته. ثم رجع إلى أحيائه وتوفّى سنة 734 هـ[2].

واستمرّ تواليهم على إمارة العرب في أبنائهم وفي بني عمومتهم، ومنهم من ينتقض ويجلب في الفِتْنة فيسخط عليه السّلطان ويُبْعده فيتشرّد في القَفْر؛ استمر ذلك فيهم إلى أيام ابن خلدون.

ثم ذكر بعض قبائل العرب من بني عامر بن صَعْصعة، وبني كلاب، وكَعْب بن ربيعة، وهلال بن عامر، ونمير بن عامر، وجُشَم، وحدّد مواقعهم في نجد والحجاز وبين تهامة وأرض

(1) العبر 11: 21

(2) المصدر نفسه 11: 23

الشّام والطائف، وكيف انتقلوا في الإسلام إلى الجزيرة الفراتية، وبعضهم تُرأس بالشّام، فقد مَلَكَ بنو المقلّد من عُقَيل من بني كَعْب بن عامر الموصلَ بعد بني حَمْدان وتَغْلِب، واستَوْلوا عليها وعلى نواحيها وعلى حَلَب معها[1]، ثم انقرض مُلكهم ورَجعوا إلى البادية.

وعَرَضَ لما تفرع عنهم من بُطون انتَشرتْ في المَشْرق والمَغْرب، كَبني المُنْتفق بن عامر بن عُقَيل، ومن يُوجد منهم بالمغرب الّذي دَخلوه مع بَني هِلال ابن عامر، ومواطنهم بين فاس ومراكش، وبني عُبادة بن عُقَيل الأخايل.

أمّا من انتقل منهم إلى المغرب، فإنّ العربَ لم يعرفوا المغربَ لا في الجاهلية ولا في الإسلام، لأنّ أمة البَرْبر كانوا يُمَانِعون عنه الأمم، وقد دخلَه العربُ في المائة الخامسة وأوطنوه وافترقوا في جهاته.

وأخذ في تفصيل القَوْل في العَرب المستعجمة أهل الطّبقة الرابعة الذين دخلوا إفريقية من بني هلال وسُلَيم، فأتى على خبرهم منذ كانوا أحياء ناجعة بمجالاتهم من قَفْر الحجاز، فبنو سُلَيم ممّا يلي المدينة، وبنو هلال عند جبَل غَزْوان عند الطّائف، وربّما يَطرُقُون رحلةَ الشّتاء والصّيف أطرافَ العراق والشام. ثم تَحيَّزوا إلى القرامطة فجَندوهم بالبَحْرين وعُمان، ثم أنزلهم الفاطميون بالصّعيد، حتّى أُتيح لهم أيّامَ المستَنْصِر أن يَعْبُروا إلى إفريقيّة ويَتَوَضّوا استقرارها، وتَبْدأ معهم متاعِبُ الدوَل المستقِرّة حتّى تنهار.

وقد فَسّرَ ابنُ خلدون هذه الهِجرةَ الكبيرة أو الزحْفَ نحو المغرب بأسباب سياسية مُنطلَقُها تحوّل أمير إفريقية المعزّ بن باديس الصِّنهاجي عن الولاء الفاطميّ، والاجتراء على نقض الطّاعة وإعْلان الدّعوة لبني العباس ومُبايعتهم، وتلقى التّقليدَ والخِلَعَ من الخليفة، وقد قُرِئَ كتابه بجامع القيروان ونُشِرت الرايات السّود، وهُدمت دار الإسماعيليّة[2].

ولقد حاول المعزّ بن باديس استمالتَهم ولكنهم تكاثروا عليه وشلّوا الحياة بالإغارة والنّهب، فاستصرخ بابن عمّه صاحب القَلْعة القائِدِ بن حمّاد بن بلُكّين، واستنفر ظواعِنَ

(1) العبر 11 :26

(2) المصدر نفسه 11 : 32

زَناتة، وارتحل بين الأتْباع والحشم والأولياء وبقايا عرب الفتح وزناتة والبربر، وواجة بهم رياحًا وزُغْبة وعَدِيّ، وعند اللِّقاء بقبليّ جَبَل حَيدران من جهة قابِس، انخذلت مجموعة عَرب الفتح فكانت الهزيمة على المعِز، وتصرَّم المُلْكُ من يده واقتسم العربُ بلادَ إفريقيّة بين قبائلها سنة 446 هـ [1].

ويحدِّد ابنُ خلدون في هذا الجزء حقيقةً تاريخية مُهِمّة تمثّلُ في نهاية سيادة العرب على إفريقية والمَغرب وانكماش وجودهم السّياسي، وذلك حين استلمت قبيلةُ كُتامة مَقادة الأحْداث بمناصرتها للدّولة الفاطمية (العُبيديّة) وتغلُّبتْ على مراكز النّفوذ العسكريّ المُجابه لها، يقول ابن خلدون: "خرجت كُتامة على بني الأغلب بدعوة الرّافضة، فكان ذلك آخرَ عهد العرب بالـمُلْك والدّولة بإفريقيّة، واستقلّ كتامة بالأمر من يومئذ، ثمّ مَنْ بَعْدَهم من بَرابرة المغرب، وذهب ريحُ العرب ودَولتُهم من المَغْرب وإفريقيّة، فلم يكن لهم به من بعدُ دولةٌ إلى هذا العَهْد (القرن 8 هـ)، وصار الملك للبَرْبر وقبائِلهم، يتداوَلون طائفةً بعدَ أخرى وجيلاً بعد آخر " [2].

● ● ●

وبنهاية الحديث عن الطبقة الرابعة من العرب المستعجمة التي استوعبها في نحو نصف هذا الجزء الحادي عشر. يبدأ الكتاب الثالث من العبر في أخبار البربر، الأمة الثانية أهل المغرب، وذكر أوليتهم وأجيالهم ودُولهم.

وبهذا الجزء، يُنْجِزُ ابنُ خلدون الخُطة التي وضعها للكتاب[3]، حيث بناه على الجيلين الذين عَمَرَا المغربَ، وهما العرب والبربر، " إذ هما الجيلان اللّذان عُرِف بالمغرب مأواهُما، ولا يعرف أهلُه من أجيال الآدميين سواهما"[3] وجمع في هذا الجزء المفصليّ أنساب عرب الطبقة الرابعة، وأنساب البربر، وبهذا " دخل من باب الأنساب على العموم إلى الأخبار

(1) العبر 11 : 37

(2) المصدر نفسه 11 : 263

(3) المصدر نفسه 1 : 5

على الخصوص"[1] كما يقول. والقبائل بأنسابها القائمة عنده هي القُوى البشرية المتحدّرة من جِذْمٍ واحد متآلفةً ومتكاتفةً ومتكافلةً وصانعة لعصبيّة الترابط والحميّة التّي يعتبرها ابن خلدون من محركات التاريخ، لما تصنعه من قُوّة ودَعْم عند التّدافع مع العصبيّات الأخرى.

لقد أتَى ابنُ خلدون بمختلف الأقوال والآراء في أصْل نَسَب البربر، وأورد الخلاف بين المؤرخين والنسّابة في تحديد الأمة التي ينتسبون إليها، حسب أقوال بعض نسّابتهم أو نسّابة العرب، واستغرق بسْط هذه الأقوال مساحةً ممتدةً من هذا الجزء[2]. ثم بعد ذلك أسْقَط أقوالَهم ونفاها وعدّها "مذاهب مرجوحة[3] وبعيدة عن الصواب"، وذهب إلى أنّهم من وَلَد كَنْعانَ بن حَام بن نُوحٍ، ينحدرون من جَدِّهِم مازيغ، وهذا ـ بزعمه ـ "الصّحيحُ الّذي لا مَعْدِلَ عنه... والحَقُّ الّذي لا يَنْبغي التَّعْويلُ على غَيْرِه في شَأْنِهم"[4]، ونفى أيضاً ما ادعاه بعض نسابة البربر من أن بعض شعوبهم من العرب، و"هذه كلُّها مَزاعِمُ، والحقُّ الّذي يَشْهدُ به المواطِنُ والعُجْمة أنّهم بمعْزِلٍ عن العَرَبِ، إلاّ ما تزعُمُهُ نَسّابةُ العرب في صِنهاجةَ وكُتامة، وعندي: أنّهم من إخوانِهِم"[5].

وتابع ابنُ خلدون تفصيلَ شعوب البربر، وملاحقة بطونهم وتقلّبهم في المواطن، ورسم مشجّرات أنسابهم، وهو يدرك " أن في تحقيق ضَبْط تلك الأسماء والأنساب عناءٌ وبُعْدٌ، وقلّما يَخلى طالبُ ذلك بطائل، وإنّما كتبها تذكرةً لما عسى يَتشوّفُ إلى معرفتهِ ويقنع بما يحصُل منه على عُلالَة"[6].

وقد خصّهم بتقديم جيّد عن تخلقهم بالفضائل الإنسانية وإقامتهم لمراسم الشريعة وكرمهم ونَجْدتهم، وفَرّعَهم - بعد القَوْل في أصولهم - إلى بُتْر وبرانس. وجاء بأخبار البُتْر وشُعوبهم:

(1) العبر 1 : 7

(2) انظر العبر 11: 200 - 210

(3) أي منكرة أو محلّ نظر وتأمّل.

(4) العبر 11: 210

(5) المصدر نفسه 11: 211

(6) المصدر نفسه 11: 194

نَفوسَة ونَفْزاوة ولَواتة ومِكْناسة وضَريسة، وأسهب في ذكر بعض هذه الشعوب من البرابرة البتر.

وأفرد بالحديث بني واسول ملوكِ سِجِلْماسَة الذين أنهى الفاطميون سلطانَهم، وبني أبي العافية ملوك تسول من مِكْناسة.

ثم واصل ذكر البرانس من البربر مبتدِئاً بهوّارة وبطونها وافتراق شعوبها في عمالات إفريقية والمغرب، ومن البرانس أيضًا أزداجه ومسطاسة وعجيسة وكتامة الذين تناولوا الملك من الأغالبة بدعوة الشيعة. وفي هذا العرض المترابط إفادات تاريخية مهمة عن مشاركات هذا القبائل وبطونها في صياغة أحداث المغرب وتاريخه. وتوجد إشارات غريبة عن تبرّئ بعض البطون من قبيلتهم كتامة، لما وقع من النّكر عليها منذ أربعة قرون لانتحال الرافضيّة[1] ومناهبها الكفرية، ويذكر أنهم لعهده كانوا المثلَ السّائر في الهُجْنة حتى صار كثير من أهل نَسَبِهم يفرّون منه ويَنْتَسِبون فيمن سواهم[2].

ويعود إلى البرانس وبَطْنِهم صِنهاجة التي فاقت بعدّها وعَديدها، وكان لها شأنٌ ومُلْكٌ في المغرب والأندلس، ويقسّمها إلى طبقات، الأولى: اشتملت على بني زيري ولاة العبيديين بإفريقية، فاستعرض ملوكَهم وأحوالَهم وما جدّ عليهم من أحداث المتغلّبين والمُنْتزين عليهم بحكم المدُن والثوّار المتمرّدين.

وفي هذه الطبقة الأولى عدّ ملوكَ صِنهاجة أصحاب دولة بني حمّاد بالقلعة، الداعين للخلفاء العبيديين، وبني حَبُوس بن ماكْسِنْ بن زيري أصحاب غرناطة من عُدْوة الأندلس.

وفي الطبقة الثانية من صِنهاجة، وهم الملثّمون، تحدّث عن قيام دولة المُرابطين وعن بني غانية بقيّتهم. وأتى ببيانات مهمة عن ملوك السودان المجاورين للمغرب، وما عَلِقَهُ عن دُوَلهم.

(1) العبر 11: 331

(2) المصدر نفسه 11: 336

ثم عاد إلى بطون صِنهاجة: لَمطَة وكزولة وهَسْكورة وغيرهم.

وفي الطبقة الثالثة من صِنهاجة، عدّ المصامدةَ وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب، وعدّ من بطونها: بَرغواطة وغُمارَة، وبسط القول عن دولة بني عِصام بسَبتة، وبني صالح ملوك نُكور، وأنهى الحديث عنهم بالخبر عن حاميم المتنبيّ من غُمارَة.

* * *

لقد استند ابنُ خلدون في تحرير هذا القِسْم المهّم من كتابه وفي توثيق مادّته على مصادر أصلية مختلفة، استعملها بتنبُّهٍ ويقظة لما يَنقُل، وألّف من تفاريقها ما يُشبه النبّيرة لكل قبيلة تناولَها، وأضاف إليها ما استطاع استخراجه من البيانات عنها، ولم يتوقّف عند حدود النّقل الأصمّ للأنساب، بل أخضها لمعايير نَقدية كثيرًا ما خالف بها الرأي المتواتر؛ وكانت أسفاره المغربيّة واتصالاته الواسعة قد أكسبته درايةً اختزنها واستفاد منها فيما حرّر، وهو يشير إلى ذلك عند بحث موضوع النّسب " حسبما تأدّى إليه من ذلك واشتمل عليه محفوظه "[1].

يعرض لقول ابن حزمٍ من: أنّ نسّابة البربر يزعُمون أنّ سَدراته ولَوَاتَة ومزاتة من القبط، فيقول: ليس ذلك بصحيح، وابن حزم لم يطّلع على كُتب عُلماء البَربر[2]. مع أن ابن حزم أخذ ذلك مباشرة من محمد بن يكني البرزالي الأباضي ونَعته بأنّه كان ناسكًا عالمًا بأنسابهم[3].

وقد يرُدّ الرأيَ بدون مناقشة مباشرة له، وأنّما يُخضعه لمذهبه النقديّ الذي أثبته في المقدمة من أن " الأخبار إذ اعتُمِد فيها بمجرّد النقل، ولم تُحكّمْ أصولُ العادة وقواعدُ السّياسة وطبيعة العُمْران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائبُ منها بالشّاهد والحاضر بالذاهب، فربّما لم يُؤمن فيها من العُثور ومزلّة القَدَم، والحَيْدُ عن جادّة الصِّدق "[4].

(1) العبر 11: 211

(2) المصدر نفسه 11: 256

(3) ابن حزم: الجمهرة 498

(4) العبر 1: 11

فيردّ على القائلين بأن البربر من ولد جالوت أو العماليق، وأنهم نُقلوا من ديار الشام أو انتقلوا، بأنّه قولٌ ساقط يكاد أن يكون من أحاديث خُرافة[1].

ويناقش أنساب " المعقل " فيذكر أن أنسابهم عند الجمهور مخفيّة ومجهولة، ونسّابةُ العرب من هلالٍ يعدّونهم من بُطون هلال، وهو غير صحيح. وهم يزعُمون أن نسبَهم في أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب، وليس ذلك أيضا بصحيح، لأن الطالبيّين الهاشميّين لم يكونوا أهلَ بادية ونُجْعَة، والصحيحُ - والله أعلم من أمرهم - أنّهم عرب من اليَمن، فإن فيهم بَطْنَيْن يسمّى كلُّ واحدٍ منهما بالمعقل، ذكره ابن الكلبي وغيره، فأحدهما من قُضاعة بن مالك بن حِمْيَر ..... والآخر من بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مَذْحِج، واسمه مالك بن أُدد ..... بن كهلان، واسمه ربيعة بن كعب ..... والأنسب أن يكونوا من هذا البطن الأخير الّذي من مَذْحِج لأنّ اسمه ربيعةُ، وقد عدّ الأخباريون من بُطون هلالٍ الداخلين إلى إفريقيّة ربيعة هؤلاء، مع أنّ مواطنَ بني الحارث بن كَعْب قريبٌ من البحرين حيث كان هؤلاء العرب مع القرامطة قبل دخولهم إلى إفريقية"[2].

مصادر هذا الجزء:

لقد عُرفت أكثرُ مصادر الأنساب العربيّة بعد كشف النقاب عن الكثير من أصولها، وبعد تحقيقها ونشرها وتيسيرها للباحثين، ولكن كتب أنساب البربر ظلّت محتجبة عن الدارسين، إلى درجة الشكّ في هل كانت موجودة في تصانيف بأسمائها وبأسماء أصحابها المذكورين، أم أنّ أسماء أولئك النسّابة الذين يذكرهم ابنُ خلدون خاصّة كانوا مجرّد رواةٍ للنسب يذكرونه ويقومون على حِفْظه ونشره بين قبائلهم.

في هذا الجزء من العبر بعض الإشارات المهمة، تؤكّد أن أنساب البربر كانت مصنفة في كتب رجع إليها واعتمدها في نُقوله، يقول: " نَقلَ بعضُ نسّابة البربر في كُتبهم[3]". ووجدتُ

(1) العبر 11 : 209

(2) المصدر نفسه 11: 128- 129

(3) المصدر نفسه 11: 339

بخطّه بأعلى الصفحة التي خصّصها لمشجّر شعوب البُتْر وأجنامهم من النسخة د، قوله: " هذه الأنساب في هذا الصفح منقولة من كتب نسّابة البربر، وهم: هاني بن موصدور الكومي، وسابق ابن سليمان المطماطي، وكهلان بن أبي لَوَى[1] ومن نسّابة البربر".

ونأمل أن يُكْشف عن تلك المصادر، لما قد تَشتَمِلُ عليه من حقائق عن دور تلك الشّعوب العظيمة في تاريخ الأمّة الإسلاميّة غرب عالم الإسلام.

وهذه قائمة بأسماء المؤلّفين من المؤرّخين والجغرافيّين والنسّابة من العرب والبربر، الذين استمدّهم في كتابة هذا الجزء، واعْتَمَدَهم بدرجات متفاوتة في النقل عنهم.

- هشام بن محمد بن السائب الكلبي: جمهرة النسب وغيره؟
- خليفة بن خيّاط العصفري: تاريخ، وأنساب خليفة بن خياط.
- محمد بن جعفر بن جرير الطبري: تاريخ الرّسل والملوك.
- علي بن الحسين المسعودي: مروج الذّهب ومعادن الجوهر، وغيره.
- علي بن عبد العزيز الجرجاني: كتاب الأنساب.
- علي بن أحمد بن حزم: الجمهرة.
- يوسف بن عبد الله بن عبد البرِّ النّمري: التّمهيد في الأنساب؟
- إبراهيم، ابن الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب.
- عبد الملك بن موسى الوراق: المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس.
- محمد بن عبيد الله المسبّحي: أخبار مصر.
- اليَسع بن عيسى بن حَزْم الغافقي: المغرب في محاسن أهل المغرب؟
- علي بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا؟ القدح المُعَلّى (الأقسام الضائعة).

(1) جاء هنا الاسم خطأ تحت المشجّر ص 199: كِيلان بن أبي لَوَا. والصواب المثبت في سائر الجزء: كهلان بن أبي لَوَى.

- محمد بن صفي الدين، العماد الكاتب الأصفهاني: البرق الشامي.
- أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصَّلْت: الذيل على تاريخ ابن الرقيق.
- محمد بن أحمد، ابن نخيل.
- علي بن محمد، ابن الأثير: الكامل من التاريخ.
- عبد الرحمن بن عبد الله السُّهَيْلي: الروض الأنف.
- محمد بن أحمد التّجاني: الرحلة.

ولم يغفل تسجيل الروايات الشفهيّة التي تلقاها من ثقات عدول، سجّل بعضها بالاستناد إلى رواتها أو الإشارة العامة، يذكر:

- سلاّم بن التركية شيخ أولاد مقدّم.
- سمعت من بعض مشائخهم.
- أخبرني من أثق به من الهلاليين لهذا العهد.
- قال لي بعض الأمراء، بمصر ممن أدرك مُهنّا من آل فضل.
- ويَزْعُم نسابة الهلاليين وهو الذي رأيت النسابة المحققين عليه بعد أن دخلتُ مصر ولقيتُ كثيرًا من المتردّدين إليها من أهل بَرْقة.

أمّا مصادرُهُ عن أنساب البَرْبر، فقد أورد مُعتَمَدَهُ فيها مُسْنِدًا إلى النّسّابين الذين نوّه بمنزلة بعضهم ولم يُسَمّ لهم كتبًا، عدا كتابًا واحد ذُكره غفلاً من اسم مؤلّفه، فهي:

- كهْلان بن أبي لَوَى بن يصلاسَنْ. ذكر أنّه من أهل العلم بأنساب البرّبر.
- سابق بن سليمان بن حراث بن مولات بن دوناس المطماطي، قال عنه إنّه كبير نسّابي البربر فيما علمناه.
- خالد بن خِدّاش.

- هاني بن مصدور بن برنس بن يخوط، من كومية، نعته بالنسابة المشهور.
- هاني بن بكور الضريسي.
- أيوب بن أبي يزيد [مخلد بن كيداد].

ومصادره عن شعوب إفريقيا جنوبًا هي:

- عبد الله بن عبد العزيز البكري: المسالك والممالك.
- علي بن سعيد المغربي، حواشٍ كتبها عنهم وُجدت بخطّه. وينقل فيها ابن سعيدٍ مُشافهةً عن أبي عبد الله بن موسى المعروف بابن الزّهراء اللّمتوني.
- ابن النحوي؟
- نظم الجوهر؟
- أبو عبد الله بن خديجة الكومي.
- الحاج يونس ترجمان التكرور.
- بعض تواريخ المغرب.
- بعض الأخباريين من المغرب.
- بلغنا لهذا العهد.
- أخبرني القاضي الفقيه أبو عبد الله محمد بن واسول من أهل سجلماسة.

• • •

وَلهذا الجزء من العبر قيمته التوثيقية الأصلية التي تميّز بها، إلى جانب ما استوعبه من تفريعٍ واضحٍ لمكونات تلك التجمعات البشرية الوافدة والمقيمة على هيئة قبائل كبرى، راسخة ببطونها وشعوبها، متداخلة ومؤثِّرة ومتأثِّرة بعد هجرة العرب إليهم منتصف القرن الخامس للهجرة (12 م) وانتشارها من طرابلس إلى أقصى جهة الغرب.

ومِمّا يُبين عن مَدى التداخل والاختلاط والتّعايش بين سكان هذه المجتمعات الجديدة، ما يذكره ابن خلدون عن هَوّارة الذين " أصبحوا ظواعنَ في عِداد الناجعة من

عرب بني سُلَيم، في اللُّغة والزيّ وسُكْنَى الخيام، وركوب الخيل، وكسب الإبل، وممارسة الحروب، وإيلاف الرّحلتين في الشتاء والصيف في تُلولهم، قد نَسُوا رصانة البَرْبَر واستَبْدلوا منهم بفصاحة العرب، فلا تكاد تفرّق بينهم[1].

ويشتمل هذا الجزء على نصوص وإشاراتٍ تنتثر في أكثر صفحاته، تذكر ما سبق لابن خلدون استخراجه لنظريته في تحرّك الدّول المتصادمة ضمن القوى الثلاثة التي بها فسّر مسارات تاريخ الدول الإسلامية، وهي: قوّة دول الشيعة، وقوّة المُزاحِمين، وقوّة المُنازعين.

وفي نصّ قصير يشير إلى التحوّل نحو هذه القُوى المتصارعة والانقسام إليها، يقول فيه: " صار المُلْكُ للبَرْبر وقبائلهم يتداوَلونه طائفةً بعد أخرى وجيلاً بعْد آخر، تارةً يَدْعون إلى الأمويين [المنازعين] الخُلفاء بالأندلس، وتارةً إلى الهاشميّين من بني العباس [دُوَل الشيعة]، وتارةً لبَني الحسن وبني الحسين [المزاحمين][2].

وفي سياق الحديث عن العرب لعهد دخولهم إفريقية، يسمّي مشاهير الرجال المذكورين المنتسبين إلى دُريد من الأثبج وبني قُرّة، وبني كثير من بطون كَرْفة من الأثبج، وبني ثور، ومِرْداس من رياح، ويشير إلى أن أكثر الأسماء مذكورة في أشعارهم[3]. ويقدم لنا أوثق البيانات عن الجذور التاريخية لخبر الجازية أخت الحسن بن سرحان التي أصْهَر بها للشريف شُكْر بن أبي الفتوح[4]، ويُعْرف بالشّريف ابن هاشم، وهو شخصية تاريخية حقيقية من السليمانيين من بني الحسن السّبط بن علي بن أبي طالب، الذين حكموا مكّة، ثمّ جمع بين الحرمين، وانقرضت دولة بني سليمان على يديه[5].

وقد اشتهرت ملحمة الحبّ بين الجازية وشُكْر الّذي كَلف بها وكَلفت به حتّى ماتت من حبّه[6]. "يذكر ابنُ خَلدون أن الناس يتناقلون من أخبارها في ذلك ما يُعَفّى على خبر قَيْس وكُثَيِّر.

(1) العبر 11: 311، 222
(2) المصدر نفسه 11: 248
(3) المصدر نفسه 11: 38
(4) المصدر نفسه 11: 41
(5) المصدر نفسه 7: 310
(6) المصدر نفسه 11: 42، 43، 44

ويروون في ذلك كثيرًا من أشعارها محكمة المباني مثقّفة الأطراف، وفيها المطبوع والمنتحل المصنوع، لم يُفقَدْ فيها من البلاغة شيء، وإنما أخلّوا فيها بالإعراب فقط، ولا مَدْخل له في البلاغة"[1].

ولم يَخْلُ هذا الجزء من بعض التّعريفات المهمّة في مُصطلح تاريخ المغرب، جديرة بإثارة الانتباه لها لتفصيلها الدقيق، من ذلك الفصل الثاني[2] من الكتاب الثالث الّذي عقده لمَوَاطن البَرَبر بإفريقيّة والمغرب، ففيه تحديدٌ للمصطلح الجغرافي وضبطٌ لدلالاته. وَصَفَ فيه بإسهابٍ حُدود المغرب كما ضَبَطَها بطْلَمْيوس والإدْريسي، حيث ينتهي حدّه في الشرق إلى بحر القُلْزُم والسّويس، فالمغرب عندهم جزيرةٌ أحاطت بها البحارُ من ثلاث جهاتها: الغرب والشرق والشمال.

" وأمّا العرف الجاري لهذا العهد بين سكّان هذه الأقاليم، فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا بَرْقة، وإنّما يختصّ بطرابلُس وما وراءها إلى جهة الغرب، مثل إفريقيّة والزّاب والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والسُّوس الأدنى والأقصى، هذا هو المغرب في العرف لهذا العهد"[3].

ويعيد تحديد أقاليم هذا المغرب واحدًا واحدً ويُدْخل طرابلُس في إفريقيّة[4]، ويَخُصّ كلَّ إقليم إلى جانب جغرافيته بمُتابعَة من يسكنهُ من قبائل البَرْبر والعَرَب.

• • •

• لقد وضع هذا الجزء من الكتاب أمامنا صعوبات جمّة، فقد كانت مادته الكثيفة من الأسماء البربرية محيّرة، لأنّها تفتقر عندنا في ضَبْطها إلى المرجعيّات الأمازيغيّة التي لا تتوفّر

(1) بسط المؤلّف مذهبه في قيمة هذه الأشعار في العبر 2: 549.

(2) العبر 11: 212

(3) المصدر نفسه 11: 219

(4) المصدر نفسه 11: 222 و يعتمد ابن خلدون تسمية الأقاليم المغربية مفصلةً، فيسمي المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، ولا يستعمل اسمَ المغرب الأدنى لمملكة تونس، وإنّما يسميها إفريقية تميزًا لها واجتنابًا لمأخذ النعت.

لنا، وهي وإن تُطابِقُ رسْمها في المخطوطات المعتمدة في تحقيق هذه النشرة، إلاّ أنّ شكْلَها بالحركات وكيفيّة النُّطق بها كان أمرًا بالغَ الصّعوبة، وأمكن لنا أن نمهّد بعض هذه الصّعوبة وأن نتجاوز ما تضعه أمامنا من مَخاوف، ذلك أنّ قطعة نسخة " د " التي اعتُمِدت في المقابلة، والتي كانت وثيقةَ الاتصال بالمؤلف، وعليها من دلائلَ مُتابعته لها ما جعلها أشْبَه بمسودّة لهذا الجزء، ففيها الزيادات والتّعديلات التي خطّها بقلمه ونقلَتْها النسّختان الأخريتان عنها، وبها بعض النصوص التي انفردت بها، لأنّها أضيفت بأخرة بعد أن استقرّت أوضاع النّسخ النّاقِلة. ومن أهم ما تميّزت به نسخة " د" ضَبْط الكثير من تلك الأسْماء بالشّكل بالحركات كما يَنْطقها العَرب، ولم تبدأ بالسّواكن كما هو الشأن في اللغة البربريّة، وهو ما يُناسِبُ الأمكانات الصوتية للمتكلمين بالعربية، وابن خلدون منهم.

وقد رأيناهُ - مثلاً - يضبط اسم " جبل دَرَنْ " بفَتْحتين مُتالِيتَيْن فسُكُون. وعندما حاوَلْنا التعرّف على الضّبط الأمازيغيّ الدّقيق لهذا الاسم الثلاثي الحروف، اتّضح أنّه يُلْفظ بتَسْكين حروفه " دْرْنْ "[1]. وهذا لا يَتأتّى لنا، لذلك تاخلنا شيءٌ من الاطمئنان أن نَستندَ إلى صُورَة الضّبط المعَرّب الذي جاء في نسخة "د" وما تولد عنها، واعتبرناها وثيقةً عن تحديد النّطق بتلك الأسماء كما كان يَلْفظها ابن خلدون ومعاصروه من غير البَرْبر.

وقد تطلب هنا جهدًا مضاعفًا للتأكُّد بَعْد استقراء مشجّرات النَّسب التي شَجّرَ أكثرها بخطّه، والمطابقة بين الضبط والشكل للأسماء كما تَرِدُ فيها وما يَرِدُ منها في متن النصّ، وبَعْد التدقيق الخاصّ في طريقة رسم الحروف البَرْبريّة التي تتميّز بالنّقط في غير مواقع النّقط التي ارتبطت بالأبجدية العربية.

• • •

• وكان المؤلف قد أثار في مدخل الكتاب الأول[2] كيفية وضع الحروف التي ليست من لغة العرب، ولمّا كانت تعرض له في أسمائهم أو بعض كلماتهم حروفٌ ليست من لُغَتنا،

(1) أبو العباس السّبتي: التشوّف إلى رجال التصوّف، تحقيق أحمد التوفيق. انظر الحاشية 59، الصفحة 101.
(2) العبر 1: 52 - 54

اضطرّ إلى بيانها والإفصاح عنها، ولم يكْتفِ برسم الحرف الذي يليه كما فعل من تقدّمه، لأنّه غير وافٍ بالدّلالة عليه، فاصطلح في كتابه على أن يضعَ ذلك الحرف العَجميّ بما يدلّ على الحرفين الذين يكتنِفانه، ليتوسّط القارئُ بالنّطق به بين مخرجَيْ ذينك الحرفَيْن فتحْصُلُ تأديتُه.

وقد اقتبس ذلك من رسم أهل المصحف حروف الإشمام، كالصّراطِ في قراءة خلَف، فإنّ النطق بصّادِه فيها مفخّم متوسّط بين الصّاد والزّاي، فوضعوا الصّادَ ورسموا في داخِلها شكلَ الزّاي، ودلّ ذلك عندهم على التّوسّط بين الحَرْفين.

وهذه نماذج الحروف التي استعملها في هذا الجزء على ما اصطنعه واصْطلح عليه:

الصاد المشمّة بالزاي : صـ = صناك - مصدور - مصلان - تيصكي.

الكاف المشمّة بالجيم: ڪ = زجّيك - أرشكول - كُملان.

الطّاء المشمّة بالتاء: ظ = مظفره – الظظر.

* * *

وكان اعتمادنا في تحقيق هذا الجزء على ثلاث نسخ جيّدة.

الأولى هي نسخة ظ التّي اعتبرناها منذ البداية هي العمود الفِقريّ لكلّ الكتاب، لتتابعها وتكاملها، وأرقامُ صحائف المخطوط في حواشي هذه النّشرة تشير إليها. وهي من نُسَخ المؤلّف التي أشرف على كتابتها وتصحيحها لتُهدَى إلى السّلطان الظاهر برْقوق.

والثانية هي نسخة الصّاحبي، وهي بخطّ عبد الله بن حسن، ابن الفخّار. وقد اندمج هذا الجزء مع ما يليه لأنّها من التقسيم السّباعي، وخطُّها جيّد واضح جميل، إلاّ أنّه كثير الإهمال لنَقْطِ الحروف، وتفتقر أكثر الأسماء إلى الضّبط، وقد أُتيحت في القرن العاشر الهجري لمالكٍ أو مُحافظٍ لمكتبة الصّاحبي، فاتّخذ حواشِيَها البَيْضاء الواسِعةَ لتسجيل أحداثٍ ونُقولٍ بخطّ صغير، تسَرَّبَ أحيانًا لتَتمدّدَ بين السّطور. وقد رمزنا لها بحرف ص.

والثالثة قطعة من هذا الجزء غير تامّة، تقدم الحديث عنها وعن أهميتها في الضبط، ورمزُها الحرف د.

* * *

هذا ونرجو أن نكون قد يسّرنا قراءة هذا الجزء المهمّ والصعب، بما بذلناه في استخراجه والتأكّد جُهد الطاقة في توثيق تفاصيله وضبط أسمائه.

ونأمل أن يتجاوز المُنصِفون عمّا قصرّنا فيه وفاتَنا. ومن الله نستمد العون.

إبراهيم شبوح

افريقيه وبه سميت وقتل ملكها جرجير وسمي البربر بهذا الاسم كما ذكرناه
فقال واقام في البربر من حمير صنهاجه وكتامه فهم فيهم الى اليوم انتهى ه
وتشعبوا في المغرب وانتشروا في نواحيه الا ان جمهورهم كانوا لاول الملة بعد صح
الرده وطمحه تلك الفتن موطنين بارياف قسنطينه الى تخوم بجايه غربا الى
جبل اوراس من ناحيه القبله وكانت تلك المواطن بلاد مذكوره اكثرها لهم ومن
ديارهم ومجالات تقلبهم مثل ايكجان وسطيف وباغايه ونقاوس وبلزمه
وبنكيشت وميله وقسنطينه والسكره في القل وجيجل من حدود
جبل اوراس الى سيف البحر مابين بجايه وبونه وكانت بطونهم كثيرة يجمعها كلها غرسن
ويسودة ابنا كتم بن برنس فمن يسودة فلاسه ودنهاجه ومتوسة
ووريسن كلهم بنو يسودة بن كتم والى دنهاجه ينسب قصر كتامه بالمغرب
لهذا العهد ومن غرسن مصاله وقلدن وماوطن ومعاذ بنو غرسن بن كتم
ولهيصه وجيملة ومسالتة بنو يناوة ابن غرسن ولطاية
واجانة وغشمان واوفاس بنو يتطاسن ابن غرسن وملوسه من
يناو ابن غرسن ومن ملوسة هولاء بنو زلدوي اهل الجبل المطل على
قسنطينه لهذا العهد وبعد البرابرة من كتامه بني يستيتن وهشتيوة 5
ومسالتة وبني فليسلة وعد ابن حزم منهم زواوة بجميع بطونهم وهو
نحو على ما تقدم وكان من هذه البطون بالمغرب الاقصى كثير منتبذون عن
مواطنهم وهم بها الى اليوم ولم يزالوا بهذه المواطن وعلى هذه الحاله من لدن ظهور
المله وملك المغرب الى دوله الاغالبه ولم تكن الدول تسومهم بهضيمه ولا تنالهم
بعسف لاعتزازهم عليها بكثرة جموعهم كما ذكره ابن الرقيق في تاريخه الى ان كان
قيامهم بدعوة الشيعة ما ذكرناه في دولتهم عند ذكر دول الفاطميين اثر
دوله بني العباس فانظره هنالك وتصفحه تجد تفصيله ولما صار لهم الملك
بالمغرب زحفوا الى المشرق فملكوا الاسكندرية ومصر والشام واختطوا
القاهرة اعظم الامصار بمصر وارتحل المعز رابع خلفائهم فنزلها وارتحل معه كتامه
بقبائلهم واستحلوا الدولة هنالك وهلكوا في ترفها وبذخها وبقي في مواطنهم الاولى

[صفحة من قطعة النسخة د]

الخبر عن جشم الموطنين ببسايط المغرب وبطونهم من ...

هؤلاء الاحيا بالمغرب لهذا العهد فيهم بطون من قرة والعاصم ومقدم و...
والاثبج وجشم والخلط وغلب عليهم جميعا اسم جشم نسبوا به وهو جشم
ابن معوية بن بكر بن هوازن وكان اصل دخولهم الى المغرب ان الموحدين
لما غلبوا على افريقية اذعن لهم هؤلاء القبايل من العرب طوعا وكراهية
كانت فتنة ابن غانية فاجلبوا فيها واعز قواهم الموحدين ثم راجعوا الطاعة
لعهد المنصور فنقل جمهور هؤلاء القبايل الى المغرب ممن له كثرة وشوكة
وظواعن ناجعة فنقل العاصم ومقدم من بطون الاثبج ومعهم بطون
ونقل جشم هؤلاء الذين غلب اسمهم على من معهم من الاحيا وانزلهم تامسنا
ونقل رياحا وانزلهم الهبط فنزل جشم بتامسنا البسيط الافيح ما بين سلا
ومراكش اوسط بلاد المغرب الاقصى وابعدها عن الثنايا المفضية الى القفار
لاحاطة جبل درن بها وشموخه بانفه حولها
عليها فلم ينجعوا بعدها قفرا ولا ابعدوا رحلة وانما قاموا بها حللا
وافترقت شعوبهم بالمغرب الى الخلط وسفيان وبني جابر وكانت الرياسة
لسفيان من بينهم في اولاد جرمون سائر ايام الموحدين ولما
وهن امر بني عبد المومن ونشأ زحمهم استكثروا بجموعهم فكانت لهم سورة
غلب واقتدار على الدولة بكثرتهم وقرب عهدهم بالبداوة وضربوا في
بين الاعياص وظاهروا الخلافة بمراكش وظاهروا عليها وساءت اثارهم
في البغي ولما انحرف بنو مرين بلاد المغرب على الموحدين وملكوا
فاس وضواحيها تمكن بهم ... اشد باسا منهم ومن رياح لقرب العهد
بالبداوة كما قلناه فكانت لهم معهم وقايع وحروب استلحمهم فيها بنو
مرين الى ان حق الغلب واستكانوا لعز بني مرين وصولتهم واعطوهم
صفقة الطاعة واصهر بنو ... الى الخلط منهم في بيت بني مهلهل فكان

[صفحة من النسخة ص]

كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

بقية الكتاب الثاني

وأول الكتاب الثالث : الجزء الحادي عشر

[١ ب] / بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [أ] صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحمدٍ وآلِه

الطَّبقةُ الرابعةُ من العَرب

وَهُمُ العَربُ المُسْتَعْجِمةُ، أَهْلُ الجيلِ النَّاشىءِ لِهَذا العَهْدِ مِنْ بَقيّةِ أَهْلِ الدَّولةِ الإسْلاميّةِ مِنَ العَرب.

لـمّا استقلّتْ مُضرُ وقُرَيْشُها وأنصارُها من اليَمنِ بالدّولةِ الإسلاميّةِ فيمن تَبِعَ دينَهم من إخوانِهم رَبيعةَ ومن لَفَّ لَفَّهم من أحْياءِ اليَمنيّة، وغَلَبوا الأُمَمَ والـمِلَلَ على أمْرِهم، وانتزَعوا الأمصارَ من أيْديهم، وانقلبَتْ أحوالُهم من خُشونةِ البَداوةِ وسَذاجةِ[ب] الخِلافة إلى[ج] عِزِّ الـمُلْكِ وتَرفِ الـحَضارة، ففارَقوا الـحِلَلَ، وافترَقوا على الثّغورِ البَعيدةِ والأقْطارِ النّائيةِ من ممالكِ الإسْلام، فنَزلوا بها حاميةً ومُرابطينَ، عُصَباً وفُرادَى. وتناقَلَ الـمُلْكَ من عِيصٍ[1] إلى عيصٍ، ومن بَيْتٍ إلى بَيْتٍ، واستَفْحَلَ مُلكُهم في دَوْلةِ بني أُميّة وبَنِي العبّاس مِن بَعْدِهم، بالعراق، ثُمّ دَوْلةِ بني أُميّةَ الأُخرى بالأنْدَلُس، وبلَغَ من التّرَفِ والبَذَخِ ما لم تَبلُغْه دولةٌ من دُول العَربِ والعَجم من[د] قَبْلِهم.

(أ) ص: وبه نستعين وتكفي (ب) ص: شراحة (ج) ص: على (د) ص: ومن قبلهم.

---

(1) العيص، الأصول وهم آباؤه وأعمامه وأخواله وأهلُ بيْتِه.

فانْغَمسُوا في الدّنيا، ونبتَتْ[أ] أجْيالُهم في ماءِ النّعيم، واستَوْثَرُوا مِهادَ الدَّعَة، واستَطابوا خَفْضَ العَيْش، وطال نَوْمُهم في ظِلِّ العزِّ والسِّلْمِ، حتّى ألِفُوا الحضارةَ، ونَسَوْا عهدَ الباديةِ، وانفَلَتَتْ من أيديهِمُ المَلَكَةُ الّتي نالوا بها المُلْكَ وغلَبوا الأُمَمَ، من خُشونةِ الدّين، وبَداوةِ الأخلاق، ومَضاءِ المِضْرَبِ، فاستَوَتِ الحاميةُ والرّعيّةُ، لوْلا الثّقافةُ، وتَشابَهَ الجُنْدُ والحضَرُ إلاّ في الشّارة. وأنِفَ السّلطانُ من المُساهَمَةِ في المَجْدِ والمشاركةِ في النّسَب، فَجذَعوا أنُوفَ المتَطاوِلينَ إليهِ من أعْياصِهم وعَشائِرِهم ووجُوهِ قَبائِلهم، وغَضُّوا من عِنانِ طُموحِهم، واتّخذوا البِطانةَ لقَهْرِهم[ب] من مَوالي الأعْجام وصَنائِع الدّوْلة، حتّى كثّروا بهم قبيلَهُم / من العَرب الّذين أقاموا الدّوْلةَ ونَصَروا المِلّةَ ودَعَموا [12] الخِلافة، وأذاقوهم وبَالَ القَهْرِ، وسَامُوهُم خُطّةَ الخَسْفِ والذُّلّ، فأنسَوْهم ذِكْرَ المجْدِ وحلاوةَ العِزّ، واستَلبوهم نُعَرةَ العصبيّة، حتّى صاروا أُجَراءَ على الحِمايةِ وخَوَلاً لمن يَستَعبدُهم من الخاصّة، وأوْزاعاً مُتَفرّقِينَ بَيْن[ج] الأُمّة، وصَيّروا لغيرِهم الحَلَّ والعَقْد، والإبْرامَ والنَّقْض، من الموالي والصّنائع، فداخلَتْهم أرْيَحِيّةُ العِزّ، وحَدّثوا أنفسَهم بالمُلْك، فحَجَروا الخُلفاءَ وقَعَدوا بدَسْتِ الأمْرِ والنَّهْي، واندَرجَ العرَبُ أهلُ الدّولةِ في الغِمَار، واختَلَطوا بالهَمَج، ولم يُراجِعوا أحوالَ البَداوةِ لبُعْدِها، ولا تذَكّروا عَهدَ [الأنسابِ][د] لدروسِها، فدَثَروا وتلاشَوْا، شأنَ مَن قَبْلَهم وبَعْدَهم من الأُمَم ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ [غافر، من الآية 85]. ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الفتح، من الآية 23].

(أ) ص: نبتت (ب) ص: لهدهم (ج) سقط من ص (د) في ظ: الإنسان.

وكانَ المُتَوَلُّونَ لِتَمْهيدِ قواعدِ الأمْرِ وبناءِ أساسِه، من أوّلِ الإسلامِ والدّينِ، والخِلافةِ من بَعْدِه والمُلْكِ، قبائلَ من العَربِ مَوفورةَ العَددِ، عَزيزةَ الأحياءِ، نصَرُوا الإيمانَ والمِلّةَ، ووَطّدوا أكنافَ الخِلافةِ، وفَتَحوا الأمصارَ والأقاليمَ، وغلَبوا عليها الأُمَمَ والدُّوَلَ.

أمّا مِن مُضَرَ: فقُرَيْشٌ، وكِنانَةُ، وخُزاعةُ، وبنو أسَد، وهُذَيْلٌ، وتَميمٌ، وغَطَفانُ، وسُلَيْمٌ، وهَوازِنُ وبُطونُها من ثَقيفٍ وسَعْدِ بن بَكْرٍ وعامِرِ بن صَعْصَعَةَ، ومَن إليهم من الشُّعوبِ والبُطونِ والأفخاذِ والعَشائِرِ والحُلَفاءِ(أ) والمَوالي.

وأمّا من رَبيعةَ: فبَنو تَغْلِبَ بن وائِل، وبنو بكْرِ بن وائل، وكافّةُ شُعوبهم من بني يَشْكُرَ، وبني حَنيفةَ، وعِجْل، وبني ذُهْل، وبني شَيْبان، وتَيْمِ اللّه، ثمّ بنو النَّمِرِ بن قاسِط، ثم عبدُ القَيْس ومَن إليهم.

وأمّا من اليَمنيّة، ثمّ من كَهْلانَ بن سَبَإٍ منهم، فأنصارُ اللهِ: الأوْسُ والخَزرجُ أبناءُ قَيْلَةَ(ب) من شُعوبِ غسّانَ وسائرِ قبائلِ الأزْد، ثمّ هَمْدان، وخَثْعَم، وبَجيلَةَ، ثمّ مَذْحِج وكافّةَ بُطونِها من عَنْس / [2 ب] ومُرادٍ وزُبَيْدٍ والنَّخَع الأشعريّينَ وبني الحارثِ بن كَعْب، ثمّ مِن طَيّء وبُطونِها، ولَخْمٍ وبُطونِها، ثمّ كِنْدَةَ وملوكِها.

وأمّا من حِمْيَرِ بن سَبَأ: فقُضاعةُ وجميعُ بُطونِها، ومَنْ إلى هذه القَبائِل من الأفخاذِ والعَشائرِ والأخْياف[1].

(أ) ص: الحلفاء (ب) ص: قبله.

---

(1) في الاصول: الأحياف، والصواب ما أثبتناه. والأخياف من الناس الذين أمّهم واحدة وآباؤهم شتّى. يقال: النّاس أخْياف أي مختلفون.

هؤلاءِ كلُّهم أنفقَتْهمُ الدُّوَلُ الإسْلاميّةُ العربيّة، فابْتَلَعتهم الثُّغورُ القَصِيّةُ، وأكَلَتْهم الأقطارُ المتَباعِدة، واستَلْحَمَتْهمُ الوقائعُ المذكورةُ، فلم يَبْقَ منهم حَيٌّ يُطْرَقُ، ولا حِلّةٌ تُنْتجَعُ، ولا عَشِيرٌ يُعْرَف، ولا قَبيلٌ يُذكَر، ولا عاقِلةٌ[2] تَحمِلُ جِنايةً، ولا عِصابةٌ لصَريخٍ، إلاّ ما نَسْمعُ[أ] من ذكْرِ أسْمائهم في أنْسابِ أعقابٍ مُتفرِّقِينَ في الأمْصار، ألْوَى الخُمولُ بجُمْلتِهم فتَقَطّعوا في البلادِ واندَخَلوا بيْنَ النّاس، فامْتُهِنوا واسْتُهِينوا، وأصْبحوا خَوَلاً للأُمَراءِ، وبُهْماً للذّائذ[ب]، وعالةً على الحِرَفِ والصّنائع، وخَدَمةً للمَعاش، ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية 95]. وقامَ بالإسْلام والملّةِ غيرُهم، وصار المُلْكُ والأمرُ في أيْدي سِواهم، وجُلِبَتْ بضائعُ العُلوم والصّنائعِ إلى غَيْرِ سُوقِهم، فغلَبَ أعاجمُ الشّرْق[ج] •من الدّيالِم•[د] والسّلْجوقيّةِ والأكْرادِ والغُزِّ والتُّرْكِ على مُلْكِهِ ودُوَلِه، فلم تزَلْ مُتناقَلةً فيهم إلى هذا العَهْد. وغلَبَ أعاجِمُ المغربِ من زَناتَةَ والبَرْبرِ على أمْرِهِ أيْضاً، فلم تزَلِ الدولُ تَتَناقلُ فيهم على ما نَذْكرُهُ بَعْدُ إلى هذا العَهْد.

وانقرَضَ أكثرُ[هـ] الشّعوبِ الّذينَ كان لهم المُلْكُ من هؤلاءِ، فلم يَبْقَ لهم ذكْرٌ، وانْتَبذَ بقيّةُ شُعوبِ هذه الطّبقةِ بالقِفَار، وأقاموا أحْياءً بادِينَ، لم يُفارِقوا الحِلَلَ ولا تَرَكُوا البَداوةَ والخُشونةَ، فلم يتوَرّطوا في مَهْلَكةِ التّرَف، ولا غَرِقوا في بَحْرِ النّعيمِ، ولا فُقِدوا في غَياباتِ الأمْصارِ والحضارة، حتّى

(أ) ص: نسمع (ب) ص: للدّلائل (ج) ص: المشرق (د) سقط ما بين النجمين من ص (هـ) سقط من ص.

(1) عاقِلةُ الرجُل عَصَبتُه، وهم القرابةُ من قِبَل الأب الذين يعطون ديَةَ من قتَله عن غير عَمْد.

لقد أنشَدَ شاعِرُهم[1]: [من الوافر]

فـمنْ تَكُنِ الحضارةُ أَعْجَبَتْهُ ... فـأيَّ رجـالِ بـاديـةٍ تَـرانَـا

[3أ] وقال الـمُتَنبّي[2] يمدَحُ سيفَ الدَّولة، ويُعَرِّضُ بِذكْرِ العَربِ الذين / أَوْقَعَ بهم لما كَثُرَ عَيْثُهم وفسَادُهم: [من الطويل]

وكـانـوا يَـرُوعُـونَ الـمُلوكَ بأنْ بـدَوْا ... وإنْ نَـبـتَـتْ في الماءِ نَبْتَ الغَلافِقِ

فَهَاجُوكَ[أ] أَهْدَى في الفَلاةِ[ب] من القَطا ... وَأبْـدى بُـيـوتاً من بيُوتِ[ج] التَّـقَـانِقِ

وأقامَتْ هذه الأحياءُ في صَحَارى الجنوبِ من المَغْربِ والمَشْرق، بإفريقيَّةَ ومصْرَ والشَّام والحِجازِ والعِراقِ وكَرْمان[3]، كما كان سَلَفُهُم من رَبيعةَ ومُضَرَ وكَهْلانَ في الجاهليّة، وعَفَوْا وكَثُروا.

وانقَرَضَ الـمُلْكُ العربيُّ الإسلاميُّ، وطرَقَ الدّولَ الهَرَمُ الّذي هُوَ شأنُها، واعتَزَّ بعضُ هذا الـجِيلِ غَرْباً وشرْقاً، فاستَعْملَتْهُمْ الدّوَلُ وولَّوْهمُ الإمارةَ على أحْيائهم، وأقْطَعوهم في الضَّاحِيَةِ والأمْصارِ والتُّلول، وأضْبحوا جيلاً في العالَم ناشِئاً كَثُروا سائرَ أهْلِهِ من العَجَم، ولَهم بتلكَ الإمارَة دُوَلٌ[د]، فاستَحَقُّوا أنْ تُذكَرَ أخبارُهم وتُلحَقَ بالأجْيالِ من العَرب سلَفِهم.

(أ) ص: لجاهوك (ب) الديوان: في الفلا من نجومه (ج) الديوان: أداحي (د) ظ: دولاً.

---

(1) هو عمير بن شُيَيم القطامي. انظر ديوانه 76 (بيروت 1960، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب) والكامل للمبرّد 58:1.

(2) الديوان 389.

(3) بفتح الكاف وتكسر، والفتح أصح.

ثمّ إنّ اللّسانِ المُضَريَّ - الّذي وَقَعَ بهِ الإعجازُ ونزَلَ بهِ القرآنُ- فسَدَ فيهم وتبدّلَ إعرابُه، فمالوا إلى العُجمةِ وإن كانتِ الأوضاعُ في أصلها صحيحةً، فاستحقّوا أن يوصَفوا بالعُجْمَة من أجْلِ الإعْراب، فلذلكَ قُلْنا فيهم: العَربَ المُستَعجِمةَ.

فلنذكُرِ الآنَ بقيّةَ هؤلاءِ الشّعوبِ في هذه الطّبقةِ في المَغربِ والمشرق، ونَخُصَّ منهم بالذكرِ أهلَ الأحْياءِ النّاجعةِ والأقْدارِ النّابِهة، ونُلْغيَ المُندَرِجينَ في غَيْرِهم، ثمّ نرجعُ إلى ذكْرِ المتنَقِّلينَ(ب) من هذه الطّبقةِ إلى إفريقيّة والمَغرب، فنَسْتوعبُ أخبارَهم، لأنّ العربَ لم يكنِ المَغربُ لهم في الأيّام السّالفةِ بوَطنٍ، وإنّما انتَقَلَ إليهِ في أواسِطِ المائةِ الخامِسةِ أفاريقُ من بَني هلالٍ وسُلَيمٍ اختَلَطوا بالدّوَلِ هنالك، فكانتْ أخبارُهم من أخْبارِها، فلذلكَ اسْتَوْعَبْناها.

وأمّا آخِرُ مَواطِنِ العَربِ، فكانتْ بَرْقَةَ، وكانوا فيها: بنو قُرّةَ من هِلالِ ابن عامِر، وكانتْ لهم / في دَوْلَةِ العُبَيْدِيّينَ أخبارٌ، وحكايَتُهُم في الثّوْرةِ أيّامَ [3 ب] الحاكِمِ والبَيْعةِ لأبي رَكْوةَ من بَني أُمَيّةَ الأنْدلُس معروفةٌ، وقد أشَرْنا إليها في دَوْلَةِ العُبَيْديّين(1). ولما أجازَ بنو هِلالٍ وسُلَيْمٍ إلى المَغْربِ خالَطوهم في تلْكَ المَواطِنِ، ثمّ ارْتَحلوا مَعَهم إلى المَغْربِ كما نَذْكُرُهُ في دُخولِ العرَبِ إلى إفريقيّةَ والمغرب.

وبَقِيَ في مواطِنِهم ببَرْقَةَ لهذا العَهْد: أحياءُ بَني جَعْفر، وكان شَيْخَهم أواسِطَ هذهِ المائةِ الثّامنة أبو ذيب، وأخوهُ حامدُ بنُ كُمَيْل. وهم يَنْتَسِبونَ

(أ) ص: المنتقلين.

---

(1) انظر العبر 7: 177.

في العَرب، فتارَةً في العزّة[1]، ويَزْعُمونَ أنّهم من بني كَعْبِ بن سُلَيم، وتارَةً في هيب[2] كذلكَ، وتارَةً في [فَزارَة][أ]، [3] والصّحيحُ في نَسبِهم: أنّهم من مَسْرَاتَة، إحدى بطونِ هَوّارة، سَمِعتُهُ من كثيرٍ من نَسّابتِهم.

وبَعْدَهم فيما[ب] بَيْنَ بَرْقَةَ والعَقَبةِ الكبيرة أولادُ سَلاّم[4]. وما بَيْنَ العَقَبةِ الكبيرةِ والإسكندَريّةِ أولادُ مُقدّم[5]، وهم بَطْنان: أولادُ التُّركيّة، وأولادُ فايد. ومُقدّمٌ وسَلاّمٌ معاً يَنتسِبونَ إلى لَبِيد، فبَعْضُهم يقولُ: لَبِيدُ[6] بنُ هبيّة[ج] ابن جَعْفرِ بن كِلابِ بن رَبيعةَ بن عامِر، وبعضُهم يقولُ في مُقَدّم: مُقدّمُ[د] بن

(أ) ظ: فُزارَة (ب) ص: فيها (ج) ص: هيّنة (د) سقط من ص.

(1) هم بنو عزيز من بني هلال بن عامر بن صعصعة، مساكنهم بساقية قلتة من عمل إخميم من صعيد مصر. (المقريزي: البيان والإعراب 28، القلقشندي: نهاية الأرب 362، قلائد الجمان 119.

(2) بنو هيب بن بهثة إخوة عُوْف بن بهثة بن سليم بن منصور، (الجمهرة 261) ولم يذكر ابن حزم هيبا في أولاد بهثة بن سليم. ومنازلهم بين السّدرة من برقة إلى حدود الإسكندرية. (البيان والإعراب 70، قلائد الجمان 127، نهاية الأرب 444، ولم نقف على ضبط الاسم فأبقيناه غير مشكول.

(3) بطن من ذبيان من القحطانية، كانت منازلهم بنجدٍ ولم يَبْقَ منهم أحد، ونزل جيرانهم من طيء مكانهم، وببرقة عدّة من قبائلهم، وبإفريقية والمغرب منهم أحياءٌ اختلطوا مع أهله، وسكنت طائفة منهم بأطراف البَهْنَسا والقليوبية من الديار المصريّة. انظر، قلائد الجمان 113- نهاية الأرب 393، البيان والإعراب 48 - 49، 71.

(4) بطن من لبيد من سُلَيم منازلهم برقة. البيان والإعراب 73، قلائد الجمان 126، نهاية الأرب 116.

(5) ينسبون إلى لبيد من سليم - باختلاف - يذكر المقريزي أن منازلهم بين العقبة الكبيرة والإسكندرية (البيان والإعراب 73) . ويقول القلقشندي: إن مساكنهم مع قومهم جزم ببلاد غزة من أرض الشام (نهاية الأرب 425) فهل هما من جِذْم واحد؟

(6) لبيد من سليم، وهم بطن عظيم منهم، ولم نقف على اسم هبية في نسبهم فلعله تصحيف لاسم بُهْثة بن سليمْ والد بني عوف السُّليميّين. ومنازل لبيد أرض برقة، ولهم أخاذ متسعة. قلائد الجمان126.

[عزار][أ] من كَعْبِ بن سُلَيْم، وذكَرَ لي سَلاّمٌ شيخُ أولادِ التُّرْكيّة[1] أنّ أولادَ مقدّم من رَبيعةَ بن نِزار.

ومعَ هؤلاءِ الأحْياءِ حيٌّ مُحارِب[2] يَنْتَهونَ بآلِ جَعْفر، ويُقالُ: إنّهم من جَعْفرِ ابن كِلاب، وحَيٌّ رَوَاحةَ[3] يَنتهونَ بآلِ زُبَيْد، ويقال: مِن جَعْفرٍ أيضاً. والنّاجِعةُ من هؤلاءِ الأحْياءِ كلُّهم يَنْتَهون في مَشاتِيهم إلى الواحاتِ من بلادِ القِبْلة.

وقال ابنُ سعيد: ومن غَطَفانَ في بَرْقَة: هيب، ورَوَاحة، وفَزارَة، فجعلَ هؤلاءِ من غَطَفان. فاللّهُ أعلَمُ بصِحّةِ ذلك.

وفيما بيْنَ الإسْكندريّةِ ومِصْرَ قبائلُ رَحّالةٌ ينتقِلونَ في نَواحي البُحَيْرةِ هنالك، ويَعْمُرونَ أرضَها بالسُّكْنَى والفَلْح، ويَخْرجونَ في المَشاتي[ب] إلى نَواحي العَقَبةِ وبَرْقَةَ من مَزاتَةَ وهَوّارةَ وزنارة[ج]- إحدى بُطونِ لَوَاتَة-/ وعليهم مَغارمُ الفَلْح. وتَنْدرِجُ[د] فيهم أخْلاطٌ من العَربِ والبَرْبَر لا يُحْصَوْنَ كثْرةً. [١٤]

وبنَواحي الصَّعيدِ، قبائلُ من العَرَبِ من بَني هلالٍ وبَني كِلابِ بن رَبيعة، أحياءٌ كثيرةٌ يَرْكبونَ الخيلَ ويحمِلونَ السّلاحَ ويَعْمُرونَ الأرْضَ بالفِلاحةِ،

(أ) من ص، وفي ظ: عزاز (ب) ص: الشتاء (ج) ص: زنارة (د) ص: يندرج .

---

(1) هو سلاّم بن محمد بن سليمان بن فايد، أمير خفاجة من الصعيد. وفاته سنة 796هـ. النجوم الزاهرة 12: 139.

(2) يذكر القلقشندي أنهم بطن من هيب بن بُهْثة من سليم، ويقول: إن ابن خلدون لم يرفع نسبهم. نهاية الأرب 415.

(3) بطن من غطفان العدنانية. مساكنهم بلاد برقة. نهاية الأرب 266.

[ويقومونَ بالخراج للسلطان، وبَيْنَهم مع ذلك من الفتن والحُروب ما ليْس يكون][أ] بيْن أحْياءِ القَفْر.

وبالصّعيدِ الأعْلى من أُسْوانَ وما وَرَاءَهَا إلى أرْضِ النُّوبَة ثُـمّ إلى بلاد الـحَبشةِ قبائلُ متعدِّدةٌ وأحياءٌ مُفْترِقة، كلُّهم من جُهَيْنةَ، إحدى بُطونِ قُـضَاعَة، مَلأوا تلكَ القِفَارَ، وغَـلَبوا النُّوبَةَ على مَواطِنِهم ومُلْكِهم، وزَاحـموا الحبَشةَ في بلادِهِم، وشارَكوهم في أطْرافِها. والذين يَلُونَ أُسوانَ منهم يُعْرَفونَ بأوْلادِ الكَنْز[1]، كان جَدُّهم كَنْزَ الدّوْلة، ولهُ مقاماتٌ معَ الدّوَلِ مذكورةٌ. ونزَلَ مَعهم في تِلْكَ المواطِنِ من أُسْوانَ إلى قُوصَ بَنو جَعْفرِ بن أبي طالِبٍ حينَ غلَبَهم بَنو الـحُسَيْن •بن عليّ•[ب] على نَواحي المدينةِ وأخْرَجوهم مِنْها، فهم يُعْرَفونَ بينَهم بالشُّرَفاءِ الجعافِرة[2]، ويَـحْتَرِفونَ في غالبِ أحْوالِهم بالتِّجارة.

وبنَواحي مِصْرَ من جهةِ القِبْلةِ إلى عَقَبةِ أيْلَةَ[ج] أحياءٌ من جُذام، جُمْهورُهم من العايد، وعليهم دَرْكُ السّـابِلةِ بتلكَ النّاحية، ولهم على ذلكَ الإقطاعُ من السُّلطان يَمْتَـرونَـها[د]. ويَـليهم إلى جهةِ الشّرقِ بالكَرَكِ ونَواحيـها أحيـاءُ بَني عُـقْـبةَ من جُذامٍ أيـضاً، رَحّالةٌ ناجِعةٌ تَنْتـهي رِحْلتهُم إلى المدينـةِ

(أ) زيادة من ص (ب) سقط من ص (ج) ظ: إيلا (د) ص: يميرونها. والمعنى أنهم يتخذون من الاقطاع ميرة طعامهم.

---

(1) البيان والإعراب 45- ، عيون الروضتين 1: 235 وفيه الخبر عن أوّليتهم. وقد ظهرت إمارة كنز الدولة نتيجة المصاهرات بين رؤساء ربيعة ورؤساء البُجَة، ساعد أحد أفرادهم الخليفة الحاكم في القضاء على ثورة أبي رَكْوَة فلقبه كنز الدولة، لكنهم استغلوا أحوال اضطراب الخلافة إبان الشدّة المستنصرية فأعلنوا استقلالهم إلى أن قضى عليهم بدرُ الجمالي. وأخبارهم مبثوثة في اتعاظ الحنفا للمقريزي.

(2) من الطالبيين، من أبناء جعفر الطيار. قلائد الجمان 158، البيان والإعراب 33، 40 نهاية الأرب 123.

النَّبَوِيَّةِ، وعليهم دَرَكُ السَّابِلَةِ فيما يَليهم. وفيما وراء عَقَبةِ أَيْلَةَ إلى الأَزْلَم قبائلُ بَلِيٍّ من قُضَاعَة. ومن الأَزْلَم إلى اليَنْبُعِ [قبائلُ من جُهَيْنَة، ومن اليَنْبُع][أ] إلى بَدْرٍ ونَواحيهِ قبائلُ من زُبَيْد، إحدَى بُطون مَذْحِج، ولهم مَعَ الأُمَراءِ بِمَكَّةَ من بَني حَسنٍ حِلْفٌ ومُؤاخاةٌ. وفيما بَيْن مكَّةَ والمَهْجَم مِمَّا يَلِي اليَمَنَ قبائلُ بني شُعْبَة من كِنَانة. وفيما بَيْنَ الكَرَكِ وغَزَّة[ب] شَرْقاً قبائلُ جَرْم[ج] من قُضَاعَةَ في جُموعٍ وافِرة، وهم أمراءُ غَزَّةَ يُقْطِعُهمُ السُّلطانُ على / العَسْكَرة وحِفْظِ السَّابِلَة، ويَنْتَجِعونَ في المَشاتي إلى مَعانَ وما يَليها من [4ب] أسافِلِ نَجْدٍ مِمَّا يَلي تَيْماء.

وبَعْدَهم في أرض الشَّام بَنو حارِثةَ من سِنْبِس[1]، وآلُ مِرَا[د] بن رَبيعةَ إخْوَةُ آلِ فَضْلٍ، الملوكِ على العَربِ في بَرِّيَّةِ الشَّام والعِراق ونَجْد.

وأخْبَرَني بعضُ أُمَراءِ حارِثةَ أنَّ سِنْبِسَ من بُطونِ طَيِّء.

فلْنذكُرِ الآنَ خبرَ أولادِ فَضْلٍ أُمَراءِ الشَّامِ والعِراق من طَيِّء فيهم، يتَبَيَّنْ حالُ أعْرابِ الشَّام جميعاً.

(أ) من ص (ب) في ظ ص: عزة (ج) ظ: جزم (د) ص: مرّ من ربيعة، انظر قلائد الجمان 74، 79، ومِرَا بكسر الميم.

---

(1) كذا ضبطها بكسر السين والباء ابنُ حزم في الجمهرة 402، 476، والفيروزابادي وابن دريد: الإشتقاق 390، وضبطها القلقشندي بالضمّ. قلائد الجمان 87.

خبرُ آلِ فَضْلٍ[1] وبَني مُهَنّا[2] منهم، ودَولَتِهم بالشّامِ والعِراق

هذا الحيُّ من العَربِ يُعرَفُونَ بآلِ فَضْلٍ. وهُم رَحّالةٌ ما بَيْنَ الشّام والجَزيرةِ وبَرّيّةِ نَجْدٍ من أرْضِ الحِجاز، يتقلّبونَ هكذا[أ] بَيْنَها في الرِّحْلَتَيْنِ، وينتَسبونَ في طيّىء، ومعَهم أحْياءٌ من زُبَيْدٍ وكَلْبٍ وهديم[3] ومَذْحِج أحلافٌ لهم. ويُناهِضهُم في الغلَبِ والعَدَدِ آلُ مِرَا[4]، ويَزْعُمونَ أنّ فَضْلاً ومِرَا آلُ رَبيعةَ، ويَزْعُمونَ أيضاً أنّ فَضْلاً يَنقَسِمُ ولَدُهُ بيْنَ آلِ مُهنّا وآلِ عليّ، وأنّ آلَ فَضْلٍ كلّهم كانوا بأرْضِ حَوْرانَ، فغلَبَهم علَيْها آلُ مِرَا وأخْرَجوهم منها، فنَزلوا حِمْصَ ونَواحيَها، وأقامتْ زُبَيْدٌ -من أحْلافِهم- بحَوْرانَ، فهم بها حتّى الآنَ لا يُفارِقونَها.

قالوا: ثُمّ اتّصَلَ آلُ فَضْلٍ بالدّوَلِ السُّلطانِيّة، وولَّوْهُمْ على أحْياءِ العَرَبِ، وأقْطَعوهم على إصْلاحِ السّابِلةِ ما بَيْنَ الشّام والعِراق، فاسْتَظْهَروا برِئاسَتِهم على آلِ مِرَا وغَلَبوهم على المَشاتي، فصار عامّةُ رِحْلَتِهم في حُدودِ الشّام قريباً من التُّلولِ والقُرى لا يَنْجَعونَ إلى البَرّيّةِ إلاّ في الأقلّ، وكانتْ معَهم أحْياءٌ من أفاريقِ الأعْرابِ مُنْدَرِجونَ[ب] في لَفيفِهم وحِلْفِهم، من مَذْحِج وعامِرٍ

(أ) ص: منها هكذا (ب) ص: مندرجين.

---

(1) هو فضل بن ربيعة بن حازم، توفي نحو 530هـ. انظر مسالك الأبصار 4: 309، قلائد الجمان 76، 79، 81.

(2) قلائد الجمان 77-، 82، وأخباره في مسالك الأبصار 4: 313.

(3) القلقشندي: نهاية الأرب 435: بنو هدَيم. بالدال المعجمة، بطن من قضاعة.

(4) بطن من آل ربيعة بن حازم الطائيين، كانت منازلهم - في القرن السابع - من الجولان إلى الزرقاء إلى بصرى إلى قرب مكة. نهاية الأرب 98، 111، وعن آل ربيعة، مسالك الأبصار 4: 337.

وزُبَيْدٍ، كما كان لآلِ فَضْل. إلاّ أنّ أكْثَرَ مَن كان من آلِ مِرَا - أُمَراءِ أولئك الأحْياء، وأوْفرِهم عَدَداً - : بنو حارثةَ من سِنْبِس، إحدَى شُعوبِ(أ) طيّىء. هكذا ذَكَرَ الثّقَةُ عندي من رجَالاتِهم. وحارثةُ هؤلاء مُنقلبون لهذا العَهْدِ في تُلولِ الشّام لا يُجاوِزونها إلى القِفَار، ومَواطنُ طيّىءٍ بنَجْدٍ قدِ اتّسعَتْ، وكانوا أوّلَ / خُروجِهم من اليَمنِ نَزلوا جَبَليْ(1) أجَإٍ وسَلْمَى، وغَلَبوا عليها بني أَسَدٍ [15] وجاوَروهم، وكان لَهم من المَواطِن: سَمِيْراءُ(2) وفَيْدٌ(3) من مَنازلِ الحاجّ، ثمّ انقرضَ بنو أسَدٍ ووَرِثَتْ طيّىءٌ بلادَهم فيما يلي الكَرْخَ من أرْض نَجْد. وكذلك ورِثوا مَنازلَ تَميمٍ بأرْض نَجْدٍ فيما بَيْنَ البَصْرةِ والكوفةِ واليَمامة، وكذلكَ وَرِثوا مَنازلَ غَطَفانَ بنَجْدٍ ممّا يَلي وادِ القُرى. هكذا قال ابنُ سعيد، وقال: أشهَرُ الحِجَازيِّينَ منهمُ الآنَ بَنو لامٍ(4) وبَنو نَبْهان، والصَّوْلَةُ بالحِجازِ لبَني لامٍ بَيْنَ المدينةِ والعِراق، ولهم حِلْفٌ معَ بَني الحُسَيْنِ أُمَراءِ المدينة. قال: وبَنُو صَخْرٍ(5) منهم في جِهةِ تَيْماءَ، بَيْنَ خَيْبَرَ والشّام. قال: وغَزِيّةُ من طَيّىء بَنو غَزِيّةَ بن أفْلَتَ(6)

(أ) ص: بطون .

---

(1) أجأ وسلمى: جبلان عن يسار سميراء غربيّ فَيْد، عن يمين القاصد لمكّة. وأجأ علم مرتجلٌ لاسم رجلٍ سمّي به. ياقوت: معجم البلدان 1: 94، 3: 238. البكري: معجم ما استعجم 1: 109، 3: 750.

(2) سميراء: منزل بطريق مكة بعد توز مصعدًا وقبل الحاجز. معجم ما استعجم 3: 757.

(3) فَيْد: نصف طريق الحاج من الكوفة لمكّة، قريب من أجأ وسلمى جبليْ طيّء. معجم البلدان 4: 282، معجم ما استعجم 3: 1032.

(4) بنو لأم بطن من القحطانية، من طيء، منازلهم في المدينة. نهاية الأرب 448، البيان والإعراب 64، قلائد الجمان 48- .

(5) بطن من جُذام، أحلاف لآل فضل من عرب الشام، مساكنهم ببلاد الكَرَك. قلائد الجمان 68.

(6) يختلف نسبهم عند القلقشندي، فهم بعد أفْلَت: ابن ثعل بن عمرو بن عنيز بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيّء. انظر قلائد الجمان 88.

ابن مَعْبدِ بن مَعْنٍ بن عُمَرَ بن عِنْبِس بن [سلامان][أ] بن ثُعَل، بلادُهم عَيْنُ التَّمْر والأنْبار، وَرِثوها من عَنَزةَ، ومَنازلُهم لهذا العَهْدِ في مَصَائِفِهم بالكُبَيْسات[ب]، وفي مَشاتيهم معَ بني لامٍ من طيّىء. وهم أهلُ غارةٍ وصَوْلةٍ بَيْنَ الشّام والعِراق، من بُطونِهم[1]: الأجوَدُ والبَطْنان[ج]، وإخوتُهم زُبَيْدٌ نازِلونَ بالمَوْصِل. فقد جَعَل ابنُ سعيدٍ زُبَيْدًا هؤلاء من بُطونِ طيّىء، ولم يجعَلْهم من مَذْحِج.

• ورِئاسةُ آلِ فَضْلٍ لهذا العَهْدِ في بَني مُهَنّا، ويَنْسُبونَهُ هكذا: مُهنّا بنُ مانِع[د] بن حُدَيثةَ بن عُصَيّة[هـ] بن فَضْلِ بن بَدْرِ بن رَبيعةَ بن عليّ بنِ مُفرّج ابن بَدْرِ بن سالِمِ بن قَصبةَ بن بدْرِ بن سُمَيْع. ويَقِفونَ عنْدَ سُمَيع، ويقول رِعاؤهم: إنّ سُمَيْعاً هذا هُو الذي ولَدَتْه العبّاسةُ، أُختُ الرّشيدِ، من جَعْفرِ ابن يَحْيى البَرْمَكِيّ، وحاشَ للهِ مِنْ هذه المقالَةِ في الرّشيدِ وأُخْتِه[2]، وفي انْتِسابِ كُبَراءِ العَرَبِ من طيّىء إلى مَوالي العَجَم من بَني بَرْمكَ وأمثالِهم[و]. ثمّ إنّ الوجودَ يُحيلُ رِئاسةَ [مثل][ز] هؤلاء على هذا الحيّ إذا لم يكونوا من نسَبِهم، وقد تقدَّمَ مثلُ ذلك في مُقدِّمةِ[3] الكِتاب.

(أ) من ص، وفي ظ: سلمان. انظر جمهرة ابن حزم 401 (ب) ص: الكبيسات (ج) في ظ ص: البطنين (د) في صبح الأعشى: مانع (هـ) ظ: عضية وفي مواقع أخرى من ظ وفي المشجرات التالية والمكررة في النسخ، وهي جميعها بخط ابن خلدون: غضية. (و) ثمّ كلمة في ظ مقحمة نصها: نظر، ربّما هي تذكير بمراجعه (ز) من ص.

(1) صبح الأعشى4:204-، وجاءت الأسماء محرفة في نشرة قلائد الجمان 77، وصحيحة في صفحة 88 منه.

(2) انظر العبر 1: 22.

(3) العبر 1:233 الفصل 11.

وكان مَبْدأُ رِئاستِهم من أوّلِ دَوْلةِ بني أيّوب. قال العِمادُ الأصْفهانيُّ في كتابِ البَرْقِ الشّاميّ[1]: نَزلَ العادِلُ بِمَرْج دمشقَ ومعَهُ عيسَى بنُ مُحمّدِ بن رَبيعةَ شيْخُ الأعْرابِ في جُموعٍ كثيرةٍ، وكانتِ الرِّئاسةُ قَبْلَهم لعَهْدِ الفاطميّينَ لبني جَرّاحٍ من طيّىء، وكان كبيرَهم مُفرّجُ بنُ دَغْفَلِ بن جرّاح، وكان/ من [5 ب] إقْطاعِهِ الرَّمْلةُ، وهو الّذي قَبَضَ على أفتكينَ مَوْلى بني بُوَيْه لمّا انهزَمَ معَ مَوْلاه بختيارَ بالعراق، وجاءَ إلى الشّام سنةَ أربعٍ وستّينَ وثلاثِ مائة، ومَلَكَ دمشقَ، وزَحَفَ معَ القَرامِطةِ لقتالِ العَزيزِ بنِ المُعزِّ لدين الله صاحبِ مِصْرَ، فهزَمَهُم العزيزُ وهَربَ أفتكينُ، فلقيَهُ مُفرّجُ بنُ دَغْفلٍ وجاءَ به إلى العزيز، فأكْرَمَهُ ورَقّاه في دَوْلتِه، ولم يزَلْ شأنُ مُفرّج هذا(أ)، وتوفِّيَ سنةَ أربعٍ وأرْبعِ مائة[2]. وكان من وُلْدِه حسّانُ ومحمودٌ وعليٌّ وجَرّار. ووَليَ حسّانُ بعدَهُ وعَظُمَ صِيتُه، وكان بَيْنَهُ وبَيْنَ خُلفاءِ الفاطمِيّينَ نُفْرةٌ واسْتقامة، وهُو الّذي هدَمَ الرَّمْلَةَ وهزَمَ قائدَهم ياروقَ التّركيّ، وقتلَهُ وسبَى نساءَهُ، وهُو الذي مدَحَهُ التِّهاميُّ[3]. ويَذكُرُ المُسبّحيُّ وغيرُهُ من مؤرِّخي دَوْلةِ العُبَيْديّينَ في

(أ) ص: هكذا.

---

(1) لم نجده في المتبقي من كتابه، ولا في المختصر الذي صنعه أبو الفتح البنداري وسماه: سنا البرق الشامي. (والبَرق الشامي كُتِب في سبعة أجزاء. والجزآن الباقيان هما: 3، 5) والنسخة وحيدة حققها د. مصطفى الحياري ود. فالح حسين.

(2) تقدم تفصيل خبر مفرج بن دغفل هنا مع العزيز في العبر7:160-162. وأخباره ودواعي خروجه وقطعه لطريق الحاج وانقطاع الحج بسَببه رصَدها ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، الفاسي: العقد الثمين 4: 70، ابن فَهْد: إتحاف الورى في عدد من صفحاته.

(3) مدحه بطوَلات (انظر ديوانه 248 -، 272 -، 470 -) وفيه قوله:

ألا إنّ طَيًّا للمكارم كعبةٌ وحسّانُ منها ركنُها ومَقامُها

قَرابةِ حسّانَ بن مُفَرِّج هذا، فضْلَ بنَ ربيعةَ بن حازمِ بن جَرّاح، وأخاهُ بدرَ ابنَ رَبيعة، وابنَيْ بَدْرٍ. ولعلّ فَضْلاً هذا هُو جَدُّ آلِ فَضْل.

وقال ابنُ الأثير[1]: إنّ فضلَ بنَ ربيعةَ بن حازم كان آباؤهُ أصحابَ البَلْقاءِ والبيتِ المقدّس، وكان فضْلٌ تارَةً مع الفِرنْج وتارَةً معَ خُلفاء مِصْرَ، ونَكِرَهُ لذلك طُغْرُكِينُ[ا] أتابكُ دمَشْقَ وكافلُ بني تُتُش وطرَدَهُ من الشّام، فنزَلَ على صدَقَةَ بن مَزْيَدٍ بالحِلّة وحَالَفَهُ، ووَصَلَهُ صدَقةُ بن مَزْيَدٍ بسَبْعةِ آلافِ دينار، فلمّا خالفَ صدَقَةُ بنُ مَزْيدٍ على السُّلْطان محمّدِ بن مَلِكْشاهْ سنةَ خمسِ مائةٍ وما بَعْدَها، ووَقَعَت بينَهما الفِتْنة، اجْتَمعَ لهُ[ب] فضْلٌ هذا وقِرْواشُ ابنُ شَرَفِ الدَّوْلَة مُسْلمِ بن قُرَيش، صاحبُ المَوْصِل، وبَعْضُ[ج] أُمراءِ التّركمان، كانُوا كلُّهم أوْلياءَ صدَقَة، فسارُوا في الطّلائِع بَيْنَ يَدي الحَرْب وهَرَبوا إلى السُّلْطان، فأكْرَمَهم وخَلَعَ عليهم، وأنْزَلَ فضْلَ بنَ ربيعةَ بدارِ صدَقَةَ بن مَزْيَدٍ ببَغْداد، حتّى إذا صار السّلطانُ لِقتالِ صدَقَةَ استَأْذَنَهُ فَضْلٌ في الخروج إلى البَرّيّةِ ليأخذَ بحُجْزَةِ صَدَقة، فأذِنَ لَه، وعبَرَ إلى الأنْبار ولم يُراجِع السّلطانَ بعدَها. انتهى كلامُ ابنِ الأثير[2].

ويظهَرُ من كلامِه وكلام المُسَبِّحيِّ أنّ فضلاً هذا وبَدْراً من آلِ جَرّاحٍ بلا شَكّ، ويظهَرُ من سِياقَةِ / هؤلاءِ نَسَبَهم، أنّ فَضْلاً هذا هُو جَدُّهم، [16]

(ا) ص: طغرلبك (ب) سقط من ص (ج) ص: انقض.

---

(1) الكامل 10:443.

(2) المصدر نفسه 10: 440.

لأنّهم يَنْسُبونَهُ: فضْلَ بنَ رَبيعةَ بن عليّ بن مُفرّج، وهُو عِنْدَ الآخرِينَ: فضْلُ ابنُ رَبيعةَ بن الجرّاح، فلعلّ هؤلاء نَسَبوا رَبيعةَ إلى مُفرّج الّذي هُوَ كبيرُ بَني الجرّاح، لطُولِ العَهْدِ وقِلّةِ المُحافظةِ على مِثْلِ هذا من الباديةِ الغُفْل.

وأمّا نِسْبةُ هذا الحيّ من آلِ فَضْل[1] بن رَبيعةَ بن فَلاح بن مُفرّج في طَيّءٍ، فبعْضُهم يقولُ: إنّ الرّئاسةَ في طيّءٍ كانتْ لإياسِ بن قَبيصَةَ من بني هُنَيءِ بن عَمْرو بن الغَوْثِ بن طيّءٍ، وإياسٌ هُوَ الّذي مَلّكَهُ كِسْرى على الحِيرةِ بعدَ آلِ المُنْذِرِ[2] عندَما قَتَلَ النّعمانَ بنَ المنْذِر، وهو الّذي صالَحَ خالدَ ابنَ الوليدِ عن الحِيرةِ على الجِزْيَة. و لم تَزَلِ الرّئاسةُ على طيّءٍ في بَني قَبيصةَ هؤلاءِ صَدْراً من دَوْلةِ الإسْلام، فلَعَلّ بني الجرّاح وآلَ فَضْلٍ هؤلاءِ مِن أعْقابِهم، وإن كان انقَرضَ أعقابُهم فهمْ من أقْربِ الحيّ إليهم، لأنّ الرّئاسَةَ على الأحْياءِ والشّعوبِ إنّما تَتّصلُ في أهْلِ العَصبيّةِ والنّسَبِ، كما مَرّ أوّلَ الكتاب.

وقال ابنُ حَزْم[3] عندَما ذكَرَ أنْسابَ طيّءٍ وأنّهم لمّا خَرَجوا من اليَمن معَ بني أَسَدٍ نزَلوا جبَلَيْ أَجَإٍ وسَلْمَى وأوْطَنُوهما وما بَيْنَهما، ونزَلَ بنُو أَسَدٍ ما بَيْنَهم[أ] وبيْنَ العِراق، وفَصَل كثِيرٌ مِنْهم وهُمْ: بنو خارِجةَ بن سَعْدِ بن فُطْرةَ ويقالُ لهم: جَديلَةُ، نسبةً إلى أُمّهم، وتَيْمُ الله وحُبَيْش والأسْعدُ إخوتُهم،

(أ) ص: بينها.

---

(1) نهاية الأرب 110، مسالك الأبصار 3:27- 28، صبح الأعشى 4:204.

(2) ابن حزم: الجمهرة 400.

(3) المصدر نفسه 399.

رحَلوا عن الـجبلَيْنِ في حَزبِ الفَسادِ، فلَحِقُوا بحلَبَ وحَاضِرِ طيِّءٍ، وأوْطَنوا تلكَ البلادَ إلاَّ بَني رومانَ بنِ جُندبِ بن خَارجةَ بن سَعْد، فإنَّهم أقاموا بالجَبلَيْنِ، فكان يُقال لأهْلِ الجبَلَيْن: الجبَلِيّون، ولأهْل حَلَبَ وحاضِرِ طيِّءٍ من بَني خارِجَةَ: السَّهلِيّون، انتهى.

فلَعَلَّ هذه الأحياءَ الّذين بالشّام من بَني الجرّاح وآل فَضْلٍ هُمُ[أ] من بني خارِجَةَ هؤلاءِ الّذين ذكَرَ ابنُ حَزم أنّهم انتقَلوا إلى حَلَبَ وحاضِرِ طيِّءٍ، لأنّ هذا المَوْطِنَ أقربُ إلى مَواطِنِهم لهذا العهْد، وإلى مَواطن بَني الجرّاح بِفلَسْطينَ من جبَلَيْ أجإٍ وسَلْمَى الّذي هُوَ مَوضعُ الآخَرين، فاللّهُ أعلمُ أيُّ ذلك يَصِحُّ من أنْسابِهم.

وتحتَ خِفَارتِهم بنَواحي / [6ب] الفُراتِ أحْياءٌ من كِلابِ بن رَبيعةَ بن عامِر، دَخَلوا معَ قَبائِل عامِرِ بن صَعْصَعَةَ من نَجْدٍ إلى الجزيرة، ولمّا افتَرَق بنو عامِرٍ على الممالِكِ الإسْلاميّةِ اختَصَّ هؤلاءِ بنَواحي حَلَبَ، ومَلكَها منهم بَنو صَالح بن مِرداسٍ[1] من بني عَمْرِو بن كِلاب، ثُم تلاشَى مُلكُهم ورَجَعوا عنها إلى الأحْياء، وأقاموا بالفُراتِ تحتَ خِفارةِ هؤلاءِ الأمراءِ من طيِّءٍ.

(أ) سقط من ص .

---

(1) العبر 836:7، وقد استقل صالح بن مرداس بحلب سنة 415 هـ وتحالف مع حسان بن الجراح واستولى على الشام إلى غزة حيث قابلها الجيش الفاطمي وانتصر عليها. أخباره في أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر، ابن العديم: زبدة الحلب، المقريزي: اتعاظ الحنفا. ولمحمد أحمد عبد المولى: بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام وسياستهم الخارجية مع دولتي الفواطم والروم.

وللعميدي رسائل مهمّة صادرة عن ديوان الفاطميين تشير إلى هذا الصراع، وخاصة تلك التي أسماها نسخة فتح الشام، وقتل صالح بن مرداس وهزيمة العرب قبيلتهم وطائهم. ص 351 (رسائل العميدي. قيد النشر. بتحقيق ودراسة: إحسان الثامري).

وأمّا ترتيبُ رِئاسَتِهم على العَربِ بالشّام والعِراقِ مُنذُ دَوْلةِ بَني أيّوبَ أيّامَ العادِلِ وإلى هذا العَهْدِ، وهي آخِرَ [سَنَة][أ] ستٍّ وتسْعينَ وسَبْعِ مائة، فقد ذكَرْنا[1] ذلك في دَوْلَةِ التُّرْكِ ملوكِ مِصْرَ والشّام، وذكَرْناهم واحِداً بعدَ واحِدٍ على تَرْتيبِهِم، ولْنُعِدْ ذكْرَهم هاهُنا على ذلكَ التَّرتيب، فنقولُ:

كان الأميرُ لعَهْدِ بني أيوبَ عيسَى بنَ محمّدِ بن ربيعةَ أيّامَ العادِلِ، ثُمّ كان بعْدَهُ حسامُ الدّينِ مانعُ بنُ حُدَيْثةَ بن عُصيّة[ب] بن فَضْل، وتُوفِّيَ سنةَ ثلاثينَ وستِّ مائة، ووَلِيَ عليهم بعدَهُ ابنُه مُهنّا، ولمّا ارتَجَعَ قُطُزُ - ثالثُ ملوكِ التُّرْكِ بمِصْرَ - الشّامَ من أيدي الطّطَر[ج] وهزَمَ عَساكِرَهم بعَيْنِ جَالوت، أقْطعَ سَلَمِيّةَ لِمُهنّا بن مانِع، وانتَزَعَها من عَمَلِ المنصُور بن المُظَفّر بن شاهِنْشاه صاحبِ حَماةَ؛ ولم أقِفْ على تاريخ وَفاةِ مُهنّا. ثُمّ وَلِيَ الظّاهرُ على أحْياءِ العربِ بالشّام عندَما استَفْحَلَ مُلْكُ التُّرك، وسارَ إلى دمَشْقَ لتشْييع الخليفَةِ الحاكِمِ عمّ المُسْتَعصِم إلى بغدادَ، فوَلّى على العَربِ عيسَى بنَ مُهنّا بن مانِع، ووَفّرَ لهُ الإقْطاعاتِ على حِفْظِ السّابِلة، وحبَسَ ابنَ عمِّه زامِلَ بنَ عليّ بن رَبيعةَ من آلِ عليّ بسِعايَتِهِ وإغْرائه، ولم يزَلْ أميراً على أحْياءِ العَرب، وصَلَحوا في أيّامِه لأنّهُ خالَفَ أباهُ في الشِّدّةِ عليهم، وهَرَب إليهِ سُنْقرُ الأشْقرُ سنةَ تسعٍ وسبْعينَ، وكاتَبوا أبْغَا واسْتَحَثّوهُ لِمُلْكِ الشّام.

(أ) من ص (ب) ظ: غضية كما في المشجر التالي (ج) ص: التتر .

(1) العبر 295:10، 336، وأخبارهم متناثرة فيه.

وتوفّيَ عيسَى بنُ مُهَنّا سنةَ أربعٍ وثمانين، فوَلّى المنصورُ قَلاوونُ بعْدَهُ [17] ابنَه مُهَنّا. ثمّ سار الأشرفُ بنُ / قلاوونَ إلى الشام، ونزلَ حِمْصَ، ووَفَدَ عليه مُهنّا بنُ عيسى في جماعةٍ من قوْمِه، فقبضَ عليه وعلى ابْنِه موسى وأخوَيْهِ محمّدٍ وفَضْلٍ ابنَيْ عيسَى بن مُهَنّا، وبعَثَ بهم إلى مِصْرَ فَحُبِسوا بها، حتّى أفرَجَ عنهُم العادِلُ كُتْبُغا عندَما جلَسَ على التَّخْت سنةَ أرْبعٍ وتِسْعين ورَجَعَ إلى إمارَتِه. ثُمّ كان لهُ في أيّام النّاصرِ نَفْرةٌ واستقامَة، ومَيْلٌ إلى مُلوكِ الطّطَرِ بالعِراق، ولم يَحضُرْ شيئاً من وَقائع غازَان.

ولما انتَقَضَ قَراسُنْقُر وآقوشُ الأفْرَمُ وأصحابُهما سِنِيَّ عشْرٍ وسَبْعِ مائةٍ لَحِقوا بهِ، وساروا من عنْدِهِ إلى خُدابَنْدَا، واستَوْحشَ هُوَ من السّلطان، وأقام في أحْيائه مُنقبِضاً عن الوِفادَة، ووفَدَ أخوهُ فضْلٌ سنةَ ثِنْتَيْ عشْرَة، فرَعَى له حَقَّ وِفادَتهِ ووَلاّهُ على العَربِ مكانَ أخيهِ مُهَنّا، وبقِيَ مُهَنّا مُشَرّداً؛ ثُم لَحِقَ سنةَ ستَّ عشْرةَ بخُدابَنْدَا ملكِ الطّطَر، فأكْرَمهُ وأقْطَعَهُ بالعِراق. وهلَكَ خُذابَنْدا في تلكَ السَّنة، فرجَعَ مُهَنّا إلى أحْيائهِ وأوْفَدَ [ابنَيْه](أ) أحمدَ وموسَى وأخاهُ محمّدَ بنَ عيسى مُسْتَعْتِبِينَ للنّاصِر ومُتَطارِحِينَ عليْهِ، فكَرّمَ وِفادَتَهمْ وأنزَلَهم بالقَصْرِ الأبْلَق وشَمِلَهم بالإحسان، وأعْتَب مُهَنّا ورَدَّهُ على إمارتِه وأقْطاعِه، وذلكَ سنةَ سَبْعَ عشْرةَ. وحَجَّ هذه السَّنةَ ابنُه عيسَى وأخُوه محمّدٌ وجماعةٌ من آلِ فَضْلٍ في اثنَيْ عشَرَ ألْف(ب) راحِلة.

(أ) سقط من ص، وفي ظ: ابنه، والصواب ما أثبتنا (ب) سقط من ص.

ثم رَجَعَ مُهَنّا إلى دينِهِ في مُمالأةِ الططر والإجْلابِ على الشّام، واتّصلَ ذلك منهُ، فنقِمَ السُّلطانُ عليْهِ وسَخِطَ قومَه أجمعَ، وتقدّمَ إلى نُوّابِ الشّام سنةَ عشْرينَ بعدَ مَرْجعِهِ من الحجّ بطَرْدِ آلِ فَضْلٍ عن البِلاد، وأدالَ منهم بآلِ عليّ عَديلَةِ نسَبِهم، ووَلّى منهم على أحْياءِ العَرب محمّدَ بنَ أبي بَكْر، وصَرَفَ إقطاعَ مُهَنّا وولدِه •إلى محمّدٍ ووَلدِه•(ج). فأقام مُهَنّا على ذلك مُدّة، ثمّ وفَدَ سنةَ إحدى وثلاثينَ معَ الأفضلِ بن المؤيّدِ صاحبِ حَماة متوسِّلاً بهِ ومُتطارِحاً / [7 ب] على السّلطان، فأقْبلَ عليْه وردَّ عَليهِ إقطاعَهُ وإمارَته.

وذكَرَ لي بعضُ كبارِ الأُمَراءِ بمِصْرَ ممّن أدْرَكَ وِفادَتَه أو حُدِّث بها، أنّه تجافَى في هذه الوِفادَةِ عن قُبولِ شيءٍ من السُّلطان، حتّى أنّه ساقَ عِدّةً من النِّياق للحُلوبةِ والغذاءِ بها، وأنّه لم يَغْشَ بابَ أحدٍ من أرْبابِ الدّولَة، ولا سأَلَ منهُم شيئاً من حاجاتِه. ثُمّ رجَعَ إلى أحْيائه وتوفِّيَ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ[1].

فوَلِيَ ابنُه مظفّرُ الدّين موسى، وتوفّيَ سنةَ ثنتَيْنِ وأربعينَ عقِبَ مَهْلِكِ النّاصر، ووَلِيَ مكانَه أخوهُ سُلَيْمان، ثمّ هلَكَ سُلَيمانُ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ، فوَلِيَ مكانَه شرفُ الدّين عيسى، ابنُ عَمّه فَضْلِ بنِ عيسَى، ثُمّ تُوفِّيَ سنةَ أربعٍ وأربعينَ بالقَرْيَتَيْن، ودُفِنَ عندَ قَبْرِ خالدِ بن الوليد. ووَلِيَ مكانَه أخوهُ سيْفُ بنُ فَضْل، ثُمّ عَزَلَه السُّلطانُ بِمِصْرَ الكاملُ بنُ النّاصر سنةَ ستٍّ وأربعِينَ، ووَلّى مكانَه أحمدَ بنَ مُهَنّا بن عيسى، ثمّ جَمَعَ سيْفُ بنُ فَضْل ولَقِيَه

(أ) سقط من ص.

---

(1) أرّخ الصّفدي وفاته في سنة 735 هـ . أعيان العصر 5: 461.

فيّاضُ بنُ مُهَنّا وانهزم سيفٌ، ثمّ وَلّى السّلطانُ حسَنٌ النّاصرُ في دوْلَتِهِ الأُولى وهُوَ في كَفالَةِ بَيْبَغاروس أحمدَ بنَ مُهَنّا، فسَكَنتِ الفتْنَةُ بيْنَهم. ثُمّ توفِّيَ سنةَ تسْعٍ وأربعينَ، فوَلِيَ مكانَه أخوهُ فيّاضٌ وهلَكَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وستّين، فوَلِيَ مكانَه أخوهُ جِبَارُ بنُ مُهَنّا، وَلاّهُ حسنٌ النّاصِرُ في دَوْلَتِهِ الثّانية. ثمّ انتَقَضَ سنةَ خمسٍ وستّين، وأقامَ سنتَيْنِ بالقَفْرِ عاصِياً، إلى أن شفَعَ فيهِ نائِبُ حَماة فأُعيدَ إلى إمارَتِه، ثُمّ انتقَضَ سنةَ سبْعينَ، فوَلّى السّلطانُ الأشرفُ مكانَه ابنَ عَمّهِ زاملَ بنَ موسَى بن عيسَى، وجاءَ إلى نواحي حَلَبَ، واجتَمعَ إليهِ بنو كِلابٍ وغيرُهم، وعاثُوا في البلاد، وعلى حَلَبَ يومَئذٍ قَشْتَمُرُ المَنصوريُّ، فبرَزَ إليهم وانتهى إلى مُخيَّمِهم واستاقَ نَعَمَهم، وتخَطّى إلى الخِيام فاستَماتوا دونَها وهزَمُوا عساكِرَهُ، وقُتِلَ قَشتَمُرُ وابنُه في المَعْركَة، توَلّى نُعَيْرٌ قَتْلَهُ بيَدِه، وذهَبَ[1] إلى القَفْرِ مُنتقِضاً، فوَلّى الأشرفُ

[18] مكانَه ابنَ عَمّه مُعَيْقِلَ / بنَ فَضْل بن عيسى. ثمّ بَعثَ مُعَيْقلٌ حاجِبَهُ سنةَ إحدى وسَبْعينَ يسْتأْمِنُ لجِبَار فأمّنَه، ثُم وَفَد جِبارُ بنُ مُهنّا سنةَ خَمْس وسَبْعينَ، فرَضِيَ عنهُ السُّلْطانُ وأعادَه إلى إمارَتِه، ثمّ توفِّيَ سنةَ سبْعٍ وسبْعينَ، فوَلِيَ أخوهُ قَارَه إلى أن هَلَكَ سنةَ إحدى وثمانين. فوُلِّيَ مكانَه مُعَيْقِلُ بنُ فَضْل بن عيسى وزاملُ بنُ مُوسَى بن عيسَى بن مُهَنّا شريكَيْن في إمارَتِهِما، ثمّ عُزِلا لسَنَتِهِما ووَلِيَ نُعَيْرُ بنُ جِبارِ بن مُهَنّا، واسمُهُ محمَّد، وهُوَ لهذا العهدِ أميرٌ علَى آلِ فَضْلٍ وجَمْع أحْياءِ طيّئٍ بالشّام، والسّلطانُ الظّاهرُ لعَهْدِه يزاحِمُه - متى سَخِطَه - بمحمَّدِ ابن عَمّه قاره، واللّهُ وَليُّ الأمور.

(1) ص: تولّى .

• ثُمَّ اتَّصلَ انتقاضُه على السُّلْطانِ وإجلابُهُ في الفتنةِ، وسَخِطَهُ السُّلْطانُ وأبْعدَهُ، فصار شَرِيداً إلى القَفْر، وظَهَرَ السّلطانُ على مُمالأةِ مُحمَّدِ ابن قاره له، فسَخِطَ الآخرَ ووَلَّى على العَرب ابنَ عَمِّهما موسى بنَ عَسَّاف، فقامَ بأمْر العرَبِ، وَبقِي نُعَيرٌ شَرِيداً بالقَفْر مُغوزاً للمِيرة، فقَلَّ تابِعُهُ واختَلَّتْ أحوالُهُ، وهُو على ذلكَ لهذا العَهْد، واللّهُ غالبٌ على أمْرِهِ•[أ].

(أ) سقط من ص، وجاء في ظ حاشية بخط المؤلف.

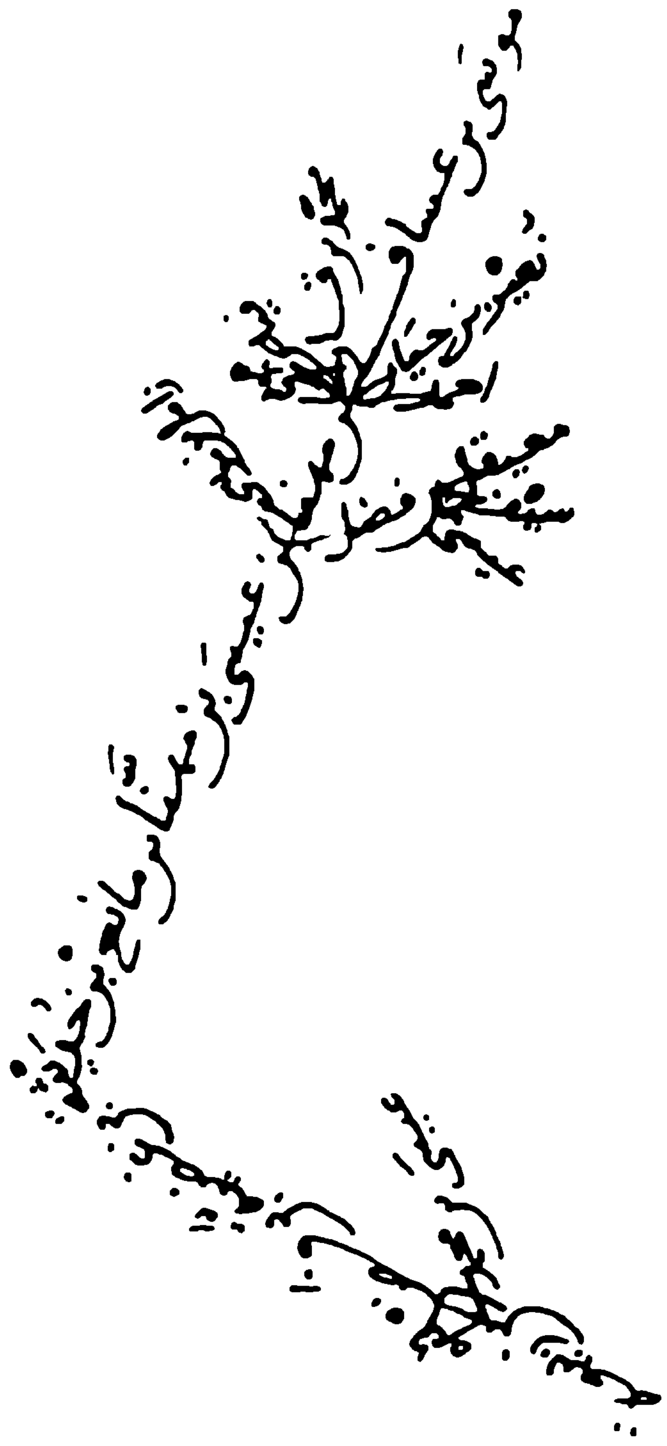

[نسب آل فَضْل، ومنهم بنو مُهنّا]

ولنرجعْ إلى من بَقِيَ من شُعوبِ هذه الطّبقةِ، فنقولُ:

كان بَنو عامِر بن صَعْصَعَةَ كلُّهم بنَجْدٍ، فبَنُو كلابٍ في حِمى ضَرِيّةَ والرَّبَذةِ من جِهاتِ المدينة، وكعبُ بنُ رَبيعةَ فيما بيْنَ تِهامَةِ المدينة وأرْض الشّام، وبَنو هِلالِ بن عامِر في بَسائِطِ الطّائفِ ما بَيْنَهُ وبيْنَ جَبَل غَزْوان، ونُمَيْرُ بنُ عامرٍ معَهم، وجُشَمٌ محْسُوبونَ منهم من نَجْد.

وانتقَلوا كلُّهم - في الإسْلام - إلى الجزيرةِ الفُراتِية، فملَكَ نُمَيْرٌ حَرّانَ ونواحيَها، وأقام بَنو هِلالٍ بالشّام إلى أن ظَعَنوا إلى المَغْرِبِ كما نَذْكُرُ في خَبَرِهم، وبَقِيَ منهم بَقيّةٌ بجَبل بني هِلالٍ المشهورِ بهم[أ]، الذي فيهِ قَلْعةُ[ب] صَرْخَد[1]، وأكثرُهم اليومَ يُعانونَ الفَلْحَ. وبَنو كلاب بن رَبيعةَ مَلكوا أرْضَ حَلَبَ ومدينَتَها كما ذَكَرْناه، وبَنو كَعْب بن رَبيعةَ دَخلَتْ إلى الشّام منهم قبائلُ عُقَيْل، وقُشَيْر، والحَرِيش، وجَعْدَة، فانقرَضَ الثّلاثةُ في دَوْلةِ الإسلام، ولم يبقَ إلاّ بنو عُقَيْل. وذكَرَ ابنُ حَزْم[2] أنّ عدَدَهم يَفي بجميع عَدَدِ مُضَر، فملَكَ منهم المَوصِلَ [بَنُو][ج] المُقلّد بعدَ بني حمدانَ وتَغْلِب[د]، واستَوْلَوا عليها وعلى نَواحيها وعلى حَلَبَ معَها.

(أ) ص: لهم (ب) سقط من ص (ج) ظ: بني (د) ظ: ثعلب والتصويب من ص.

(1) قلعة حصينة بحوران من أعمال دمشق. معجم البلدان 2 : 103، 3: 401. وتسمى اليوم صَلْخد، إلى الجنوب من مدينة السّوَيْداء على بُعد 30 كم، وشرق بُصْرى بنحو 22 كم. (طلاس: المعجم الجغرافي 4: 141)

(2) ذكر أنساب بني عُقيل في الجمهرة 290-، ولم نصادف قوله هنا بنصّه.

ثمّ انقَرَضَ مُلكُهُم ورَجَعوا إلى الباديةِ ووَرِثوا مَواطِنَ العَرَبِ في كلِّ جهةٍ، فمنهم بنو المُنتَفِق[1] بن عامِرِ بن عُقَيل / [8ب] *وكان بنو عامر بن عُقَيْل*[أ] في أرض تَيْماءَ من نَجْد، وهُمُ الآنَ بجهاتِ البَصْرةِ في الآجام الّتي بينَها وبَيْنَ الكوفَة، المعروفةِ بالبَطائِح، والإمارَةُ منهم في بَني مَعْروف.

وبالمغرب من بَني المنتَفِق أحياءٌ دَخلوا مع هِلالِ بن عامِرٍ يُعْرَفون بالخلط، ومواطِنُهم بالمغربِ الأقصى ما بيْنَ فاسَ ومَرّاكُش. وقال الجرجاني: إنّ بَني المُنْتَفِق كلُّهم يُعْرَفونَ بالخلط. ويَلِيهم في جَنوبِ البَصْرةِ إخوتُهم بنو عامِرِ بن عَوْفِ بن مالكِ بن عَوْفِ بن عامِر؛ وعَوْفٌ أخُو[2] المُنْتَفِق قد غلَبوا على البَحْرينِ وعُمانَ ومَلَكوها من يَدِ بَني أبي الحسَيْنِ الأَصْغرِ[ب] من تَغلِب[ج]، وكانتْ هذه المَواطِنُ للأزْدِ وبَني تَميم وعَبْدِ القَيْس، فوَرِثَ هؤلاءِ أرضَهم فيها وديارَهم. قال ابنُ سعيد: ومَلكوا أيضاً أرضَ اليَمامةِ من بَني كِلاب، وكان مُلوكَهم فيها لعَهْدِ الخمسينَ والسّتِّ مائةِ بنو عُصْفور، وكان من بني عُقَيلٍ: خَفَاجةُ بنُ عَمْرِو بن عُقَيْل، كان انتقالُهُم إلى العراق، فأقاموا بهِ ومَلَكوا ضواحِيَهُ، وكانتْ لهم مقاماتٌ، و[ذكَروا أنّهم][د] أصحابَ صَوْلةٍ وكثْرة، وهُمُ الآنَ ما بَيْنَ دِجْلةَ والفُرات.

(أ) سقط ما بين النجمين من ص (ب) ص: الأصغر ويسمى أيضا الأصيغر (ج) ظ: تغلب (د) من ص. وفي ظ: وذكروهم.

---

(1) ابن حزم: الجمهرة 290-.

(2) في الجمهرة 291 أنّ عوفًا من أبناء المنتفق، ولم يُذكر في إخوته.

ومن عُقَيْلٍ هؤلاء: بنو عُبَادةَ[1] بن عُقَيل، وهمُ الأخايِل، لأنّ عُبادةَ كان يُعْرَفُ بالأُخَيَل[2]، وهم لهذا العَهْدِ بالعراق معَ بني المُنْتَفِق، وفي البطائح الّتي بَيْنَ البَصْرَةِ والكوفةِ وواسِطَ. والإمارةُ فيهم على ما يَبْلُغُنا لرجُلٍ اسمُهُ قيانُ بنُ صالِح، و[هُوَ][أ] في عَدَدٍ ومَنَعَة[3]، وما أدْري أهُوَ[ب] من بَني مَعْروفٍ أُمَراءِ البَطائِح بَني المُنْتَفِق، أو من [بني][ج] عُبادَةَ الأخايِل.

هذه أحْوالُ بَني عامِرِ بن صَعْصَعةَ واسْتيلائهم على مَواطِنِ العَرَبِ من كَهْلانَ ورَبيعةَ ومُضَر.

فأمّا بَنو كَهْلانَ فلم يَبْقَ لهم أحياءٌ فيما نَسْمَع. وأمّا رَبيعةُ فأجازوا بلادَ فارسَ وكَرْمَان، فهم يَنْتجِعونَ[د] هنالِك ما بيْنَ كَرْمَان وخُراسان، وبقيَتْ بالعراقِ منهم بَقيّةٌ يَنْزِلونَ البطائحَ و[السّيبَ][4] إلى الكوفَةِ، منهُم بنو مَيّاح ومعَهم لفائِقُ[هـ] من الأوْسِ والخَزْرَج، فأميرُ رَبيعةَ اسمُهُ الشّيخُ وَلي، وعلى الأوْسِ والخَزْرَج طاهِرُ بنُ خَضِرٍ منهم.

(أ) ظ: وهم (ب) همزة الاستفهام من ص (ج) من ص (د) ص: ينجعون (هـ) ص: لفائف.

---

(1) ابن حزم: الجمهرة 291-.

(2) المعروف بالأخْيَل من بني عُبادة بن عُقَيل عند ابن حزم (291) هو كعب بن الرحّال بن معاوية بن عُبادة.

(3) محركة، العزّ، أي في عزّ من قومه، ومعه من يمنعه من عشيرته فلا يقدر عليه من يريده من الأعداء. وهي مصدر مثل الأنفة والعظَمة. وقد تسكّن نونها في الشعر لا في غيره.

(4) في ظ ص: السّبب. وأصلحناه حسب دلالة النص. والسِّيب كورة من سواد الكوفة، وهما سيبان، الأعلى والأسفل من طسّوج سورًا عند قصر ابن هبيرة. معجم البلدان 293:3.

[19ا] هذه شعوبُ / الطَّبقةِ الثَّالِثةِ من العَرَبِ لهذا العَهْدِ في ديارِ المَشْرِقِ بما أدّى إليهِ الإمْكانُ والاجْتهاد.

ونحنُ الآنَ نذكُرُ شُعوبَهُم الّذين انتقَلوا إلى المَغرب، فإنّ أمّةَ العَرَبِ لم يكنْ لهم قَطُّ إلمامٌ بالمَغرب، لا في جاهليّةٍ ولا في إسْلام، لأنّ أُمّةَ البَرْبرِ الّذين كانوا بهِ كانوا يُمانِعونَ عنه الأُمَمَ، وقد غَزاهُ أفْرِيقِش بنُ صَيْفيّ، الّذي سُمِّيتْ بهِ إفريقيّةُ من مُلوكِ التّبابِعة، ومَلَكها، ثُمّ رَجَع عنها وتَرَكَ بها كُتامَةَ وصِنْهاجةَ من قَبائِل حِمْيَر، فاسْتحالَتْ صِبْغتُهُم إلى البَرْبر وانْدَرَجوا[أ] في عِدادِهِم، وذَهَبَ مُلْكُ العَرَبِ منها. ثُمّ جاءَتِ المِلّةُ الإسْلاميّة، وظَهَرَ العَرَبُ على سائِرِ الأمَمِ بظُهورِ الدّين، فسارَتْ عساكِرُهم في المَغرب، وافتَتَحوا سائرَ أمْصارِهِ ومُدُنِه، وعانَوْا من حُروب البَرْبر شدّةً. وقد تقدَّمَ لنا ما ذَكَرَهُ ابنُ أبي زَيْدٍ[1] من أنّهم ارْتَدّوا اثنَتَيْ عَشْرةَ مَرّةً ثُم رسَخَ لهُمُ[ب] الإسلام، ولم يَسْكُنوا في بَجاتِه بالخِيام ولا نَزَلوه أحياء، لأنّ المُلْكَ الذي حصَلَ [لهم][ج] يَمْنَعُهم من سُكْنى الضّاحِيةِ ويَعْدِلُ بهم إلى المُدُنِ والأمْصارِ، فلهذا قُلْنا إنّ العربَ لم يُوطِنُوا[د] بلادَ المغرب، ثُمّ إنهمْ دَخَلوا إليهِ في مُنْتصَفِ المائةِ الخامِسةِ وأوطَنُوهُ، وافْتَرَقوا بأحْيائهم وحِلَلِهِم في بَجاتِه كما نَذْكُرُ الآنَ[هـ] ونَسْتَوْعِبُ أسبابَه.

(أ) ص: وأندرجعوا (ب) ص: فيهم (ج) من ص وفي ظ: لم يمنعهم (د) ظ ص: يوطنوها (هـ) سقط من ص.

---

(1) سلف هذا القول في العبر (المقدمة) 1: 287، وقد بحثنا عنه في باب الجهاد من كتاب النوادر والزيادات، وفيه أخبار الردّة، فلم نصادفه.

• الخَبَرُ عن دُخولِ العَرَبِ من بَني هلالٍ[1] وسُلَيمٍ من الطَّبقةِ الرّابعةِ إلى المَغرِبِ، وأخبارُهُم هنالِكَ[أ].

كانت بُطونُ هِلالٍ وسُلَيْم - من مُضَر- لم يَزالوا بادِينَ منذُ الدّولةِ العبّاسيّة، وكانوا أحْياءً ناجِعةً بمجالاتِهم من [قَفْرِ][ب] الحِجاز بنَجْد، فبَنو سُلَيْم ممّا يلي المدينةَ، و[بنو][ج] هِلالٍ في جَبَلِ غَزْوانَ عندَ الطّائف، وربّما كانوا يَطرُقونَ - رحلةَ الشّتاءِ والصّيْف - أطْرافَ العِراقِ والشّام، فيُغيرونَ على الضّواحي ويُفسِدونَ السّابِلةَ، ويقْطَعونَ على الرِّفاق، / وربّما [9 ب] أغارَ بنو سُلَيْم على الحاجِّ أيّامَ المَوْسِمِ بمكّةَ وأيّامَ الزّيارةِ بالمدينة. وما زالتِ البُعوثُ تُجهَّزُ والكتائِبُ تُكتَّبُ من باب الخليفةِ ببغْدادَ للإيقاعِ بهم[د] وصَوْنِ الحاجِّ عن مَعَرّاتِ هجومِهم.

ثُمّ تحيَّزَ بنو سُلَيْم والكثيرُ من رَبيعةَ بن عامِرٍ إلى القَرامِطَةِ عندَ ظُهورِهم، وصاروا جُنْداً لهم بالبَحْرَيْنِ وعُمانَ، ولمّا تغلّبَ الشّيعةُ بنو عُبَيْدِ اللّه المهديّ على مِصْرَ والشّام، وكان القرامِطَةُ قد تَغلّبوا على أمْصارِ الشّام، فانْتزَعَها العزيزُ منهم وغلَبَهم عليها ورَدَّهم على أعْقابِهم إلى قَرارِهم بالبَحْرَيْنِ، ونَقَلَ أشْياعَهم من العَرَبِ من بَني هِلالٍ وسُلَيْمٍ، فأنْزَلَهم بالصّعيدِ وفي العُدْوَةِ الشّرقيّة من بَحْرِ النّيل، فأقاموا[هـ] هُنالك، وكان لهم إضْرارٌ بالبِلاد.

(أ) ص: بنلك (ب) ظ ص: قفل (ج) ظ ص: بني (د) سقط من ص (هـ) ص: قاموا.

---

(1) ليون الإفريقي: وصف إفريقيا 1: 51.

ولمّا انساقَ مُلْكُ صِنْهاجةَ بالقَيْرَوان إلى المُعِزّ بن بَادِيس بن المنصُور سنةَ ثمانٍ وأربع مائة، وقلّدَهُ الظّاهِرُ [لإعزاز][أ] دينِ اللّهِ عليٌّ[ب] بنُ الحاكِمِ بأمْرِ اللهِ مَنصورِ بن العزيز بالله نِزَارِ بن المُعزّ لدين اللّه مَعَدّ، أميرَ إفريقيّة، على عادَةِ آبائهِ كما نَذْكُرُ ذلكَ بَعْدُ، وكان لعَهْدِ وِلايَتِهِ غُلاماً يَفَعَةً ابنَ ثماني سنين، فلَمْ يكنْ مُجرّباً للأمور ولا بَصيراً بالسّياسَة، وكانتْ فيهم عِزّةٌ وأَنَفَةٌ.

ثُم هلَكَ الظّاهِرُ سنةَ سبْع وعشْرين، ووَلِيَ ابنه المُسْتَنْصِرُ[ج] باللّه مَعَدٌّ، الطّويلُ أمَدِ الخِلافَة بما لم يَنَلْهُ أحدٌ من خُلَفاءِ الإسْلام، يُقال: وَلِيَ خمساً وسبْعينَ سنةً، وقيل: خمساً وستّينَ، والصّحيحُ ثلاثٌ وسبْعون، لأنّ مَهْلِكَهُ كان على رَأْسِ المائةِ الخامِسة[1].

وكان في المعزّ بن باديسَ صَاغِيَةٌ إلى مَذاهبِ أهْلِ السُّنّة، وربّما كانتْ شواهِدُها تَظْهَرُ عليه؛ وكَبَا بِهِ فرسُه لأوّلِ ولايَتِهِ في بَعْض مذاهِبِه، فنادَى مُسْتَغيثاً بالشّيْخَيْنِ أبي بَكْرٍ وعُمَر. وسمِعَتْهُ العامّةُ، فثَاروا بالرّافِضَةِ وقَتَلوهم وأعْلنوا بالمُعْتَقَدِ الحقّ، ونادَوْا بشِعارِ الإيمان، وقَطَعوا من الأذانِ: حَيّ على خَيْرِ العَمل. وأغْضَى لهُ الظّاهِرُ عن ذلكَ وابنُهُ مَعَدٌّ / [10 أ] المُسْتَنْصِرُ من بَعْدِه، واعتذَرَ بالعامّةِ فقُبِلَ، واستَمَرّ على إقامَةِ الدّعْوةِ والمُهاداةِ، وهُو في أثْناءِ ذلكَ يُكاتِبُ وَزيرَهُما و[صاحب][د] دَوْلتِهما المضْطلعَ بأمورِهما أبا القاسِمِ

(أ) من الاتعاظ (ب) سقط من ص (ج) ص: المنتصر، خطأ (د) ص: صاحب.

(1) يقول المقريزي: مات وعمره سبع وستون سنة وخمسة أشهر، منها في خلافته ستون سنة وثلاثة أيام. وكانت وفاته سنة 487هـ. اتعاظ الحنفا 2:431.

[عليّ ابنَ أحمدَ الجَرْجَرَائي][أ] ويَسْتَميلهُ ويُعرِّضُ ببَني عُبَيْدٍ[ب] وشيعتِهم، وكان [الجَرْجَرَائيّ] يُلَقَّبُ الأقطعَ، بما كان قَطَعَهُ الحاكِمُ بخيانةٍ[ج] ظهرَتْ عليه في الأعمال، وأنهَضَتْهُ السيِّدَةُ سِتُّ المُلْكِ عَمَّةُ المُسْتَنْصِر، فلمّا ماتَتِ استَبَدَّ بالدَّوْلةِ سنةَ أرْبعَ عشْرةَ وأربعِ مائةٍ، إلى أن هَلَكَ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ.

ووَلِيَ الوِزارةَ بعدَهُ أبو مُحمَّدٍ الحسَنُ بنُ عليّ اليازوريُّ، أصْلُهُ من قُرَى فِلَسْطين، وكان أبوهُ مَلاّحاً بها، فلمّا وَلِيَ الوِزارةَ خاطَبَهُ أهلُ الجهاتِ ولم يُموِّلوهُ، فأنِفَ من ذلكَ وعَظُمَ عليه، وعتَبَ[د] ثُمالُ بنُ صالحٍ صاحبُ حلَب، والمعزُّ بنُ باديس صاحبُ إفريقيّة، فانحرَفوا عنهُ، وحلَفَ المعزُّ ليَنقُضَنَّ[هـ] طاعَتَهم، وليُحوِّلَنَّ الدّعوةَ لبني[و] عبّاس، وليَمْحُوَنَّ اسمَ بَني عُبَيْدٍ من مَنابِرِه. ولَجَّ في ذلك وقطَعَ أسماءَهم من الطُّرُزِ والرّايات، وبايَعَ للقائم أبي جَعْفرٍ بن القادِر من خُلفاءِ بني العَبّاس وخاطبَهُ، ودعَا له على مَنابِرِهِ سنةَ سَبْعٍ وثلاثين[1]. وبَعثَ بالبَيْعةِ إلى بَغْداد، ووَصَلَهُ أبو الفَضْل البغداديُّ رسُولاً من الخليفةِ بالتّقليدِ والخِلَع، وقُرِىءَ كتابُهُ بجامع القَيْروان[2]، ونُشِرتِ الرّاياتُ السّودُ، وهُدِمَت دارُ الإسماعيليّة.

(أ) في ظ ص: أحمد بن علي الجرجاني، وهو خطأ صوّبناه (ب) ص: عُبيد الله (ج) ص: لخيانة (د) ص: وعبث بمال وقد شرح المقريزي أسباب قطع يديه بتفصيل. اتعاظ الحنفا 2: 121- (هـ) ص: لينقض (و) ص: الى بني عباس.

(1) بين مجموعة مكتبة جامع القيروان العتيقة، قطعة على الرّق من مدونة سحنون في فقه مالك، أوقفها المعزّ على طلبة العلم في الجامع سنة 424هـ، ويوجد بالمكتبة خطّه على مصحفه المحبّس على الجامع، وتاريخه مجهول، يقول فيه: اللهم العن بني عبَيْد أعداءك وأعداء نبيّك، نفعنا الله ببُغْضهم أجمعين. ويذكر ابن الأثير في أحداث سنة 435 هـ أنّ المعزّ أظهر بإفريقية الدعاء للدولة العباسيّة.

(2) حفظ ابن الأثير جزءًا من هذا الكتاب أُرسِل مع سيف وفرس وأعلام وصل يوم الجمعة حين الخطبة، فقطعت الخطبة للفاطميين. ولعل هذا الكتاب هو الرسالة 26 من رسائل ابن الموصلايا المنشورة.

وبلَغَ الخَبرُ إلى المُسْتَنْصِر مَعدِّ الخليفَةِ بالقاهِرة، وإلى الشّيعةِ الرّافضَةِ من كُتَامةَ وصنائِع الدّوْلَة، فوَجَموا، وطلَعَ عليهِمُ المقيمُ المُقْعِدُ من ذلك، وارْتَبَكوا في أمْرِهم. وكان أحْيَاءُ هِلالٍ - هؤلاءِ الأحْياءُ من جُشَم والأثْبَج وزُغْبَة ورِياحٍ ورَبيعةَ وعَدِيّ- في مَجالاتِهم بالصّعيدِ كما قدَّمناهُ، وقد عمَّ ضرَرُهم، وأحْرقَ البلادَ والدّولةَ شرَرُهم، فأشارَ الوزيرُ أبو محمّدٍ الحسَنُ بنُ عليّ اليازوريُّ باصْطناعِهم / [10 ب] واستِقْدام مَشائخِهم، وتَوْليتِهم أعمالَ إفريقيّة وتقليدِهِم أمْرَها، ودَفْعِهم إلى حَرْبِ صِنْهاجةَ، ليكونوا [عَيْبَة](أ) نُصْحٍ للشّيعَةِ وسيفَ دفاعٍ عن الدّولة، فإن صدَقَت المَخِيلَةُ في ظَفَرِهم بالمعزّ وصِنْهاجةَ كانوا أولياءَ للدّعْوةِ وعُمّالاً بتلك القاصِية، وارتفَعَ عُدْوانُهم من ساحَةِ الخِلافة، وإن كانتِ الأخْرى فلَها ما بَعْدَها، وأمْرُ العَربِ الباديةِ أسهَلُ من أمْرِ صِنْهاجةِ، الملوك، فتقَبّلوا رأيَه وشَكَروا هِدايَتَه.

وقيل: إنّ الّذي أشارَ بذلكَ وفعَلَه وأدْخَلَ العَرَب إلى إفريقيّةَ إنّما هُوَ أبو القاسم الجَرْجَرائيّ، وليْس ذلك بصحيح.

فبعَثَ المُسْتَنْصِرُ وزيرَهُ عن هؤلاءِ الأحْياءِ سنةَ إحْدى وأربَعين، وأرْضَخَ[1] لأمرائِهم في العَطاءِ، ووصَلَ عامّتَهم بفَرْوٍ ودِينارٍ لكلّ واحدٍ، وأباحَ لهم إجازةَ النّيل، وقال لهم: قد أعطيتُكُم المَغربَ ومُلْكَ المُعزّ بن باديسَ الصِّنْهاجيّ العَبْدِ الآبِق، لا تَفْتقِرونَ أبداً. وكتَبَ اليازوريُّ إلى المَغْرب: أمّا

(أ) ص: عنبة، ظ: عبية، وهي تصحيف لعَيْبَة. والعيبة ما يُجعَلُ فيه الثّياب والمعنى: انهم موضع ثقة ومناصحة.

---

(1) الرّضْخُ: العطاء ليس بالكثير.

بَعْدُ، فقد أنفَذْنا إليكم خُيولاً فُحولاً، وأرسَلْنا عليها رِجالاً كُهولاً، ليقضيَ اللّهُ أمراً كان مَفْعولاً. فطمِعَتِ العرَبُ إذّاكَ، وأجازوا النّيلَ إلى بَرْقة، ونزَلوا بها وافتَتحوا أمْصارَها واستَباحُوها. وكتَبوا لإخْوانِهم شَرْقِيَّ النّيل يُرَغِّبُونَهم[أ] في البلاد، فأجازوا إليْهم بعدَ أن أعْطَوْا دينارَيْنِ عن كلِّ رأسٍ، فأُخِذَ منهم أضعافُ ما أخَذوه.

وتَقارَعوا على البلاد، فحَصَلَ لسُلَيْم الشَّرْقُ، ولهلال الغَرْبِ، وخرَّبوا المدينةَ الحمراءَ وأجْدابِيَةَ ووَاسِموا[1] وسُرْت. وأقامت هيب[ب] - من سُلَيْم - وأحلافُها رَواحةُ وناصِرَةُ وعَميرةُ بأرْض بَرْقَة، وسارَتْ قَبائلُ دَبّاب وعَوْف وزُغْب وجميعُ بُطون هِلال إلى إفريقيَّةَ كالجَرَادِ المُنْتَشِر، لا يَمُرّونَ بشيءٍ إلاّ أتَوْا عليْه، حتّى وَصَلوا إلى إفريقيّةَ سنةَ ثلاثٍ وأرْبعين.

وكان أوّلَ مَن وصَلَ منهم أميرُ رِياحٍ مُؤْنِس[ج] بنُ يَحيى الصُّنبريُّ[د]، فاستَمالَهُ المعزُّ واسْتَدْعاهُ / واستَخْلَصهُ لِنَفْسِه وأصْهَرَ إليه، وفاوَضَهُ في [11 أ] اسْتِدْعاءِ العَرَبِ [من قاصِيةِ][هـ] وطنه للاسْتِغْلاظ على خَوارِج بَني عَمِّهِ بالثَّغْرِ الغَرْبِيّ، وأبَى عليْه، فاسْتدعاهُم، فعاثوا في البِلادِ وأظْهَروا الفسادَ في الأرْض، ونادَوْا بشِعارِ الخليفَةِ المُسْتَنْصر. وسَرّح إليهمُ العساكرَ من صِنهاجَةَ

(أ) ص: وعيونهم (ب) ص: هيت (ج) ص: موسى (د) في ظ: الضنبري وفي ص: الضبيري وهو تصحيف، ويرد في [12 أ] أنّه من بني صنبر، بطن من بطون بزداس رياح (هـ) من ص، وفي ظ: للقاصية من.

---

(1) كذا رسْمُها ولم نتبيّنْها.

والأولياء، فأَوْقَعوا بهم[أ]، فتخمَّطَ[1] المعزُّ لِكبْرِهِ[ب] واستَشاطَ لغضَبِه، وتقبَّضَ على أخي مُؤْنس وعَسْكَرَ بظاهِرِ القَيْروان، وبعَثَ بالصَّريخ إلى ابنِ عَمِّهِ صاحبِ القَلْعةِ القائدِ بن حَمَّادِ بن بُلُكّين، فكَتَّبَ له كتيبةً من ألْفِ فارِس سَرَّحهُم إليه، واستَنْفَرَ ظَواعِنَ زَناتَةَ، فوَصَلَ إليهِ المنتَصِرُ ابنُ خَزْرونٍ الـمَغْراويُّ في ألْفِ فارِس من قَوْمِه، وكان بالبَدْوِ من إفريقيَّةَ معَ النّاجعة مِن زَناتَة، وهُو مِن أعْظمِ ساداتِهم.

وارتَحلَ المعزُّ في أولئك النَّفَرِ ومن لَفَّ لَفَّهم من الأَتْباع والحشَم والأَوْلياءِ ومَن في إيالَتِهم من بَقايا عَرَبِ الفَتْح، وحَشَدَ زَناتةَ والبَرْبرَ، وصَمدَ نَحْوهم في أُمَمٍ لا تُحصى، ناهَزَ عدَدُهم - فيما يُذكَرُ - ثلاثينَ ألفاً. وكانت رِياحٌ وزُغْبَةُ وعَدِيٌّ بقِبْلِيِّ جَبلِ حَيْدَرانَ من جِهَةِ قابِس. ولما تزاحَفَ الفريقانِ، انْخَذَلَ بقيّةُ عرَبِ الفَتْح، وتحَيَّزوا إلى الهلاليّينَ للعصبيّةِ القَديمة، وخانَتْهُ زَناتةُ وصِنْهاجَة، وكانتِ الهَزيمةُ على المعزّ، وفَرَّ بنفْسِه وخاصَّتِه إلى القَيْروان. وانتَهبَ العرَبُ جميعَ مُخلَّفِه من المال والمَتاع والذّخيرةِ والفَساطيطِ والفازات، وقَتَلوا فيها من البَشرِ ما لا يُحْصَى، يُقال: إنَّ القَتْلَى من صِنْهاجَةَ بلَغوا ثلاثةَ آلافٍ وثلاثَ مائة. وفي ذلك يقولُ عليُّ بنُ رِزْق الرِّياحيُّ كلمةً[ج]، ويقالُ: إنّها لابن شَدّاد، وأوّلُها:[2] [من الطويل]

(أ) ص: بها (ب) ص: للكثرة (ج) ص: كلمته .

---

(2) تخمّط: ثار وغضب.

(1) رحلة التجاني 20-21 وفي البيت الثالث فروق لفظية لا يتغيّر بها المعنى. وقد فصّل التجاني الحديث في وقعة حيدران. انظر ابن بسّام: الذخيرة 4: 392- البيان المغرب 1: 290.

لقد زارَ وَهْناً من أُمَيْمَ خَـيالُ   وأيدي المطايا بالذَّميلِ عِجالُ
وإنّ ابنَ باديسٍ لأفضَلُ مالِكٍ   لعَمْري، ولكنْ ما لَدَيْهِ رِجالُ
ثَـلاثـونَ أَلفاً منهُمُ هَزَمَتْـهُمُ   ثَـلاثَـةُ آلافٍ وذاكَ ضَـلالُ

ثُمّ نازَلوهُ[أ] بالقَيْروان، وطالَ عليهِ أمدُ الحِصار، وهلكَتِ الضّواحِي والقُرَى / بإفسادِ العربِ وعَيْثِهم[ب]، وانتقام السُّلْطانِ منهم باتّهامِهم في وَلايةِ [11 ب] العرب. ولجأَ النّاسُ إلى القَيْروان، وكَثُرَ النّهْبُ واشتَدَّ الحصارُ، وفَرَّ أهلُ القَيْروانِ إلى تونِسَ وسُوسَة، وعَمَّ النّهبُ والعَيْثُ بلادَ إفريقيّة، ودخلَتْ[1] بَلَدَ الأُرْبُص[ج] وأُبّةَ سنةَ خمسٍ وأربعين، وأحاطتْ[د] زُغْبَةُ ورِياحٌ بالقَيْروان، ونزَلَ مؤْنِسٌ قريباً من ساحَةِ البَلَد، وفَرّ القَرابةُ والأَعْياصُ من آلِ زيري، فوَلاّهم مُؤْنِسُ قابِسَ وغيرَها، ثمّ مَلَكوا بلادَ قَسْطيليّةَ كلَّها، وغَزَا عائذُ[هـ] ابنُ أبي الغَيْث - منهم - زَناتَةَ ومَغْراوَةَ، فاسْتَباحَهم ورجَعَ.

واقتَسَمتِ العربُ بلادَ إفريقيّةَ سنةَ سِتٍّ وأربعينَ، فكان لزُغْبَةَ طرابُلُس وما يليها، ولِمِرْداس - من رِياحٍ - باجَةُ وما يَليها. ثمّ اقتَسَموا البلادَ ثانيةً، فكان لهلالٍ من قابِسَ إلى الغَرْب، وهم: رِياحٌ وزُغْبَةُ والمَعْقِلُ وجُشَمٌ وقُرّةُ والأَثْبَجُ وشَدّادٌ والخلط وسفيان.

(أ) ظ: نازلوا والاصلاح من ف ص   (ب) ص: غيثهم   (ج) كذا وترد هنا بالصاد وبالسين   (د) د: وأحاطت عربُ زُغْبة...   (هـ) ص: عابذ.

---

(1) كذا لم يُسَمَّ فاعِلُه. ولعلها: ودخلت [العربُ] بلَدَ الأُرْبُص.

وتصَرّمَ المُلْكُ من يَدِ المُعِزِّ، وتغلَّبَ عائدُ بنُ أبي الغَيْث على مدينةِ تونِسَ وسَبَاها. وملَكَ أبو مَسْعودٍ -من شُيوخِهم- بُونَةَ صُلْحاً، وعامَلَ المُعِزُّ على خَلاصِ نَفْسِه، وصاهَرَ بِبناتِه ثلاثةً من أمراءِ العَرَب: فارسَ بنَ أبي الغَيْث، وأخاهُ عائِداً، والفضلَ بنَ بُو[أ] علي المِرْداسِيّ. وقَدَّمَ ابنَه تَميماً إلى المَهْدِيَةِ سنةَ ثمانٍ وأربعين. ولِسَنةِ تِسْعٍ بَعْدَها بعَثَ إلى أصْهارِه من العَربِ وتذَمَّمَ بهم، ولَحِقَ بالقَيْروانِ واتَّبعوه[1]، فرَكِبَ البَحْرَ من السّاحِلِ و[صَبَّحَ][ب] أهلَ القَيْروانِ، فأخبرَهُم ابنُه المنصُورُ بخَبرِ أبيه، فسَاروا بالسّودانِ والمَنْصور[1].

وجاءَ العرَبُ، فدَخَلوا البلَدَ واسْتَبَاحوهُ، واكْتَسَحوا المكاسبَ وخرَّبوا المبانِيَ وعاثوا في مَساكِنِها، وطَمَسوا من الحُسْنِ والرَّوْنَقِ مَعالِمَهَا، واسْتَصْفَوا ما كان لآلِ بُلُكِّينَ في قُصورِها، وشَمِلوا بالعَيْثِ والنَّهْبِ سائرَ مَن فيها، وتَفَرَّقَ أهلُها في الأقْطار، فعَظُمتِ الرَّزِيَّةُ واستَشْرى الدّاءُ وأعْضَلَ الخَطْبُ. ثمّ
[12أ] ارْتَحلوا إلى المَهْدِيَة، فنازَلوها وضَيَّقوا عليها بمَنْعِ المَرافِقِ وإفْسادِ السَّابِلَة. / ثم حارَبوا زَناتَةَ من بَعْدِ صِنْهاجَةَ وغَلَبوهم على الضَّواحي. واتّصلَتِ الفتْنةُ بَيْنَهم. وأغْزاهم صاحبُ تِلِمْسَانَ من أعْقابِ محمدِ بن خَزَرٍ جُيوشَه[ج] معَ وزيرِه أبي سُعْدَى خليفةِ اليَفْرَنِيِّ، فهزَموهُ وقَتَلوهُ بعدَ حُروبٍ طويلةٍ.

(أ) ص: أبو (ب) في ظ: أصبح، و سقط من ص (ج) ص: جيوشهم.

---

(1) هذا الخبر مفرط في التلخيص والغموض والإشارات التاريخية المتلاحقة، لم نتبيّن محتواه.

واضطَربَ أمرُ إفريقيّة، وخَرِب عُمْرانُها وفسَدَتْ سابِلَتُها. وكانت رئاسةُ الظواعِنِ من زَناتةَ والبَرْبرِ لبني يَفْرَنَ ومَغْراوةَ وبَني ومانوا وبني يلومان. ولم يَزَلْ هذا دأبَ العَرب وزَناتةَ حتّى غَلَبوا صِنْهاجةَ وزَناتةَ على ضواحي إفريقيّةَ والزّاب، وغَلَبوا عليها صِنْهاجةَ وقَهروا مَن بها من البَرْبرِ وأصارُوهم عَبِيداً وخَوَلاً للجِبَاية.

وكان في هؤلاءِ العَرب لعَهْدِ دُخولِهم إفريقيّةَ رجالاتٌ مذكورونَ، وكان من أشْهَرِهم حَسَنُ بنُ سَرْحان، وأخوهُ بَدْرٌ، وفضْلُ بنُ ناهِض، ويَنسُبُونَ هؤلاءِ في دُريدٍ من الأثْبَج، وماضي بنُ مقرّب، ويَنْسُبونَهُ في قُرّة، وسَلامةُ ابنُ رِزْق، في بني كثيرٍ من بطونِ كَرْفَةَ من[أ] الأثْبَج، وشبانةُ بنُ الأُحَيْمرِ، وأخوهُ صُلَيْصِل، ويَنسُبونَهم في بَني عطيّةَ من كَرْفَة، وذيابُ ابنُ غانِم، ويَنْسُبونَهُ في بني ثَوْر، [ومُؤنِس بن يَحيى، ويَنْسُبونه في مِرْداس][ب]، ويَعْنونَ مرْداسَ رِيَاح لا مِرْداسَ سُلَيْم، فاحذَرْ من الغَلَطِ في هذا؛ وهُو من بني صُنْبر: بطن من بُطونِ مِرْداس رِيَاح[ج]. وزَيْدُ بنُ زَيْدانَ، ويَنسُبونَهُ في الضحّاك، وثُلَيْجانُ بنُ عابِس، ويَنْسُبونَه في حِمْيَر، وزَيْدٌ العَجّاجُ بنُ فاضِل، ويَزْعُمونَ أنه ماتَ بالحِجاز قُبَيْلَ دُخولِهم إلى إفريقيّة، وفارسُ بنُ أبي الغَيْث وعائدٌ أخوهُ والفَضْلُ بنُ أبو[د] عليّ، ويَنْسُبُهم أهلُ الأخْبارِ منهم في مِرْداس، والمَغنيّ مرداسُ رِيَاح. كلُّ هؤلاءِ مذكورونَ في أشْعارِهم. وكان ذِيابُ بنُ غانم رائدَهم في دُخولِهم[هـ] إفريقيّة، ويُسمُّونَهُ لذلك أبا مُخَيْبِر.

(أ) ص: بن (ب) زيادة من ص (ج) في ظ: وحدها وزرياح (د) ص: بوعلي (هـ) ص: دخول.

وشعوبُهم لذلِك العَهْدِ كما قُلناه: زُغْبة، ورِيَاح، والأثْبَج، وقُرَّةُ، وكلُّهم من هِلالٍ بن عامِر، وربمّا ذُكِرَ فيهم بنو عدِيّ، ولم نَقِفْ على أخْبارِهم، وليْس لهم لهذا العَهْدِ حيٌّ معروف، فلعَلّهم / دَثَروا أو تَلاشَوْا وافْترقوا في القَبائِل. [12 ب] وكذلكَ ذُكِرَ فيهم رَبيعةُ، ولَمْ نعرِفْهم لهذا العَهْد، إلاّ أن يكونوا هُمُ المَعْقِلَ كما تَراهُ[أ] في نَسبِهم. وكان فيهم من غَيْرِ هِلالٍ لفائِق[ب] كثيرةٌ من فَزارَةَ وأشْجعَ من بُطونِ غَطَفان، وجُشَم بن مُعاويةَ بن بَكْرِ بن هَوازِن، وسَلُول بنُ مُرَّةَ بن صَعْصَعَةَ بن مُعاوية، والمَعْقِلِ من بُطونِ اليمنيّة، وعَنَزَةَ بن أسَدِ بن رَبيعةَ بن نِزَار، وبني ثَوْر بن مُعاويةَ بن عُبادَةَ[ج] بن رَبيعةَ البَكّاءِ ابن عامِرِ بن صَعْصَعة، وعَدْوانَ بنِ [عَمرو][د] بن قَيْسِ بن عَيْلان، وطَرود، بطنٌ من فَهْم بن قَيْس، إلاّ أنّهم كلُّهم مُندرِجونَ في هِلال، وفي الأثْبَج منهم خُصوصاً، لأنّ الرِّئاسةَ كانتْ عندَ دُخولِهم للأثْبج من هِلال، فاندَخَلوا فيهم وصَاروا مُندرِجينَ في جُمْلَتِهم. وقُرَّةُ(1) من هؤلاءِ الهِلاليّينَ لم يكونوا من الّذين أجازوا النّيلَ لعَهْدِ اليَازُوريّ أو الجَرْجَرائي، وإنّما كانوا من قَبْلِ ذلكَ ببَرْقَةَ أيّامَ الحاكِمِ العُبَيديِّ، ولهم فيها أخبارٌ، ومعَ الصِّنْهاجيّينَ ببَرْقةَ والشيعَة بمِصْرَ خطوبٌ. ونَسَبُهُم[هـ] إلى عَبْدِ مَنَافِ بن هِلالٍ كما ذكَرَ شاعِرُهم في قَوْلِه:

طلبنا الغـفْرَ منهم وجدناه عندهم   بلا عيب من عَرب سجاح جمودها

(أ) ص: تراه (ب) ص: لفائف (ج) في ص: مكررة (د) من ص والجمهرة، وفي ط: عمر (هـ) ص: نِسَبُهم.

---

(1) قُرَّة: بطن من هلال بن عامر بن صعصعة، من العدنانية. بلادهم إخميم من صعيد مصر، وفي برقة بين مصر وإفريقية. نهاية الأرب 397، البيان والإعراب 28.

وبَتْ عنْ ذا قُـرّة مَـنَاف وَنَسْبَها   طـراد كدانا نحن ما لا يـــكودهَا
ماتت ثلاثة آلاف قـرّه ومن بَـقّا   مجرحه منا تـداوي كـــــبُوذَهَـا

وقال آخرُ منهم:

أيا رب جير الخَلْق من نائح البلا   إلاّ القـبـيل الحـارسا لا تجيرها(أ)
وخَـصَّ بها قرّه مناف ونَسْبَـها   ديها لأرياء البـوادي تـشيزها(أ)

فذِكْرُ نسبهم في مَنَافٍ وليْس في هِلال مَناف، هكذا مُنفرِداً، إنّما هو عَبْدُ مَناف، واللّـهُ أعلَمُ.

وكان شيْخَهُم أيَّامَ الحاكـمِ مختارُ بنُ القاسم، ولما بعثَ الحاكِمُ يَحْيى بنَ عليّ الأندَلُسيَّ لصَريخ فلْفولِ بن سَعيدِ بن خَزْرُونٍ / بطرابُلُس على صِنْهاجَةَ [113] كما نَذكُرُهُ في أخْبارِ بني خَزْرون(1)، أوْعزَ إليهم بالسّيْرِ معَهُ، فوصَلوا إلى طَرابُلُس وجَرَوا الهزيمةَ على يَحْيى بن عليّ ورَجَعوا إلى بَرْقة، وبعَثَ عنهم فامْتَنَعوا، ثمّ بعَثَ لهم بالأمان، ووصَلَ وفدُهم إلى الإسْكندريّة فقُتِلوا عن آخِرِهم سنةَ أرْبعٍ وتِسْعينَ وثلاثِ مائة.

وكان عنْدَهم معلّمٌ للقرآنِ اسمُه الوليدُ بنُ هِشام(2)، يَنْتَسِبُ إلى الـمُغيرةِ بن عبدِ الرَّحمن من بَني أميّة، وكان يَزْعُـمُ أنَّ لديْه أثارةً من علْـمٍ في

(أ) ص: يجيرها، يشيرها.

---

(1) يأتي خبرهم مفصلاً في الجزء 13 من العبَر.

(2) خبر أبي ركوة هنا في العبر 7: 177 وقد تقدمت الإشارة إليه في هذا الجزء، وانظر ابن الأثير: الكامل 9: 197 ، وخبر الظفر بأبي ركوة في البيان والإعراب 46.

احْتيازِ مُلْكِ آبائِه، وقَبِلَ ذلك منهُ البَرابرةُ من مَزاتَةَ وزَناتَةَ ولَوَاتَة، وتحدّثوا بشأْنِه، فنصّبَهُ بنو قُـرَّةَ وبايَعوهُ بالخِلافَةِ سنةَ خَمْس وتِسْعين، وتـغلّبوا على مدينةِ بَرْقَة، وزحَفَ إليهم جُيوشُ الحاكِمِ فهزَموها، وقَتَلَ الوليدُ بنُ هشام قائِدَهَا من التّرك. ثم زَحفوا بهِ إلى مِصْرَ فانهَزَموا، ولحِقَ الوليدُ بأرْض البُجَاة من بلادِ السّودان، ثم أُخفِرتْ ذِمّتُه وسِيقَ إلى مِصْرَ وقُتِل، وهُدِرَتْ لبني قُرّة جِنايتُهم هذه وعَفَا عنهم.

ولما كان سنةُ ثنْتَينِ وأربعِ مائة، اعترَضوا هديّةَ باديسَ بن المَنْصُور ملِكِ صِنْهاجةَ من إفريقيّةَ إلى مِصْرَ فأخَذوها، وزَحفوا إلى بَرْقةَ فغلَبوا العاملَ عليها، وفرَّ في البَحْر، واستَوْلَوا على بَرْقَة؛ ولم يزَلْ هذا شأنَهم ببَرْقَة. فلمّا زحَفَ إخوانُهم الهِلاليّونَ من زُغْبَةَ ورِيَاح والأَثْبَج وأتباعِهم إلى إفريقيّة، كانوا فيمَن زحَفَ معَهم. وكان من شُيوخِهم ماضي بنُ مُقَرِّبِ المذكورُ في أخْبارِ هِلال.

ولهؤلاءِ الهلاليّينَ في الحكايةِ عن دُخولِهم إلى إفْريقيةَ طرُقٌ في الخبَرِ غريبةٌ، يزعُمونَ أنّ الشّريفَ ابنَ هاشِم كان صاحبَ الحِجاز، ويُسمّونَهُ شُكْرَ ابنَ أبي الفُتوح، وأنهُ أصهَرَ إلى حَسنِ بن سَرْحانَ في أُختِه الجازيَةِ فأنكَحَه إيّاها، ووَلَدَت منهُ ولداً [أسماهُ][أ] محمّدًا، وأنه حدَثَ بيْنَهم وبيْنَ الشّريفِ مُغاضَبةٌ وفِتنةٌ، وأجْمعوا الرّحلَةَ عن نَجْدٍ إلى إفريقيّة، وتحيّلوا علَيْهِ في [13 ب] اسْتِرجاع هذه الجازيةِ، فطلَبَتْه / في زِيارةِ قَوْمِها، فأزارَها إيّاهم، وخرَجَ بها إلى حِلَلِهم، فارْتَحلوا بهِ وبِها، وكَتَموا رِحْلَتَهم[ب] عنهُ، ومَوّهوا عليـهِ بأنّـهم

(أ) من ص، وفي ط: اسمه محمدا (كذا) (ب) في ف ص، رحلتها.

يُباكِرونَ[أ] للصَّيْدِ والقَنَصِ ويَرجعونَ بهِ إلى بُيوتِهم بعدَ بنائها فلا يَشعرُ بالرّحلة، إلى أنْ فارقَ مَوضعَ مُلْكِه وصارَ إلى حيثُ لا يَملِكُ أمْرَها عليهم، ففارَقوهُ فرجَّعُوه إلى مَكانِه من مَكّةَ، وبَيْنَ جَوانِحهِ من حُبِّها داءٌ دَخيل، وأنّها من بعدِ ذلك كَلِفَتْ به بمِثْلِ كَلَفِهِ إلى أن ماتَتْ من حُبّه.

ويَتناقلونَ من أخْبارِها في ذلكَ ما يُعَفِّي عن خَبَرِ قَيْس وكُثيِّر، ويَروونَ كثيراً من أشْعارِهما مُحكَمَةِ المباني مُثقَّفةِ الأطْراف، وفيها المطبوعُ والمنْتَحَلُ المَصْنوعُ، لم يُفْقَدْ فيها من البلاغَةِ شيءٌ، وإنّما أخَلّوا فيها بالإعْرابِ فقَطْ، ولا مَدْخلَ لهُ في البَلاغةِ كما قَرّرْناهُ لكَ في الكتابِ الأوّلِ من كِتابِنا[1] هذا. إلاّ أنّ الخاصّةَ من أهْلِ العِلْمِ بالمُدُن يَزْهَدونَ في روايتِها ويَستَنْكِفونَ عنها، لما فيها من خَلَلِ الإعْرابِ، ويَحْسَبونَ أنّ الإعْرابَ هُوَ أصلُ البلاغةِ، وليْس كذلكَ. وفي هذه الأشعارِ كثيرٌ دخلَتْه الصَّنعةُ وفُقِدتْ فيهِ صحّةُ الرّوايةِ، فلذلكَ لا يُوثَقُ بهِ ولو صَحّتْ روايتُه، ولو كانتْ فيه شواهدُ بأيّامِهم ووَقائعِهم معَ زَناتةَ وحُروبِهم، وضَبْطٌ لأسْماءِ رجالاتِهم، وكثيرٌ من أحْوالهم. لكِنّا لا نَثِقُ بروايَتِها، وربّما يَشعُرُ البَصيرُ بالبلاغَةِ بالمَصْنوعِ منها، ويَتّهِمُهُ، وهذا قُصارَى الأمْرِ فيه.

وهم مُتفقونَ على الخبرِ عن حالِ هذه الجازيةِ والشّريفِ خَلَفاً عن سَلَفٍ وجيلاً عن جيل؛ ويكادُ القادحُ فيها والمُستَرِيبُ في أمْرِها أن يُرْمَى عندَهم

(أ) ص: يباكرون به.

---

(1) العبر 2:549.

بالجنونِ والجَهْلِ المُفْرِطِ، لتواتُرِها بَيْنَهم.

وهذا الشَّريفُ الّذي يُشيرونَ إليه، هُوَ من الهواشِم، وهو: شُكْرُ بنُ أبي الفُتوح الحسَنِ بن جَعْفرِ بن أبي هاشِمٍ محمّدِ بن موسَى بن عبدِ الله أبي الكِرَام بن موسَى الجَوْن بن عَبْدِ الله بن إدْريسَ، وأبوهُ أبو الفُتوح هُوَ الّذي خطَبَ لنَفْسِه / [114] بمكّةَ أيّامَ الحاكمِ العُبَيْديّ، وبايَعَ لهُ بنو الجَرّاح أُمَراءُ طيّءٍ بالشّام، وبَعَثوا عنهُ فوصَلَ إلى أحْيائهم وبايَعَ لهُ كافّةُ العَربِ، ثمّ غلبَتْهم عساكرُ الحاكِمِ ورجَعَ إلى مَكّةَ، [وهلكَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وأربع مائة. ووَلِيَ بعدهُ ابنُه شُكْرٌ هذا](أ) وهلَكَ سنةَ ثلاثٍ وخَمْسين. ووَلِيَ ابنه محمدٌ(1) الّذي يَزعُمُ هؤلاءِ الهلاليّونَ أنّهُ من الجازيةِ هذه، وقد مَرَّ ذلك كلُّهُ في أخبارِ العَلَويّةِ(2)، هكذا نَسَبَهُ ابنُ حَزْمٍ(3).

وقال ابنُ سعيد: هُوَ منَ السُّلَيْمانيّينَ، من وَلَدِ محمدِ بن سُلَيْمانَ بن داودَ بن حَسنِ بن الحسَنِ السِّبط الّذي بايَعَ له أبو السَّرايا الشَّيبانيُّ بعْدَ ابنِ طَباطَبا، وتَسمّى النّاهضَ، ولَحِقَ بالمدينة فاستَوْلَى على الحِجاز، واسْتقَرَّتْ إمارةُ مكّةَ في بَنيهِ إلى أنْ غلَبَهم عليها هؤلاءِ الهَواشِم، وما ذكَرهُ ابنُ حَزمٍ أصحُّ، لأنّهم جَميعاً يقولون فيه: الشّريفُ ابنُ هاشِم، يُميّزونَهُ بذلك عن

(أ) من ص.

---

(1) يقول ابن حزم: مات شكرٌ ولم يولَد له قط، وصار أمرُ مكّة إلى عبدٍ كان له. الجمهرة 47.

(2) العبر 7: 310.

(3) ابن حزم: الجمهرة.

سائرِ الشُرَفاء. ولا يصِحُّ ذلك، إلاّ أن يكونَ هاشِمٌ أوْ أبو هاشِم جدّاً أقْرَبَ من الحسَنِ والحُسَيْن. وأمّا هاشِمٌ الأعْلَى لمشْتَرِكٌ بيْنَ سائرِ الشُرفاءِ، فلا يكونُ مُمَيِّزاً لبَعضِهم عن بعض.

وأخبَرَني مَن أثِقُ بهِ من الهلالِيِّينَ لهذا العَهْد، أنّه وقَفَ على بِلادِ الشَريفِ شُكْرٍ، وأنها بقُعَاءُ من أرْض نَجْدٍ مما يلِي الفُرات؛ وأنّ وَلَدَهُ بها لهذا العَهْد، واللهُ أعلَمُ.

ومن مَزاعِمِهم: أنّ الجازِيَةَ لـمَّا صاروا إلى إفْرِيقيَةَ وفارقَتِ الشَريفَ، خلَفَه علَيْها منهم ماضِي بنُ مُقَرِّب من رِجَالاتِ دُرَيْد، وكان الـمُسْتَنْصِرُ لمَّا بعَثَهم إلى إفرِيقيَّةَ عَقَدَ لرجَالاتِهم على أمْصارِها وثُغورِها، وقَلّدَهم أعْمالَها، فعَقَدَ لمؤْنِس[أ] بن يَحْيى المِرْداسِيّ على القَيْروانِ وباجَةَ، وعقَدَ لزُغْبَةَ على طرابُلُس وقابِس، وعقَدَ لحسَن بن سَرْحانَ على قُسَنْطينَة. فلمَّا غَلَبوا صِنهاجةَ على الأمْصار، وملَكَ كلٌّ ما عُقِدَ لهُ، سِيمَتِ الرَعايا بالأمْصار عَسْفَهم وعَيْثَهم باخْتلافِ الأيْدي، إذِ الوازِعُ مَفقودٌ بيْنَ أهْلِ هذا الجيلِ العربِيِّ مُذْ كانوا، فثَاروا [بهمْ][ب] وأخْرَجوهم من الأمْصار، وصاروا إلى مُلْكِ الضَواحي والتَّغلّبِ / عليها، وسَوْم الرَعايا بالخَسْفِ في النَّهْبِ والعَيْثِ وإفْسادِ السَابلةِ، هكذا إلى هَلُمَّ. [14 ب]

ولـمَّا تغَلّبوا على صِنهاجَةَ أجمعَتْ زَناتةُ مُدافعَتَهم بما كانوا أمْلَكَ للبَأْس والنّجْدةِ بالبَداوة، فحارَبوهم، وزَحَفوا إليْهم من إفريقيَّةَ والـمَغربِ الأوْسَط،

(أ) ص: بمؤنس (ب) من ص.

وجَهَّزَ صاحبُ تِلِمْسَانَ من بني خَزَرٍ قائدَه أبا[1] سُعْدَى اليَفْرَنِيّ، فكانتْ بَيْنَهُ وبَيْنَهم حُروبٌ إلى أن قَتلوهُ بنَواحي الزّابِ وتَغَلّبوا على الضَّواحِي في كلِّ وَجْه، وعَجَزَتْ زَناتةُ عن مُدافَعتِهم بإفْرِيقيّةَ والزّاب، وصارَ التَّحُمُ بَيْنَهم في الضَّواحي جبَلَ راشِدٍ ومِصابَ من بِلادِ المَغْرِب الأوْسَط. فلمّا اسْتَقَرَّ لهمُ الغَلَبُ وضَعَتِ الحربُ أوْزارَها، وصالَحهم الصِّنْهاجيّونَ على خُطّةِ خَسْفٍ في انْفِرادِهم بِمُلْكِ الضَّواحي دونَهم، وصاروا إلى التَّضْريبِ بَيْنَهم، وظاهَروا الأثْبَجَ على رِياحٍ وزُغْبة. وحَشَدَ النّاصرُ بنُ عَلَنّاس صاحبُ القَلْعة لمُظاهَرتِهم، وجَمَعَ زَناتة، وكان فيهمُ المعزُّ بنُ زيري صاحِبُ فاس من مَغْراوَة، ونَزَلوا الأُرْبُس جميعاً، ولقِيَتْهم رِياحٌ وزُغْبةُ بسَبِيبة[1]، ومكَرَ المعزُّ بنُ زيري المَغْراويُّ بالنّاصِر وصِنْهاجةَ بدَسيسةٍ - زَعَموا - من تَميم بن المعزِّ بنِ باديسَ صاحِبِ القَيْروان، فجَرَّ عليهمُ الهزيمةَ.

واستباحَتِ العرَبُ وزَناتةُ خزائنَ النّاصر ومَضارِبَهُ، وقُتِلَ أخوهُ القاسِم، ونَجا إلى قُسَنْطينةَ ورِياحٌ في اتِّباعِه. ثمّ لَحِق بالقَلْعة، فنازَلوها وخَرَّبوا جَنّاتِها واخْتَطَبوا[2] عُروشَها، وعاجُوا على ما هُنالِكَ من الأمْصار، مثْلَ طُبْنَةَ والمَسِيلَةِ فخرّبوها وأزْعَجوا ساكِنَها، وعَطَفوا على المنازِلِ والقُرَى والضِّياع والمُدُن، فتركوها قاعاً صَفْصَفاً أقْفَرَ من بلادِ الجِنّ، وأوْحَشَ من جَوفِ العِير، وغَوَّروا

(أ) ظ ص: أبو.

(1) تقع غرب القيروان على بعد نحو 40 كم، وإلى الشمال الغربي من سبيطلة.

(2) اقتلعوا عروشها وأطاحوا بحكامها.

المياهَ، واختَطبوا الشَجرَ، وأظهَروا في الأرْض الفَسادَ، وأحْجَروا ملوكَ إفريقيَّةَ والمَغربِ من صِنْهاجَةَ ووُلاةَ أعْمالِهم في الأمْصار، ومَلكوا / [15 أ] عليهمُ الضَّواحيَ يتَحَيَّفونَ(1) جوانِبَهم ويقعُدُونَ لهم بالمراصِد، ويأْخُذون منهمُ الإتاوةَ على التَصرُّفِ في أوْطانِهم.

ولم يَزلْ هذا دَأْبَهم حتّى [القد](أ) هَجرَ النّاصرُ بنُ عَلَنّاس سُكْنَى القَلْعةِ واختَطَّ بالسّاحِل مدينةَ بجَايةَ، ونَقَلَ إليها ذخيرَتَهُ وأعدَّها لنُزْلِه، ونزلَها المنْصُورُ ابنُه من بَعْدِهِ فِراراً من ضَيْمِ هذا الجيل وفَسادِهم بالضّواحِي إلى منَعَةِ الجِبال وتوَعُّرِ مَسالِكِها على رَواحِلِهم، واسْتَقَرّوا بها بَعْدُ وترَكوا القَلْعةَ. وكانوا يختَصّونَ الأثْبَج من هؤلاءِ الأحْياءِ بالرّئاسَةِ سائِرَ أيّامِهم، ثُمّ افترَقَ جَمْعُ الأثْبَج وذهبت - بذَهابِ صِنْهاجَةَ – دَوْلَتهُم.

ولـمّا غلَبَ الموحِّدونَ سائِرَ الدُّوَل بالمغربِ في سِنِي إحْدَى وأربعينَ وخَمْسِ مائة، وزَحَفَ شيخُ الموحِّدينَ عبدُ المؤمن إلى إفريقيَّة، وفَدَ عليهِ بالجزائرِ أميرانِ منْهم لذلك العَهْد: أبو الخَليل بنُ ساكِن، أميرُ الأثْبَج، وحَبّاسُ بنُ مُشَيْفِر(ب) من رجَالاتِ جُشَم، فتلقّاهُما بالمبرَّة، وعقَدَ لهما على قَوْمِهما، ومَضَى لوجْهِهِ وفتَحَ بجَايَةَ سنةَ تسْع وخَمْسين. ثُم انتقَضَ العَربُ الهلاليُّونَ واعْصَوْصَبوا على دَعْوةِ صِنهاجَة، وكان أميرُ رِيَاحٍ فيهم مُحرِزَ بنَ زيادِ بن فادَغ، إحْدى بُطونِ بني عليّ من رِيَاح، فلقِيَتْهم جيوشُ الموحِّدينَ

(أ) من ص (ب) في ظ: مشيفز.

(1) يتنقّصون من نواحيه.

بسَطيف وعليهم عبدُ الله بنُ عبْدِ المؤمن، فتواقَفوا ثلاثاً عَقَلوا فيها زواحِلَهم وأثْبتُوا في مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ أقدامَهم، ثُمّ انفضَّ في الرّابعةِ جَمْعُهم واسْتَلْحَمَهُم الموحِّدونَ وغَنِموا أمْوالَهم وأسَروا رِجالَهم ونِساءَهُم، واتّبعوا أدْبارَهم إلى فَحْص تَبِسّةَ، ثمّ راجَعوا من بَعْدِ ذلك بصائِرَهم واستكانوا لعزّ الموحّدينَ وغَلَبِهم، فدخَلوا في دَعْوتِهم وتَمَسّكوا بطاعَتِهم، وأطْلَقَ عبدُ المؤمن أسْراهم، ولم يَزالوا على اسْتِقامَتِهم. وكان المَوَحّدونَ يستَنْفِرونَهم في جِهادِهم بالأنْدلُس / [15 ب] ورُبّما بَعثوا إليهم في ذلك المُخاطباتِ الشِّعْريّةَ، فأجازوا معَ عَبْدِ المُؤمن ويوسُفَ ابنِه كما هُوَ في أخْبارِ دَوْلتِهم.

ولم يَزالوا على اسْتِقامَتِهم إلى أن خرَجَ على الدّولةِ بَنو غانِيَةَ المَسُوفِيّونَ أُمَراءُ مَيورْقة، أجازوا البحْرَ في أساطيلِهم إلى بِجَايةَ فكَبَسُوها سنةَ إحْدى وثمانينَ وخَمْسِ مائةٍ لأوّلِ دَوْلةِ المنْصور، وكشَفوا القِناعَ في نَقْض طاعَةِ الموحّدينَ، ودَعَوْا العربَ لها، فعادت هَيْفُ إلى أدْيانِها[(1)]، وكانتْ قَبائلُ جُشَمٍ ورِياح وجُمْهورُ الأثْبَج من هؤلاءِ الهلاليّينَ أسرعَ إجابةً إليها. ولمّا تحرّكت جيُوشُ الموحّدينَ إلى إفريقيّةَ لكَفِّ عُدْوانِهم، تحيّزَتْ قبائلُ زُغْبةَ إليْهم وكانوا في جُمْلَتِهم.

ولَحِقَ بَنو غانِيَةَ بقابِسَ ومعَهم كافّةُ جُشَمٍ ورِياح، ولَحِقَ بهم فَلُّ قَوْمِهم من مَسُوفَةَ وإخْوانِهم لَمْتونةَ من أطرافِ البِقاعِ، واسْتَمْسَكوا بالدّعْوةِ العباسِيّةِ

(1) مثل يضربُ عند تفرُّق كل إنسانٍ لشأنه أو لمن لزم عادته، والمثل: ذهبتْ هَيْفُ إلى أديانها.

الّتي كان أُمراؤُهم بنو تاشفين بالمَغْرب يتمسّكونَ(1) بها، فأقاموها فيمَن إليْهم من القَبائِل والممالِكِ ونزَلوا بقابِس، وطلَبوا من الخليفةِ ببغْدادَ المسْتَنْصرِ(2) تجديدَ العَهْدِ لهم بذلكَ، وأوْفَدوا عليهِ كاتِبَهم عَبْدَ البَرِّ بنَ فُرْسان، فعَقَدَ لابنِ غانِيَةَ وأذِنَ لهُ في حَرْبِ الموحِّدينَ، واجْتمعتْ إليه قبائلُ بني سُلَيْم بن مَنصور، وكانوا جاءوا على أثَرِ الهِلاليّينَ عنْدَ إجازَتِهم إلى إفريقيّة، وظاهَرَهُ على أمْرِه ذلكَ قَراقش الأرْمَنيُّ، ونذكرُ أخبارَهُ في أخبارِ الميُورْقي.

فاجْتَمعَ لعليّ بن غانِيةَ من الملثَّمينَ والعَربِ والغُزِّ عساكرُ جَمّةٌ، وغلَب الضَّواحِيَ وافتَتَحَ بلادَ الجريد، وملَكَ قَفْصةَ وتَوْزرَ ونَفْطَة.

ونَهَضَ إليه المنصورُ من مرّاكُش يَجُرّ أُمَمَ المغربِ من زَناتةَ والمَصامِدةِ وزُغْبَةَ من الهِلاليّينَ وجُمهورِ الأثْبَج، فأوْقَعوا بمُقدِّمتِهِ بِفَحْص عَمْرةَ من جهاتِ قَفْصة، ثُمّ زحَفَ إليهم من تونِس، فكانتْ لهُ الكَرَّةُ، وفَلَّ جُموعَهم / [116] واتَّبعَ آثارَهم إلى أنْ شرَّدَهم إلى صَحارَى بَرْقَة، وانتَزعَ بلادَ قَسْطيلِيّةَ وقابِسَ وقَفْصَةَ من أيْديهم. وراجعَتْ قبائلُ جُشَم ورِيَاحٍ من الهِلاليّينَ طاعَتَهُ، ولاذوا بدَعْوتِه، فنقَلَهم إلى المَغربِ الأقْصى، وأنْزلَ جُشَماً بلادَ تامَسْنا، ورِيَاحاً ببلادِ الهَبْط، وأزْغارَ ممّا يلي [سواحلَ](أ) طَنْجةَ إلى سَلا.

(أ) من ص، وفي ظ: بلاد.

---

(1) المرسوم الأول الّذي صدر عن الخليفة العباسي المستظهر بولاية يوسف بن تاشفين كتبه ابن الموصلايا (الرسائل ص 258) ولكنه لم يصل حيث ضُبط حامله ابن عتيق في الاسكندرية وأحرق، وجاءه العهدُ الثاني الّذي حمله أبو بكر بن العربي. ولديّ بحث دقيق عن هذه القضيّة، منذ اكتشفتُ مبكّرًا نسخةَ تلك الرسائل الفريدة في المكتبة الأحمدية بتونس سنة 1965.

(2) بل هو الخليفة الناصر لدين الله، وقد وثّق ذلك ابن الأثير في أحداث سنة 581 هـ وابن أبي عذية في إنسان العيون 137 في ترجمة يحيى بن إسحاق بن غانية.

وكانت تُخومُ بلادِ زَناتَةَ مُذْ غَلَبَهمُ الهلاليّونَ على إفريقيَّةَ وضواحيها أرضَ مصاب ما بيْنَ صَحْراءِ إفريقيَّةَ وصحراءِ المَغربِ الأوْسط، وبها قصورٌ اتّخذوها فسُمِّيتْ باسْم مَن وَلِيَ خُطَّتَها من شُعوبِهم. وكان بَنو يادينَ من زَناتَةَ وهم: بَنو عبدِ الواد وتوجّين ومصاب وبنو زردال وبنو راشِد شِيعةً للموحِّدينَ من[أ] أوّلِ دَوْلتِهم، فكانوا أقربَ إليهم من أقْتالِهم بَني مَرين وأنظارِهم كما يأتي بعدُ، وكانوا يتولَّوْنَ من أرْيافِ المَغربِ الأوْسَط وتُلولِهِ ما ليْسَ يَليهِ أحدٌ من زَناتةَ، ويَجوسونَ خلالَهُ في رِحْلةِ الصَّيْف بما لم يُؤْذَنْ لأحدٍ ممّن سِواهم في مِثْلِه، حتّى كأنّهم من جُمْلةِ عَساكرِ الموحّدينَ وحامِيَتِهم؛ وأمْرُهم إذّاك راجعٌ إلى صاحِبِ تِلِمْسانَ من سادةِ القَرابة. ونزلَ هذا الحيُّ من زُغْبَةَ معَ بني يادينَ هؤلاءِ لما اعتزلوا إخوانَهم الهلاليّينَ وتَحيَّزوا إلى فِئَتِهم، وصاروا جميعاً قِبلةَ المَغربِ الأوْسط من مصاب إلى جَبل راشِد، بعدَ أن كانَتْ قِسمتُهمُ الأُولى بقابِسَ وطرابُلُس. وكانتْ لهم حروبٌ معَ أولادِ خَزْرون أصحابِ طَرابُلُس، وقَتَلوا سعيدَ بنَ خَزْرون، فصاروا إلى هذا الوَطَن الآخَرِ لِفتْنةِ ابنِ غانِيَةَ وانْحِرافِهم عنهُ إلى الموحِّدين. وانعقَدَ ما بَيْنَهم وبَيْنَ بني يادينَ حِلْفٌ على الجِوَار والذَّبِّ عن الأوْطانِ وحِمايَتِها من مَعَرّةِ العدُوِّ في اهْتبالِ غِرَّتِها وانتهازِ الفُرْصةِ فيها. فتعاقَدوا على ذلك واجْتَوَروا[1]، وأقامتْ زُغْبَةُ في القِفار، وبَنو يادينَ بالتُّلولِ والضَّواحي.

(أ) ص: مُنذ.

(1) أصبح كل طرف منهم في عهد الآخر وأمانه وذمّته.

ثُمّ فَرّ مسعودُ بنُ سلطانٍ بن زمام أميرُ / الرِّياحيّينَ من بلادِ الهَبْط [16 ب] ولَحِقَ ببلادِ طَرابُلُس، ونزَلَ على زُغْبَةَ ودَبَابٍ من قبائِل بني سُلَيْم، ووصَلَ إلى قَراقُش برِيَاح، وحضَرَ معَهُ طرابُلُس حينَ افْتَتَحها وهَلكَ هنالِكَ، وقامَ بأمْرِه في قَوْمِه ابنُه محمّد. ولمّا استبَدَّ أبو محمّدٍ عبدُ الواحد بنُ أبي حَفْص بولايَةِ إفريقيَّة، زحَفَ إلى الميُورْقيِّ ولَقِيَهُ بالحُمَّةِ فهَزَمَهُ وقَتَلَ الكثيرَ من قَوْمِه، وأُسِرَتْ طائفةٌ من قوم محمّدِ بن مَسْعود، منهم: ابنُه عبدُ اللّه، وابنُ عمِّه حركاتُ بنُ أبي الشَّيخ بن عسَاكرَ بنِ سُلْطان، وشَيْخٌ من شُيوخ قُرَّة، فضَربَ أعْناقَهم. وفرَّ يَحْيى بنُ غانِيَةَ إلى مَسْقَطِهِ من الصَّحْراء، واسْتمَرّتْ على ذلك أحوالُ هذه القبائِل من هِلالٍ وسُلَيْم وأتْباعِها.

ونحنُ الآنَ نَذكُرُ أخْبارَهم ومصائرَ أُمورِهم، ونُعَدِّدُهم فِرْقةً فِرْقةً، ونخُصُّ منهم بالذكْرِ مَن كان لهذا العَهْدِ بحَيّهِ وناجِعَتِه، ونَطْوي ذِكْرَ منِ انقرضَ منهم.

• ونَبْدأُ بذكْرِ الأثْبَج، لتَقَدُّم رئاسَتِهم أيّامَ صِنْهاجةَ كما ذكَرْناه، ثم نُقَفّي بذكْرِ جُشَمٍ لأنّهم معْدودونَ فيهم، ثمّ نَذكرُ رِيَاحاً وزُغْبَةَ، ثمّ المَعْقِلَ، لأنّهم من عِدَادِ هِلال، ثمّ نأتي بَعْدَهم بذكْرِ سُلَيْم لأنّهم جاءوا من بَعْدِهم. واللهُ الخلّاقُ العليم.

الخبرُ عن الأَثْبَج وبُطونِهم من هلال بن عامر من هذه الطَّبقةِ الرّابعة، و[شَرْح](1) أحوالِهم ومَصائرِ أمورِهم

كان هؤلاء الأثبج -من الهلاليّين- أوفرَ عدداً وأكثرَ بُطوناً، وكان التقدّمُ لهم في جُملتِهم. وكان منهمُ: الضحّاكُ، وعِيَاضٌ، ومقدّمٌ، والعاصِمُ، ولطيفٌ، ودُرَيْدٌ، وكَرْفَةُ، وغيرُهم حَسْبَما يظهَرُ في نَسَبِهم. وفي دُرَيْدٍ بَطْنانِ: توبةُ وبَخْتَر، ويقولونَ - بزَعْمِهم - : إنّ أَثْبجَ هُو ابنُ أبي رَبيعةَ بن نَهيكِ بن هِلال، فكَرْفَةُ هُوَ ابنُ أثبج. وكان لهم جَمْعٌ وقُوّة، وكانوا أحياءً عزيزةً من جُمْلةِ / الهلاليّينَ الدّاخِلينَ لإفريقيّة، وكانتْ مَواطِنُهم جِبَالَ جَبلِ [17 أ] أَوْرَاس من شَرْقِيّه.

ولمّا استقَرَّ أمْر الأثْبج بإفريقيّةَ على غَلَبِ صِنْهاجةَ على الضّواحِي وَقَعتِ الفِتْنةُ بينَهم؛ وذلك أنّ حَسَنَ بنَ سَرْحانَ، وهُو من دُرَيْد، قتَلَ شبَانةَ بنَ الأُحَيْمَر من كَرْفَةَ غِيلةً، فطوَتْ كَرْفَةُ لهُ على النّثّ، ثمّ إنّ أُخْتَه الجازِيَةَ غاضَبتْ زَوْجَها ماضيَ بنَ مُقَرّبِ من قُرّةَ، ولَحِقتْ بأخيها، فمَنَعها منهُ، فاجْتمعَتْ قُرّةُ وكَرْفَةُ على فِتْنةِ حَسَن وقَوْمِه، وظاهَرَتْهم عِيَاض. ولم تَزَلِ الفِتْنةُ إلى أن قُتِلَ حسنُ بنُ سَرْحان، قتَلَه أولادُ شَبانةَ وثأروا منهُ بأبيهم. ثمّ كان الغَلَبُ بعدَهُ لدُرَيْدٍ على كَرْفَةَ وعِيَاضٍ وقُرّة، واستَمرّتِ الفِتْنَةُ بيْنَ هؤلاء الأثابج وافْتَرَق أمْرُهم.

(1) من ص.

وجاءتْ دَوْلةُ الموَحِّدينَ وهُم على ذلك الشَّتاتِ والفِتْنةِ. وكانتْ لبُطونِهم وَلايَةٌ لصِنْهاجَة، فلمّا ملَكَ الموحِّدونَ إفريقيَّةَ نقَلوا منْهم إلى المَغرب: العاصِمَ ومُقَدَّماً وقُرَّةَ وتوابِعَ لهم من جُشَم[أ]، وأنزَلوا جميعَهم بالمَغربِ كما نَذكُرُ. واعتَزّتْ رِياحٌ بَعْدَهم بإفريقيَّة، ومَلكوا ضَواحِيَ قُسَنْطينة، ورَجَعَ إليهم شَيخُهم مَسْعودُ بنُ زمام من المَغرب، فاعْتَزَّ الذَّواوِدَةُ على الأمَراء والدُّوَل، وساءَ أثَرُهم فيها، وغلَبوا بَقايا الأثابِج، فنَزلوا قُرَى الزّاب وقَعَدوا عن الظَّعْنِ وأوْطنوا بالقُرى والآطام[1].

ولمّا نَبَذَ بنو أبي حَفْصٍ العَهْدَ للذّواوِدَة كما يَأْتي في أخبارِهم، واسْتَجاشوا عليهم ببني سُلَيْمٍ وأنزَلوهُم القَيْرَوانَ، اصْطَنَعُوا كَرْفَةَ من بُطونِ هؤلاء الأثابج، فكانوا حَرْباً لرِياحٍ وشِيعةً للسُّلْطان، وأقْطعَتْهمُ الدّولةُ لذلكَ جِبايةَ الجانِبِ الشَّرقيِّ من جَبلِ أوْراس وكثيراً من بِلادِ الزّابِ الشَّرْقيّةِ حيثُ كانت مَجالاتُهم الشَّتويّة، حتّى إذا فَشِلَ ريحُ الدَّوْلَةِ وأخْلَقَتْ جِدَّتُها واعتَزّتْ رِياحٌ عليْها ومَلكوا المجالاتِ على مَن يَظْعَنُ فيها؛ نَزَل كَرْفَةُ هؤلاء بجَبَلِ أوْرَاس حيث إقْطاعاتُهم، وسَكَنوهُ حِلَلاً مُتَفرِّقَةً، واتّخذوه وَطَناً، ورُبَّما يظْعَنُ / بَعْضُهم إلى تُخوم الزّابِ كما نَذكُرُ عن بُطونهم. [17 ب]

وهُم بُطونٌ كثيرةٌ، فأوَّلُهم: بنو محمّدِ بن كَرْفَةَ، والمَراوِنةُ بنو كَثيرِ بن

(أ) ظ: جشم.

---

(1) جمع أُطُم، وهو الحِصن.

مَرْوانَ بن قَطَن بن كَرْفَة، وهؤلاء ظَواعِنُ باديةٌ في القِفَار. ثُمّ الحُدَيْجات، وهم أولادُ كُلَيْبِ بن [غطفة][ا] بن قَطَن بن كَرْفَة، ويُعْرَفُونَ بالكلبة[1]، وأولادُ شَبيبِ بن مُحمّدِ بن كُلَيْب، ويُعْرفونَ بالشبّة، وأولادُ [صَبيح][ب] بن فاضِل بن محمّدِ بن كُلَيْب، ويُعرَفونَ بالصَبْحَة، وأولادُ سَرْحانَ بن فاضِل أيضاً ويُعرَفونَ [بالسَّرَاجِنة][ج]. هؤلاء هُمُ الحُدَيْجات، وهُم مُوَطّنونَ بجبل أوْرَاس ممّا يَلي زابَ تَهودَا. ثُمّ أولادُ نابتِ بن فاضِل، وهم أهْلُ رِئاسَةٍ[د] في كَرْفَةَ، ولهم إقْطاعاتُ السُّلْطانِ الّتي ذكَرْناها، وهم ثلاثةُ أفْخاذٍ: أولادُ مُساعِد، وأولادُ ظافِر، وأولادُ قطيفة، والرِّئاسةُ أخصُّ بأوْلادِ مُساعِد في أوْلا[دِ] عليّ بن جابِر بن مِفْتاح بن مُساعِدِ بن نابِت.

وأمّا بَنو مُحمّدٍ والمراونَةُ فهم ظَواعِنُ جائِلةٌ في القِفَار تِلْقاءَ مَواطِنِ أولادِ نابِت، ويَكْتالونَ الحبوبَ لأقْواتِهِم من زُروعِ أهْلِ الجَبَل وأولادِ نابِت، وربّما يَسْتعمِلُهم صاحبُ الزّابِ في تَصاريفِ أمْرِه، من عَسْكَرَةٍ أو إخْفارِ عِيرٍ أو غَيْرِ ذلكَ من أغراضِه.

وأمّا دُرَيْدٌ فكانوا أعزَّ الأثْبَج وأعلاهم كَعْباً، بما كانتِ الرِّئاسَةُ على الأثْبَج كلِّهم عندَ دُخولِهم إلى إفريقيّةَ لحَسَن بن سَرْحانَ من وَبرةَ، إحْدَى بُطونِهم. وكانتْ مَواطِنُهُم ما بَيْنَ بلدِ العُنّاب إلى قُسَنْطينةَ إلى طارِفِ مَصْقَلَةَ وما يُحاذِيها من القَفْر. وكانتْ بَيْنَهم وبَيْنَ كَرْفَةَ الفِتْنَةُ الّتي هلَكَ فيها

(ا) ظ ص: عطفه (ب) من ص، وفي ظ: صبح (ج) ظ: السراجنة (د) ص: الرئاسة.

---

(1) لعلها الكلبيّة.

حَسنُ بنُ سَرْحانَ كما ذكرْناه، وقَبْرُه هنالك. وكانوا بُطوناً كثيرةً، فمنهم: أولادُ عَطِيَّةَ بن دُرَيْد، وأولادُ سرُورِ بن دُرَيْد، وأولا[دُ] جارِ اللهِ، من وَلَدِ عبدِ اللهِ بن دُرَيْد، وتَوْبةُ من وَلَدِ عبدِ الله أيضاً، وهُو: تَوْبةُ بنُ عطّافِ بن جَبْرِ ابن عطّافِ بن عبدِ الله، وكانتْ لهم بَيْنَ هِلالٍ رئاسَةٌ كبيرةٌ[أ]، ومَدَحَهم شُعَراؤهم بشِعْرٍ كثير، فمِن ذلِك قولُ بَعْضِ شُعرائهم:

/ تَـحِـنُّ إلى أوْطان صَبْرَةَ ناقَتِـي لَـكِنْ معًا جـمْـلة دُرَيـد حوازهَـا [18 أ]
دريــد سُراة البَدْو للجـودُ مَـنقع كما كـلّ أرْض مَـنْـقـع المَاء خِيارُها
وهم عَرّبوا الأعْرابَ حتّى تعرّفَتْ[ب] بـطُرْق الـمعالي مـا بـنُو في قصارُها
وتـركـوا طريـقَ البارمين[ج] ثـنيَّةْ وقـد كان ما تَـقْـوى الـمطايا مجازُها

وأمّا[د] أولادُ عطيّة، فكانت رئاسَتُهم في بَني مُبارِكِ بن حَبّاس، وكانتْ لهم تَلَّةُ ابن خَلوفٍ[هـ] من أراضي قسَنْطينَة، ثُمّ دَثَروا وتلاشَوْا وغلَبَتْهم تَوبَةُ على تَلَّةِ ابنِ خَلوف؛ زحَفوا إليها من مَواطِنِهم بطارفٍ مَصْقَلَةَ فملكوها وما إليها، ثم عَجَزوا عن رحْلةِ القَفْر وتَرَكوا الإبِل واتّخذوا الشّاءَ والبَقَرَ وصاروا في عدادِ القَبائلِ الغارِمَةِ، وربّما طالَبَهم السُّلْطانُ بالعَسْكرةِ[و] مَعَهُ فيُعَيِّنونَ له جُنْداً منهم. ورئاسَتُهم في أولادِ وَشّاح بن عَطْوةَ بن عَطِيَّةَ بن كَونَ بن فَرَجِ[ز] بن تَوْبَه، وفِي أوْلادِ مُبارك بن عابِدِ بن عَطِيَّةَ بن عَطْوَة، وهُم على ذلِكَ لهذا العَهْد.

(أ) ص: كثيرة (ب) كذا ولعلها تعربت وفي ص: تعرّفت (ج) ص: التارمين (د) ص: فأمّا (هـ) ظ: حلوف
(و) ص: العسكر (ز) ص: فرح .

ويُجاوِرُهم أولادُ سرور، وأولادُ جارِ اللّه على سَنَنِهم في ذلك.

فأمّا أولادُ وَشّاح فرئاسَتُهم لهذا العَهْدِ مُنقَسِمةٌ بَيْنَ سُحَيْم بن كَثيرِ بن جَماعةَ بن وَشّاح، وبَيْنَ أحمدَ بن خليفةَ بن رَشّاشِ بن وَشّاح.

وأمّا أولادُ مُباركِ بن عايد، فرئاسَتُهم أيضاً منقَسِمةٌ بَيْن نَجاح بن محمّدِ ابن مَنْصور بن عُبَيدِ بن مُبارَك، وعبدِ اللهِ بن أحمدَ بن عِنانِ بن مَنْصورٍ، وَرِثَها عن عَمِّه راجِح بن عِنانِ بن مَنْصور.

وأمّا أولادُ جارِ الله، فرئاسَتُهم في ولَدِ عِنانِ بن سَلام، منهم.

وأمّا العاصِمُ ومُقَدّمٌ والضَّحّاكُ وعِيّاض، فهم أولادُ مُشْرِق بن أثْبج، ولطيفٌ هُوَ ابنُ [جُنْدج][أ] بن مُشْرِق. وكان لهم عدَدٌ وقُوّةٌ بَيْنَ الأثابج، وكان العاصِمُ ومُقدّمٌ انْحرفوا عن طاعَةِ الموحّدينَ إلى ابنِ غانِيَة، فأشْخَصَهم يَعْقوبُ المنصورُ إلى المَغْرِبِ وأنْزَلهم بتامَسْنَا مع جُشَم، ويأْتي خَبَرُهم.

[18 ب] وَبقِيَتْ / عِيّاضٌ والضَّحّاكُ بمَواطِنِهم من إفريقيّة. فعِيّاضٌ نزَلوا بجَبل القَلْعةِ، قَلْعَةِ بني حَمّاد، وملكوا قبائِلَه وغلَبوهم [على أمْرِهِم][ب] وصاروا يتَوَلَّوْنَ جِبايتَهم، ولما غلَبَتْ عليهِمُ الدّولَةُ بمُظَاهَرَةِ رِيَاح، صاروا إلى المُدافَعَةِ عن تلْكَ الرّعايا وجِبايَتِهِم للسُّلطان، وسَكَنوا ذلك الجبلَ بطولِهِ من الشّرْقِ إلى الغَرْب[ج]، ما بَيْنَ ثَنِيّةِ غنيةَ[د] والقَصّابِ إلى وطَنِ بني يَزيدَ من زُغْبة.

(أ) مهملة في ص (ب) من ص (ج) ص: المشرق الى المغرب (د) ص: عنية.

فأوّلُهم ممّا يَلي غنيةَ(أ): المهايةُ، ورِئاسَتُهم في أولادِ ديفل(ب)، ومعَهم بطنٌ منهم يُقال لهمُ: الزُّبير(ج)، ويَعْدَهمُ المرتفعُ والحَرّاجُ، من بُطونِهم.

فأمّا المَرْتَفعُ فثلاثةُ بُطونٍ: أولا[دُ] تبّان، ورِئاسَتُهم في بَني محمّدِ بن موسَى، وأولادُ حنّاش، ورِئاسَتُهم في بني عبْدِ السّلام، وأولا[دُ] عَنْدوس، ورِئاسَتُهم في بَني صالحٍ. ويُدعَى(د) أولادُ حَنّاشٍ وأولا[دُ] تبّان جَميعاً أولا[دَ] حبّاس(هـ).

وأمّا الحَرّاجُ فرِئاسَتُهم في أولادِ زائدة لبني عبّاس بن خُضَيْر، ويجاوِرُ الحَرّاجَ من جانِبِ الغَرْبِ أولادُ صَخْرٍ وأولادُ رَحْمةَ من بُطونِ عِيَاض، وهم مجاوِرُونَ لبَني يَزيدَ من زُغْبَةَ في آخِرِ وَطَن الأثابِج من الهِلاليّين.

وأمّا الضَّحّاكُ فكانوا بُطوناً كثيرةً، وكانَتْ رِئاسَتُهم مُفْترِقةً بيْنَ أميرَيْنِ منهم، وهما: أبو عَطيّةَ، وكلبُ بنُ مَنيع، وغَلَبَ كَلْبٌ أبا عَطِيّةَ على رِئاسَةِ [قَبيلِهما](و) لأوّلِ دَوْلَةِ الموحِّدينَ، فارْتَحَل - فيما زَعَموا - إلى المَغرب وسَكَنَ صحراءَ سِجِلْماسَةَ، وكانتْ لهُ فيها آثارٌ، حتّى قتلَهُ الموحِّدونَ أو غَرَّبوهُ إلى الأنْدَلُس، هكذا يَنْقُلُ أصحابُ أخْبارِهم، وبقِيَ نَجْعُهم بالزّاب حتّى غَلَبَ مسعودُ بنُ زمام والذَّواوِدَةُ عليهم وأصاروهم في جُمْلَتِهم، ثمّ عَجَزوا عن [الظَّعْنِ](ز) ونَزلوا بلادَ الزّابِ، واتّخَذُوا بها المَدَرَ، فهُمْ على ذلك لهذا(ح) العَهْد.

(أ) ص: عنية (ب) ص: بفل (ج) ص: الزنين (د) ص: تدعى (هـ) كذا ولعله: حنّاش (و) من ص وفي ظ: قبلها (ز) من ف وفي ظ: الطّعن (ح) ص: بهذا .

وأمّا لطيفٌ فهُم بُطونٌ كثيرةٌ، منهم: [اليتامَى](أ)، وهم ولَدُ كَنْسلان بن خليفة بن لَطيف، بَيْنَ ذَوي مُطرّف وذَوي بُو الخَليل وذَوي جَلال بن مُعافَى. ومنهم: اللُّقّامنَة، أولادُ لُقْمانَ بن خَليفةَ بن لَطيف. / ومنهم: أولا[دُ] [19أ] حُرَيْز من علْوان بن محمّدِ بن لُقْمان، وبراز بنُ مَعْن بن محيَا بن جُرَيّ بن علْوان. وجَبرٌ يَزْعُمون أنّهم من محيَا بن جُرَيّ، ومُزْنَةُ من دَيْفَل بن محيَا، وإليهِ يَرْجعُ نسبُ بَني [مُزْني](ب) الوُلاةِ بالزّاب لهذا العَهْد.

وكانت للطيفِ هؤلاءِ كثرةٌ ونُجْعَةٌ، ثم عَجَزوا عن الظّعْن و[غلَبَهم](ج) على الضَّواحي الذّواوِدةُ مِن بَعْدِهم لَـمّا فُلَّ جمعُهم وافْتَرقَ مَلَؤُهم وصار إلى المَغْربِ مَن صارَ منهم من جُمْهورِ الأثْبَج، فاهْتُضِموا[1] وَ[غَلَبَهم](د) رِياحٌ والذّواوِدَة، فنَزلوا بلادَ الزّابِ واتّخذوا بها الآطامَ والـمَدَرَ، مثْلَ: الدّرسْن(هـ) وغَرّبِيوا(هـ) وتَهودَةَ وتَنومةَ(هـ) وبادِس. وهم لهذا العَهْدِ من جُمْلةِ الرّعايا الغارِمَةِ لأمـيرِ الزّاب، ولهم عَـنْجَـهيّةٌ منذُ رِئاسَتِهمُ القديمةِ لم يُفارقوها، وهم على ذلك لهذا العَهْد. وبينَهم في قُصورِهم بالزّاب فِتَنٌ متصلةٌ بيْنَ المتجاورينَ منهم وحروبٌ وقَتْل، وعاملُ الزّابِ يَدْرَأُ بعضاً ببَعْضٍ ويَسْتَوْفي جِبايَتَهُ منهم جَميعاً، واللهُ خيرُ الوَارِثين.

(أ) من ص، ظ: اليتمى (ب) ص ظ: مزي، ولا تصح النسبة هكذا، فضبطناها على القياس. وانظر الورقة 29ب، 30أ وذكر بني مزني عمّال الزاب (ج) من ص، ظ: علبتهم (د) من ص، في ظ: عليهم (هـ) كذا رسمت وضبطت في ظ.

(1) اهتُضِموا: ظُلموا وغُصِبوا وكُسِر عليهم حقُّهم.

ويَلحَقُ بهؤلاءِ الأثبَج: العُمور[أ]، ويَغلِبُ على الظنّ أنّهم من عَمْرِو بن عبْدِ مَنَاف بن هِلال، إخوةِ قُرّةَ بن عَبْدِ مَناف، ولَيْسوا من عَمْرِو بن أبي رَبيعةَ بن نَهيكِ بن هِلال، لأنّ رِياحاً وزُغبةَ والأثبَج[ب] من أبي رَبيعة، ولا نجِدُ بَيْنَهم انتماءً بالجملة، ونجدُ بَيْنَهم وبَيْنَ قُرّةَ وغيرِهم من بُطونِ هِلالٍ الانتماءَ، فدَلَّ على أنّهم لعَمْرِو بن عَبْدِ مَناف، أو يكونونَ من عَمْرِو بن رُوَيْبَةَ ابن عبدِ الله بن هِلالٍ وكلُّهم معروفٌ.ذكَرَهُ ابنُ الكَلْبيّ[1] واللهُ أعلمُ بذلك.

وهم بَطْنان: مُرّةُ، وعَبْدُ الله، وليسَ لهم رِئاسةٌ على أحدٍ من هِلالٍ ولا ناجِعَةٌ تظْعَنُ، لقلّتِهم وافْتراقِ مَلَئِهم، إنّما هم ساكِنونَ بالضَواحي والجِبال، وفيهِمُ الفُرْسان، وأكثرُهم رَجْلٌ، ومَوْطِنُهم[ج] ما بَيْنَ جَبَل أوْرَاس شرْقاً إلى جبلِ راشِد وكسال[د]. كلُّ ذلك من ناحيةِ الحُضْنَةِ[هـ] والصّحراء. وأمّا التُّلولُ / فَهُم مَدْفوعونَ عنها بِقلّتِهم وخَوْفِهم من حامِيةِ الدُّول، فتَجدهُم أقْربَ إلى مَواطنِ القَفْرِ والجَدْب. [19 ب]

فأمّا بنو مُرّةَ، منهم، فبَطْنٌ متّسعٌ، إلاّ أنّهم مفرّقونَ[و] في القبائل والمَدَر وُحْداناً. وبنو عبدِ الله، منهم، محَلُّ رِئاسَةٍ فيهم؛ وهُوَ: عبدُ اللّه بنُ عليّ، وبَنوهُ محمّدٌ وماضي، بَطْنان. ووَلَدَ محمّدٍ: عِنانٌ وعزيز، بَطْنان. ووَلَدَ عِنان: شُكْرٌ وفارِسٌ، بطنان. ومن وَلَدِ شُكْرٍ أولادُ محيّا بن سَعيدِ بن سُبيطِ

(أ) ص: المعمور (ب) ص: بن (ج) ص: مواطنهم (د) كذا مهملة في ظ، وفي ص: كِلان، وجبل كسال مُطل على مدينة البيض بالغرب الجزائري. انظر الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث 2: 198 (هـ) ص: الحضينة (و) ص: مفترقون.

(1) لم نقف عليه في أعمال ابن الكلبي المطبوعة.

ابن شُكْر، بَطْنٌ. وأولادُ زِكْريز بن صُبَيْح [بن شُكْر بطنٌ أيضًا. فأمّا أولاد فارس وأولادُ عزيز وأولاد ماضي][أ] فَموطنُهم بسَفْح جَبَل أوْرَاس المُطِلِّ على بِسْكِرةَ قاعِدةِ الزّاب، مُتّصلِينَ كذلكَ غَرْباً إلى مَواطِن غُمْرَة[ب]، وهُم في جِوار رِيَاحٍ وتحتَ أيْديهم وخَوَلٌ لأولادِ محمّد، خصوصاً من الذَّواوِدَة المتَوَلِّينَ مَوْطنَهم بالمجال. ولصاحِبِ الزّابِ عليهم طاعةٌ، لقُرْبِ جِوارِهِ وحاجَتِهم إلى سُلْطانِه، فيُصَرِّفُهم لذلك في حاجاتِه متى عَنّتْ، من إخْفارِ العِير ومُنازَلةِ مَدَرِ الزّاب معَ رَجْلِهِ وغَيْرِ ذلك.

وأمّا أولادُ شُكْر، وهُم أكبرُ رئاسةً فيهم، فنَزلوا جَبَلَ راشِد، وكانوا فريقَيْنِ كما ذكَرْناهُ، وافْتَتَنوا واحْتَرَبوا، وغلَبَ أولادُ محيَا بن سَعيدٍ منهم أولادَ زِكْرير، ودَفَعوهم عن جَبَلِ راشِد، فصاروا إلى جَبَلِ كسال[ج] مُحاذِيه من ناحِيةِ الغَرْب، وأوْطنوهُ، واتّصلتْ فِتْنَتُهم معَهم على الأيّام، واقْتَسَمَتْهم[د] رِجالُ زُغْبَةَ باقْتسام المَواطِن، فصارَ أولادُ محيَا أهلُ جبلِ راشِدٍ في إيَالَةِ سُوَيْدٍ من زُغْبَةَ وأحْلافًا لهم، وأولادُ زِكْريرَ أهلُ جَبلِ كسال في إيَالةِ بَني عامِرٍ وأحْلافاً لهم. ورُبّما يقتسِمونَ باديَةَ زُغْبَةَ من النّضْرِ[هـ] أحْلافاً لهم في فِتْنَتِهم، كما تَذكرُ في [أخبار][و] زُغْبَةَ. وكان شيخُ أولادِ محيَا فيما قَرُبَ من عَهْدِنا عامرَ بنَ بويَحيى بن محيَا، وكان لهم فيهم ذِكْرٌ وشُهْرَةٌ، وكان يَنتحِلُ العبادةَ، وحَجَّ ولقِيَ بمصْرَ شيخَ الصّوفيّةِ لعَصْرِهِ

(أ) من ص (ب) ص: غمره (ج) تقدم، وفي ص: كسان (د) ص: اقتسمت (هـ) ص: النصر (و) من ص، وفي ظ: أحلاف .

يوسُف الكُورَانيّ[1] وأخَذَ عنهُ، ولَقِنَ طُرُقَ هِدايَتِه، ورجَعَ إلى قَوْمِه وحَمَلَهم على طَرِيقِهِ[أ] ونِحْلَتِه، فاتّبعَه الكثيرُ منهم، وغَزا المُفْسدينَ / من باديةِ النَّضْر [120]
في جِوارِه، وجاهَدَهم، إلى أنِ اغتالوهُ بعضَ الأيّامِ في الصَّيْدِ فقتَلوه.

وكان شيخُ أولادِ زِكْرِيرَ يَغْمورَ بنَ موسى بن بوزيد بن زِكْرير، وكان يُسامي عامراً ويُناهِضُه في شَرفِه، إلاّ أنّ عامِراً كان أسْوَدَ منهُ بنِحْلَةِ العِبادة. واللهُ مُصرِّفُ الخَلْقِ والأمْر[ب].

(أ) ص: طريقته (ب) ص: الأمور والخلق.

---

(1) هو يوسف بن عبد الله بن عمر الكردي الكوراني، وفاته بمصر سنة 768 هـ/ 1367 م. الدرر الكامنة 4: 463.

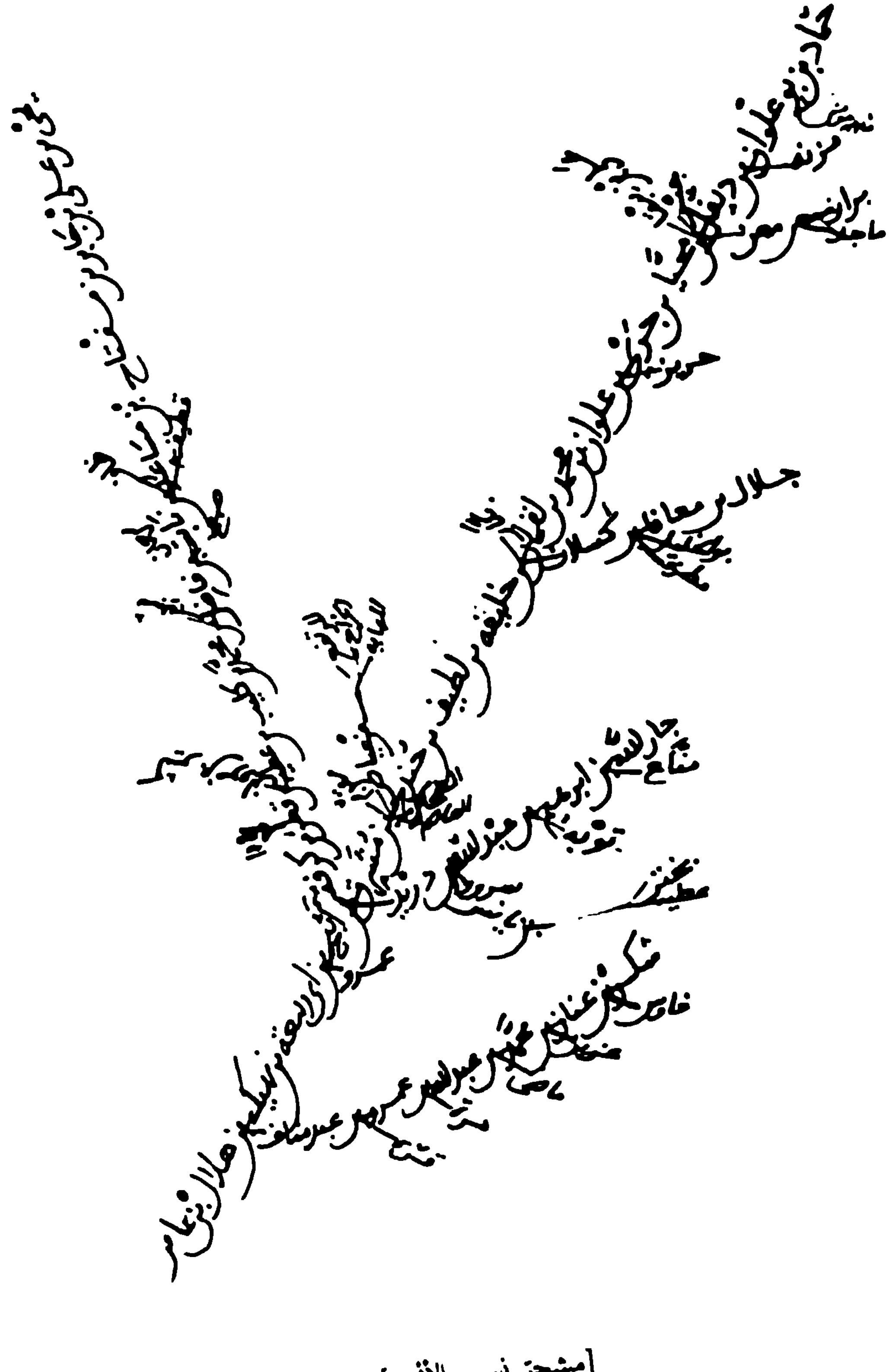

[مشجر نسب الأثبج]

• /الخبرُ عن جُشَمٍ(أ) المُوطَّنِينَ بِبَسائِطِ المَغْرِب، وبُطونِهِم من هذه الطَّبقة [20 ب]

هؤلاءِ الأحياءُ بالمَغربِ لهذا العَهْد، فيهم بُطونٌ من قُرَّةَ والعاصِم ومُقدَّمٍ والأثْبجِ وجُشَمٍ والخلط[1]، وغلَبَ عليهم جَميعاً اسمُ جُشَم فعُرِفوا به. وهُوَ: جُشَمُ بنُ مُعاوِيَةَ بن بَكْرِ بن هَوازن.

وكان أصلُ دُخولِهم إلى المغربِ أنّ المَوَحِّدينَ لـمّا غلَبوا على إفريقيَّة أذْعَنَتْ لهم هؤلاءِ القبائلُ من العَرَبِ طَوْعاً وكراهِيَة، ثمّ كانتْ فِتْنَةُ ابنِ غانيَةَ، فأجْلَبوا[2] فيها وانحرَفوا عن المَوَحِّدينَ، ثُمّ راجَعوا الطّاعةَ لعَهْدِ المنْصُور، فنَقَلَ جُمهورَ هؤلاءِ القبائِل إلى المَغرِبِ ممّن لهُ كثْرةٌ وشَوْكةٌ وظواعِنُ ناجِعة؛ فنَقَلَ العاصِمَ ومُقَدَّماً من بُطونِ الأثْبَج، ومعَهم بُطونٌ، ونقَلَ جُشَمًا هؤلاءِ الّذين غلَبَ اسمُهم على من مَعَهم من الأحْياء، وأنزلَهم تامَسْنَا. ونقَلَ رِيَاحاً وأنْزلَهم الهَبْط، فنَزلَ جُشَمٌ بِتامَسْنَا البَسيطَ الأفْيَحَ ما بَيْنَ سَلا ومرّاكُش، أوْسطَ بلادِ المَغربِ الأقْصى وأبعدَها عن الثَّنايا المُفْضِيَةِ إلى القِفَار، لإحاطَةِ جَبَلِ دَرَنْ بها وشموخِهِ بأنْفِه حِذاءَها ووشوجِ أعْراقِه حَجْراً عليها. فلم يَنْتجِعوا بعْدَها قَفراً، ولا أبْعَدوا رِحْلةً، وأقاموا

(أ) كذا ضبطت في ص.

---

(1) قبائل المغرب 1: 420.

(2) أجلَبُوا: تجمعوا من كلّ وَجْهٍ للحرب.

بها حَيّاً حُلولاً، وافتَرَقَتْ شعوبُهم بالمغربِ إلى الخلط وسُفيانَ وبَني جابِر، وكانتِ الرِّئاسةُ لسفيانَ من بَيْنِهم في أولادِ جرمونَ سائرَ أيّامِ الموحِّدينَ.

ولما وَهَنَ أمرُ بَني عبدِ المُؤْمن وفَشِلَ ريحُهم، استَكْثَروا بجُموعِهم، فكانتْ لهم سَوْرةُ غَلَبٍ واعْتزازٍ على الدَّوْلةِ بكثْرتِهم وقُرْبِ عَهْدِهم بالبَداوة، وضَرَبوا بَيْنَ الأَعْياص، وظاهَروا الخِلافةَ بمرّاكُش وظاهَروا علَيْها، وساءَتْ آثارُهم في البَغْيِ. ولما اقْتَحم بَنو مَرِينَ بلادَ المَغْربِ على المَوَحِّدين ومَلكوا فاسَ وقَرْيَتَيْها لم تكنْ بهِ حاميةٌ أشدَّ بأساً منهم ومِن رِياح، لقُرْبِ العَهْدِ بالبَداوةِ كما قُلْناهُ، / فكانتْ لهم معَهم وَقائعُ وحروبٌ اسْتَلْحَمَهم فيها بَنو مَرِينَ إلى أن حُقَّ الغَلَبُ، واسْتكانوا لعزِّ بَني مَرِين وصَوْلَتِهم، وأَعْطَوْهم صَفْقَةَ الطّاعة. وأَصْهَرَ بَنو مَرِين إلى الخلط منهم في بَيْتِ بني مُهَلْهِل، فكان من جُمْلَةِ بني مَرِينَ، وكانتْ لهمُ الخُؤُولة للمُلْك، واستَقَرَّتْ رِئاسةُ جُشَمٍ وكثْرتُهم في الخلط منْهم في بَيْتِ مهَلْهِل بعدَ أن كانتْ على عَهْد المَوَحِّدينَ في سُفيان.

ثُمّ ضَربتِ الأيّامُ ضَربانَها[1] فأخْلَقَتْ جِدَّتَهم وفَشِلَ ريحُهم، ونَسُوا عهْدَ البَداوَةِ والنّاجِعة، وصاروا في عِدادِ القَبائل الغارِمةِ للجِبايَةِ والعَسْكَرة مَعَ السّلْطان.

ولنَذْكُرِ الآنَ فِرَقَهُم الأربعَ، وأخبارَ كلِّ واحدةٍ منها، ونُحقِّقِ الكلامَ في أنْسابِهم، فليستْ راجِعةً إلى جُشَم على ما يَتَبَيّنُ، ولكنَّ الشّهرةَ بهذا النَّسَبِ متّصلةٌ، واللهُ أعلَمُ بحقائِق الأُمور.

(أ) ص: ضَربانَها.

• سُفيانُ من جُشَم

هذه القَبائلُ مَعْدودةٌ في جُشَم، وجُشَمٌ المعهودُ هو: جُشَمُ بنُ مُعاويةَ ابن بَكْر بن هَوازِن[1]، أو لعَلّه: جُشَمٌ آخَرُ من غَيْرِها وَلاءً. وكان شَيْخُهم المشهورُ لعَهْدِ المأْمونِ وبَنيهِ جَرْمونَ بنَ عيسى؛ ونَسَبُهُ - فيما يَزْعمُ بعضُ المؤرِّخينَ لأيّامِ الموحِّدينَ - في بَني قُرَّة، وكان بَيْنَهم وبَيْنَ الخلط فتَنٌ طويلةٌ. وكان الخلط شِيعةً للمَأْمونِ وَبنيهِ، فصار سُفْيانُ لذلكَ شِيعةً ليَحْيى بن النّاصرِ مُنازِعِهِ في الـخِلافةِ بـمَرّاكُش، ثُمّ قَتَلَ الرّشيدُ مَسْعودَ بن حميدانَ شيْخَ الخلط كما نَذكُرُ بَعْدُ، فصَاروا إلى يَحْيى بن النّاصر، وصارَتْ سُفيانُ إلى الرّشيدِ. ثُمّ ظَهَرَ بنو مَرِينَ بالـمَغرب، واتّصلَتْ حُروبُهم معَ المَوَحِّدينَ، ونَزَعَ جرمونُ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ عن الرّشيد، ولَحِقَ بمحمّدِ بنِ عَبْد الحقّ أميرِ بَني مَرين، حَيَاءً مِمّا وَقَع لهُ معَه؛ وذلكَ أنّه نادَمَهُ ذاتَ ليلةٍ حتّى سَكِرَ، وحمَلَ عليهِ وهُو سَكرانُ أنْ يَـرْقُصَ، فـرَقَصَ طَـرَباً ثُـمّ أفاقَ فنَدِمَ وفَـرَّ إلى محمّدِ بن عبدِ الحقّ، وكان ذلك سنةَ ثمانٍ وثَلاثينَ وستِّ مائة، وهَلَكَ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ بَعْدَها.

وعلاَ كعبُ كانون أبيه / من بَعْدِه عنْدَ السّعيد، وخالَفَ عليهِ عنْدَ [21 ب] نُهوضِه إلى بَني مَرِينَ سنةَ ثلاثٍ وأربعين، ورَجَع إلى آزمور فملَكَها، وفتَّ ذلك في عَضُدِ السّعيد، فرجَعَ عن حَرَكتِه وقَصَدَ كانونَ بنَ جرمون، ففَرَّ

(1) ابن حزم: الجمهرة 270- .

أمامَهُ وحضَرَ حركَتَهُ إلى تيـمْزِيزْدَكـت[أ]، وقُتِل قبلَ مَهْلِكِه بيَوْمٍ، قَتَلَه الخلط في فِتْنَةٍ وقَعَتْ بينَهم بمحلّةِ السّعيد، وهِيَ الّتي جرَتْ عليها[ب] تلك الوَاقعةُ. وقام بأمْرِ سُفيانَ من بَعْدِه أخوهُ يَعْقوبُ بنُ جرْمون، وقُتِلَ محمّدٌ ابنُ أخيه كانون، وقامَ بأمْرِ سُفيانَ، وحضَرَ معَ المُرتضَى حرَكَةَ آمانْ ايمَلُولَن[ج] سنةَ تسعٍ وأرْبعينَ، فرحَلَ عن السّلْطان، واخْتَلَّ عسكرُهُ ورجَع، فاتّبعَهُ بنو مَرِينَ وكانتِ الهزيمة. ثُمّ راجَعَ المُرْتَضَى وعفَا لهُ عنها، ثُمّ قَتَلَهُ سنةَ تسعٍ وخمسينَ مَسْعودٌ وعليٌّ ابنا أخيهِ كانونَ بثأْرِ أبيهما ولَحِقا بيَعْقوبَ بن عَبْدِ الحقّ سُلطان بَني مَرِين، وقدَّمَ المُرْتَضَى ابنَهُ عبدَ الرّحمن، فعجَزَ عن القِيام بأمْرِه، فَقَدَّمَ عَمَّه عُبَيدَ الله بنَ جَرْمون فعَجَز، فقَدَّمَ مسْعودَ بنَ كانون. ولَحِقَ عبدُ الرّحمن ببني مَرِينَ، ثُمّ تقَبّضَ المُرْتَضى على يَعْقوبَ [بن][د] قَيْطون شيخ بَني جابِر، وقَدَّم عِوَضاً منهُ يَعْقوبَ بنَ كانونَ السُّفيانيّ، ثُمّ راجعَ عبدَ الرّحمن بن يَعْقوبَ سنةَ أربعٍ وخَمْسينَ، فتُقُبِّضَ عليْهِ واعْتُقِل؛ وأقامَ مسعودَ بنُ كانونَ شيخاً على سُفيان. وكان [الابنَيْ][هـ] عَمّهِ معَهُ ظهورٌ، وهُمَا: حَطُّوشٌ وعِيسى ابنا يَعْقوبَ بن جَرْمون، ونزَعَ مسعودٌ عن يَعْقوبَ بن عبدِ الحقِّ ولَحِق بهَسْكُورَة، وشَبَّ نارَ الفتْنةِ والحَرْب. وأُقيمَ حَطُّوش بنُ يعقوبَ مُقامَه إلى أنْ هَلَكَ سنةَ تسعٍ وسِتّين. فوَلِيَ مكانَه أخوهُ عيسى، وهلَكَ مسعودٌ بهَسْكُورَةَ سنةَ ثمانين. ولَحِقَ ابنُه منصُورُ بنُ مَسْعودٍ بالسّكْسيوي إلى أن راجَعَ الخدمةَ أيّامَ يوسُفَ بن يَعْقوبَ، ووفَدَ عليهِ

(أ) ص: تامْزَزْدكـت (ب) في ظ: عليه (ج) ص: أيملولين (د) من ص، وفي ظ: من (هـ) من ص. ظ: لابن.

[بعَسْكرِه][أ] من حِصَارِ تِلِمْسَانَ سنةَ ستٍّ وسَبْعِ مائة، فتقبَّلَهُ. واتَّصلَتِ الرِّئاسةُ على سُفيانَ في بني جَرْمونَ هؤلاء إلى عَهْدِنا. وأدركتُ شيخاً عليهم لعَهْدِ السُّلطانِ أبي / عنانٍ يعقوبَ بن عليِّ بن مَنصورِ بن عيسَى بن يَعْقوبَ [122 ا] ابن جَرْمونَ بن عيسَى[ب].

وكان سُفيانُ هؤلاءِ حَيّاً حُلُولاً بأطْرافِ تَامَسْنَا مِمّا يلي أنْفا، وملَكَ بَسائِطَها الفَسيحةَ عليهم الخلط، وبَقِيَ من أحيائهم الحارِثُ والكلابيّةُ يَنْتجِعون أرضَ السُّوس وقِفَارَهُ ويَطؤُونَ ضواحِيَ بلادِ حاحةَ[ج] من المَصامِدَة، فبَقِيتْ فيهم لذلكَ بَأْسٌ وشِدّةٌ، ورِئاسَتُهم في أوْلادِ مُطاع من الحارث.

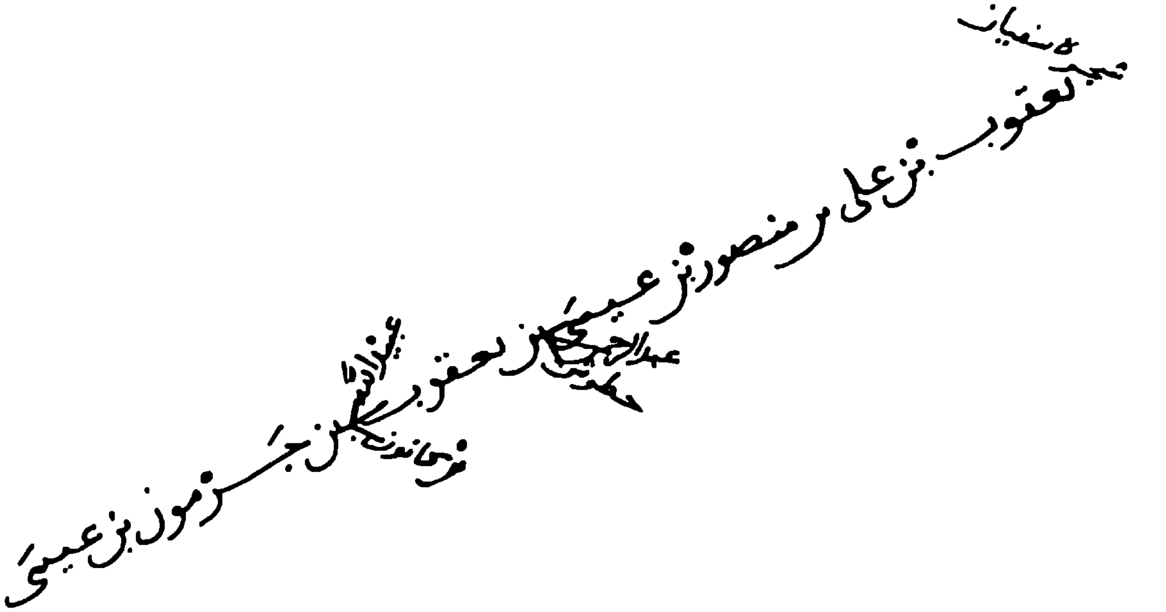

[مشجر ذوي جرمون بن عيسى، من سفيان من جشم]

(أ) من ص. وفي ظ: بمعسكره (ب) ص: بن جرمون بن كانون، وعليها علامة إلغاء (ج) ظ: حاجة والتصويب من ص.

وطالَ عَيْثُهم في ضَواحي مرّاكُش وإفسادُهم. فلمّا استبدَّ بسُلْطانِ مرّاكُش الأميرُ عبدُ الرّحمن بنُ بويَفَلُّوسِنْ على ابن السّلطان أبي عليّ سنةَ ستٍّ وسَبْعينَ وسَبْعِ مائةٍ كما نَذكُرُ، استَخْلَصهم، ورَفَع منْزِلَتهم، واستَقْدَمَهم بعضَ أيّامِهِ للعَرْض بفُرْسانِهم ورَجْلِهِم على العادَة، وشيخُهم منصورُ بنُ يَعيشَ من أولادِ مُطاع، فتَقَبَّضَ عليهم أجمعينَ، وقَتَلَ من قَتلَ منهم وأَوْدعَ الآخَرينَ سُجونَه، فذَهبوا مَثَلاً في الأيّام وخُضِدَتْ شَوْكتُهم. واللهُ قادرٌ على ما يشاءُ.

• الخِلْط[1] من جُشَم

هذا القَبِيلُ يُعرَفونَ بالخلط، وهم في عِدَاد جُشَم هؤلاءِ، لكنَّ المعروفَ أنّ الخلط بَنو المُنْتَفِق بن عامر بن عُقَيْل بن كَعْب من رَبيعَةَ بن عامِر[2]، وكان بَنو عُقَيْلٍ بن كَعْب كلُّهم شِيعةً للقَرامِطةِ بالبَحْرين. ولمّا ضَعُفَ أمرُ القرامِطَةِ استَوْلَى بَنو سُلَيْم على البَحْرَيْنِ بدَعْوةِ الشّيعةِ. ثُمّ غلَبَهم عليها بَنو أبي الحُسَيْنِ من بُطونِ تغْلِبَ بالدّعْوةِ العبّاسيّة، فارْتَحلَ بَنو سُلَيْم وبنو المُنْتَفِقِ هؤلاءِ المُسَمَّوْنَ بالخلط إلى إفريقيّة، وبقِيَ سائرُ بَني عُقَيْلٍ بنَواحي البَحْرَيْنِ إلى أن غَلَبَ منهم على التَّغْلِبيّينَ بَنو عامِر بن عَوْفِ

(1) ابن حزم: الجمهرة 390.

(2) من معاني الخلط، بكسر الخاء ولام ساكنة، اختلافُ النّسب، ولم نتأكّد من ضبط صيغة التّسمية، مع أنها جاءت مرّة بهذا الضّبط في نسخة ص. ورأينا من الأفضل إغفالَ شكلها في هذا الجزء.

ابن مالكِ بن عَوْفِ بن عامِرِ بن عُقَيْلٍ إخوةُ الخلط هؤلاء، لكنّهم بالـمَغْرب مَنْسوبونَ إلى جُشَمٍ تَخْليطاً في النّسَب مِمَّن يُحَقِّقُهُ(أ) من العَوامّ.

ولما أدْخَلَهم المنصورُ إلى المَغْرب كما قُلْناهُ، واستَقَرّوا ببسائِط تامَسْنا، وكانوا أُولي عَدَدٍ وقُوّة، وكان شيخُهم هِلالُ بنُ حميدان / بن مُقدَّم بن محمّدِ [22 ب] ابن هُبَيْرَةَ بن عَوّاج، لا نَعْرِفُ(ب) مِن نَسبِهِ أكثرَ من هذا. فلمّا وَلِيَ العادلُ ابنُ المنصور، خالَفوا عليهِ وهَزَموا عساكِرَهُ، وبعَثَ هلالٌ ببَيْعتِه إلى المأمونِ، سنةَ خمْسٍ وعشرين، واتّبعَهُ الـموَحِّدُونَ في ذلك. وجاءَ المأمونُ وظاهَروهُ على أمْرِه، وتحيّزَ أعدَاؤُهم سُفيانُ إلى يَحْيى بن النّاصِر مُنازِعِهِ، ولم يَزَلْ هِلالٌ معَ المأمونِ إلى أنْ هلَكَ في حَرَكَةِ سَبْتَةَ وبايَعَ بَعْدَهُ لابْنِهِ الرّشيد، وجاءَ به إلى مرّاكُش وهزَمَ سُفْيانَ واسْتَباحَهم.

ثُمّ هَلَكَ هلالٌ، ووَلِيَ أخوهُ مَسْعود، وخالَفَ على الرّشيدِ عُمَرُ بنُ أُوقّارِيط شيخُ الهَساكِرةِ من المَوَحِّدينَ، وكان صَديقاً لمسْعودِ بن حميدان، فأغْرَاهُ بالخلافِ على السُّلْطان فخالَفَ، وحاولَ علَيْهِ الرّشيدُ، حتّى قَدِمَ عليه بمَرّاكُش وقَتَلَه في طائفةٍ من قَوْمِهِ سنةَ ثِنْتَيْنِ وثلاثين.

ووَلِيَ أمرَ الخلط بعدَهُ يَحْيى ابنُ أخيه هِلال، وتحيّزَ بقَوْمِه إلى يَحْيى بن النّاصر، وحاصَروا مرّاكُش ومعَهم ابن أُوقّارِيط، وخَرجَ الرّشيدُ إلى سِجِلْماسَة، واستَوْلَوا على مُرّاكُش وعاثوا فيها، ثُمّ جاءَ الرّشيدُ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وغَلَبَهم علَيْها. ولَحِقَ ابنُ أُوقّارِيطَ بالأنْدلُس وافِداً على ابنِ هودٍ ببَيْعَةِ الخلط،

(أ) ص: يحقه   (ب) ص: يُعرف.

وعَلِموا أنّها حيلةٌ منَ ابن أوقّاريط، وأنّه تخَلّصَ من الوَرْطة، فطَرَدُوا عنهم يَحْيى بنَ النّاصِر إلى المَعْقِل، وراجَعوا الرّشيدَ فتَقَبّضَ على عليّ ووَشّاحٍ ابنَيْ هِلال وسَجنَهم بآزَمُّورَ سنةَ خَمْسٍ وثلاثين، ثُمّ أطْلَقَهم، ثُمّ غدَرَ بعدَ ذلك بمَشْيَختِهم بَعْدَ الاسْتدعاءِ والتّأْنيس، وقَتَلَهم جميعاً معَ عُمَرَ بنِ أوقّاريط؛ وكان أهلُ إشبيلِيَةَ قد بَعَثوا بهِ إلَيه، ثُمّ حَضَروا معَ السّعيدِ في حَرَكَتهِ إلى بَني عبدِ الواد، وجَرُّوا عليه الواقعةَ الّتي قُتِلَ فيها [بَقيّتُهم][أ] معَ سُفيانَ يومئذٍ، فلمْ يَزَلِ المُرتضَى يُعْمِلُ الحيلةَ فيهم إلى أن تَقَبّضَ على أشْياخِهم سنة ثِنْتَيْنِ وخَمْسينَ وقَتَلَهم.

وَلحِقَ عَوّاجُ بنُ هِلالٍ ببَني مَرِين، وقَدّم المرتَضَى عليهم عليَّ بنَ أبي[ب] عليّ من بَيْت الرّئاسَةِ فيهم.

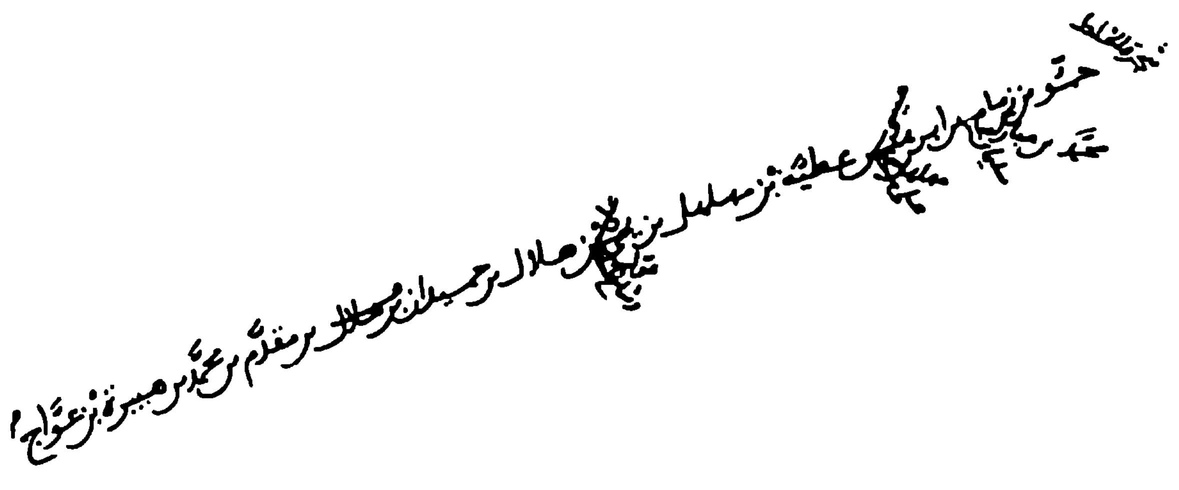

[نسب بني هُبَيْرة بن عَوّاج، من الخلط من جُشَم]

(أ) من ص. ظ: بفضتتهم (ب) ظ: أبو.

[123] / ثُمّ رجَعَ عَوّاجٌ سنةَ أربعٍ وخمسينَ وأغزاهُ عليُّ بنُ أبي[أ] عليٍّ فقُتِلَ في غَزَواتِه. ثُمّ كانتْ واقعةُ أمّ الرَّجلَيْنِ على المُرتَضى سنةَ سِتّينَ، فرجَعَ عليُّ ابن بو عليّ إلى بَني مَرين، ثُمّ صارَ الخلط كلُّهم إلى بَني مَرين.

وكانتِ الرِّئاسَةُ فيهم لأوّلِ سُلْطانِ بَني مَرينَ لمهَلْهِل بن يَحْيى بن مُقَدَّم، وأصْهَرَ إليه يَعْقوبُ بنُ عبدِ الحقِّ فأنْكَحَهُ ابنَتَهُ الّتي كان منها[ابنُه][ب] السُّلْطانُ أبو سَعيد. ولم يَزَلْ مُهَلْهِلٌ عليهم إلى أن هَلَكَ سنةَ خمسٍ وتِسْعين. ثُمّ ابنُهُ عطيّةُ، وكان لعَهْدِ السّلطانِ أبي سعيد وابنِهِ أبي الحسَن، وبَعَثَهُ سَفيراً إلى سُلْطانِ مِصْرَ المَلِكِ النّاصِر. ولمّا هلَكَ قام بأمْرِهِ أخوهُ عيسَى بنُ عَطيّة، ثُمّ أخوهُ عليُّ بن عَطيّةَ، ثُمّ ابنُ أخيهِما زمامُ بنُ إبراهيمَ بن عَطيّة، وبلَغَ المبالِغَ من العِزِّ والتَّرفِ والدّالَّةِ على السُّلْطانِ والقُرْبِ من مَجْلِسِه إلى أن هَلَكَ، فوَلِيَ أمرَهُ ابنُه حَمّو بنُ إبراهيم، ثُمّ أخوهُ سُلَيْمانُ بنُ إبراهيم، ثُمّ أخوهُما مُباركٌ على مِثْلِ حالِهِم أيّامَ السُّلطان أبي عِنانٍ ومَنْ بَعْدَه، إلى أن كانَتِ الفِتْنَةُ بالمغربِ بَعْدَ مَهْلِكِ السُّلطان أبي سالِم، واسْتَوْلى على المَغْرِبِ أخوهُ عبدُ العزيز، واقْتَطَعَ ابنُه أبو الفَضْلِ ناحيةَ مرّاكُش، فكان مُباركٌ هذا مَعَه، ولمّا تُقُبِّضَ على أبي الفَضْلِ تُقُبِّضَ على مُباركٍ وأودِعَ السّجْنَ، إلى أن غلَبَ السّلطانُ عبدُ العزيز على عامِرِ بن محمّدٍ وقتلَه، فقَتَلَ معَهُ مُباركاً هذا لِمَا كان يُعْرَفُ به من صِحابَتِه ومُداخَلَتِه في الفِتَنِ كما نَذْكُرُ في أخْبارِ بَني مَرين. ووَلِيَ ابنهُ محمّدٌ على قَبيلِ الخلط، إلاّ أنّ الخلط اليومَ دَثَرتْ كأنْ لم

(أ) ظ: أبو (ب) من ص.

تكنْ، بمَا أصابَهم من الخِصْبِ والتَّرفِ مُنذُ مائتَيْنِ من السّنينَ بذلك البَسيطِ الأفيَح، زيادةً للعزِّ والدَّعَة. فأكلَتْهم السِّنونَ وذهبَ بهمُ التّرفُ، واللهُ غالِبٌ على أمْرِه.

• بنو جابرٍ من جُشَم

بَنو جابرٍ هؤلاءِ من عِدَادِ جُشَمٍ بالمَغرب، ورُبَّما يُقالُ: إنّهم من سَدْراتَةَ [23 ب] / إحدَى فِرَق زَناتَةَ[أ]، واللهُ أعلمُ بذلك.

وكان لَهم أثرٌ في فِتْنَةِ يحيى بن النّاصِر بما كانوا معَهُ ومن أحْزابِه. ولـمّا هلَكَ يَحيى بنُ النّاصِر سنةَ ثلاثٍ وثَلاثينَ وسِتِّ مائة، بعَثَ الرّشيدُ بقتْلِ شَيْخِهم قايِد بنِ عامرٍ وأخيهِ فايد. ووَلِيَ بعدَهُ يَعقوبُ بنُ محمد بن قَيْطون، ثُمَّ اعتقَلَه يَعْلو قائدُ الموحِّدينَ، بَعَثهُ المُرْتَضى لذلك، وقَدَّمَ يعقوبَ بنَ جَرْمونَ • السُّفيانيَّ على بَني جابِر، وأقاموا كذلك مُدّةً ثم انتقَضَ أمرُ يَعْقوبَ بن جَرْمونَ•[ب]، وَوَلِيَ مشيخةَ بني جابرٍ إسماعيلُ بنُ يَعْقوبَ بن قَيْطون.

ثُمَّ تحيّزَ بنو جابِرٍ هؤلاءِ، من أحْياءِ جُشَم، إلى سَفْحِ الجَبل بتَادْلاَ وما إليْها يُجاوِرونَ هنالكَ صِناكَةَ[ج] السّاكنينَ بقُنّتِه وهِضَابِهِ من البَرْبَر، فيُسْهِلونَ إلى البَسيط تارَةً ويأْوونَ إلى الجبَلِ في حِلْفِ البَرْبَرِ وجِوارِهم أخْرَى إذا دَهَمَتْهم مَخافةٌ من السُّلْطان أو ذي غَلَبة. والرِّئاسةُ فيهم لهذهِ العصورِ في وَزديغَةَ من بُطونِهم. أدركتُ شَيْخاً عليهم لعَهْدِ السُّلطان أبي

(أ) زناته ولواته، وهو خطأ. ولم يجيء في ص (ب) سقط ما بين النجمين من ص (ج) ظ: و صناكه.

عِنَان: حُسينِ بن عليّ الوزديغي، ثُمّ هلَكَ وأُقيمَ مُقامَهُ النّاصِرُ ابنُه. ولحِقَ بهم الوزيرُ الحسَنُ بنُ عُمَر عندَ نُزوعِه عن السُّلْطانِ أبي سالم سنَةَ ستّيِنَ وسَبْعِ مائة، ونهَضَتْ إليهم عساكرُ السُّلْطانِ فأمْكنوا منه. ثُمّ لَحِق بهم أبو الفَضْل بنُ السُّلْطان أبي سالِم عنْدَ فِرارِه عن مرّاكُش سنةَ ثمانٍ وستّينَ، ونازَلَه عبدُ العزيزِ وأُحيطَ به، فلَحِقَ ببَرابِرة صِناكَةَ[أ] من فَوْقِهم، ثُمّ أمكنوا منهُ على مالٍ حُمِلَ إليْهم. ولَحِق بهم أثْناءَ هذه الفِتَن الأميرُ عبدُ الرّحمن بنُ بويَفلُوسِنْ على عَهْدِ الوزيرِ عُمَرَ بنِ عبدِ الله، المُتَغَلّبِ على المغرب، وطلَبه عُمَرُ فأخْرجوهُ عنْهم، وطالَ بذلك مِرَاسُ النّاصِرِ هذا للفِتْنَة فتنَكرّتْه الدّولةُ وتُقُبِّضَ عليه وأودِعَ السّجْنَ فمكثَ فيه سِنينَ، وتجافَتِ الدّوَلُ عنهُ مِن بَعْدِ ذلك وأُطلِقَ عِقَالُهُ، ثُمّ حَجَّ ورجَعَ من المشْرِق، فتَقَبَّضَ عليه الوزيرُ أبو بكْرِ بنُ غازي المستَبِدُّ / بالمَغْرب على ابن السُّلْطان عبْدَ العزيزِ وأوْدعَهُ السّجنَ. ونقَلوا الرِّئاسةَ عن بَني عليّ[1] هؤلاءِ. واللهُ يقلِّبُ اللّيْلَ والنّهارَ. [124أ]

وقد يَزْعُمُ كثيرٌ من النّاس أنّ [وزديغَةَ من][ب] بَني جابِرٍ لَيْسوا من جُشَم، وأنّهم بَطْنٌ من بُطونِ سَدْراتة، إحْدى شُعوبِ لَواتةَ من البَرْبر؛ ويَسْتدِلّونَ على ذلك بمَواطِنِهم وجِوَارِهم للبَرْبر، واللهُ أعلَمُ بحقيقةِ ذلك.

(أ) ظ: وصناكة (ب) زيادة من ص.

---

(1) لعلهم أبناء حسين بن عليّ الورديغي سابق الذكر.

• العَاصِمُ ومُقَدَّمٌ من الأَثْبَج

هؤلاء الأحياء من الأثبج كما ذكَرْنا في أنسابِهم، ونزلوا تامَسْنَا معَهم، وكانتْ لهم عِزَّةٌ وغلَبٌ، إلاّ أنَّ جُشَمَ [أعزّ][1] منهم لمكان الكَثْرة، وكان مَوْطِنُهم بِبَسِيطِ تامَسْنَا، وكانت للسُّلْطانِ عليهم عَسْكرةٌ وجِبايةٌ شأنَ إخوانِهم من جُشَم. وكان شَيْخَ العاصِم لعَهْدِ المَوَحِّدينَ ثُمّ عَهْدِ المأمون منهم، حسنُ بنُ زَيْد، وكان لهُ أثرٌ في فِتْنَةِ يَحْيى بنِ النّاصر. ولمّا هَلَكَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ، أمَرَ الرّشيدُ بقَتْل حَسَن بن زَيْد معَ قايد وفايد ابنَيْ عامِر شيوخِ بَني جابِر، فقُتِلوا جَميعاً. ثُمّ صارتِ الرّئاسَةُ لأبي عَيّادٍ وبَنيهِ، وكان منهم، لعَهْد بَني مَرِين، عَيّادُ بنُ أبي عيّاد، وكانَ له تقلّبٌ في الثّغْرةِ والاسْتِقامة، فَرَّ إلى تِلِمْسانَ ورجَعَ منها أعوامَ تِسْعينَ وستِّ مائة، وفَرَّ إلى السُّوس ورَجَعَ منهُ سَنةَ سَبْعٍ وسَبْعِ مائة، ولم تَزَلْ دأبَهُ هذا. وكانتْ لهُ ولأبيه معَ يَعْقوبَ بنِ عَبْدِ الحقّ من قَبْلِ ذلكَ مقاماتٌ في الجِهادِ مذكورةٌ. وبَقِيَتْ رِئاسَتُه في بَنيهِ إلى أنِ انْقرَضَ أمْرُهم وأمْرُ مُقَدَّمٍ ودَثَروا وتلاشَوْا. واللهُ خيرُ الوَارِثين.

(1) من ص.

● /الخبرُ عن رِيَاح[1] وبُطونِهم من هِلال بن عامِرٍ من هذه الطَّبقَةِ الرَّابِعة [125 أ]

هذا القَبِيلُ مِن أعَزِّ قبائِل هِلالٍ وأكثرِهم جَمْعاً عندَ دُخولِهم إفريقيّة، و[هم][أ] - فيما ذكَرَهُ [ابن][ب] الكَلْبيُّ[2]: بنو رِيَاحِ بن أبي رَبيعةَ بن نَهِيكِ بن هِلالِ بن عامِر. وكانت رِئاسَتُهم حينَئذٍ لمؤنِس بن يَحْيى الصُّنبريِّ[ج] من بُطونِ مِرداسِ بن رِيَاح، وكان من رِجالاتِهم لذلك العَهْد: الفَضْلُ بنُ بوعلي، مذكورٌ في حُروبِهم معَ صِنْهاجة. وكانتْ بُطونُهم: عُمَرُ[د] ومِرداسٌ وعليٌّ، كلُّهم بنو رِيَاح، وسَعيدُ بنُ رِيَاح، وخضْرُ[هـ] بنُ عامرِ بن رِيَاح، وهمُ الأخْضَر. ولـمِرْداسٍ بطونٌ كثيرةٌ: ذَوَّادُ بنُ مِرداس، وصنبرُ[و] بنُ حوَّازِ بن عُقَيْلِ بن مِرْدَاس، وإخوتُهم مُسْلمُ بنُ عُقَيل. ومن أولادِ عامرِ بن يزيد بن مِرْداسٍ بطونٌ أخرَى، منهم: بنو موسَى بنِ عامِر، وجَبْرِ بنِ عامِر. وقد يُقالُ: إنّهم من لطيفٍ كما قدّمْنا.

وسودانُ، ومشْهورٌ، ومَعَاوٌ بنو محمّدِ بن عامِرٍ بطونٌ ثلاثة. واسمُ سودانَ: عليُّ بنُ محمّد، وقد يُقالُ أيضاً: إنّ المَشَاهرَةَ، وهُم بنو مَشْهورٍ، من هِلالِ بن عامِر، من غيْرِ رِيَاح، واللهُ أعلَم.

(أ) ظ: هما (ب) من ص (ج) ظ: الضنبري (د) ص: عمرو (هـ) من ص، ظ: حضر
(و) ظ: ضنبر، وتقدم صنبر.

---

(1) قبائل المغرب 1: 421.

(2) لم نجده بنصه في جمهرة النسب لابن الكلبي، ولكنّ معناه في المقتضب منه لياقوت الحموي ص 157.

والرِّئاسةُ على رِيَاحٍ في هذه البُطونِ كلِّها لِمِرْداس؛ وكانتْ عندَ دُخولِهم إفريقيَّةَ في صنبرَ(أ) منهم، ثُمّ صارَتْ للذّواوِدَة أبْناء ذَوّادِ بنِ مِرْداس ابنِ رِيَاح، ويزْعُمُ بنو عَمْرو بن رِيَاح أنّ أباهم كفَلَهُ ورَبّاه، وكان رئيسُهم لعَهْدِ الموحِّدِينِ مسعودَ بنَ سُلْطان بن زمام بن رُدَيْني بن ذَوّاد، وكان يُلَقَّبُ البلط لشِدّتهِ وصَلابَتِه.

ولمّا نَقَل المَنصورُ رِيَاحاً إلى المغربِ تخلّفَ عَساكِرُ أخو مسعودٍ في جماعاتٍ منهم لِمَا بَلاهُ السُّلطانُ من طاعَتِه وانْحِياشِه، وأنزلَ مسعوداً وقَوْمَه ببلادِ الهَبْط، ما بَيْنَ قُصورِ كُتامَةَ المعروفِ بالقَصْرِ الكبير إلى [أزْغارَ](ب) البَسيطِ الفَسِيح هنالِكَ إلى ساحِلِ البَحْر الأخْضَر، واستَقَرّوا هنالكَ.

[25 ب] وفَرّ مسعودُ / بنُ زمام من بَيْنِهم في لُمَّةٍ من قَوْمِه سِني تِسْعينَ وخَمْسِ مائة ولَحِقَ بإفْريقيّة، واجْتَمعَ إليهِ بَنو عسَاكِر أخيه، ولَحِقوا بطرابُلُس، ونَزلوا على زُغْبٍ(ج) ودَبّاب يتقلّبونَ بينَهم، ثُمّ نزَعَ إلى خدمةِ قَراقُش، وحَضَر معَهُ بقَوْمِهِ فَتْحَ طرابُلُس كما نَذكُره في أخْبارِ قَراقُش، ثُمّ رجَعَ إلى ابنِ غانِيةَ المَيُورْقِيّ، ولم يَزَلْ في خِلافِه ذلكَ إلى أن هلَكَ. وقام بأمْرِه من بَعْدِه ابنُه محمّد، وكانتْ له رئاسَةٌ وغَناءٌ في فِتْنةِ المَيُورْقِيّ معَ الموحِّدِينَ.

ولمّا غلَب أبو محمّدِ بنُ أبي حَفْص يَحْيى المَيُورْقِيَّ في سَنةِ ثماني عشْرةَ على الحَمّةِ من بلادِ الجَريد، وقَتَلَ منَ العَربِ مَن قَتلَ، كانَ مِمّن(د)

(أ) ظ: ضـنبر (ب) من ص، وفي ظ: أزعار (ج) ظ: زُغب (د) ص: فيمن.

قَتَلَهُ ذلك اليوم عبدُ الله بنُ محمّدٍ هذا وابنُ عمِّهِ أبو الشَّيخ بنُ حَرَكاتِ بن عَساكِر، ولمّا هلَكَ الشيخُ أبو محمدٍ رَجعَ محمّدُ بنُ مَسْعودٍ إلى إفريقيّةَ وغلَبَ عليها، واجتَمعَ إليهِ مخلّف الأثْبَج طَواعِنُ من الضَّحّاكِ ولَطيف، فكاثَروهُ واعتَزّوا بهِ على أقتالِهم من دُرَيْدٍ وكَرْفَة، إلى أن عَجَزَتْ طَواعِنُ الضَّحّاكِ ولَطيف عن الرِّحْلة. وافتَرَقوا في قُرى الزّابِ ومَدَرِهِ، وبقيَ محمّدُ بنُ مَسْعودٍ مُتَغَلِّباً في رِحْلَتِه، وصارَتْ رِئاسةُ البدْوِ بضواحي إفريقيّةَ - ما بَيْنَ قسْطيليّة والزّابِ والقَيْروانِ والمَسيلَةَ - لهُ ولقَوْمِه. ولمّا هلَكَ يَحْيى بنُ غانِيَةَ سنةَ إحدى وثلاثينَ كما نذكُرُه، انقَطَعَ مُلكُهم واستَغْلَظَ سلطانُ آلِ أبي حَفْص، واستَقلَّ منهم الأميرُ يَحْيى بنُ عبدِ الواحد بخُطّةِ الخلافةِ عندَما فَسَدَ كرسِيُّها بمَرّاكُش.

وافترَقَ أتباعُ يَحْيى بنِ غانِيَةَ من العَرَبِ من بَني سُلَيْم ورِيَاح، فنَكِرَ آلُ أبي حَفْصٍ هؤلاءِ الذَّواوِدةَ ومكانَهم من الوَطنِ، لِمَا سَلَف من عِنادِهم ومُشايَعتِهم لابنِ غانِيَةَ عَدُوِّهم، فَجَأْجَأَ[1] الأميرُ أبو زكرياءَ ببَني سُلَيْمٍ من مَواطِنهم - بذلك العَهْدِ - بقابِسَ وطرابُلُسَ وما إليها، والتقدُّمُ فيهم يومَئذٍ لِمِرْدَاسٍ والكُعوبِ كما نَذكُرُه في أخبارِهم، / واصْطَنَعُوهم لِمُشايَعةِ [126أ]
الدّوْلة، وضَرَّبوا[2] بَيْنَهم وبَيْنَ قَبائِل رِيَاح، وأنْزَلُوهم بالقَيْروانِ وبلادِ قَسْطيليّة.

(1) دَعَاهم وجاء بهم.

(2) ضرَّبَ بين القوم: أغرى بعضهم ببعض.

وكانت أيّامُ لمحمدِ بن مَسْعود، ووَفدَ عليهِ في بعْضِ السّنين وَفْدُ مِرْداس يَطْلبونَ المكيلَ، ونزلوا عليهم فشرِهوا إلى نِعْمَتِهم وقاتلوهم عليْها، وقتلوا رِزْقَ ابنَ سُلْطان عمَّ محمّدِ بن مَسْعود، فكانتْ بَيْنَهم وبَيْنَ رياح أيّامٌ وحُروبٌ حتّى رَحّلوهم عن جانِبِ الشّرْق من إفريقيّةَ وأصارُوهم إلى جانِبِها الغرْبيّ، وملَكَ الكُعوبُ ومِرْداسٌ من بني سُلَيْم ضواحِيَ الجانِبِ الشّرقيّ كلَّها، من قابِسَ إلى بونةَ ونَفْطة، وامتازَ الذّواوِدةُ بمِلْكِ ضَواحي قسَنْطينة وبِجايةَ من التّلولِ ومَجالاتِ الزّابِ وريغَ[أ] ووَارْكِلا وما وراءَها من القِفارِ في بلادِ القِبْلَة. وهلَكَ محمّدُ بنُ مَسْعود، فوَلِيَ رِئاسَتَهُ موسَى بنُ محمّد، وكان له صِيتٌ وغَناءٌ في قَوْمِهم واعتزازٌ على الدّوْلة.

ولـمّا هلَكَ يَحْيى بنُ عبدِ الواحد وبويعَ ابنُهُ محمّدٌ المسْتَنْصرُ الطائرُ الذكْرِ المَصْنوعِ لهُ في الشّهْرةِ، [ب]خرَجَ علَيْه أخوهُ إبراهيمُ ولَحِقَ بالذّواوِدَةِ هؤلاءِ، فبايَعوهُ بجهاتِ قُسَنْطينة، واتّفقوا على تَقْديمِه، ونَهضَ إليهم المسْتَنْصِرُ سنةَ ستٍّ وسِتّينَ وستِّ مائةٍ ففَرّوا أمامَهُ، وافترَقَ جَمْعُهم، وتحيّزَ إليه بنو عَساكِرَ بن سُلْطانٍ منهم، ورِئاسَتُهم يومَئذٍ لولَدِ مَهْديّ بن عَساكِر، ونَبَذوا العَهْدَ إلى إبراهيمَ بنِ يَحْيى، ولَحِقَ بتِلِمْسانَ وأجازَ البَحْرَ إلى الأنْدَلُس، وأقامَ بها في جِوارِ الشّيخ ابنِ الأحْمر.

ثُمّ هلَكَ موسَى بنُ محمّدِ ووَلِيَ رئاسَتَهُ ابنُه شِبْلُ بنُ موسى، واستطالَ على الدّوْلة، وكَثُرَ عَيْثُهم، فنَبذَ المستَنْصرُ عَهْدَهم ونَهضَ إليهم

(أ) ص: ريغ (ب) ظ ص: و.

بعساكِرِهِ وجُموعِهِ من الموحِّدِينَ والعَرَبِ من بَني سُلَيْمٍ وأولادِ عسَاكِرِ إخْوانِهِم، وعلى مُقدِّمَتِه الشَّيخُ أبو هِلال عَيّادُ بنُ محمّد الهِنْتاتيُّ، وكان يَوْمئذٍ أميراً ببجايَة. وحاوَلَ عليهم، فاسْتَقْدَم رؤساءَهم: شِبْلَ بنَ موسَى بنِ مُحمّدِ / بن مَسْعودٍ، وأخاهُ يَحْيى، وسِبَاعَ بنَ يَحْيى بن دُرَيْدِ بن مسْعود، [26 ب] وحدّادَ بنَ مَوْلاهم بن خَنْفَر بن مَسْعود، وفَضْلَ بنَ مَيْمونِ بن دُرَيْدِ بن مَسْعود، معَهم(أ) دُرَيدُ بنُ تازي(ب) شيْخ أولادِ نابِت [من كَرْفة](ج)، فتَقَبَّضَ عليْهم لحِينِ قُدومِهم، وضَرَبَ أعناقَهم في مَصْرعٍ واحدٍ بزرايَةٍ، حيْثُ بايَعوا أبا إسْحاقَ أخاهُ والقاسمَ بنَ بو زيد بن أبي حَفص التّازِعَ إليْهم لطَلَبِ الخُروج على الدّوْلَة.

وافترَقَتْ ظَواعِنُهم وفَرّوا أمامَهُ، واتّبَعهم إلى آخرِ الزّاب، وترَكَ شبلُ ابنُ موسى سِبَاعاً ابنه طِفْلاً صَغيراً، فكفَلَه عمُّه مَوْلاهُم بنُ موسَى، ولم تَزَلِ الرئاسَةُ لهم، وترَكَ سِباعُ بنُ يَحْيى أيضاً ابنه طِفْلاً، فكفَلَه عمُّهُ طَلْحَةُ بنُ يَحْيى. ولَحِقَ فَلُّهم بملوكِ زَنَاتةِ المَغرب. فأولادُ مُحمّدٍ لحِقوا بيَعْقوبَ بنِ عَبْدِ الحقِّ بفاسَ، وأولادُ سِبَاع بن يَحْيى لحِقوا بيَغْمَراسِنَ بنِ زَيّانَ بتِلِمْسَانَ، فكسَبوهم وحَمَلوهم حتّى ازْتاشوا وتأثّلوا واختالوا.

ورَجعوا إلى مَواطِنِهم، فتَغَلّبوا على أطْرافِ الزّاب، واقْتَسَموا بلَدَ وَارْكلا وقصورَ ريغَ(د) وصَيَّروها أسْهاماً بَيْنَهم وانتَزَعوها للموحِّدين، فكانَ

(أ) ص: ومعهم (ب) ص: تازير (ج) من ص (د) ص: زيغ.

آخرَ عَهْدِهم بِمُلكِها. ثُمّ تقدّموا إلى بلادِ الزّابِ، وجَمَعَ لهم عامِلُها أبو سَعيدٍ عُثْمانُ بنُ مُحمّدِ بن عُثْمان، ويُعْرَفُ بابن عتو، من رُؤساء الموحِّدينَ، وكان مَنْزِلُهُ بِمَقَّرَة، فزَحَفَ إليهم بمكانِهم من الزّاب، وأَوْقَعوا بهِ وقتلوهُ بقطاوة، وغَلَبوا على الزّاب وضَواحيهِ لهذا العَهْد، ثُمّ تقدّموا إلى جَبلِ أَوْرَاس، فغَلَبوا على مَن بهِ من القَبائِل، ثُمّ تقدّموا إلى التّلِّ، وجَمَعَ لهم مَن كان بهِ من أولادِ عَساكِرَ وعليهم موسَى بنُ ماضِي بن مَهْديّ بن عساكِر، فجَمَعَ قَوْمَهُ ومَن في حِلْفِهم من عِيَاضٍ وغيرِهم. وتزاحفوا، فغلَبَهم أولادُ مَسْعودٍ وقَتَلوا شيْخَهم موسَى بنَ ماضي، وتولَّوا الوطنَ بما فيه، ثُمّ تلافَتِ الدّولةُ أمْرَهم بالاصْطِناع والاسْتِمالة، وأقطَعُوهم ما غَلَبوا علَيْهِ من البِلادِ بجَبَل أَوْرَاس والزّابِ، ثُمّ الأمصارِ / التي بالبَسيطِ الغَرْبيّ من جَبَلِ أَوْرَاس المُسَمّى عندَهم بالحَضْنَة، وهيَ: نَقَاوُس ومَقّرة والمَسِيلَة، واختَصّ قِطاعُ المَسِيلَة بسِبَاع ابن شِبْل، ثُمّ صارتْ لعليّ بن [سِباع بن][أ] يَحْيى من بَعْدِ ذلكَ، فهيَ في قِسْم بَنيهِ وسُهْمانِهم. واختَصّ إقْطاعُ مَقّرة بأحْمَدَ بن عُمَرَ بن مُحمّد، وهُو ابنُ عَمّ شِبْل بن موسَى [أبي سِباع][ب]، ونَقَاوُس بأوْلادِ عَساكِر. [27 أ]

ثُمّ هلَكَ سِباعُ بنُ شِبْل، وقام بأمْرِهم ابنُه عُثْمانُ ويُعرَفُ بالعاكِر، فنازَعَهُ الرّئاسةَ بنو عَمّه: عليُّ بنُ أحمدَ بن عُمَر بنِ محمّدِ بن مَسْعود، وسليمانُ ابنُ عليّ بن سِبَاع بن يَحْيى بن دُرَيْدِ بن مَسْعود. وفرّقوا جماعةَ بني مَسْعودٍ هؤلاءِ بعدَ أن كانوا جَميعاً، وصاروا فريقَيْنِ: أولادَ محمّد بن مَسْعود، وأولادَ

(أ) من ص، ويأتي بعد (ب) من ص.

سِبَاع بن يَحْيى، ولم يزالوا كذلك لهذا العَهْد، ولهم تَغَلُّبٌ على ضَواحي بِجَايَةَ وقُسَنطينةَ ومَن بها من سَدْوِيكْش وعِيَاضٍ وأمثالِهم.

ورئاسَةُ أولادِ محمّدٍ الآنَ ليَعْقوبَ بن عليّ بن أحمد، وهُو كبيرُ الذَّوَاوِدَةِ بمكانِهِ وسِنِّه، وله شُهْرَةٌ وذِكْرٌ ومحلٌّ من السُّلْطانِ متوارَثٌ. ورئاسةُ أولادِ سِبَاع في أولادِ عليّ بن سِبَاع وأولادِ عثمانَ بن سِبَاع، وأولادُ عليّ أشَفُّ منهم وأعزُّ بالكَثْرةِ والقُعْدُد[1]. ورئاستُهم في وَلَدِ يوسُفَ بن سُلَيمانَ بن عليّ ابن سِبَاع، ويُرادِفُهم أولادُ يَحْيى بن عليّ بن سِبَاع. واختُصّ أولادُ محمّدٍ بنَواحي قُسَنطينَة، وأقْطعَتْهُمُ الدُّوَلُ كثيراً من أرْيافِها. واختُصّ أولادُ سِبَاع بنَواحي بِجايَة، وإقطاعُهم فيها قليلٌ لمنَعةِ بِجايَةَ وضَواحيها عن ضَيْمِ العَرب، وتَغَلُّبِهم بالجِبال المُطيفَة بها، وتَوَعُّرِ مَسالِكِها على رَواحِلِ النّاجِعة.

وأمّا زَيْغ(أ) ووَارَكـلا(ب) فقِسْمةٌ بَيْنَهم منذُ عَهْدِ سلَفِهم كما قُلْناه.

وأمّا الزّابُ، فالجانِبُ الغرْبيُّ منهُ - وقاعِدَتُه طُولَقَةُ - لأولادِ محمّدٍ وأولادِ سِبَاع بن يَحْيى، وكانتْ لأبي بَكْرِ بن مَسْعود، فلَمّا ضَعُفَ بَنوهُ ودَثَروا اشْتَراها منهم عليُّ بنُ أحمدَ شيخُ أولادِ محمّدٍ، وسُليمانُ بنُ عليّ شيخُ أولادِ سِبَاع، واتّصلَتْ [بَيْنَهما](ج) / بسبَبِها الفِتْنَةُ وصارتْ في مَجالاتِ أولادِ سِبَاع بن يَحْيى، فصارَ غَلَبُ سُليمانَ وبَنِيهِ عليها أكثرَ. [27 ب]

(أ) ص: زَيْغٌ (ب) في ص: واركـلى، وتقدمت بغير هذه الصيغة: واركـلان (ج) ص: بينهم.

(1) القُعْدُد: البعيد الآباء، ذو النّسب المتصل الصريح.

والجانبُ الوسَطُ - وقاعدَتُهُ بِسْكِرةُ - لأولادِ [محمّد][أ] وفي مَجالاتِهم، وليعقوبَ بن عليّ على عامِلِه بسببِ ذلك سُلْطانٌ وعزّةٌ، وله بهِ تَمسُّكٌ وإليهِ انحِياشٌ في مَنَعتِه من الدَّوْلَةِ واسْتِبْدادِه بوَطَنِه وحِمايَةِ ضَواحيه من عَيْثِ الأعْراب وفَسادِهم غالبَ الأوْقات.

وأمّا الجانِبُ الشَّرْقيُّ من الزّابِ - وقاعِدَتُه بادِس وتَنومة[ب] - فهوَ لأولادِ نابِتٍ رُؤَساء كَرْفَة[ج] بما هُو من مَجالاتِهم، ولَيْس من مَجالاتِ رِياح، إلاّ أنَّ عاملَ الزّابِ يأخُذُ منهُ في الأكْثرِ جِبايَةً غيرَ مُسْتوفاةٍ يُعَسْكِرُ لها ببادِيَةِ رِياحٍ بإذْنٍ من كبيرِهم يَعْقوبَ وإشراكِهِ في الأمْر.

وبطونُ رِياحٍ كلُّها تَبَعٌ لهؤلاءِ الذّواوِدَة ومُقْتَسَمونَ عليهم ومُلْتَمِسونَ ممّا في أيْديهم، ولَيْس لهم في البلادِ مِلكٌ يَسْتَوْلونَ عليه. وأشدُّهم قوّةً وأكْثرُ جَمْعاً بطونُ سَعيدٍ ومسلم والأخْضَر، يُبْعِدونَ النُّجْعَةَ في القِفارِ والرِّمال، ويُظاهِرونَ الذّوَاوِدَة في فِتْنَةِ بَعْضِهم معَ بَعْض، ويَخْتَصّونَ في الحِلْفِ فَريقاً دونَ آخرَ. فسعيدٌ أحلافٌ لأوْلادِ محمّد سائرَ أيّامِهم إلاّ قليلاً منَ الأحْيانِ يُنابِذونَهم ثُمّ يُراجِعونَهم. ومسلمٌ والأخْضَرُ أحلافٌ لأوْلادِ سِبَاع كذلك إلاّ في الأحايِين. فأمّا سَعيدٌ فرئاسَتُهم لأولادِ يوسُف بن زَيْدٍ منهم في وَلَدِ مَيْمونِ بن يَعْقوبَ بن عَريف بن يَعْقوبَ بن يوسُف، وأرْدافُهم أولادُ عيسى ابن رِحَابٍ بن يوسُف، وهم يَنْتَسِبونَ بزَعْمِهم إلى بني سُلَيْم في أولادِ القوس مِن حَكيم، والصّحيحُ من نَسبِهم أنّهم من رِياحٍ بالحِلْفِ والمَوْطِن. ومعَ أولادِ

(أ) من ص، وظ: محرز (ب) ص: تنومة (ج) رسمت في ظ بكسر الكاف: كِرْفة.

يوسُف هؤلاء لفَائق من العَرب يُعْرَفون بالمخادِمَة والفُيوثِ[1] والبُحور. فأمّا المخادِمَةُ والفُيوثُ من أبناء مُخدَّم فَمِن وَلدِ مُشرِق بن أثْبج. وأمّا / البحورُ [128أ] ففيهم من البَرابِر مِن لَواتةَ و[زُنَارَة][أ] إحدى بُطونِهم[2]. [فأمّا][ب] نَفّاث[ب] فَمِن بُطونِ جُذام[3]، وسيَأْتي ذكرُهم. وأمّا زُنَارَة فهُمْ من بُطون لَواتةَ كما ذكرْناه، وفي بَني جابِر بتَاذلاَ كثيرٌ منهم، وأجازَ منهم إلى العُدْوةِ لعَهْدِ بني الأحْمر سُلْطانُ الزّنَاريّ وكانتْ لهُ في الجِهادِ آثارٌ وذِكْرٌ، ومنْهم بأرْض مِصْرَ والصّعيدِ كثيرٌ.

ومن أحْلافِ أوْلادِ مُحمّدٍ من الذّوَاوِدَةِ بطنُ رِئابٍ من [سُوَاءَة][ج] بن عامِر بن صَعْصعةَ، انْدَرجوا في عِدَادِ رِيَاح، ولهم معَهم ظَعْنٌ ونُجْعَةٌ، ولهم مكانٌ من حِلْفِهم ومُظاهَرتِهم.

وأمّا أحْلافُ أولادِ سِبَاع من مسلمٍ والأخضَر، فقد قدَّمْنا أنّ مسلماً من وَلَدِ عقيل بن مِرْداسٍ من رِيَاح، ومِرْداسُ بنُ رِيَاح أخو حَوَّازِ بن رِيَاح، وبعضُهم يَنْتسِبُ إلى الزُّبيْرِ بن العَوّام، وهو غلطٌ. ويقولُ بعضُ مَن يُنْكِرهُ عليهم: إنّما هُوَ نَسَبٌ إلى الزّبيْر من الـمَهايَةِ الّذين هُم من بُطونِ عِيَاضٍ

(أ) من ص. ظ: زناته (ب) من ص. ظ: وفيهم من نفاث (ج) ظ ص: سوءات. والتصويب من الجمهرة 273 .

(1) بطن من القبيحيين من ثعلبة طيء، من القحطانية، مساكنهم بأطراف مصر. نهاية الأرب 72، 102، 157.

(2) زُنَارَة من لواته، وبطونهم بكثرة في بلاد المغرب، وكان أكثرهم بالديار المصرية في بلاد البحيرة. وأجلاهم عنها الملك المؤيد شيخ سنة 818 هـ وأسكنها لبيدًا عوضًا عنهم. القلقشندي: قلائد الجمان 174-.

(3) يَعُدّها القلقشندي من بطون زُنَارة. المصدر قبله 175.

كما ذكرناهُ، ورئاسَتهم في أولادِ جَماعَةَ بن سالِم بن حَمّادِ بن مسلم، بَيْنَ أولادِ شُكْرِ بن حامِد بن كَنْسلانَ بن غَيْثِ بن رَحّالِ بن جَماعة، وبَيْنَ أولادِ زُرارَةَ بن موسَى بن قَطِرانَ بن جَماعة.

• وأمّا الأَخْضرُ، فيقولونَ: إنّهم من وَلَدِ خِضْرِ بن عامرٍ، وليس عامر ابن صَعْصَعة. فإنّ أبْناءَ عامرٍ بن صَعْصعة معروفونَ كلُّهم عنْدَ النّسّابين، وإنّما هُو - واللهُ أعْلم - عامرٌ آخرُ من أبْناءِ رِيَاح، ولَعَلّهُ عامرُ بنُ يَزيدَ بن مِرْداسٍ المذكورُ في بُطونِهم، أو لعلّهم من الخُضْرِ الّذين هم وَلَدُ مالكِ بن طَريفِ بن مالك[أ] بن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان، ذكرَهم صاحبُ "الأغاني"[1]، وقال: إنّما سُمّوا الخُضْرَ[2] لسَوادِهم، والعرَبُ تُسَمّي الأسودَ أخْضَر. قال: وكان مالكٌ شديدَ الأُدْمَةِ فأشْبَهَهُ وَلَدُه. ورئاسَتهم في أولادِ ثامِرِ بن عليّ بن تَمّام بن عمّارِ بن خِضْرِ بن عامِرِ بن رِيَاح. واختُصّتْ من بَيْنِ أولادِ ثامِر في وَلَدِ عامِر بن صَالح بن عامِرِ بن عَطيّةَ بن ثامِر، وفيهم بَطْنٌ آخَرُ لزائدةَ بن تَمّام بن عَمّار، وفي رِيَاحٍ أيضاً بَطنٌ من عَنَزةَ بن أسَدِ ابن رَبيعةَ بن نِزار، يَظْعَنونَ مع بادِيَتِهم.

[28 ب] وأمّا مَنْ نَزَل من رِيَاحٍ ببلادِ الهَبْط حَيْثُ أنْزَلَهُم المنصورُ، / فأقاموا هنالِك بعدَ رِحْلَةِ رئيسِهم مَسْعودِ بن زمام بتلْك المَواطِن إلى أنِ انقرَضَتْ

(أ) في الأغاني 22: 25 : طريف بن محارب.

---

(1) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني 2: 187، 22: 25.

(2) الجمهرة 260.

دولةَ الموَحِّدين. وكان عُثمانُ بنُ نَصْرٍ رئيسَهم أيّامَ المأمون، وقَتَله سنةَ ثلاثينَ وسِتِّ مائة.

ولـمّا تَغلّبَ بنو مَرِينَ على ضَواحي الـمَغرب، ضَرَبَ المَوَحِّدونَ على رِيَاحٍ هؤلاءِ البَعْثَ معَ عَساكِرهم، فقاموا بحمـايَةِ ضَواحيهم، وتحيَّزَ إليهم بنو عَسْكرِ بن محمّدٍ من بني مَرِين حين كانوا حَرْباً لإخوانِهم بني حَمامةَ بن محمّدٍ، سَلَفِ الملوكِ منْهم لهذا العَهْد. فكانتْ بيْنَ الفريقَيْنِ جَوْلَةٌ قُتِلَ فيها عبدُ الحقِّ ابنُ مَحْيُو بن أبي بكْرٍ بن حَمامة، أبو الملوك، وابنُه إدْرِيس، فأوْجَدوا السّبيلَ لبَني مَرِين على أنْفُسِهم في طَلَبِ التِّرَةِ والدّماء، فأثْخنوا فيهم واسْتَلْحَموهم قتلاً وسَبْياً مَرّةً بعد أُخرى. وكان من آخرِ مَن أوْقعَ بهمُ السُّلْطانُ أبو ثابِتٍ حافدُ يوسُفَ بن يَعْقوبَ سنةَ سَبْعٍ وسَبْعِ مائة، تتَبَّعَهم بالقَتْل إلى أن لَحِقوا برُؤوسِ الهِضابِ وأسْنِمةِ الرُّبى المتوسّطَةِ في المَرْج المسْتَبْحِرِ بأزْغَارْ، فصاروا إلى عَددٍ قَليل ولَحِقوا بالقَبائل الغارِمة، ثُمّ دَثَروا وتَلاشَوْا شأنَ كلِّ أُمّة. واللهُ خَيْرُ الوَارِثِين.

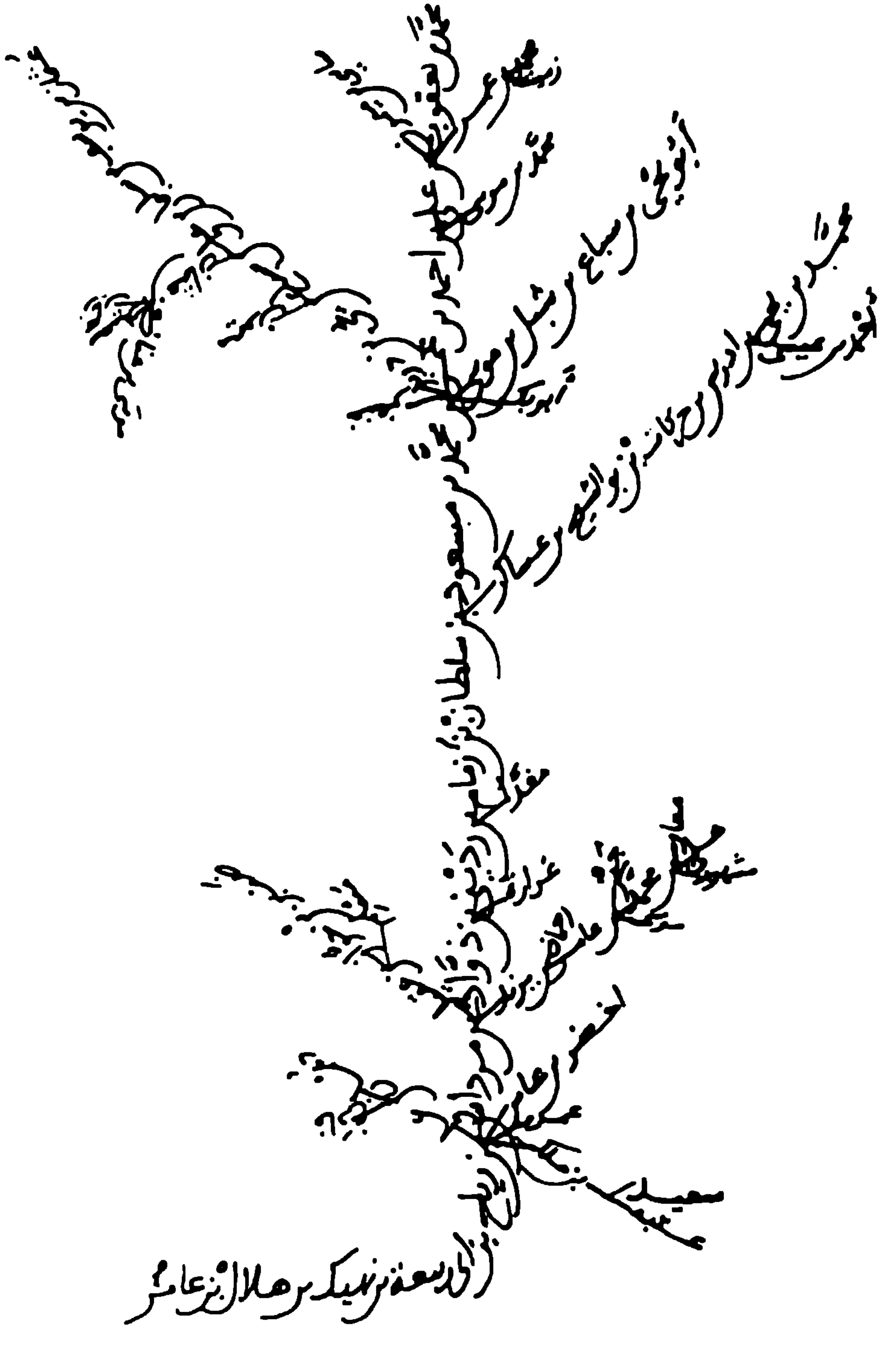

[مشجر رياح بن أبي ربيعة من هلال بن عامر، وبطونها]

●/الخبرُ عن سَعادَةَ، القائمِ بالسُّنَّةِ في رِيَاحٍ، ومآلِ أمرِهِ وتصاريفِ أحْوالِه [29 ب]

كان هذا الرّجلُ من مُسْلِم، إحْدى شُعوب رِيَاح، ثمّ من دَخْمان منهم. وكانتْ أمُّه تُدْعى خصيبةَ، وكانتْ في أعْلى مَقاماتِ العِبادةِ والوَرَع. ونَشَأ هُوَ مُنْتحِلاً للعبادَةِ والزُّهْد، فارْتَحَلَ إلى المَغرب، ولَقِيَ شيخَ الصّالحينَ والفُقهاءِ لذلكَ العَهْدِ بنواحي تازا، أبا إسْحاقَ التُّسوليَّ(1)، وأخَذَ عنهُ ولَزِمَه وتفقَّه عليه، ورَجعَ إلى وَطن رِيَاحٍ بفِقْهٍ صَحيح ووَرَعٍ واقِدٍ. ونَزلَ طُولْقَةَ من بِلادِ الزّاب، وأخَذَ نَفْسَه بتَغْييرِ المُنْكَرِ على أقارِبِهِ وعَشيرِهِ ومَن صَحِبَه أو عَرَفَه، فاشْتُهِر بذلك.

وكثُرتْ غاشِيَتُه من قَوْمِه وغَيْرِهم، ولَزِم صِحابَتَه منهم أعلامٌ عاهَدوهُ على الْتزام طَريقَتِه، كان من أشْهرِهم: أبو يَحْيى بنُ أحمَدَ بن عُمَرَ شيخُ بَني مُحمّدِ ابن مَسْعودٍ، من الذّوَاوِدة، وعَطِيَّةُ بنُ سُليمانَ بن سِبَاع، شيخُ أولادِ سِبَاع ابن يَحْيى، منهم، وعيسَى [بن يحيى](أ) بنُ إدريسَ شيخُ أولادِ إدْريسَ من أولادِ عَساكرَ، منهم، وحسَنُ بنُ سَلامةَ شيخُ أولادِ طَلْحةَ بن يَحْيى بن دُرَيْدِ بن مَسْعود، منهم، وهَجْرسُ بنُ عليّ من أولادِ يَزيدَ، من(ب) زُغْبة،

(أ) من ص (ب) ص: بن.

---

(1) إبراهيم بن عبد الرحمن التّسولي التازي، أبو إسحاق، ابن أبي يحيى، فقيه متمكّن، أخذ عن ابن رُشَيْد، وأخذ عنه لسان الدين ابن الخطيب، وفاته سنة 749 هـ. ابن الخطيب: الإحاطة 1: 372 - 373 ، البُناهي: المرقبة العليا 172 مخلوف: شجرة النور الزكية 220.

ورِجَالاتٌ من العَطّافِ من زُغْبَةَ، في كثيرٍ من أتْباعِهم والمُستَضْعَفينَ من قَوْمِهم. فكثُرَ بذلك تابِعُهُ واسْتَظْهَرَ بهم على شَأْنِه في إقامَةِ السُّنَةِ وتَغْييرِ المُنكَرِ على مَن جاءَ به. واشْتَدَّ على قاطعِ الطَّريقِ من شِرَارِ البَوادي، ثُمّ تَخطَّى ذلك إلى العُمّال، فطلبَ عاملَ الزّاب يومَئذٍ منصورَ بنَ فَضْل بن مُزْني بإعْفاءِ الرّعايا من المكوسِ والظُّلاماتِ، فامْتنعَ من ذلك واعتَزَم على الإيقاعِ بِه، فَحالَ دونَهُ عشائِرُ أصْحابِه، وبايَعوهُ على إقامةِ السُّنَةِ والمَوْتِ دونَه في ذلك.

وآذَنَهم ابنُ مُزْني بالحَرْب، ودَعَا لذلك أقْتالَهم ونُظَراءَهم من قَوْمِهم، وكان لذلك العَهْدِ عليُّ بنُ أحمدَ بن عُمَرَ بن مُحمّدٍ قد قام بِرِئاسَةِ أولادِ مُحمّد، وسُلَيمانُ / [130أ] بنُ عليّ بن سِبَاع قد قامَ برئاسَةِ أولادِ يَحْيى، واقتَسَموا رِئاسةَ الذّواوِدَة، فظاهَروا ابنَ مُزْني على مُدافعةِ سعادَة وأصْحابهِ المرابِطينَ من إخوانِهم، وكان أمْرُ ابنِ مُزْني والزّابِ يومَئذٍ راجعاً إلى صاحبِ بِجايةَ من بَني أبي حَفْص، وهُو الأميرُ خالدُ بنُ الأمير أبي زكريّاء، والقائمُ بدَوْلَتِه أبو عبدِ الرّحمن بنُ عُمَر[أ].

وبعَثَ إليه ابنُ مُزْني في المَدَدِ، وأمدَّهُ بالعساكِرِ والجُيوش، وأوْعَزَ إلى أهْلِ طُولَقَةَ بالقَبْض على سَعادَة، فخرَج منها وابْتَنَى بأنْحائها زاويةً ونَزلَ بها هُوَ وأصحابُه، ثُمّ جمَعَ أصحابَهُ المرابطينَ وكان يُسمّيهم السُّنّيَّة، وزَحفوا إلى بِسْكِرَةَ وحاصروا ابنَ مُزْني سَنَةَ.....[ب]، وقَطَعوا نخيلَها، وامْتنعَتْ عليهم

(أ) ص: غُمَر   (ب) في ص فراغ لموقع كتابة التاريخ، والكلام متصل في ظ .

فرَحلوا عنها، ثُمّ عاوَدوا حِصارَها سنةَ......[أ] وامْتَنعَتْ. ثُمّ انحدَر أصحابُ سعادة من الذَوَاوِدَةِ إلى مَشاتيهم سنةَ خَمْسٍ وسَبْعِ مائة، وأقامَ المُرابِطُ سعادةُ بزاوَيتِه من زابِ طُولَقَةَ وجَمَعَ مَن كان إليْهِ من المرابِطينَ المتخلِّفينَ عن النّاجِعة، وغَزا مليلي وحاصرَها أيّاماً، وبَعَثوا بالصَّريخ إلى ابنِ مُزْني والعَسْكَرُ السّلطانيّ مقيمٌ عنْدَهُ بِبِسْكِرةَ، فأرْكَبهم ليلاً معَ أولادِ حربي من الذَوَاوِدَة، وصَبَّحوا سَعادةَ وأصحابَهُ على مليلي، فكانتْ بَيْنَهم جَوْلةٌ قُتِلَ فيها سَعادةُ واستُلْحِمَ الكثيرُ من أصْحابِه، وحُمِلَ رأسُه إلى ابنِ مُزْني.

وبلَغ الخبَرُ إلى أصْحابِه بمَشاتيهم، فظَهَروا إلى الزّابِ ورُؤسَاؤهم أبو يَحْيى ابنُ أحْمدَ بن عُمَر شيخُ أولادِ محمّد، وعطيّةُ بنُ سليمانَ شيخُ أولادِ سِبَاع، وعيسَى بنُ يَحْيى شيخُ أولاد عساكر، ومحمّدُ بن حسَنٍ شيخُ أولادِ عَطِيّة، ورئاسَتُهم جميعاً راجعةٌ لأبي يَحْيى [بن أحمد][ب].

ونازَلَوا بِسْكِرة، وقَطَعوا نَخيلَها، وتَقَبّضوا على عُمّالِ ابنِ مُزْني فأحْرَقوهم بالنّار، واتّسَعَ الخَرْقُ بَيْنَهم وبَيْنَه. ونادَى ابنُ مُزْني في أوْليائِه من الذَواوِدَةِ، فاجْتَمَعَ إليه عليُّ بنُ أحمدَ شيخُ أولادِ محمّد، وسُلَيمانُ بنُ عليّ شيخُ أولادِ سِبَاع، / وهُما يومئذٍ فَحْلا الذّواوِدَة، وخَرَج ابنُه عليٌّ بَيْنَهم بعَساكرِ السُّلْطان، [30 ب] وتَزاحَفوا بالصَّحْراءِ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ، فغَلَبَهمُ المُرابِطون، وقُتِلَ عليُّ بنُ مُزْني وتُقُبِّض على عليّ بن أحمدَ فَقادوهُ أسيراً، ثُمّ أطْلَقَه عيسَى ابنُ يَحْيى رعياً لأخيهِ أبي يَحْيى بن أحْمد.

(أ) فراغ من ص   (ب) من ص.

واسْتَفْحَلَ أمرُ هؤلاءِ السُّنَيّةِ ما شاء اللهُ أن يَسْتَفْحِل، ثُمّ هلَكَ أبو يَحْيى بنُ أحمدَ وعيسى بنُ يَحْيى، وخلَتْ أحياءُ أولادِ محمّدٍ من هؤلاءِ السّنيّة. وتفاوَضَ السُّنيّةُ فيمَن يُقيمونَهُ بينَهم للفُتْيا في الأحْكامِ والعِبادات، فوقَعَ نظَرُهم على الفقيهِ أبي عبدِ الله محمّدِ بن الأزرق[1]، من فُقَهاءِ مقّرةَ، وكان أخَذَ العلْمَ بِبجَايَةَ على أبي محمّدٍ الزّواويّ[2] من كبارِ مَشْيختِها، فقَصَدوهُ في ذلك، وأجابَهم وارْتَحلَ مَعهم، ونزَلَ على حَسنِ بنِ سَلامةَ شيْخِ أولادِ طَلْحَة، واجْتمَعَ إليهِ السُّنيّةُ واسْتَفْحَلَ بهم جانِبُ أولادِ سِبَاع، وأجْلَبوا على الزّابِ وحارَبوا عليَّ بنَ أحمدَ طَويلاً. وكان السّلْطانُ أبو تاشفين حينَ كان يجْلُبُ على أوطانِ الموحِّدينَ ويُخبِّبُ[3] عليهم أولياءَهم من العرَب، يبعَثُ إلى هؤلاءِ السُّنيّةِ بالجوائِز، يَستَدعي بذلكَ وَلايتَهم، ويَبْعَثُ معَهم للفقيهِ ابن الأزرقِ بجائزةٍ مَعْلومةٍ في كلِّ سَنَة. ولم يزَلْ مُقيماً لرَسْمِهم إلى أن غلَبَهم على أمْرِهم ذلكَ عليُّ بنُ أحمدَ شيخُ أولادِ محمّد. وهلَكَ حَسنُ بنُ سَلامةَ وانقَرَضَ أمرُ السُّنيّةِ من رِيَاح، ونزَل ابنُ الأزرقِ بِبسْكِرةَ، استَدْعاهُ يوسُفُ بنُ مُزْني لقَضائها تفريقاً لأمْرِ السُّنَة[أ]، فأجابَهُ ونزَلَ عندَهُ، فولاّهُ القضاءَ بِبسْكِرَةَ إلى أن هَلَكَ سنةَ ....[ب].

(أ) ص: السنّيّة (ب) فراغ في ظ ص لكتابة التاريخ .

---

(1) لم نتوصل إلى ترجمته.

(2) كناه التادلي بأبي زكرياء، وهو يحيى بن علي، من أهل أمسيون خارج مدينة بجاية، له رحلة إلى المشرق، عاد منها إلى المغرب داعيةً متحمسًا، وكان عابدًا زاهدًا ورعًا، وفاته منتصف رمضان 611هـ. التشوف إلى رجال التصوف 428 (256) الغبريني: عنوان الدراية 127 (27) مفاخر البربر 215.

(3) خبّبَ: خدع وغشّ وأفسد.

ثُمَّ قام عليُّ بنُ أحمدَ بهذه السُّنَّةِ بعدَ حينٍ، ودَعَا إليها، وجَمَعَ لابنِ مُزْني سنةَ أربعينَ وسَبْعِ مائة، ونازَلَ بِسْكِرةَ، وجاءه مَدَدُ أهلِ ريغ، وأقام مُحاصِراً لها أشهراً وامْتنعَتْ عليهِ فأقلَعَ عنها، وراجَعَ يوسُفَ بنَ مُزْني، وصَاروا إلى الوَلايةِ إلى / أن هَلَكَ عليُّ بنُ أحمد، وبَقِيَ من عَقِبِ سَعادةَ في زاويتِه بَنونَ وحفَدَةٌ يوجِبُ لهمُ ابنُ مُزْني، رعايةً، وتَعْرِفُ[ج] لهم أعرابُ الفَلاةِ من رِيَاحٍ حَقّاً في إجارَةِ مَن يُجيرونَه من أهلِ السّابِلَة. [131]

وبَقِيَ هؤلاءِ الدَّوَاوِدَةُ يَنْزِعُ بعضُهم أحياناً إلى إقامَةِ هذه الدَّعْوة، فيأْخُذونَ بها أنفُسَهم غيرَ متّصِفينَ من الدِّينِ والتَّعمُّقِ في الوَرَعِ بما يُناسِبُها ويَقْضي حَقَّها، بلْ يَجْعلونَها ذَريعةً لأخْذِ الزَّكَواتِ من الرّعايا، ويَتظاهَرونَ بتَغْييرِ المُنكَرِ يُسِرّونَ بذلك حَسْواً في ارْتغاء[1]، فيَنْحَلُّ أمرُهم لذلِك وتُخْفِقُ مَساعيهم ويَتَنازَعونَ على ما يَحْصُلُ بأيْديهم ويَفْتَرِقونَ على غَيْرِ شيءٍ. واللهُ مُتَوَلّي الأمورِ لا إلهَ إلاّ هُوَ، سُبْحانَه.

(أ) ص: يعرف.

(1) يُسِرُّ حسوًا في ارتغاء. مثل يُضرب لمن يُظهِرُ أمرًا ويُسِرّ غيرَه .

❁ الخبرُ عن زُغْبَةَ[1] وبُطونِهم من هِلالِ بن عامِرٍ من هذه الطَّبقةِ الرَّابعةِ

هذا القبيلُ إخْوَةُ رِياح، ذكَرَ ابنُ الكَلْبيّ[2]: أنّ زُغْبَةَ ورِياحاً أبناءُ رَبيعةَ بن نَهيكِ بن هِلال بن عامِرٍ، هكذا نَسَبَهم. وهُم لهذا العَهْدِ معاً يزعُمون أنّ عبدِ الله يَجْمَعُهم، بكَسْر دالِ عبدٍ، ولم يَذكُرِ ابنُ الكَلْبيّ ذلك، وذكَرَ عبدِ الله في وَلَدِ هِلال، فلَعلَّ انتسابَهم إليْه بما كفَلَهم أوِ اشتُهِرَ دونَهم. وكثيراً ما يقَعُ مثلُ هذا في أنْسابِ العَرَب، أعْني انْتسابَ[أ] الأبناءِ لعَمِّهم أو كافِلِهم، والله أعلم.

وكانتْ لهم عِزّةٌ وكَثْرَةٌ عندَ دُخولِهم إفريقيّةَ، وتَغلّبوا على نَواحي طرابُلُس وقابِس، وقَتَلوا سعيدَ بنَ خَزْرونَ[3] - من مُلوكِ مَغْراوَة - بطَرابُلُس، ولم يَزالوا بتِلْكَ الحالِ[ب] إلى أن غلَبَ الموحِّدونَ على إفريقيّة، وثارَ بها ابنُ غانِيَة، وتَحيَّزَتْ إليه أفاريقُ هلال من رِياحٍ وجُشَم، فنَزَعَتْ زُغْبَةُ إلى الموحِّدينَ وانْحَرَفوا عن ابنِ غانِيَة، فرَعَوْا لهم حقَّ نُزوعِهم وصاروا يَداً واحدةً

[31ب] مَعَ بَني يادينَ من زَنَاتَةَ في حِمايةِ المَغْربِ / الأَوْسَط منَ ابنِ غانِيةَ وأتْباعِه، واتّصلَتْ مجالاتُهم ما بَيْنَ المَسِيلَةِ وقِبْلَةِ تِلِمْسَانَ في القِفار. وملَكَ بنو يادينَ من زَنَاتَةَ عليهِمُ التُّلولَ، ولمّا مَلَكتْ زَنَاتَةُ بلادَ المَغربِ الأَوْسط ونَزلوا

(أ) ص: بانتساب (ب) ص: الجبال.

---

(1) قبائل المغرب 1: 422.

(2) لم يرد ذكر هنا في كتبه الباقية، وأشار ابن حزم إلى نهيك بن هلال، ولم يذكر أولاده – الجمهرة 273.

(3) قتلته زغبة سنة 429 هـ. رحلة التجاني 267.

بأمْصارِه، دَخَل زُغْبةُ هؤلاء إلى التُّلولِ وتَقَلّبوا فيها، ووَضَعوا الإتاوةَ على الكثيرِ من أهْلِها بما جمَعَهم وزَنَاتةَ من البَداوَةِ وعصَبيّةِ الحلْف، وخَلا قَفْرُهم من ظُعونِهم وحامِيَتِهم، فطرقَهُ[أ] عربُ المَعْقِل المجاورونَ لهم من جانِبِ الغَرْبِ، وغَلَبوا على مَن وجَدوا من مُخلَّفِ زُغْبةَ هؤلاء بتلك القِفار، وجعَلوا عليهم خِفارَةً يأخُذونَها من إبلِهم ويَختارونَ عليْهم البَكْراتِ[1] منها، وأنِفوا لذلكَ وتَذامَروا[2]، وتَعاقَدوا على دَفْع هذه الهَضيمة[3]، وتولّى كِبْرَها من بُطونِهم ثَوابةُ بنُ جُويَةَ من سُوَيدٍ كما نَذكُرُه بَعْدُ، فدفَعوهم عن أوْطانِهم من ذلك القَفْر.

ثُمّ استَفْحلَتْ دولةُ زَناتةَ، وكَبَحوا العَربَ عن وطْءِ تُلولِهم لِمَا يَنْشأُ عنهم من العَيْثِ والفَساد، فرجَعوا إلى صَحرائهم وملكتِ الدّوْلَةُ عليهم التُّلولَ والحُبوبَ[ب]، واسْتُصْعِبَ المَيْرُ وهَزُلَ الكُراعُ، وتلاشَتْ أحوالُهم، وضُرِبَت عليهمُ البعوثُ وأعطَوْا الإتاوَةَ والصَدَقَة، حتّى إذا فشِلَ ريحُ زَناتَةَ وداخَلَ الهرمُ دَوْلتَهم، وانتَزَى الخوارجُ من قَرابَةِ المُلْكِ بالقاصِية، وَجَدوا السّبيلَ بالفِتَنِ إلى طُروقِ التُّلول، ثُمّ إلى التَقَلُّبِ[ج] فيها، ثُمّ غالَبوا زَناتَةَ عليها، فغلَبوهم في أكْثرِ الأحايِين، وأقطعَتْهُم الدّولَةُ الكثيرَ من نَواحي

(أ) ص: فطرقته (ب) ص: الجنوب (ج) ص: التغلب.

(1) البَكْر: الفتى من الابل، والجمع أبْكُر وبكْران، والأنثى بَكْرةٌ، والجمع بِكارةٌ وبَكَرات.

(2) تحاضوا على الحرب والقتال.

(3) الهضيمة: الظلم.

المَغربِ الأوسط وأمصارِه في سَبيلِ الاسْتِظْهارِ بهم، فتَمشَّتْ ظُعونُهم فيه، ومَلكوه من كلِّ جانِبٍ كما نَذكُره.

وبطونُ زُغْبَةَ هؤلاءِ مُتعَدِّدونَ، من يَزيدَ، وحُصَين، ومالكٍ، وعامِر، وعُزْوَةَ، وقدِ اقْتَسَموا بلادَ المَغربِ الأوْسَط كما تَراهُ في أخْبارِهم.

• بَنو يَزيدَ من زُغْبَة (1)

[132أ] / كان لبَني يَزيدَ هؤلاءِ مَحلٌّ من زُغْبَةَ بالكَثْرةِ والشَّرَف، وكان للدُّوَلِ بهم عنايةٌ، فكانوا لذلكَ أوّلَ مَن أقطَعتْهُ الدّوَلُ من العَربِ بالتُّلولِ والضَّواحِي. أقطعَهُم(أ) الموحِّدونَ في أرْض حَمْزَةَ من أوْطانِ بجايةَ ممّا يَلِي بِلادَ رِيَاح والأثابِج، فنزَلوا هُنالِك وولَجوا تلك الثّنايا المُفْضِيةَ إلى تُلولِ حَمْزةَ والدّهوس وأرضِ بَني حَسَن، وتوَلَّوها رِيفاً وصَحْراء، وصارَ للدّوْلةِ اسْتِظْهارٌ بهم على جِبايةِ تلْك الرّعايا من صِنْهاجةَ وزَواوَة، فلَمّا عَجزتْ عساكرُ بِجايةَ عن جِبايتِهم [دَفعوهُمْ لها، فاحْسَنوا في اقْتِضائها وزادتْ الدولةُ بهم تكْرمةً وعِنايةً](ب) لِذلك، وأقْطعَتْهم الكثيرَ من تلك الأوْطان، ثُمّ غلبَت زَناتةُ الموحِّدينَ على تلكَ الأوْطانِ واقْتطعوهَا عن أوْطانِ بِجايَةَ وأصاروها من مَمالِكِهم. فلمّا فَشِلَ ريحُ زَناتةَ وجاشَ بَحْرُ فِتنتِهم معَ العَرب،

(أ) من ص، ظ: اقطعتهم   (ب) من ص.

---

(1) الميلي: تاريخ الجزائر 2: 199.

استبَدَّ بنو يَزيدَ هؤلاءِ بِمَلَكَةِ تلك الأوْطانِ وغَلَبوا علَيْها مِن جَميع جوانِبِها، وفَرِغُوا لِجبايَتِها واقْتضاءِ مَغارِمِها، وهم على ذلكَ لهذا العَهْد.

وهم بطونٌ كثيرةٌ، فمنهم: حُمَيّانُ بنُ عُقْبَةَ بن يَزيد، وجَوّاب، وبنو كُرْز[أ]، وبنو موسَى، والمَرابعةُ، والخشنةُ، وهم جميعاً بنو يَزيدَ بن عَبْس بن زُغْبَة. وإخوانُهم عكرمةُ بنُ عَبْسٍ من ظُعونِهم؛ وكانتِ الرّئاسَةُ في بَني يَزيدَ لأوْلادِ لاحِق ثُمّ لأوْلادِ مُعافَى، ثُمّ صارَت في بَيْتِ سَعْدِ بن مالكِ بن عَبْدِ القَويّ بن عبدِ الله بن سَعيدِ بن محمّد بن عبدِ الله بن مَهْديّ بن يَزيدَ بن عَبْس بن زُغْبة، وهم يَزْعُمونَ أنّه مَهْديُّ بنُ عَبْدِ الرّحمن بن أبي بَكْرٍ الصّدّيق، نَسَبٌ تَأْباه رِئاسَتُهم على غَيْرِ عَصَبِيَّتِهم، وقد مَرّ ذلك قبْلُ. ورُبَّما نَسَبَهم آخَرونَ إلى سَلُولَ، وهم بَنُو مُرَّةَ بنِ صَعْصَعَةَ أخي عامِرِ بنِ صَعْصعة، وليس بصحيح، لِمَا قُلْناه. وقد يُقالُ: إنَّ سَلُولَ وبَني يَزيدَ إخوةٌ ويُقالُ لهم جَميعاً: أولادُ فاطِمَة.

وبَنو سَعْدٍ هؤلاءِ ثلاثَةُ بُطونٍ: بنو ماضي بن رِزْقِ بن سَعْد، وبَنو منصُورِ / بن سَعْد، وبنو زُغْلي بن رِزْقِ بن سَعْد. واختُصَّتِ الرّئاسَةُ على [32 ب] الظُّعونِ والحُلولِ بِبَني زُغْلي، وكانت لزيّانَ بن زُغْلي فيما عَلِمْناهُ، ثُمّ من بَعْدِهِ لأخيه دَيْفَل، ثُمّ لأخِيهِما أبي بَكْر، ثُمّ [لابنه ساسي بن أبي بَكْر، ثمّ لأخيه مَعْتوق بن أبي بَكْر ثم][ب] لموسَى ابن عَمّهم أبي الفَضْل بن زُغْلي، ثُمّ لأخيه أحمدَ بن أبي الفَضْل، [ثم لأبي اللّيل بن موسى بن أبي الفَضْل][ج] ثُمّ

(أ) ص: كرن (ب) من ص (ج) من ص .

لأخيهما عليّ بن أبي الفضل، وهوَ رئيسهم لهذا العَهْد. •وتُوفّيَ سنةَ إحدى وتِسْعين، وخلَفَه في قَوْمِه ابنُه زيّانُ• [أ].

وكان من أحلافِهم فيما تقَدَّمَ بَنو عامِرِ بن زُغْبة، يَظْعَنونَ معَهم في مَجالاتِهم ويُظاهِرونَهم في حُروبِهم، وكانت بَيْنَ رِياحٍ وزُغْبةَ فِتْنةٌ طَويلَةٌ لعَهْدِ موسَى بن محمّدِ بن مَسْعودٍ وابنهِ شِبْلٍ أيّامَ المُسْتَنْصِر بن أبي حَفْص، فكان بَنو يَزيدَ هؤلاء يتوَلَّوْنَ كِبْرَها لمكانِ الجِوار، وكان بَنو عامِرٍ أحلافَهم فيها وظُهَراءَهم، وكان لهم على مُظاهَرتِهم وَضِيعةٌ من الزَّرْع تُسمَّى الغَرارَة، وهيَ أَلْفُ غَرارَةٍ من الزَّرْع. وكان سبَبُها فيما يزعُمونَ: أنّ بوبكْر بن زُغْلي غلَبَتْه رِياحٌ على الدّهوس من وَطَنِ حَمْزةَ أزمانَ فِتْنَتِهِ معَهم، فاسْتَصْرخَ ببَني عامِر، فجاءه أولادُ شافِع، وعليهم صالِحُ بنُ بالغ، وبَنو يَعْقوبَ، وعليهم داودُ ابنُ عَطّاف، وحَميدٌ، وعليهم يَعْقوبُ بنُ مُعَرِّف، واسْتَرْجَعَ وطنَهُ وفَرَضَ لهم على وَطَنِه غَرارةَ الزَّرْع، واسْتَمرَّتْ لبني عامِر. فلمّا مَلَكَ يَغْمَراسِنُ ابنُ زَيّانَ تِلِمْسَانَ ونَواحِيَها ودخَلَتْ زَناتَةُ إلى التُّلولِ والأرْياف، كثُرَ عَيْثُ المعْقِل وفسادُهم في وطَنِها، فجأجأ يَغْمَراسِنُ ببَني عامِرٍ هؤلاءِ من مَجالاتِهم بصحراء بَني يَزيد، وأنْزَلَهم في جِوارِه بصحراء تِلِمْسَانَ كِياداً للمَعْقِلِ ومُزاحَمةً لهم بأقْتالِهم، فنزَلوا هنالك، وتَبِعَتْهُم حُمَيّانُ من بُطونِ بَني يَزيدَ، وهم لعُقْبةَ بن يَزيدَ بما كانوا بُطوناً وناجِعَةً ولم يكونوا حُلولاً، فصاروا في عِدادِ بَني عامِرٍ لهذا العَهْد، ونزلَتْ [ب] بنو يَزيدَ بلادَ الرّيفِ وخِصْبَه

(أ) سقط ما بين النجمين من ص (ب) ص: تولت .

فأوْطَنَ أكثرُهم / وقلّ أهلُ النّاجِعةِ منهم إلاّ أفاريقَ من عِكْرِمةَ وبعضِ [133]
بطونِ عَبْس يَظْعَنونَ معَ أولادِ زُغْلي في قَفْرِهم، وأقْصَروا عن الظَّعْنِ في القَفْرِ إلاّ في القليلِ ومعَ أحْلافِهم من ظُعونِ رِياح أو زُغْبة، وهم على ذلكَ لهذا العَهْدِ.

ومن بطونِ بني يَزِيدَ بن عَبْس زُغْبةُ هؤلاءِ: بنو خُشَيْن، وبنو موسى، وبنو مُعافى، وبنو لاحِق - وكانت الرئاسة لهم ولبني مُعافَى قبْلَ بَني سَعْدِ بن مَالك - وبنو جَوّاب، وبَنو كرز وبنو مَربَع وهمُ المَرابِعة، وهؤلاءِ كلُّهم بوطَنِ حَمْزةَ بهذا[أ] العَهْد، ومن المَرابِعة حيٌّ يَنْتجعون بضواحي تونِسَ لهذا العَهْد وغَلَبَ عليهم نَسَبُ زُغْبَةَ، والله الخَلاّقُ العليم.

(أ) ص: لهنا .

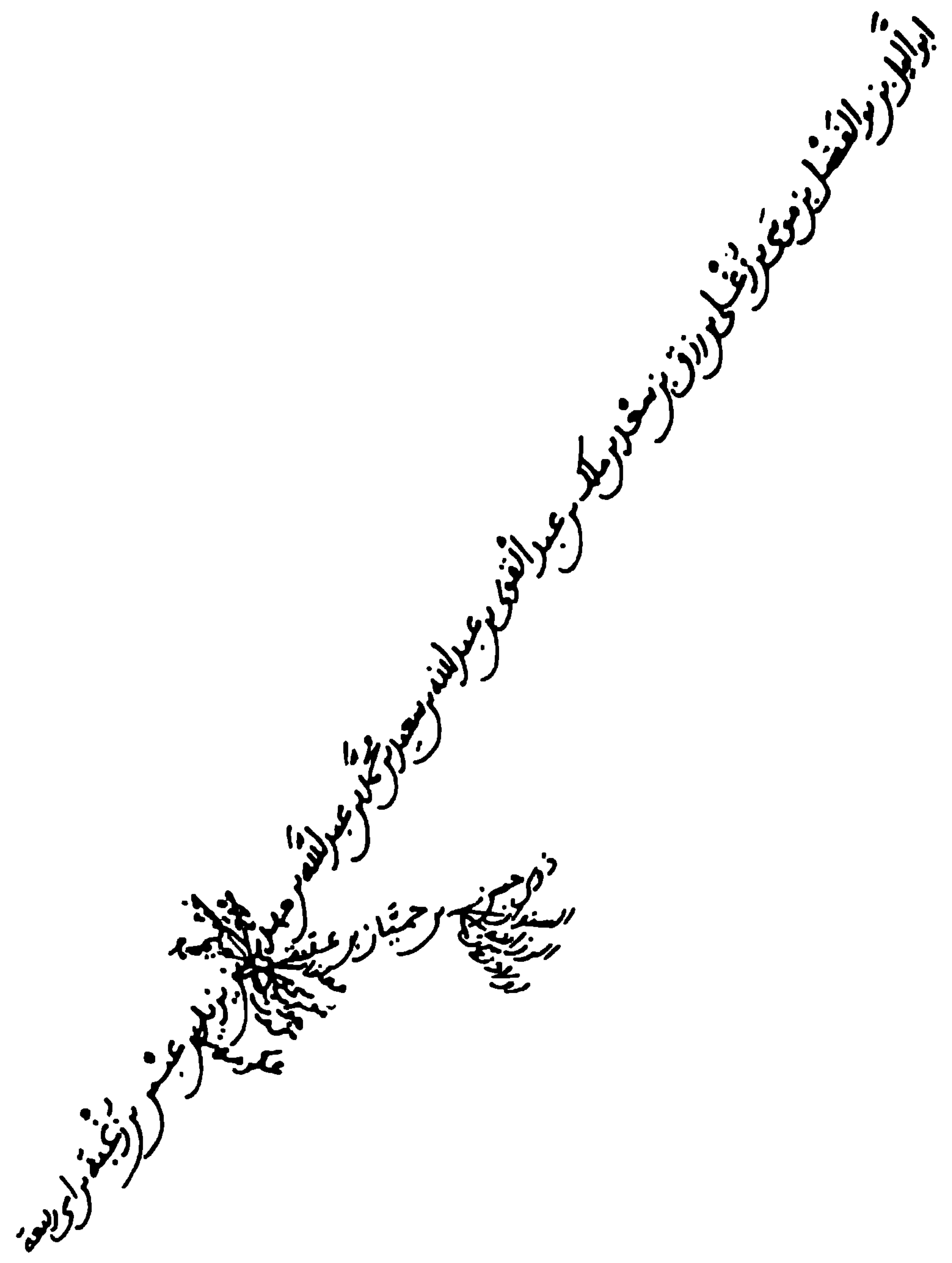

[زُغْبَة من هلال بن عامر]

• / حُصَيْنٌ من زُغْبَةَ[1] |134|

وأمّا بَنو حُصَيْنِ بنِ زُغْبة، فكانَتْ مَواطِنُهم في جِوارِ بَني يَزيد إلى الغَرْبِ عنهم، كانوا حيّاً حُلولاً هنالِك، وكان الرّيفُ المحاذي لهم من تِيطَري ونَواحي المدَيّة مَواطنَ للثّعالِبةِ من بُطونِ المَعْقِل، ثُمّ لبَني تُوجِّين من بطونِ يادين لـمّا غَلَبُوا الثّعالبةَ عليها. وكان حُصَيْنٌ هؤلاء ظُعوناً لهم[أ] يَضرِبون عليهمُ البُعوثَ ويأخُذون منهم الإتاوَاتِ والصّدَقاتِ، حتّى إذا ذهَبَ سُلْطانُ بَني تُوجِّين من أرض المديّة وغَلَبَهم عليها بنو عبدِ الواد، سَاموا حُصَيْناً هؤلاءِ خُطّةَ الخَسْفِ والذّلّ، وألْزَموهمُ الوَضائعَ والمَغارمَ، واسْتَلْحَمُوهُم بالقَتْل، وبَهَضُوهم[2] بالتّكاليف، وصَيَّروهم في عِدادِ القَبائلِ الغارِمَة. وبإثرِ ذلكَ كان تَغَلُّبُ بَني مَرِينَ على جَميع زَناتَةَ كما نَذْكُر، فكانوا لهم أطْوَعَ ولدَوْلتِهم أذلّ.

فلمّا عاد بنو عبدِ الواد إلى مُلْكِهم لعَهدِ أبي حَمُّو موسَى بن يوسُف بَعْدَ مَهْلِكِ السُّلطانِ أبي عِنان، وهَبّتْ رِيحُ العِزّ للعَرب، وفَشِلَ رِيحُ زَناتَةَ ولَحِقَ دَوْلَتَهم ما يَلْحَقُ الدّوَلَ من الهرَم، نَزلَ حُصَيْنٌ هؤلاء بِتيْطرِي، وهُو جَبلُ آشيرَ، وملَكوهُ وتَحَصَّنوا به.

وكان أبو زَيّانَ ابنُ عمِّ السُّلطانِ أبي حَمّو المالك مِن قَبْلِهِ لَحِقَ بتونِس مُفْلِتاً من حِبالَةِ بَني مَرِين، وخرجَ طالِباً لـمُلْكِ أبيهِ ومُنازِعاً لابنِ عمِّه هذا،

(أ) من ص، وفي ظ: لم.

---

(1) الميلي: تاريخ الجزائر 2: 200.

(2) فدحوهم وأثقلوا عليهم.

ونَزَلَ - في خَبرٍ طويلٍ نذكُرُه - بِقَبائلِ حُصَيْنٍ هؤلاء أحوَجَ ما كانوا لمثلِها لِمَا راموهُ من خَلْعِ ما كان بأعْناقِهم من الذُلِّ وطَوْقِ الاهْتضام والعَسْف، فتلَقَّوْهُ بما يَجِبُ لهُ ونَزَلَ منهم بأكْرمِ نُزُلٍ وأحْسنِ مَثْوى، وبايَعوهُ، ورَاسَلُوا إخوانَهم وكُبَراءَهم من رُؤساءِ زُغْبَةَ بَني سُوَيدٍ وبني عامِر، فأصْفَقوا عليهِ. وتَرَدَّدتْ عساكِرُ السُلطانِ إلى أبي حَمّو وبَني عبدِ الواد إليْهم، فتحصَّنوا بجَبَلِ تِيطْري، وأوْقَعوا / [34 ب] بهم، ونَهَضَ إليهم السُلْطانُ أبو حَمّو بعَساكِرِه ففَلّوهُ ونالوا منه، ونالَت زُغْبَةُ بذلك ما أرادوهُ من الاعْتِزازِ على الدّوْلَةِ آخرَ الأيّام، وتَمَلّكوا البلادَ إقطاعاتٍ وسُهْماناً، ورجَعَ أبو زَيّانَ إلى رِياح، فنَزَل بهم على سِلْمٍ عقَدَهُ مَع ابنِ عَمِّه. وبقِيَ لحُصَينٍ أثرُ الاعْتزازِ من جَرّاه، وأقْطَعَتْهمُ الدّوْلةُ ما وَلَّوهُ من نَواحي المَدْيَة وبلادِ صِنْهاجة.

ولحُصينٍ هؤلاءِ بَطْنانِ عَظيمان: جَنْدَلٌ، وخِرَاش.

• فمن جَنْدَلٍ: أولادُ سَعْدِ بن خَنفَر بن مُبارَكِ بن [فَيْصَل](أ) بن سِنَان بن سِبَاع بن موسَى بن كَمّام بن عليّ بن جَنْدَل، ورئاسَتُهم - في بَني خَليفةَ بن سَعْدِ - لعليّ وسيّدهم، وأولادُ خَشْعةَ بن جَنْدَل، وكانتْ رئاسَتُهم على جَنْدَلٍ قبْلَ أولادِ خَليفة، ورئيسُهمُ الآنَ عليُّ بنُ صالِح بن دبّابِ بن مُبارَكِ بن مُحيا بن مُهلْهِل بن شُكْرِ بن عامِر بن محمّدِ بن خَشْعة.

• ومن خِرَاش: أولادُ مَسْعودِ بن مُظفَّرِ بن محمّدِ الكامِل بن خِراش، ورئاسَتُهم لهذا العَهْدِ في وَلَدِ رِحَابِ بن عيسَى بن بوبكْر بن زمام بن مَسْعود،

(أ) من ص: فيصل، وكذا أيضا في المشجر. وفي ظ: فضل.

وأولادُ فرج بن مُظَفّر، ورئاسَتُهم في بني خَليفةَ بن عُثمانَ بن موسَى بن فرَج، وأولادُ طَريفِ بن مَعْبد بن خِرَاش، ويُعْرَفون بالـمَعابِدة، ورئاسَتُهم في أولا[دِ] عَريفِ بن طَريفِ لزَيّانَ بن زَيْدِ بن مَسْعودِ بن معرف بن عَريفٍ، ولِمِصْباحِ بن عبدِ الله بن كَثيرِ بن عَريف، وربـمّا انتَسَبَ أولا[دُ] مظفّرِ من خِرَاش إلى بَني سُلَيم، ويزعُمونَ أنّ مظفرَ بنَ محمّدٍ الكامِل جاء من بَني سُلَيمٍ ونَزَلَ بهم، واللهُ أعلَمُ بحقيقةِ ذلك.

[بنو حُصَيْن بن زغبة]

• / بَنو مالكِ بن زُغْبَة [35 ب]

وأمّا بنو مالكِ بن زُغْبة، فهم بُطونٌ ثلاثةٌ: سُوَيدُ بنُ عمّارِ بن مَالك، والحارِثُ بنُ مَالك، وهم بطنانِ: العَطّاف: من وَلَدِ عطّاف بن رُوميّ بن حارث، والدّيالِم: من وَلَدِ دَيْلم بن حَسنِ بن إبراهيمَ بن رُومي.

فأمّا سُوَيدٌ فكانوا أحْلافاً لبَني يادينَ قَبْلَ الدّوْلَة، وكان لهمُ اخْتصاصٌ ببَني عَبْدِ الواد، وكانَتْ لهم لِذلك العَهْدِ إتاواتٌ على بَلَدِ سيرات والبَطْحاء وهَوّارَة. ولمّا ملَكَ بَنو يادين تُلولَ المَغربِ الأوْسط وأمصارَه كان قسْمُ بَني تُوجّين منهُ سِياجَ التُّلول القِبْليّ، ما بَيْنَ قَلْعةِ سَعيدةَ في الغَرْبِ إلى المدَيّة في الشّرْق، فكانَ لهم قَلْعةُ ابنِ سَلامةَ ومَنْداس ووانْشَريس ووَزّينةُ[أ] وما بينَهما. فاتّصَلَ جِوارُهم لبَني مالكٍ هؤلاءِ في القَفْرِ والتّلّ، ولمّا ملَكَ بَنو عبدِ الواد تِلِمْسانَ ونزَلوا في ساحِها وضَواحيها، كان سُوَيدٌ هؤلاءِ أخصَّ بحِلْفِهم ووَلايَتِهم من سائِرِ زُغْبَة.

وكانتْ لسُوَيْدٍ هؤلاءِ بطونٌ مذكورونَ من فَلِيتَة، وشبانة[ب]، ومجاهر، وجُوثَه، كلُّهم بَنو سُوَيد، والحسَاسِنَةُ بَطنٌ من شبانة[ب]: نسْبةً إلى حَسّانِ ابن شَبانة، وغُفَيرٌ[ج] وشافِعٌ ومالِف، كلُّهم [بنو][د] سُلَيمةَ بن مُجاهِر[هـ]، وبَنو[و] رَحْمَةَ وبنو[و] كامِل وبنو[ز] حَمْدانَ كلُّهم بنو مُقدّر بن مجاهر[ح]. ويزعُمُ

(أ) ص: وربنه (ب) ص والمشجر: شبابه (ج) من ظ، ص غفير (د) ظ: بني (هـ) ص: مجاهد
(و) ص والمشجر: بو (ز) سقط من ص (ح) كذا محققا في الأصول والمشجرات.

بعضُ نسَّابتِهم أنّ مقدّراً لَيس بجَدٍّ لهم، وإنّما وضَعَ ذلك أولادُ بنو[أ] كامِل. وكانت رئاسَتُهم لعَهْدِ يَغَمْرَاسِنْ وما قبْلَهُ في أولادِ عيسَى بن عبدِ القويّ بن حَمْدان، وكانوا ثلاثةً: مَهْديٌّ وعطيّةُ وطِراد، واختُصَّ مَهْديٌّ بالرّئاسةِ عليهم ثُمّ ابنُه يوسُف بنُ مَهْديّ ثُمّ أخوهُ عُمَرُ بنُ مَهْدي، وأقْطع يَغَمْراسِنْ يوسُفَ ابن مَهْديّ ببلادِ البَطْحاء وسيرات، وأقطع عَنتر بن طراد بن عيسى قرارَةَ البَطْحاء. وكانوا يقْتَضونَ[ب] إتاوَتَهم على الرّعايا ولا يُناكِرُهم فيها، وربّما خرَجَ في بعضِ حُروبِه [واستَخْلَفَ][ج] عُمَرَ بنَ مَهْديّ على تِلِمْسانَ وما إليها من ناحِيةِ الشّرق.

[36 أ] / وفي خِلال ذلك خلَتْ مجالاتُهم بالقَفْرِ من ظُعونِهم وناجِعَتِهم إلاّ أحياءَ من بُطونِهم قَليلي العدَدِ من الجُوثَة وفَلِيتَة ومالِف وغُفَيْرٍ[د] وشافِع وأمثالِهم، فغلَبَ عليهم هنالك المَعْقِلُ وفَرَضوا عليهم إتاوةً من الإبِلِ يُعْطونَها ويَختارونَها عليهم منَ البَكْرات، وكان المتوَلّيَ لأخذِها منهم من شُيوخ المَعْقِل أبو الرّيش ابنُ نَهار بن عُثْمانَ من عُبَيدِ الله، وقيل: عليُّ بنُ عُثْمان أخو نَهار، وقيلَ: إنّ البَكْراتِ إنّما فَرَضَها للمَعْقِل على قَوْمِه عامرُ بنُ حَميدٍ لأجلِ مُظاهَرةٍ لهُ على عدُوِّه. وبقِيَتْ للمَعْقِل عادةً إلى أن تمَشّتْ رجالٌ من زُغْبَةَ في نَقْضِ ذلكَ، وغَدَروا برِجَالِ المَعْقِل ومَنَعوا تلك البَكْرات، وتوَلّى ذلك ثوابةُ بنُ جُوثَةَ، منهم، كما قُلْناه.

(أ) سقط من ص (ب) ص: يقبضون (ج) من ص (د) كذا في ظ ص والمشجر.

ثُمّ حدَثَ بيْنَ يَغمُراسِنَ وبيْنَهم فِتْنَةٌ هَلَكَ فيها عُمَرُ بنُ مَهْدي، وانْزَحَلوا[1] عن التُّلولِ والأَرْيافِ من بِلادِ عبْدِ الواد إلى القَفْرِ الحاذي لأوْطانِ بَني توجّين، فنَزَلُوهُ وحالَفوا تُوجِّين على الـمُهادَنَةِ والمظاهَرة، فصَاروا لهم حُلفاءَ[أ] على بَني عبدِ الواد، ومَن عَجَزَ منهم عن الظَّعْنِ نزَلَ بَبَسائطِ البَطْحاءِ وسيرات من بُطونِهم كلِّها، من شبانةَ[ب] ومجاهر وفَليتةَ وغُفَيْرٍ وشافِعٍ ومالِفٍ وبورَحْمَةَ وبوكامِل، ونَزَلَ مخيِّس بنُ عمّار [و] أخوه سُوَيدٌ بضَواحي وَهْرانَ، فوُضِعتْ عليهمُ الإتاواتُ والـمَغارمُ، وصاروا من عِدادِ الرّعايا أهْلِ الجِبايَةِ. ووَلِيَ عُثْمانُ بن عُمَر أمرَ الظُّعونِ من سُوَيْد، ثُمّ هلَكَ، وقامَ بأمْرِه ابنُهُ مَيْمونٌ، وغَلَبَ عليهِ أخوهُ سَعيدٌ واستَبَدَّ.

وكان بَيْنَ سُويدٍ وبيْنَ بَني عامِرِ بنِ زُغْبَةَ فِتْنَةٌ اتّصلَتْ على الأيّام، وثقُلَت وطأةُ الدّوْلةِ الزَّيّانيّةِ[ج] عليهم، وزحَفَ يوسُفُ بنُ يَعْقوبَ إلى مُنازلة تِلِمْسَانَ، وطالَ مُقامُهُ عليها، فوفَدَ عليهِ سعيدُ بنُ عُثْمانَ بن عُمَر بن مَهْديّ شيخُهم لعَهْدِه، فأدْنَى مجلسَهُ وكرَّمَ وِفادَتَه، ثُمّ أجْمعَ قَتْلَه، / [36 ب] فَفرَّ ولَحِقَ بقَوْمِه، وأجْلَبَ على أطْرافِ التُّلول.

ومَلَكَ السَّرسُو[د] قِبْلَةَ بلادِ توجّين، ونزَعَتْ إليه طائفةٌ من عِكْرِمَةَ بن يَزيدَ، وعَجَزوا عن الظَّعْن فأنْزَلهم بجَبَل كُبرِيكْرَة[هـ] قِبْلةِ السَّرسُو[د]،

(أ) ص: حلفا (ب) ظ ص: شبابه (ج) ص: الزنانية (د) ص: الشرسو (هـ) ص: كركيره.

---

(1) انتحوا وتباعدوا عنها.

ووضَع عليهمُ الإتاوةَ، ولم يزَلْ كذلكَ إلى أن هلَكَ يوسُفُ بنُ يَعْقوبَ واتّصلَ سُلطانُ آلِ يَغْمَرَاسِنْ.

ولـمّا ولِيَ أبو تاشفين بنُ موسَى بن عُثْمان بن يَغْمَرَاسِنْ اسْتَخْلَصَ عَرِيفَ بنَ يحيي لذمّةِ صِحابةٍ كانتْ لهُ معَهُ قبْلَ المُلْك، ثُمّ آسَفَهُ ببَعْضِ النَّزعَاتِ الملوكيّة، وكان هِلالٌ مَولاهُ المسْتَوْلِي عليه يَغَصُّ بمكانِ عَريفٍ منه، فنَزَعَ عريفُ بنُ يَحْيى إلى بَني مَرِينَ ملوكِ المَغْرِبِ الأقْصَى ونزَلَ على السُّلْطانِ أبي سَعيدٍ منْهم سنةَ عشرينَ وسَبْعِ مائة، واعتَقَلَ أبو تاشفين عمَّهُ سعيدَ بنَ عُثْمانَ إلى أن هَلَكَ في مَحْبِسِه قُبَيْلَ فتح تِلِمْسَان، ولَحِقَ أخوهُ مَيْمونُ بنُ عُثْمان ووَلَدُهُ بـمَلِكِ المَغْرب.

ونزَلَ عَريفُ بنُ يَحْيى من سُلْطانِ بَني مَرِينَ أكْرَمَ نُزُلٍ، وأُدْنِيَ مَجْلِسَه وأُكْرِمَ مَثْواه، ثُمّ اتّخذَه ابنُه السّلطانُ أبو الحَسن من بَعْدِه بطانةً لشِوَارِه[أ] ونَجِيّاً لـخَلَواتِه. ولم يَزَلْ يُحَرِّضُهم على آلِ زَيّانَ بتِلِمْسَانَ.

ونَفِسَ ميمونُ بنُ عُثْمانَ ووَلَدُهُ على عَريفٍ رُتْبَتَهُ عندَ السُّلطانِ أبي الحَسن، فنَزَعوا إلى أخيهِ أبي عليّ بتافيلالَت، ولم يَزالوا بها إلى أن هَلَكَ ميمونٌ، ثم تغَلّبَ السّلطانُ أبو الحَسن على أخيهِ أبي عليّ و[صارَ][ب] أولا[دُ] ميمونٍ في جُمْلته.

(أ) ص: لشوراه (ب) في ص ظ: صاروا .

وزَحَفَ السُّلطانُ أبو الحَسن إلى تِلِمْسَان يَجُرُّ أُمَمَ المَغْرب، وأَحْجرَ آلَ زيّانَ بتِلِمْسَانَ عامَيْنِ، ثم اقْتَحَمها عليهم عَنْوةً وابتزَّهم مُلكَهُم، وقَتَلَ السّلطانَ [أبا][(أ)] تاشفين عندَ سُدَّتِه، وبَعثَ كَلِمَتَه في أقْطارِ المَغْربِ الأَقْصى والأَدْنى إلى تُخوم الموحِّدِينَ من تَدلِّس، وجمَعَ كلمةَ زَناتةَ واستَتْبَعهم تحتَ لَوَاتَه[(ب)]. وفرَّ بنو عامِرِ بنِ[(ج)] زُغْبَة أولياءُ بَني عبدِ الواد إلى القَفْرِ كما نَذكُره.

ورَفَعَ السُّلطانُ أبو الحسنِ قَدَم عَريفِ بن يَحْيى بمَجْلسِه / على كلِّ [137] عَربيٍّ في إيالَتِه من زُغْبةَ والمَعْقِل، وكان عقَدَ لسمْعونَ بن سَعيدٍ على النّاجعةِ من سُوَيد. وهلَكَ أيّامَ نُزولِ السّلطانِ بتاسَّالَة سنةَ ثنْتَيْن وثلاثينَ قبْلَ فَتْح تِلِمْسَان، ووَلِيَ من بَعْدِه أخوه عَطيّةُ، وهَلَكَ لأشْهُرٍ من وِلايَتِه بعدَ فَتْح تِلِمْسَان، فعقَدَ السّلطانُ لِونزمارَ بنِ عَريفٍ على سُوَيدٍ وسائرِ بني مالك، وجعَلَ له رئاسَةَ البَدْو - حيثُ كانوا من أعمالِهِ - وأَخْذَ الصّدقاتِ منهم والإتاواتِ، فعكَفَتْ على بَيْتِه أمَمُ البَدْو، واقتدَى بشِوَارِهِ[(د)] رؤساؤهم. وفرَّ ابنُ عمِّهِ المسعودُ بنُ سَعيد، ولَحِقَ ببَني عامِر، وأجْلَبوا على السّلطانِ بدَعِيٍّ جَزّارٍ شبَّه بابنِهِ أبي عبدِ الرّحمن، فجَمَعَ لهم ونْزمارُ وهزَمَهم كما نَذكُرُهُ، وسَفَرَ عَريفٌ بيْنَ السُّلْطانِ أبي الحسَن وبيْنَ الملوكِ لعَهْدِه من الموحِّدينَ بإفريقيَّةَ وبَني الأَحْمرِ بالأَنْدَلُس والتُّرْكِ بالقاهرة. ولم يَزلْ على ذلك إلى أن هَلَكَ السّلطانُ أبو الحسَن.

(أ) ظ: أبي (ب) ص: لُوانه (ج) ص: من (د) ص: بشوراه .

ولـمّا تغلّبَ السّلطانُ أبو عِنانٍ على تِلِمْسَانَ كما نَذكُرُه، رَعَى لسُوَيدٍ ذِمّةَ الانْقطاعِ إليه، فرفَعَ ونزمارَ بنَ عَريفٍ على سائِرِ رُؤساءِ البَدْوِ من زُغْبَةَ، وأقطَعَهُ السَّرَسُو وقَلْعةَ ابن سَلامَةَ وكثيراً من بلادِ توجّين. وهلَكَ أبوهُ عَريفُ بنُ يَحْيى، فاستَقْدَمَهُ من البَدْوِ وأجْلَسَه بمكانِ أبيه من مَجْلسِه جِوَارَ أرِيكَتِه، ولم يَزَلْ على ذلكَ، وعقَدَ لأخيهِ عيسَى على البَدْوِ من قَوْمِه.

ثُمّ إنّ بَني عَبْدِ الوادِ بَعدَ مَهْلِكِ السُّلْطانِ أبي عِنانٍ عادَتْ لهمُ الدّوْلةُ بأبي حَمّو موسى بن يوسُفَ بن عبدِ الرّحمنِ بن يَحيى بن يَغمُراسِنَ من أغيـاصِ مُلوكِهم. وتَولّى كِبْـرَ ذلكَ صُغَيّرُ بنُ عامِرٍ وقومُه لِمَا لهم [مع][أ] آلِ زَيّانَ من الوَلايَة، ولِمَا كان لبَني مَرِينَ فيهم من النَّقَمات. فَملَكوا تِلِمْسَانَ ونَواحيَها، وعَقَدوا على سُوَيدٍ للمَيْمونِ بن سَعيدِ بن عُثمان.

وَثابَ لِونْزمار بنِ عَريفٍ رأيٌ في التّرهُّبِ والخُروجِ عن الرّئاسَة، فبنَى حِصْناً بِوادي / مِلويّةَ من تُخوم بَني مَرِينَ ونزَلَ بهِ، وأقامَ هنالِكَ لهذا العَهْد. [37ب] ومُلوكُ بَني مَرِين يَرْعَوْنَ لهُ ذِمّةَ اخْتصاصِهِ بسَلَفِهم، فيُؤْثِرونَه بالشّورَى والمُداخلةِ في الأحْوالِ الخاصّةِ معَ المُلوكِ والرُّؤَساء من سائِرِ النّواحي، فتَوَجّهتْ إليهِ بسبَبِ ذلكَ وُجوهُ أهْلِ الجِهاتِ من المُلوكِ وشيوخِ العَرب ورُؤساءِ الأقْطار، ولَحِقَ [أخواهُ][ب] أبو بَكْرٍ ومحمّدٌ بقَوْمِهم، فَمكَروا بالمَيْمونِ ودَسُّوا عليهِ من قَتَلَهُ غِيلَةً ببَيْتِهِ من ذَوِيهم وحاشِيَتِهم، واستَبدُّوا برئاسةِ البَدوِ.

(أ) من ص وفي ظ : من   (ب) من ص، وفي ظ: إخوته .

ثُمَّ لـمّا نصبَ بَنو حُصَينٍ أبا زَيّانَ ابنَ عَمِّ السُّلْطان أبي حَمّو للمُلْك كما نَذكرُهُ، ورَشَّحوهُ للمُنازَعَةِ سنةَ سَبْعٍ وسِتّينَ وسَبْعِ مائة، هَبّتْ من يَوْمئذٍ رِيحُ العَرَب، وجاشَ مِرْجَلُهم على زَناتةَ، ووطِئوا من تُلولِ بِلادِهِم بالمغربِ الأوْسطِ ما عَجَزوا عن حِمايَتِه، ووَلَجوا من فُروجِها ما قَصَّروا عن سَدِّهِ، ودَبُّوا فيها دَبيبَ الظَّلالِ في الفُيوءِ، فتَملَّكتْ زُغبةُ سائِرَ البلادِ بالإقْطاعِ منَ السُّلْطان طَوْعاً وكَرْهاً؛ وَلِيَّهُ رَعْياً لخدمتِهِ وتَرْغيباً، وعدُوَّه تسكيناً لغَرْبِه، حتى أفرَجَ[أ] لهم زَناتةُ عَن كثيرِها ولجأوا إلى سِيفِ البحر.

وحصَلَ كلٌّ منهم في التّلولِ[ب] على ما يَلِي مَوْطِنَهُ من بِلادِ القَفْر، فاسْتَوْلى بَنو يَزيدَ على بلادِ حَمْزَةَ وبَني حَسنٍ كما كانوا من قَبْلُ، ومَنَعوا المغارِمَ. واسْتَوْلى بَنو حُصَيْنٍ على ضَواحي المَدْيَة إقطاعاً، والعطّافُ على نواحِي مَلْيانَةَ، والدّيالِمُ على وَزِّينَةَ، وسُوَيْدٌ على بلادِ بني تُوجِّينَ كلِّها ما عدا جَبَلَ وانشريسَ لتَوَعُّرِه. وبَقيتْ فيهِ لُمَّةٌ من تُوجِّينَ رئاسَتُهم لأولادِ عُمَرَ بنِ عثمانَ من الـجُشَم بني تيغرينَ كما نَذكرُهُ. وبنو عامرٍ على تاسّالَةَ ومَلاّتَةَ إلى صِيدورَ إلى كيذَرة، الجبَلِ المُشْرِفِ على وَهْران. وتماسَكَ السّلطانُ بالأمْصار، وأقطَعَ منها كلميتو لأبي بَكْرِ بن عَريف، ومازونةَ / [38أ] لمحمّدِ بن عَريف، ونَزلوا لهم عن سائِرِ الضَّواحِي فاسْتَولوا عليها كافّةً، وأوْشَكَ بهم أن يَسْتَولوا على الأمْصار. وكلُّ أوَّل فإلى آخِر، و ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [سورة الرعد، من الآية 38] وهم على ذلك لهذا العَهْد.

(أ) ص: أفرجت (ب) ص: حصل كلٌّ فيها على.

ومن بطونِ سُوَيدٍ هؤلاء: بَطْنٌ بالبَطْحاء[أ] يُعرَفون بهَزة[1]، يَنْسُبهُم النّاسُ إلى مجاهرِ بن سُوَيدٍ ● إحدى بُطونِ كِنْدَة ●[ب]، وهم يزعُمون أنّهم من قَوْم المِقْداد بن الأسْوَد، وهم بَهْراءُ مِن قُضاعَة؛ ومنهم مَن يزعُمُ أنّهم من تُجيب، واللهُ أعلَمُ.

ومن ظَواعِنِ سُوَيدٍ هؤلاءِ ناجعةٌ يُعرَفونَ بصُبَيْح، ونَسَبُهُم إلى صُبَيْح ابن علاج بن مالك، ولهم عَدَدٌ وقُوّة، وهم يَظْعَنون بظَعْنِ سُوَيدٍ ويُقيمون بمُقامِهِم.

وأمّا الحارثُ بنُ مالك - وهمُ العَطّافُ والدّيالِم- فَمَوطنُ العطافِ قِبلَةَ مَلْيانَة، ورِناسةُ ظُعونِهم لوَلَدِ يَعْقوبَ بنِ موسَى بن يَعْقوبَ بن نَصْرِ بن عُرْوةَ ابن مَنْصورِ بن أبي الذّيبِ بن حَسنِ بن عِيَاضِ بن عَطّافٍ، بيْنَ زيّانَ بنِ يَعْقوبَ وابنِ أخيهِ عليّ بن أحْمَدَ وبَنيهم، ومعَهم طائفةٌ من براز: أحدِ بطونِ الأثْبَج، وأقطَعَهم السُّلطانُ مَغارمَ جَبلِ دَرّاكٍ وما إليْهِ إلى وادي شلَف، وحالَ بيْنَهم وبَيْنَ موطِنِ سُوَيد جبَلُ وانْشريسَ الجاثِمُ هناك.

ومَوْطِنُ الدّيالِمِ قِبْلَةَ وانْشريس، ولهم بلادُ وَزِينةَ في قِبْلَةِ الجَبل، ورِناسَتُهم في وَلَدِ إبراهيمَ بن رزْق بن رعايةَ بن مَزْروعِ بن صالِحِ بن دَيْلم، ولِسَعْدِ بن العبّاسِ بنِ إبراهيمَ منْهم لهذا العَهْد، وكانتْ من قَبْلُ لعمِّهِ أبي

(أ) ص: بنواحي البطحاء (ب) سقط من ص.

---

(1) من بطون بني مالك إخوة سويد والعاطف والدّيالم وصبيح وغريب، كانت مساكنُهم بسُهول الغرب من إقليم القنيطرة. الأنيس المطرب 488 ح 645. تاريخ الجزائر 2: 200.

يحيى بن إبراهيم، وتقبّض عليه السّلطانُ أبو عِنانٍ بإشارةِ عَريفِ بن يَحْيى واغرائِه، وهلَكَ في مَحْبِسِه.

وفيهم بطونٌ كثيرة، منهم: بَنو بو زيادِ بن إبراهيم بن رُوميّ، والدّهاقِنةُ أولاَ[دُ] دُهْقَانَ بن حَسن، وبنو نَوّالٍ بن حسَنٍ أيضاً، وكلُّهم إخوةُ دَيْلَمِ بن حَسن، وبنو عِكْرِمةَ بنِ مَزْروعِ بن صَالح، ويُعْرفونَ بالعكارِمَة.

وهؤلاءِ العطافُ والدّيالِمُ أقلُّ عدَداً من[أ] سُويدٍ، وأولياؤهم في فتنَتِهم معَ بَني/ عامِرٍ لمكانِ العَصبيّةِ من نَسبِ مالك، ولسُوَيدٍ عليهمُ اعتِزازٌ بالكَثْرة، [38 ب] والدّيالِمُ أبعَدُ مَجالاً منْهم في القَفْرِ. ويُحاذِيهم في مَوَاطِنِهم من جانِبِ التُّلول بطنٌ من بُطونِ الحارِثِ يُعرَفونَ بغَريب؛ نَسَبُهُم إلى غَريبِ بن حَارث، حيٌّ حُلولٌ بتلْكَ المواطِنِ يطْلُبهُم السّلطانُ في العَسْكَرةِ ويأْخُذُ منهم المَغارمَ، وهم أهْلُ شاءٍ وبَقَرٍ، ورِئاسَتُهم في أبْناءِ مَزروعِ بن خَليفةَ بن خَلوفِ بن يوسُف ابن بَركةَ بن مُناهِف بن مِكْتُوت[ب] بن مَنيع بن مُغيثِ بن محمّدٍ الغَريب، وهُو جَدُّهم، ابنُ حارث. ويُرادِفُهم[ج] في رِئاسَتِهم على غَريبٍ أولاَدُ يوسُف، وهم جَميعاً أولادُ بُو مَنيع، وسائِرُ غريبٍ من الأخْلافِ شيوخُهم أولادُ كامِل. واللهُ مالِكُ الـخَلْقِ والأمْر.

(أ) من هنا تبدأ المقابلةُ بالقطعة المهمة من المخطوط د الذي يعهّده المؤلف بمراجعته وضبط أسمائه (ب) ص: يكتوب، د: الباء أوالتاء مهملة. والتاء واضحة في المشجّر. انظر بني مزروع بن خلوف (ج) ص وترادفهم .

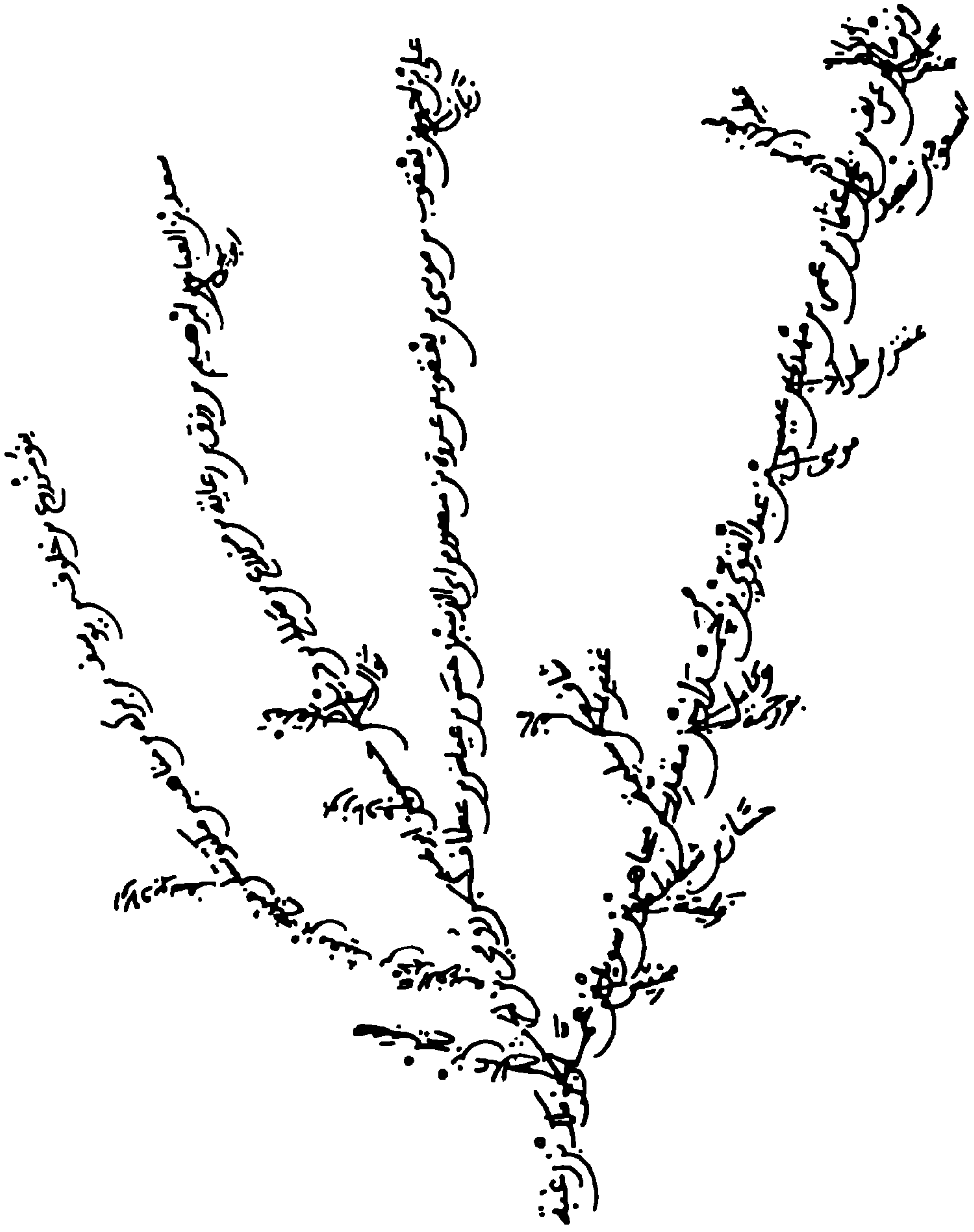

[بنو مالك بن زُغْبَة]

[39 ب]

• / بنو عامِر بن زُغْبَة

وأمّا بنو عامِر بن زُغْبَة، ومَواطنهم في آخرِ مواطِنِ زُغْبَةَ من المَغرِبِ الأوْسَط قِبْلَةَ تِلِمْسَانَ مِمّا يَلي المَعْقِل، وكانت مواطِنهُم من قبْلِ ذلك في آخرِها مِمّا يَلي المشرق، وكانوا معَ بَني يَزيدَ حيّاً جَميعاً، وكانوا يقْبُلونَ غيرَهم في مَواطِن حَمْزَةَ والدُّهُوس وبَني حَسَن لِميرةِ أقْواتِهم في المَصيف. ولهمْ على وطَنِ بَني يَزيدَ ضَريبةٌ من الزَّرْع مُتعارَفةٌ بَيْنَ أهلِه لهذا العَهْد. يُقال: إنّها كانَت لهم أزْمانَ تَغَلُّبِهم في ذلِك الوَطن، وقيل: إنّ أبا بَكْرِ بنَ زُغْلي في فِتْنَتِه معَ رِياح، غَلَبوهُ على الدُّهُوسِ من وَطَنِه، فاستَصْرَخَ ببَني عامِرٍ لجاءوا لصَريخِهِ، وعلَى بَني يَعْقوبَ: داودُ بنُ عَطّاف، وعلَى بَني حَميدٍ: يَعْقوبُ بنُ معرّف، وعلَى شافِع: صالحُ بنُ بالِغ. وغَلبوا رِياحاً بغُزْلانَ، وفَرَضَ لهم على وَطَنِ بَني يَزيدَ ألفَ غِرارَة، واستَمرّتْ لهم عادَةً عليهم. ولـمّا نَقَلَهم يَغْمَراسِنُ إلى مَواطِنِهم هذه بِمُحاذاةِ تِلِمْسَانَ ليكونوا حِجْراً بيْنَ المَعْقِلِ وبَيْنَ وطَنِها، فاستَقَرّوا هنالِك يَتَقلّبونَ في قِفَارِها في المَشاتي، ويظْهَرونَ إلى التُّلولِ في المَرابِع والمَصائف.

وكان فيهم ثَلاثةُ بطونٍ: بنو يَعْقوبَ بن عامِر، وبَنو حَميدِ بنِ عامِر، وبنو شافِع بن عامِر، وهم بنو شقّارة وبنو مُطرِّف، ولكلّ واحدٍ من البَطْنَيْنِ الأخيرَيْنِ[1] أفخاذٌ وعمائرُ، ولبني حَميدٍ فَصائِلُ أُخرى. فمنهم: بنو عُبَيدِ • بن

(1) ص: الآخرين.

حَميد، ومن عبَيدٍ: الـحُجُزُ، [1][وهم بَنو حِجازِ بن عُبَيد•[أ]، وكان لهُ من الوُلْدِ: جَحْوَش وجُحيشٌ ابني حِجَاز][ب]، ولجَحْوش: حامدٌ ومُحمّدٌ ورِيَاب. ومن مُحمّدٍ، الوَلالِدَةُ، بنو وَلاّدِ بن مُحمّد، ومن رِيَابٍ بَنو رِيَاب، وهم معروفونَ لهذا العَهْد، [و] من عُبَيْدٍ أيضاً العُقَلَةُ: بنو عُقَيْلِ بن عُبَيد، والمَحارِزَةُ: بنو مُحْرِز بن حَمْزةَ بن عُبَيْد، وكانتِ الرّئاسَةُ على حَميدٍ لقَلاّنَ من هؤلاءِ المحارِزة، وهُو الّذي قَتلَ جَحْوَش جدَّ بَني رِيَاب، وكانت الرئاسَةُ على بَني عامِرٍ كافةً [لبَني][أ] ليَغفقوبَ[ج] على عَهْدِ يَغمُراسِنْ، وابنِهِ[د] لدَاودَ بن هِلال بن عَطّافِ بن رَدّادِ بن كُرَيْشِ بن عَيّادِ بن مَنيع بنِ يَغفقوبَ، منهم.

[140] / وكان بنو حَميدٍ أيضاً برئيسِهم وشَيْخِهم، إلاّ أنّه رَديفٌ لشيخ بَني يَغفقوب، وكانت رئاسَةُ حَميدٍ لأوْلادِ رِيَابِ بن حامِدِ بن جَحْوَش بن حِجَازِ ابن عُبَيدِ بن حَميد، ويُسمَّونَ الـحُجُزَ، وعلى عَهْدِ يَغمُراسِنْ لمعَرِّفِ بن سعيدِ بن رِيَابٍ، منهم، وهُو رَديفٌ لداودَ كما قُلْناه.

ووقعَتْ بيْنَ عُثمانَ بن يَغمُراسِنْ وبيْنَ داودَ بن عطّافٍ مُغاضَبةٌ، وسَخِطهُ عثمانُ لـمّا أجازَ الأميرَ أبا زكرياءَ ابنَ السُّلطانِ أبي إسْحاقَ من آلِ أبي حَفص حينَ فَرَّ من تِلِمْسَانَ طالِباً الـخروجَ على الخليفةِ بتونس، وكان

(أ) سقط ما بين النجمين من ص (ب) من د (ج) من د ص (د) ولابنه.

---

(1) في حاشية د: وهم بنو حجاز بن عُبيد.

عثمانُ بنُ يَغمَراسِنَ في بَيْعتِه، فاعْتزم على رَجْعِه، فأبَى داودُ من إخفارِ ذِمّتِه في ذلك، ورَحلَ معَهُ حتّى لحِقَ بعَطيّةَ بن سُليمانَ من شُيوخ الدَّواوِدَة، وتغلَّبَ على بجَايَةَ وقُسَنطينَةَ كما نَذكُرُ في أخْبارِه. وأقطَعَ داودَ بنَ هِلال - رَعْياً لِفَعْلَتِه - وَطَناً من بلادِ حَمْزةَ يُسمّى كدَّارَة، وأقامَ داودُ هنالِك في مَجالاتِهم الأولى إلى أنْ نازَلَ يوسُفُ بنُ يَعقوبَ تِلِمْسَانَ وطال حِصَارُهُ لها، فوفَدَ عليهِ داودُ مؤمِّلاً لإصلاحِ حالِه لدَيْه، وحَمّلَه صاحبُ بجَايَةَ رسالةً إلى يوسُفَ بن يَعقوب، فاستَرابَ بهِ من أجْلِها، فلَمّا قفَلَ من وِفادَتهِ بعَثَ في إثْرِه خَيّالةً من زَناتةَ بَيَّتوه ببَني يَبْقَى في سيكِ وقَتلوهُ، وقام بأمْرِه في قَوْمِه ابنُه سَعيد.

وَنُفِّسَ مخنَّقُ الحِصارِ عن تِلِمْسَان، وكان قتْلُ بَني مَرِينَ لأبيهِ وسيلةً رَعاها لهم بنو عُثْمانَ بن يَغمَراسِنَ، فرجَّعوهم إلى مَواطِنِهم ومعَ قَوْمِهم، وقدِ اعْتَزَّ أولادُ معَرِّفِ بن سَعيدٍ في غَيْبَتِهم تلك، فساجَلوهم في رئاسَةِ بَني عامِر، وغَصَّ كلُّ واحدٍ بمكانِ صاحِبِه، واختُصَّ بنو مُعَرِّف بقَبولِ الدّولةِ علَيْهم لسَلامَتِهم من الجرائِرِ والخِلاف، ونَزعَ سعيدُ بنُ داودَ لأجْلِ هذه الغَيْرَةِ إلى بَني مرين، ووفَدَ على السُّلْطانِ أبي ثابتٍ، من مُلوكِهم، يُؤمِّلُ بهِ الكَرَّةَ فلم يصادِفْ لها محَلاً. ورجَعَ إلى قومِه، وكانوا معَ ذلكَ حَيّاً جميعاً.

[40 ب] ولم تزَلِ السِّعاياتُ / تَدِبُّ بينَهم حتّى عَدا إبراهيمُ بنُ يَعقوبَ بن معرِّفٍ على سعيدِ بن داودَ فقتَلَه، وتناوَلَ قتْلَه ماضي بنُ رَوّانَ، من أولادِ معرِّف من بَني عامِر، بمُمَالأتِه، وتعصَّبَ عليهِ أولادُ رِيَابٍ كافّةً، فافترَقَ أمرُ بَني

عامِر وصاروا حَيَّيْنِ: بنو يَعْقوبَ وبنو حَميد، وذلكَ لعَهْدِ أبي حَمّو موسَى بن عثمانَ من آل زَيّان. وقامَ بأمْرِ بَني يَعْقوبَ بعدَ سعيدٍ ابنُه عُثمانُ، ثمّ هلَكَ بعدَ حينٍ إبراهيمُ بنُ يَعْقوبَ شيخُ بَني حَميد، وقام مكانَهُ من قَوْمِه ابنُه عامِرُ ابنُ إبراهيم، وكان شَهْماً حازِماً ولهُ ذِكْرٌ، ونَزَعَ إلى المَغرِبِ قبلَ عَريفِ بن يَحْيى، ونَزَلَ على السُلْطانِ أبي سَعيدٍ وأصْهَرَ إليهِ في ابنتِه، فأنْكَحَهُ عامِرٌ إيّاها وزَفَّها إليهِ ووَصَلهُ بمالٍ لهُ خَطَر، فلمْ يَزلْ عثمانُ يُحاوِلُ أن يَثأرَ منهُ بأبيهِ، بالفِتْنةِ تارةً والصُلحِ والاجْتماعِ أُخرَى، حتّى غدَرَهُ في بَيْتِهِ وقَتَلَه وارْتكَبَ فيهِ الشَّنْعاءَ الّتي تُنْكِرُها العربُ، فتقاطَعَ الفريقانِ لذلكَ آخرَ الدّهْر، وصار بَنو يَعْقوبَ هؤلاءِ أحْلافاً لسُوَيدٍ في فِتْنتِهم معَ بني حَميدٍ هؤلاءِ. ثمّ تلاحَقَتْ ظَواعِنُ سُوَيدٍ بعَريفِ بن يَحْيى في مكانِه عندَ بَني مَرين، واسْتطالَ ولَدُ عامِرِ بن إبراهيمَ بقَوْمِهم على بَني يَعْقوبَ، فلَحِقوا بالمَغرب، ولم يَزالوا بهِ إلى أن جاءُوا في عَساكِرِ السُلطان أبي الحَسَن، وهَلَكَ شيخُهم عثمانُ، قتَلَه أولادُ عَريفِ بن سَعيدٍ بثأْرِ عامرِ بن إبراهيم، ووَلِيَ بعدَه ابنُ عمِّه هَجْرَسُ بنُ غانِم بن هِلال، وكانَ رَديفاً لهُ في حَياتِه، ثمّ هلَكَ وقامَ بأمْرِهم بَعْدَهُ عَمُّه سَليمُ بن داود.

ولمّا تغلَّبَ السُلْطانُ أبو الحَسَنِ على تِلِمْسانَ، فَرَّ بَنو عامِرِ بن إبراهيمَ إلى الصَحْراءِ، وكان شيْخَهم لذلك العهد صُغَيِّرٌ ابنُه، واستَأْلَفَ السّلْطانُ على يَدِ عَريفِ بن يَحْيى سائرَ بُطونِ بَني حَميدٍ وأولادَ رِياب، فخالَفوا صُغَيِّراً وإخوانَهُ إلى السُلْطان، ووَلّى عليهم شيخاً من بَني عَمِّهم عَريفَ بنِ سعيد،

وهُو يَعْقوبُ بنُ العبّاس بن مَيْمونِ بن عَريف، ووَفَدَ بعدَ ذلك / عمرُ بنُ إبراهيم [عَمُّ صُغَيْر، فوَلاّه عليهم واستَخْدَمَهم، ولَحِق بنو عامر بن إبراهيم][أ] بالدّواوِدَة ونزلوا على يَعْقوبَ بنِ عليّ، ولَمْ يَزالوا هنالِكَ حتّى شَبُّوا نارَ الفِتْنة بالدّعِيّ ابن هَيْدورَ المُلبِّس بشَبَهِ أبي عَبْدِ الرّحمنِ ابن السُّلطانِ أبي الحَسن، وأعانَه على ذلكَ أهلُ الحُقودِ على الدّوْلَةِ والاضْطِغانِ من الدّبالِم وأوْلادِ مَيْمون بن عُثْمانَ من سُوَيْد، نَقَموا على الدّوْلَة مكانَ عَريفٍ وابنِهِ ونْزمارَ مِنْهَا، فاجْتَمعوا وبايَعوا لهذا الدّعِيّ، وأوْعَزَ السّلطانُ إلى ونْزمار بحَرْبِهم، فنَهَضَ إليهم بالعَرَبِ كافّةً وأوْقَعَ بِهِمْ وفَضَّهم ومَزَّقَ جُموعَهم. [141أ]

وطالَ مَفرُّ صُغَيْرِ بن عامِر وإخوتِه في القِفَار، وأبْعَدوا في الهَرَبِ حتّى قَطَعوا عِرْقَ الرّمْل[ب] الّذي هُو سياجٌ على مجالاتِ العَرَب، ونَزَل قُلَيْعةَ والْنَ وأوْطَنَها، وأوْفَدَ[ج] من بعدِ ذلك على السُّلْطانِ أبي الحَسن مُتَذمِّماً(1) به، فقَبِلَ وِفَادَتَه واستَرْهَنَ أخاهُ أبا بَكْر، وصَحِبَ السّلطانَ إلى إفريقيَةَ وحضَرَ معَهُ واقعةَ القَيْروانِ، ثُمّ رجعَ إلى قَوْمِه، وعادوا جَميعاً لولايَةِ بَني يَغْمَراسِنْ واسْتَخْدَموا قبائِلَهم لأبي سعيدٍ عثمانَ بن عبدِ الرّحمنِ بن يَحْيى بن يَغْمَراسِنْ[د] الدّائل بتِلِمْسَانَ بعدَ واقعةِ القَيْروانِ أعوامَ خمسينَ وسبْعِ مائة، فكان لهُ ولقَوْمِه فيها مكانٌ.

(أ) من د، ص (ب) في د ص ظ "العرق" مُعرَّفة، ثم اضيفت كلمة "الرّمل" في الحاشية للإضافة، فأسقطنا أداة التعريف في المضاف إليه. ويتكرر الاسم بعد في الصفح 51 ب (ج) د ص: ووفد (د) ظ: يغمران.

---

(1) أجارَه وأخذ له الذّمّة، بالحق والحُرْمة.

ولَحِقَ سُوَيدٌ وبَنو يَعْقوبَ بالمَغْرب، حتَّى جاءوا في مُقدّمةِ السُّلْطان أبي عِنان.

ولـمّا هلَكَ بَنو عبدِ الواد وافْتَرَقَ جَمْعُهم، فرَّ صُغَيّرٌ إلى الصَّحراءِ على عادَتِه، وأقامَ بالقَفْرِ يترقَّبُ الخوارجَ، ولَحِقَ بهِ أكثرُ قَوْمِه من بَني مُعرِّف بنِ سَعيد، فأجْلَبَ بهم على كلِّ ناحيةٍ وخالَفَ[ا] أولادُ حُسيْن من الـمَعْقِل على السُّلْطان أبي عِنان: أعوامَ[ب] خَمْسةٍ وخَمْسينَ وما بَعْدَها، ونازَلوا سِجِلْماسَة، فكاثَرهم وكان مَعَهم، وأوْقَعتْ بهم عساكرُ بَني مَرينَ في بَعْض سِنِي خِلافِهم وهُمْ بنُكُورَ يَمْتارونَ، فاكْتَسَحوا عامَّةَ أمْوالِهم وأثْخَنوا فيهم قتلاً وأسْراً، ولم يَزالوا كذلِكَ [وصار فَلُّهم] شَريداً[ج] في الصَّحْراءِ، / [41 ب] وسُوَيدٌ وبَنو يَعْقوبَ بمكانِهم من الـمَجالاتِ وفي حَظِّهم عندَ السُّلْطان، حتَّى هَلَكَ السُّلْطان أبو عِنانٍ وجاء أبو حَمّو موسَى بنُ يوسُفَ، [أخو][د] السُّلْطان أبي سَعيدٍ عُثْمانَ ابن عبدِ الرّحمن، لطَلَبِ مُلْكِ قَوْمِه بتِلِمْسان، وكان مُسْتَقِرّاً بتونِسَ منذُ غلَبَهم أبو عِنانٍ على أمْرِهم، فرَحَلَ صُغَيّرٌ إلى وطَنِ الذَّواوِدَة ونزَلَ على يَعْقوبَ بنِ عليٍّ أزمانَ خلافِهِ على السُّلْطان أبي عِنان، وداخَلَهُ في اسْتِخْلاص أبي حَمّو هذا من إيالَةِ الـموَحِّدينَ للإجْلابِ على وطَنِ تِلِمْسانَ وَبني مَرينَ الّذين بِه، فأرْسَلوهُ معَهُ وأعطَوْهُ الآلَةَ و[مضَى][هـ] بهِ صُغَيّرٌ وصَوْلَةُ بنُ

(أ) ص: وحالف (ب) من د ص، وفي ظ: أعوان (ج) كذا في ظ د ص، فافترضنا سقطًا، قياسًا على تعبير ابن خلدون المماثل الوارد في الصفح [42 أ]: وصار فلُّهم شريدًا إلى الصحراء (د) في ظ: أخي (هـ) مكشوطة في الأصل ظ والتكملة من د، ص.

يَعْقوبَ بن عليٍّ، وزيّانُ بنُ عثمانَ بن سِبَاع، وشِبْلُ ابنُ أخيهِ مُلوكِ بن عُثْمان، ومن باديةِ رِيَاحٍ: دَغّارُ بنُ عيسَى بن رِحَاب، بقَوْمِه من سَعيد.

وبلَغوا معَهم إلى تُخوم بِلادِهم، فرجَعَ عنهم رِيَاحٌ، إلاّ دَغّارَ بنَ عيسَى وشِبْلَ بنَ مُلوكٍ ومَضَوْا لوَجْهِهم، ولقِيَتْهم جموعُ سُوَيد، وكانَ الغلَبُ لبني عامِر، وقُتِلَ يومَئذٍ شيْخُ سُوَيد عيسَى بنُ عَرِيف وأُسِرَ أخوهُ أبو بَكْر، ثُمّ مَنَّ عليهِ عليُّ بنُ عُمَرَ بن إبراهيمَ وأطْلَقَه. ولم يَتّصلِ الخبرُ بفاسَ إلاّ والنّاسُ مُنْصرفونَ من جَنازةِ السُّلْطانِ أبي عِنان. ثُمّ أجْلَب أبو حَمّو بالعَرَب على تِلِمْسَانَ فأخَذَها وغلَبَ عساكِرَ بني مَرِينَ عليها، واسْتَوْسقَ[1] مُلْكُه بها. ثُمّ هَلَكَ صُغَيِّرٌ لسَنَتَيْنِ أو نَحْوِهما، حَمَلَ نَفْسَه في جَوْلَةِ فِتْنَةٍ في الحيّ يَرومُ تسْكينَها على بَعْض الفُرْسان، فاعْتَرَضَهُ بسِنانِ رُمْحٍ عن غَيْر قَصْدٍ فأنفَذَهُ وهلَكَ لوَقْتِه، ووَلِيَ رئاسَتَهم من بَعْدِه أخوهُ خالدُ بنُ عامِرٍ يُرادِفُهُ عبدُ اللّه ابنُ أخيهِ صُغَيِّر. وخَلَصَتْ زُغْبَةُ كلُّها للسُّلْطانِ أبي حَمّو يَأْساً من بني مَرِينَ لِمَا كان بَيْنَهم من الفِتْنَة. فاسْتَخْدَمَتْهم جميعاً على مَضارِبِهم وعوائدِهم من سُوَيدٍ وبني يَعْقوبَ والدّيالِم والعَطّاف.

حَتّى إذا كانت فِتْنَةُ أبي زَيّانَ ابنِ السُّلْطان أبي سَعيدٍ - عَمِّ أبي حَمّو كما نَذْكُرُهُ / [142] في خَبَرِهم - جاشَ مِرْجَلُ الفِتْنةِ من زُغْبَة، واخْتلَفوا على أبي حَمّو، وَتَقَبَّضَ على مُحمّدِ بن عَرِيف أميرِ سُوَيد لاتّهامِه إيّاه بالإدْهانِ في أمْرِه،

(1) الوَسْقُ ضم الشيء إلى الشيء، واستوسق له الأمر أمكنه واستقرّ له. والمعنى هنا: اجتمعوا على طاعته واستقرّت له الدولة.

فنَزَعَ أخوه أبو بَكْرٍ وقومُه إلى صاحِبِ المَغرب عبدِ العَزيز ابن السُلْطان أبي الحسَن سنةَ سَبْعينَ وسَبْعِ مائة، وجاءوا في مقدّمتِه واستَوْلَوا على مَواطِنِهم، ولَحِقَ بنو عامِرٍ وأبو حَمّو بالصَحْراءِ وطالَ تَردُّدُهم فيها، وسَعَى عنْدَ أبي حَمّو في خالدٍ من عُمومتِه وأقارِبِه، عبْدُ الله بنُ عسْكَرِ بن معرّفِ بن يَعْقوب، ومُعَرِّفٌ هُوَ أخو إبراهيمَ بن يَعْقوب، وكان عبدُ الله هذا بِطانةً للسُلْطان وعَيْناً، فاسْتَفْسَدَ بذلكَ قلبَ خالد، وتَغيّرَ ونَبَذَ إليهِ عهدَه ونَزَع عنهُ إلى السُلْطان عبدِ العزيز، وجاءَتْه عساكِرُ بني مَرين، فأوْقَع بالسُلْطان أبي حَمّو ومَن مَعَهُ من العَرب، وهلَكَ عبدُ العَزيز سنةَ أرْبعٍ وسبْعين، فارْتَحلَ إلى المَغربِ هُوَ وعبدُ الله ابنُ أخيه صُغَيْر، ولحِقَهم سابِي بنُ سُلَيْم بن داودَ شيْخُ بَني يَعْقوب، كانَ قومُه بَنو يَعْقوبَ قَتلوا ابناً لمُحمّدِ بن عَرِيف، فحدَثَتْ بَيْنَهمُ الفِتْنةُ، ولحِقَ سابِي هذا وقومُه بالمَغرب، وصحِبَ خالِداً يُؤمِّلُ به الكَرّةَ.

ويَئِسوا من صَرِيخ بَني مَرِين لِمَا بَيْنَهم من الفِتْنة، فرَجَعوا إلى أوْطانِهم سنةَ سَبْعٍ وسبْعينَ وأضْرَموا نارَ الفِتْنة، وَخَرجتْ إليهم عَساكِرُ السُلْطانِ أبي حَمّو معَ ابْنهِ أبي تاشفينَ، وزحَفَت معَهُ سُوَيدٌ والدّيالِمُ والعَطّاف، فأوْقَعوا بهم على وادِي مِينَا قِبْلةَ القَلْعة، وقُتِلَ عبدُ اللّه بنُ صُغَيْر وأخوهُ ملوكٌ في قَرابةٍ لهم آخَرين، وصارَ فَلُّهم شَريداً إلى الصَحْراء، ولحِقوا بالدّيالِم والعطّاف، واجْتَمَعوا جميعاً إلى سالم بن إبراهيمَ كبيرِ الثّعالِبَة وصاحبِ وَطَنِ مَتِّيجَة، وكانَ يَتَوجّسُ من أبي حَمُّو الخِيفةَ، فاتّفقوا على الخِلافِ، وبَعَثوا [42 ب] عن الأميرِ أبي زَيّانَ بمَكانِه من وطنِ رِياحٍ، فجاءَهم وبايَعوهُ، وأمْكَنَهُ / سالمٌ

من الجزائِر. ثُمّ هلَكَ خالدٌ في بَعْض تلكَ الأيّامِ، فافْتَرَقَ أمرُهم، ووَلِيَ على بَني عامِرٍ المسْعُودُ بنُ صُغَيْرٍ، وزَحفَ إليهم أبو حَمّو في سُوَيْدٍ وأوليائِه من بَني عامِرٍ، واستَخْدَمَ سالمَ بنَ إبراهيمَ. وخرجَ أبو زيّانَ إلى مَكانِه من وَطنِ رِيَاحٍ، ولَحِقَ المسعودُ بنُ عامِرٍ وقومُهُ بالقَفْرِ، ولَحِقَ ساسي بنُ سُلَيْمٍ بيَعْقوبَ بن عليٍّ وقومِهِ من الذّوَاوِدَة.

ثُمّ راجَعوا جميعاً خِدمةَ السُّلْطان، وأوفَدوا عليه، فأمَّنهم، وقَدِموا عليه، وأظهَرَ البِرَّ والرَّحْبَ بالمَسْعودِ وساسي، وطوَى لهم على النَّكْثِ. ثُمّ داخَلَ بِطانَتَه من بَني عامِرٍ وسُوَيدٍ في نَكْبَتِهم، فأجابوهُ، ومَكَرَ بهم، وبعَثَ ابنَه أبا تاشفينَ لقَبْض الصَّدَقاتِ من قَوْمِهم، حتّى إذا اجْتَمَعَ لهُ ما أرادَ من الجُموعِ تقَبَّضَ على المسْعودِ وعَشَرةٍ من إخْوانِه بَني عامِرٍ بن إبراهيمَ، ونهَضَ أبو تاشفينَ والعَربُ جَميعاً إلى أحياءِ بني يَعْقوبَ - وكانوا بسِيرَاتَ - وقد أرْصَدَ لهم سُوَيدٌ بوادِ مِينَا، فصَبَّحَتْهم بَنو عامِرٍ بمكانِهم واكْتَسحوهم، وصارَ فَلُّهم إلى الصَّحْراءِ، فاعْتَرَضَهم أبو تاشفينَ ببَني راشِد فلم يُبْقِ لهم باقِيَةً.

ونَجا ساسي بنُ سُلَيمٍ إلى الصَّحْراءِ في فَلٍّ قليلٍ من قَوْمِه، ونَزلَ على النَّضْر من عُرْوةَ، واستَبَدَّ برياسةِ بَني عامِرٍ سليمانُ بنُ إبراهيمَ بن يَعْقوب عَمُّ صُغَيْرٍ، ورَديفُه عبدُ الله بنُ عَسْكرِ بن معرّفِ بن يَعْقوب، وهُوَ أقربُ مكاناً من السُّلْطان وخُلَّةً. ثُمّ بعَثَ صاحبُ المَغرِبِ السُّلْطانُ أبو العبّاس أحْمَدُ ابنُ المَوْلى أبي سالِم بالشّفاعَةِ في المسْعودِ وإخْوانِه بوسيلة من ونزْمار بنِ عَريفٍ بعْدَ أن كان مُداخِلاً لأبي حَمّو ولإخْوانِه في نَكْبَتِهم، فأطْلَقَهم أبو حَمّو

بتلْك الشّفاعَة فعَادوا إلى الخِلاف، وخَرجوا إلى الصَّحْراء، واجْتمَعَ إليهم الكثيرُ من أوْلادِ إبراهيمَ بن يَعْقوب، واجْتَمَعَ أيضاً فَلُّ بَني يَعْقوبَ من مَطارِدِهم إلى شَيْخِهم ساسي بنِ سُلَيم، ونَزلوا جَميعاً مع عُرْوة، وأوْفَدَ [143] / إخوانَه على السُّلْطان أبي العبّاس صاحِبِ إفريقيَّةَ لهذا العَهْد مُتذَمِّماً بهِ وصَريخاً على عَدُوِّه، فتلقَّاهُ(أ) من البرِّ والإحْسانِ بما يُناسِبُه، وأفاضَ في وَفْدِه العطاءَ، وصرَفَهُ بالوَعْدِ الجَميل. وشَعَرَ بذلك أبو حَمّو، فبعَثَ من عُيونِه من اغْتالَهُ في بَيْتِه.

ووَفَدَ بعْدَها على السُّلْطان أبي العباس صاحب إفريقيَّةَ عليُّ بنُ عُمرَ ابن إبراهيم، وهُوَ ابنُ عَمِّ خالدِ بن عامِر، وكبيرُ النَّفَرِ المُخالفِينَ من بَني عامِر على أبي حَمّو، ووَفَدَ معَهُ سُليمانُ بنُ شُعَيْب بن عامِر، فوفَدوا عليه بتونِسَ يَطْلُبونَ صَريخَه، فأجابَهم ووَعَدَهم وأحسَبَ(1) بالإحسانِ والمَبَرَّةِ آمالَهم، ورجَعوا إلى قَوْمِهم. ثُمّ راجعَ عليُّ بنُ عُمرَ خدْمَةَ أبي حَمّو وقدَّمَهُ على بَني عامِرٍ وأدالَ بهِ من سُليمانَ بنِ إبراهيمَ بن عامِر، فخرجَ سُليمانُ إلى أهْلِ بَيْتِه من وُلْدِ عامِر بن إبراهيمَ الّذين بالصحراءِ، ونَزلوا معَ بني يَعْقوبَ بأحْياء أبي بَكْرِ بنِ عَريف، وهم على ذلك لهذا العَهْد. واللهُ مقدِّرُ اللّيلِ والنّهار.

(أ) في ظ وحدها: "بالمبرّة"، وحتّى لا يتكرر معناها مع ما بعدها، استبعدناها.

---

(1) أكثر وأجزل، أعطاه ما يُرضيه وكفاه.

[بنو عامر بن زُغبة]

[144 أ] • / عُرْوَةُ بن زُغْبَة

وأمّا عُرْوَةُ بنُ زُغْبَةَ فهُم بَطْنان: النَّضْرُ بنُ عُرْوة، وخميس بنُ عُرْوَة، وبطونُ خميس ثلاثةٌ: عُبَيْدُ الله، وفَزَعٌ، ويَقْظان. ومن بُطونِ فَزَع: بَنو نائِلٍ أحْلافٌ لأولا[دِ] محيًا من العُمُورِ القاطِنينَ بجبَل راشِد، وبنو يَقْظانَ، وعُبَيْدِ الله أحْلافٌ لسُوَيد، يَظْعَنونَ لظَعْنِهم و • يُقيمون لمُقامَتِهم •[أ]، ورئاستُهم لأوْلادِ عايد من بَطْن يَقْظان. وأمّا النَّضْر بنُ عُرْوةَ فمنتبِذون بالقَفْرِ يَنْتَجِعون في رِمَالِه ويصْعَدونَ إلى أطْرافِ التُّلولِ في إيَالَةِ الدّيالِم والعَطّاف وحُصَيْن وتُخوم أوْطانِهم، وليس لهم مِلْكٌ ولا أقطاعٌ، لعَجْزِهم عن دُخولِ التُّلول بقِلّتِهم ومُمانَعَةِ بُطونِ زُغْبَةَ الآخرينَ عَنها، إلاّ ما تَغَلّبوا عليهِ في أذْنابِ الوَطن بجبَلِ المُشَنْتَل ممّا يَلي وطنَ رِياح، يَسْكُنُه قومٌ من غمره وزناتةٌ استَمرَّ عليهم غَلَبُ العَرب منذ سِنين، فوضَعَ النَّضْرُ هؤلاءِ عليهم الإتاوَةَ وأصاروهم خَوَلاً ورَعِيّةً، ورُبّما نزَلَ منهم معَ هؤلاءِ البرابِرِ من عَجَزَ عن الظَّعْنِ من بُيوتِهم.

ولهم بطونٌ مذكورَةٌ: أولادُ خليفةَ • وَالْخماقِنَةِ وشريفَة والسَّحارَى وذَوي زَيّان، وأولادُ سُلَيمان، ورئاستُهم جميعاً في أولادِ خليفَة[ب] • بنِ النَّضْرِ بن عُرْوة، وهيَ لهذا العَهْدِ لمُحمّدِ بن زَيّانَ بن عَسْكرِ بن خَليفةَ، ورَديفِه سَمْغونَ بن بويَحْيى بن خَليفَة بن عَسْكر، وأكثرُ السّحارى مُوطَنونَ بجبلِ المُشَنْتَل الّذي ذكرناهُ، ورئاستُهم في أولادِ • خَليفةَ منهم •[ج]، وناجِعةُ

(أ) سقط ما بينَ النجمين من ص (ب) ما بين النجمين حاشية بخطه في ظ، ومدرجة في متن د ص (ج) بياض في د ص .

هَؤُلاء النَضْر، أحلافٌ لزُغْبَةَ دائماً، فتارَةً للحارِثِ وحُصَيْنٍ جيرانهم في المَواطِن، وتارَةً لبني عامِر في فتْنَتِهم مَعَ سُوَيْد، ونُدْبَتُهم مع بني عامِر فيما يَزْعُمون: يَاآلَ قُحافَةَ. وسمعتُ من مَشايِخِهم أنّه ليْس بأبٍ لهم، وإنّما هُوَ اسْمُ وادٍ كان بهِ حلْفُهُم قديماً. ورُبّما يُظاهِرونَ سُوَيْداً على بني عامِرٍ، إلاّ أنّه في الأَقَلِّ والنُدْرَة، وهُم إلى حِلْفِ بَني عامِر أقربُ وأسْرَعُ لِمَا ذكَرْناهُ، ورُبّما ظاهَروا رِيَاحاً بَعْضَ المرّاتِ في فِتْنَتِهم لجوارِ المَوْطِن[أ]، إلاّ أنّه قليلٌ أيضاً وفي النّادِر، / ويَتَنازَلونَ في الأَكْثَرِ مَعَ الباديةِ من رِيَاحٍ مِثْلَ مسْلم وسَعيد، [44 ب] ورُبّما وقَعَتْ بَيْنَهم حروبٌ في القَفْرِ يُصيبونَ فيها، بَعْضٌ من دماءِ بَعْضٍ.

هذه بطونُ زُغْبَةَ وما تأدّى إلينا من أخْبارِها، ولله الخلْقُ والأَمْرُ وهُوَ ربُّ العالمين.

(أ) د ص: الوطن.

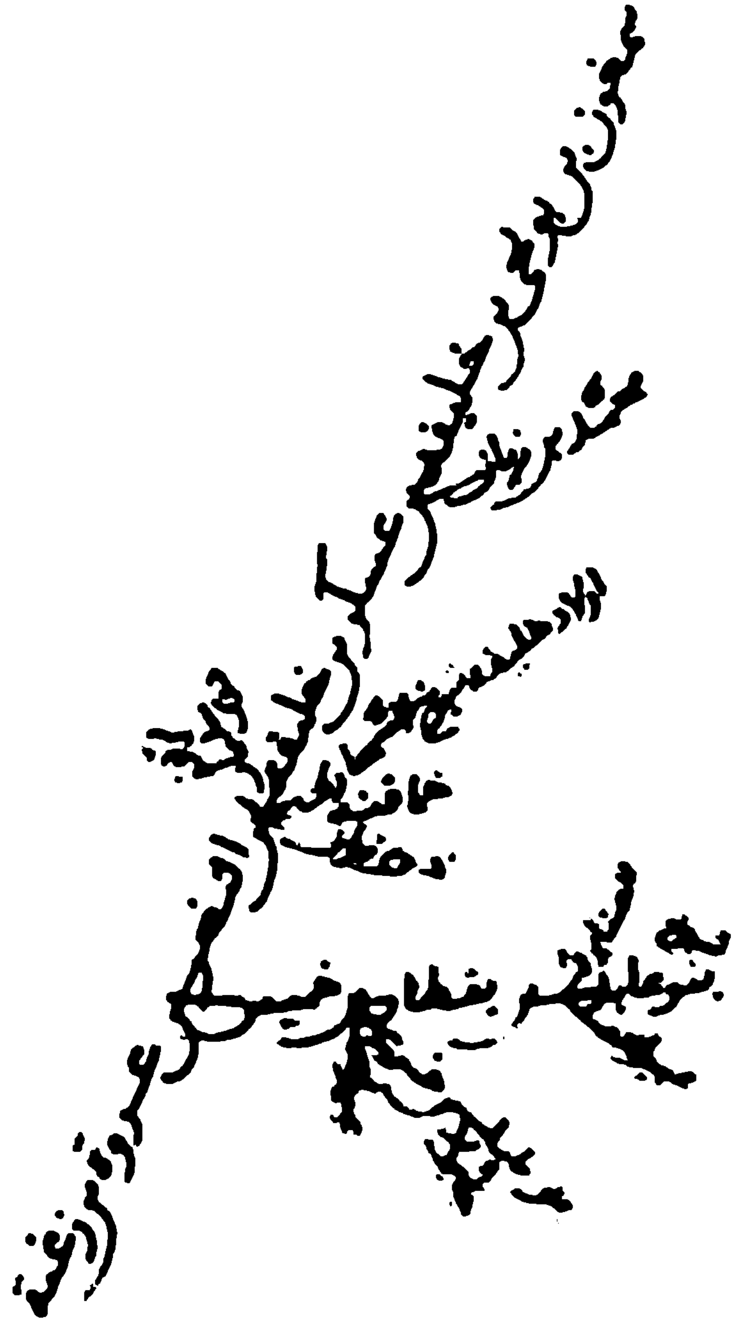

(نسب ظفير بن زغبة)

● / الخَبرُ عن المَعْقِلِ[1] من بُطونِ هذه الطَّبقةِ الرَّابعَةِ، وأنسابِهم وتصاريفِ أحوالِهم [145 أ]

هذا القَبيلُ لهذا العَهْدِ من أوْفرِ قبائلِ العَربِ بالمَغرب. ومَواطِنُهم بقِفارِ المَغرب الأقْصى مُجاوِرينَ لبني عامِرٍ من زُغْبَةَ في مَواطِنهم بقِبْلَةِ تِلِمْسَان، ويَنْتَهونَ إلى البَحْرِ المُحيط من جانِبِ الغَرْب.

وهم ثلاثةُ بُطون: ذَوي عُبَيدِ اللّه، وذَوي مَنْصور، وذَوي حَسّان. فذَوي عُبَيدِ اللّه منهم هُم المجاوِرونَ لبني عامِر، ومَواطِنُهم ما بَيْنَ تِلِمْسَانَ وَتَاوْرِيرَتْ[أ] ● [في التلِّ وما يواجِهُها من القِبْلَةِ، ومواطِنُ ذوي مَنْصورٍ من تاوْرِيرَتْ]●[ب] إلى بِلادِ دَرْعَة، فيَسْتَوْلونَ على مَلْوِيَةَ كلِّها إلى سِجِلْماسَة، وعلى دَرْعَةَ وعلى ما يُحاذِيها من التَّلِّ، مثلَ تازَى وغِسَاسَةَ ومِكْناسَةَ وفاسَ وبلادِ تَاذْلاَ والمعدِن، [وينزلُ شيوخُهم في بَلَدِ نول قاعدةِ السّوس][ج].

ومواطِنُ ذَوي حَسّانَ من دَرْعَةَ إلى البَحْرِ المُحيط، فيَسْتَوْلونَ على السّوسِ الأقْصى وما إليه، ويَنْتَجِعونَ كلُّهم في الرِّمالِ إلى مَواطِن الملثَّمينَ من كُدَاله ومَسُوفَه ولَمْتُونَة.

وكان دُخولُهم إلى المَغْربِ معَ الهلاليّينَ في عَددٍ قليلٍ، يُقالُ إنّهم لم يَبْلُغوا المائتَيْنِ، واعتَرَضَهم بنو سُلَيْم فأعْجزوهُم، وتحيّزوا إلى الهِلاليّينَ مُنْذ عَهْدٍ قَديم،

(أ) كذا ضبطت بالشكل في د: تاوْرِيرَتْ (ب) من د ص (ج) حاشية في د بخطه ومدرجة في متن ص.

(1) نهاية الأرب 74، تاريخ الجزائر 2: 193، قبائل المغرب 2: 414، ليون الإفريقي: وصف إفريقيا 1: 53.

ونَزلوا بآخِرِ مَواطِنهم ممّا يَلي مَلْوِيَة [ورِمال تافِيلالْت، وجاوَروا زَناتةَ في القِفارِ الغربيّة، فعَفَوْا وكَثُروا، وانبثّوا][أ] في صَحارَى المَغرب الأقْصى، فعَمَروا رِمَالَه وتقَلَّبوا في فَيافيه، وكانوا هنالِكَ أحْلافاً لِزناتةَ سائرَ أيّامِهم، وبَقِيَ منهم بإفريقيّةَ جَمْعٌ قليلٌ اندَرجوا في جُمْلةِ بني كَعْب من سُلَيْم، وداخَلوهم حتّى كانوا وُزَراءَ لهم في الاسْتِخْدام للسُّلْطان واستِئْلافِ العَرب.

فلمّا ملكَتْ زَناتةُ بلادَ المَغْرب ودَخلَوَى إلى الأمْصارِ والمُدُن، أقامَ هؤلاءِ المَعْقِلُ[ب] في القِفار، وتَفَرّدوا في البَيْداء، فنَمَوْا نُمُوّاً لا كِفَاءَ لهُ، ومَلكوا قُصورَ الصّحْراءِ التي اختَطَّها زَناتةُ بالقَفْرِ، مثل: قُصورِ السُّوس غَرْباً، ثُمّ تَوَاتْ ثُمّ بودَهْ ثُم تَمَنْطِيتْ ثُمّ رَكّانْ ثُم تسابِيتْ ثُم تِيكُورَارِينْ شَرْقاً، وكلُّ واحدٍ من هذه وطنٌ مُنفَرِدٌ يشتَمِلُ على قُصورٍ عَديدة ذاتِ
[45 ب] نَخْلٍ وأنْهار، وأكثرُ ساكِنِها من زَناتَةَ، وبَيْنَهم فِتَنٌ وحُروبٌ / على رِئاسَتِها.

فحازَ عَربُ المَعْقِل هذه الأوطانَ في مَجالاتِهم، ووَضعوا عليها الإتاواتِ والضّرائبَ، وصارَتْ لهم جِبايةً [يعتَدُّونَ][ج] فيها مُلْكاً، وكانوا منذُ المُدَدِ السّالِفةِ يُعطُونَ الصدقاتِ [للملوكِ زَناتةَ ويأخذونَهم بالدّماءِ والطوائل ويسمُّونَها جَملَ الرحيل، وكان لهُم الخِيارُ في تعيينِها][د]. ولم يكنْ هؤلاءِ العَربُ يَستبيحونَ من أطْرافِ المَغْربِ وتُلولِه حِمىً، ولا يَعْرِضونَ لسابِلَةِ سِجِلْماسَةَ ولا غَيْرِها إلى بلادِ السّودان بإذايةٍ ولا مَكْروهٍ، لِمَا كان بالمَغرب منَ اعْتزازِ

(أ) من: د ص وفي ص: فأثبتوا (ب) في د: المعقل بفتح القاف (ج) من د، وفي ظ: يعتادون ص: يعيدون
(د) من د ص .

الدُّوَل وسَدِّ الثّغور وكَثْرَةِ الحامِيةِ أيّامَ الموحِّدِينَ وزَناتَةَ بَعْدَهم، وكان لهم بإزاء ذلك إقطاعٌ من الدُّوَل يَمُدّونَ إلى أخْذِه اليدَ السُّفْلَى.

وعدَدُهم كما قُلْناهُ قليلٌ، وإنّما كثُرُوا بما اجْتَمعَ إليهم من القَبائل من غَيْرِ نَسَبِهم، فإنّ فيهم من فَزارَةَ[أ] ومن أشْجَعَ[ب] أحياءً كثيرةً، وفيهمُ الشَّطَّةُ من كَرْفَه، والمهايَة من عِيَاض، والشّعرَا من حُصَينٍ، والصبّاحُ من الأخْضَر، وفيهم من مسْلم وسَعيدٍ من رِيَاح، [والعمور] من الأثْبَج، ومن بَني سُلَيْم وغَيْرِهم.

وأمّا أنْسابهُم عندَ الجُمْهور لخفيّةٌ ومَجْهولة، ونَسَّابَةُ العَرَبِ من هِلالٍ يَعُدّونَهم من بُطونِ هِلال، وهُوَ غيرُ صحيح. وهُم يزعُمونَ أنّ نَسبَهم في أهْلِ البَيْتِ إلى جَعْفرِ بن أبي طالِب، وليس ذلك أيضاً بصَحيح؛ لأنّ الطالِبيّينَ والهاشِمِيّينَ لم يكونوا أهلَ بادِيَةٍ ونُجْعة، والصّحيحُ - واللهُ أعلَمُ - من أمْرِهم، أنّهم عربٌ من اليَمن[ج]، فإنّ [فيهم][د] بَطنَيْنِ يُسمَّى[هـ] كلُّ واحدٍ منهما بالمَعْقِل، ذكَرَه[و] [ابن] الكلْبيّ[ز] وغيرُه. فأحدُهما من قُضَاعَةَ بن مالكِ بن حِمْيَر، وهُو مَعْقِلُ بنُ كَعْب بن عُلَيْم بن جَنَابِ بن هُبَلَ بن عبدِ الله بن كِنانَةَ بن بَكْرِ بن عَوْفِ بن عُذرَةَ بن زَيْدِ اللاّت بن رَفيدَةَ بن ثَوْرِ بن كَلْبِ ابن وبَرَةَ بن تَغْلِبَ بن حُلوانَ بن عِمْرانَ بن الحافِ بن قُضاعَة. والآخَرُ من [بني][ح] الحارثِ بن كَعْب بن عَمْرِو بن عُلَةَ بن جَلْدِ بن مَذْحِج، واسمُه مالكُ

(أ) د، ص، وفي ظ: "قرارة" (ب) ظ: "أمجع" (ج) د: من عرب اليمن (د) من ص د. ظ: فيه (هـ) ص: تسمّى (و) د ص: ذكرها (ز) من د ص ظ: الكلبي (ح) من ص. د .

ابنُ أُدَدَ بن زَيْدِ بن يَشْجُبَ بن عَريبِ بن زَيْدِ بن كَهْلانَ، وهُو مَعْقِلٌ، واسمهُ ربيعةُ بن كَعْبِ بنُ رَبيعَةَ بن كَعْبِ بن الحارث، والأَنْسَبُ أن يَكونوا من هَذا البَطْنِ الأخيرِ الَّذي من مَذْحِج؛ / لأنّ اسْمَهُ ربيعةُ، وقد عَدّ [146] الأَخْبارِيّونَ في بُطونِ هِلال الدّاخِلينَ إلى إفريقيّةَ ربيعةَ هؤلاء، معَ أنّ مَواطِنَ بني الحارِث بن كَعْب قريبٌ من البحْرَيْن، حيثُ كان هؤلاءِ القَربُ معَ القَرامِطَةِ قَبْلَ دُخولِهم إلى إفريقيّة.

• ويؤيّدهُ أنّ ابنَ سَعيدٍ لمّا ذكَر مَذْحِجَ، وأنّهم بجِهاتِ الجِبال من اليَمن، وذكَر من بُطونِهم عَنْساً وزبيداً ومُراداً ثم قال: وبإفريقيّةَ منهم فِرْقَةٌ وَبْرِيةٌ تَـرْحَلُ وتنزِلُ. وهؤلاءِ الّذين ذكَر إنما هـمُ المَعْقِلُ الّذين بإفريقيّة، وهم[أ] فِرْقَةٌ من هؤلاءِ الّذين بالـمَغْرِبِ الأقْـصى•[ب]. ومن إملاءِ نَسّابتِهم أنّ مَعْقِلاً جدَّهم كان لهُ من الوَلَدِ: صَقيلٌ ومُحمّد، ووَلَد صَقيلٌ: عُبَيْدَ الله، وثَعْلَبَ، فمن عُبَيْدِ الله: ذوي عُبَيْدِ الله، البَطنُ الكبيرُ فيهم، ومن ثعْلب: الثّعالبةُ الذينَ ببَسيطِ مَتّيجَةَ من ضَواحي الجَزائِر، ووُلْدُ مُحمّدٍ: مختارٌ ومنصورٌ وجَلالٌ وسالِمٌ وعُثْمان [وربيعةُ، ووُلْدُ ربيعةَ السّهول والقواودة][ج]. فوَلَدَ مختارِ: مُحمّدُ بن حسّانُ وشبانَةُ، فمن حَسّانَ: ذوي حسّانَ البَطْنُ المذكورُ أهلُ السّوسِ الأقْصى، ومن شَبانَةَ: الشَّبانات[د] جيرانُهم هنالك [وفيهم بَطْنان: بنو ثابتٍ تحتَ جبل السّكسيوي في آدرَن، وشيخُهم لهذا العَهْدِ

(أ) في ص بخطه: وهي (ب) ص: حاشية بخطه في د: نقلْتُها في متها ظ، ص (ج) من حاشية د بخط المؤلف، وسقط من ظ ص (د) كذا ظ ص د .

يعيشُ بنُ طلْحةَ، والبَطنُ الآخرُ آلُ عليّ، وموطِنهم في بَرّيّة هنكيس، تحتَ جبلِ كـزولَة، وشيخُهم لهذا العَهْدِ أو ما قرُبَ منهُ حَريزُ بنُ عليّ][أ]، ومن جلالٍ وسالم وعثمان: الرُّقَيْطات، باديةٌ لبَني[ب] حَسّان ينْتَجِعونَ معَهم. ووُلْدُ مَنصورِ بن مُحمّد: حسينٌ وأبو الحُسَيْن وعِمْرانُ ومَنَبا، ويُقالُ لهم جَميعاً: ذوي مَنصور، وهُو أحدُ بُطونِهم الثّلاثةِ المذكورة، واللهُ أعْلم[1].

(أ) حاشية في د بخطه، وسقطت من ظ ص (ب) د ص: لذوي.

---

(1) كتب المؤلف بخطه حول المشجر التالي ما يلي ولم يحدّد موقعه من النصّ: وكان التّهول من ربيعة يسمُّون الشّغوب، لمرّوا يومًا بين يدَي السّلطان يوسف بن يعقوب، فسأل عن اسْمِهم فقيل له الشّغوب، فقال: سَهّلوهم ولا تشغُبوهم، فدُعوا التّهول من يومئذ.

وكتب أمام اسم مختار بن محمد بن مَعْقِل في مشجر نَسَبهم: فوَلَد مختارٌ حسّانَ وشبانة وموسَى وبَرّيه وجيهان وأقْرم وكبريث ودَخْداخ وشَيْظم ومطاع وثغاري، ويقالُ إنّ أولادَ عَراب الذين يعدّون في بني عسكر إنما هم من بني جَيْهان.

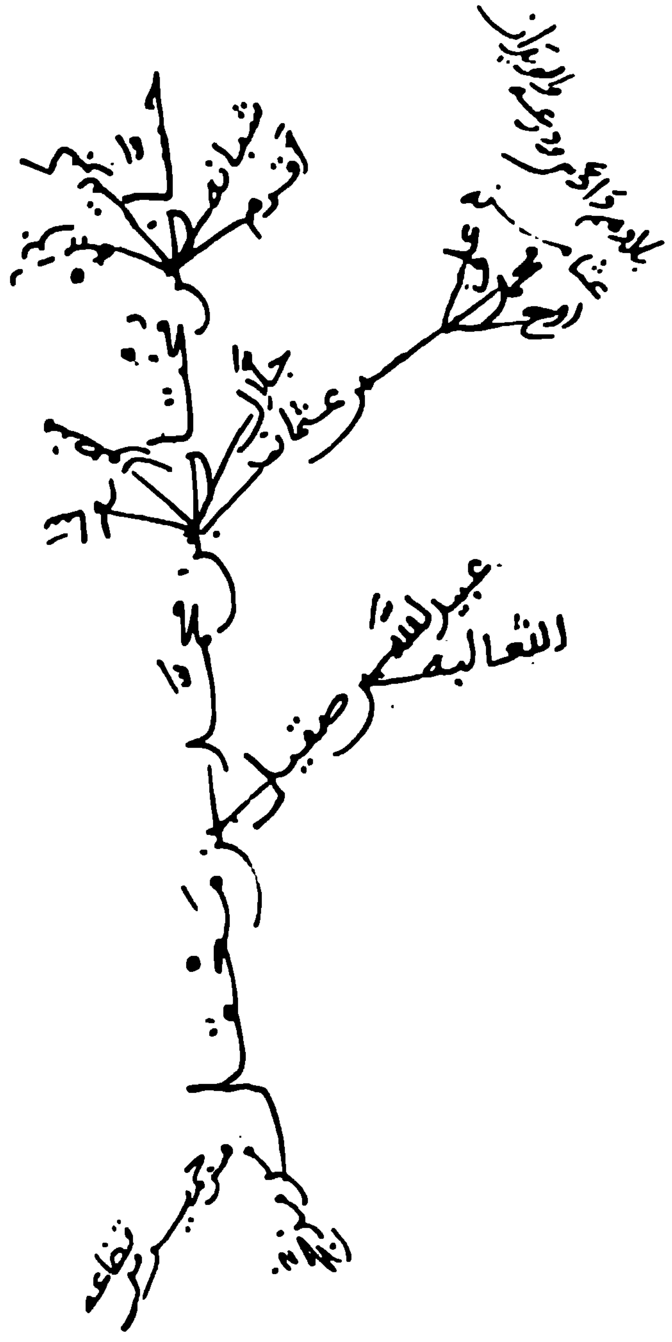

[المقبل]

[147]

• /ذَوي عُبَيْدِ اللّه[1]

فأمّا ذَوي عُبَيْدِ اللّه، وهُم الجاوِرونَ لبَني عامِرٍ من زُغْبَة وفي سُلْطانِ بَني عبدِ الواد من زَناتَة، فمواطِنُهم ما بَيْن تِلِمْسَانَ إلى وَجْدَةَ إلى مصَبِّ وادي ملوِيَةَ في البَحْر ومُنْبَعَثِ وادي صا من القِبْلة، وتَنْتهي رحْلَتُهم في القَفْرِ إلى قُصورِ تَواتَ وتَمنطيتَ، وربّما عاجُوا ذاتَ الشِّمالِ إلى تَسابِيتَ وتِيكُورَارِينَ، وهذه كلُّها رِكابُ السَّفْرِ إلى بِلادِ السّودان. وبَيْنَهم وبَيْنَ بَني عامِرٍ فِتَنٌ وحُروبٌ مَوْصولَةٌ، وكان لهم مَعَ بَني عبدِ الواد مثلُها قَبْلَ السُّلْطانِ والدَّوْلَةِ بما كانوا أحْلافاً لبَني مَرِين، وكان المَنبَاتُ من ذَوي مَنْصورٍ أحلافاً لبَني عَبْد الواد، فكان يَغْمَرَاسِنُ يوقِعُ بهم في أكْثرِ أوْقاتِه ويَنالُ منْهم إلى أن أصْحَبوا[2] بسَبَبِ الجِوار، واعتَزَّتْ عليهمُ الدّولةُ فأعْطَوُا الصَّدَقَةَ والطّوائِلَ، وعَسْكَروا مَعَ السُّلْطانِ في حُروبه.

ولم يَزَلْ ذلِك إلى أن لَحِقَ الدّولَةَ الهَرِمُ الّذي يَلْحَقُ مثْلَها، فوَطِئوا التّلولَ، وتمَلّكوا وَجْدَةَ ونَدْرومَةَ وبَني يَزْناسَن ومدْيونَة وبَني سنُوس إقْطاعاً من السُّلْطانِ إلى ما كانَ لهم علَيْها قبْلُ من الإتاواتِ والوضائِع، فصارَ مُعْظَمُ جِبايَتِها لهم. وضَرَبوا على بَلَدِ هُنَيْنٍ بالسّاحِلِ ضريبةَ الإجازَة منها إلى

(1) قبائل المغرب 2: 426، وصف إفريقيا 1: 56.

(2) أصحَبُوا: ذلوا وانقادوا بعد صعوبة، ودخلوا في الصُّحْبة بعد النَّفرة.

تِلِمْسَانَ، فلا يَسيرُ ما بَيْنَهما(أ) مُسافِرٌ أيّامَ حُلولِهم بساحِها إلاّ بإجازَتِهم وعلى ضَريبةٍ يؤدُّونَها إليهم. وهم بَطنان: الهدّاجُ والخَرّاج.

فالخَرّاجُ من وُلْدِ خَرّاج بن مطَرِّفِ بن عُبيدِ الله، ورئاسَتُهم في أوْلادِ عبدِ المَلِك بن فَرج بن عليّ بن بوالرّيشِ بن نَهارِ بن عُثْمانَ بن خَرّاج، لأوْلا[دِ] عيسَى بن عَبْدِ الملك ويَعْقوبَ بن عبدِ المَلِكِ ويَغْمور بن عبدِ المَلِك. وكان يَعْقوبُ بنُ يَغْمور شيخَهم لعهْدِ السّلطان أبي الحَسَن، ولمّا تغلَّبَ على تِلِمْسَانَ استَخْدمَ لهُ عبيدُ الله هؤلاء.

وكان يَحْيى بنُ العزّ من رِجالاتِ بَني يَزْناسَن أهلِ الجبلِ المُطلّ على وَجْدَة، / [47 ب] كان لهُ قَدمٌ في خِدْمةِ الدُّوَل، فاتّصلَ بالسُّلْطانِ أبي الحسَن ورَغَّبَهُ في مِلْكِ قُصورِ هذه الصّحراء، فبَعثَهُ معَ هَؤلاءِ العَرب في عَسْكرٍ، ودَخَل معَهم إلى الصّحْراء، وملَكَ تلْكَ القصورَ واسْتَوْلَى عليها. وأسَفَ عُبيدُ اللّه بانْتِزاعِ أمْلاكِهم وسُوءِ المعامَلَةِ لهم، فوثَبوا بهِ وقَتَلوهُ في خِبائِه وانْتَهبوا عسْكَرَ(ب) السُّلْطانِ مَعَهُ ونَقَضوا الطّاعةَ، وفَرّ يَعْقوبُ بنُ يَغْمور، فلمْ يَزَل شَريداً بالصّحْراءِ سائِرَ أيامِه، وراجَع بعدَ ذلك، ثُمّ عادَتْ دَوْلةُ بَني عبْدِ الواد، فصَدَقَ في وَلايَتِها، ولم يَزَلْ على ذلك إلى أنْ هَلَكَ وخلَفَه ابنُه طلحَةُ، وكان أيّامَ خِلافِ يَعْقوبَ وانتقاضِه، رَأَسَ على الخَرّاجِ من أهْلِ بَيْتِه منصورُ ابنُ يَعْقوبَ بن عبدِ المَلِك وابنُه رَحّو من بَعْدِه، وجاءَ أبو حَمّو، فكانَ له في خِدْمَتِه ومُخالَصَتِه قدَمٌ، فقَدَّمَهُ شَيْخاً علَيْهم، فرئاسَتُهم لهذا العَهْدِ مُنقَسِمةٌ

(أ) من د، ص، وفي ظ: بينها   (ب) كذا في ظ، وفي ص د: معسكر.

يَيْنَ رَحّو بن مَنْصور بن يَعْقوبَ بن عَبْدِ الملك، ويُرادِفُه طلحةُ بنُ يَعْقوبَ المذكورُ آنِفاً، وربَّما نازَعَه.

ولهم بطونٌ كثيرةٌ، فمنهم: الجَعَاوِنَةُ: من جَعْوانَ بن خَرّاج، والغُسُل: من غاسِل بن خَرّاج، والمطارِفَةُ: من مُطَرِّفِ بن خَرّاج، والعَثامِنَةُ: من عُثْمانَ بن خَرّاج، وفيهم رئاسَتُهم كما قُلْناهُ، ومعَهم ناجِعَةٌ يسمَّوْنَ بالمهايَة، يَنْتسِبون تارةً إلى المهايَةِ من عِيَاضٍ وقد قَدّمْنا ذِكْرَهم، وتارةً إلى مُهيّا بن مُطرّف بن خَرّاج.

وأمّا الهدّاجُ[أ] فمن وُلْدِ هَدّاج بن مَهْديّ بن مُحمّد بن عُبَيْدِ الله، ومواطِنُهم في ناحِيةِ الغَرْب عن الخرّاج، فيُجاورونَ ذَوي مَنصور، ولَهم تاوْرِيرَتْ وما إليها، وخِدْمَتُهم في الغالِبِ لبني مَرِينَ، وإقطاعاتُهم من أيْديهم، ومَواطنُهم تَحْتَهم، ورجوعُهم إلى عَبْدِ الواد في الأقلّ وفي بعض الأحايِينِ، ورئاسَتُهم في وُلْدِ يَعْقوبَ بن هِبا[ب] بن هَدّاج لأولادِ حَريزِ بن يَعْقوب، وأولا[دِ] منّاد بن رزْقِ الله بن يَعْقوب، وأولادِ فَكْرُونَ بن مُحمّدِ بن عبدِ الرّحمن بن يَعْقوب.

[148] فمن وَلَدِ حَريز: أبو يَحْيى الصّغيرُ بنُ موسى /. بن يوسف بنِ حَريز، وكان شَيْخاً عليهم أيّامَ السُّلْطان عبدِ العَزيز، وهلَكَ عَقِبَ مَهْلِكِهِ، ورَأَسَ عليهم ابنُه. ومن وَلَدِ مَناد: أبو يَحْيى الكبيرُ ابنُ مَناد، وكان شَيْخاً قبْلَ أبي يَحْيى الصّغير، وبالإضافَةِ إليه وُصِفَ بالصّغير. ومنهم: أبو حَميد[ج] مُحمّدُ بنُ

(أ) من حاشية د بخطه (ب) كذا وهي صيغة المشجّر التالي (ج) من ظ، وفي د ص: حميده .

عيسى بن مَناد، ِهُو لهذا العَهْدِ رَديفٌ لشَيخِهم من وَلَدِ أبي يَحيى الصَّغير، وهُو كثيرُ التَّقلّب في القَفْرِ والغَزْوِ وللقاصِيةِ ولأهْل الرّمال من الملثّمينَ، واللّه مالِكُ الأمور لا ربَّ غيرُه.

• خبرُ يَحْيى بن عِمْران بن العزِ الّذي مَرَّ(1) ذِكْرُهُ.

فهُو من بَني يَزْناسنَ ثُمّ من بني دمْراسنَ منهم(أ)، وكان قائداً عليْهم أيّامَ السّلْطان أبي تاشفينَ، فلمّا ملَكَ السُّلْطانُ أبو الحسَن تِلِمْسَانَ فَرَّ إلى الصّحْراءِ مَع صِهْرِه(ب) يَعْقوبَ بن يَغمور من عربِ الخَرّاج، فاستدْعاهُ السّلطانُ أبو الحسَن، ولمّا جاءَه تَقَبَّضَ عليه وقَطّعَه وأقامَ(ج) في جُملَته. ثُمّ رَضيَ عنْهُ بعدَ ذلكَ واستَخْدمَه وضمِنَ لهُ غَرامةً وَطَنِ الهَدّاجِ بتواتْ، وأغْراهُ بأخْذِ رَهْنِهم على ذلكَ(2)، فأخَذَها، وسَرَّح مَعَهُمْ لذلكَ يَحْيى

(أ) سقط من حاشيتي د ص (ب) ظ: على بنته د: زوج ابنته (ج) ص د: وبقي.

---

(1) هذا العنوان ساقط في د، وهي حاشية بخطه ألحقت بخط مائل آخر الصفح. ومثله ألحق نصّ الحاشية بخطّ أحدث في ص.

(2) نصّ حاشية النسخة د، والنسخة ص:

يحيى بن عمران اليزناسني، كان من بني يزناسن ثم من بني دَمْراسن، وكان قائدًا عليهم أيام أبي تاشفين، فلما ملك السلطان أبو الحسن تِلِمْسَان فرّ الى الصحراء مع حميدة زوج ابنته يعقوب بن يغمور، فاستدعاه السلطان أبو الحسن، ولمّا جاءه تقبض عليه وقطّعه وبقي في جملته، ثم سعى عند السلطان في استخدام العرب من الهدّاج.... في وطنهم بتوات وأخذ السلطان مراهن القوم، ومعهم يحيى بن عمران، ومعظم توات لأولاد منيه من ... فأنفوا لذلك، وكان أبو يحيى الصغير بطانة ليحيى بن عمران، فلما نزلوا زفزانة تفاوض أولاد منيه وكبيرهم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن فكرون، ووثبوا به ليلا فقتلوه...... دمّم عليه إبراهيم بن بو يحيى بن مناد، وهرب أبو يحيى الصغير [] زفزانه من بلاد بشار وبني كومي قبلة فيكيك.

ابن عِمْران هذا، فخرجَ معَهم في جَيْشٍ كثيفٍ. وكان أُكْثَرُ بلادِ توات لأوْلا[دِ] مُنْيَتًا من الهدّاجِ، فاستَنْكَفوا من ذلك وخرَجوا مُغْضَبِينَ ومُجْمِعِينَ الغَدْرَ به، حتّى [إذا] نزَلوا زفْزانةَ من بلادِ نَشّار وبَني كومي قِبْلةَ فيكبيك، وبَعُدوا عن التُّلولِ وعن ظِلِّ الدّولةِ، تآمَروا في قتْله، وتَولّى كِبْرَ ذلك زعيمُهم عبدُ الرّحْمن بنُ مُحمّدِ بن عبدِ الرّحمن بن فَكْرون، ووافقَهُ إبراهيمُ بنُ بويَحْيى الكبيرُ بنُ مَناد، ووَثَبوا به ليلاً فقَتَلوهُ ونهَبوا مُعَسْكَرَه، وفرَّ بويَحْيى الصّغيرُ وكان بِطانةً لهُ، ولَحِقَ بالسُّلْطانِ فخبَّرَهُ الخبَرَ، وأوْغَلَ الآخرونَ في القَفْرِ وأقاموا على الخلافِ أيّاماً، ثم راجَعوا الطّاعةَ بعدَ ذلك، وعَفا لهمُ السُّلْطانُ عن تلك الجريرَةِ ودَخَلوا في الجماعة.

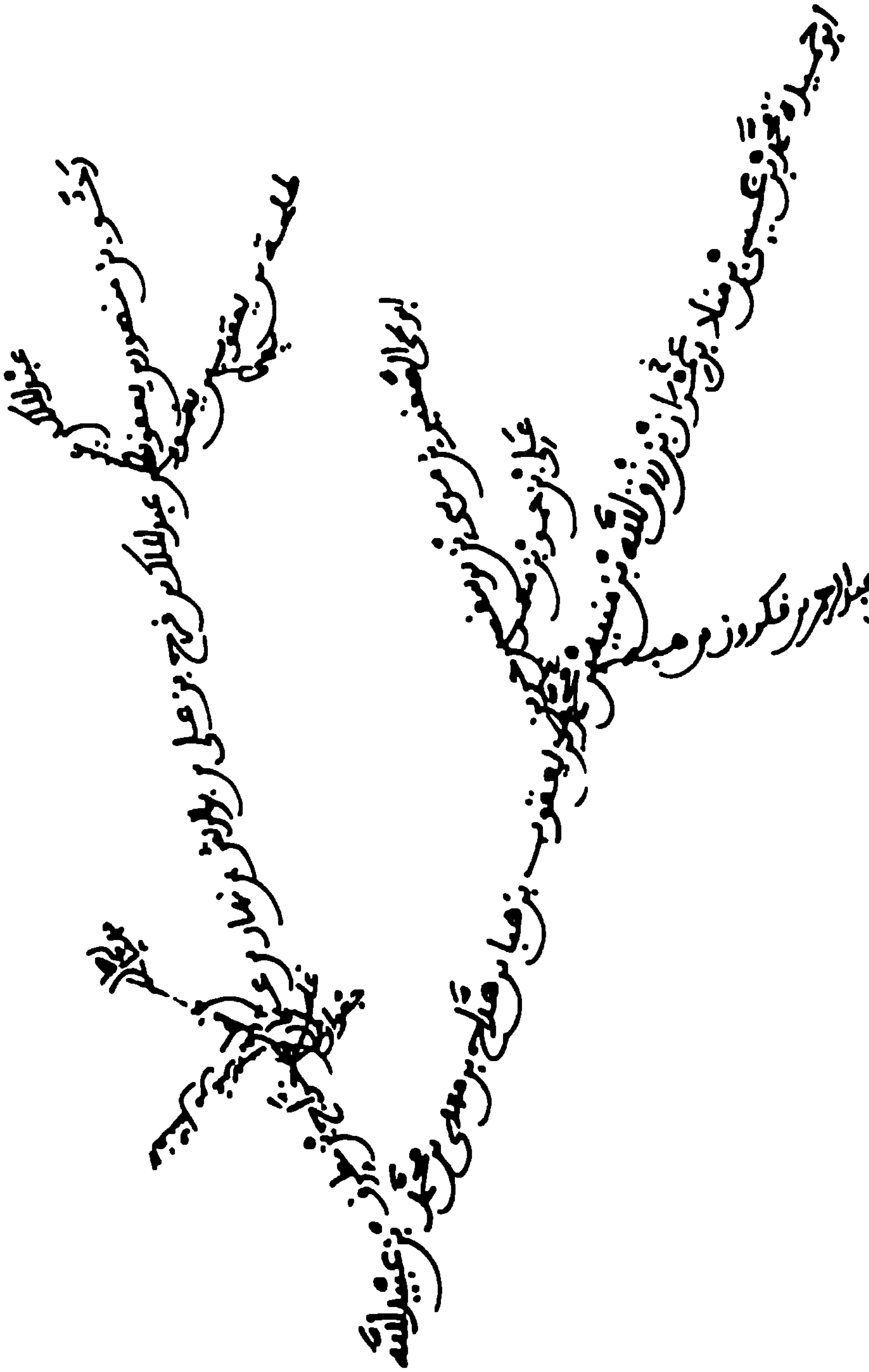

[ذوي عبيد الله، ونطْلُنا الهدّاج والحرّاج منهم]

[149 أ]

• الثّعالبةُ[1]

وأمّا الثّعالِبةُ إخوتُهم من وُلْدِ ثَعْلبِ بن عليّ بن مَكّنَ بن صَقيل، أخي عُبَيدِ الله بن صَقيل، فمَواطِنُهم لهذا العَهْدِ بمَتّيجَةَ من بَسيطِ الجزائر، وكانوا قبلَها بتيطْري وَطنِ حُصَينٍ لهذا العَهْد، نزلوها منذُ عُصورٍ قديمة، وأقاموا بها حَيّاً حُلولاً. ويَظْهَرُ أنّ نُزولَهم لها حينَ كان ذَوي عُبَيد اللّه في مَواطنِ بَني عامِرٍ لهذا العَهْد، وكان بَنو عامِرٍ في مَواطِنِ بَني سُوَيد، فكانت مَواطِنُهم لذلكَ العَهْد مُتّصِلَةً بالتُّلول الشّرقيّة، فدَخَلوا من ناحية كزول وتدَرّجوا في المَواطنِ إلى ضَواحي المدَيّة، ونَزلوا جبَلَ تيطْري، وهُو جَبلُ آشِير الّذي كانتْ فيه المدينةُ الكبيرةُ.

فلمّا تَغَلّبَ بنو تُوجّين على التُّلول، ومَلَكوا وَانْشَريس، زحَفَ مُحمّدُ ابنُ عبدِ القَويّ إلى المدَيّة فملَكها، وكانتْ بَيْنَهُ وبَيْنَهم حروبٌ وسِلْمٌ إلى أنْ وَفَدتْ عليهِ مَشْيَخَتُهم، فتقَبّضَ عليهم وأغْزَى مَن وراءَهم من بَقيّةِ الثّعالِبَة، فاسْتَلْحَمَهم واكْتَسحَ أموالَهم، وغلَبَهم بعْدَها على تيطْري وأزاحَهم عنها إلى مَتّيجَة، وأنْزَلَ قبائلَ حُصَين بتيطْري، وكانوا معَهُ في عِدَادِ الرّعايا يؤدّونَ إليهِ المَغارمَ والوظائفَ ويأْخذُهم بالعَسْكرةِ معَهُ.

ودَخَل الثّعالبةُ هؤلاءِ في إيالةِ مليكش من صِنْهاجَةَ بِبَسيطِ مَتّيجَةَ، وأوْطنوا تحتَ مَلَكَتِهم، وكان لهم عليْهم سلطانٌ كما نَذكُره، حتّى إذا غَلَبَ

(1) تاريخ الجزائر 2: 194، قبائل المغرب 1: 424.

بنو مَرِينَ على الـمَغْرِبِ الأوْسَطِ وأذْهبوا مُلْكَ مليكش منها، استَبَدَّ الثّعالبةُ هؤلاءِ بذلكَ البَسيطِ وملكوُه. وكانتْ رئاسَتُهم في وُلْدِ سِبَاع بن ثَعْلبِ بن عليِّ بن مَكَّنَ بن صَقيل، ويزعُمونَ أنّ سِباعاً هذا كان إذا وَفَدَ على الموحِّدينَ يجعَلونَ من فَوْقِ عِمامَتِه ديناراً يَزِنُ عَدداً من الدّنانير، مُبالغةً في تَكْرِمَتِهِ وتَرفيعِه، وسمِعْتُ من بَعْض مَشْيَخَتِنا أنّ ذلك لِمَا كان من كَرامَتِهِ [49 ب] للإمام / المَهْدِيِّ حين أجازَ بهم، فإنّه مَرَّ بهم ساعِياً فحَمَلوهُ.

واستقرّتِ الرئاسَةُ في وُلْدِ سِبَاعٍ هذا في بَني يَعْقوبَ بن سِباع أوّلاً، فكانتْ لهم مُدَداً، ثُمّ في عَقِبِ حُنَيْشٍ منهم، ثُمّ غلَبَ السّلطانُ أبو الحَسن على مَمالِكِ بَني عبدِ الواد ونَقَّلهم إلى المَغْرب، وصارتِ الولايَةُ عليْهم لأبي الحَمَلاتِ بن عايد بن ثابِت، وهُو ابنُ عَمّ حُنَيْش، وهلَكَ في الطّاعونِ الجارِفِ أواسِطَ هذه المائةِ الثّامِنَةِ لعَهْدِ نُزول السُّلْطان أبي الحَسن بالجزائر من تونِسَ، فوَلّى عليهم إبراهيمَ بنَ نَصْر. ولم تَزل رئاسَتُهم [إليه][1] إلى أن هَلَكَ بعْدَ اسْتيلاءِ السُّلْطان أبي عِنانٍ على الـمَغْرِبَيْنِ كما نَذكُرُه في أخْبارِه، وقامَ برئاسَتِهم ابنُه سالِمٌ، وكانوا أهْلَ مَغارِمَ ووَضيعَةٍ لمليكش ومَنْ بعدَهم من وُلاةِ الجزائِر.

حتّى إذا هَبَّتْ ريحُ العَرَب أيّامَ خُروج أبي زيّانَ وحُصَين على أبي حَمّو أعوامَ ستّينَ وسبْعِ مائةٍ كما ذكرْناهُ، وكان شَيْخَهم لذلك العَهْد سالمُ بنُ إبراهيمَ بن نَصْرِ بن حُنَيْش بن بُوحُمَيْد بن ثابتِ بنِ مُحمّدِ بن سِبَاع، فأخَبَّ

(1) من د ص.

في تلك الفِتْنة وأَوْضَعَ[1]، وعاقَدَ أبو حَمّو وَانْتَقَضَ عليه مِراراً. وغَلَبَ بنو مَرِينَ على تِلِمْسَانَ، فتَحَيَّزَ إليهم، وكانتْ رُسُلُه ووَفْدُهُ تَقدّموا إليهم بالمَغْرب. ثُمَّ هَلَكَ السُّلطانُ عبدُ العزيز ورَجع أبو حَمّو إلى مُلْكِه، وتَرَصَّدَ له الغَوائلَ، فَخشِيَهُ سالمٌ واستَدْعى أبا زيّانَ ونَصَبَهُ بالجزائرِ، وزَحَفَ إليه أبو حَمّو سنة تِسْعٍ وسبْعين، ففَضَّ جَمْعَهُ، ورَاجَعَ سالمٌ خِدمتَه وفارقَ أبا زيّانَ كما نَذكُرُ في أخْبارِهِ. ثُمَّ زَحفَ إليه أبو حَمّو وحاصَرَهُ بجبالِ مَتِّيجَةَ أيّاماً قلائِلَ، واستَنْزَلَه على عَهْدٍ، ثُمَّ أَخْفَرَهُ[2] وتَقَبَّضَ عليه وقادَهُ إلى تِلِمْسان أسِيراً وقَتَلَه قَعْصاً[3] بالرِّماحِ، وذَهَبَ أثرُه وما كان لهُ من الرئاسَةِ الّتي لم تكُنِ الثّعالِبَةُ لها بأَهْل. ثُمَّ تَتَبَّعَ إخوانَه وعشيرَهُ وقَبيلَهُ بالقَتْلِ والسَّبْيِ والنَّهْبِ إلى أن دَثَروا. [والله يَخْلُق ما يشاء][أ].

(أ) من ص وحدها.

---

(1) الخبَبُ: العَدْو أو السُّرعة. والإيضاع: السَّيْر بين القوم.

(2) أَخْفَرَهُ: نقض عهده وغدره. والهمزة للإزالة، أي أزال خِفارته، وخَفَرَه: أجارَهُ ومنعَهُ وحَمَاهُ وأمّنه.

(3) قعصه: قتلَه مكانَه.

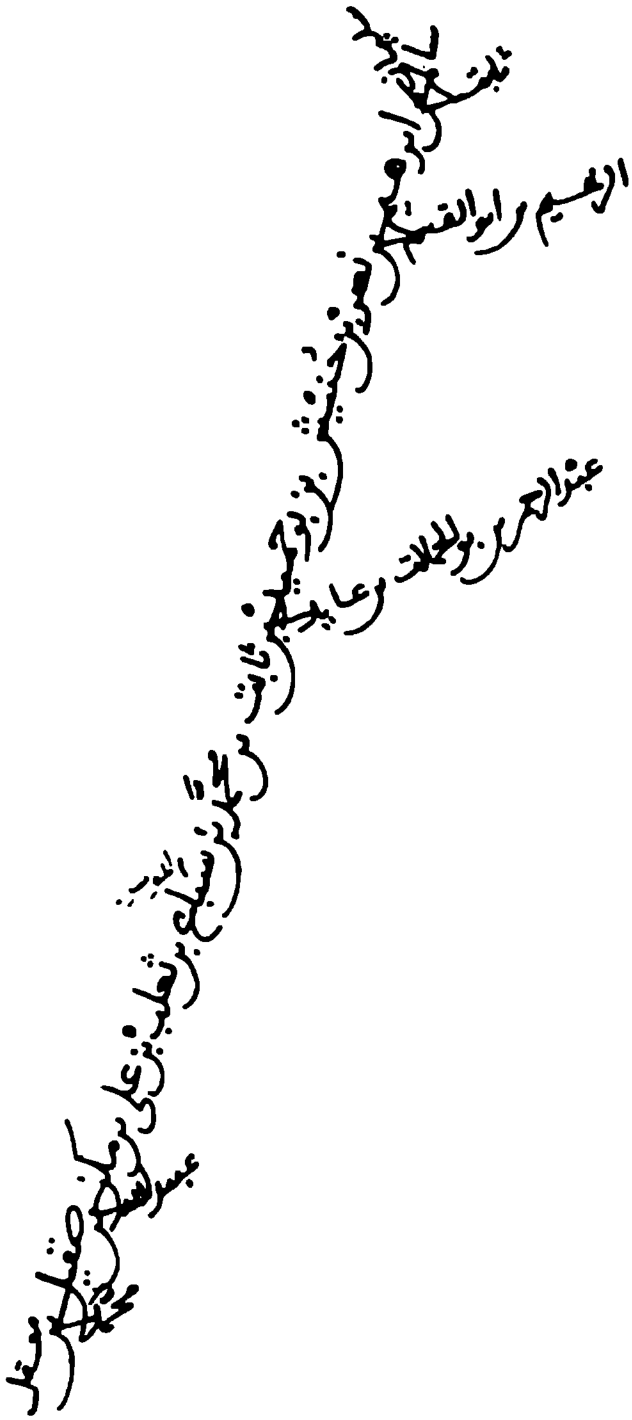

[الثعالبة]

[50 ب]

• / ذَوي مَنْصُور[1]

وأمّا بنو مَنْصورِ بن مُحمّد، فهُم مُعْظَمُ هؤلاءِ المَعْقِلِ وجمهورُهم، ومواطِنُهم تُخومُ المَغربِ الأقْصى من قِبْلَتِه ما بَيْنَ مَلْويّةَ ودَرْعَة. وبطونُهم أرْبعَة: أولادُ حُسَين، وأولا[دُ] بُو الحُسَين، وهما شَقيقانِ، والعمارِنَةُ: أولادُ عِمْران، والمنبّاتُ: أولادُ منبّا، و[هُما][أ] شَقيقانِ أيضاً، ويقالُ لهذَيْنِ البَطْنَيْنِ جميعاً: الأحْلاف.

فأمّا أولادُ أبي الحُسَيْن فعَجَزوا عنِ الظَّعْن ونَزلوا قُصوراً اتّخَذوها بالقَفْر ما بَيْنَ تافيلالَتَ وتِيكُورارِينْ، وأمّا أولادُ حُسَينٍ فهم جمهورُ ذَوي مَنْصور، ولهمُ العِزّةُ عليهم، ورئاسَتُهم أيّامَ بَني مَرِينَ في أوْلادِ غانِمِ بن جَرْمونَ[ب] ابن جَرّارِ بن عَرَفَةَ بن فارِسِ بن عليّ بن فارِس بن حُسَيْنِ بن منْصور، كانت أيّامَ السُّلْطان أبي الحسَن لعليّ بن غانِم، وهلَكَ إثرَ كائنةِ طَريف وصارَتْ لأخيهِ يَحيى، ثُمّ لابْنهِ عبدِ الواحِد بن يَحيى، ثُمّ لأخيهِ زكريّاء، ثُمّ لابنِ عَمّه أحمدَ بن رَحُّو بن غانِم، ثُمّ لأخيه يَعيش، ثُمّ لابن عمّه يوسُفَ بن عليّ بن غانِم لهذا العَهْد.

وكانتْ لبَني مَرِينَ فيهم وقائعُ أيّامَ يَعْقوبَ بن عَبْدِ الحقّ وابنِه يوسُف، وسيَأْتي في أخْبارِ بَني مَرِينَ غَزْوةُ يوسُفَ بن يَعْقوبَ من مرّاكُش إليهم

(أ) كذا في د، وفي ظ: "وهم"، خطأ (ب) كذا في ظ، وحاشية د التي كانت فيها بدل جرمون، موسى بن محمد ثم ألغي وصُحّح.

---

(1) قبائل المغرب 1: 425، وصف إفريقيا 1: 54.

وكيْف أوْقَع بهم بصَحْراء دَزعَة. ولمّا أقامَ بالمشْرِق[أ] على تِلِمْسَانَ مُحاصِراً لهَا، أجْلَبَ هؤلاء العربُ من المَعْقِل على أطْرافِ المَغرب ما بيْنَ دَزعةَ ومَلويَةَ[1] إلى تاوْرِيرت، وكان العامِلُ يومَئذٍ بدَزعةَ عبدَ الوهّاب بنَ صاعِد من صَنائِع الدّولَةِ وكِبارِ وُلاتِها، فكانَتْ بَيْنَه وبيْنَهم حروبٌ قُتِلَ في بَعْضِها. ثُمّ هَلَكَ يوسُفُ بنُ يَعْقوبَ، ورَجَع بنو مَرِينَ إلى المَغربِ فأخَذوا منهم بالثّأرِ حتّى اسْتقاموا على الطّاعَةِ وكانوا يُعْطُونَ الصّدقاتِ أطْوَعَ ما يكون، إلى أن فَشِلَ رِيحُ الدّوْلَةِ واعتزّتِ العَرَبُ، فَصاروا يَمْنَعونَ الصّدَقَةَ إلاّ في الأقلِّ، يَغلِبُهم السُّلطانُ على إعْطائِها.

[151أ] / ولمّا استَوْلَى السُّلْطانُ أبو عِنان على تِلِمْسَانَ أعوامَ خَمْسينَ وسبْعِ مائة، وفَرَّ صُقَيرُ بنُ عامِرٍ إلى الصّحْراءِ، نزَلَ عليْهم واسْتجارَ بهم فأجاروهُ، ونَكِرَ السُّلْطانُ عليهم ذلِك، فأجْمَعوا نَقْضَ طاعَتِه، وأقاموا معَ صُقَيْرٍ بالصّحْراء مُتَوَلِّينَ كِبْرَ ذلك الخِلاف، حتّى إذا هَلَكَ أبو عِنان، وكان من السُّلْطانِ[ب] أبي حَمّو بتِلِمْسَانَ ما نحنُ ذاكِروهُ، وزَحفَ بَنو مَرِين إلى تِلِمْسَانَ، ففَرَّ منها أبو حَمّو وصُقَيْرٌ ونَزلوا عليهم فأوْقَعوا بعَسْكَرِ بني مَرِين بنَواحي تِلِمْسَانَ. واتّسَعَ الخَرْقُ بَيْنَهم وبَيْنَ بني مَرِين، فانْحازوا إلى أبي حَمّو وسُلْطانِه، وأقْطَعَهم بضَواحِيهِ، ثُمّ رجَعوا إلى أوْطانِهم بعدَ مَهْلِكِ السُّلْطان أبي سالم أعوامَ ثلاثٍ وسِتّينَ على حينِ اضْطرابِ المَغرب بفِتْنَةِ أوْلادِ

(أ) ص: بالشرق   (ب) د ص: سلطان.

(1) انظر الأنيس المطرب 200 ح 299.

السُّلْطانِ أبي عليّ ونُزولِهم بسِجِلْماسَة، فكان لهم في تلك الفِتْنَةِ آثارٌ إلى أنِ انْقَشعَتْ. ثُمّ كان لأحْمدَ بن رَحّو مع أبي حَمّو جولةٌ، وأجْلَبَ عليه بأبي زيّان حافدِ أبي تاشفينَ، فقُتِلَ في تِلْكَ الفِتْنَة كما نذكرُهُ. ثُمّ اعتزّوا على الدّوْلَة من بَعْدِ ذلكَ.

وأكثرُ مَغارمِ دَرْعَةَ لهذا العَهْد إقطاعٌ لهم ببلادِ تادْلاَ والمَعْدِن مِن تِلْكَ الثّنايا الّتي منْها دُخولُهم إلى المغرب للمَرْبَعِ والمَصِيفِ ولمِيرَةِ الأقْوات. وسِجِلْماسَةُ من مَواطِن إخوانِهم الأحْلافِ كما نذكُرُ، ولَيْستْ من مَواطِنِهم.

فأمّا دَرْعَةُ فهيَ من بلادِ القِبْلَة، موضوعةٌ حِفَافَي الوادِ الأعْظَمِ المُنْحَدِر من جبلِ دَرَنْ من فُوَّهَةٍ يَخْرُجُ منها وادِي أُمّ ربيع ويَتَساهَلُ إلى البَسائِط والتُّلول، ووَادي دَرْعة ينحَدِرُ إلى القِبْلةِ مُغَرّباً إلى أن يَصُبّ في الرّمْل ببلادِ السُّوسِ، وعليه قصورُ دَرْعَة. ووادٍ آخرُ كبيرٌ أيضاً ينحَدِرُ إلى القِبْلةِ مُشَرّقاً بعضَ الشّيءِ إلى أن يَصُبّ في الرّمْل دونَ تِيكُورَارِينْ، وفي قِبْلتِها وعلَيْهِ من جِهَةِ المَغْرب[أ] قصورُ تَوَاتْ [ثُم بعدَها تمنطِيت][ب]، / [51 ب] ثم بَعْدَها رَكّان، وعندَها يَصُبُّ في الرّمْل. وفي الشّمالِ عن رَكّانَ قصورُ تَسَابيتْ، وفي الشّمال عَنْها إلى الشّرْقِ قصورُ تِيكُورَارِينْ، والكلُّ وَرَاءَ عِرْق الرّمْل.

وجبالُ دَرَنْ هيَ الجبالُ العظيمةُ الجاثِمةُ سِيَاجاً على المغرِب الأقْصى من أَسَفي إلى تازَى، وفي قِبْليّها جبَلُ نكيسةَ لصِنْهاجة، وآخِرُهُ جبلُ ابن حَمِيدي من طرفِ هَسْكُورَةَ، ثم يَنْعِطفُ من هُنالكَ جبالٌ أخرَى مُتوازِيةٌ حتّى تَنْتهي

(أ) د ص: الغرب (ب) من د ص.

إلى ساحِل بادِس من البَحْرِ الرّوميّ. وصار المَغربُ لذلكَ كالجزيرَة،أحاطتِ الجبالُ بهِ من القِبْلةِ والشّرْقِ والبحر،ومن الغرْبِ والجَوْف.

واعْتمَرَ هذه الجبالَ والبسائطَ الّتي بينَها أمَمٌ من البَرْبَر لا يُحْصيهم إلاّ خالِقُهم، والمسالِكُ بَيْنَ هذه الجبالِ إلى المَغربِ مُنْحَصِرةٌ معدودةٌ، وبزحامِ القبائِل المُعْتمِرينَ لها كاظّةٌ[1].

ومصَبُّ وادِ دَرْعةَ هذا إلى الصّحراءِ والرّمالِ ما بَيْنَ سِجِلْماسَةَ[ج] وبلادِ السّوس، ويَمْتَـدُّ إلى أن يَصُبَّ في البَحْرِ ما بَيْنَ نون ووَادّان، وحِفافَيْهِ قصورٌ لا تُحْصى، وشجرُهَا النّخْل وقاعِدَتُها بلَدُ تادنست: بلَدٌ كبيرٌ يقصدهُ التّجْرُ للسَّلَمِ[2] في النَّيلَج[3] وانتظارِ خُروجِه بالصِّناعَةِ.

ولأَوْلا[دِ] حسَيْن هؤلاءِ استيلاءٌ على هذا الوَطنِ ومَن بإزائِه، وفي سَفْح جَبَلِه من قَبائِل البربرِ صِناكَة وغيرُهم، ولهم عليهم ضَرائبُ وخِفاراتٌ ووَضائِعُ، ولهم في مَجابي السُّلْطانِ إقْطاعاتٌ، ويُجاوِرُهم الشّبانات من أوْلادِ حَسّانَ من ناحِيةِ الغَرْب، فلهم بسَبَبِ ذلكَ على دَرْعةَ بعضُ الإتاوات.

(أ) بداية خرم في قطعة د، ينتهي الى الخبر عن قاسم بن مرا.

---

(1) أي ضاقت بزحام الناس. الكظيظ: الزحام والامتلاء. أي ضاقت بزحام الناس.

(2) السَّلَم: السَّلَف، وهو أخذُ عاجل بآجل، سُمّي به هذا العقد لكَوْنه معجلاً على وقته، فإنّ وقت البيع بعد وجود المبيع في ملك البائع.

(3) النيلج هو النيل الذي يستعمله الصباغون وهو نبتٌ يُغسل ورقُه بالماء فيخلو ما فيه من الزرقة، ويترك الماءُ فيرسبُ النيلج أسفله كالطين، فيُنضح الماء عنه ويُجفّف. انظر خواص هذا النبات وجوامع القول فيه عند ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية 4: 186.

وأمّا الأحلافُ من ذَوي مَنصور- وهمُ العَمارِنَةُ والـمَنبَّاتُ - فمواطِنُهم مُجاورةٌ لمواطنِ أوْلا[دِ] حُسَينٍ من ناحيةِ الشّرْق، وفي مَجالاتِهم بالقَفْرِ تافيلالْت وصحراؤُها، وبالتّلِّ مَلويّةُ وقصورُ وطاط وتازى وبطّويةَ وغِسّاسَة، لهم على ذلكَ كلِّهِ الإتاواتُ والوضائِعُ وفيها الإقطاعاتُ السُّلْطانِيّة، وبَيْنَهم وبيْنَ أولادِ حُسَين فِتْنَةٌ، وتجمعُهم / العصَبِيّةُ في فِتْنةِ مَن سِواهم. [152]

ورئاسةُ العَمارِنَةِ في أوْلادِ مُظَفَّر [ابن ثابت بن محلب بن عمران. وكان شيخُهم لعهد السّلطان أبي عِنان طلحةَ بنَ مظفّر][أ] وابنه الزُّبَيْر، ولهذا العَهْد محمّدُ بنُ الزُّبَيْر وأخوه وموسَى، ويُرادِفُهم في رئاستِهم أولادُ عُمَارةَ ابن فلانٍ بن محلَب، فكان منهم محمّدٌ العابدُ[ب]، ومنْهم لهذا العَهْدِ سليمانُ بنُ ناجِي بن عُمَارة، ينْتجِعُ في القَفْرِ ويُكْثِرُ الغَزْوَ إلى اعتِراض العِيرِ من تجّارِ السّودَان وقُصورِ الصّحراءِ. ورئاسةُ المَنبّاتِ لهذا العَهْد لمحمّد بن عَبّو بن حَسَن بن أبي البَرَكات بن مَنبّا، وكانتْ أيّامَ السُّلْطانِ أبي عِنانٍ لأخيه عليّ من قَبْلِه، ويُرادِفُهم في رئاسَتِهم ابنُ عَمِّهم عبدُ الله ابنُ الحاجّ عامِر. والـمَنبّاتُ والعمارِنَةُ اليومَ إذا اجْتَمعوا جميعاً يَكثُرُهم أولادُ حسَيْن، وكان للمَنبّاتِ كثْرةٌ لأوّلِ دَوْلةِ بَني مَرِين، وكان حِلْفُهم معَ بَني عبد الواد، وكانوا مُقَدّمةَ يَغمْرَاسِنْ ابن زيّانَ في افتِتاح سِجِلْماسَةَ وتملُّكِها من أيْدي المُوَحِّدينَ، ثُمّ تغلّبَ بنو مَرِين علَيْها وقَتَلوا مَن كان بها من مَشْيَخَتِهم معَ بَني عبْدِ الواد، ثُمّ أوْقَعوا بالـمَنبّاتِ من بعدِ ذلكَ في مَجالاتِهم بالقَفْر واسْتَلْحَموهم، فَنَقَصَ عدَدُهمْ لذلك آخرَ الأيّامِ، واللهُ مالِكُ الأمورِ لا رَبَّ سِواهُ.

(أ) من ص (ب) ص: العابد.

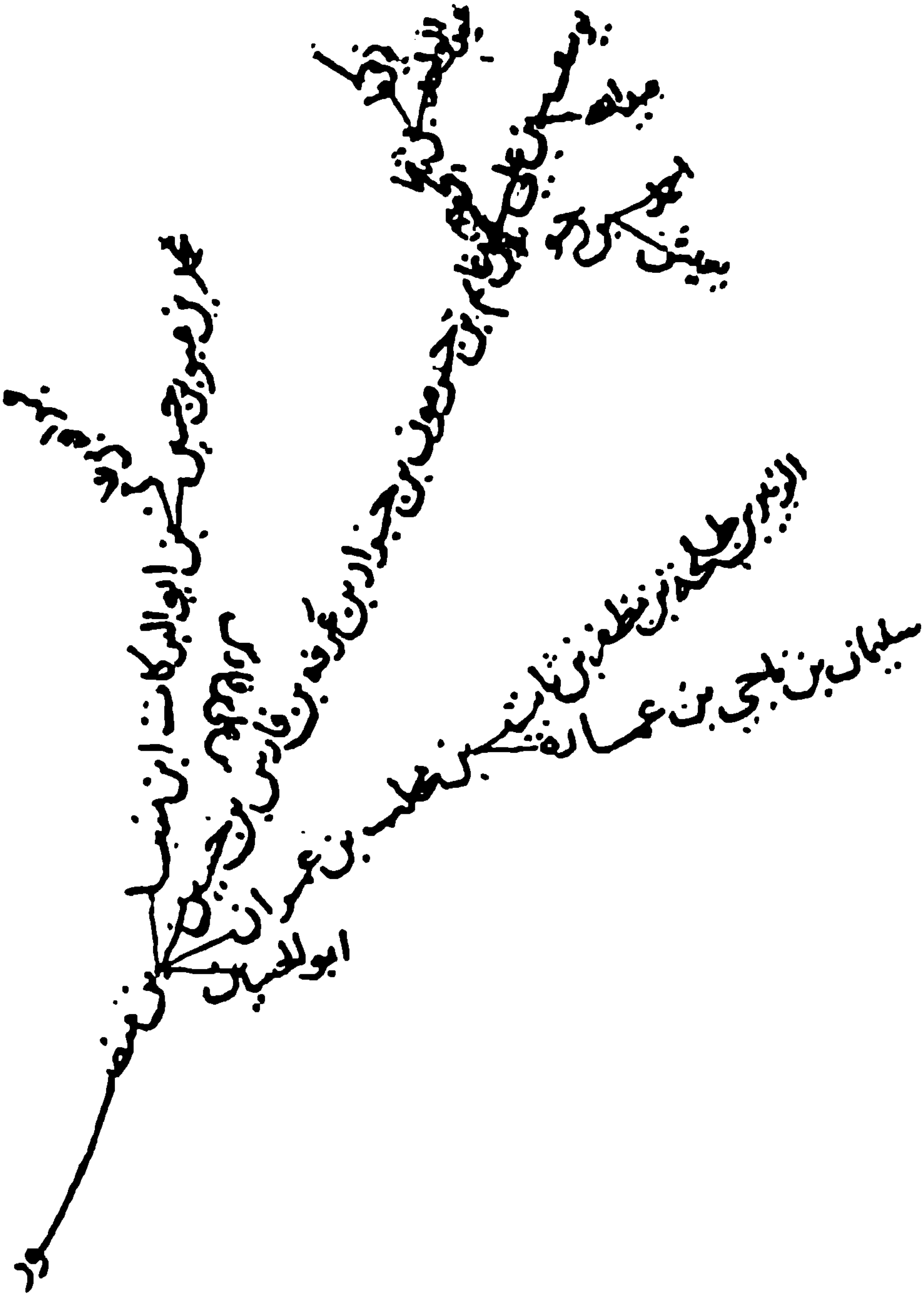

[ذوي منصور]

• / ذَوِي حَسَّانَ[1] عربُ السُّوس [153أ]

وأمّا بَنو مُخْتارِ بن محمّدٍ فهم -كما قدَّمْناه - ذوي حَسّانَ والشُّبانات[أ] والرُّقَيْطات، ومنهم أيضاً: الجياهِنَةُ وأولادُ بريه.

وكانتْ مواطِنُهم بنَواحي مَلْويّةَ إلى مَصَبّه في البَحْر، معَ إخْوانِهم ذَوي مَنْصورٍ وعُبَيْدِ الله، إلى أنِ استَصْرَخَهم عليُّ بنُ يَدّر الزّكَنْدريُّ صاحبُ السّوسِ من بَعْدِ الموحّدينَ، ونَسَبُهُ بزَعْمِه في عَرَب الفَتْح، وكانَتْ بَيْنَه وبَيْنَ كَزُولَةَ الظّواعِنِ ببَسائطِ السّوسِ وجبالِهِ فِتْنَةٌ طويلَةٌ اسْتَصْرَخَ لها بني مُخْتارٍ هؤلاء، فصارَخُوهُ وارْتَحلوا إليه بظُعونِهم، وحَمِدوا مواطِنَ السّوسِ لعدَمِ المُزاحِمِ من الظّعائنِ فيها، فأوْطَنوها وصارَتْ مَجالاتُهم بقَفْرِها، وغلَبوا كَزُولَةَ وأصاروهُمْ في جُمْلَتِهم ومِن ظُعونِهم، وغلَبوا القصورَ الّتي بتلكَ المواطِنِ في سُوس ونُولْ ووَضعوا عليها الإتاواتِ، مثْلَ تَارودَانْت من سُوس، وهي على ضِفَةِ وادي سُوس حَيْث يَهْبِطُ من الجَبل، وبَيْنَ مَصبّه ومَصَبِّ وادي مَاسَّةَ حيثُ الرِّباطُ المشهورُ مرحلةٌ إلى القِبْلَة، ومن هُنالك[ب] إلى زَوايا أولادِ بو نُعْمانَ مرحلةٌ أخرى في القِبْلةِ على ساحِلِ البَحْر، وتاكَاوَضْت على وادي نُولْ، حيث يدفَعُ من جَبَل نكِيسةَ غَرْباً، وبَيْنها وبَيْنَ إيفري مرحلةٌ، والعربُ لا يغلِبونَها، وإنّما تغَلّبوا على البَسائِط في نَواحيها.

(أ) ص: الشبابات (ب) ص: هناك.

---

(1) قبائل المغرب 1: 424.

وكانتْ هذه المواطِنُ لعَهْدِ الموحّدينَ من جُمْلةِ ممالِكِهم وأوسعِ عَمالاتِهم، فلمّا انقرَضَ أمرُ الموحّدينَ ضَحَتْ[1] من ظلّ الدّوْلَة، وخرجَتْ عن إيالَةِ السُّلْطان إلى[أ] ما كان بها لبَني يدَّرَ هؤلاء الّذين قدَّمنا ذكْرَهم، فكان عليُّ ابنُ يدَّرَ مالكاً لقُصورها، وكان لهُ من الجُنْدِ نحوُ ألفِ فارس، ووَلِيَ من بَعْدِه عبدُ الرّحمن بنُ الحسَن بن يدَّر، وبعْدَهُ أخوهُ عليُّ بنُ الحسن، وكان لعَبْدِ الرّحمن معَهم حروبٌ وفِتَنٌ بعدَ استِظْهارِهِ بهم، وهَزَموهُ مَرّاتٍ مُتتابعةً [53 ب] أعوامَ خمْسة وسَبْعِ مائةٍ وما بَعْده، وغَدَرَ / بمشْيَخَتِهم وقَتَلَهم بتارودَانْت[ب] سنةَ ثمانٍ بعدَ ذلكَ، وكان لبَني مَرِينَ على هؤلاءِ المعْقِل بالسّوس وَقائعُ وَأيّامٌ. وظاهَرَ يعقوبُ بنُ عبدِ الحقّ ببَني مَرِين في بعضِها الشّباناتِ على بَني حسّان، واستَلْحَمَ منهم عدداً، وحاصَرَهم يوسفُ بنُ يعقوبَ بعدَها بأمسكَرُوط وأغْرَمَهم ثمانيةَ عشَرَ ألفاً من الإبل، وأثْخَنَ فيهم يوسفُ بنُ يَعْقوبَ ثانيةً سنةَ ستٍّ وثمانينَ، وحاربَتْهم جيوشُهُ أيضاً أيّامَ لَحِق بهم بنو كمّيَ من بَني عبدِ الواد، وخالَفوا على السُّلْطان، فترَدَّدَتْ إليهم العساكرُ، واتّصلتِ الحروبُ كما نذكرُ في أخبارِه.

ولـمّا استَفْحَلَ أمرُ زَناتَةَ بالمغرب، وملَكَ أبو عليّ ابنُ السُّلْطان أبي سَعيدٍ سجِلْماسَةَ واقْتَطَعها عن مِلْكِ أبيهِ بصُلْحٍ وقَعَ على ذلكَ، انضَوى إليهِ هؤلاءِ الأعْرابُ أهلُ السّوس من الشّباناتِ وبَني حَسّانَ، ورَغّبوهُ في مِلْكِ هذه القصور، فأغْزاها من تُخوم وَطَنِه بدَرْعَةَ، ودخَلَ إيفري عَنْوةً، وفرَّ عليُّ

(أ) ص: إلاّ (ب) يكتب ابن الفخار ناسخ النسخة ص هذا الاسم مرة بإثبات الف المدّ بعد الدال ومرة بلفيها.

(1) ضَحَا ظِلُّه: مات. من قولهم: شجرةٌ ضاحِيَةُ الظِّلّ، أي لا ظِلَّ لها.

ابنُ الحسَن أمامَهُ إلى جِبال نكِيسةَ عندَ صِنْهاجَة، ثُمّ رَجَعَ، ثُمّ غلَبَ السّلطانُ [أبو][ا] الحسَن على أخيهِ واسْتَوْلى على المغْرب كلِّه. ورَغّبَهُ العربُ في مثْلِها من قُصورِ السّوس، فبَعثَ معَهُم عساكِرَهُ وقائِدَه حَسّونَ ابن إبراهيمَ بن عيسَى من بَني يرنيان لملكَها، وجَبَا بلادَ السّوس وأقْطَعَ فيهِ للعرَبِ وساهَمَهم في الجِبَايَة، فاسْتقامَتْ حالُهُ مدّةً، ثم انقَرَضَ أمرُ السُّلْطانِ أبِي الحسَن، فانقَرَضَ ذلك ورَجَعَ السّوسُ إلى حالِه.

وهُو اليومَ ضَاحٍ من ظلِّ الدّوْلَة، والعَربُ يَقْتَسِمونَ جِبايَتَه، ورَعاياهُ - من قَبائل المَصامِدَةِ وصِنْهاجَةَ - قبائلُ للجِبايَة، والظّواعِنُ منهم يَقْتَسِمونَهم خَوَلاً للعَسْكَرةِ، مثلَ: كَزُولَةَ مع بَني حَسّان، وَزُكَن وَوَلَخْس[ب] من لَمْطَةَ معَ الشَّبانات. هذه حالُهم لهذا العَهْد.

ورِئاسَةُ ذوي حَسّانَ في أوْلادِ أبِي الخَليل بن عَمرِو بن عُفَيْرِ بن حسَنِ ابن موسَى بن حامدٍ[ج] بن سعيدِ بن حسّانَ / بن مُخْتار: لمخْلوفِ بن أبي [154]
بَكْرِ بن سُلَيمانَ بن حَسنِ بن زَيّانَ بن أبي الخَليل ولإخْوانِه.

ولا أدري رِئاسَةُ الشَّباناتِ لمَنْ هيَ منْهم، إلاّ أنّهم حَرْبٌ لبني حسّان آخِرَ الأيّام.

والرُّقَيطاتُ في غالِبِ أحْوالِهم أحلافٌ للشَّبانات، وهمْ أقربُ إلى بلادِ المَصامِدَة وجبالِ دَرَنْ، وذوي حسّانَ أبعدُ في القَفْرِ، واللهُ يخلُقُ ما يَشاءُ لا إلهَ إلا هُوَ.

(ا) ظ: أبي (ب) ص: وَلخيس (ج) ص: حايد: وفي المشجّر: حامد.

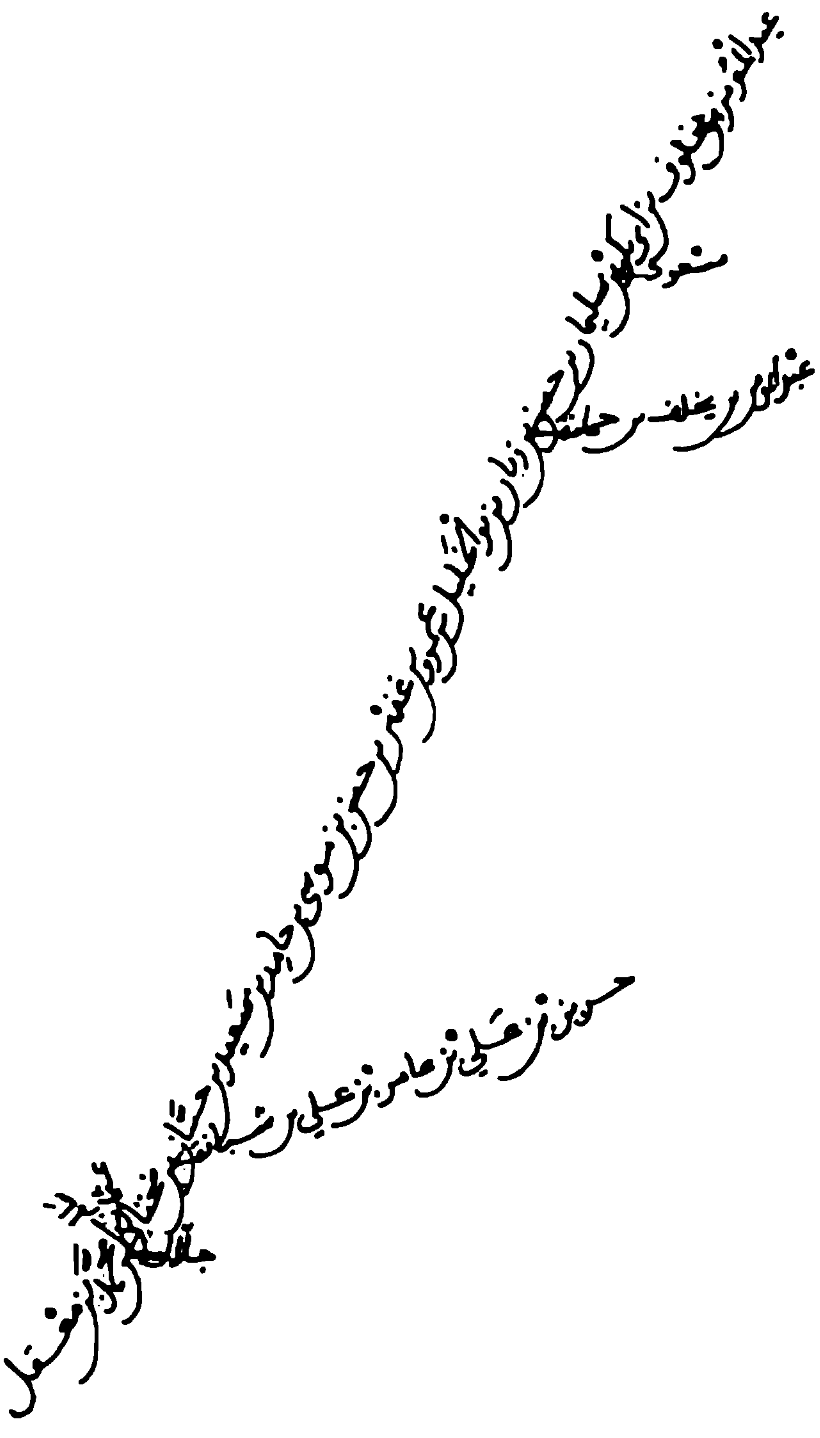

[ذوي حسان]

[155] ● / الخَبَرُ عن بَني سُلَيْم[1] بن مَنْصُور من هذه الطَّبَقَة الرَّابعَة، وتعديد بطونهم. وذِكرُ أنسابهم وأوّليّة أمرهم وتصاريف أحوالهم. وَنبدأ أوّلاً بذِكرِ بني كَعْب وأَخبارِهم:

وأمّا بنو سُلَيْم هؤلاء، فبَطْنٌ متّسِعٌ من أَوْسع بُطونِ مُضَرَ وأكثرِهم جُموعاً. وكانتْ مَنازِلُهم بنَجْدٍ. وهُمْ بَنو سُلَيْم بن مَنْصورِ بن عِكْرِمَةَ بنِ خَصَفَةَ ابن قَيْس، وفيهم شعوبٌ كثيرةٌ، ورئاسَتُهم في الجاهِلِيّةِ لبَني الشَّرِيدِ بن رِيَاح بن ثَعْلبةَ بن عُصَيَّةَ بن خُفَاف بن امْرِىءِ القَيْس بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم. وعَمْرُو بنُ الشَّرِيد عَظيمُ مُضَرَ لعَصْرِه، وأبناؤُه: صَخْرٌ ومُعاوِية، فصَخْرٌ أبو[(أ)] الخَنْساءِ، وزَوْجُها العَبّاسُ بن مِرْداسٍ[2]: صَحابِيٌّ، حَضَرَتْ معَهُ القادِسِيَّةَ.

ومن بُطونِ سُلَيْم: عُصَيَّةُ[3] ورِعْلٌ وذَكْوانُ الذين دَعَا عليهم رسُولُ اللهِ ﷺ لمّا فَتَكوا بأصْحابِه، فخَمَلَ ذِكْرُهُم.

وكان بنو سُلَيْم لعَهْدِ الخلافةِ العبّاسيّةِ شوكةَ بَغْيٍ وفِتْنةٍ، حتّى لقد أوْصَى بعضُ خُلفائِهم ابنَهُ أن لا يتَزوّجَ فيهم. وكانوا يُغيرونَ على المدينةِ، وتخرُجُ الكتائبُ من بَغْدادَ إليْهم وتُوقِعُ بهم وهم مُنْتَبِذُونَ بالقَفْر. ولمّا كانت

(أ) هي بنت عمرو بن الحارث وصَخْرٌ أخوها. جمهرة 261.

(1) ابن حزم: الجمهرة 261-، ابن الكلبي: جمهرة النّسب 395 – العمري: مسالك الأبصار 4: 389.

(2) العبّاس هو ابنُها من زَوْجها مِرْداس بن أبي عامر السلمي. ابن قتيبة: الشعر والشعراء 218.

(3) ابن دريد: الاشتقاق 307، 309. ابن حزم: الجمهرة 170، 172 ابن الكلبي: جمهرة النسب 396، قبائل العرب 428.

فِتْنَةُ القرامِطَةِ صاروا خُلفاءَ لأبي الطّاهِرِ الجنّابِيِّ وبَنيهِ أُمراءِ البَحْرَيْن من القرامِطَةِ مَعَ بَني عُقَيْلِ بن كَعْب، ثُمّ لمّا انقرَضَ أمرُ القرامِطةِ غلَبَ بَنو سُلَيْمٍ على البَحْرينِ بِدَعْوةِ الشّيعَة، لِمَا أنّ القرامِطَةَ كانوا على دَعْوتِهم. ثُمَّ غلَبَ بَنو الأَصْفرِ من تَغْلِب على البَحْرينِ بِدَعْوةِ العبّاسيةِ أيّامَ بَني بُوَيْه، وطرَدوا عنها بَني سُلَيْم، فلحِقُوا بصَعيدِ مِصْر، وأجازَهُم المستَنْصرُ على يَدِ وزيرِهِ اليازُوريِّ إلى إفريقيّةَ لحرْبِ المعزِّ بنِ باديسَ عندَ / [55 ب] خِلافِهِ عليْهم كما ذكَرْنا ذلك كلَّه أولاً[1]، فأجازوا مَعَ الهلاليّينَ وأقاموا ببَرْقةَ وجِهاتِ طَرابُلُس زَماناً، ثُمّ صاروا إلى إفريقيّةَ كما نَذكُرُ في الخَبرِ عنْهم.

وبإفريقيّةَ وما إليْها لهذا العَهْدِ من بُطونِهم أربعةُ بُطون: زُغْب[أ]، ودَبّاب، وهيب، وعَوْف. فأمّا زُغبٌ، فقال ابنُ الكَلْبيّ[2] في نَسَبِه: زُغبُ بنُ ناصِرةَ بن خُفَافِ بن امرىءِ القَيْس بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم. وقال أبو محمدٍ التِّجَانيُّ[3] من مَشْيَخةِ التونِسيّينَ في رحْلتِه: أنّه زُغبُ[أ] بنُ جِزْوِ بْنِ مالِكِ بن خُفَاف[ب]، وزَعَمَ أنهُ أبو دَبّاب[ج]، وزُغبٌ الأصغرُ الّذين هُمُ الآنَ من أحْياءِ بَني سُلَيْم بإفريقيّة. وقال أبو الحسَن بنُ سَعيد[4]: هو زُغبُ بن مَالكِ بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم،

(أ) رحلة التجاني: زعب (ب) سقط في الرحلة (ج) عبارة التجاني: زعب قبيلة تنتسب إلى زعب الأصغر بن زعب الأكبر ابن جرو [جزء] بن مالك، يجتمعون مع دباب. ويقول: أن زعبا الأكبر ولد ولدين: زعبا الأصغر وربيعة أبا دباب، فدباب على هذا هو ابن أخي زعب الأصغر. الرحلة 141.

---

(1) كتاب العبر 7: 189.

(2) جمهرة النسب 399، ولم يرد فيها اسم زغب في أولاد ناصرة بن خُفاف وإنّما ذكره في أولاد مالك ابن خفاف.

(3) الرحلة 141.

(4) لم نقف على كلامه.

كانوا بَيْنَ الحرمَيْن، وهمُ الآنَ بإفريقيَّةَ معَ إخْوانِهم، ونسَبَ دبّابَ بن مالِكِ بن بُهْثَةَ. فاللهُ أعلمُ بالصّحيح من ذلك. ونَسبُ ابنِ سعيدٍ والتُّجّانيّ لهؤلاءِ قريبٌ بعضُه من بَعْضٍ، ولعَلّه واحدٌ. وسَقَّطَ لابْنِ سعيدٍ جَزْوٌ.

وأمّا هيب فهُو ابنُ بُهْثَةَ بن سُلَيم، ومواطِنُهم من أوّلِ أرْض بَرْقَةَ ممّا يلي إفريقيّةَ إلى العَقبَةِ الصّغيرةِ من جِهَةِ الإسْكندريّة - أقاموا هنالِكَ بعدَ دُخولِ إخْوانِهم إلى إفريقيّة. وأوّلُ ما يَلي الغَرْبَ، منهم: بنو أحْمد، لهم أجْدابيةُ وجِهاتُها، وهم عَددٌ يرْهَبُهم الحاجُّ، ويَرْجِعُون إلى شَمّاخ. وقبائلُ شَمّاخ لها عَدَدٌ، ولهُم العزُّ في هيب بكَوْنِها حازَتْ خِصْبَ بَرْقَةَ الّذي منهُ المَرْجُ، وفي شرْقِيِّهم إلى العقبةِ الكبيرةِ من قَبائل هيب: بَنو لَبيد، وهم بطونٌ عديدةٌ، وبَيْن شَمّاخٍ ولبيدٍ فِتَنٌ وحروبٌ. وفي شَرقِيِّهم إلى العَقبةِ الصّغيرةِ: شَمَّالٌ ومُحارِبٌ، والرِّئاسَةُ في هاتَيْنِ القَبيلتَيْنِ لبني عَزّاز، وهمُ المعروفونَ بالعِزّة.

وجميعُ بطونِ هيب هذه اسْتَولتْ على إقْليمٍ طويلٍ خَرَّبوا مُلْكَه(أ) ولم يَبْقَ فيهِ مملكةٌ ولا ولايةٌ إلاّ لأشْياخِهم. وفي خِدْمَتِهم بَرْبَرٌ ويَهودٌ يَحْتَرِفونَ بالفِلاحَةِ والتَّجْرِ، / ومعَهم من رَواحَةَ وفَزارةَ أُمَم، واشْتُهِرَ لهذا العَهْدِ بِبَرْقَةَ [156أ] من شُيوخِ أعْرابِها أبو ذِيب، ولا أدري نَسَبَهُ فِمن هُو، وهم يقولونَ: من العِزّة، وقومٌ يقولونَ: من بَني أحْمد، وقومٌ يَجْعلونَهُ من فَزارة، وهُو بَعيدٌ؛ لأنّ فَزارَةَ هنالك قليلٌ عدَدُهم والغَلَبُ لهيب، فكَيْفَ تكونُ الرِّئاسةُ لغَيْرِهم؟

(أ) ص: مُدُنَه.

وأمّا عَوْفٌ فهو ابنُ بُهْثَةَ بن سُلَيْم، ومواطِنُهم من وادِ قابِسَ إلى أرْضِ بُونَة، ولهم جِذْمانِ عَظيمان: مِرْداسٌ وعَلاَّق، ولعَلاَّقٍ بَطْنان: بَنو يَحْيى، وحِصْن. وفي أشعارِ هؤلاء المتأخِّرينَ منهم مثْلَ حَمْزةَ بن عُمَرَ شيخِ الكُعوب وغَيْرِه: أنّ يَحْيى وعَلاَّقاً أخوان. ولبَني يَحْيى ثلاثةُ بطون: حَميرٌ(أ)، ودَلاَّجٌ، ورِياح. ولِحَميرٍ(أ) بَطْنان: تَرْجَم، وكَرْدَم. ومن تَرْجَم: الكعوبُ بَنو كَعْبِ بن أحْمَدَ بن تَرْجم. ولِحصْنٍ بَطْنان: بنو عَلِيّ، وحَكيم.

ونحن نأتي على الحِكايةِ عن جميعِهم بَطْناً بَطْناً، وكانوا عند إجَازتِهم على إثْرِ الهِلاليّينَ مُقيمينَ ببَرْقَةَ كما ذكَرْناهُ، وهناكَ نزَلَ عليهِمُ القاضِي أبو بَكْرِ بنُ العَرَبِيّ وأبوهُ حينَ غَرِقَتْ سفينَتُهم ونَجَوْا إلى السّاحِل، فوجدَوا هُنالِك بني كَعْبٍ، ونَزَلَ عليهم، وأكْرَمَهُ شَيْخُهم كما ذكَر في رِحْلَتِه(1).

ولمّا كانت فِتْنَةُ ابنِ غانِيَةَ وقَراقُش الغُزّيّ بجهاتِ طرابُلُسَ وقابِسَ وضَواحيها كما نَذكُرُ في أخْبارِهم، كان بنو سُلَيم هؤلاء فيمَنْ تجمّعَ إليهم من ذُوبانِ(2) العَرَبِ وأوْشابِ(3) القبائلِ، واغْصَوْصَبوا(4) عليهم، وكان لهم معَهم خُطوبٌ، وقَتَل قَراقُش ثمانينَ من الكُعوب، وهَرَبوا إلى بَرْقَةَ واسْتَصْرَخوا برِياحٍ من بُطونِ سُلَيْم، ودبكَلَ(ب) من حَمِير، فصارَخُوهم إلى أنْ تجلَّتْ

(أ) ص: حمير (ب) ص: دنكل.

---

(1) أبو بكر بن العربي: الرحلة 198 . (ضمن كتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي).

(2) الذُّوبان: الصعاليك واللصوص.

(3) أوشاب: واحدها وَشب، الضروب المتفرّقة والأخلاط من النّاس.

(4) اغصَوْصَبوا: اجتمعوا وصاروا عصائب.

غَيَايَةُ[1] تلكَ الفِتْنَةِ بِمَهْلِكِ قراقُش وابن غانِيَةَ من بَعْدِه، وكان رسوخُ الدَّوْلَةِ الحَفْصِيَّةِ بإفريقيَّة. ولـمَّا هَلَكَ قراقُش، واتَّصلَتْ فِتْنَةُ ابنِ غانِيَةَ مَعَ أبي مُحَمَّدِ ابن أبي حَفْص، ورَجَعَ بنو سُلَيْم إلى أبي محمَّدٍ صاحبِ إفريقيَّة، وكان مَعَ ابنِ غانِيَةَ الذَّوَاوِدةُ / [56 ب] من رِيَاحٍ وشيخُهم مسعودٌ البلط، فَرَّ من المَغْرب ولَحِقَ به، فكان معَهُ هُو وبَنوهُ وبَنو عَوْفٍ هؤلاء - من سُلَيْم- مع الشَّيخ أبي محمَّد.

فلَمَّا اسْتَبَدَّ ابنُه الأميرُ أبو زكرِيَّاءَ بمُلْكِ إفريقيَّة، رجَعُوا جَميعاً إليهِ، والشُّفوفُ للذَّوَاوِدَة، فلمَّا انقَطَعَ دابِرُ ابنِ غانِيَةَ صرَفَ عَزْمَهُ إلى إخْراجِ رِيَاحٍ من إفريقيَّةَ لما كانوا عليهِ من العَيْثِ بها والفَساد، فَجَأْجَأَ بِمِرْدَاسٍ وعَلاَّقٍ - وهما بَنو عَوْفِ بن سُليم هؤلاءِ - بِمواطنِهم من نَواحي السَّاحِل وقابِسَ واصْطَنَعَهم، ورئاسَةُ مِرْدَاسٍ يومَئذٍ في أوْلادِ جامِعٍ منهم، لعَوْن بن جامِعٍ، وبَعْدَه لابنِه يوسُف، وبَعْدَهُ لعِنانِ بن جابِرِ بن جامِعٍ، ورئاسةُ عَلاَّقٍ في الكُعوبِ لأوْلادِ شِيحَةَ بنِ يَعْقوبَ بن كَعْب، وكانتْ رئاسةُ عَلاَّقٍ عنْدَ دُخولِهم إفريقيَّةَ لعَهْدِ المُعِزِّ وبَنيهِ لرَافِع بن حَمَّاد، وعِنْدَه رايةُ جَدِّهِ التي حضَرَ بها مَعَ النَّبيِّ ﷺ، وهُو جَدُّ بَني كَعْبٍ فيما يَزْعُمون، واسْتَظْهَرَ بهمُ السُّلْطانُ على شَأْنِه، وأنْزَلَهُم [بساحِ][أ] القَيْروان، وأجْزَلَ لهم الصِّلاتِ والعوائدَ، وزَاحَموا الذَّوَاوِدَةَ من رِيَاحٍ بمَنْكِبٍ بعدَ أن كانتْ لهمُ اسْتِطالةٌ على

(أ) من ص.

(1) كل ما أظلَّ الإنسانَ من فوق رأسه، كالسَّحابة والغبرة ونحوها.

جَميع بلادِ إفريقيّة، وكانت أبّهُ إقطاعاً لمحمّدِ بن مَسْعودِ بن سُلْطانَ أيّامَ الشَّيخ أبي محمّدِ بنِ أبي حَفْص، فأقْبَلَ إليهِ مِرْداسٌ في بَعْض السِّنينَ [مع] عِيرِهِم للكَيْل، ونَزلوا بهِ(أ)، فرأوْا نِعْمةَ الدّوَاوِدةِ في تُلُولِهِم تلك، فشرِهُوا(1) إليْها وأجْمعوا طَلَبَها، لحارَبُوهم فغَلَبوهم وقَتَلوا رِزْقَ بن سُلْطانٍ، واتّصلَتِ الفِتْنَةُ.

فلمّا حرّضَهُم الأميرُ أبو زكرِيّاء صادَفَ عندَهُم القَبول لتَحْرِيضِه، فاعْصَوْصَبوا جَميعاً على فِتْنَة الدّوَاوِدَة وتأهّبوا لها، وتكَرّرَتْ بينَهم وبَيْنَ رِيَاحٍ الحروبُ والوقائعُ حتّى أزَاحُوهم عن إفريقيّةَ إلى مَواطِنِهم لهَذا العَهْدِ بتُلولِ قَسَنْطينَة وبِجَايَةَ إلى الزّابِ وما إلَيْه. ثم وَضَعوا أوْزارَ الحَرْبِ، / وأوْطَنَ كُلٌّ بحَيْثُ قَسَمَتْ لهُ قَدَمُه. [157أ]

وملَكَ بَنو عَوْفٍ سائرَ ضَواحِي إفريقيّةَ وتَغَلّبوا عليْها، واصْطَنَعهمُ السُّلطانُ وأثْبَتَهم في ديوانِ العَطاء، ولم يُقْطِعْهم شيئاً من البِلاد، واخْتَصَّ بالولايَةِ منهم أولادَ جامِعٍ وقومَه، فكانوا له خالصةً، وتَمّ تدْبيرُهُ في غَلَبِ الدّوَاوِدَةِ ورِياحٍ على ضَواحِي إفريقيّةَ وإزْعَاجِهم(2) عنْها إلى ضَواحي الزّابِ وبِجَايَةَ وقَسَنْطينَة.

وطالَ تَمَرُّسُ مِرْداسٍ بالدّوْلة، واخْتلَفَتْ حالُهم في الاسْتِقامَةِ معَها والنُّفْرة، وضَرّبَ السُّلطانُ بَيْنَهم وبَيْنَ عَلاَقٍ، فنَشأتِ الفِتْنَةُ، وسَخِطَ عِنَانُ

(أ) كذا ولعله: أبّة.

---

(1) اشتدّ حرصُهم وجَشِعوا لتحصيل ما رأوْا.

(2) أقلقوهم وقلعوهم من مكانهم.

ابنُ جابِر شيخُ مِرداسٍ من أوْلادِ جامِع مكانَهُ من الدّوْلَة، فذهبَ مُغاضِباً عنها، وأقام بناجِعَتِه من مِرداسٍ ومَن إليْهم بنَواحي المَغْرِب في بِلادِ رِيَاح من زاغر[أ] إلى ما يُقارِبُها، وخاطَبَهُ أبو عبدِ الله بنُ أبي الحُسَيْن خالصةُ السُّلْطانِ أبي زكرِيّاء صاحبِ إفريقيّةَ يومَئذٍ بشِعرٍ كثيرٍ يُؤَنِّبُهُ على فَعْلَتِه ويُرغِّبُهُ في مُراجَعةِ السّلطانِ، منها قولُهُ: [من البسيط]

قُـدِ الـمَهامِهَ بالـمهْرِيّةِ القُـــودِ ... واطْـوِ الفَـلاةَ بتَصْويبٍ وتَصْعيدِ

وهي طويلةٌ. ومنها قولُهُ: [من الطويل]

سَلُوا دِمْنةً بيْنَ الغَضَا والسّواجِرِ ... هـلِ اسْتَـنَّ فيها واكِفَاتُ المَواطِرِ

فأجابَ عن هذه عِنانٌ بقولِه: [من الطويل]

خَـليليَّ عُوجَا بَيْنَ سَـلْعٍ وحاجِرٍ ... بِعَوْجٍ عَناجِيجٍ نَواجٍ ضَوامِــرِ

يُقيمُ عُذْرَهُ في النّزوعِ عنْهم، ويَسْتَعْطِفُ السُّلْطانَ بعضَ الشيءِ كما نذكُرُه في أخْبار الدّولةِ الحَفْصيّةِ.

[ثمّ لَحِقَ][ب] بمرّاكُشَ بالخليفَةِ السّعيدِ من بَني عَبْدِ المُؤمن مُحرِّضاً لهُ على إفريقيّةَ وآلِ أبي حَفْصٍ، وهلَكَ في سَبيلِهِ تلكَ وقُبِرَ بسَلا. ولم يَزَلْ حالُ مِرداسٍ بيْنَ النُّفْرَةِ والإصْحابِ[1] إلى أنْ هلَكَ الأميرُ أبو زكرِيّاء واسْتَفْحَلَ مُلْكُ ابنِه المُسْتَنْصِر من بَعْدِه.

(أ) من ص، وفي ظ: زاغز (ب) من ص.

(1) الإصحاب: الذّل والانقيادُ بعد صعوبة، والدخول في الصّحبة بعد النّفرة.

[57 ب] وعَلِقَ الكعوبُ / بذِمَّةٍ قَوِيّةٍ من السُّلْطان، وكان شَيْخهم لعهْدِه عبدُ الله بنُ شِيحَة، فسَعَى عندَ السُّلْطانِ في مِرْدَاس، وكان ابنُ جامِع مُبَلِّغاً بسِعايَتِهِ، واعصَوْصَبَتْ عليهِ سائرُ عَلاّق، فحارَبوا المِرْداسيِّينَ هؤلاءِ وغَلَبوهم على الأوْطان والحَظِّ[1] من السُّلْطانِ، وأخْرجُوهم عن إفريقيَّة، وصَاروا إلى القَفْرِ، وهمُ اليومَ بهِ من جُمْلةِ بادِيَةِ الأعْرابِ أهْلِ الفَلاةِ، يَنْجَعُونَ إلى الرَّمْلِ ويَمْتارُونَ من أطْرافِ التُّلول تحتَ أحْكامِ سُلَيْمٍ أو رِياحٍ، ويَخْتَصُّونَ بالتَّغلُّب على ضَواحي قَسْطِيلِيَةَ أيّامَ مَرابع الكُعوبِ ومَصائفِهم بالتّلول، فإذا انْحدَروا إلى مَشاتِيهم بالقَفْرِ أجْفَلَتْ أحياءُ مِرْدَاسٍ هذه إلى القَفْرِ البَعيد، ويُخالِطونَهم على حِلْفٍ، ولهم على تَوزَرَ ونَفْطةَ وبلادِ قَسْطيلِيَةَ إتَاوَةٌ يُؤَدّونَها إليهم بما هيَ مَواطِنهُم ومجالاتُهم، ويُصَرِّفُهم ولاتُها في الكثير من أغراضِهم. وصاروا لهذا العَهْدِ إلى تَمَلّك العَقارِ بها، فاصطَفَوْا منهُ كثيراً، وأصبَحَ عُمْرانُ قَسْطيلِيَة لهم مُرْتافاً[2] واستقامَ أمرُ بَني كعب من عَلاّق في رئاسَة عَوْفٍ وسائِر بُطونِهم من مِرداسٍ وحِصْنٍ ورِيَاحٍ ودَلاّجٍ، ومن بُطونِ رياحٍ حَبِيبٌ، وعَلاَ شأنُهم عند الدّوْلةِ واعْتَزّوا على سَائِر بَني سُلَيْم بن مَنْصور، واسْتقَرَّتْ رئاسَتُهم في وَلدِ يَعْقوبَ بن كَعْب، وهم: بَنو شِيحَةَ، وبَنو طاعِنٍ، وبَنو عليّ، وكانَ التقدُّمُ لبني شِيحَةَ بنِ يَعْقوبَ لعَبْدِ الله أوّلاً، ثمّ لإبراهيمَ أخيهِ، ثمّ لعبدِ الرَّحْمن ثالِثهما على ما يأْتي.

(1) النصيب، وما كان لهم من الرزق.

(2) مجالّ ارتيافهم. والريف: الأرض الخصبة المزروعة.

وكَان بَنو عليّ يُرادِفونَهم في الرّئاسة. وكان منهم بَنو كَثيرِ بن يَزيدَ بن عليّ، وبَنو كعْبِ بن عليّ، وكان كعبٌ هذا يُعْرَفُ بيْنَهم بالحاجّ لِمّا كان قَضَى فَرْضَه، وكان[أ] له صِحَابةٌ معَ أبي[ب] سَعيدِ العُودِ الرّطْبِ شيْخِ الموحِّدينَ لعهْدِ السّلْطانِ المسْتَنْصِر، أفادَتْهُ جاهاً وثَروةً، وأقْطعَ لهُ السّلطانُ أرْبعاً منَ القُرَى أصارَها لولَدِه، كان منها بناحِيَةِ صَفاقُس وبإفريقيَّة وبناحِيةِ الجَريدِ، وكان لهُ من الوَلدِ سَبْعةٌ، أربعةٌ / لأمّ، وهم: أحمدُ، وماضي، وعَليٌّ، [158] ومحمّدٌ، وثلاثةٌ لأمّ، وهُم: بُرَيْكٌ، وبَرَكاتٌ، وعبدُ العليّ، فنازَعَ أحمدُ أولادَ شِيحَةَ في رئاسَتِهم على الكُعوبِ، واتّصَلَ بالسّلْطانِ أبي إسْحاق، وأحْفَظَهم ذلك، فلَحِقُوا بالدّعِيّ عندَ ظُهورِه، وكان من شَأْنِه ما قدّمْناه.

وهلَكَ أحمدُ، واستَقرّتِ الرّئاسَةُ في وَلَدِه، وكان له من الوُلْدِ جماعةٌ، فمن غَزِيّة، إحْدى نِساءِ بَني يَزيدَ من الصّهْبَا: قاسِمٌ ومِرَا وأبو اللّيْل وأبو الفَضْل، ومن الحكيميّةِ: فايدٌ وعُبَيدٌ ومِنْديلٌ وعبدُ الكريم، ومن السّريّةِ: كُلَيْبٌ وعَساكرُ وعبْدُ الملكِ وعبْدُ العزيز.

ولـمّا هلَكَ أحمدُ قامَ بأمْرِهم بَعْدَهُ ابنُهُ أبو الفَضْل، ثمّ من بَعْدِه أخوه أبو اللّيْل بنُ أحمد، وعَلَتْ رئاسَةُ بَني أحْمَدَ هؤلاءِ على قَوْمِهم، وتألّفوا ولَدَ إخْوتِهم جميعاً، وعُرِفوا بيْنَ أحْيائِهم بالأغْشاشِ إلى هذا العَهْد.

(أ) ص: كانت (ب) ظ: أبو.

ولَـمّا كان شأنُ الدّعيّ بن أبي عُمارة، ولَبْس بأنّه الفَضْلُ بنُ يَحْيى المَخْلوعُ، وأَوْقَعَ بالسُّلْطان أبي إسْحاقَ وقَتَلَهُ وأكْثَرَ بَنيهِ -كما نَذْكُرهُ في مَوْضعِه- لحِقَ أبو حَفْصٍ أخوهُ الأصغرُ بقَلْعةِ سِنان من حُصونِ إفريقيّة، وكان لأبي اللّيْل بن أحْمدَ في نجَاتِه ثُمّ في القِيام بأمْرِه أثرٌ وقَعَ منهُ أحسَنَ المواقِع، فاصْطَنَعَه به وشَيّدَ مِن رِئاسَتهِ على قَوْمِه عنْدَما أدالَ اللهُ بهِ من الدّعيّ، فاضْطلَعَ أبو اللّيْل هذا بأمْرِهم، وزاحَمَ أولادَ شِيحَةَ بِمَنْكِبٍ قويّ.

ولَـحِقَ آخرُهم عبدُ الرّحمنِ بن شِيحَةَ بِبجَايَةَ عنْدَما اقْتطَعَها الأميرُ أبو زكرِياءَ ابنُ السُّلْطان أبي إسحاقَ عن مِلْكِ عَمِّه السُّلْطان أبي حَفْصٍ، فوفَدَ علَيْهِ مُسْتَجِيشاً بهِ ومُرَغِّباً لهُ في مِلْكِ تُونِس، يَزْجو بذلكَ كَرّةَ رئاسَتِه، فهلَكَ دونَ مَرامِهِ وقُبِرَ بِبجَايَةَ وانقَرَضَتْ رئاسَةُ أوْلادِ شِيحَةَ بَهْلِكِهِ، واستَبَدَّ أبو اللّيْل بالرّئاسةِ في الكُعوب.

ووَقَعَ بَيْنَهُ وبَيْنَ السُّلْطانِ أبي حَفْصٍ وَحْشَةٌ، فقَدَّمَ على الكُعوبِ [58ب] / مكانَه محمّدَ بنَ عبدِ الرّحمن بن شِيحَةَ، وزاحَمَهُ بهِ أيّاماً حتّى اسْتقامَ على الطّاعَة، ولـمّا هَلَكَ قامَ بأمْرِهِم ابنُهُ أحمدُ، واتّصَل أمَدُ رئاسَتِه، ونَكَبَهُ السّلطانُ أبو عَصِيدةَ فهلَكَ في سِجْنِه، ووَلِيَ بعدَهُ أخوُه عمرُ بنُ أبي اللّيل، وزاحَمَهُ هدّاجُ بنُ عُبَيْد بنِ أحْمدَ بن كعْبٍ إلى أن هَلَكَ هدّاجٌ كما نذكُر.

ولـمّا هلَكَ عُمَرُ قام بأمْرِه في قَوْمِه أخوهُ محمّدُ بنُ أبي اللّيل، وكَفَلَ مـولاهم وحـمْـزَةَ ابنَيْ[1] أخيهِ عُمَرَ؛ وكان عُمَرُ مُضَعّفاً عـاجِزاً، فنـازَعَهُ أولادُ

(1) ص: ابن.

مُهلْهِلٍ ابنِ عمّه قاسِم، وهم: محمّدٍ ومسكِيانه ومُزغِم وطالبٌ وعونٌ، في آخرينَ لم تحضُرْني أسماؤهُمْ، فترشّحوا للاستبدادِ على قومهم ومُجاذَبةِ محمّدِ ابن عمّهم أبي اللّيل حبْلَ الرّئاسةِ فيهم، ولم يَزالوا على ذلك سائرَ أيّامِهم.

ولمّا ظَهَر هَدّاجُ بنُ عُبَيْدِ بن أحمدَ بن كَعْب، وعظُمَ طُغيانُهُ وعُتُوّه وإفسادُ الأعرابِ من أحيائه السّابِلَةَ، وساءَ أثرُه في ذلك، وأسَفَّ السُّلطانُ بالاعتِزازِ عليْهِ والاشتِراط في مالِهِ، وتَوَغّلَتْ لهُ صدورُ الغَوْغاءِ والعامّةِ، فوفَدَ على تونِسَ عامَ خمسةٍ وسَبْعِ مائةٍ، ودخَلَ المسجدَ يومَ الجُمُعةِ لابِساً خُفَّيْهِ، ونَكِرَ النّاسُ عليهِ وَطْأهُ بَيْتَ اللهِ بخُفّ لم يَنْزَعْهُ، ورُبَما قال لهُ في ذلك بَعضُ المُصلّينَ إلى جنبِه، فقال: إني أدخُلُ بهما بِساط السُّلْطانِ فكيْفَ الجامِعِ؟!، فاستَعْظَمَ النّاسُ كلِمتَهُ وثاروا به لحينِه فقتَلوهُ بالمسْجدِ وأرضَوا الدّولةَ بفعْلِهم، وكانَ أمرُه مذكوراً. وقَتَلَ السُّلطانُ بعدَ ذلك أخاهُ كَساباً وابنَ عمّه شِبْلَ بنَ مِنْديلِ بن أحمد.

وقامَ بأمْرِ الكُعوب من بَعْدِ محمّدِ بنِ أبي اللّيل وهَدّاجِ بن عُبَيْد: مَوْلاهم وحَمْزةُ ابنا عُمر. واسْتَبَدّا برئاسةِ البَدْوِ من سُلَيْمٍ بإفريقيّةَ، على مُزاحَمَةٍ من بَني عمّهم مُهَلْهِل بن قاسِم وأقْتالِهم[1] وفُحولِ شُولِهم[2].

(1) القِتْلُ: الشّجاع، والقِرْنُ في قِتالٍ وغيره، ج: أقْتال.

(2) الشّول: النّوق، والمفردُ شائلة، وهو جمعٌ على غير قياس ويجمع أيضا على أشوال.

وانتقَضَ محمَّدُ[أ] بنُ أبي اللّيل وابنُ أخيه مَوْلاهم بنُ عُمرَ على السُّلْطانِ سنةَ سَبْعٍ وسبْعِ مائةٍ، / واستدْعى عثمانَ بنَ أبي دَبّوسٍ من مَكانِهِ بوَطن دَبّاب، فجاءهُما، وأجْلَبا[1] بهِ على تونِس، ونَزلَ كُدْيةَ الصَّفتَرِ بظاهِرها، وبَرَزَ إليهمُ الوزيرُ أبو عبدِ اللهِ بن يَرْزيكَنْ فهزَمَهم واستَخْدَمَ أحمدَ بنَ أبي اللّيل، ثمّ تُقُبّضَ عليهِ واعتُقِلَ بتونِسَ إلى أن هَلَكَ، ووَفَدَ بعدَ ذلك مَوْلاهم ابن عُمَر سنةَ ثمانٍ فاعْتُقِلَ معَه. ولَحِقَ أخوهُ حَمْزةُ بالأميرِ أبي البَقاءِ خالِدِ ابن الأميرِ أبي زكَرِياءَ صاحِبِ الثَّغْرِ الغَرْبِيِّ من إفريقيّةَ بيْنَ يَديْ مَهْلِكِ السُّلْطانِ أبي عَصِيدَةَ، ومعَهُ [أبو][ب] عليُّ بنُ كَثير، ويَعْقوبُ بنُ القَوْس، من شُيوخِ بني سُلَيْمٍ هؤلاءِ، ورَغَّبُوا الأميرَ [أبا][ج] البقاءِ في مِلْكِ الحَضْرةِ، وجاؤُوا في صُحْبَتِه، وأطلَقَ أخاهُ مَوْلاهم منَ الاعْتقالِ عندَ دُخولِ السُّلطانِ تونِسَ سنةَ عشْرٍ وسَبْعِ مائةٍ كما نَذكُرُ في خَبَرِه.

ثمّ لَحِقَ حمزةُ بالسُّلْطان أبي يَحْيى زكَرِياءَ بنِ اللِّحْيانيّ، واتّصلتْ بهِ يدُهُ، فرَفَعهُ على سائِرِ العَرَبِ، حتّى لقدْ نَفِسَ ذلكَ عليهِ أخوهُ مَوْلاهم، و[نَزَعَ][د] إلى السُّلْطانِ أبي يَحْيى الطّويلِ أمدِ الخلافةِ - وَلِيَ سبْعاً بِبجَايَةَ وثلاثينَ بَعْدَ استيلائهِ على الحضْرةِ وسائرِ بلادِ إفريقيّةَ - فاستَخْلَصَهُ السّلطانُ لدَوْلَتِه، ونابَذهُ حمزةُ، فأجْلَبَ عليْهِ بالقَرابةِ واحداً بَعْد واحدٍ كما نَذكُرُهُ، وداهَنَ أخوه مَوْلاهم في مُناصَحَةِ السُّلطان، ومَالأ أخوهُ حمزةُ على

(أ) ص: أحمد (ب) سقط من ظ (ج) من ص، ظ: أبي (د) ص، ظ: نزل.

(1) تجمعا من كل وَجهٍ للحرب.

شَأْنِه، وربّما نُمِيَ عنهُ الغَدْرُ، فتقبّضَ عليهِ السُّلْطانُ وعلى ابْنِه مَنصورٍ وعلى رَبيبِهِ زغْدانَ ومغْرانَ ابنيْ محمّدِ بن أبي اللّيل، وكان السّاعيَ بهم إلى السُّلطانِ ابنُ عمّهم عَوْنُ بنُ عُبَيْدِ الله بن أحْمد، وأحمدُ بنُ عبدِ الواد(أ) بن عُبيد، وبوهلال بن محمودِ بن فايد، وناجي بنُ بوعلي بن كثير، ومحمّد بن مِسْكين، وبو زَيْد بنُ عُمرَ بن يَعْقوب، ومن هَوّارَةَ فيصَلُ بنُ زَعازِع، فقُتِلوا لحينِهم سنةَ ثِنْتَيْنِ وعشرينَ، وبعَثَ أشلاءَهم إلى حَمْزة، فاشتَدَّ حَنَقُهُ، ولحِقَ / صَريخاً بأبي تاشفينَ صاحبِ تِلِمْسَانَ لعَهْدِهِ من آلِ يَغْمُراسِنَ، ومعَهُ محمّدُ [59 ب] ابنُ السُّلْطان اللّحْيانيُّ المعروفُ بأبي ضَرْبَة (ب) قد نَصَّبَهُ للمُلْكِ.

وأمدَّهم أبو تاشفينَ بعَساكِرِ زَناتَةَ، وزَحَفوا إلى إفريقيّةَ، فخرَجَ إليهم السُّلطان وهزَمَهم برعيسَ(ج)، ولم يَزَل حمزةُ من بَعْدِها مُجْلِباً على السُّلطانِ أبي يَحْيى بالمرشّحينَ من أغياصِ البَيْتِ الحَفْصِيّ، وأبو تاشفينَ صاحبُ تِلِمْسَانَ يَمُدُّهم بعساكِره. وتكرّرَتْ بَيْنَهُم الوقائِعُ والأيّامُ سِجَالاً كما نذكُره في مواضِعِه.

حتّى إذا اسْتَوْلَى السُّلْطانُ أبو الحسَن وقومُهُ من بَني مَرِينَ على تِلِمْسَانَ والغَرْبِ الأوْسط سنةَ سبْع وثَلاثينَ وسبْعِ مائة، واستَتْبَعوا بَني عبدِ الواد وسائرَ زَناتةَ، [اقْصرَ](د) حَمزةُ عن فِتْنَتِهِ وانقَطَعَ حَبْلُها في يَدِه، ولحِقَ بالسُّلْطانِ أبي الحَسَن مُسْتَشْفِعاً بهِ، فتَقبّلَ السُّلطانُ أبو يَحيى

(أ) ص: الواحد (ب) كذا ظ ص، ولعلّ هناك سقط قد يكون: [وكان] قد نصبَهُ للملك (ج) ص: برعيش
(د) من ص، وفي ظ: اقتصر.

شفاعَتَهُ وعَفا لهُ عن جَرائِرِهِ، وأحَلَّه مَحلَّ الاصْطفاءِ والخُلوصِ، فشمَّرَ عن نُصْحِهِ واجْتِهادِهِ، وظاهَرَ قائدَهُ مُحمّدَ بنَ الحكيم على تَدويخِ إفريقيّةَ وقَهْرِ البَدْوِ من الأعْراب، فاسْتَقامَ أمرُ الدّوْلة، وتَوَثَّرَ مِهادُها. وهَلَكَ حمزةُ سنةَ أربعينَ وسَبْعِ مائةٍ بِيَدِ أبي عَوْنٍ نَصْرِ بن أبي عليّ عبْدِ السّلام من وُلْدِ كثيرِ بن زَيْدٍ المتقدِّمِ الذِّكْر في بَني عليّ، من بُطون بَني كعْب، طعَنَهُ في بعْضِ الحروبِ فأشْواهُ[1]، وكان فيها مَهْلِكهُ.

وقامَ بأمْرِهم من بَعْدِه ابنُهُ عُمَرُ بمُظاهَرَةِ شَقيقِهِ قُتَيْبَةَ ويُكْنَى أبا اللّيل، فغَلَبَ سائرَ الإخوَةِ والقَرابةِ واستَبَدَّ برئاسَةِ بني كَعْبٍ وسائر بَني يَحْيى، وأقْتالُهُ بنو مُهَلهِل[أ] يُنافِسونَهُ وَيتَرقّبونَ الإدالةَ منهُ، وكان مُساهِمَهُ في أمْرِهِ معزُّ بنُ مُطاعِن - من فَزارَةَ - وزيرُ أبيه.

وخَرَجوا على السُّلْطانِ بَعْدَ مَهْلِكِ حَمْزَة أبيهم، واتّهَموا أنَّ قَتْلَ أبي عَوْنٍ أباهم إنّما كان بمُمَالأةِ الدّوْلَة، فنَازَلوا تونِسَ وجَمَعوا لمحاصَرَتِها أولادَ / مُهَلْهِل[أ] أقْتالَهم، ثمّ اختَلَفوا ورَحَلوا عن البَلَدِ، وانْخَزَلَ[2] طالبُ ابنُ مُهلْهِل وقومُه إلى السُّلطان، ونَهَض في أثَرهم فأوْقَعَ بهم في القَيْرَوان، ووَفَدَتْ مَشْيَخَتُهم على ابْنِه الأميرِ أبي العَبّاس بقَفْصَةَ يُداخِلونَه في الخُروج على أبيه، وكانَ فيهم معزُّ بنُ مُطاعِن وزيرُهم، فتَقَبَّضَ عليْه وقَتَلَهُ

(أ) ضبطة في ظ بفتح الهائين.

(1) أشواهُ: أصاب شواهُ لا مقتلَه، لم يصب الغرض.

(2) تثاقل ولم يتعبأ.

وأفْلَتَ الباقين[ا] ورَاجَعوا الطّاعةَ وأعطَوا الرُّهُنَ.

ولما هلَكَ السُّلْطانُ أبو يَحْيى وقامَ بالأمْرِ ابنُه عُمر، انْحَرفوا عنْهُ وظاهَروا أخاهُ أبا العَبّاسِ صاحبَ الجَريدِ ووَليَّ العَهْد، وزحَفوا معَهُ بِظَواعِنِهم إلى تونِسَ، فدَخَلَها، وقتَلَهُ أخوه عُمَرُ كما نذكُرُه في مَوْضِعهِ، وقَتَلَ معَهُ أخاهم أبا الهَوْل بنَ حَمْزةَ ؛ فأسِفَهُمْ بذلك.

ووَفَدَ خالِدٌ على صاحِب المَغْرب السّلطانِ أبي الحسَن فيمن وَفَدَ عليهِ من وُجوهِ الدّوْلَةِ وكافةِ المَشْيَخةِ من إفريقيَّة، وجاءَ في جُمْلَتِه، حتّى إذا استَوْلَى على البِلاد قَبَضَ أيْدِيَهم عمّا كانتْ تَمتَدُّ إليه من إفْسادِ السّابِلةِ وأخْذِ الإتاوَةِ، وانْتَزَعَ الأمْصارَ الّتي كانَت مُقْتَطَعةً بأيْديهم وألْحقَهم بأمْثالِهم من أعْرابِ بلادِه بالمغرِب الأقْصَى من المعْقِل وزُغْبَة، فثَقُلَتْ وَطْأتهُ عليهم، وتَنكَّروا لهُ، وسَاءَ ظَنُّه بهم، وفشَتْ غاراتُ المفْسِدينَ من بَواديهم بالأطْراف، فنُسِبَ ذلك إليْهم. ووَفَدَ عليهِ بتونِسَ منْ رِجَالاتِهم: خالدُ بنُ حَمْزةَ وأخوهُ أحمدُ، وخَليفةُ بنُ عبْدِ الله بن مِسْكينٍ، وخليفةُ بن بو زيد من شُيوخ حَكيم، فَسُعيَ بهم عنْدَهُ أنّهم داخَلوا بعضَ الأعْياصِ من أولادِ اللّحْيانيّ من بني أبي حَفص، كانَ في جُمْلَتِه كما نَذكُرُه في مَوْضِعِه، فتَقَبّضَ عليْهم. وبلَغَ خَبَرُهم إلى الحيّ فتأشَّبوا[1] بقَسْطِيلية والجَريد، وظَفِرُوا بذُنابَى[2] من بَقيّةِ

(ا) ص: الباقون، ويعني مكنهم من الافلات.

---

(1) تأشّب: انضمّ إليه والتفّ.

(2) ذَنَب الطائر، وهي أكثر استعمالاً له من الذّنب.

آلِ عَبْدِ المُؤْمِن، من عَقِبِ أبي العليّ إدْريسَ الملقّبِ بأبي دَبّوس آخِرِ خُلفائِهم بمَرّاكش، / ونَيلِ يَعْقوبَ بن عبدِ الحَقِّ عندَ غَلْبِهِ على الموحِّدينَ بمَرّاكُش واستيلائهِ على المَغرب، وهُوَ أحمدُ بنُ عُثْمان بن إدْريس، فنَصَّبوهُ وبايَعوهُ واجْتَمعوا عليه، وتأشّبَ مَعَهم بنو عَمِّهم مُهَلْهِل أقْتالُهم، وكان طالبٌ هلَكَ وقامَ مكانَهُ فيهم ابنُه محمّد، فصَرَخهم بقَوْمِه وأصْفَقوا جميعاً على حَرْبِ زَناتَة.

ونَهَضَ إليْهمُ السُّلطانُ أبو الحسَن من تونِسَ فاتحَ تسْعةٍ وأرْبعينَ، فأجْفَلوا أمامَهُ حتّى نَزلَ القَيْروانَ، ثمّ ناجَزوهُ ففَضُّوا جُموعَهُ وملأوا حقائِبَهم بأسْلابِه وأسْلابِهم، وخَضَدوا من شَوْكَةِ السُّلْطان وألانُوا من حَدِّ المُلْك، وخَفَضُوا من أمْرِ زَناتَةَ وغَلّبِهم الأُمَم، وكان يومٌ لهُ ما بَعْدَه في اعْتزازِ العَرَبِ على الدُّوَلِ آخرَ الأيّام.

وهَلَكَ أبو اللّيْل بنُ حَمْزةَ، فعجَزَ عُمَرُ عن مُقاوَمةِ إخْوَتِه. واسْتَبَدَّ بالرِّئاسَةِ عليهِ أخوهُ خالِدٌ ثمّ مِنْ بَعْدِهِ أخوهُما مَنْصُور، واعتَزَّ على السُّلْطانِ أبي إسْحاقَ ابنِ السُّلْطانِ أبي يَحْيى صاحبِ تونِسَ لعَهْدِه، اعتزازاً لا كِفاءَ لهُ، وانْبَسَطت أيْدي العَرَبِ على الضّاحِية، وأقْطَعَتْهم الدّولةُ حتّى الأمْصارَ وألقابَ الجِبايَةِ ومُخْتَصَّ المَلِك، وانتَقَصَتِ الأرضَ من أطْرافِها ووَسَطِها، وما زالوا يُغالِبونَ الدّولةَ حتّى غَلَبوا على الضّاحيةِ وقاسَموهم في [جبايات](أ) الأمصارِ بالإقْطاع رِيفاً وصَحْراءَ وتُلولاً وجَرِيداً(1)، ويُحرِّضونَ بيْنَ أغْياصِ

(أ) من ص، ظ جيات.

(1) يعني واحات النخل.

الدّولةَ ويَجْلُبونَ بهم على الحضْرَةِ لـمَا يؤمِّلونه طُعْمَةً من الدّولة، ويَرْميهمُ السُّلْطانُ بأقْتالِهم أولادِ مُهَلْهِل بن قاسِم بن أحْمَد يُدِيلُ بهم منهم متَى أحْفَظوها[2]، ويحَرِّش بَيْنهم لقضاءِ أوْطارِها.

حتّى إذا أرادَ اللّهُ إنقاذَ الأُمّةِ من هُوّةِ الخَسْفِ وتخليصَهم من مَكارِهِ الجوعِ والخَوْف، وإدالتَهم من ظُلُماتِ العَيْثِ بنورِ الاسْتِقامَة، بَعثَ، همّةَ السُّلْطانِ أميرِ المؤمنينَ أبي العبّاس أحْمَدَ - أيّدَهُ اللّهُ - لطَلبِ إرْثِهِ / من [161] الخِلافةِ بالحَضْرة، فانبعَثَ لها من مكانِ إمارَتِهِ بالثّغْر الغرْبيّ، ونَزَعَ إليهِ أميرُ البَدْو منصُورُ بنُ حَمْزةَ هذا وذلكَ سنةَ إحْدى وسبْعينَ وسبْعِ مائةٍ على حينِ مَهْلَكِ عمّهِ السُّلْطانِ أبي إسْحاقَ مُقْتَعِدِ كرسيّ الحضْرةِ وصاحبِ عَصَا الخلافَةِ والجماعَة، وقيامِ ابْنهِ خالِدٍ بالأمْرِ من بَعْدِه، فنهَضَ إلى إفْريقيّة، ودَخلَ تونِسَ عَنوةً، واسْتَوْلَى على الحَضْرةِ سنةَ ثِنْتَيْنِ بعدَها، وأرْهَفَ حدَّهُ للعَرب في الاعْتزازِ عليْهم وقَبْضِ أيْدِيهم عن المفاسِدِ وذَوِيهم. فحدَثَتْ لمنصُور نَفْرةٌ عن الدّوْلة، ونصَبَ الأميرَ أبا يَحْيى زكرياءَ ابن السُّلطان أبي يَحْيى جَدِّهِمُ الأكْبرِ، كان في أحْياءِ العَرَبِ منذُ سِنينَ كما نذكُرُ ذلكَ كلَّه في أخْبار الدّولة، وأجْلَبَ بهِ على تونِسَ سنةَ ثلاثٍ وسبْعين، فامْتَنعتْ عليهم ولَمْ يَظْفَروا بشَيْء. وراجَعَ مَنْصورٌ حالَه عندَ السُّلْطان، وكشَفَ عن وَجْهِ المُناصَحَةِ، وكان عشيرتُه قد مُلِئوا منهُ حَسَداً ومُنافَسَةً بسُوءِ مَلَكتهِ عليْهم، فعدَا عليهِ محمّدُ ابنُ أخيه أبي اللّيل وطَعَنَه فأشْواهُ، وهلَكَ ليَوْمِه سنةَ خَمْسٍ وسبْعينَ، وافْتَرقَ جمْعهم.

(1) أحفظوها: أغضبوها.

وقام بأمْرِهم من بَعْدِه صَوْلَةُ ابنُ أخيهِ خالِد بن حَمْزة، ويُرادِفُهُ أولادُ مَوْلاهم بنِ عُمَر، فَجَهدَ بعضَ الشَّيْءِ في خِدْمة السُّلْطانِ ومُناصَحَتِه، ثُمّ رَجعَ إلى العِصْيان وكشَفَ القِناعَ في الخِلاف، واتّصلَتْ حالُه على ذلكَ ثلاثاً، وأدالَ السُّلْطانُ منه ومن قَوْمِه بأقْتالِهم أولادِ مُهَلْهِل، ورئاسَتُهم لمحَمّدِ بن طالب، فرَجَعَ إليهم رئاسةُ البَدْوِ، وجَعَلَ لهمُ المَنْعَ والإعْطاءَ فيهم، ورَفَعَ رُتْبَتَهم على العَرب. وتَحيَّزَ إليهِ مَعَهم أولادُ مَوْلاهم بنُ عُمَر بن أبي اللّيل، وتَغلّبَ[1] أولادُ حَمْزةَ سائِرَ هذه الأيّام في الخِلاف.

[61ب] ونَهَضَ السّلطانُ سنةَ ثمانينَ إلى بِلادِ الجَريدِ / لتقويم رؤسائِها عن المُراوَغةِ وحَمْلِهم على جادّةِ الطّاعة، فتَعَرَّضُوا لمدافَعَتِهِ عنها بإمْلاءِ هؤلاءِ الرُّؤَساءِ ومُشارَطَتِهم لهم على ذلك وبعدَ أن جَمَعوا لهُ الجموعَ من ذوبانِ(1) الأعْراب وذئاب البَدْو، فغلَبَهم عليها جَميعاً وأزاحَهم عن ضَواحيها وظَفِرَ بفَرائِسه من أولئك الرُّؤَساءِ، وأصْبَحوا بين مُعْتَقَلٍ ومُشَرَّدٍ، واسْتَوْلَى على قُصورِهم وذَخائِرِهم. وأبْعَدَ أولادُ حَمْزَة وأخلافُهم من حَكيمِ المَفَرّ، وجاوَزوا تُخومَ بلادِهم من جِهةِ المَغرب، واعْتَزَّتْ عليهمُ الدّوْلَةُ اعْتِزازاً لا كِفاءَ لَه، فنامَتِ الرَّعايا في ظِلِّ الأمْن، وانْطَلَقَتْ منهم أيدي الاعْتِمارِ والمعاشِ، وصَلُحَتِ السّابِلَةُ بعْدَ الفسادِ، وانفتحَتْ أبْوابُ الرَّحْمَةِ على العِباد.

[1] ص: تقلّب.

---

(1) الصعاليك واللّصوص لغة في ذؤبان.

وقد كان اعْتِزازُ هؤلاءِ العَرب على السُّلْطانِ والدّولةِ لا يَنْتهي إليهِ اعْتِزازٌ، ولهم عَنْجَهيّةٌ وإبايَةٌ وخُلُقٌ في الكِبْرِ والزَّهْوِ غريبَةٌ، لِما أنَّهم لمْ يَعْرِفوا عَهْداً للذُّلِّ ولا سِيموا بإعْطاءِ الصّدقاتِ منذ العَهْدِ الأوّل.

أمّا في دَوْلةِ بَني أُميّةَ فللْعَصَبيّةِ الّتي كانَتْ للعَربِ بَعْضِها معَ بَعْضٍ، تَشْهَدُ بذلك أخبارُ الرِّدّةِ والخلفاء معَهم ومعَ أمْثالِهم، معَ أنّ الصَّدقَةَ كانَتْ لذلكَ العَهْدِ بِتَحرّي الحقِّ وبجانبٍ عن الاعْتِزازِ والغِلْظة، فلَيْس في إعْطائها كبيرُ غَمْطٍ ولا مَذَلّةٍ.

وأمّا أيّامَ بَني العبّاس حينَ اسْتِفْحالِ المُلْكِ وحُدوثِ الغِلْظَةِ على أهْلِ العِصابَة، فلانْتِباذِهم بالقَفْر من بِلادِ نَجْدٍ وتِهامَةَ وما ورَاءَهُما.

وأمّا أيّامَ العُبَيْديّينَ فكانَتِ الحاجَةُ تَدْعو الدّولةَ إلى اسْتِمالَتِهم للفِتْنةِ الّتي كانَتْ بَيْنَهم وبَيْنَ بَني العَبّاس، وأمّا حينَ خَرَجوا بعدَ ذلك إلى فَضاءِ بَرْقَةَ وإفريقيّة، فكانوا ضاحِينَ من ظِلِّ المُلْكِ.

ولَمّا اصْطَنَعَهُمْ بنو أبي حَفْصٍ كانوا معَهم بِمَنْجاةٍ من الذُّلِّ وسَوْمِ الخَسْف، حتّى كانَتْ واقِعَتُهم بالسُّلْطانِ أبي الحسَن وقَوْمِه من زَناتَةَ بالقَيْرَوان، فنَهَجوا سبيلَ / الاعْتِزازِ لِغَيْرِهم من العَربِ على الدُّوَلِ بالمَغرب، فتحامَلَ [162] المَعْقِلُ وزُغْبَةُ على مُلوكِ زَناتَةَ واشْتَطّوا في طِلابِهم بعدَ أن كانوا مَكْبوحينَ بِحَكَمَةِ الغَلَبِ عنِ التّطاوُلِ إلى مِثْلِها. واللهُ مالِكُ الأمور.

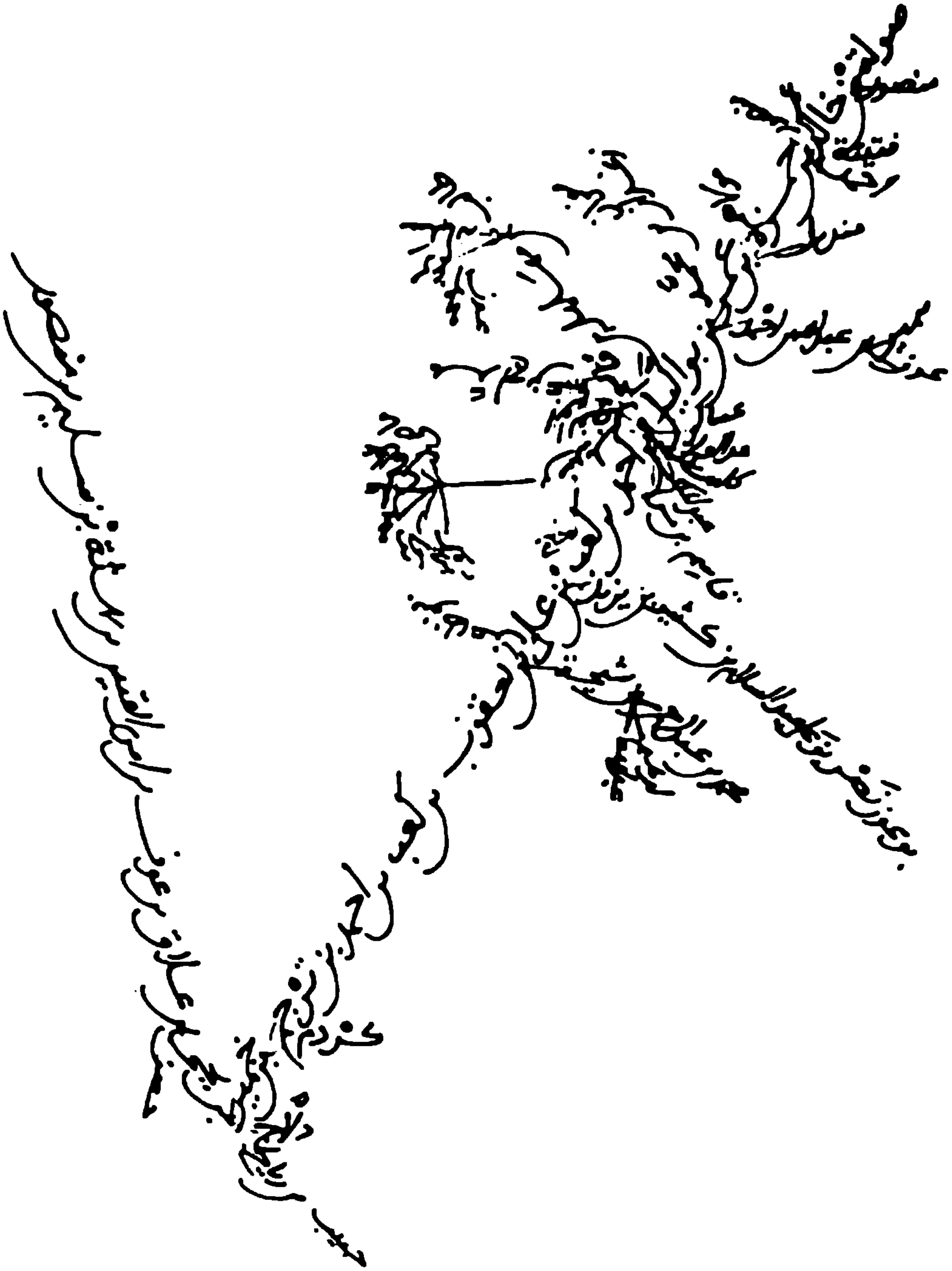

[مشجر نسب بني كَعْب من بني سُلَيم بن مَنصور]

● [أ]الخَبَرُ[1] عن قاسم بن مِرَا من الكُعوب، القائم بالسُّنَّة في سُلَيم، ومآلِ أمرِه وتصاريفِ أحوالِه [62 ب]

كان هذا الرّجُلُ من الكُعوب ثمّ من أولا[دِ] أحْمدَ بن كَعْب، منهم. وهو: قاسِمٌ بنُ مِرَا بن أحْمد، نَشأَ بَيْنَهم ناسِكاً مُنْتَحِلاً للعِبَادَة، ولَقِيَ بالقَيْروانِ شَيْخَ الصُّلَحاء لعَصْرِهِ أبا يوسُفَ الدُّهْمانِيّ[2] وأخَذَ عنهُ ولَزِمَه.

ثُمّ خرَجَ إلى قَوْمِهِ مُقْتَفِياً طريقةَ شَيْخِهِ في الْتِزامِ الوَرَعِ والأخْذِ بالسُّنَّةِ ما استَطاعَ، ورأى ما هُمُ العَربُ علَيْهِ من إفْسادِ السّابِلَةِ والخُروج عن الجادَّةِ، فأخَذَ نَفْسَهُ بتَغْييرِ المُنْكَرِ فيهم وإقامَةِ السُّنَّةِ لهم، ودَعا إلى ذلِكَ عَشِيرَهُ من أوْلا[دِ] أحْمد، وأن يُقاتِلوا معَهُ على ذلكَ. فأشارَ عليهِ أولادُ أبي اللَّيْل، منهم -وكانوا عَيْبَةَ نُصْحٍ لهُ- أن ينكبَّ عن طَلَبِ ذلكَ من قَوْمِه مخافةَ أن يَلِجُّوا في عَداوَتِه فيَفْسُدَ أمرُه، ودَفعوهُ إلى مُطالَبَةِ غَيْرِهم من سُلَيْمٍ وسائِرِ النّاسِ بذلك، وأنّهم مَنَعَةٌ لهُ ممّن يَرومُه خاصّةً. فجمعَ إليه أوْشاباً من البادِيَة تَبِعوهُ على شأْنِه والْتَزموا طريقَهُ والمُرابَطةَ معَهُ، وكانوا يُسَمَّوْنَ بالجَنَّادَة.

وبَدأ بالدُّعاءِ إلى إصْلاح السّابِلَةِ بالقَيْروانِ وما إلَيْها من بِلادِ السّاحِل، وتَتَبُّعِ المُحارِبينَ بقَتْلِ من يَعْثُرُ عليهِ منْهم بالطُّرُقِ، وغَزْوِ المشاهير منهم في

(أ) من هنا يبدأ نص القطعة د بعد الانقطاع.

---

(1) ترجمَه ابن ناجي: معالم الإيمان 3:213 – 229، مناقب أبي يوسف الدّهماني (مخطوط).

(2) العمري: مسالك الأبصار 4: 337، القلقشندي: نهاية الأرب 110 -.

بُيوتِهم، واستِباحَةِ أمْوالِهم ودِمائِهم، حتّى شرّدَهم كلَّ مُشرَّد، وعَلَتْ بذلك كلمَتُه على آلِ حِصْنٍ، وصَلَحَتِ السّابِلَةُ بإفريقيّةَ ما بَيْنَ تُونِسَ والقَيْرَوان وبلادِ الجَريد.

وطارَ له ذِكْرٌ نَفِسَه عليهِ قَوْمُه، وأجْمَعَ عداوَتَه واغْتِيالَهُ بَنو مُهَلْهِلِ بن قاسِم بن أحْمد، وتَنَصَّحُوا ببَعْض ذلكَ للسُّلْطان بتونِسَ الأميرِ أبي حَفْص وأنّ دَعْوةَ هذا الرّجل قادحَةٌ في أمْرِ الجماعَةِ والدّولةِ، فأغضَى لهم عن ذلكَ وتَرَكَهمْ وشأنَهم. فخَرَجوا من عنْدِه مُجمِعينَ قَتْلَه.

[163] ودَعَوْه بعضَ الأيّامِ إلى المُشاوَرَةِ / في شُؤونِهم مَعَهُ على عادة العَرب، ووَقَفوا معَهُ بسَاحَةِ حَيِّهم ثمّ خَلَصوا معَهُ نَجِيّاً[1]، وطعَنَهُ [من خَلْفه][ا] محمّدُ بنُ مُهَلْهِل الملقَّبُ بأبي عَذْبَتَيْنِ، فخرَّ صَريعاً لليَدَيْنِ والفَمِ. وامْتَعَضَ لهُ أولادُ أبي اللّيْل وطَلَبوا بدَمِه، فافترَقَتْ أحياءُ بَني كَعْبٍ من يومِئذٍ بعدَ أن كانوا[ب] جَميعاً. وقام بأمْرِه من بَعْدِه ابنُهُ رافِعٌ على مثْلِ طَريقَتِه إلى أن هَلَكَ في طلَبِ بَعْض ذلك [الأمْر][ج] على يَدِ بَعْض رجالاتِ آل حِصْنٍ سنةَ ستٍّ وسَبْعِ مائة.

ولم يَزَل بَنو أبي اللّيْلِ على الطّلب بثأرِ قاسِم بن مِرَا إلى أن ظَهَرَ فيهم حَمزةُ ومَوْلاهم ابنا عُمَرَ بن أبي اللّيْل، وصارَتْ إليهمُ الرّئاسَةُ على أحْيائِهم،

(ا) من ص د   (ب) د ص: كانت   (ج) من د ص.

---

(1) أي اختلوا به يتسارّون.

واتّفقَ في بَعْضِ الأيّام اجْتماعُ أَوْلادِ مُهَلْهِل بن قاسِم في مُنْتَدَى حَمْزةَ ومَوْلاهم في مَشاتِيهم بالقَفْر، فأجْمَعوا اغْتِيالَهم وقَتَلُوهم عن آخِرِهم بثأرِ ابن عمِّهم قاسِم بن مِرَا، ولم يُفْلِتْ منهم إلاّ طالبُ بنُ مُهَلْهِلٍ لم يَحْضُرْ مَعَهم. وعظُمَتِ الفِتْنَةُ من يَوْمَئِذٍ بيْنَ هذَيْنِ الحيَّيْن، وانقَسمتْ عليهم أحياءُ بني سُلَيْم، وصاروا يتَعاقَبونَ في الخِلافِ والطّاعةِ على الدّوْلة، وهم على ذلك لِهذا العَهْد. والرِّئاسةُ في بَني مُهَلْهِل اليومَ لمحمّدِ بن طالِب بن مُهَلْهِلٍ وأخيهِ يَحْيى. واللهُ وارِثُ الأرْض ومَن علَيْها وهُوَ خَيْرُ الوَارِثِين.

• بنو حِصْنٍ مِنْ عَلاّق

وأمّا حِصْنٌ هؤلاءِ من بُطونِ عَلاّق، وحِصْنٌ أخو يَحْيى بن عَلاّقٍ كما مَرَّ، فهمْ بَطْنانِ أيضاً: بنو عليٍّ، وحَكيم، وقد يُقال: إنّ حَكيماً ليْس لحصْنٍ وإنّما رَبِيَ في حِجْرِهِ فانْتَسَبَ إليْه؛ فأمّا حكيمٌ فلَهم بُطونٌ، منهم: بنو طَرِيف بن حَكيم، وهم أولادُ جابِر، والشَّرَاعِبَةُ، ونُعَيْرٌ، وجُوَيْنٌ، لمقدام بن طَريف وزِيادِ بن طَريف، ومنْهم: بنو وائِل بن حَكيم، ومنْهم: بَنو طَرُودِ بنِ حَكيم، وقد يُقال: إنّ طَروداً ليس لسُلَيْم وإنّهم من سِنْبِس إحدَى بُطونِ هِلالِ بن عامِر، ويُقال: إنّ منهم زيداً العجَّاجَ بنَ فاضلٍ المذكورَ في رجالاتِ هِلال. والصّحيحُ[1] في طَرُودٍ أنّهم من بني فَهْم بن عَمْرِو بن قَيْسِ بن

(1) نهاية الأرب 322.

عَيلانَ، مثل: عَدْوان، أو في فَهْدِهِمْ. وكانت طَرُودٌ / أحلافاً لِدَلَّاج، ثُمَّ قاطَعوهم و[حالَفوا][1] آلَ مُلاعِب.

ومن بطونِ حَكيم: آلُ حُسَين، ونَوال، ومَسْعُد، والجُمَيْعات. ولا أدري كيف يتَّصِلُ نَسَبُهُم.

ومنهم: بنو نُمَيْرِ بنُ حَكيم، ولنُمَيْرٍ بطنان: مُلاعِبٌ وأحمد، فمن أحمدَ: بنو محمَّد، والبَطَّين. ومن مُلاعِب: بنو هَيْكَلِ بن مُلاعِب -وهم: أولادُ زِمَام - والفريات، وأولادُ مَيَّاس، وأولادُ فايد. ومن أولادِ فايد: الصُّرْخ والمَدَافِعةُ، وأولادُ يعقوبَ بن عبدِ الله بن شُكْرِ بن حَرْقُوص بن فايد، وإليهم رئاسةُ حَكيم وسائرِ بطونهم.

ومَواطِنُ حَكيم هؤلاءِ لهذا العَهْدِ ما بَيْنَ سُوسَةَ والأجم، والنَّاجعةُ منهم أحلافٌ لبَني كَعْب، تارةً لأولادِ أبي اللَّيل، وتارةً لأقتالِهم أولادِ مُهَلْهِل، ورئاستُهم في بني يعقوبَ بن القَوْس، كان منهم يعقوبُ بنُ عبدِ السَّلام بن يعقوبَ شيخاً عليهم وانتقضَ أيَّامَ اللِّحيانيّ، ووفدَ على السُّلطان أبي يحيى بالثَّغرِ الغربيِّ من إفريقيَّةَ في بجايةَ [السلطنة][1] وجاءَ في جملته، فلمَّا ملَكَ تونسَ عقدَ لهُ على قومِه وزلفَهُ على أنظاره، ولحِقَ به بنو كَعْب، فحرَضَ عليه حمزةُ من الأعشاش محمّدَ بنَ حامدِ بن يزيدَ فقتلَهُ في مَوْكِبِ شِوارِهم، وولِيَ الرِّئاسةَ فيهم من بعدِه ابنُ عمِّه محمَّدُ بنُ مِسْكين بن عامرِ بن يعقوبَ بن القَوْس، وانتهتْ إليه رئاستُهم.

(1) من د، ص. وفي ط: حاجوا.

وكان يُرادِفُه أو يُنازِعُه جماعةٌ من بني عَمِّه، فمنهم: سُحَيْمُ بنُ سُلَيْمانَ بن يَعْقوبَ، وحضَرَ واقعةَ طَرِيفٍ معَ السُّلْطانِ أبي الحسَن، وكان لهُ فيها ذِكْر. ومنْهم أبو الهَوْل، وأبو القاسِمِ ابْنَا يَعْقوبَ بن عبْدِ السّلام، وكان لأبي الهَوْلِ مُناصَحَةٌ للسُّلْطان أبي الحَسن حينَ أجْلَبَ عليهِ بَنو سُلَيْم بالقَيْروان، وداخَلَهُ معَ أوْلادِ مُهَلْهِل في الخُروج عن القَيْروان؛ فخَرَج معَهم جميعاً إلى سُوسَة. ومنهم: بو زَيْدِ بن عُمَرَ بن يَعْقوبَ وابنُه خَليفة.

ولم يَزلْ محمّدُ بنُ مِسْكين على رئاسَتِهِ أيّامَ السُّلْطانِ أبي يَحْيى كلِّها، وكان مُخالِصاً لهُ ومُتَهالِكاً في نَصيحَتِهِ والانْحياشِ إليه. ولـمّا / هلَكَ، خَلَفَهُ [164] في رئاسَتِهِ ابنُ أخيهِ خَليفةُ بنُ عبدِ الله بن مِسْكين، وهُو أحدُ الأشْياخ الّذين تقبَّضَ عليهِمُ السُّلْطانُ أبو الحسَن بتونِس بَيْنَ يَدَيْ واقِعةِ القَيْروان ثُمّ أطْلَقَه وهُو مَحْصورٌ بالقَيْروان، فكان لهُ بهِ اخْتِصاصٌ من بَعْدِ ذلِك.

ولـمّا تغَلّبَ العَربُ على النّواحي بَعْدَ واقِعَةِ القَيْروان، تَغَلّبَ بَنو مِسْكين هَؤلاءِ على سُوسَة، فأقْطَعَها السُّلْطانُ خليفةَ هذا وبقِيَتْ في مَلَكتِهِ، وهلَكَ خَليفةُ فقامَ برئاسَتِهِم في حَكيم ابنُ عَمِّه عامِرُ بن محمّد بن مِسْكين، ثُمّ قَتَلَهُ محمّدُ بنُ تُبَيْنَةَ بن حامِد، من بني كَعْب، قَتَلَهُ يعقوبُ بنُ عبْدِ السّلام، ثُمّ قَتَلَهُ محمّدٌ هذا غَدْراً بجهاتِ الجَريد سنَةَ خمْسٍ وخمسينَ وسَبْعِ مائة، ثُمّ افْتَرَقَ أمرُهم.

(أ) في ظ د: قسطعه.

واستقرَّتْ رئاسَتُهم لهذا العَهْدِ بيْنَ أحمدَ بن محمّدِ بن عبدِ الله بن مَسكين، ويُلَقَّبُ أبا صَعْنُونه وهُو ابنُ أخي خليفةَ المذكور، وعبدِ الله بن محمّدِ بن يَعقوبَ بن عبْدِ السّلام بنِ يعقوبَ وهُو ابنُ أخي [أبي][1] الهَوْلِ المذكور، ولـمّا غَلَب السّلطانُ أبو العَبّاس على تونِس ومَلَكها، انتَزَعَ سُوسَةَ من أيْديهم، فامْتَعَض أحمدُ لذلك، وصار إلى ولايةِ صَوْلَةَ بن خالدِ بن حَمْزةَ من أولادِ أبي اللّيل، وسَلكوا سبيل الخلافِ والفِتْنة، وأبْعَدوا في شأْوِها، وهم لهذا العَهْدِ مُشرَّدونَ عن الضّواحِي والأرْيافِ، مُنْزاحونَ إلى القَيْروان.

وأمّا عَـبْدُ الله بنُ محمدٍ - ويُلقَّبُ الزوّاي، [فتحيزَّ إلى السّلطان][ب] وأكّدَ حِلْفَه معَ أولادِ مُهَلْهِل على ولايَتِه ومُظاهَرتِه - فعَظُمَت رئاسَـتُه في قَوْمِه، وهُو على ذلك لهذا العَهْد. ثـمّ راجَعَ أبو صَعْنونَة خِدْمةَ السُّلْطان، وانْقَسَمَتْ رِئاسَةُ حَكيم بَيْنهما، وهم على ذلكَ لهذا العَهْد.

وأمّا بَنو عليّ إخوةُ حكيم، فلهم بُطونٌ: أولادُ مَرْعي، وأولادُ صَوْرَه، ويَجْمَعُهما مَعاً عَوْنُ بن أحْمَد [بنُ أحمدَ][ج] بن عليّ بن حِصْن. ثم أولادُ ديمي[د]، والبَدارِنَة[هـ]، وأولادُ أُمّ أحمدَ، والحَضْراء، والرّجْلان وهُم مُقْعدٌ، [64 ب] والجُمَيْعَاتُ، والـحُمُرُ، والمسايبة، وآل حُسَينٍ، / وحَجْري. وقد يُقال: إنّ حَجْري لَيْسوا لِسُلَيْم وإنّهم من بُطونِ كِنْدَة، صاروا معَهم بالحِلْفِ فانْتَسَبوا بنَسَبِهم. ورئاسَةُ بَني عليّ في أولادِ صَوْرَه، وشَيْخُهم لهذا العَهْدِ أبو اللّيل بنُ

(أ) ظ: أبو (ب) من د ص (ج) من د (د) ص: بمي وربّما اعتبر الناسخ حرف الدال قبلها متصلا بها

(هـ) د ص: البدرانة .

أحمدَ بن سالم بن عُقْبةَ بن شِبْلِ بن صَوْرَه بن مَرْعِيّ بن حَسنِ بن عَوْن، ويُرادِفُهُم المراعِيةُ[أ] - من أهْل نَسَبِهم - أولادُ مَرْعِيّ بن حَسَن بن عَوْنٍ، ومَواطنُهُم ما بيْنَ الأجَمَ والـمُبارَكةِ من نواحِي قابِس، وناجِعَتُهم أحلافُ الكُعوبِ، إمّا لأوْلادِ أبي اللّيْل أو[ب] لأوْلادِ مُهَلْهِل. وغالبُ أخوالِهم لأوْلادِ مُهَلْهِل. واللهُ مقدِّرُ الأمورِ لا رَبَّ غيرُه.

(أ) ص: المراعنة (ب) سقط من د ص.

[165]

[بنو حِصْن بن عَلاّق، بن سُلَيْم بن منصور]

[65 ب]

• / دَبّابُ من سُلَيم

قد ذكرْنا الخِلافَ في نَسَبِهم، وأنّهم[1] من دَبّابِ بن رَبيعةَ بن زُغْبٍ الأكْبَرِ، وأنَّ ربيعةَ أخو زُغْبٍ الأصغرِ. وضَبْطُ هذه اللّفْظةِ لهذا العَهْدِ بِضَمّ الزّاي، وقد ضَبَطها الأجْدابيُّ[2] والرُّشاطيُّ[3] بكَسْرِ الزّاي، كذا نقَلَ أبو محمدٍ التّجّانيُّ في رِحْلتِه[4].

ومَواطِنُهُم[أ] [ما بَيْنَ قابِس وطرابُلس إلى بَرْقة، ولهم بُطونٌ، فمنهم أولادُ أحمَد بن دَبّاب، ومواطنُهم] غربيَّ قابِسَ وطَرابُلُسَ إلى بَرْقةِ عُيونِ رَحّال، مُجاوِرونَ لِحضن. ومن عُيونِ رَحّالٍ بِلادُ زُغْب.

ومن بطونِ دبّابٍ: بنو يَزيدَ[5]، مشارِكونَ لأولادِ أحْمدَ في هذا

(أ) قفز ناسخ ظ على ما بين كلمة "مواطنهم" لا نزلاق النظر، والتكملة من ص د .

---

(1) أورد التجّاني نسبهم إلى سُلَيم بن منصور، قال: كذا تلقّينا هذا النسب من علماء الأعراب المعلومين بحفظ الأنساب، وكذا ذكره الرُّشاطي في كتابه. الرحلة 85 -، قبائل المغرب 1: 428.

(2) هو إبراهيم بن إسماعيل اللّواتي الطرابلسي (ت نحو 470 هـ) له عدة مؤلفات، منها كتابان في الأنساب أحدهما في نسب قريش، لم ينشرا.

(3) هو عبد الله بن علي اللّخمي الرُّشاطي، استشهد في وقعة المرية سنة 542هـ، صاحب كتاب " اقتباس الانوار، والتماس الأزهار، في أنساب الصحابة ورواة الآثار" ولم نجد ضبطه المشار إليه ولا في مختصره الذي صنعه ابن الخراط الإشبيلي. انظر كتاب الأندلس في اقتباس الأنوار، وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق اميليو مولينا وخاشينتو بوسك بلا، مدريد المجلس الأعلى للأبحاث العلمية 1990.

(4) يقول التجّاني: إنّ الأشهر في الزاي الضمّ. وأنّه سمِعَ الفصحاء من أعراب زمانه ينطقونها بالكسر. الرحلة 141.

(5) بنو يزيد أربعة أفخاذ من دباب تحالفتْ وانتسبَتْ على مَدْلول الزّيادة لا إلى رجُل مُتَسمّ بيزيد. التجاني: الرحلة 134.

المَوْطن[ب]، وليس هذا بالمم[ج] ولا هُوَ اسْمُ رجُلٍ، وإنّما هُوَ اسمٌ لِحلْفِهمُ انتَسَبُوا بهِ إلى مَدْلولِ الزِّيادة، كذا قال التّجّانيُّ.

وهم بطونٌ أربعةٌ: الصَّهْبةُ بسُكونِ الهاءِ: بنو أصْهَبِ بن جابِر بن فايِد ابن رافِع بن دَبّاب، وإخوَتهُم الحمارنَةُ بنو حُمْرانَ بن جابِر، والخَرْجَةُ بسُكون الراءِ، بَطنٌ من آلِ سُلَيمان[ا]، منهم، أخرَجَهم[ب] آلُ سلَيمانَ من مَواطِنِهم بمسلاّتَه، فخالَفوا هَؤلاءِ ونَزلوا مَعهم، والأصابِعَةُ: نِسبةٌ إلى رَجُلٍ ذي إصْبعٍ زائدة. ولم يَذكُرِ التّجّانيُّ[1] في أيّ بطْنٍ من دَبّابٍ يَنْتَسبون.

ومنهمُ: النّوائِل، بنو نائِل بن عامِر بن جابِر، وإخوتُهم أولادُ سِنانٍ بن عامِر، وإخوتُهم أولادُ وَشّاح بن عامر، وفيهم رئاسةُ هذا القَبِيل من دَبّاب كلِّهم، وهم بَطْنانِ[2] عظيمان: المحاميدُ بنو مَحْمودِ بن طَوْقٍ بن بَقيّةَ بن وَشّاح، ومواطِنهُم ما بَيْنَ قابِس ونفوسة وما إلى ذلك من الضّواحي والجِبال، ورئاسَتهُم لهذا العَهْدِ في بَني رِحابِ بن محمودٍ لأولادِ سِبَاع بن يَعْقوبَ بن عَطيّةَ بن رِحاب. والبطنُ الآخَرُ: الجواري، بَنو حميدِ بن جاريةَ ابن وَشّاح، ومواطِنهُم طرابُلُس وما إليها، مثلَ: تاجُورا وهُراعَه[ج] وزَنْزُورَ

(أ) د ص: هذه المواطن (ب) كذا في ظ ص د، ولعله على الأرجح: ابأ لمم (ج) [ابن رافع بن ذباب] التجاني 134 (د) التكلة من التجاني 134: [بنو عمهم آل سالم بن رافع من أرضهم فمالوا الى محالفة هؤلاء وساكنوهم بمنازلهم هذه وكانت أرضهم أرض مسلاته وما قارب منها] (هـ) التجاني 316 هراغة.

---

(1) ودباب يطعنون عليهم نسبَهم ويذكرون انّهم خارجون عنهم. التجاني: الرحلة: 134.

(2) التجاني 118 .

وما إلى ذلكَ، ورئاسَتهُم لهذا العَهْدِ في بني مَرْغِم بنِ صابِرِ بن عَسْكرِ بن حَميد، لصابِرِ بن عسْكرِ بن عليّ بن مَرْغِم.

ومن أولادِ وَشّاح بَطْنانِ آخرانِ صَغيرانِ مُنْدَرِجانِ معَ الجَواري والمَحاميد، وهم: الجَوَاوِبَةُ بنو جَوّابِ بن وَشّاح، والعُمورُ بنو عمْرِو بن / وَشّاح، هكذا زَعمَ التِّجّانيُّ[1] في العُمور هؤلاء. وفي هِلالِ بن عامِرِ بطنُ العُمورِ كما ذكَرْناه. وهم يَزْعُمونَ أنّ عُمُورَ دَبّاب هؤلاء منهم، وأنّهم إنّما جمَعَهم معَ دَبّابِ المَوْطِنُ خاصّةً وليسوا من سُلَيْم، واللهُ أعلمُ بحقيقةِ ذلكَ.

وكان من أولادِ وَشّاح: بَنو حَريزِ بن تَمِيم بن عَمْرِو بن وَشّاح، كان منهم قائدُ بنُ حَريز من فُرْسانِ العَربِ المشاهِير، ولهُ شِعْرٌ مُتَداوَلٌ بيْنَهم لهذا العَهْد، سَمَرَ الحيِّ وفاكِهةَ[أ] المجالِس، ويُقال[ب]: إنّه من المحامِيد قايدَ بن حَريزِ ابن حَزبيِّ بن محُمودِ بن طَوْق.

وكان بَنو دَبّابِ هؤلاءِ شِيعةً لقَراقُش الغُزّيِّ وابنِ غانيَة، ولهما فيهم آثارٌ، وقَتَلَ قُراقُش مَشْيَخةَ الجَواري في بَعْضِ أيّامهِ، ثُمّ صاروا بَعْدَ مَهْلِكِ ابن غانِيَةَ إلى خِدْمةِ الأميرِ أبي زكَرِيّاءَ وأهل بَيْتِهِ من بَعْدِه، وهُم الّذين أقاموا أمْرَ الدّعيّ ابنَ أبي عُمارةَ وعليْهم كان تَلْبيسُه، لأنّ نُصَيْراً مَوْلى المَخْلوع كان فَرَّ إليْهم بعدَ مَهْلِك مَوْلاهُ وبَنيهِ ونزَلَ عليْهم، حتّى إذا مَرَّ بهم ابنُ أبي

(أ) ص د: فكاهة (ب) هذه الفقرة حاشية في نسخة د بخط المؤلف، وفيها غموض، ولعلها تعني: يقالُ إنه من المحاميد أعني قايد.

(1) ينتسبون إلى عمور بن وشاح، أخي جارية بن وشاح أخي المحاميد. التجاني: الرحلة: 212.

عُمارةَ رَأى فيهِ شَبَهاً بَيِّناً بالفَضْل ابن مَوْلاهُ يَحْيى المخلوع، فَحَنَّ وجَزَع وفَزِع إلى البُكاءِ والصُّريخ، فسَألَهُ[^1] ابنُ أبي عُمارةَ فعَرَّفَهُ الخبَرَ، فاتَّفقوا على التَّلْبِيس، وزَيَّنوا ذلك لهَؤلاءِ العَرَب فقَبِلوهُ، وتوَلَّى كِبْرَ ذلكَ مَرْغِمُ بنُ صابِرٍ وتَبِعَهُ قومُهُ وداخَلَهم في الأمْرِ أبو مَرْوانَ عبدُ الملكِ بنُ مَكِّيّ رئيسُ قابِس، فكَانَ من قَدَرِ اللهِ ما كانَ في تَمام أمْرِه وتَلْوِيثِ كُرْسيِّ الخِلافةِ بجَسَدِه حَسْبَما نَذكرُ في أخْبار الدَّوْلة الحفْصيّة.

وكان السُّلْطانُ أبو حَفص يَعْتَمِدُ عليهم، فقَلَبَهم في دَعْوةِ عُمَارة، فخالَفوا عليْهِ، وسَرَّحَ لحَرْبِهم قائِدَه أبا عبْدِ اللهِ الفَازازيّ. واستَصْرَخُوا بالأميرِ أبي زكريّاءَ ابنِ أخيه، وهُو يَوْمَئذٍ صاحبُ بجَايَةَ والثَّغْرِ الغربيّ من إفريقيّة، ووَفَد عليْهِ منهم عبدُ الملِكِ بنُ رِحَابِ بن مَحْمود، فنَهَضَ لصريخِه سنةَ سبْعٍ وثَمانِينَ وستِّ مائةٍ، وحارَبوا أهلَ قابِسَ، وهَزَموهم وأثْخَنوا فيهم، ثُمَّ / [غَلَبَهُم][^ب] [66ب] الفَازازيُّ ومانَعَهم عن وَطَنِ إفريقيّة و[رَجَع][^ج] الأميرُ أبو زكرياءَ [إلى ثَغْره][^د].

وكان مَرْغِمُ بنُ صابِرِ بنُ عَسْكرٍ شيخُ الجَواري قد أَسَرَهُ أهلُ صِقِلِّيةَ من سَواحل طَرابُلُس سنةَ ثِنْتينِ وثَمانين. وباعوهُ لأهْلِ بَرْشَلونَة، فاشْتَراهُ مَلِكهُم وبَقِيَ أسيراً عنْدَهم إلى أن نَزَعَ إليهِ عُثْمانُ بنُ إدْرِيسَ الملقَّبُ بأبي دَبّوسٍ بقيّةُ الخلفاءِ من بَني عبْدِ المؤمِن. وأرادَ الإجازةَ إلى إفريقيّةَ لطَلبِ حَقِّه في الدَّعْوةِ الموحّديّة، فعقَدَ مَلِكُ بَرْشلونةَ بَيْنَه وبَيْنَ مرغِم حِلْفاً وبَعَثَها،

[^1]: ظ ص د: فساءله
[^ب]: من د، ص
[^ج]: ظ: جمع
[^د]: من د ص.

ونزلا بساحلِ طَرابُلُس، وأقامَ مَزغِمٌ الدّعوةَ لابنِ أبي دَبّوسٍ وحَمَل عليها قَوْمَهُ، وحاصَرَ طرابُلُسَ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ أيّاماً، ثُمّ تركوا عَسكَراً لِحصارِها وارْتَحلوا لِجبايَةِ الوَطنِ فاستَفرغوهُ، وكان ذلكَ غايَةَ أمْرِهم. وبَقِيَ أبو دَبّوسٍ يَتَقلّبُ في أوْطانِهم مُدّةً، واستدعاهُ الكُعوبُ لأوّلِ المائةِ الثّامِنةِ وأجْلبوا بهِ على تونِسَ أيّامَ السُّلطانِ أبي عَصِيدةَ - منَ الحَفْصِيّينَ - وحاصَروها أيّاماً فلم يَظْفَروا، ورَجعَ إلى نواحي طَرابُلُس وأقامَ بها مُدّةً، ثُمّ ارتَحَلَ إلى مِصْرَ وأقامَ بها إلى أن هَلَكَ، كما يأتي ذكرُهُ في خَبرِ ابنِه معَ السُّلطان أبي الحَسن بالقَيْروان.

ولم يَزَل هذا شأنَ الجَواري والمحاميد إلى أن تَقَلّصَ ظِلُّ الدّوْلةِ عن أوْطانِ قابِسَ وطَرابُلُس، فاستَبَدُّوا[ا] برئاسةِ ضَواحيها واستَعْبَدوا سائرَ الرَّعايةِ المعْتَمِرةِ في جِبالِها وبَسائطِها، واستَبَدَّ أهلُ الأمْصارِ برئاسَةِ أمْصارِهم: بَنو مَكّيّ بقابِس، وبَنو ثابِتٍ بطَرابُلُسَ على ما نَذكرُ في أخْبارِهم. وانقَسَمتْ رئاسَةُ أولادِ وَشّاح بانقسام المِصْرَيْنِ، فتَوَلّى الجَواري طَرابُلُسَ وضَواحيها، وَزَنْزُورَ وغَرْيَان وَمَقر[ب]، وتوَلّى المحاميدُ بلَدَ قابِس وبلادَ نفوسة وجِرْبة.

وفي دَبّابٍ هؤلاء بُطونٌ أُخرى ناجِعَةٌ في القَفْرِ، ومَواطِنُهم مُنْزاحةٌ إلى جَانبِ الشّرْقِ عن مَواطِنِ هؤلاءِ الوَشّاحِيّينَ[ج]، فمنهم: آلُ سُلَيمانَ بن هيب بن رافِع بن دَبّاب، ومَواطِنُهم قِبْلَةَ مَقر[د] وغَرْيان، ورئاستُهم./ في ولدِ [167]

(ا) ص د: استبدّ (ب) ص: مَغْز (ج) د ص: الوَشّاحين (د) ضبطها بالحركات في د: مَغْز .

نَصْرِ بن زايدِ بن.......[أ] سُلَيْمان، وهيَ لهذا العَهْدِ لهاملِ بن حَمَّادِ بن نَصْر وبَنيه. والبطنُ الآخرُ: آلُ سالِمِ بن هيب أخي سُليمان، ومواطِنُهم بلدُ مَسْرَاتَة إلى لِبْدةَ ومسَلاَّتة.

وشعوبُ آلِ سالم هَؤلاء: الأحامِدُ والعمايمُ والعلاوِنَةُ وأولادُ مَرزُوق، ورئاسَتُهم في وَلَدِ مَرزوق، وهُو ابنُ مُعَلَّى بن مَعْدانَ بن فَلِيتَة بن قماص بن سالم، وكانتْ في أوّلِ هذه المائةِ الثّامنةِ لغَلْبونَ بن مَرزوقٍ واسْتَقرّتْ في بَنيه، وهيَ اليومَ لحميدِ بن سِنان بن عُثْمانَ بن غَلْبون.

والعَلاوِنَةُ - منهم - مُجاورونَ للعزّةِ من عَرَبِ بَرْقة والمثانِيةِ من هَوّارَةَ المُقيمينَ.

ويُجاوِرُ دبّابَ هؤلاءِ في مَواطِنهم من جِهَةِ القِبْلَةِ ناصِرة، وهم من بُطونِ ناصِرةَ بن خُفَافِ بنِ امرئِ القَيْس بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم، فإن كان زُغْب[ب] أبو دَبّابٌ لمالكِ بن خُفَافٍ كما زَعَمَ التُّجَانيُّ[1]، فهمْ إخوةُ ناصِرَة وسَعْدَان [ويَبْعُد أن][ج] يُسمّى قومٌ باسم إخوانِهم. وإن كانوا النّاصِرَةَ كما زعَمَ ابنُ الكَلْبيِّ[2] فهم أقربُ؛ ويكونُ هؤلاءِ اختَصّوا باسْم ناصِرةَ دونَ دَبّابٍ وغيْرِهم من بَنيهِ، وهَكذا كثيرٌ من بُطونِ القَبائل واللهُ أعلمُ. ومواطِنُهم بلادُ فَزّانَ ووَدّان. هذه أخبارُ دَبّابٍ هؤلاء.

(أ) فراغ في ظ ص د (ب) في ظ د ص: زُغَب (ج) من ص د.

---

(1) الرحلة 85.

(2) جمهرة النسب 399، وليس صريح الدلالة. وفي المقتضب لياقوت 167 – 168: ناضرة (بالضاد) بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة.

وأمّا العزّةُ جيرانُهم في الشّرْقِ، الّذين قَدّمْنا ذكْرَهم، فهم مُوَطّنونَ من أرْض بَرْقةَ خَلاءً لاستيلاءِ الخرَابِ على أمْصارِها وقُراها من دَوْلةِ صِنْهاجَة، تمرّسَتْ بعُمْرانِها باديةُ العَرَبِ وناجِعَتُهم، فتَحيَّفُوها[1] غارَةً ونَهباً إلى أن فسَدَتْ فيها مَذاهبُ المَعاشِ وانتَقَضَ العُمْرانُ فخَرِبَتْ، وصارَ مَعاشُ الأكْثَرِ من هؤلاءِ العَرَبِ الموطّنينَ بها لهذا العَهْدِ من الفَلْح: يُثيرونَ لهُ الأرضَ بالعَوامِلِ من الجِمالِ والحَميرِ، وبالنّساءِ إذا ضاقَ كَسْبُهم عن العوامِلِ وارْتَكَبوا ضرورَةَ المعاشِ، ويَنتَجِعونَ[(أ)] إلى بِلادِ النَّخْلِ في جِهةِ القِبْلَةِ منهم من أوجلَه وسَنْتَرِيَّة والواحاتِ وما وراءَ ذلك من الرّمالِ والقَفْرِ إلى بلادِ السّودانِ/ المُجاورينَ لهم، وهم: كـانَمْ[(ب)]، ويُسمّى بلدهُم بَرْنيق، [67 ب]

وشيخُ هؤلاءِ العَرَب ببَرْقَةَ يُعرَفُ لهذا العَهْدِ بأبي ذيبٍ من بَني جَعْفر، ورِكابُ الحَجِّ من المَغربِ يَحْمَدونَ مُسالَمَتهم في مَمَرّهم وحُسنَ نِيّتهم في التّجافي عن حَاجّ بَيْتِ الله وإرْفادَهمْ بجَلْبِ الأقْواتِ بسُوقِهم وحُسْنَ الظّنّ بهم. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [سورة الزلزلة، الآية 7].

وأمّا نَسَبُهم فما أدري فيمَن هُوَ منَ العَرَب. وحدّثني الثِّقةُ من دبّابِ عن خُرَيصِ ابن شَيْخِهم أبي ذيبٍ، أنّهم من بَقايا الكُعوبِ ببَرْقَة.

(أ) ص، د: وينجعون (ب) كذا بفتح الكاف في ظ د ص.

(1) تحيّفوها: تنقّصوها من نواحيها. والحيف: المَيْل في الحكم والجورُ والظّلْم.

ويزعم[1] نسّابةُ الهلاليّين أنهم لربيعةَ بن عامرٍ إخوةِ هلالِ بن عامر، وقد مَرَّ الكلامُ في ذلكَ في أوّلِ ذِكْرِ بني سُلَيْم. ويزعمُ بعضُ النَّسّابةِ أنهم والكُعوبُ من العِزّة، وأنّ العزّةَ من هيب، وأنّ رئاسةَ العِزّةِ لأولادِ أحْمَد، وشيخُهم أبو ذيب، وأنّ المثانيةَ جيرانَهم من هَوّارَة. وذكَرَ لي سَلاّمُ ابنُ التركيّةِ شيخُ أولادِ مُقدَّم جيرانِهم بالعَقَبةِ: أنّهم من بُطونِ مَسْرَاتةَ من بقيّةِ هَوّارَة، وهو الّذي رَأَيْتُ النَّسّابةَ المحقّقينَ عليْهِ بعدَ أن دخَلْتُ مصْرَ ولقيتُ كثيراً من المتردّدِينَ إليها من أهْلِ بَرْقة.

وهذا آخِرُ الطّبقةِ الرّابعةِ من العَرب، وبانْقِضائِه انقَضَى الكتابُ الثّاني في العَرَب وأجْيالِهم مُنذُ مَبْدإِ الخَليقَة.

فلنَرْجِع إلى أخْبارِ البَرْبرِ في الكتابِ الثّالثِ واللهُ وليُّ العَوْن.

(أ) د: وترعم. وجاءت هذه الجملة إلى كلمة هلال مكرّرة في ظ.

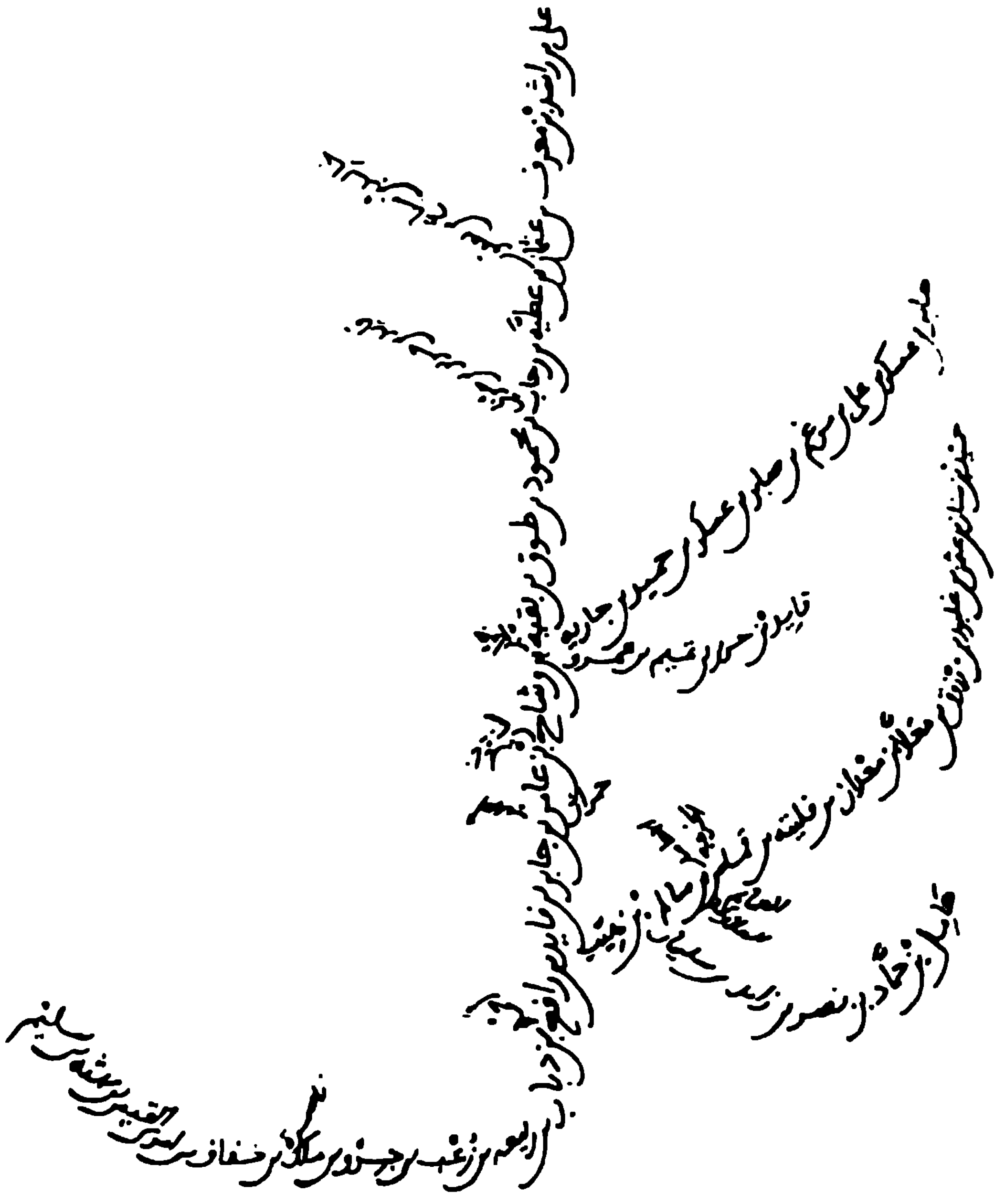

[بنو دبّاب بن رَبيعة بن زُغب، من بني سُلَيم]

الكتابُ الثّالثُ

في أخبارِ البربر، الأُمّةِ الثّانيةِ أهلِ المغرب

[68 ب]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ

الأُمَّةُ الثَّانيةُ أَهْلُ المَغْرِبِ، وذِكْرُ أَوَّلِيَّتِهِم، وأَجْيالِهِم، ودُوَلِهِم مُنذ مَبْدإ الخليقةِ ولهذا العَهْدِ، ونقلِ الخلافِ الذي يقع [بَيْنَ النَّاسِ في أنسابِهِم] (1)

الكتابُ الثَّالث: في أخبارِ البَرْبَر

هذا الجيلُ من الآدميِّينَ هم سُكّانُ المَغْربِ على القِدَمِ، ملأُوا البَسائِطَ والجِبالَ من تُلولِهِ وأَرْيافِهِ وضَواحيهِ وأَمْصارِه، يتّخذون البيُوتَ من الحِجارةِ والطِّينِ، ومن الخِصاصِ والشَّجَر ومن الأَشْعارِ والأَوْبار، ويَظْعَنُ أهلُ العِزِّ منهم والتَّغَلُّبِ لانتِجاعِ المَراعِي فيما قَرُبَ من الرِّحلَة، لا يُجاوِزون فيها الرِّيفَ إلى الصَّحْراءِ والقَفْرِ الأَمْلَس. ومَكاسِبُهم الشّاءُ والبَقَرُ، والخَيْلُ في الغالِبِ للرُّكوبِ والنِّتاجِ، ورُبَّما كانَتِ الإبِلُ من مكاسِبِ أَهْلِ النُّجْعَةِ منهم شأنَ العَرب، ومَعاشُ المُسْتَضْعَفينَ منهم في الفَلْحِ ودَواجِنِ السّائِمة، ومَعاشُ المُعتزِّينَ أَهْلِ الانْتِجاعِ والأَظْعانِ في نَتاجِ الإبلِ وظِلالِ الرِّماحِ وقَطْعِ السّابِلَة.

(1) من د ص.

• ولباسُهم واكثَرُ أثاثِهم من الصوفِ، يَشتَمِلونَ الصَّمّاءَ[1] بالأكْسِيَةِ المُعْلَمةِ، ويُفرِغونَ عليها البَرانِسَ الكُحْلَ، ورُؤوسُهم في الغالِبِ حاسِرَةٌ، وربّما يتعاهَدونَها بالحَلْق.

• ولُغَتُهم من الرَّطانةِ الأعْجَميَّةِ مُتَميِّزَةٌ بنَوْعِها، وهِيَ الّتي اختُصّوا لأجْلِها بهذا الاسْم. يُقالُ: إنّ إفريقِسَ بنَ قَيْس بن صَيْفِيٍّ من مُلوكِ التَّبابِعةِ لـمّا أغْزَى المغربَ وإفريقيَّة، وقَتَلَ الملِكَ جِرجيسَ وبَنَى المدُنَ والأمصارَ، وباسْمِهِ - زَعَمُوا - سُمِّيتْ إفريقيَّة، وإنّه لـمّا رأى هذا الجيلَ من الأعاجِم وسَمِعَ رطانَتَهُمْ ووَعَى اختلافَها وتنوُّعَها، تعَجَّبَ من ذلكَ وقالَ: ما أكثَرَ بَرْبَرَتَكم! فسُمُّوا بالبَرْبر. والبَرْبَرَةُ في لِسانِ العَرِبِ هي اختِلاطُ الأصْواتِ / [169] غيْرِ المفهومةِ، ومنْهُ يُقالُ: بَرْبَرَ الأسَدُ، إذا زأَرَ بأصْواتِه غيرِ المفْهومَةِ.

• وأمّا شُعوبُ هذا الجِيلِ وبُطونُهم، فإنّ عُلَماءَ النّسَبِ مُتّفِقونَ على أنّهم يَجمَعهُم جِذْمانِ عَظيمانِ، هما: بَرْنُس ومادغس، ويلقَّبُ مادغِس الأبتَر، فلذلكَ يُقالُ لشُعوبِهِ: البُتْر، ويُقال لشُعوبِ بَرْنَس: البَرانِس. وهما معاً أبناءُ بَرّ. وبَيْنَ النسّابِينَ خلافٌ: هل هُما لأبٍ واحِدٍ؟ فذكَرَ ابنُ حَزْم[2] عن أيّوب بنِ أبي يَزيدَ صاحِبِ الحِمار: أنّهما لأبٍ واحدٍ على ما حَدَّثَه عنْهُ يوسُفُ الوَرّاق. وقال سابِقُ بنُ سُلَيْمان المَطْماطِيُّ وهانِي بنُ مَصْدورٍ الكُومِيُّ

(1) اشتمالُ الصمّاء، أن يجلّل جسده بثوبه نحو شملة الأعراب بأكسيتهم، وهو أن يردَّ الكساء من قِبَل يمينه على يده اليُسرى وعاتقه الأيسر، ثم يردّه ثانيةً من خلافه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن، فيغطّيهما جميعًا.

(2) الجمهرة 495.

وكَهْلانُ بنُ أبِي لَوى[1]، وهم نَسَّابةُ البَرْبر: إنّ البَرانسَ بَنو برّ وهُو من نَسْل مازيغ بن كَنْعان، والبُتْرُ بَنو برّ وهُو ابن قَيْس[أ] بن عَيْلان، ورُبّما نَقَلَ ذلكَ عن أيّوب بنِ أبي يَزيد، إلاّ أنّ روايةَ ابن حَزمٍ أصحُّ؛ لأنّه أوْثَق.

• وأمّا شُعوبُ البَرانس، فعنْدَ النَّسّابينَ أنّهم يَجْمَعُهم سَبْعَةُ أجْذام، وهِي: ازْدَاجَة، ومَضمودَة، وأوْرَبَة، وعَجِيسَة، وكُتامَة، وصِنْهاجَة، وأوريغَة. وزادَ سابِقُ بنُ سلَيْمانَ وأصحابُه: لَمْطَة، وهَسْكُورَة، وكَزُولَة[ب].

وقال أبو محمّدِ بنُ حَزم[2]: ويُقال: إنّ صِنْهاجَ ولَمْطَ إنّما هما ابنا امرأةٍ ويُقالُ لها: تصكي، ولا يُعرَفُ لهما أبٌ، تزوّجها أوْرِيغُ، فوَلَدتْ لهُ هَوّارَ، فلا يُعْرَفُ لهما أكثرُ من أنّهما أخَوانِ لهَوّارٍ من أُمِّه. قال: وزَعَمَ قومٌ في أوْرِيغ أنّه ابنُ خبُوز بن المثنّى بن السَّكاسِكِ، من كِنْدَة، وذلكَ أنّه باطِلٌ. وقال [ابن][ج] الكلْبيّ[3]: إنّ كُتامَةَ وصِنْهاجَةَ ليْسا من قبائلِ البَرْبرِ وإنّما هما من شُعوبِ اليَمنيّةِ تركَهما إفريقِس بنُ صَيْفيّ بإفريقيّةَ معَ من أنْزلَ بها من الحامِيَة. هذه جِماعُ مَناهِبِ أهْلِ التّحْقيق في شَأنِهم.

(أ) د. ص: قنيس (ب) ص: جزولة (ج) زيادة أكيدة.

---

(1) اعتمدنا الأصول ومشجراتها في ضبط لُوى، وضبطها محقق جمهرة ابن حزم بضمّ اللام. 497.

(2) الجمهرة 498 وسمّى المرأة في المطبوع " تزكّي".

(3) نسب معدّ واليمن الكبير 2: 548 – بصيغة أقلّ وضوحا، مما يؤكد أن هذا الكتاب مختصرٌ من مختصرات جمهرة ابن الكلبي.

فمِن أزْدَاجَةَ مَسْطَاسَةُ، ومنْ مَضمودَةَ: غُمارةُ بنو غُمَارِ بن مسطافِ بن فليلِ بن مَضمود[1]، [ذكـر ابنُ حَزم من مَضمودَة شصَاده، ذكره في كتابِ الجمهرة[1] حيثُ ذكر صاحبَ مدينة [الفرج][ب]، وذكر ابنهُ شَصَاده وقال هناك[2]: إنّ مصمودةَ من بُرْنُس، وبُرْنُس من بروان... بن سَغفُو بن أبرح بن وَليل بن كـزاط بن نام بن ... ماشي بن دام بن حام. وفي تحقيق ضبط هذه الأسماء وهذه الأنساب عناءٌ وبُعْدٌ، وقلّما يَخلى طالبُ ذلك بطائل، وإنّما كتبناه تذكرةً لما عسى يَتشوّفُ إلى معرفتهِ ويقنعُ بما يحصُل منه على عُلاَلَة][ج].

ومن أوْرِيغة: هَوّارة ومَلْد ومَقّر/ [د] وقَلْدَن[هـ] فمن هَوّارِ بن أوْرِيغ: [69 ب]
مْلِيلَة، وبنو كـمْلاَن، ومن مَلْدِ بن أوْرِيغ: سَطَط [و] وَرْفَل وأسِيلُ ومَسْراتَة، ويُقالُ لهم جَميعاً لهانة، بَنو لهان بن مَلْد. ويُقال: إنّ مْلِيلَة منْهم. ومن مَقَّر[د] بن أوْرِيغَ: ماوس، وزَمّور، وكـبّا، ومَسْرَاي، ومن قَلْدَن بن أوْرِيغ: قَمصانة، و[وَرْصطّيف][و]، وبياته، وبل.

(أ) ص: مصمودة (ب) في النسخ الفرخ، والتعديل من الجمهرة (ج) حاشية في ص (د) د ص: مغر
(هـ) في نشرة الجمهرة: فلدن (و) ظ: ورصطف، ويردُ بالسين في المشجر التالي ورسطيف.

---

(1) ذكر ابن حزم (الجمهرة 501) مدينة الفرج -وليس الفرخ- وتنسب إلى الفرج بن سالم التي تنسب اليه مدينة سالم. وهما من بني سالم من بيوتات البربر المصامدة بالأندلس، ورفع نسب سالم هنا إلى يوطافان بن مسقاط بن مصاد بن مصمود. وهذه الأسماء متقاربة مع ما في المتن ولكن ليست هي، مثل: مصاذ وشصادة. وكما أشار المؤلف فإن في تحقيق ضبط هذه الأسماء والأنساب عناءً وبُعد.

(2) لم ترد هذا القول وهذه الأسماء في الجمهرة.

[شعوبُ البَرَبر البرانس وبطونُهم]

• /وأمّا شُعوبُ البُتْر -وهم بنو مادَغِس[أ] الأبتَر- فيَجمَعُهم أربعةُ أجْذام[ب]: أدَّاسَهْ ونُفُوسَهْ وضَرِيسَهْ وبنو لَوَى الأكبر، وكلُّهم بَنو زجّيك بن مادَغِش. |170|

• فأمّا أدَّاسَهْ بَنو أدّاس بن زجّيك، فبطونُهم كلُّها في هَوّارَة، لأنّ أمّ أدّاس تَزَوّجَها بعْدَ زَجّيك أوْريغ ابنُ عَمّه بُرْنُس والِدُ هَوّارة، فكانَ أدّاسُ أخاً لهوّارَةَ ودخَلَ بنَسَبِ[ج] بَنيه كلّهم في هَوّارَةَ، وهم وسْفاره وأنْدارَه وهنْزُوتَه وصَنبره وهُرَاغَه وأوْطِيطَه وتَرْهَنَه، هؤلاءِ كلُّهم بنُو أدّاس بن زجّيك بن مادَغِش، وهمُ اليومَ في هوّارَة.

• وأمّا لَوَى الأكْبَرُ [فمنه بطنان عظيمان وهما: نفزاوة - بالشين بين الزاي والشين-[د] بنو نَفْزاو بن لَوَى الأكبر،][د] ولَواتَة بنو لَوَى الأصْغرِ بن لَوَى الأكبر تَخلّفَه أبوهُ حَمْلاً فسُمّيَ به. فمِن لَواتَةَ: أكوُرَة وعَتْروزَه بنو ماصِلةَ بن لَوَى الأصْغر، ومنهم: مزاتةُ بَنو زايِدِ[هـ] بن لَوَى الأصْغر، ومغَاغَةُ، وجُدانةُ بنو كطُوف بن لَوَى الأصْغر. وعندَ ابن سابقٍ وأصحابِه: أنّ مَغاغةَ وجُدّانةَ وأكّورةَ وعَتْرُوزَةَ كلُّهُم من ماصِل بن لَوَى الأصغر. ومن لَواتَةَ: سَدْرَاتَهُ بنُو[و] يَنْطَط بن لَوَى الأصْغر، ودخَل نسبُ سَدْراتَةَ[ز] في مَغراوَة. قال أبو محمّد بنُ حزم:[1] لأنّ[ح] مَغراو تَزوّجَ أمَّ سَدْرَاتَهْ، فصار سَدْراتَة أخا بَني مَغراوَة لأمّهم واختَلَطَ نسَبُه بهم.

(أ) د. ص: مادغش (ب) ظ ص: جذام (ج) ط ص (د) من ص د (هـ) ص د: زاتر (و) د. نيصط وكذلك في الجمهرة. وفي المشجر: نبطيط (ز) في الجمهرة بتسكين الدال (ح) ص: كان.

(1) الجمهرة: 497.

• ومن نَفْزَاوَةَ أيضاً بطونٌ كثيرة، وهم: وَلْهَاصه، وغَساسَة، وزَهيله، وسُومَاتَه، وورسيف، ومَزْنيصة[أ]، وزاتيمه، وورِكُول[ب]، ووَزغُورَس، ورَدِّين، كلُّهم بنو يَطُّوفَتْ بن نَفْزَاوْ. وزادَ ابنُ سابِق وأصحابُه: مجر ومَكْلاتَه؛[ج] ويقال إنّ مَكْلاتْ[د] ليس من البَرْبَر، وإنه من حِمْيَر وَقَعَ إلى يَطُّوفَتْ صَغيراً فتبَنّاهُ، وهو مَكْلا بنُ ريمانَ بن كَلاَع حاتم بن سَعد بن حِمْيَرَ.

• ولوَلْهاصَة من نفزاوَةَ بُطونٌ كثيرةٌ من تِيزغَاش[هـ] ودِخيةَ ابنَيْ وَلْهاص. فمن بتدغاش[و] بطونٌ: وزفَجُومَة، وهم رُحَّال[ز]، وطوْو وَبورغش، ووَانجر، وكرطيط، وما انجدل، وسيبنت بنو وَزفَجُوم بنِ تَيذغَاش[ح] بن ولْهاص بن يَطُّوفت بن نَفْزاو.

[70 ب] / وقال ابنُ سابِق وأصحابُه: وبنو [تيذغَاش][ح] من لَوَاتَة كلُّهم بجَبَلِ أوْرَاس ومن ردحة[ط] وزتَدّين، وتريز[ي]، وَوَرتيوُنَتْ[ك]، وَمَكّرا، وتقوين، بنو دِخيةَ[ل] بن وَلْهاص بن يَطُّوفت بن نَفْزاو.

• وأمّا ضريسه، وهم بنو ضَرِي بن زَجّيك بن مادَغس الأبترِ، فيَجْمَعُهم جِذْمانِ عَظيمان: بنو تمَصّيت [بن ضرى وبنو يحيى بن ضرّى، وقال سابقُ وأصحابه: إنّ بطونَ تمَصّيت كلّها من فاتنِ بن تمَصّيت][م] وأنّهمُ اختَصُّوا بنَسَبِ ضريسه دونَ بُطون يَحْيى، فمن بُطون تمَصّيت مطماطه، وصَطْفوره،

(أ) من د، وفي ظ بالسين (ب) تكرر في النسخ بعده اسم مرنيصة (بالسين) وفي نسخة د وحدها وُضع على الاسم المكرر حرف الحاء للإلغاء (ج) من د: [وقال] (د) د ص: مكلاه (هـ) ص: تبدغاش، وفي المشجر تيزغاس (و) د: تيدغاس (ز) ص: رحال، د: زحّال المشجر: زحّال (ح) من د ظ: تيدُغاش ص: تيدغاس (ط) ظ د، ص: ومن ديحة (ي) د: تريز (ك) د: وزيتونث (ل) د [بن] (م) من د ص .

وهم: كوميه، ولمايه، ومطْغَره، وصَدِّينَه، ومغيله، و[ملْزوزَة][أ]، وكشانة[ب]، ودوّنه، ومديونه، كلُّهم بنو فاتن بن تمَصِّيت بن ضمري[ج].

• ومن بطون يَحْيى زَنَاتَةُ كلُّهم، وَسَمْكَان، وَوَرْصَطّف. فمن وَرْصَطّف: مِكْنَاسَةُ وأَوْكَتة [ومَكْن][د] ووَرِتَناج بنو ورْصَطّف بن يحيى. فمن مكْنَاس: ورْتِيفَه، ووَرْيَدُوس، وتَفْليت[هـ] وقنصاره، وموالات، وَحَرَّات، ووَرْفَلَاس، ومن مَكْن تُولَأيِين[و]، وَتَرِين، ويَصْلَتَن، ووجَرْتِن، وفوغال. ومن وَرِتَناج: مِكْنسه، وبَطالِسَه، وكزنيطَه، وسدْرجه، وهناطه، وَفُولَال بَنو ورِتَناجَ بن وَرْصَطّف. ومن سمكان: زوَاغه، وَزَوارَه بنو سمكانَ بن يحيَى. وابنُ حزم[1] يَعُدُّ زُواوَةَ الّتي بالواو في بُطونِ كُتَامَة، وهُو أظهَرُ ويَشْهدُ لهُ الوَطن، فالغالبُ أنّ زُوارَةَ[ز] الّتي تُعَدُّ في سمكانَ هيَ الّتي بالرّاءِ، وهي قَبيلةٌ معروفَةٌ.

• ومن زواغَه: بنو ماجِر، وبَنو واطيل، وسَمْكين، وسيَأْتي الكلامُ فيهم مسْتَوفىً عندَ ذكْرِهم إن شاء الله.

هذا آخرُ الكلامِ في شُعوبِ هذا الجيلِ مُجملاً، ولا بُدَّ من تَفصيلٍ فيه عندَ تَفصيلِ أخْبارِهم.

(أ) في ظ: مكرورة ، وفي د: مكروزه، واعتمدنا المشجر (ب) ص: كـانه (ج) ص: صرلي وفي المشجر: ضريس
(د) زيادة في حاشـية د (هـ) ظ ص: د: ورتفليت (و) ص، د: تولالين (ز) ص: زواوة.

(1) الجمهرة 501.

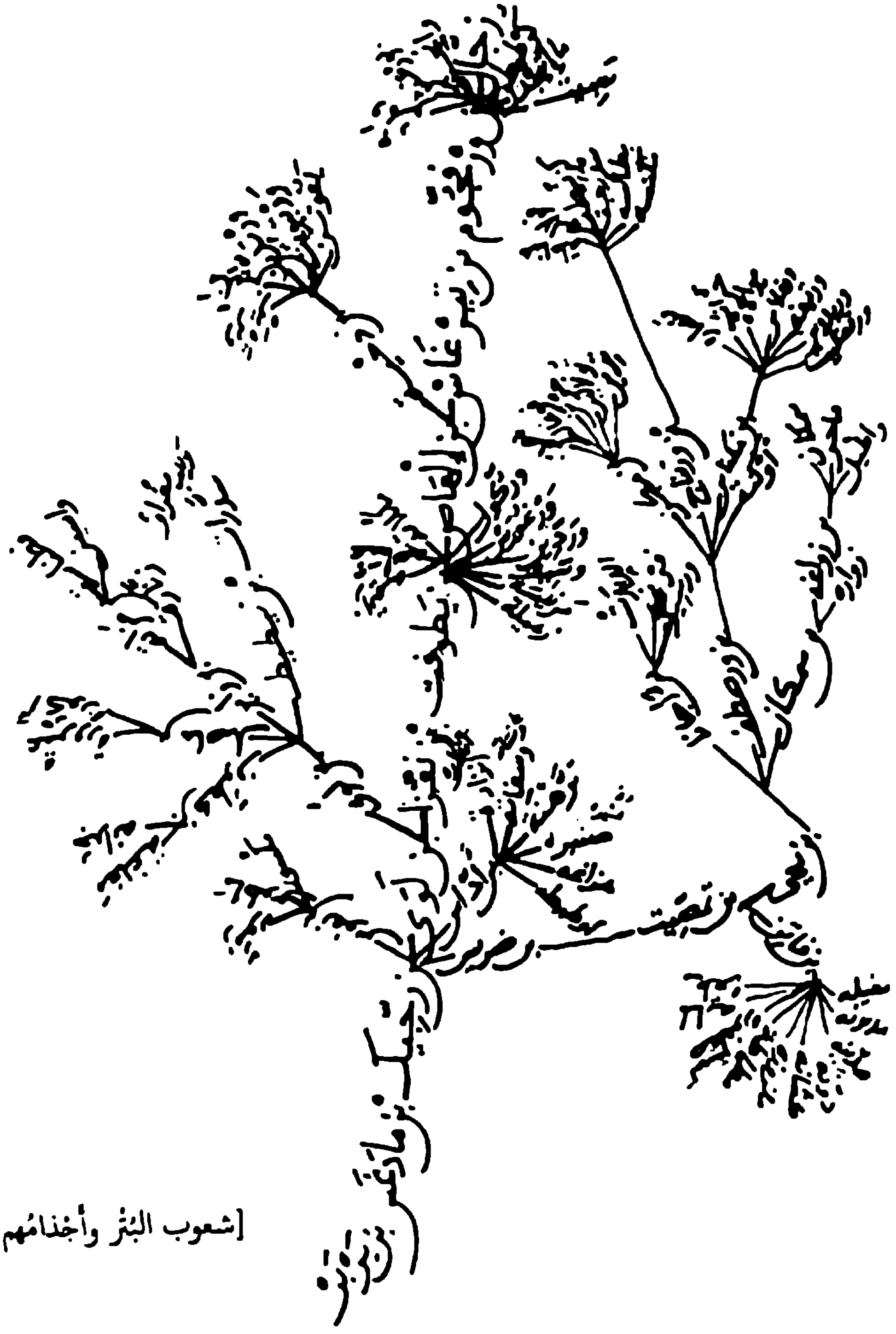

[شعوب البُتْر وأجذامُهم ـــ ظ]

بأعلى صفحة هذا المشجر من نسخة " د " كتب ابن خلدون بخطه ما يلي:

" هذه الأنساب في هذا الصفح منقولة من كتب نسابة البربر، وهم: هاني بن مصدور الكومي، وسابق بن سليمان المطماطي، وكيلان بن أبي لَوّا، ومن نسّابة العرب".

• / وأمّا إلى مَن يَرجِعُ نَسَبُهم من الأُمم الماضِيةِ، فقَدِ اختَلَفَ [71ب] النّسّابونَ في ذلكَ اختلافاً كثيراً وبَحثُوا فيه طَويلاً. فقال بعضُهم: إنّهم منْ وَلَدِ إبراهيمَ عليه السّلامُ مِن نقشانَ ابنِه، وقد تقدّمَ ذكرُه عندَ ذكرِ إبراهيمَ عليهِ السّلام. وقال آخرونَ: إنّ البَرْبَرَ يمَنيّون، فقيلَ: أوزاعٌ من اليَمَن. وقال المسْعُوديُّ[1]: من غَسّانَ [وغيرِهم][أ]، تَفرّقوا عندما كان من سَيْل [العَرِم][ب]. وقيل: تَخلّفَهم أبْرَهَةُ ذو المَنارِ بالمغرِب. وقيلَ: من لَخْمٍ وجُذام، كانتْ مَنازِلُهم فِلَسْطينَ، وأخرَجَهم منها بعضُ ملوكِ فارِس، فلَمّا وَصَلوا إلى مِصْرَ منعَتْهم ملوكُ مِصْرَ النُّزولَ، فعَبَروا النّيلَ وانتَشروا في البلاد.

وقال أبو عُمَرَ بنُ عبدِ البَرّ[2]: ادّعَتْ طوائفُ من البَرْبَر أنّهم من وَلَدِ النُّعْمان بنِ حِمْيَرِ بن سَبَأ. قال[3]: ورأيتُ في كتابِ لإسْفَنْدادِ الحكيم، أنّ النُّعمانَ بنَ حِمْيَرَ بن سَبَإٍ كان ملِكَ زَمانِهِ في الفَتْرَة، وأنّه اسْتَدْعَى أبْناءَهُ وقال لهم: أُريدُ أن أبعَثَ منكم إلى المغْرِبِ من يَعْمُرهُ، فراجَعوهُ في ذلكَ وعزَمَ عليهم، وأنّه بعَثَ منهم لَمْتَ أبا لَمْتونَة، ومَسْفُو أبا مَسوفَة، ومزطا [أبا][ج]

(أ) من د، ص (ب) من د، ص، ظ: المغرم (ج) ص د ظ: أبو.

(1) مروج الذهب 2: 276.

(2) لم ينقل ابن خلدون هذا القول من ابن عبد البر الذي أورد مقتطفا منه في القصد والأمم 24، وإنما أخذه مباشرة بنصه من أبي بكر بن العربي: شواهد الجلّة 366.

(3) هذا القول في كتاب ابن العربي: شواهد الجلّة 366، وفيه: ورأيت أنا في كتاب لإسفنداد الحكيم. وهذا النص نفسه أورده صالح بن عبد الحميد الإيلاني في آخر كتابه مفاخر البربر 224 وعنون له: في أنساب البربر، أوله: قال الفقيه الحافظ أبو عمر بن عبد البر مؤلف كتاب التمهيد في كتاب (كذا) الأنساب له.
ولا نعلم لابن عبد البر في الأنساب غير رسالتي: الإنباه على قبائل الرواه، والقصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، وليس فيهما هذا النص.

هَسْكوره وأَصْناكَ أبا صِنهاجَة، ولَمْط أبا لَمْطَة، وإيلانَ أبا هيلانة. فنَزَلَ بعضُهم بجَبلِ دَرَنْ، وبعضُهم بالسُّوس، وبعضُهم بدَرْعَة. ونزَلَ لَمْطُ عندَ كَزُول وتَزوَّجَ ابنَتَه، ونَزَلَ آجانا - وهو أبو زَناتَةَ - بوادِ شَلَف، ونزَلَ بنو وَرْتَجِّين ومَغْراو بأطْرافِ إفريقيَّةَ من جِهَةِ المَغرب، ونَزَل مَصْمودٌ بمُقْرُبَةٍ من طَنْجَة. والحكايةُ طويلةٌ[1]. وأنكَرَها أبو عُمَرَ بنُ عَبْدِ[2] البَرّ وأبو محمّدِ بنُ حَزْم[3]. وقال آخَرونَ: إنهم من قَوْم جالوت.

وقال عليُّ بنُ عَبْدِ العزيزِ الجرْجانيّ[4] النَّسّابَةُ في كتابِ الأنساب، له: لا أعلمُ قَوْلاً يؤدّي إلى الصِحّةِ إلاّ قَوْلَ من قالَ: إنّهم من وَلَدِ جالوت، ولم يَنْسُبْ جالوتَ مِمّن هو. وعندَ ابنِ قُتَيْبةَ: إنّه ونورُ / [172] بنُ هزيلَ بن جَديلانَ ابن جالودَ بن رَديلانَ بن خطي[أ] بن زيادِ بن زجّيك بن مادَغِس الأبتَر. ونُقِلَ عنهُ أيضاً: أنّه جالوتُ بنُ هريال بنِ جالودَ بن ديال بن قَحْطانَ بن فارِس. قال: وفارسٌ مَشْهور، وسفكُ أبو البَرْبرِ كلِّهم.

قالوا: والبربرُ قبائلُ كثيرةٌ وشعوبٌ جَمّة، وهي: هوّارَة، وزَناتَةُ، وضَريسة، ومَغيلَة، ووَرْفجُومة، ونَفْزَة، وكُتامَة، ولَواتَة، وغُمارَة، ومَصْمودَة، ولَوَاتة[ب]، وصدِّينة، ويَزْدَران، ودَرَنْجين، وصِنْهاجة، ومجكْسة، ووَارْكلان

(أ) د: حطي. ص: جطي (ب) كذا في الاصول مكررة.

(1) شواهد الجلة 366.
(2) المصدر نفسه 368.
(3) الجمهرة 495.
(4) نقلا عن شواهد الجلة 366.

وغيرُهم. وذكَرَ آخَرون منهمُ الطبَريُّ[1] وغيرُه: أنّ البَرْبَرَ أخلاطٌ من كَنْعانَ والعماليقِ، فلمّا قُتِلَ جالوتُ تَـفرّقوا في البِلاد، وغَزا إفريقِس المغرِبَ ونقَلَهم من سَواحِلِ الشّامِ وأسْكَنَهم إفريقيّةَ وسَمّاهُم بَرْبَراً. وقيلَ إنّ البَرْبَرَ من وَلَدِ حامِ بن نوحٍ من بَرْبَرَ بن تَملا بن مازيغَ بن كَنْعانَ بن حَام. وقال: الصُّوليّ:[2] هم من ولدِ بَرْبَرَ بن كسْلُوجيمَ بن مصْرايِمَ بن حَام. وقيلَ: من العَمالِقةِ، من بَرْبَرَ بن تَـملا بن مارِبَ بن قارانَ بن عَمْرِو بن عِمْلاقِ بن لاوذَ بن إرم بن سام، وعلى هذا القَوْلِ فهُم عَمالِقة.

وقال مالكُ بنُ المُرحِّل: البَرْبَرُ قبائلُ شَتّى من حِمْيَرَ ومُضَرَ والقِبْطِ والعَمالقةِ وكَنْعانَ وقُرَيْشٍ، تآلَفوا بالشّام ولَغَطوا فسَمّاهمُ إفريقِس البَرْبَرَ، لكثْرةِ كلامِـهم.

وسَببُ خروجِهم عندَ المَسْعوديّ[3] والطبريّ[4] والسُّهَيْليّ[5]: أنّ إفريقس اسْتَجاشَهم لفَتْحِ إفريقيّةَ وسَمّاهم البَرْبَر، ويُنْشِدونَ من شِعْرِهِ: [من الرّمل]

بَـرْبَـرَتْ كَـنْعانُ لـمّا سُـقْـتُها   من أراضي الضَّنْكِ للعَيْشِ [الخَصِيبْ][6]

(1) التاريخ 1: 207، 442.

(2) لم أتبيّنه في كتبه.

(3) مروج الذهب 2: 276، وقد أورد المسعودي جُملاً من أخبار تفرّق البربر بعد خروجهم من الشام، وليس بينها حَمْلُ إفريقس لهم على الخروج، وكان المسعودي – لمزيد التوسع في أخبار البربر وأنسابهم- قد أحال في موضع سابق من كتابه (المروج 1: 61) على كتابه الموسع " أخبار الزمان ". ولم أجده في القِطَع الصغيرة المتبقية منه. وانظر مجمل الآراء في انتشارهم عند اليعقوبي : التاريخ 115. وانظر تاريخ الطبري 1: 442 وفيه: من أراضي الهُلْك للعَيْش العَجبْ.

(4) التاريخ 1: 442.

(5) الروض الأنف 1: 146

(6) من د، ص، وفي تاريخ الطبري 1: 442 وكذلك عند نشوار الحميري في: خلاصة السيرة الجامعة، لعجائب أخبار الملوك التبابعة، ص 72 : من بلاد الملك للعيش العجَبْ. وفي ظ: للعيش الخصيب.

وقال ابنُ الكَلْبيّ[1]: اختلَف النّاسُ فيمَن أَخرَجَ البرْبرَ من الشّام، فقيل: داودُ بالوَحيِ، قيلَ: يا داودُ أخرج البَرْبرَ من الشّام فإنّهم جُذامُ الأرض. وقيل: يوشَعُ بنُ نونٍ. وقيلَ: إفريقِس. وقيل: بعضُ مُلوكِ التّبابِعة. وعنْدَ البَكْريّ[2] أنّ بَني إسْرائيلَ أخرَجوهم عندَ قَتْلِ جالوت. وللمَسْعوديّ[3] / [72 ب] والبَكْريّ[4] أنّهم فرّوا بعْدَ مَوْتِ جالوتَ إلى المَغربِ، وأرَادوا مِصْرَ فأجْلَتْهُم القِبْطُ، فسَكنوا بَرْقَةَ وإفريقيّةَ والمغربَ على حَرْبِ الإفرَنْج والأفارِقة، وأجازَهم إلى صِقلّيةَ وسَرْدانيّةَ ومَيُورْقةَ والأندلُس، ثمّ اصْطَلحوا على أنّ المُدن للإفرَنْجة، وسَكنوا القِفارَ عُصوراً في الخِيَام وانْتِجاعِ الأمْصارِ من إسْكندريّةَ إلى البَحْر، وإلى طَنْجَةَ والسُّوس. حتّى جاءَ الإسلامُ، وكان منْهم مَن تَهَوّدَ ومن تَنَصّر، وآخرونَ مَجوساً يَعْبدونَ الشّمْسَ والقمرَ والأصنامَ، ولهم مُلوكٌ ورُؤَساءُ، وكان بَيْنهم وبَيْن المسلمين حُروبٌ مَذْكُورةٌ. وقال الصُّوليُّ والبَكْريُّ: إنّ الشّيطانَ نزَغَ بيْنَ بَني حامٍ وسامٍ، فانْجلَى بنو حامٍ إلى المَغرِبِ ونَسَلوا به. وقال أيضاً: إنّ حاماً لمّا اسْوَدّ بدَعْوةِ أبيه، فرّ إلى المَغرِبِ حَيّاً، واتّبَعَهُ بَنُوه، وهلَكَ عن أرْبعِ مائةِ سَنَة. وكان من وَلَدِه: بَرْبرُ ابن كسْلاجيم، فنَسَلَ بَنوهُ بالمغرب. قال: وانْضافَ إلى البَرْبرِ حَيّانِ من العَربِ يَمنيّانِ عنْدَ خُروجِهم من مَأْرِبَ: كُتامَةُ وصِنْهاجة. قال: وهَوّارَةُ ولَمْطَةُ ولَوَاتَةُ بنو حِمْير بن سَبأ.

(1) لم نقف عليه.

(2) المسالك والممالك 1: 328 (538).

(3) مروج الذهب 2: 245 (1106).

(4) المسالك والممالك 1: 329.

وقال هاني بنُ بَكور الضَّرِيسيُّ، وسابِقُ بنُ سُليمان المَطْماطِيُّ، وكَهْلانُ ابنُ أبي لَوَى، وأيّوبُ بنُ أبي يَزيدَ وغيرُهم من نَسّابةِ البَرْبر: إنّ البَرْبَر فِرقتان كما قَدّمناه، وهم: البَرانِسُ والبُتْر. فالبُتْرُ من ولَدِ بَرِّ بنِ قَيْسِ بن عَيْلان. والبَرانِسُ بَنو بَرِّ ابن سفجُو بن أندجَ بن خندخ بن وليلَ بن شراطِ ابن هامِ ابن دُوَيْم ابن دامَ ابن مازيغَ بن كنْعانَ بن حام؛ وهذا هو الّذي تعتمدُه نَسّابةُ البَرْبر.

وقال الطَبري[1]: خرَجَ بَرْبرُ بنُ قَيْس يَنْشُدُ ضالّةً بأحْياءِ البَرْبَر، فهوَى جاريةً وتزوّجَها، فولَدَتْ.

وعندَ غَيْرِه من نَسّابةِ البَرْبرِ: أنّه خرَجَ فارّاً من أخيهِ عَمْرِو بن قَيْس[2]، وفي ذلك تقولُ تُماضِر[أ][3]: [من الوافر]

تُبَكّي كلُّ باكيةٍ أخاهَا ... كما أبْكي على بَرِّ بن قَيْس
/ تَحَمّلَ عن عَشيرَتِه فأضحَى ... ودونَ لقائِه أنْضاءُ عَنْسِ[ب] [173أ]

وممّا يُنْسَبُ إلى تُماضِرَ أيضاً[4]: [من الطويل]

(أ) ظ: بماضر. (ب) ص: عبس. القصد والأمم: عَنْس.

---

(1) لم نقف على قول الطبري هنا في تاريخ الرسل والملوك. والنسب الكَنعاني للبربر المذكور قبل هنا عن نسابة البربر هاني بن بكور وأصحابه، فيه: بَرّ بن قيس، وليس بَرْبَر.

(2) لعلّ هنا سَقْطًا، لأن الكلام لا يترابط مع ما بعده.

(3) يقول ابن عبد البرّ: قالت تماضُر أخت برّ بن قيس ترثيه في بعده عن قرابته وذويه وبلده. القصدُ والأمَم 25.

(4) المصدر قبله والصفحة، وللأبيات الثلاثة بيت رابع تقول فيه.

فلا يبعدن برٌّ على بُعد داره ... وإن ألْقَ بَرًّا بالحجاز قريبًا

وشَطَّتْ ببَرٍّ[أ] دارُهُ عن بِلادِنا   وطَوَّحَ بَرٌّ نَفسَهُ حَيثُ يَمَّمَا
وأَزْرَتْ ببَرٍّ لُكْنَةٌ أعْجَمِيَّةٌ   وما كانَ بَرٌّ في الحِجازِ ابنَ أعْجَمَا
كأنّا وبَرٌّ لم نُغِزْ بِجيادِنا   بِنَجْدٍ ولم نَقْسِمْ نِهاباً ومَغْنَما

وأنشَدَ عُلماءُ البَرْبَرِ لعُبيدَةَ بن قَيْسٍ العُقَيْليِّ[1]: [من الطويل]

ألا أيّها السّاعي لفُرقةِ بَيْنِنا   توقَّفْ هَداكَ اللهُ سُبْلَ الأطايِبِ
فأُقْسِمُ أنّا والبَرابِرُ إخْوَةٌ   نَمانا وهُمْ جَدٌّ كريمُ المناصِبِ
أبونا أبوهم قَيْسُ عَيْلانَ في الذُّرَى   وفي حَوْمِه نَشْفي غليلَ المُحارِبِ
فنحنُ وهمْ رُكْنٌ مَنيعٌ وإخْوةٌ   على رَغْمِ أعداءٍ لِئامِ المَناقِبِ
فإنّا لبَرٍّ ما بَقِي النّاسُ ناصِراً   وبَرٌّ لنا رُكْنٌ منيعُ المَناكِبِ
نُعِدُّ لمنْ عادَى شَوازِبَ ضُمَّراً   وبِيضاً تَحُطُّ الهامَ يَومَ التَّضارُبِ
وبَرُّ بنُ قَيْسٍ عُصبةٌ مُضَرِيَّةٌ   وفي الفَرْعِ من أحْسابِها والنّوائبِ
وقَيْسٌ قِوامُ الدِّينِ في كلِّ بَلْدَةٍ   وخيرُ مَعَدٍّ عندَ حِفْظِ المناسِبِ
وقيْسٌ لها المَجْدُ الذي يُهْتَدَى بهِ   وقَيْسٌ لها سَيْفٌ حديدُ المَضارِبِ

ويُنشِدونَ أيضاً أبياتاً من شِعْرِ يَزيدَ[2] بن خالدٍ يمدَحُ البَرْبَرَ: [من الرَّمل]

(أ) بالضم في د: بُرّ وفي الثانية بعدها فتح الباء.

---

(1) ترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق 38: 154 ولم يذكر له شعرًا. وكان العقيلي أميرًا على بعض سرايا الصوائف في خلافة معاوية.

(2) لم نقف لتخريج شعره، ولا إلى تحديد أيّ يزيد هو؟

أيُّــها السّـائِــلُ عن أُصولِنــا　　قَيْسُ عَيْلانَ بَــنو العِزِّ الأُوَلْ
نحنُ ما نَحنُ بَني بَرِّ النَّــدَى　　طــاردِ الأزمـاتِ نَحّارِ الإبِـلْ
وبنو بَـرِّ بنِ عَيْــلانَ الّذي　　عَرَفَ المَجْدَ وفي المَجْــدِ وحَلْ
وابْتَنَى الـمجدَ فأوْرَى زَنْــدَهُ　　وكَفانا كلَّ خطــبٍ ذي جَلَلْ
إنّ قَيْساً يعتَـزي بَــرٌّ لهــا　　ولبَرٍّ يَعْتَــزي قيْس أجَــلْ(أ)
ولَنا الفَخْـرُ بقَـيْسٍ أنّــهُ　　جَــدُّنا الأكبَــرُ فَكّاكُ الكُبَـلْ
/ إنّ قَيْساً قَيْسَ عَيْلانَ هُمُ　　مَلَكوا الأرْضَ بأَطْرافِ الأَسَلْ [73 ب]
وبِبيضٍ تُضْرَبُ الهامُ بِهــا　　هامُ من كان عن الحقِّ نَكَلْ
أبْلِغوا البَرْبَرَ عَنّي مِدَحــا　　حِيكَ من جَوْهرِ شِعْرٍ مُنْتَحَلْ

وعندَ نَسّابةِ البَرْبَرِ - وحكاهُ البَكْريُّ(1) وغيرُهُ - أنّه كان لمُضَرَ ولَدانِ: إلياسُ وعَيْلان، أمُّهما الرَّبابُ بنتُ حِيدَةَ بن عَمْرِو بن معدِّ بن عَدْنان، فوَلَدَ عَيْلانُ بنُ مضَرَ قَيْساً ودُهْمانَ، أمّا دُهْمانَ فوَلَدُهُ قليلٌ، وهمُ أهلُ بَيْتٍ من قَيْسٍ يُقالُ لهم: بَنو أُمامَةَ؛ وكانَتْ لهُ بنْتٌ تُسَمّى البَهاءَ بنتَ دُهْمانَ، وأمّا قَيْسُ بنُ عَيْلانَ فوُلِدَ لهُ أربعةُ بَنينَ، وهم: سَعْدٌ وعُمرُ، وأمُّهما مُزْنَةُ بِنْتُ أسَدِ ابن رَبيعةَ بن نِزار، وبَرٌّ وتَماضُرُ أمُّهما تَمْزيغُ بنْتُ مَجْدَلِ بن مَجْدَلِ بن غُمَارِ بن مَضْمود. وكانتْ قَبائلُ البَرْبَرِ يومَئِذٍ يَسْكنونَ الشّامَ ويُجاوِرونَ العَرَبَ في المساكِنِ ويُشارِكونَهم في المياهِ والمَرَاعي والمَسَارِحِ ويُصْهِرونَ إليهم.

(أ) ظ د: أحل.

(1) لم نجده في مسالكه.

فتزوّجَ برُّ بنُ قَيْس بنتَ عَمِّه وهيَ البَهاءُ بنتُ دُهْمان، وحسَدَهُ إخوتُه في ذلكَ، وكانتْ أمُّه تَمْريغُ من دُهاةِ النّساء، فخشِيَتْ منهم عليهِ أنْ يقتُلوهُ، وبعثَتْ لذلكَ إلى أخوالِها سِرّاً ورَحلَتْ معَ وَلَدِها وزَوْجتِه إلى أرضِ البَرْبَرِ وهُم إذّاكَ بِفلَسْطينَ وأكْنافِ الشّام، فولَدَتِ البهاءُ لبَرِّ بن قَيْسٍ ولَدَيْن: علْوان ومادَغِس، فماتَ علْوان صَغيراً وبَقِيَ مادَغِس، فكانَ يُلَقَّبُ الأبْتَر، وهُو أبو البُتْرِ من البَرْبَر، ومن وَلَدِه جميعُ زَناتَة.

قالوا: وتزوّجَ مادَغِس بنُ برّ، وهُو الأبْتر، تامْلَل بنتَ واطّاس بن مَجْدلِ بن مَجْدولٍ(أ) بن غُمار، فولَدَتْ لهُ زجِّيكَ بنَ مادَغِس.

وقال أبو عُمَرٍ بنُ عبدِ البَرّ(1) في كتابِ "التّمْهيد" في الأنْساب: اختلَفَ النّاسُ في أنْسابِ البَرْبَرِ اختلافاً كثيراً، وأنْسَبُ(ب) ما قيلَ فيهم: أنّهم من وُلْدِ قِبْطِ بن حامٍ لمّا نزلَ مِصْرَ خرجَ ابنُه يُريدُ المَغْرِبَ، فسَكنوا / من آخرِ [174أ] عَمالَةِ مِصْر، وذلكَ ما وراءَ بَرْقةَ إلى البَحْرِ الأخْضر معَ بَحْرِ الأنْدَلُس إلى مُنْقَطعِ الرَّمْلِ متّصِلينَ بالسّودان. فمنهم لَوَاتَةُ بأرْض طَرابُلُس، ونزَلَ قومٌ بقُرْبِها وهم نَفْزَة(2)، ثُمّ امتدّتْ(ج) بهمُ الطُّرُقُ إلى القَيْروانِ ومَا وراءَها إلى تاهَرْتَ إلى طَنْجةَ وسِجِلْماسَةَ إلى السُّوسِ الأقْصَى، وهم طوائفُ: صِنْهاجَةَ

(أ) تقدم مجدل وكذا في ظ د. ص (ب) ابن عبد البر: وأثبت (ج) ابن عبد البر: تشعّبت.

(1) انظر التعليق المتقدم [71 ب -].

(2) ابن عبد البرّ: ونزل قومٌ بغربيّها وهم نفوسة. القصد والأمم 25.

وكُتامَةَ ودُكالَةَ وركلاوَةَ وفطواكَةَ[1] من هَسْكُورَةَ ومزطاوة[أ].

وذكَرَ بعضُ أهل الأثرِ[2] أنّ الشّيْطانَ نَزَغَ بَيْنَ بَني حامٍ وبَيْنَ سَام، فوَقعَتْ بَيْنَهما مُناوَشاتٌ كانتِ الدَّبْرَةُ فيها لسَامٍ وبَنيهِ، وخرَجَ حامٌ إلى المغْربِ وقدِمَ مِصْرَ وتَفرَّقَ بَنوهُ ومَضَى على وَجْهِهِ يَؤُمُّ المغربَ حتّى بلَغَ السُّوسَ الأقْصَى، وخَرجَ بَنوهُ في أثرِهِ يَطلُبونَهُ، فكلُّ طائِفةٍ من وَلَدِهِ بلغَتْ مؤضِعاً وانقَطعَ عنْهم خبَرُه، فأقاموا بذلكَ الموضِعِ وتناسَلوا فيهِ، ووَصَلَتْ إليهم[3] طائفةٌ فأقاموا معَهم وتناسَلوا هُنالكَ. وكانَ عُمُرُ حامٍ أربعَ مائةٍ وثلاثاً وأرْبعينَ سنةً فيما ذكَرَهُ البَكْريُّ[4]. وقال آخَرونَ: كان عُمُرُه خمسَ مائةٍ وإحْدى وثَلاثينَ سَنةً.

وقال السُّهَيْلي[5]: يمَنٌ هو يَعْرُبُ بنُ قَحْطانَ، قال: وهُو الّذي أجْلَى بَني حامٍ إلى المَغرِب بَعْدَ أن كانوا [يأخذون] الجِزَى[ب] من وُلْدِ قُوطِ بن يافِث. هذا آخرُ الخِلافِ في أنْسابِ البَرْبر.

(أ) أو موصطاوة (ب) سقطت من الأصول، والتكملة من الروض الأنف 1: 45 وعبارة السُّهَيلي: بعد أن كانوا يأخذون الجزية من ولد قوطة بن يافث.

---

(1) احدى قبائل هَسْكُورَة الشبع. انظر ابن عبد الحكم: كتاب الأنساب، وابن العربي: شواهد الجلّة 55، 365 (ضمن كتاب: ثلاثة نصوص عربيّة عن البربر).

(2) المسعودي: أخبار الزمان 86، البكري: المسالك والممالك 1: 88، 89.

(3) لعل الصواب: إليه، كما هو عند البكري. وعبارة المسعودي: فيقال أن منهم طائفة وقعت عليه.

(4) في نشرة البكري 1: 89: أن عمره 441 سنة!

(5) الروض الأُنف 1: 45.

واعْلمْ أنّ هذه المذاهبَ كلُّها مرجوحةٌ وبعيدةٌ من الصّواب، فأمّا القَوْلُ: إنّهم من وُلْدِ إبْراهيمَ فبعيدٌ؛ لأنّ داودَ الّذي قتَلَ جالوتَ وكانَ البربرُ مُعاصِرينَ لهُ ليْس بَيْنَه وبَيْنَ إسْحاقَ بن إبراهيمَ أخي نَقْشانَ الّذين زَعَموا أنّه [أبو] البَرْبر إلاّ نحْوُ عشرةِ آباءٍ ذكَرْناهم أوّلَ الكِتاب، ويبعد أن يَتَشَعّبَ النسْل فيهم مثلَ هذا التَشعُّب.

وأمّا القَوْلُ بأنّهم من وُلْدِ جالوتَ أوِ العَماليق، وأنّهم نُقِلوا من ديارِ الشّام أوِ انْتَقلوا، فقَوْلٌ ساقِطٌ يكادُ أن يكونَ من أحاديثِ خُرافَةٍ، إذ مِثْلُ [74 ب] هذهِ / الأُمّةِ المُشْتَملةِ على أُمَم وعَوالِمَ مَلَأتْ جانِباً من الأرْض لا تكونُ منْتَقِلَةً من جانبٍ آخرَ وقُطْرٍ مَحْصورٍ، والبَرْبَرُ معْروفونَ في بِلادِهم وأقاليمهم مُتميِّزونَ بشَعائِرِهم بَيْنَ الأُمَم مُنْذُ الأحْقابِ المُتطاوِلَةِ قبْلَ الإسْلام، فما الّذي يُحْوِجُنا إلى التَّعَلُّقِ بهذه التُّرّهَاتِ في شَأْنِ أوّليّتِهم، ونَحْتاجُ إلى مِثْلِه في كلِّ جيلٍ وأُمّةٍ من العَجَم والعَرَبِ. وإفْريقِسُ الّذي يَزْعُمونَ أنّه نقَلَهم قد ذَكَروا أنّه وَجَدَهم بها، وأنّه تَعَجّبَ من كَثْرَتِهم وعُجْمَتِهم وقالَ: ما أكثَرَ بَرْبَرَتَكم؛ فكيفَ يكونُ هُو الّذي نَقَلَهم[1] وليْس بَيْنَهُ وبَيْنَ أَبْرَهَةَ ذي المنار من يتّسِعونَ فيهِ إلى مثْلِ ذلك، إن قالوا إنّه الّذي نقَلَهم.

وأمّا القولُ أيضاً بأنّهم من حِمْيرٍ من وَلَدِ النُّعمان أو من مُضَرَ من ولدِ قَيْسِ بن عَيْلانَ، فمُنكَرٌ من القَوْل، وقد أبْطَلَه إمامُ النسّابِينَ والعُلماءِ أبو محمّدٍ

(1) بداية خرم في نسخة د إلى الصفحة 227.

ابنُ حَزم[1]، وقال في كتابِ "الجَمهَرة": ادّعَتْ طوائفُ من البَرْبَر أنّهمْ من اليَمنِ ومن حِمْيَرَ، وبَعْضُهم يَنْتسبُ إلى برّ بن قَيْس، وهذا كلُّه باطِلٌ لا شَكّ فيه، ومَا عَلِمَ النسّابونَ لقَيْس عَيْلانَ ابناً اسْمُه برٌّ أصْلاً، ولا كان لِحْمَيرٍ طريقٌ إلى بلادِ البَرْبرِ إلاّ في تكاذِيبِ مُؤرّخي اليَمَن.

وأمّا ما ذهَبَ إليهِ ابنُ قُتَيْبَةَ أنّهم من وَلَدِ جَالوتَ، وأنّ جَالوتَ من وَلدِ قَيْسَ بن عَيْلان، فأبْعدُ عن الصّوابِ! فإنّ قَيْس عَيْلان ولَدَ مَعَدًّا، وقد قَدّمنا أنّ مَعَدّاً كان مُعاصِراً لبُخْتَ نَصّر، وأنّ إرْمِيَا النّبيّ خَلّصَ بهِ إلى الشّامِ بالوَحْيِ حَذَراً عليهِ من بُخْتَ نَصّرَ حينَ سُلِّطَ على العَرَب. وبُخْتَ نَصّرُ هُو الّذي خَرّبَ بَيْتَ المَقْدِس بَعْدَ بِناءِ داودَ وسُلَيْمانَ إيّاها بأرْبعِ مائةٍ وخَمْسينَ سنةً ونَحْوها، فيكونُ مَعَدٌّ بعدَ داودَ بمِثْلِ هذا الأمَد، فكيْف يَكونُ ابنُه قَيْسٌ أباً لجالوتَ المُعاصِرِ لداوُد، هذَا في غَايةِ البُعْد! وأظُنُّها غَفْلةً منَ ابن قُتَيبة ووَهْماً.

والْحَقُّ الّذي لا يَنْبغي التّعْويلُ على غَيْرِه في شَأْنِهم، أنّهم من وُلْدِ / كَنعانَ بن حَام بن نُوحٍ كما تَقَدّمَ في أنْسابِ الخَليقَةِ، وأنّ اسْمَ جَدّهِم [175]
مازيغُ، وإخوتَهم إكْريكش وفِلَسْطِين، إخوانُهم بنو كسْلوجيم بن مصْرايِيم ابن حام، ومَلِكهُم جَالوتُ سِمةٌ معروفةٌ له. وكانتْ بَيْنَ فِلَسْطينَ هَؤلاءِ وبَيْنَ بَني إسرائيلَ بالشّام حرُوبٌ مذكورةٌ، وكان بَنو كَنْعانَ واكْريكش شِيَعاً لفِلَسطينَ على بَني إسْرائيل، ومن هُنا -واللهُ أعْلَمُ- الْتَبَس على القَبائِل

(1) الجمهرة 495.

بأنّ جَالوتَ من البَرْبر، وإنّما هُو من إخْوانِهم فِلَسْطين، فلا يَقَعَنَّ في وَهْمِكَ غيرُ هذا فهوَ الصَّحيحُ الّذي لا مَعْدِلَ عنه.

ولا خلافَ بَيْنَ نَسّابَةِ العرَبِ أنّ شُعوبَ البَرْبر الذينَ قدَّمْنا ذِكرَهم كلُّهم من البَرْبَر، إلاّ صِنْهَاجةَ وكُتامَةَ، فإنّ بَيْنَ نسّابةِ العَربِ فيهم خِلافاً، والمشهورُ أنّهم من اليَمنيَّة، وأنّ أفْرِيقِسَ لـمّا أغْزَى إفريقيَّةَ أنْزلَهم بها.

وأمّا نَسّابةُ البَرْبرِ فيزْعُمونَ في بَعْضِ شُعوبِهم أنّهم من العَرَب، مثلَ: لَواتةَ، يَزْعُمونَ أنّهم من حِمْيَر، ومثْلَ هَوّارَةَ يَزْعُمونَ أنّهم من كِنْدةَ من السَّكاسِك، ومِثْلَ زَناتَةَ يَزْعُمُ نَسّابتُهم أنّهم من العَمالِقَةِ، فَرّوا أمامَ بَني إسْرائيلَ، وربّما يَزْعُمون فيهم أنّهم من بَقايا التَّبابِعة، ومثلَ غُمارَةَ أيضاً وزَواوَةَ ومَكْلاتةَ، يَزْعُمون في هَؤلاءِ كلِّهم - نسّابتُهم - أنّهم من حِمْيَر حَسْبَما نذكرُهُ عندَ تَفْصيلِ شُعوبِهم في كلِّ فِرْقةٍ منهم. وهذه كلُّها مَزاعِمُ، والحقُّ الّذي يَشْهدُ بهِ المَواطِنُ والعُجْمَةُ أنّهم بمَعْزِلٍ عن العَربِ إلاّ ما تَزْعُمُهُ نَسّابةُ العَربِ في صِنْهاجةَ وكُتامة، وعندي: أنّهم من إخْوانِهم، واللهُ أعْلَمُ.

وقد انْتهى بنا الكلامُ في أنْسابِهم وأوّليَّتِهم، فلْنَرْجِعْ إلى تَفْصيل شُعوبِهم وذِكْرِهم أُمّةً بَعْدَ أُمّةٍ، ونَقْتصِرُ منهم على ذِكْرِ من كانتْ لهُ دَوْلةُ مُلْكٍ، أو سالِفُ شُهْرةٍ، أو تَشعُّبُ نَسْلٍ في العالَمِ وعَدَدٌ لهذا العَهْدِ وما قَبْلَهُ من صِنْفَي البَرانِسِ والبُتْرِ منهم، وتَرْتيبِهم / شَعْباً شَعْباً حَسْبَما تأدّى إلَيْنا من ذلِكَ [75 ب] واشْتَملَ عليهِ مَحْفوظُنا، واللهُ المسْتعانُ.

الفَصْلُ الثّاني:

في ذِكْرِ مَواطِنِ هؤلاءِ البَرْبَرِ بإفريقيَّةَ والمَغْرِب

• اعلَمْ أنّ لفظَ المَغربِ في أصْل وَضْعِه: اسمٌ إضافيٌّ يَدُلُّ على مَكانٍ من الأمْكِنةِ بإضافَتِه إلى جِهةِ الشَّرْق. ولفظُ المَشْرق كذلِك بإضافَتِه إلى جِهةِ الغَرْب. فكلُّ مَكانٍ من الأرْض مَغْرِبٌ بالإضافَة إلى جِهةِ الشَّرْق، مَشْرِقٌ بالإضافَةِ إلى جِهةِ الغَرْب. إلاّ أنّ العُرْفَ قد يُخصِّصُ هذه الأسْماءَ بجِهاتٍ مُعَيّنةٍ وأقطارٍ مخصوصَة.

وعُرْفُ أهْلِ الجَغْرافيا المُعْتنينَ بمعْرفَةِ هَيْأةِ الأرْض وقِسْمَتِها بأقالِيمِها ومَعْمورِها وخَرابِها وجِبالِها وبِحارِها ومَساكِنِ أهْلِها، مثلَ بَطْلَمْيوسَ ورُجّارَ صاحبِ صِقِلّيةَ، المنسوب لهُ الكتابُ المشهورُ بَيْنَ النّاسِ لهذا العَهْدِ في هَيْأةِ الأرْض والبُلْدانِ[(1)] وأمْثالِهم-: أنّ المَغْربَ قُطْرٌ واحِدٌ مُتميِّزٌ بينَ الأقْطار. فحَدُّهُ من جِهَةِ الغَرْب: البحرُ المحيطُ، وهُو عُنْصرُ الماء، وسُمّيَ محيطاً لإحاطَتِه بما انكشَفَ من الأرْض كما قَدّمناهُ أيضاً أوّلَ الكتاب، ويُسمّى أيضاً البَحْرَ الأخْضَرَ لتلَوُّنِه غالباً بالخُضْرة، ويُسمّى بَحْرَ الظُّلُماتِ لِما أنّهُ تَقِلُّ فيهِ الأضواءُ من الأشعّةِ المنعكسَةِ على سَطْح الأرْضِ من الشّمس لبُعْدِه عن

(1) هو كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ألّفه الإدريسي لرجار. انظر عنه كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي 1: 280 وما بعدها.

الأرض فيكونُ مُظلِماً، ولِفقْدانِ الأضواءِ تَقِلُّ الحَرارةُ المُحَلِّلةُ للأبْخِرة، فلا تَزالُ السُحُبُ والغُيومُ متكاثفةً على سَطْحِهِ مُنعقِدةً هنالِكَ متراكمةً، وتُسمّيهِ الأعاجمُ بحرَ أُقْيانُس، يَعْنونَ بهِ - واللهُ أعلَمُ - ما نَعني نحنُ بالعُنْصُر. ويُسمّونَه أيضاً بَحْرَ لبلايَة بتَفْخيمِ اللاّمِ الثّانية، وهو بَحْرٌ كبيرٌ غيرُ مُنْحَصِر لا تَبْعُدُ فيه السُّفُنُ عن مَرْأى العَيْنِ من السّواحِل للجَهْلِ بسُموتِ الرِّياحِ هنالك ونهايتِها، إذْ لاَ غايةَ من العُمْران ورَاءَهُ. والبحارُ المُنْحَصِرةُ إنّما جَرَتْ فيها السُّفنُ بالرِّياحِ لمعْرفَةِ النُّواتِيَّةِ بِكَثْرةِ تَجارِبِهِم، فتَبَعتِ الرّيحَ من الأماكِنِ / [176أ] وغايةَ مَهَبِّها في سَمْتِها، فكلُّ رِيحٍ عِنْدَهم مَعْروفةُ الغايَةِ، فإذا عَلِمَ أنَّ جَرْيَتَهُ بالرِّيحِ المنبَعثةِ من مَكانٍ كذا، ورُبّما خرَجَ من رِيحٍ الى رِيحٍ بحَسَبِ مَقْصَدِهِ ووِجْهَتِه، وهذا مَفْقودٌ في البَحْرِ الكَبيرِ لأنّه غيرُ مُنْحَصِر. ومُنْبعِثُ الرّيحِ وإنْ كانَ معروفاً فيهِ فغَايَتُه غيرُ مَعْروفَةٍ، لِفقْدانِ العُمْرانِ ورَاءَه، فتَضِلُّ السُّفُنُ إذا جَرَتْ بها وتَذْهَبَ فتَهْلِكَ. وأيضاً، فإذا أَوْغَلَ فيه فرُبّما وقَعَ في المتكاثِف من الغُيومِ والأبْخِرةِ كما قُلْناهُ فتَهْلِكُ، فلهذا كان راكِبُهُ على غَرَرٍ وخَطَر.

• فَحَدُّ المَغْربِ من جِهَةِ الغَرْبِ: البحْرُ المحيطُ كما قُلْناهُ، وعليه كثيرٌ من مُدنِهِ، مثْلَ: طنْجَةَ وسَلاَ وآزَمور وأنْفَا وأسَفِي، وهيَ كلُّها من مُدنِ المَغْربِ وحَواضِرِه، وعليْهِ أيضاً مَسْجد مَاسَّة، وبَلَدُ تاكاوصت، ونولْ من بِلادِ السُّوس، وهيَ كلُّها من مَساكِنِ البَرْبرِ وحَواضِرِهم، وتَنْتهي[أ] في المراكِب إلى وَراءِ ساحِلِ نولْ ولا تُجاوِزُهُ[ب] إلاّ على خَطرٍ وغَرَر، لما قُلْناه.

(أ) ص: ينتهي (ب) ص: يجاوزه .

وأمّا حَدُّه من جِهةِ الشِّمال، فالبَحْرُ الروميُّ المُفرَّغ من هذا البَحْرِ المحيط، يَخْرجُ في خَليجٍ مُتَضايِقٍ ما بَيْنَ طَنْجَةَ من بلادِ المَغرب وطَرِيفَ من بلادِ الأنْدَلُس، ويُسمَّى هذا الخليجُ الزُّقاق، وعَرْضُه ثمانيةُ أميالٍ لما فَوْقَها، وكانتْ عليهِ قَنْطرةٌ رَكِبَها ماءُ البَحْر. ثُمّ يذهَبُ هذا البحرُ الروميُّ في سَمْتِ الشَّرْق إلى أن يَنْتَهِيَ إلى سَواحِل الشّامِ وثُغورِه وما إليْها، مثْل: أنطاليةُ والعَلايا وطَرَسوسَ والمَصيصَةِ وأنطاكِيةُ وطَرابُلُس وصُورَ والإسْكَندريّة، ولذلك يُسمَّى البحرَ الشّاميّ. وهُو إذا خرَجَ من الخَليج يَنْفَسِحُ في ذهابِه عَرْضاً، وأكثرُ انفِساحِه إلى جهةِ الشِّمال، ولا يَزالُ في انفساحِه ذلك مُتصاعِداً إلى الشَّمالِ إلى أنْ يَنْتَهِيَ إلى غايَتِه. وطولُه فيما يُقالُ خمسةُ آلافِ ميلٍ أو ستّةٌ، وفيه جزائرُ مَيُورْقَةَ ومَنُرْقَةَ ويابِسةَ وصِقِلّيّةَ وأَقْرِيطَش وسَرْدانِيةَ وقُبْرس. وأمّا عَرضُه من جِهةِ الجنوبِ فإنّه يَخْرجُ على سَمْتٍ واحدٍ ثُمّ يَخْتَلِفُ في ذهابِه،/ [76 ب] فَتارةً يَبْعُدُ في الجنوبِ وتارةً يرجِعُ إلى الشِّمال. واعتبِرْ ذلكَ بعُروضِ البُلْدان التي بساحِلِه، وذلك أنّ عَرْضَ البَلدِ هُو ارتفاعُ قُطْبهِ الشِّماليّ على أُفقهِ، وهُو أيضاً بُعْدُ ما بَيْنَ سَمْتِ رؤوس أهْلِه ودائرةِ مُعَدّل النّهار؛ والسّببُ في ذلكَ أنّ الأرْضَ كُرِيّةُ الشّكْل، والسّماءَ من فَوْقِها مثلُها، وأفقُ البلَد هُو فَرْقُ بَيْنَ ما يُرى وما لا يُرى من السّماء ومن الأرْض. والفَلَكُ ذو قُطْبَيْنِ إذا ارتفَعَ أحَدُهما على رؤوسِ مَغْمورٍ وانْخفَضَ الآخرُ بقَدْرِهِ عنهم.

والعِمارةُ في الأرْض كلّها هي إلى جانِبِ الشِّمال أكثرُ، وليسَ في الجنوبِ عُمْرانٌ لمَا تقرّرَ في مَوْضِعهِ. فلهذا ارتفَعَ القُطْبُ الشِّماليُّ على أهْلِ العُمْرانِ

دونَ الجنوبيّ. والمارُّ على سَطْح الكُرةِ كلّما أبْعَدَ في جهةٍ ظهرَ لهُ من سَطْح الكرةِ ومن السّماءِ المقابِلِ لها ما لم يكنْ يظهَرُ، فيزيدُ بُعْدُ القُطْبِ عن الأُفقِ كلّما أبعَدَ في الشِّمال، وينقُصُ كلّما رجعَ إلى الجنوب، فعرضُ سَبْتةَ وطَنْجةَ الّتي هيَ على زقاق هذا البحْرِ وخليجِه له ودَقائق. ثُمّ يتَصاعَدُ البحرُ إلى الجنوبِ فيكونُ عرضُ تِلِمْسَانَ لد ونصفاً، فتزيدُ في الجنوبِ فيكونُ عرضُ وَهْرانَ لب أبْعدَ من فاسَ بيسيرٍ؛ لأنّ عرْضَ فاسَ لج ودقائق، ولهذا كان العُمْرانُ في المَغْربِ الأقصَى أعرَقَ في الشِّمال من عُمْرانِ المَغربِ الأوْسَط بقدْرِ ما بَيْنَ فاسَ وسَبْتَة. وصارَ ذلكَ القُطْرُ كالجزيرةِ بَيْنَ البِحار، لانعِطافِ البَحْرِ الرّوميّ إلى الجنوب، ثُم يَرجعُ البحرُ بعدَ وَهْرانَ عن سَمْتِه ذلكَ فيَكونُ عرضُ تَنَس لد والجزائرِ له على مثْلِ سَمْتِهِ الأوّل عند مُنْبَعَثِه من الزّقّاق، ثُم يزيدُ في الشِّمال فيكونُ عرضُ بِجَايَةَ وتونِسَ لوم على مثْلِ سَمْتِ غَرْناطَةَ والمريّةِ ومالَقَةَ، ثُم يَرجعُ إلى الجنوبِ فيكونُ عرضُ قابِسَ وطرابُلُس لد على مثْلِ السَّمْتِ الأوّلِ بطَنْجَةَ وسَبْتَةَ، ثُمّ يزيدُ في الجنوبِ فيكونُ

[١٧٧] عَرضُ بَرْقَةَ لج على مثْلِ سَمْتِ فاسَ وتَوْزَرَ وقَفْصَة، / ويَزيدُ فيكونُ عَرضُ الإسكَنْدريّةِ لا على مثْلِ مَرّاكُش وأغْمات، ثُمّ يذْهَبُ في الشِّمال عنْدَ انعطافِهِ إلى مُنْتهَى سَمْتِه بسَواحِل الشّام. وهكذا اختلافُه في هذه العُدْوةِ الجنوبيّةِ. ولسْنا على علْمٍ من حالِه في العُدْوةِ الشّماليّةِ. وينْتهي عرضُ هذا البحْرِ في انفِسَاحِهِ إلى سَبْع مائةِ ميلٍ أو نَحْوِها ما بَيْنَ سواحِل إفريقيّة وجَنْوةَ من العُدْوةِ الشّماليّةِ والبلادِ السّاحِليّة من المَغربِ الأقْصى والأوْسطِ

وإفريقيّةَ من لَدُن الخليجِ حيثُ مُنبَعَثُه كلها عليْه، مثل: طَنْجَةَ وسَبْتَةَ وبادسَ وغِسَاسةَ[أ] وهُنين ووَهْرانَ والجزائِرِ وبِجَايَةَ وبُونَةَ وتونِسَ وسُوسَةَ والمهديّةِ وصَفاقُسَ وقابِسَ وطرَابُلُسَ وسواحِلِ بَرْقةَ والإسْكَنْدريّة. هذا وَصْفُ هذا البَحْرِ الرّوميّ الّذي هُو حَدُّ المَغرِبِ من جهةِ الشَّمالِ.

وأمّا حدُّه من جهةِ القِبْلةِ والجنوبِ، فالرِّمالُ المُتَهَيِّلةُ الماثِلَةُ حَجْزاً بَيْنَ بلادِ السّودانِ وبلادِ البَرْبر، ويُعْرُف عندَ العرَبِ الرَّحَّالةِ الباديةِ بالعِزق، وهذا العِرْقُ سِيَاجٌ على المَغْربِ من جهةِ الجنوبِ، مُبتدِىءٌ من البَحْرِ المحيطِ وذاهبٌ في جهةِ الشَرْقِ على سَمْتٍ واحدٍ إلى أنْ يَعْتَرِضَهُ النِّيلُ الهابِطُ من الجنوبِ إلى مِصْر، فهنالِك يَنْقطِعُ. وعَرْضُهُ ثلاثُ مراحلَ وأزيَدُ، ويَعْتَرِضُهُ في قِبْلةِ المَغربِ الأوْسَطِ أرضٌ محجرة تُسَمَّى عندَ العَرَب الحمَادَة، من دُوَيْن مصاب إلى بلادِ رَيْغ[ب]، ووَراءَه في جهةِ الجنوبِ بعضُ بلادِ الجَريديّة، ذاتُ نخْلٍ وأنْهار مَعْدودةٍ في جُمْلةِ بلادِ المَغْرب، مثلَ بلادِ بُودةَ وتَمَنْطيت في قِبْلةِ المغربِ الأقْصَى، وتَسابَايْتَ وتِيكُورَارِيْن في قِبْلةِ المغربِ الأوْسَطِ، وغدَامِس وفزّان وَوَدّان في قِبْلةِ طرابُلُس. كلُّ واحدٍ من هذه إقْليمٌ يَشْتَمِلُ على بُلْدانٍ عامِرة ذاتِ قُرىً ونَخْلٍ وأنْهارٍ، يَنْتهي عددُ كلِّ واحدٍ منها إلى المائةِ فأكثر. وإلى هَذهِ / العُدْوةِ الجنوبيّةِ من هذا العِرْقِ، تَنْتهي في [77 ب]
بَعْض السّنينَ مَجالاتُ أهْلِ اللِّثَام من صِنْهاجةَ ومُتَقَلَّبُهم[ج]، الجائِلون هنالك

(أ) نهاية خرم النسخة د (ب) ص: زيغ (ج) ص: ومنقلبهم.

إلى بلادِ السّودان. وفي العُدْوةِ الشَّماليّةِ منهُ مجالاتُ البادِيةِ من الأَعْرابِ الظّواعِنِ بالمَغرب، وكانت قَبْلَهم مجالاتٌ للبَرْبَرِ كما نذكرُه بَعْدُ.

هذا حدُّ المَغربِ من جهةِ الجنوبِ، ومن دونِ هذا العِرْقِ سِياجٌ آخرُ على المغربِ ممّا يَلي التُّلولَ منه، وهُو الجبالُ الّتي هيَ تخومٌ لتلْكَ التُّلولِ، مُمْتَدّةٌ من لَدُن البحْرِ المحيطِ في الغَرْبِ إلى بَرْنيقَ من بلادِ بَرْقَة، وهنالِكَ تَنقَطِعُ هذه الجبالُ. ويُسَمّى مبدَؤُها من الغَرْبِ جبالَ دَرَن، وما بَيْنَ هذه الجبالِ المحيطةِ بالتّلولِ وبَيْنَ العِرْقِ الّذي وصَفْناهُ آنِفاً فبسائطُ وقِفارٌ أكْثرُ نباتِها الشَّجَر، وفيما يَلي التُّلولَ منها ويقارِبُها بلادُ الجَريد ذاتُ نَخْلٍ وأنْهارٍ.

فَفي أرْضِ السُّوسِ قِبْلةَ مرّاكُش: تَارُودَانْت وَإيفِري فُونَان وغيرُهما، بلادٌ ذاتُ نَخْلٍ وأنْهارٍ ومَزارِعَ مُتَعدّدةٍ عامِرةٍ. وفي قِبْلةِ فاسَ سِجِلْماسَةُ وقُراها لمَدٌ معروف، ودَرْعَةُ أيضاً معروفةٌ. وفي قِبْلةِ تِلِمْسَانَ بلدُ فيكيك: قصورٌ مُتعدِّدَةٌ ذاتُ نَخْلٍ وأنهارٍ. وفي قِبْلةِ تاهَرْتَ القصورُ أيضاً، بلادٌ مُتَتالِيَةٌ على سَطْرٍ من الشّرقِ إلى الغَرْبِ، أقربُ ما إليها جَبَلُ راشِد، وهيَ ذاتُ نَخْلٍ ومزارِعَ وأنْهارٍ. ثُمّ قصورُ مصاب تُناهِزُ المائةَ وأكْثَرَ، قِبْلةَ الجزائِر، ذاتُ نخْلٍ وأنْهارٍ. ثُمّ بلدُ وارْكلا[1] قبلةَ بجَايَةَ، بلدٌ واحِدٌ مُستَبْحر العُمْرانِ كثيرُ النّخْل. وفي سَمْتِهِ إلى جهةِ التُّلولِ بلادُ رِيْغ تُناهِزُ الثّلاثَ مائة، مُنتظِمةٌ على حِفَافَيْ وادٍ يَنحَدِرُ من الغَرْبِ إلى الشّرْقِ، ذاتُ نَخْل وأنهارٍ، وأقرَبُ منها إلى التُّلولِ بلادُ الزّاب، مُنْتَظِمةٌ من الغَرْب إلى الشّرْق تُناهِزُ مائةً من

(١) ظ: وارڪلى .

البِلادِ[1] فأكْثَر، قاعِدَتُها بِسْكِرةُ، من كِبارِ الأمْصارِ بالمَغرب،/ وتَشْتَمِلُ كلُّها [178 أ] على النَّخْل والأنْهارِ والمُدُنِ والقُرَى والمزارعِ. ثُمّ بلادُ الجَرِيدِ قِبْلَةَ تونِس، وهِيَ: نَفْطَةُ، وتوزَر، وقَفْصة، وبلادُ نَفْزاوَة، وتُسَمّى كلُّها بلَدَ قَسْطِيلِيَّة، مُسْتَبْحِرةُ العُمْرانِ مُسْتَحْكِمَةُ الحضارَةِ مشْتَمِلَةٌ على النَّخْلِ والأنْهار. ثُمّ قابِسُ قبلةَ سوسَة، وهِيَ حاضِرَةُ البَحْر، من أعْظمِ أمْصارِ إفريقيّة، وكانتْ دارَ مُلْكٍ لابنْ غانِيَةَ كما نَذكُرُه بَعْدُ، وتَشْتَمِلُ على النَّخْلِ والأنْهارِ والمزارعِ. ثُمّ فَزّانُ ووَدّان قبلَةَ طرابُلُس، قصورٌ مُتَعَدّدةٌ ذاتُ نَخْلٍ وأنْهار، وهِيَ أوّلُ ما افْتَتَحَ المسلمونَ من أرْضِ إفريقيّةَ لمّا أغْزاها عُمَرُ بنُ الخطّاب عَمْرو بنَ العاص. [ثُمّ سَنْتَرِيّةُ[2] قبلة بَرْقَة، من غربِيِّها قصورٌ ذاتُ نَخْلٍ وثمارٍ وزَرْعٍ][أ]. ثُمّ الواحاتُ قِبْلةَ بَرْقَةَ، ذكرَها المسعوديُّ في كتابِه[3]. وما وراءَ هذه كلِّها في جِهَةِ الجنوبِ قفارٌ ورِمالٌ لا تُنْبِتُ زَرْعاً ولا مرعًى، إلى أن تَنْتَهِيَ إلى العِرْقِ الّذي ذكرناهُ. ومن ورائِهِ مجالاتُ المُلَثّمينَ كما قلْناهُ، مَفاوِزُ مُعْطِشةٌ إلى بلادِ السّودان. وما بَيْنَ بلادِ النَّخْل هذه والجبالِ الّتي هِيَ سِياجُ التُّلول، بَسائطُ مُتَلَوِّنٌ مِزاجُها، تارَةً بمزاجِ التَّلولِ وتارَةً بمزاجِ الصّحْراءِ في هَوائها ومِياهِها ومَنابِتِها، وفيها

(أ) زيادة انفردت بها حاشية د بخط المؤلف

---

(1) يعني بالبلاد القرى العامرة.

(2) غربيّ الفيوم، وهي آخر أعمال مصر، وأهلها بربر. معجم البلدان 3: 261.

(3) ذكر أن بلاد الواحات تقع بين بلاد مصر والإسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الأحابش من النوبة وغيرهم، وقال: لقد ذكرنا جُملاً من أخبارها وكيفيّة العُمران بها والخواصّ في أرضها فيما سلف من كتبنا. مروج الذهب 2: 136 (894).

القَيْروانُ[أ]، وجَبلُ أَوْرَاس مُعْتَرِضٌ وسطَها. وبلادُ الحُضنةِ حَيْثُ كانتْ طُبْنَةَ ما بَيْنَ الزّابِ والتَّلِّ، وفيها مَقَّرةُ والمَسِيلَة، وفيها السَّرَسُّو قِبْلَةَ تِلِمْسَانَ، حَيْثُ تَاهَرْت، وفيها جَبَلُ دير، وقَبْلَهُ[ب] فاس مُعْتَرِضٌ في تِلْكَ البسائِط. هذا حَدُّ المَغْرِبِ من جِهَةِ الجنوب والقِبْلَة.

• وأمّا حَدُّه من جِهَةِ الشَّرْق فيَخْتَلِفُ باخْتلافِ الاصْطِلاحاتِ، فعُرْفُ أَهْلِ الجَغْرافِيا أنّهُ بَحْرُ القُلْزُم المتفَجِّرُ من بَحْرِ اليَمَن هابطاً على سَمْتِ الشَّمال، وبانْحرافٍ يسيرٍ إلى المَغْرِبِ، حتّى يَنْتَهِيَ إلى القُلْزُمِ والسُّوَيْس. ويَبْقَى بَيْنَهُ هنالِكَ وبَيْنَ سَمْتِهِ من البَحْر الرُّوميِّ مسيرةُ يَوْمَيْنِ، ويَنْقطِعُ عندَ
[78 ب] السُّوَيْس والقُلْزُم. وبُعْدُه عن / مِصْرَ في جِهَةِ الشَّرْق ثلاثةُ أيّامٍ. هذا آخِرُ المَغْرِبِ عندَهم، ويَدْخُلُ فيهِ إقليمُ مِصْرَ وبَرْقَة، وكأنّ المَغْربَ عندَهم جزيرةٌ أحاطَتْ بها البِحارُ من ثلاثِ جِهاتِها كما تَراه.

وأمّا العُرْفُ الجاري لهذا العَهْدِ بَيْنَ سُكّانِ هذهِ الأقاليم، فلا يَدْخُلُ فيهِ إقليمِ مِصْرَ ولا بَرْقَة، وإنّما يَخْتَصُّ بطَرابُلُس وما وراءَها إلى جِهَةِ المَغْرِبِ، مِثْلَ إفريقيَّةَ والزّابِ والمَغْرِبِ الأَوْسَطِ والمَغْرِبِ الأقْصَى والسُّوسِ الأَدْنَى والأَقْصى. هذا هُو المَغْرِبِ في العُرْفِ لهذا العَهْد، وهُو الّذي كان في القَدِيمِ دِيارَ البرْبَرِ ومواطِنَهم.

• فأمّا المغربُ الأقصَى منهُ، وهو ما بَيْنَ وادي مَلويّةَ من جِهَةِ الشَّرْقِ إلى أَسَفِي حاضرةِ البَحْرِ المحيطِ وجبالِ دَرَنْ من جِهَةِ الغَرْب، فهُو في الأغْلَبِ

(أ) كذا ص ظ ولا معنى له وأظنها قراءة خاطئة تحتاج إلى تأمل وتأويل (ب) ص: قبلة.

ديارُ المصامِدَةِ من أَهْلِ دَرَنْ وبرْغُواطَةَ وغُمارة، وآخِرُ غُمارةَ بطّوية ممّا تلي غِسَاسَة ومعَهم عوالمُ من صِنْهاجَةَ ومَظْغَرَةَ وأَوْرَبةَ وغيرِهِمْ. ويُحيطُ بهِ البحرُ الكبيرُ من غربيّهِ والرّوميُّ من شماليّهِ، والجبالُ المتصاعِدَةُ المتكاثِفَةُ مثْلَ دَرَنْ من جانِبِ القِبْلة، وجبالُ تازَى من جِهةِ الشّرْق؛ لأنّ الجبالَ أكثرُ ما هيَ واكُثف قُربَ البِحارِ لِمَا اقتضاهُ التّكْوينُ من مُمانعةِ البِحارِ بها، فكانتْ جِبالُ المَغرِبِ لذلكَ أكثرَ، وكَثُرَ ساكِنُها من المَصامِدَة في الأغْلبِ وقليلٍ من صِنْهاجَةَ، وبقيَتِ البسائِطُ من المَغْربِ مثل أَزْغار وتامَسْنا وتادَلاَ ودكّالَةَ، اعْتَمرَها الظّواعِنُ من البَرْبَرِ والعربِ الطّارِينَ عليْهِ من جُشَم ورِيَاحٍ، فغَصَّ المغربُ بساكِنِيه من أُمَمٍ لا يُحْصيهم إلاّ خالِقُهم، وصار كأنّه جَزيرةٌ وبلدٌ واحِدٌ أحاطَتْ بهِ الجبالُ والبحارُ. قاعِدَتُه لهذا العَهْدِ فاسُ، وهيَ دارُ مُلكِهِ، ويمُرُّ فيهِ النّهرُ العظيمُ المعروفُ بوادي أُمّ رَبيع، وهو نَهْرٌ عظيمٌ يَمْتَنِعُ عُبورُه أيّامَ الأمْطارِ لاتّساعِه، ويَعظُمُ مَدُّهُ من/ البَحْرِ فيَنتهي إلى سَبْعينَ ميلاً أو [179]
ما يُقارِبُها. ومَصَبُّهُ في البَحْرِ الكبيرِ عندَ آزمور، ومَنْبَعهُ من جِبالِ دَرَنْ من فُوّهَةٍ كبيرةٍ يَنْبُعُ منها هذا النّهرُ ويَتساهَلُ إلى بَسيطِ المَغْرب. ويَنْبُعُ منها أيضاً نهرٌ آخرُ ويَنْحدِرُ إلى القِبْلَةِ ويَمُرُّ ببلادِ دَرْعَة ذاتِ النّخل، المخصوصةِ بنَباتِ النّيْلَج وصناعةِ اسْتِخْراجِه من شَجَرِه. وهيَ قُصورٌ ذاتُ نَخْلٍ، موضوعةٌ في سَفْح جبَل دَرَنْ من آخِرِه، وبها يُسَمَّى هذا النّهْرُ؛ ويُجاوِزُها إلى أن يَغُوصَ في الرّمْلِ قِبْلَةَ بلادِ السُّوس.

وأمّا نَهرُ مَلويةَ آخرَ المَغرب الأقصى، فهو نهرٌ عظيمٌ، مَنبَعُهُ من فُوّهَةٍ في جبالِ قِبلَةَ تازَى، ويَصُبُّ في البَحرِ الرّوميّ عندَ غِسَاسَةَ، وعليه كانَتْ ديارُ مِكناسَةَ المعروفةِ بهم في القَديم، ويَسكُنُها لهذا العَهْدِ أمّ أخرَى من زَناتَةَ في قصورٍ مُنتظِمةٍ إلى أعلى النّهرِ يُعرَفون بوطاط، وتُجاوِرُهم هنالِكَ وفي سائِرِ نَواحيهِ أمّ من البَرْبَرِ، أشهرُ مَن فيهم بَطالِسَةُ إخْوَةُ مِكْناسَة.

ويَنبُعُ معَ هذا النّهرِ من فوهَتِهِ نهرٌ كبيرٌ يَنحدِرُ ذاهِباً في القِبلَةِ مُشرّقاً بعضَ الشّيْءِ ويَقطَعُ العِرْقَ على سَمْتِهِ إلى أن يَنْتهيَ إلى بودَه، ثُمّ بَعْدَها إلى تَمَنطيت، ويُسمّى لهذا العَهْدِ كيرْ، وعليهِ قصورُها، يَمُرُّ إلى أن يَصُبَّ في القِفَار ويَغوصَ في رِمالِها. وعلى مَوْضِعِ مَغاصِهِ قصورٌ ذاتُ نَخْلٍ تُسمّى ركان.

وفي شَرْقِ بودَةَ ممّا وراءَ العِرْقِ قصورُ تسابيت من قُصورِ الصّحْراء، وفي شَرْقيّ تَسابيت إلى ما يَلي الجَوْف قصورُ تِيكُورارِينْ تَنْتهي إلى ثلاثِ مائةٍ أو أكثرَ في [وادٍ][1] واحدٍ مُنحدِرٍ من الغَرْبِ إلى الشّرق، وفيها أُمَمٌ من قَبائلِ زَناتَة.

• وأمّا المَغربُ الأوسَطُ فهو في الأغْلَبِ ديارُ زَنَاتَة، كان لِمَغْراوَةَ وبَني يَفْرَنَ، وكان معَهم مَديونَةُ ومَغيلَةُ وكومية ومَطْغَرَةُ ومَطْماطَة، ثُمّ صارَ من بَعْدِهم لبَني ومانوا / [79 ب] وبني يلومي، ثمّ صارَ لبَني عَبْد الواد وتُوجّين من بني يادِين. وقاعِدَتُه لهذا العَهْد تِلِمْسان، وهيَ دارُ مُلْكِه. وتجاوِرُه من جهةِ الشّرق بلادُ صِنهاجَةَ من الجَزائِر ومَتّيجَةَ والمديّةَ وما يَليها إلى بِجايَة.

(1) من ص د .

وقبائِله كلُّهم لهذا العَهْدِ مغلَّبُونَ[أ] للعَرَبِ من زُغْبة. ويمُرُّ فيهِ وادي شَلَف بَني واطِيلْ، النّهرُ الأعظمُ، مَنبَعُهُ من جَبَلِ راشِد في بلادِ الصَّحْراءِ، ويَدْخُلُ إلى التَّلِّ من بلادِ حُصَينٍ لهذا العَهْد، ثُمّ يَمُرّ مُغَرِّباً وتَجْتَمِعُ فيه سائِرُ أوْدِيَةِ المغربِ الأوْسَط، مثْلَ مينا وغَيْرِه، إلى أنْ يَصُبَّ في البَحْرِ الرُّوميّ ما بَيْنَ كَلْميتو ومسْتَغانِيم، ويَنْبُعُ من فُوَّهَتهِ نهرٌ آخرُ يذهبُ مُشرِّقاً من جَبَلِ راشِد ويمُرُّ بالزّابِ إلى أن يصُبَّ في سَبْخَةٍ ما بَيْنَ تَوْزرَ ونَفزاوَة معروفةٍ هنالِكَ، ويُسمَّى هذا النّهرُ وادِيَ شدي.

وأمّا بلادُ بِجَايَةَ وقسَنطينَة فهِيَ ديارُ زَواوَةَ وكُتامَةَ وعَجيسَةَ وهَوّارَة، وهيَ اليومَ ديارٌ للعَربِ إلاّ مُمْتَنِعَ الجبالِ، وفيها بقاياهم.

• وأمّا إفريقيَةُ كلُّها إلى طرابُلُس، فبَسائِطُ فيحٌ كانتْ دِياراً لنَفزاوَةَ وبَني يَفْرنَ ونفوسة وهَوّارَةَ ومَن لا يُحْصَرُ من قَبائِلِ البرْبَرِ، وكانتْ قاعِدَتُها القَيْروانَ، وهيَ لهذا العَهْدِ مَجالاتٌ للعَربِ من بَني سُلَيْم، وبَنو يَفْرَنَ وهَوّارَةَ مُغَلَّبونَ تحْتَ أيْديهم، قد تَبَدَّوْا معَهم ونَسُوا رَطانَةَ الأعاجِمِ وتكلَّموا بلُغَةِ العَربِ وتَحَلَّوْا بِشعارِهم في جَميع أحْوالِهم. وقاعِدَتُها لهذا العَهْدِ تونِس، وهيَ دارُ مُلْكِها، ويمُرُّ فيها النَّهْرُ الأعْظَمُ المعروفُ بوادِ بَجْرَدة، تجْتَمِعُ فيهِ سائرُ الأوْدِيةِ بها ويصُبُّ في البَحْرِ الرّوميِّ على مَرْحَلَةٍ من غَرْبيّ تونِس بموضعٍ يُعْرَفُ ببَنْزَرْت[ب].

(أ) ص: مغلوبون للعرب من زغبة (ب) ظ: بنزرت.

وأمّا بَرْقةُ، فدَرسَتْ مَعالمُها وخَرِبتْ أمصارُها وانْقرَضَ أمْرُها، وعادَتْ مجالاتٍ للعَربِ بعْدَ أن كانَت دِياراً للَوَاتَهْ وهَوّارَةْ وغَيْرِهم من البَرْبر، وكانتْ بها / الأمْصارُ المُسْتَبْحِرةُ، مثْلَ: لِبْدَةْ وزويلَةَ وبَرْقَةَ وقَصْرِ حَسّانَ وأمثالِها، فعادَتْ يَبَاباً ومَفاوزَ كأنْ لم تَكُنْ.

الفَصْلُ الثّالث:

في ذِكْرِ ما كانَ لهذا الجيل قَديماً وحَديثاً من الفَضائل الإنْسانيّةِ، والخصائص الشّريفَةِ الرّاقِيةِ بهم إلى مَراقي العِزّ ومَعارج السّلطان والمُلك

قد ذكَرْنا ما كان من أمْرِ هذا الجيل من البَرْبرِ، ووُفورِ عَدَدِه وكثْرَةِ قَبائِلهم وأحْيائِهم، وما مارَسوهُ من مُغالبةِ المُلوكِ ومُزاحَمةِ الدُّوَلِ مُنْذُ آلافِ من السّنينَ، من لَدُنْ خُروجِهم مَعَ بَني إسرائيلَ بالشّامِ وخُروجِهم عنهُ إلى إفريقيّةَ والمَغرب، وما كانَ منهم لأوّلِ الفَتْح [في] مُحارَبةِ الطّوالِع من المُسْلمينَ أوّلاً، ثُمّ في مُشايَعتِهم ومُظاهَرتِهم على عَدُوِّهم ثانياً، من المَقاماتِ الحَميدةِ والآثارِ الجَميلة، وما كان لدهْيا الكاهِنةِ وقَوْمِها بجبَلِ أوْرَاس من المُلْكِ والعِزِّ والكَثْرةِ قُبَيْلَ الإسْلام وبَعْدَهُ، حتّى تَغلّبَ عليهمُ العربُ، وما كان لِمِكْناسَةَ من مُشايَعةِ المسْلمينَ أوّلاً ثُمّ رِدَّتِهم ثانياً وتَحيُّزِهم إلى المَغْربِ الأقْصى وفِرارِهم أمامَ عُقْبةَ بن نافِع، ثُمّ غلَبِهم بعْدَ ذلك طوالعَ هِشامٍ بأرْض المَغْرب.

قال ابنُ أبي زَيْد: إنَّ البربرَ ارْتدّوا بالمغْربِ وإفريقيّةَ اثْنتَيْ عشْرةَ مَرّة، وزَحَفوا في كلّها للمُسْلمين، ولم يَثْبُتْ إسلامُهم إلاّ في أيّام موسَى بن نُصَيْر، وقيلَ بَعْدَها.

وتقدَّمَ ذكرُ ما كان لهم بالصحراءِ والقَفْرِ من البِلادِ وما شيَّدوا من الحُصونِ والآطامِ والأمصار، من سِجِلْماسَةَ وقصورِ تواتَ وتِيكُورَارِينْ وفيكيك ومصَابَ ووَارْكلا وبلادِ رِيغةَ والزّابِ ونَفْزاوَةَ والحِمَّةِ وغدَامِس، ثُمّ ما كان لهم من الأيّامِ والوقائِعِ والدُّوَلِ والمَمالِكِ، ثُمّ ما كان بيْنَهم وبيْنَ طَوالِعِ العَربِ من بني هِلالٍ في المائةِ الخامِسةِ بإفريقيّة، وما كان لهمْ معَ دَوْلةِ آلِ حَمَّادٍ بالقَلْعةِ، ومعَ لَمْتونَةَ بتِلِمْسَانَ وتاهَرْتَ من المُوَالا[ةِ] والانْحِراف، / وما اسْتَوْلَى عليه بَنو يادينَ آخِراً بإسْهامِ المُوحّدِينَ وإقْطاعِهم [80 ب] من بلادِ المغرِب، وما كان لبَني مَرينَ في الإجْلابِ على عِيرِ عَبْدِ المؤمنِ من الآثارِ، ما تشهَدُ أخبارُه كلُّها بأنّه جِيلٌ عزيزٌ على الأيّامِ، وأنّهم قومٌ مَرْهوبٌ جانِبُهم، شديدٌ بأْسُهم، كثيرٌ جَمْعُهم، مُضاهُونَ لأُمَمِ العالَمِ وأجْيالِه من العَربِ والفُرْسِ ويُونانَ والرّوم.

لكنّهم لمّا أصابَهم الفَناءُ وتَلاشَتْ عِصابَتُهم بما حصَلَ لهم من تَرَفِ المُلْكِ والدُّوَلِ الّتي تَكرَّرتْ فيهم، قَلَّتْ جُموعُهم وفَنِيَتْ عَصَائِبُهُم وعشائِرُهم، وأصبحوا خَوَلاً للدُّوَلِ وعَبِيداً للجِبايَة، واسْتَنْكَفَ كثيرٌ من النّاس عَن النّسَبِ فيهم لأجْلِ ذلك؛ وإلاّ فقدْ كانت أوْرَبَةُ وأميرُهم كَسيلَةُ عندَ الفَتْحِ كما سَمِعْتَ وزَناتةُ أيضاً، حتّى أُسِرَ أميرُهم وَزْمَارُ بنُ صُولاتٍ وحُمِلَ إلى المدينةِ إلى عُثْمانَ بن عَفّان. ومن بعْدِ ذلك هَوّارةُ وصِنْهاجَة، وبعدَهم كُتامَة، وما أقاموا من الدّوْلةِ الّتي مَلكوا بها المَغْربَ والمشرِقَ وزاحَموا بَني العبّاسِ في دِيارِهم، وغير ذلك منهم كثير.

• وأمّا تخلُّقُهم بالفضائِل الإنْسانيّةِ وتَنافُسُهم في الخِلالِ الحَميدةِ وما جُبِلوا عليهِ من الخُلُقِ الكريمِ، مَرْقاةِ الشّرفِ والرِّفعةِ بَيْنَ الأُمَمِ، ومَدْعاةِ المَدْحِ والثّناءِ: من عِزِّ الجِوَار، وحِمايةِ النّزيلِ، ورَعْيِ الأذِمَّةِ[1] والوسائل، والوَفاءِ بالقَوْل والعَهْد، والصّبْرِ على المكارِه، والثّباتِ في الشّدائِد، وحُسْنِ المَلَكة، والإغْضاءِ عن العُيوب، والتّجافي عن الانْتقام، ورَحْمةِ المسْكين، وبِرِّ الكبيرِ، وتَوْقيرِ أهْلِ الدِّينِ، وحَمْلِ الكَلِّ، وكَسْبِ المعْدوم، وقِرَى الضّيْف، والإعانةِ على النّوائِب، وعُلُوِّ الهِمّةِ، وإبايةِ الضّيْمِ، ومُشاقّةِ الدّوَل، ومُقارَعةِ الخُطوبِ، وغِلابِ الملوكِ، وبَيْعِ النّفوسِ منَ الله في نَصْرِ دينهِ، فلَهُم في ذلكَ آثارٌ يَنْقُلُها الخَلَفُ عن السّلَف، لو كانتْ مسطورةً لحُفِظَ منها ما يكونُ / أُسْوَةً لمُبْتَغيهِ من الأُمَم. وحسْبُكَ ما اكْتَسَبوهُ من حَميدِها واتّصَفوا [181]
بهِ من شَريفِها، أنْ قادَتْهم إلى مَراقي العِزِّ وأوْفَتْ بهم على ثَنايا المُلْك، حتّى علَتْ على الأيْدي أيْديهم ومَضَتْ في الخَلْقِ بالبَسْطِ والقَبْضِ أحكامُهم، وكان مشاهيرَهم بذلكَ من أهْلِ الطّبقَةِ الأُولى بُلُكّينُ بنُ زيري الصّنْهاجيُّ عاملُ إفريقيّةَ للعُبَيْديّين، ومحمّدُ بنُ خزَر، والخيْرُ ابنُهُ، وعَروبَة بنُ يوسُفَ الكُتاميُّ القائمُ بدَعْوةِ عُبَيْدِ الله الشّيعيّ، ويوسفُ بن تاشفينَ ملِكُ لَمْتونَةَ بالمَغرب، وعبدُ المؤمِن بنُ عليٍّ شيخُ الموحّدينَ وصاحبُ الإمام المهديّ. وكان عظماؤُهم من أهْلِ الطّبقَةِ الثّانية، السّابقونَ إلى الرّاية بَيْنَ يَدَيْ دُوَلِهم والماهِدونَ لمُلْكِهم بالمَغْربِ الأقْصى والأوْسَط، كبيرُهم

(1) الذّال مهملة في الأصول، ولعلّ الأوجه ما أثبت.

يعقوبُ بنُ عبدِ الحقِّ، سلطانُ بني مَرين، ويَغمَراسِنُ بنُ زيّانَ سلطانُ بني عبْدِ الواد، ومحمّدُ بن عبدِ القويِّ بن وَزمار كبيرُ بني تُوجّين، وثابِتُ بنُ مِنديلٍ أميرُ مَغراوَةِ أهْل شلَف، ووَزْمَار(أ) بنُ إبراهيمَ زعيمُ بني راشِدٍ المَتعاصِرونَ في أزمانِهم، المتَناغُونَ في تأْثِيل عِزِّهم والتّمْهيدِ لقوْمِهم، كلٌّ على شاكِلَتِه وقُوّةِ جَمْعهِ. فكانوا مِن أرْسَخِهم في تلْكَ الخِلالِ قَدَماً، وأطولِهم فيها يَداً، وأكثَرِهم لها جَمْعاً، طارتْ عَنهم في ذلكَ قبلَ المُلْكِ وبعدَهُ أخبارٌ عُنِيَ بنَقْلِها الأثْباتُ من البَرْبَرِ وغيرُهم، وبلَغَتْ في الصِحّةِ والشُهْرةِ مبلغَ التواتُر.

وأمّا إقامَتُهم لمراسم الشّريعةِ، وأخْذُهم بأحْكام المِلّةِ، ونَصْرُهم لدينِ الله، فقد نُقِلَ عنهم من اتّخاذِ المعلِّمينَ كتابَ اللهِ لصِبْيانِهم، والاسْتِفتاء في فُروض أعْيانِهم، وابتغاءِ الأئمّةِ للصّلَواتِ في بَواديهم، وتَدارُسِ القرآنِ بَيْنَ أحْيائِهم، وتَحْكيم حَملَةِ الفِقْهِ في نَوازِلِهم وقَضاياهم، وصاغيَتِهم إلى أهْلِ الخَيْرِ والدّينِ من أهْلِ عَصْرِهُم، التِماساً للبَرَكةِ في/ آثارِهم، وسُؤالاً للدّعاءِ من صَالِحِهم، [81 ب] واغْتِيامِهمُ(1) البَحْرَ لفَضْلِ المُرابَطَةِ والجِهاد، وبَيْعِهِمُ النّفوسَ من اللهِ في سَبيلِه وجِهادِ عَدُوِّه، ما يَدُلُّ على رسُوخ إيمانِهم وصِحّةِ مُعْتقداتِهم ومَتينِ دِياناتِهِمُ الّتي كانَتْ مَلاكاً لعِزِّهم ومَقاداً إلى سُلْطانِهم ومُلْكِهم.

وكان المُبَرِّزَ منهم في هذا المُنْتَحَلِ يوسُفُ بنُ تاشفينَ وعبدُ المؤمن بنُ عليٍّ وبَنوهم، ثُمّ يعقوبُ بنُ عَبْدِ الحقِّ من بَعْدِهم وبنوه، فقد كان لهم في

(أ) ظ: وزمان، ص: وزماره.

(1) اغتام الشيء أختاره.

الاهتمامِ بالعلْمِ والجِهادِ وتشييدِ المدارسِ واختطاطِ الزّوايا والرُّبُطِ وسَدِّ الثّغور، وبَذْلِ النّفوسِ في ذاتِ الله، وإنفاقِ الأموالِ في سَبيلِ الخيْرات ثُمّ مُخالطةِ أهْلِ العِلْمِ وترْفيعِ مكانِهم في مَجالِسِهم ومُفاوَضَتِهم في الاقْتداءِ بالشّريعَةِ والانْقيادِ لإشاراتِهم في الوَقائعِ والأحْكام، ومطالعةِ سِيَرِ الأنْبياءِ وأخْبارِ الأوْلياء وقراءَتِها بيْنَ أيْديهم في أواوينِ مُلكِهمْ ومَجالِس أحْكامِهم وقُصورِ عِزّهم، والتّعرُّض بالمقاعِدِ الخاصّةِ لسَماع شَكْوى المُتَظَلِّمينَ، وإنْصافِ الرّعايا من العُمّالِ، والضَّرْبِ على أيْدي أهْلِ الجَوْرِ، واتّخاذِ المساجِدِ بصَحْنِ دُورِهم وسُدَّةِ خِلافَتِهم ومُلكِهم، يَعْمُرونَ بالصّلَواتِ والسُّبُحاتِ والقُرّاءِ المرَتّبينَ لتِلاوَةِ كتابِ الله أحْزاباً بالعَشِيِّ والإشْراقِ على الأيّام، وتحْصينِ ثُغورِ المسْلمينَ بالبُنْيانِ المشيَّدة، والكتائب المُجَمَّرةِ، وإنْفاقِ الأمْوالِ العَريضة، شَهِدَتْ لهم بذلكَ آثارٌ تَخلّفُوها بَعْدَهم.

• وأمّا وُقوعُ الخَوارِق فيهم وظُهورُ الكامِلينَ في النّوْعِ الإنسانيّ؛ فقدْ كان فيهم من الأوْلياءِ المحَدّثينَ أهْلِ النُّفوسِ القُدّيسة، والعُلومِ المَوْهوبَةِ، ومِن حَمَلَةِ العِلْمِ عن التّابِعينَ ومَن بَعْدَهم من الأئمّةِ، ومن الكُهّانِ المَفْطورينَ على المطلَع للأسْرارِ المُغيَّبَة، ومنَ الغرائبِ الّتي خَرَقَتِ العادةَ، وأوْضَحتْ أدِلّةَ القُدْرَة، / ما يَدُلُّ على عَظيمِ عِنايةِ اللهِ بذلكَ الجيل وكَرامَتِه [182] لهم بما آتاهم من جِمَاعِ الخيْرِ وآثَرَهم بهِ من مَذاهبِ الكمال، وجَمَعَ لهم من مُفْترقِ خواصِّ الأناسيّ، يَنْقُلُ في ذلك أخبارِيُّوهُمْ عجائبَ.

فكان من مَشاهيرِ حَملَةِ العِلْمِ فيهم:

سَـفقو بنُ وَاسُول، جَدُّ بني مِدْرار مُلوكِ سِجِلْماسَة، أدركَ التّابِعِينَ وأخَذَ عن عِكْرِمَةَ مَوْلى ابن عبّاس، ذكَرَهُ غَرِيبُ بنُ حُميدٍ في تاريخِه[1].

ومنهم: أبو يَزِيدَ مِخْلَدُ بنُ كَيداد اليَفْرَنيّ صاحبُ الحمار، الخارِجُ على الشّيعةِ سنةَ ثِنْتَينِ وثلاثينَ وثلاثِ مائة، الدّائِنُ بدِينِ الخارجيّة، أخَذَ العِلْمَ بتَوْزَرَ عن مَشْيَختِها، ورأسَ في الفُتْيا، وقرَأ مَذاهبَ الإباضِيّةِ منَ الخوارج، وحذَقَ فيها، ثُمّ لَقِيَ عمّاراً الأعْمى الصُّفريَّ النّكّارَ، فلَقِنَ عنهُ من مَذاهِبهم ما انْسلَخَ به من آيةِ السّعادةِ بانْتحالِه، وهُو معَ ذلكَ من الشُّهْرةِ في هذا الجيلِ بحيثُ لا يُغْفَل.

ومنهم: مُنْذرُ بنُ سَعيدٍ قاضي الجماعةِ بقُرْطُبة، من ظواعِنِ ولْهَاصَه ثُم من سُومَاتَة منهم، مولِدُه عامَ عشْرةٍ ووفاتُه عامَ ثلاثةٍ وثمانينَ وثلاثِ مائة. كان من البُتْرِ، من وَلدِ مادَغِس، هلَكَ[2] على عَهْدِ عبدِ الرّحمن النّاصر.

ومنهم أيضاً: أبو محمّدِ بنُ أبي زَيْدٍ عَلَمُ المِلّة، وهو من نَفْزةَ أيضاً.

ومنهم علماءٌ بالنّسَبِ والتّاريخ وغيرِ ذلكَ من فُنون العلوم.

ومن المشاهيرِ في زَناتَة أيْضاً: موسى بنُ صالح الغَمْرِيُّ، معروفٌ عندَ كافّتِـهم معرفةَ وُضوحٍ وشُهْرة، وقد ذكَرْناهُ عندَ ذكرِ غُمْرةَ من شُعوبِ زَناتة،

(1) أبو عمار، غريب بن حُميد الهَمْداني الدُّهني الكوفي، تهذيب الكمال للمزي 5: 162 (الترجمة 4506 تحقيق العلامة بشار عوّاد. بيروت 1998) وله ترجمة في ثقات ابن حيان (حيدر آباد الدكن – الهند 1978) ولم نقف على كتابه.

(2) ترجمة القاضي منذر بن سعيد في جذوة المقتبس 326، ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس 2: 17، ابن الأثير: الكامل 8: 674 – وكانت وفاته بقرطبة في ذي القعدة 355 هـ.

وهُو وإنْ لم تَـقِفْنا الأخبارُ الصّحيحةُ على الجَليّ من أمْرِهِ في دِينِه، فهوَ من مَحاسنِ هذا الجِيلِ الشّاهِدةِ بوُجودِ أنحاءِ الخواصِّ الإنسانيّةِ فيهم من وِلايةٍ وكَهانةٍ وعِلْمٍ وسِحْرٍ وكلِّ نوعٍ من آثارِ الخَليقة.

ولقد تحدّثَ أهلُ هذا الجِيلِ فيما يَتحدّثونَ بهِ أنّ أُختَ يَعْلَى بن محمد اليَفْرَنيّ جاءتْ بولدٍ من/ [82 ب] غيرِ أبٍ ويُسَمُّونَهُ كَلْمَام، ويَذكُرونَ لهُ آثاراً في الشّجاعةِ خَرقَتِ العوائدَ ودلّتْ على أنّها مَوْهبةٌ منَ اللهِ اسْتأثرَهُ بها لم يُشارِكْه فيها غيرُه من أهْلِ جِلْدته. وربّما ضاقَتْ بذلك حَواصِلُ الخواصِّ منهم عن مُلْتَقَطِ هذه الكائنة، ويَجْهَلونَ ما يَتّسِعُ لها ولأمْثالِها من نطاقِ القُدْرة، فيَنْقُلونَ أنّ حَمْلَها كان إثْرَ اسْتِحْمامِها في عَيْنٍ حامِيةٍ هنالكَ، غِبَّ ما صدَرَ عن بعضِ السِّبَاعِ كانَتْ تَرِدُ فيها على النّاس ويَرِدُونَ عليها، ويَرَوْن أنّها عَلِقَتْ من فَضْلِ وُلوغةِ، ويُسَمّونَ ذلك المولودَ ابنَ الأسَد، لظُهورِ خاصّةِ الشّجاعةِ فيه.

وكثيرٌ من أمثالِ هذه الأخبارِ لو انصَرَفَتْ إليها عِنايَةُ النّاقلينَ لَملأَتِ الدّواوينَ. ولم يَزَلْ هذا دأبَهم وحالَهم إلى أن مَهّدوا من الدُّوَلِ وأثّلوا من المُلْكِ ما نَحنُ في سَبيلِ ذِكْرِه.

الفصل الرّابع:

في ذكرِ أخبارِهم على الجُمْلَة: من قَبْلِ الفَتْحِ الإسْلاميّ ومنْ بعْدِه إلى ولايةِ بني الأغْلب.

هؤلاءِ البرْبَرُ جيلٌ ذو شُعوبٍ وقَبائلَ أكْثَرَ من أنْ تُحْصَى حسبَمَا هُو معروفٌ في تَواريخِ الفَتْحِ بإفريقيَّةَ والمَغربِ، وفي أخْبار رِدَّتِهم وحُروبِهم فيها. نقَلَ ابنُ الرّقيق أنّ موسَى بنَ نُصَيْرٍ لـمّا فُتِحَتْ سفيوما كتَبَ إلى الوَليدِ بن عَبْدِ الملكِ أنّه صارَ لكَ من سَبْيِ سفيوما مائةُ ألْفِ رَأْسٍ، فكتَبَ إليهِ الوليدُ ابنُ عبدِ الملكِ: وَيْحَكَ! إنّي أظنُّها من بَعْضِ كِذْباتِك، فإنْ كنتَ صَادِقاً فهذا مَحْشَرُ الأُمَّة.

ولم تَزَلْ بلادُ المَغْربِ إلى طَرابُلُس بل وإلى الإسْكندَريّةِ عامرةً بهذا الجيلِ ما بَيْنَ البَحْرِ الرّوميّ وبلادِ السّودانِ مُنذُ أزْمنةٍ لا يُعْرَفُ أوّلُها ولا ما قَبْلَها. وكان دينُهم دينَ المجوسيّة، شأنَ الأعاجِم كلِّهم بالمَشْرِقِ والمَغرب، إلاّ في بَعْضِ الأحايِينِ يَدينونَ بدينِ من غَلَبَ عليهم من الأُمَم، فإنّ الأُمَم أهلَ الدّوَلِ العظيمةِ كانوا يَتَغلّبونَ عليهم؛ فقد غزَتْهم / ملوكُ اليَمنِ من قَرارِهم مِرَاراً على ما ذَكَرَ مُؤرِّخوهم، فاسْتَكانوا لغَلَبِهم ودَانوا بدينِهم. نقَلَ [183]

ابنُ الكَلْبيّ[1] أنّ حِمْيَراً أبا القبائِل اليمنيّةِ مَلَكَ المَغربَ مائةَ سنة، وأنّه الّذي ابتَنَى مدائِنَهُ، مثلَ إفريقيّةَ وصِقِلّيّة. واتّفقَ المؤرّخون على غزْو أفريقِسَ بن صيفيّ من التّبابِعةِ إلى المَغربِ كما ذكَرْناهُ، وكذلك أغْزَتْهم ملوكُ الرّوم من قَرارِهم برُومَةَ والقُسطَنطينيّة(أ)، وهُم الّذين خرّبوا مدينةَ قرْطاجَنّةَ ثمّ جدَّدوا بِناءَها كما ذكَرْناهُ في أخْبارِ الرّوم؛ واختَطّوا بسيفِ البحْرِ وما يليهِ من الأرْيافِ مُدُناً عظيمةَ الخُطّةِ وثيقةَ المباني شهيرةَ الذِّكْرِ باقيةَ المعالِم والآثار لهذا العَهْد؛ مثلَ: سُبَيْطلةَ وجَلُولا ومُرْناق وطاقَة وزانة وغيرِها من المدُنِ الّتي خرّبَها المسلمونَ من العَرَبِ لأوّلِ الفَتْح عندَ استيلائهم عليْها، وقد كانوا دَانُوا لعَهْدِهم ذلكَ بما تَعبَّدوهم بهِ من دِينِ النّصْرانيّةِ وأعْطَوْهم المَقادَةَ وأدَّوْا إليهم الجِبايةَ طواعيةً.

وكان للبرْبَرِ بالضّواحي وراءَ مُلْكِ الأمصار المَرْهوبةِ الحاميةِ ما [نُشاهِده](ب) من قُوّةٍ وعَديدٍ وعُدّةٍ وملوك ورؤساءَ وأقْيالٍ وأُمَراءَ لاَ يُرامونَ بذُلّ ولا يَنالُهم الرّومُ والفِرنْج في ضَواحيهم تلك بمَسْخَطةٍ ولا مَساءة.

ولقد صبّحَهم الإسلامُ وهم في مَلَكةٍ قدِ استَوْلَوا على رومَة، وكانوا يُؤَدّونَ الجِبايةَ لِهِرَقْلَ(ج) مَلِكِ القُسطنطينيّةِ(أ) كما كان المُقَوْقسُ صاحبُ الإسكندريّةِ وبَرْقَةَ ومِصْرَ يؤدّي الجِبَايةَ لهُ، وكما كان صاحبُ طرَابُلُسَ ولبْدَةَ

(أ) ظ: القسطنطينة (ب) في ظ د، مانشاه وفي ص مهملة، ولم نتبين معناها، فافترضنا - بتردُّد - ما أثبتناه، ويمكن أن يُفترض لها أيضا: ما شاء من قُوّة (ج) ص: لهم قل.

---

(1) لم نقِف عليه في كتبه.

وصَبْرةَ وصاحبُ صِقلّيَةَ وصاحبُ الأندلُس من القُوطِ، لِمَا كان الرّومُ أغلبَ على هؤلاءِ الأُمَمِ أجْمع، وعنهم أخذوا كلُّهم دينَ النّصرانيّةِ. فكان الفِرنْجةُ هُمُ الّذين وَلوا أمْرَ إفريقيّةَ، ولم تكنْ للرُّوم فيها وِلاية، وإنّما كان مَن كانَ منهم بها جُنداً للإفرِنج ومِن حُشودِهم. وما تسمَعُ / في كُتُبِ الفَتْح من ذِكْرِ الرّوم في فُتوح إفريقيّةَ فمِن بابِ التّغليب؛ لأنّ العربَ يَوْمَئذٍ لم يكونوا يَعرِفونَ الفِرنْج، وما قاتَلوا في الشّامِ إلاّ الرّومَ فظَنّوا أنّهمُ الغالِبونَ على أُمَمِ النّصرانيّة، [و] أنّ هِرَقْلَ هو مَلِكُ النّصْرانيّةِ كلِّها، فغَلّبوا اسمَ الرّوم على جَميع أُمَمِ النّصْرانيّةِ، ونُقِلَتِ الأخبارُ عن العَربِ كما هي؛ وإلاّ فجُرجيرُ المقتولُ عندَ الفَتْح من الفِرنْج ولَيْس من الرّوم، وكذا الأُمّةُ [الّذين] كانوا بإفريقيّةَ غالِبينَ على البَرْبرِ ونازِلينَ بمُدُنِها وحُصونِها إنّما كانوا من الفِرنْجَة.

وكذلكَ رُبّما كان بَعْضُ هؤلاءِ البَرْبَر دانُوا بدِينِ اليَهوديّة، أخَذوهُ عن بَني إسرائيلَ عنْدَ استِفْحالِ مُلكِهم، لقُرْبِ الشّامِ وسُلْطانهِ يَوْمَئذٍ منهم. كما كان جَرَاوةُ أهلُ جَبَلِ أوْرَاس قبيلةَ الكاهنةِ مقتولةِ العَرَبِ لأوّلِ الفَتْح، وكما كان نفوسة من بَرابِرِ إفريقيّةَ وفَنْدَلاوَة ومَديونَةَ وبَهْلولَةَ وغياثَةَ وبَنو فازازَ من بَرابِرةِ المَغْربِ الأقْصَى. حتّى مَحَى إدْريسُ الأكْبرُ النّاجِمُ بالمَغْرب من بَني حَسَن بن الحسَن جميعَ ما كانَ في نواحيهِ من بَقايا الأدْيانِ والمِلَل، فكانَ البَرْبرُ بإفريقيّةَ والمَغْربِ قُبَيْلَ الإسْلامِ تَحْتَ مَلَكةِ الفِرنْج وعلى دِين النّصْرانيّةِ الّذي اجْتَمعوا عليهِ معَ الرُّوم كما ذكَرْناه.

حتّى إذا كانَ الفتحُ، وزَحَفَ المسلمونَ إلى إفريقيَّةَ زمانَ عُثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ تِسعٍ وعشرينَ، وعلَيْهم عبدُ اللهِ بنُ سَعْد بن أبي سَرْح من بَني عامِر بن لؤيّ، فجَمَعَ لهم جرجيرُ مَلِكُ الفِرنْجةِ يومَئذٍ بإفريقيَّةَ مَن كان بأمْصارِها من الفِرنْج والرُّومِ، ومَنْ بضَواحِيها من جُموعِ البَرْبَرِ ومُلوكِهم، وكان يَمْلِكُ ما بَيْنَ طرابُلُس وطَنجَة، وكانتْ دارُ مُلكهِ سُبَيْطُلَة. فلقُوا المسلمينَ في زهاءِ مائةٍ وعشرينَ ألفاً [والمسلمونَ يومَئذٍ في عشرينَ ألفاً](أ)، فكان من هَزيمةِ العَربِ لهم وفتْحِهم لسُبَيْطلَةَ وتَخريبِهم إيّاها وقَتْلِهم جرجيرَ مَلِكَهم، وما نَفَّلَهم اللهُ [من] أمْوالِهم وبَناتِهمُ الّتي اختُصَّتْ منهُنَّ ابنته بقاتِلِهِ / [184] عبدِ الله بن الزّبَيْر، لعَهْدِ المسلمينَ لهُ بذلكَ بَعْدَ الهَزيمة، وخُلوصِهِ بخَبَرِ الفَتْح إلى الخَليفةِ والملإ من المسلمينَ بالمدينة، ما هُوَ كلُّه مذكورٌ مشهور.

ثُمّ أرزَ(1) الفِرنجةُ ومنْ معَهم من الرُّوم بَعْدَ الهزيمةِ إلى حُصُونِ إفريقيَّة، وانْساحَ المسلمونَ في البَسائِطِ بالغاراتِ، ووَقَعَ بينَهم وبَيْنَ البَرْبَرِ أهلِ الضَّواحِي زُحُوفٌ وقتالٌ، ونالوا منهُم بالقَتْلِ والسَّبْي، حتّى لقد حَصَلَ في أسْرِهم يومَئذٍ من مُلوكِهم وزمارُ بنُ صِقْلاَبَ جدُّ بني خَزَر، وهُو يومَئذٍ أميرُ مَغْراوَةَ وسائِر زَنَاتَة، ورَفَعوهُ إلى عُثمانَ بن عَفّانَ فأسْلَمَ على يَدَيْهِ، ومَنَّ عَلَيهِ وأطْلَقَهُ وعقَدَ لهُ على قَوْمِه؛ ويُقالُ: إنّما وصَلَهُ وافِداً.

(أ) من د، ص.

---

(1) أرزَ: انقبض ولاذ ملتجئا.

وخَصَّ المسلمونَ رِجَالاتِ البَرْبَرِ من الكرامَةِ بما لم يَبْذُلوهُ لأحدٍ من الأُمَمِ ولا من الفِرِنْجة، واسْتَمَرَّ الغَلَبُ للمُسْلمينَ عليهم، ولاذَ الفِرِنْج بالسِّلْم، وشَرَطوا لابْنِ أبي سَرْح ثلاثَ مائةِ قِنْطارٍ من الذّهَبِ على أنْ يَرْحَلَ عنْهم بالعَرَبِ ويُخْرِجَهُم من بِلادِهم، ففَعَل، ورجَعَ المسلمونَ إلى المشْرِقِ وشُغِلوا بما كان من الفِتَنِ الإسْلاميّة.

ثُمّ كان الاجْتماعُ والاتّفاقُ على مُعاويةَ بن أبي سُفْيان، وبعَثَ مُعَاويةُ ابن خُدَيْج[1] السَّكونيَّ من مِصْرَ لافْتتاح إفريقيّةَ سنةَ خَمْسٍ وأرْبعين، وبعَثَ مَلِكُ الرّوم من القُسْطَنْطينيةِ عساكِرَهُ لمُدافَعَتِهم في البَحْرِ فلم تُغْنِ شَيْئاً، وهَزَمَهُم العرَبُ بساحِلِ أجَم، وحاصَروا جَلُولا وفتَحوها وقَفَلَ معاويةُ ابنُ خُدَيْج إلى مصرَ. فوَلّى مُعاويةُ بنُ أبي سُفْيانَ على إفريقيّةَ بعدَهُ عُقبةَ بن نافِع، فاختَطَّ القَيْروانَ، وافتَرَقَ أمرُ الفِرِنْجةِ وصاروا إلى الحُصُون. وبَقِيَ البربَرُ بضواحِيهم، إلى أن وَلِيَ يزيدُ بنُ معاوِيَة ووَلّى على إفريقيّةَ أبا المُهاجِرِ مَوْلَى، وكانتْ رِئاسةُ البَرْبرِ يَوْمئذٍ في أوْرَبةَ لكُسَيلَةَ بنِ لمْزَم، وهُو رَأْسُ البَرانِس، ويُرادِفُهُ سكرديدُ بنُ رُوميّ بن مارزت من أوْرَبة، وكانا [84ب] / على دينِ النّصْرانيّة، فأسْلَما لأوّلِ الفَتْح ثُمّ ارْتَدّا عندَ ولايَةِ أبي المهاجِرِ واجْتَمعَ إليْهما البَرانِس. وزَحَفَ إليْهم أبو المهاجِر حتّى نزَلَ عُيونَ تِلِمْسَانَ فهزَمَهم وظَفِرَ بكُسَيلةَ فأسْلَمَ واسْتَبْقاه.

(1) ويعرف أيضا بحُدَيج. انظر التعليق على هذا الاسم في 7: 582، الحاشية 1.

ثُمَّ جاءَ عُقْبَةُ بعدَ أبي المهاجِر فنكَبَه غيظاً على صِحابَتِه لأبي المُهاجِر، ثُمَّ اسْتَفتحَ حصُونَ الإفرنْجةِ مثْلَ: باغاية ولميس، ولَقِيَهُ ملوكُ البَرْبرِ بالزّابِ وتاهَرْتَ ففَضَّهم جَمْعاً بعْدَ جَمْعٍ ودَخَلَ المغربَ الأقصَى، وأطاعَتْه غُمارَةُ وأميرُهم يومَئذٍ يلْيان. ثُمَّ أجازَ الى وَلِيلِي ثُمَّ إلى جبالِ دَرَنْ، وقاتَلَ المَصامِدَةَ وكانتْ بَيْنَهُ وبَيْنَهم حروبٌ، وحاصَروهُ بجِبالِ دَرَنْ، ونهضَتْ إليهم جُموعُ زَناتَةَ وكانوا خالصةً للمُسْلمينَ بَعْدَ إسلام مَغْراوَة، فأفرَجَتِ المَصامِدَةُ عن عُقْبة، وأثْخَنَ فيهم حتّى حَمَلَهم على طاعَةِ الإسْلام، ودَوَّخَ بلادَهم. ثُمَّ أجازَ إلى بلادِ السُّوسِ لِقتال مَن بها من صِنْهاجَةَ أهلِ اللِّثام، وهُمْ يَوْمَئذٍ على دينِ المَجُوسيَّةِ ولم يَدِينوا بالنَّصْرانيّة، فأثْخَنَ فيهم، وانتهى إلى تارودَانْتَ وهزَمَ جموعَ البَرْبَر، وقاتَلَ مَسّوفَةَ من وراءِ السُّوسِ وسَبَا منهم وقَفلَ راجِعاً، وكسيلةُ أثناءَ هذا كلِّه في اعْتقالِهِ يَحْمِلُه معَهُ في مُعَسْكرِهِ سائرَ غَزَواتِه. فلَمَّا قَفَلَ من السُّوس سَرَّحَ العساكرَ إلى القَيْروان، حتَّى بَقِيَ في خِفٍّ من الجُنود.

وتَراسَلَ كَسيلةُ وقومُه، فأرْصَدوا له بِتَهُودَا وانْتَهَزُوا فيهِ الفرصَةَ وقَتلوهُ ومَن مَعَهُ، وملَكَ كسيلةُ إفريقيَّةَ خمسَ سِنينَ، ونزَلَ القَيْروانَ وأعْطَى الأمانَ لِمَن بَقِيَ بها من مُخَلَّفِ العَربِ أهْلِ الذّراري والأثقال، وعَظُمَ سلطانهُ على البَرْبَر.

وزَحَفَ قَيْسُ بنُ زُهَيْرٍ البَلَوِيُّ في ولايَةِ عبْدِ المِلِك للثّأرِ بدَمِ عُقْبَةَ سنةَ سَبْعٍ وسِتّين، وجَمعَ لهُ كسيلةُ سائرَ البَرْبَر، ولقيَهُ بمَمْسَ من نَواحي

القَيْروان، فاشتَدَّ القتالُ بَيْنَ الفريقَيْن، ثُمَّ انهزَمَ البربرُ وقُتِلَ كسيلةُ ومَن لا يُحصَى منهم، واتَّبعَهُمُ / العرَبُ إلى مَرْمَجنَّةَ ثُم إلى مَلْوِيَة. وفي هذهِ الوَقْعة ذَلَّ البرْبَرُ وفَنِيَ فُرسانُهم ورِجَالُهم وخضدَتْ شوْكَتُهم، واضمَحَلَّ أمرُ الفِرنْجةِ فلم يعُدْ. وخافَ البَرْبرُ من زُهيْر ومنَ العَربِ خَوْفاً شديداً، [فلَجأوا][^أ] إلى القِلاعِ والحُصون. ثُمَّ ترهَّبَ زُهيرٌ بعْدَها وذَهبَ إلى المَشرق فاسْتُشْهِدَ ببَرْقَةَ كما ذكرناهُ.

واضطَرَمَتْ إفريقيَّةُ ناراً، وافترَقَ أمْرُ البَرْبرِ وتَعَدَّدَ سُلطانهُم في رُؤسائِهم، وكان من [أعظمِهم][^ب] شأناً يومَئذٍ الكاهنةُ دَهْيا بنتُ ثابتة بن تِيفانَ مِلِكَةُ جبَلِ أَوْرَاس، وقَوْمُها من جَرَاوةَ، ملوكُ البُتْرِ وزُعَماؤُهم. فبعَثَ عبدُ الملكِ إلى حَسّانَ بنِ النُّعمان الغَسّانيِّ عامِلِهِ إلى مِصْرَ أن يَخْرُجَ إلى جِهادِ إفريقيَّة، وبعَثَ إليهِ بالمدَدِ، فزحَفَ إليها سنةَ تِسْعٍ وستِّين، ودخَلَ القَيْروانَ، وغزَا قَرطاجَنَّةَ وافتَتَحها عَنْوةً، وهَربَ مَن كان بَقِيَ بها من الإفرنْجةِ إلى صِقِلِّيَةَ وإلى الأندلُس. ثُمَّ سألَ عن أعْظمِ مُلوكِ البَرْبر، فدَلُّوهُ على الكاهِنةِ وقومِها جَرَاوة، فمضَى إليها، حتَّى إذا نزَلَ واديَ مسْكِيانةَ زحَفَتْ إليهِ فاقْتَتلوا قِتالاً شَديداً، ثُمَّ انهزَمَ المسلمونَ وقُتِلَ منهم خلقٌ كثيرٌ، وأُسِرَ خالدُ بنُ يَزيدَ القَيْسيُّ، ولم تَزَلِ الكاهِنَةُ والبربرُ في اتّباعِ حَسّانَ والعَربِ حتّى أخرَجُوهم من عَمَلِ قابِس. ولَحِقَ حسّانُ بعَمَلِ طرابُلُس، ولَقِيَهُ كتابُ عبدِ الملكِ بالمُقام، فأقامَ وبَنَى قُصورَهُ وتُعْرَفُ لهذا العَهدِ به.

[^أ]: (أ) في المخطوطات: فلجوا ولعل الصواب ما أثبتناه
[^ب]: (ب) من د ص.

ثُمّ رجَعَتِ الكاهِـنَـةُ إلى مكانِها، واتـخذَتْ عـهْداً عـنْدَ أسيـرِها خالدٍ بالرَّضَاعِ معَ ابنِها؛ وأقامَتْ في سُلْطانِ إفريقيَّةَ والبَرْبَرِ خمسَ سِنينَ. ثُمّ بعَثَ عبدُ الملِكِ إلى حَسّانَ بالمدَدِ، فرجَعَ إلى إفريقيَّة سنةَ أربَعٍ وسَبْعينَ. وخرَّبَتِ الكاهنةُ جميعَ المدُنِ والضِّياعِ، وكانتْ من طَرابُلُس إلى طَنجةَ ظِلاًّ واحِداً في قُرىً مُتّصِلَةٍ. وشَقَّ ذلك على البَرْبَرِ فاسْتَأْمَنوا لحسّانَ فأمَّنَهم ووَجَدَ / السّبيلَ إلى تَفْريقِ أمْرِها، وزَحَفَ إليْها وهيَ في جُموعِها من البَرْبَرِ [85 ب] فانهَزَموا، وقُتِلَتِ الكاهنةُ بمكانِ البِئْرِ المعروفةِ بها لهذا العَهْدِ بجبَلِ أوْرَاس.

واسْتَأْمَنَ إليه البَرْبَرُ على الإسْلامِ والطّاعَة، وعلى أن يَكونَ معَهُ اثنا عَشَرَ ألفاً مُجاهِدينَ مَعَه، فأجابوا وأسْلَموا وحَسُنَ إسْلامُهم. وعَقَدَ للأكْبَرِ من وُلْدِ الكاهِنةِ على قَوْمِهم من جَرَاوَةَ على جَبلِ أوْرَاس لطاعَةٍ سَبَق بها إليهِ بإيعازِ أُمِّهِ وإشارتِها علَيْه بذلكَ، لأثارةِ علْمٍ كان لدَيْها بذلك من شَيْطانِها.

وانصرَفَ حَسّانُ إلى القَيْروانِ، فدَوَّنَ الدَّواوينَ، وصالَحَ مَن ألقى بيَدِه من البربرِ على الخَراجِ، وكتَبَ الخراجَ على عَجَم إفريقيَّةَ ومَن أقامَ معَهم على النَّصْرانيّةِ من البَرْبرِ والبَرانِس، واختَلَفَ أيدي البَرْبرِ فيما بَيْنَهم على إفريقيَّةَ والمَغرب، فخلَتْ أكثرُ البِلاد.

وقَدِمَ موسَى بنُ نُصَيْرٍ إلى القَيْروانِ وَالياً على إفريقيَّةَ، ورَأى ما فيها من الخَلاءِ، فكان يَنقُلُ العجَمَ من الأقاصي إلى الأداني، وأثْخَنَ في البَرْبَرِ

ودَوَّخَ المَغربَ، وأدَّى إليهِ البَربَرُ الطّاعةَ، ووَلَّى على طَنْجَةَ طارقَ بنَ زيادٍ، وأنزَلَ معَهُ سبعةً وعشرينَ من العَربِ[ا]، واثْنَيْ عَشَرَ ألفاً من البَرْبَر، وأمرَهم أن يُعَلِّموا البربرَ القُرآنَ والفِقْه[ب]، وقَفَلَ.

ثمّ أسلَمَ بقيّةُ البَرْبَر على يَدِ إسماعيلَ بن عَبْدِ الله بن أبي المُهاجِر سنةَ إحدى ومائة. وذكَرَ أبو محمّدِ بنُ أبي زَيْدٍ[ج]، أنّ: البرابرةَ ارْتَدّوا اثْنَتَيْ عَشرةَ مَرّةً من طرابُلُس إلى طَنْجَة، ولم يَسْتقِرّ إسلامُهم حتّى أجازَ طارقٌ وموسَى بنُ نُصَيْر إلى الأَنْدَلُس بعد أن دَوَّخَ المغربَ، وأجازَ معَهُ كثيرٌ[د] من رِجالاتِ البَرْبَر وأُمَرائِهم برَسْم الجهادِ، فاسْتَقَرّوا هُنالكَ من لَدُنِ الفَتْح، فحينَئذٍ اسْتَقرّ الإسْلامُ بالمغرِبِ وأذْعنَ البربرُ بحكْمِه ورَسَخَتْ فيهم كلمةُ الإسْلام وتَناسَوْا الرِّدَّة.

ثمّ نَبضَت فيهم عروقُ الخارِجيّةِ فَدانُوا بها، ولَقِنُوها من العَربِ النّاقِليها من مَنْبَعِها / بالعِراق. وتَعَدّدتْ طوائفُهم وتَشَعّبتْ طرُقُها من الإباضِيّةِ والصُّفريّةِ كما ذكرْناهُ في أخْبارِ الخوارج، وفشَتْ هذه البدْعةُ، واعْتَدَّها رؤوسُ النِّفاقِ من العَربِ وجَراثيمُ الفِتْنَةِ من البَرْبَر ذريعةً إلى الانْتِزاء على الأمْر، فأجْلَبوا في كلِّ جهةٍ ودعَوْا إلى عَقائِدِهم طَغامَ البَرْبَرِ يتْلُونَ عليهم مذاهبَ كُفرِها، ويلْبِسونَ الحقَّ بالباطِل فيها، إلى أنْ رَسَخَتْ فيهم كلماتٌ منها ووَشَجَتْ بيْنَهم عُروقٌ من غَرانيسِها.

(أ) كذا ظ ص د (ب) كذا وردت، في الأصول، وهي جملة معطوفة على ما قبلها، وغير واضحة الارتباط والأمثل أن تكون متصلة بالعرب الذي نزلوا طنجة مع ابن زياد ليعلموا (ج) كرر ابن خلدون هنا الاستشهاد غير مرة، ولم نقف على مصدره (د) د ص ظ: كثيراً.

ثُمَّ تطاوَلَ البَرْبَرُ إلى الفَتْكِ بأُمَراءِ العَربِ، فقَتَلوا يَزيدَ بنَ أبي مُسْلم سنةَ ثِنْتَيْنِ ومائةٍ لـمّا نقَمُوا عليهِ في بَعْضِ الفِعْلاتِ.

ثُمَّ انْتَقَضَ البربرُ بعدَ ذلكَ سنةَ ثِنْتينِ وعِشْرينَ ومائةٍ في وِلايةِ عَبْيدِ اللهِ بن الحَبْحابِ[1] أيّامَ هِشامِ بن عَبْدِ الملِكِ، لـمّا أوطأَ عساكِرَهُ بِلادَ السُّوس وأَثْخَنَ في البَرْبَرِ وسَبَى وغَنِمَ، وانْتَهَى إلى مَسّوفَةَ فقَتَلَ وسَبَى، وداخَلَ البربرَ منهُ رُعْبٌ، وبلَغَهُ أنّه يُخَمِّسُ البربرَ بأنّهم فَيْءٌ للمُسْلمينَ، فانتَقَضوا عليْه. وثارَ مَيْسرةُ المَطْغَرِيُّ بطَنْجَةَ على عَمْرِو بن عبدِ اللهِ فقَتَلَه وبايَعَ لعَبْدِ الأَعْلَى بن خُدَيْجٍ الإفريقيِّ، رُوميِّ الأَصْل ومَوْلَى العَرب، كان مُقدَّمَ الصُّفْرِيَةِ من الخَوارجِ في انْتِحالِ مَذْهبِهم، فقامَ بأمْرِهم مُدَّةً، ثمّ بايَعَ مَيْسرةُ لنَفْسِه بالخِلافَةِ داعِياً إلى نِحْلَتِه من الخارِجيّة على مَذْهبِ الصُّفْرِيّة. ثُمّ ساءَتْ سيرَتُه، فَنَقَمَ عليه البربرُ ما جاءَ بهِ فقَتَلوهُ، وقَدَّموا على أنْفُسِهم خالدَ بنَ حُميدٍ الزَّناتيّ. قال ابنُ عَبْد الحكَمِ[2]: هُو من هتّورةَ: إحْدى بُطونِ زَناتة، فقامَ بأمْرِهم وزَحفَ إلى العَرب، وسَرَّحَ إليهم عبدُ اللهِ بنُ الحَبْحابِ العساكرَ في مُقدِّمتِه، وعليْهم خالدُ بنُ أبي حَبيب، فالْتَقَوْا بوادي شَلَف. وانْهَزَمَ العربُ وقُتِلَ خالِدُ بنُ أبي حَبيبٍ ومن مَعهُ، وسُمِّيتْ وَقْعةَ الأشْراف. وانتقضَتِ البلادُ ومَرِجَ[3] أمرُ النّاسِ وبلَغَ الخبرُ / هشامَ بنَ عبد الملِك. [86 ب]

(1) البيان المغرب 1:51- 52.

(2) فتوح مصر 219.

(3) فسَد، واختلط، واضطرب، والتبس المخرج فيه.

ثُمَّ عزَلَ ابنَ الحَبْحابِ ووَلّى كُلْثومَ بنَ عِيَاضٍ القُشَيْرِيَّ سنةَ ثلاثٍ وعشْرِينَ، وسرَّحَهُ في اثْنَيْ عَشَرَ ألفاً من أهْلِ الشّامِ، وكتَبَ إلى ثُغورِ مِصْرَ وبَرْقَةَ وطَرَابُلُسَ أن يُمِدُّوه، فخَرَجَ إلى إفريقيَّةَ والمغرب حتّى بلَغَ واديَ طَنْجَةَ، وهُو وادِ سَبُو،[أ] فزحَفَ إليهِ خالدُ بنُ حُميد الزَّناتيُّ فيمَنْ معَهُ من البَرْبَرِ وكانوا خَلْقاً لا تُحْصى، ولَقُوا كُلْثومَ بنَ عِيَاض بَعْدَ أن هَزَموا مُقَدِّمَتَه، فاشتَدَّ القِتالُ بَيْنَهم وقُتِلَ كلثومُ وانْهزَمَتِ العساكرُ، فمضَى أهلُ الشّامِ إلى الأنْدَلُس معَ بَلْج بن بِشْر القُشَيْرِيّ، ومضَى أهلُ مصْرَ وإفريقيَّةَ إلى القَيْروان.

وبلَغَ الخبَرُ إلى هِشامِ بن عبْدِ المَلِك، فبَعثَ حَنْظَلةَ بنَ صَفْوانَ الكَلْبيَّ، فقَدِمَ القيروانَ سنةَ أربع وعشْرِينَ [و][ب] مائة، وهَوَّارةُ يومَئذٍ خَوارِجُ على الدّولةِ...[ج]، إليه منْهم عُكاشةُ بنُ أيّوبَ، وعبدُ الواحد بنُ يَزِيدَ في قومِهِما من هَوّارةَ ومَن تَبِعَهم من البَرْبَر، فهزَمَهم حَنْظَلَةُ بالقَرْنِ ظاهِرَ القَيْروان بَعْدَ قتالٍ شديدٍ، وقُتِلَ عبدُ الواحِد الهوّارِيُّ وأُخِذ عكاشةُ أسيراً، وأُحْصِيَ القَتْلَى في هذهِ الوَقيعة، فكانوا مائةً وثمانينَ ألفاً. وكتَبَ بذلكَ حَنْظلةُ إلى هِشام.

وسَمِعَها اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ فقال: ما غزوةٌ كنتُ أُحِبُّ أن أشهَدَها بعْدَ غزوةِ بَدْرٍ، أحبُّ إليَّ من غَزْوةِ القَرْن والأصْنام.

(أ) ص: واد سيس وأخبارها 218 (ب) ص: وأربع مائة، انظر البيان المغرب 1:58- (ج) الكلام متصل في د ص، وفراغ في ظ وحدها للدلالة على سقط، قد يكون في معنى [فخرج].

ثُم خَفَتَ صَوْتُ الخِلافَةِ بالمَشْرِقِ والْتاثَ أمرُها، لِمَا كان بَيْنَ بَني أُمَيَّةَ من الفِتْنَةِ، وما كان من أمرِ الشِّيعَةِ والخوارج مَعَ مَرْوان، وأفضَى الأمرُ إلى الإدالَةِ بِبَني العبّاسِ من بَني أميّةَ. وأجازَ البحْرَ عبدُ الرّحمن بنُ حَبيبٍ من الأنْدَلُس إلى إفريقيَّةَ لِمُلكِها، وغلَبَ حَنظلةَ عليها سنةَ ستٍّ وعِشْرينَ ومائة، فعادَتْ هَيْفُ إلى أدْيانِها. واسْتَشْرَى داءُ البَرْبَرِ، وأعْضَلَ أمرُ الخارِجيَّةِ ورُؤوسِها، فانْتَقَضُوا وتعاوَوْا من أطْرافِ البِقاعِ، وتَواثَبوا / على الأمْرِ بكلِّ [187] مَكانٍ داعِينَ إلى بِدْعَتِهم، وتَوَلّى ذلكَ يومَئذٍ صِنْهاجَةُ، وتَغلَّبَ أميرُهم ثابِتُ ابنُ وزيدونَ(أ) وقومُهُ على باجَةَ، وثارَ معَهُ عبدُ اللهِ بنُ سكرديدَ من أُمَرائِهم فيمَن تَبِعَهُ.

وثارَ بطرابُلُس عبدُ الجبّار والحارثُ من هَوّارة، وكانا يَدِينانِ برَأْيِ الإباضيَّة، فقتَلوا عاملَ طَرابُلُس بَكْرَ بنَ عنْيسٍ القيْسيَّ لمّا خرجَ إليهم يَدْعُوهم إلى الصُّلح، وبَقِيَ الأمرُ على ذلك مُدَّةً.

وثارَ إسماعيلُ بنُ زيادٍ فيمَن مَعَهُ من نفوسة، وتَغَلَّبَ على قابِس، ثمّ زحَفَ إليهم عبدُ الرّحمن بنُ حَبيبٍ سنةَ إحْدى وثلاثينَ، فقتَلَ عبدَ الجبّار والحارثَ وأوْعَبَ(1) في قَتْلِ البَرْبَرِ وأثْخَنَ فيهم، وزَحَفَ إلى تِلِمْسانَ سنةَ خَمْسٍ وثلاثينَ، فظفِرَ بها ودَوّخَ المغربَ وأذَلَّ مَنْ كان فيه مِنَ البَرْبَر.

(أ) كذا في ظ ص د .

(1) أوعب بمعنى أشرف، ومن معانيها خروج القوم كلهم إلى الغزو، لا يتخلف منهم أحد.

ثمّ كانَتْ بعد ذلكَ فِتْنَةُ وَرْفَجّومَةَ وسائِرِ قَبائل نَفْزاوةَ سنَةَ أربعين ومائة، وذلكَ [لَمّا] (أ) انْحرَفَ عبدُ الرّحمن بنُ حَبيب عن طاعةِ أبي جَعْفر، وقتَلَهُ أخَواهُ إلياسُ وعبدُ الوارِثِ. فَوليَ مكانَه ابنُه حَبيبٌ وطالَبَهُما بثأرِ أبيه، فقَتَلَ إلْيَاسَ، ولحِقَ عبدُ الوارث بوَرْفَجّومَةَ فأجارَهُ أميرُهم عاصِمُ ابنُ جَميلٍ، وتَبِعَهُ على شَأنِه يَزيدُ بنُ سُكُوم أميرُ وَلْهاصَةَ، واجْتَمعَتْ لهم كَلِمةُ نَفْزاوَة، ودَعَوْا لأبي جَعْفرٍ المَنصور. وزَحَفوا إلى القَيْروان ودَخَلوها عَنْوَةً، وفَرّ حَبيبٌ إلى قابِسَ، واتّبَعهُ عاصِمُ في نَفْزاوَةَ وقبائِلِهم، ووَلّى عليها عبدَ الملكِ بنَ أبي الجَعْد النّفْزيّ، ثُم انْهزَمَ حَبيبٌ إلى أَوْرَاس واتّبَعَهُ عاصِمٌ، فاعْتَرضَهُ عبدُ الملكِ بن أبي الجَعْد وجموعُ نَفْزاوَةَ الّذين كانوا بالقَيْروانِ وقَتَلوهُ، واستَوْلتْ وَرْفَجّومَةُ على القَيْروانِ وسائِرِ إفْريقيّةَ وقَتَلوا من كانَ بها من قُرَيْش، ورَبَطوا دوَابّهم بالمَسْجدِ الجامِع.

واشتدّ البلاءُ على أَهْلِ القَيْروان، وأنكَرَتْ ذلكَ - مِن فِعْلِ وَرْفَجُّومة ومن إليْهم من نَفْزاوَةَ - بَرابرةُ طرابُلُسَ الإباضيّةُ من هَوّارَةَ وزَناتَه، فَخَرجوا واجْتَمعوا إلى أبي الخَطّابِ عبْدِ الأعْلى بنِ [السَّمْح](ب) المَعافِريُّ، وقَصَدوا / طرابُلُسَ وأخْرَجوا عُمَرَ بنَ عثْمانَ القُرَشِيَّ، واسْتَولَى أبو الخطّابِ عليها، واجْتَمَعَ إليْهِ سائرُ البَرْبرِ الّذين هنالِكَ من زَناتَةَ وهَوّارَةَ، وزَحَفَ بهم إلى القَيْروانِ فقَتَلَ[1] عبدَ الملكِ بنَ أبي الجَعْد وسائرَ وَرْجُومَةَ ونَفْزاوَة، [87 ب]

(أ) من د ص (ب) ظ د: الشيخ، وأصلحت في د كما أثبت.

(1) البيان المغرب 71:1

واستَوْلى على القَيْروانِ سنةَ إحْدى وأربعين. ثُمّ وَلّى على القَيْروانِ عبدَ الرّحمن بنَ رُسْتُم، وهُو من أبناءِ رُسْتمَ أميرِ فارِس بالقادِسِيّة، كان من مَوالي العَربِ ومن رُؤوس هذه البِدْعَة. ورجَعَ أبو الخطّابِ إلى طرَابُلُس.

واضطرم المَغربُ ناراً، وانْتَزَى خَوارِجُ البَرْبرِ على الجهاتِ فملكوهَا، واجتَمعتِ الصُفريّةُ بمِكْناسَةَ بناحِيَةِ المغربِ الأقصى سنةَ أربعينَ ومائة، وقَدّموا عليهم عيسَى بنَ يَزيدَ الأسْودَ، وأسّسُوا مدينةَ سِجِلْماسَةَ ونزَلوهَا. وقَدِم محمّدُ بن الأشْعَثِ[1] والياً على إفريقيّةَ من قِبَلِ أبي جَعْفرٍ المَنْصُور، فزَحَفَ إليْهِ أبو الخطّاب ولَقِيَهُ بسَرْتَ، فهزَمَهُ ابنُ الأشعثِ وقتلَ البَرْبَرَ قَتْلاً ذَريعاً. وفرّ عبدُ الرّحمن بنُ رُسْتُمَ من القَيْروانِ إلى تاهَرْت بالمَغرِب الأوْسط، واجْتَمَعتْ إليهِ طوائِفُ البَرْبرِ الاباضيّةُ من لمَايَةَ ولَوَاتَة ورَجّالةٌ من نَفْزاوَة، فنزَلَ بها واختَطّ مدينَتَها سنةَ أربعٍ وأربعين. وضَبَطَ ابنُ الأشْعثِ إفريقيّةَ، وخافَهُ البَرْبر.

ثمّ انتقَضَ بَنو يَفْرَنَ من زَنَاتَةَ ومَغيلَةَ من البَرْبر بنَواحي تِلِمْسَان، وقَدّموا على أنفُسِهم أبا قُرّةَ من بَني يَفْرَنَ، ويقَالُ: إنّه من مَغيلَةَ وهُو الأصَحُّ في شأنِه، وبُويِعَ لهُ بالخِلافةِ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ ومائةٍ. وزَحفَ إليهِ الأغْلَبُ ابنُ سوادةَ[1] التّميميُّ عاملُ طُبْنَة، فلمّا قَرُبَ منهُ هَربَ أبو قُرّة، فنزَلَ الأغْلَبُ الزّابَ، ثُمّ اعتزَمَ على تِلِمْسَانَ ثُمّ طنْجَةَ ورجَعَ عنهُ الجُنْدُ فرجَع.

(١) ظ: سودة.

---

(1) البيان المغرب 72:1 .

ثُمَّ انتقَضَ البربرُ من بَعْدِ ذلكَ أيّامَ أبي حَفْصٍ من وَلَدِ قَبيصَةَ بنِ أبي صُفْرَةَ، أخي المهلَّب، وكان يُلَقَّبُ [هَزارمَرْد][1] سنةَ إحْدى وخَمْسين، واجْتَمعوا بطرابُلُس/ وقَدَّموا علَيْهم أبا حاتِمٍ يَعْقوبَ بنَ حَبيبِ بنِ مَدْيَنَ ابنِ يَطُّوفَتْ من أُمَراءِ مُغِيلَةَ ويُسَمَّى أبا قادِمٍ، وزَحَفَتْ إليْهم جنودُ [عَمْرو][2] ابن حفْصٍ فهزَمُوها ومَلَكوا طَرابُلُس، وزَحَفوا إلى القَيْروانِ فحاصَروها.

ثُمَّ زحَفَ البرابرَةُ من الجانِبِ الآخَرِ إلى [عَمْرو] بطُبْنَةَ فحاصَروهُ في اثْنَيْ عشَرَ عَسْكراً، وكان منْهم: أبو قُرَّةَ في أرْبعينَ ألفاً من الصُّفْريّة، وعبدُ الرَّحمن بنُ رُسْتُمَ في سِتَّةِ آلافٍ من الإباضِيّة، والمِسْوَر بنُ هاني في عشرَةِ آلافٍ كذلكَ، وجريرُ بنُ مَسْعودٍ فيمَن تَبِعَهُ من مَدْيونَةَ، وعبدُ الملِكِ بنُ سكرديدَ الصِّنْهاجيُّ في ألْفينِ منهم منَ الصُّفْريّة. واشْتَدَّ الحِصارُ على [عَمْرو] ابن حَفْص، فأعْمَلَ الحِيلَةَ في الخِلافِ بيْنَ جَماعَتِهم، وكان بَنو يَفْرَنَ من زَناتَةَ أكثرَ البرابرَةِ يَوْمَئذٍ جَمْعاً وأشَدَّهم قُوّةً، فصالَحَ أبا قُرَّةَ زعيمَهم على أرْبعينَ ألْفاً، وأعْطَى ابنَهُ في إتْمامِ ذلكَ أربعةَ آلافٍ. وافْتَرَقوا وارْتَحلوا عن طُبْنَةَ. ثُمَّ بعَثَ بَعْثاً إلى ابنِ رُسْتُم فهزَمَهُ ودخَلَ تاهَرْتَ مَفْلولاً، وزَحَفَ [عَمْرو] ابنُ حَفْصٍ إلى أبي حاتِمٍ والبَرْبرِ الإباضِيَّةِ الّذين مَعَهُ، ونَهَضُوا إليْه، فخالَفَهم إلى

(1) في النُّسخ: هَزارمُرد، وانظر العبر 7: 603 حيث ذكرت في أصوله الخطية مجوّدة: هَزارمُرْد أيضًا وفي الكامل 5: 509 وغيرها: هَزارمَرْد. وهو عمرو بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة. فاعتمدنا قراءة ابن الأثير وابن حزم. ومعنى هذا الاسم الفارسي كما شرحه محقق الجمهرة العلامة عبد السلام هارون نقلاً عن البيان والتبيين للجاحظ وتاريخ الطبري وكتاب الأغاني: الرجل أو الانسان، سمي بذلك إذ كان مشهورًا بالشجاعة والإقدام (الجمهرة 368– الحاشية 3).

(2) في الأصول: عمر خطأً وتكررت، والتصويب عن البيان المغرب 1: 78 وجمهرة ابن حزم 368.

القَيْروانِ وشَحنَها بالأقواتِ والرِّجالِ، ثُمّ لَقِيَ أبا حاتِم والبَرْبَرَ وهَزَموهُ، ورَجَعَ إلى القَيْروانِ، فحاصَروهُ وكان في ثلاثِ مائةٍ وخَمْسينَ ألفاً، الخيْلُ منها خمسةٌ وثلاثونَ ألفاً، وكانوا كلُّهم إباضيةً. وطالَ الحصارُ، وقُتِلَ [عَمْرو] بنُ حَفْصٍ في بَعْضِ أيّامِه سنةَ أرْبع وخَمْسينَ ومائة، وصالحَ أهلُ القَيْروانِ أبا حاتِم على ما أحَبَّ، وارْتَحل.

وقدِمَ يزيدُ [بن حاتم](أ) بنُ قَبيصةَ بنِ المُهلَّب سنةَ أرْبعٍ وخَمْسينَ ومائةٍ والِياً على إفريقيّة، فزحَفَ إليه أبو حاتِم بعْدَ أن خالَفَ عليهِ عُمرُ بنُ عثْمانَ الفِهْريُّ، وافْتَرَقَ أمرُهم، فلَقِيَهُ يزيدُ بنُ حاتِم بطرابُلُس، فقُتِلَ أبو حاتِم وانهزَمَ البَرْبرُ ولَحِقَ عبدُ الرّحمن بنُ حَبيبِ بنُ عَبْدِ الرّحمن - من أصْحابِ أبي حاتم – بكُتامَةَ، وبعَثَ إليهِ المُخارِقَ بنُ غِفارٍ الغِفاريَّ فحاصرَهُ ثمانيةَ / أشهرٍ، ثُمّ غلَبَ عليهِ فقَتَلهُ ومَن كانَ معَهُ من البَرْبَرِ، وهَرَبوا إلى كلِّ [88 ب] ناحيةٍ: وكانتْ حروبُهم مَعَ الجُنْدِ من لَدُنْ قَتْلِ [عَمْرو] بنِ حَفْصٍ بطُبْنَةَ إلى انْقضاء(ب) ثلاث مائة وخمسة وسبْعينَ حَرْباً.

وقدِمَ يزيدٌ إفريقيّةَ، فأزالَ فسادَها ورتّبَ القَيْروان، ولم تزَلِ البلادُ هادئةً. وانتقَضَ وَرْفَجُومَةُ سنةَ سَبْعٍ وخَمْسينَ، وولَوا علَيْهم رَجُلاً [منهم](ج) اسمُه [أبو](ج) زَرْجونة، فسرَّحَ إليهم يزيد من عشيره ابنَ مَجزأةَ المُهلَّبي فهزَموهُ، واستأذَنهُ ابنُه المهلَّبُ وكان على الزّابِ وطُبْنَةَ وكُتامَةَ في الزّحْفِ

(أ) من البيان المغرب 78:1 (ب) الكلام متصل في النسخ، وهو موضع سقط في معنى: [أمْرِهم] (ج) من د ص.

إلى وَرْفَجُّومة، فأذِنَ لهُ وأمَدَّهُ بالعَلاءِ بن سَعيدِ بن مَرْوانَ المهَلَّبِيّ من عَشيرتِهم أيضاً. فأوْقَعَ بهم وقَتَلَهم أبرحَ قَتْلٍ. وانتَقَضَ نَفزاوَةُ من بَعْدِ ذلِكَ في سُلْطان ابْنهِ دَاودَ من بَعْدِ مَهْلِكِهِ سنةَ إحْدى وستّينَ ومائةٍ، ووَلَّوْا عليهم صالَحَ بنَ نُصَيْرِ النَّفزيّ، ودَعَوْا إلى رأيِهم رَأْيِ الإباضِيّة، فسَرَّحَ إليْهم ابنَ عَمِّه سُليمانَ بنَ الصِّمّة في عَشرةِ آلافٍ، فهزَمَهم وقتَلَ البَرْبَرَ أبرحَ قَتْلٍ. ثُمّ تَحيَّزَ إلى صالحِ بن نُصَيْرٍ ومَنْ لم يَشْهَدِ الأولى من البَرْبَرِ الإباضِيّة، واجْتَمعُوا بشقْبَنَاريةَ فهزَمَهم سُليمانُ ثانيةً وانصرَفَ إلى القَيْروان. ورَكَدَتْ رِيحُ الخَوارجِ من البَرْبَرِ بإفريقيَّةَ وتداعَتْ بِدْعَتُهم إلى الاضْمِحْلال.

ورَغِبَ عبدُ الوهّاب بنُ رُسْتُمَ صاحبُ تاهَرْتَ سنةَ إحْدى وسَبْعينَ في مُوادَعَةِ صاحِبِ القَيْروانِ رَوْحِ بن حاتِم بن قَبيصَةَ بن المُهلَّب، فوادَعَهُ وانخَضَدَتْ شَوكَةُ البَرْبَر، واسْتكانوا للغَلَبِ وأطاعوا للدِّينِ، فضَرَبَ الإسلامُ بجِرَانِهِ، وألْقَتِ الدّولةُ المُضَريّةُ على البَرابِرِ بكَلْكَلِها.

وتَقَلَّدَ إبراهيمُ[1] بنُ الأغْلَب التّميميُّ أمرَ إفريقيَّةَ والمَغربِ من قِبَلِ الرّشيدِ هارونَ سنةَ خَمْسٍ وثَمانينَ ومائة[2]، فاضْطَلعَ بأمْرِ هذه الوَلايةِ وأحْسَنَ السّيرةَ وقَوّم المُنْآدَ ورأبَ الصَّدْعَ وجَمعَ الكلِمةَ، ورَضِيَتِ الكافّةُ، واسْتَقلَّ / بولايَتِها غيرَ مُنازَعٍ ولا مَشْنوءٍ، وتوارَثَها بنوهُ خالِفاً عن سالِفٍ، فكانتْ لهم بإفريقيَّةَ والمغربِ الدّوْلَةُ الّتي ذكَرْناها من قَبْلُ، إلى أنِ انقَرَضَ

(1) البيان المغرب 1:92.

(2) عند الطبري 8: 272، وابن الأثير 6: 166: سنة أربع وثمانين ومائة.

أمْرُ العرَبِ بإفريقيَّةَ على زيادَةِ اللهِ[1] عاقِبِهم الفارِّ إلى المَشْرقِ أمامَ كُتامَةَ سنةَ سِتٍّ وتِسْعينَ ومائتَيْنِ كما نَذْكُرُهُ.

وخرَجَ كُتامةُ على بَني الأغْلَب بدَعْوةِ الرافِضِيَّةِ، قامَ بها فيهم أبو عَبْدِ اللهِ المحتَسبُ الشِّيعيُّ داعِيةُ عُبَيْدِ الله المهْديّ، فكانَ ذلكَ آخرَ عَهْدِ العَرَبِ بالمُلْكِ والدَّوْلةِ بإفريقيَّة، واسْتَقَلَّ كُتامَةُ بالأمْرِ من يَوْمِئذٍ، ثُمَّ مَنْ بَعْدَهم من بَرابِرةِ المَغْرب، وذهبَتْ ريحُ العَرَبِ ودَوْلَتُهم من المَغْربِ وإفريقيَّةَ، فلم يكنْ لهم بِهِ من بَعْدُ دوْلَةٌ إلى هذا العَهْد، وصارَ المُلْكُ للبَرْبَرِ وقبائِلِهم يَتَداوَلونَهُ طائِفةٌ بَعْدَ أُخرى وجيلاً من بَعْدِ آخَر، تارةً يَدْعونَ إلى الأُمَويّينَ الخُلفاءِ بالأنْدَلُس، وتارةً إلى الهاشِميّينَ من بَني العبّاس وبَني الحسَنِ وبني الحُسَيْن، ثُمَّ استَقَلّوا بالدَّعْوةِ لأنْفُسِهم آخِراً حَسْبَما نَذْكُرُ ذلكَ كلَّه مُفَصَّلاً عندَما يَعْرِضُ لنا من ذِكْرِ دُوَلِ زَناتَةَ والبَرْبرِ الّذين نحنُ في سِياقَةِ أخْبارِهم.

(1) ابن الأغلب.

● الخبرُ عن البرابِرةِ البُتْرِ وشُعوبِهم.
ونَبدأُ منهم أوّلاً بذكرِ نفوسة وبُطونِهم وتصاريفِ أحْوالهم.

كان مادغسُ الأبتَرُ جَدُّ البرابرةِ البُتْرِ، وكان ابنُه زجّيك، ومنهُ تشَعّبتْ بطونُهم، فكان لهُ من الوُلْدِ فيمَا يَذكُرُ نَسّابةُ البَرْبرِ أربعةٌ: نَفوس، وإدّاس، وضَرِي، ولَوَى[أ]. فأمّا إدّاسُ فصار في هَوّارَة، لما يُقالُ من أنّ هوّارَ خلَفَ أباهُ زجّيك على أُمّهِ قَبْلَ فِصَالِه، فانْتَسبَ إليْهِ واخْتَلطَ بوُلْدِه واندرجَتْ بطونُ إدّاسَ في هَوّارةَ كما ذكَرْناهُ. وأما ضَرِي ولَوَى فسنأتي بذِكْرِ بطونِهم واحِداً واحِداً.

وأمّا نَفوسُ فهُو بطنٌ واحدٌ تُنْسَبُ إليه نفوسة كلُّها، وكانوا من أوْسعِ
[89 ب] قبائلِ البَرابرِ، وفيهم شعوبٌ كثيرةٌ، مثلَ: بني زَمّور/ وبني مكْسور و[ماطوسةَ][ب]. وكانتْ مَواطِنُ جُمْهورِهم بجهاتِ طَرَابُلُس ومَا إليها، وهنالِك الجبلُ المعروفُ بهم لهذا العَهْد، وهُو على ثلاثِ مراحلَ من قِبْلةِ طرابُلُس، تَسكنُهُ اليومَ بقَاياهم. وكانتْ مَدينةُ صَبْرَةَ قبْلَ الفَتْح في مواطِنِهم وتُعزَى إليْهم، وهِيَ كانتْ باكُورةَ الفتْحِ الأوّلِ للإسْلام[ج]، وخرّبَها العربُ بعْدَ استيلائِهم علَيْها، فلم يَبْقَ منها إلاّ أطلالٌ ورسُومٌ خافِية.

وكان من رِجَالاتِهم إسماعيلُ بنُ زيادٍ المُتغلِّبُ على قابِسَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وثلاثينَ ومائةٍ لأوّل الدّولةِ العبّاسيّةِ. ومنْهم لهذا العَهْدِ أوْزاعٌ مُفْترقون في

(أ) ظ، كتب لوا بالمدّ وفي د ص بالقصر (ب) د ص، ظ: ماطاسة (ج) ظ: الإسلام.

الأقطارِ بعمَالاتِ مِصْرَ والمغْربِ، واللهُ وارثُ الأرْضِ ومن عَلَيْها.

وأمّا لَوَى فـمِن وُلْده: نَفْزاوَةُ ولَوَاتَةُ كما يُذْكَرُ.

❁ الخبرُ عنْ نَفْزاوةَ وبُطونِهم وتصاريفِ أحوالِهم.

وهم بَنو يَطّوفت بن نَفْزَاو بن لَوَى الأكْبرِ بن زجّيك، وبطونُهم كثيرةٌ، مثْلَ: غِسَاسةَ ومَزْنِيسَةَ وزهيلةَ وسوماتةَ وزاتيمةَ ووَلْهاصَةَ ومجرةَ وورسيف. ومن بُطونهم: مكْلاتَة، ويقالُ: إنّ مكْلا من عَربِ اليَمن، وقَعَ إلى يَطّوفت صَغيراً فتبنّاهُ وليْس من البَرْبر. ولمكْلاتة بطونٌ متعدِّدةٌ مثْلَ: بني وَرْيَاكُل[أ]، وكَرْنَتَايَه، وبني يصلتّنْ، وبني ديمار، وزيحون وبني سَرّاين. ويُقالُ إنّ غِسَاسَةَ منهم، هكذا عِندَ[ب] نَسّابةِ البَرْبَرِ مثْلَ سَابقٍ الْمَطْماطيّ وغيرِه.

ومن بُطونِ وَلْهاصَة: [ج]ورْتَـدِّين من دِحْيةَ بن وَلْهَاص، ووَرْفَجُومةُ من ورْدغُورَش[د] بن وَلْهَاص. ومن بطون وَرْفجُومَةَ زكّولَةَ[هـ] لزكّال ابن ورْفجّوم إلى بطونٍ أُخرى كثيرة. وكان وَرْفـجُومَةُ هؤلاء أوسعَ بطونِ نَفْزاوَةَ وأشدَّهم بأْساً وقوّةً.

ولمّا انْحرَفَ عبدُ الرّحمن بنُ حَبيبٍ عن طاعَةِ أبي جَعْفرٍ المنصور، وقتَلَهُ أخواهُ عبدُ الوارثِ وإلْياسُ، وطالَبَهُما ابنُه حَبيبٌ بالثّأر، فلَحِقَ عبدُ الوارثِ بوَرْفـجُومَة، ونزَلَ على أميرِهـم عاصِـم بن جَميل بـأوْرَاس، وكـان / كاهِناً، فأجارَهُ وقام بدَعْوةِ أبي جَعْفرٍ المنصُور واجْتمعَتْ إليه نَفزاوَةُ، وكان من رِجَالاتِـهم: عـبدُ الـملكِ بنُ أبي الـجَعْد، ويَـزيدُ بنُ سُكّوم، وكانوا يَدِينونَ

(أ) وردت هنا بالغين "ورياغل" فأجريناها كما وردت بالتغليب (ب) ص: غزله (ج) حاشية في د بخط المؤلف، فيها: ويقال لبطون بني يصليتن والظاهر أنهم من مكلاته (د) د: يدغاش (هـ) مضافة في الحاشية، وموقعها في النص به: زجالة، وعليها علامة الإلغاء.

بدينِ الإباضِيّةِ من الخوارجِ. وزَحَفُوا إلى القَيْروانِ سنةَ أربعينَ ومائة، وفرَّ عنها حَبِيبُ بنُ عبدِ الرّحمن، ودخَلَها عبدُ الملِكِ بنُ أبي الجَعْدِ وقَتَلَ حَبِيباً، واسْتَوْلَتْ نَفْزاوَةُ على القَيْروانِ، وقَتَلوا مَن كان بها من قُرَيْش وسائِرِ العَرب، ورَبطوا دَوابَّهم بالمسْجد، وعَظُمَتْ حَوادِثُهم. ونَكِرَ ذلك الإباضيّةُ من بَرابرةِ طَرابُلُس، وتَوَلّى كِبْرَها زَناتةُ وهَوّارَةُ، فاجْتَمعوا إلى أبي الخَطّابِ ابن السَّمْح من رِجَالاتِ العَربِ واستَوْلَوا على طَرابُلُس ثمّ على القَيْروانِ سنةَ إحْدَى وأربعين، وقَتَلوا عبدَ المَلِكِ بنَ أبي الجَعْدِ وأثْخَنوا في قَوْمِه من نَفْزاوَةَ ووَرْفَجُّومَة، ورجَعُوا إلى طرابُلُس بعدَ أن استَعْمَلَ أبو الخَطّابِ على القَيْروانِ عبدَ الرّحمن بنَ رُسْتُم.

واضْطَرَمَ المغربُ ناراً، وعَظُمَتْ فِتْنةُ وَرْفَجُّومَة هؤلاء، إلى أن قَدِمَ محمّدُ بنُ الأشعَثِ سنةَ ستٍّ وأربعينَ من قِبَلِ المنْصور، فأثْخَن في البَرْبَرِ وأطفَأ نارَ هذه الفتْنةِ كما قَدّمناهُ.

ولـمّا اختَطَّ [عَمْرو] بنُ حَفْص مدينةَ طُبْنَةَ سنةَ إحْدى وخَمْسينَ، أنْزَلَ وَرْفَجُّومة هؤلاءِ بها بما كانوا شِيَعاً لَهُ، وعَظُمَ غَناؤهم منها عندَما حاصرَهُ بها ابنُ رُسْتُم وبنو يَفْرَنَ، ثُمّ انتَقَضُوا - بَعْدَ مَهْلِكِ [عَمْرو]- على يَزيدَ ابن حاتِمٍ عندَ قُدومِه على إفريقيّةَ سنةَ سَبْعٍ وخَمسين، ووَلوا عليهم أبا زَرْجونَةَ، وسَرَّحَ إليهم يزيدُ العساكرَ معَ ابنِهِ وقَوْمِه فأثْخَنوا فيهم. ثُمّ انتَقَضَتْ نَفْزاوَةُ على أبيهِ داودَ ودعَوْا إلى دِينِ الإباضِيّة ووَلَّوْا عليهم صالحَ بنَ نُصَيرٍ منْهم،

فزحفَتِ العساكرُ إليهم بشَقْبَنَاريَةَ وقَتلُوهم أبرحَ قَتْل، وعليها كان ركودُ ريحِ الخوارجِ بإفريقيّةَ وإذعانُ البَرْبَر.

[90ب] وافترَقَ بنو وَرْفَجوُم بعدَ ذلكَ وانقَرَضَ أمرُهم / وصاروا أوْزاعاً في القبائل. وكان زَجَالَة(أ) منهم بَطْناً متّسِعاً، وكان منهُم رِجَالاتٌ مَذكورونَ في أوّلِ العُبَيْديِّينَ وبَني أُميّةَ بالأنْدَلُس، منهم: بنو [الزجّاليّ](ب) الكُتّابُ بقُرْطبة، وبَقِيَ منهم لهذا العَهْدِ فِرَقٌ بِرماجَنّة، وهنالِكَ قريةٌ ببسيطِها تُنْسَبُ إليهم.

وأمّا سائِرُ وَلْهاصَةَ من ورْفَجُومَةَ وغيرِهم فهم لهذا العَهْدِ أوزاعٌ كذلكَ، أشهَرُهم قبيلةٌ بساحِلِ تِلِمْسَانَ اندَرجَوُا في [كوميةَ](ج) وعُدُّوا منهم بالنَّسَبِ والحِلْفِ. وكان منهم في أواسِطِ هذه المائةِ الثّامِنةِ: إبراهيمُ بنُ عبدِ المَلِكِ، استَقَلَّ برئاسَتِهم وتَمسَّكَ بدَعْوةِ السُّلْطانِ أبي الحسَنِ بعدَ نَكْبتِه عن القَيْروانِ واسْتيلاءِ بَني عَبْدِ الوادِ على تِلِمْسَانَ ونواحِيها، وتَغَلَّبَ عليْه سُلْطانُهم لذلكَ العَهْدِ كما تَذْكُرُهُ عثمانُ بنُ عبدِ الرّحمن، وسَجَنَهُ بالمُطْبَق بتِلِمْسَانَ ثمّ قتَلَه.

ومن أشْهرِ قَبائلِ وَلْهاصَةَ أيضاً: قبيلةٌ أخرى ببسيطِ بُونَةَ يَرْكبونَ الخَيْلَ ويأخُذونَ بمذاهِبِ العَرَبِ في زِيّهم ولُغَتِهم وسائِرِ شَعائِرِهم كما هُو شأنُ هَوّارةَ، وهُم في عِدَادِ القَبائلِ الغارِمَة، ورئاسَتُهم في بَيْتِ بَني عَرِيضٍ، منهم، وهيَ لهذا العَهْدِ في وَلَدِ حازِمِ بن شَدّادِ بن حِزَام بن نَصْرِ بن مالكِ بن عَرِيض، وكانت قَبْلَهم لعَسْكرِ بن بطان، منهم. هذه أخبارُ وَلْهاصَةَ فيما علِمْناه.

(أ) ظ: رحالة، ص،د: رجالة (ب) من د، وفي ظ: الزحّالي. ص: الرجالي (ج) من ص د.

وأمّا بقايا بُطونِ نَفْزاوةَ، فمِنْهم: زاتيمةُ وبقيّةٌ منهم لهذا العَهْدِ بساحل بِرشْك، ومنْهم: غِسَاسةُ، وبقيّةٌ منهم لهذا العَهْدِ بساحِل بَطُوبَةَ حيثُ القَرْيةُ الّتي هنالِك حاضِرةُ البَحْرِ ومَرْسىً لأساطيلِ المَغرب، وهيَ مَشهورَةٌ باسْمِهِم.

وأمّا زهيلةُ، فبقيّتُهم لهذا العَهْدِ بنَواحي بادِسَ، مُنْدَرِجون في غُمارَة، وكان منهم - لعَهْدِ مشيَخَتِنا - أبو يَعْقوبَ البادِسيُّ[1] أكبرُ الأَوْلياءِ وآخِرُهم بالمَغرِب.

وأمّا مَرْنِيسَةُ فلا نَعْلَمُ لهم مَوْطِناً، ومِن أعْقابِهم / أوْزاعٌ بيْنَ أحياءِ العَرَبِ بإفريقيّةَ. [191]

وأمّا سوماتَة، فمِنْهم بقيّةٌ بضَواحي القيْرَوان، وكان منهم مُنْذِرُ بن سَعيدٍ القاضي بقُرْطبةَ لعَهْدِ النّاصِر، واللهُ أعلَمُ.

• وأمّا بَقايا بُطونِ نَفْزاوةَ فلا نَعْرِفُ لهم لهذا العَهْدِ حَيّاً ولا مَوْطناً إلاّ القُرَى الظّاهرةَ الـمُقدّرةَ السّيْر، المَنْسوبةَ إليْهم ببلادِ قَسْطيلِيّة، وبها مُعاهَدونَ من الفِرِنْجةِ أوْطَنوها على الجِزَى واعْتِقادِ الذّمّةِ مُنذُ عهدِ الفَتْح، وأعْقابُهم بها لهذا العَهْد، وقد نَزَلَها معَهم كثيرٌ من بَني سُلَيْم، من الشَّريدِ وزُغْبٍ، وأوْطَنوها وتَملّكوا بها العَقارَ والضِّياعَ، وكان أمْرُ هذه القُرَى راجِعاً إلى عاملِ تَوْزَرَ أيّامَ اسْتِبْدادِ الخِلافَة. فلمّا تقلّصَ ظِلُّ الدّوْلةِ عنْهم وحدَثَتِ العصبيّةُ في الأمْصار، استَبَدَّتْ كلُّ قَرْيَةٍ بأمْرِها، وصارَ مُقَدّمُ تَوْزرَ يُحاولُ دُخولَهم

(1) هو عبد الحق بن إسماعيل البادسي – كان حيًا سنة 722هـ، له كتاب: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف. نشره سعيد أعراب، المطبعة الملكية – الرباط 1982 .

في إيالَتِه، فمنهم من يُعْطيهِ ذلك ومنهم من يأْباهُ، حتّى أظلَّتْهم دَوْلةُ مَوْلانا أبي العبّاس، فاندرَجوا كلُّهم في طاعَتِهِ واعْتَصَموا بحَبْلِه، واللهُ وليُّ الأمورِ لا رَبَّ غيرُه.

• الخَبَرُ عن لَوَاتَةَ من البَرَابِرَةِ البُتْرِ، وتصاريفِ أحْوالِهم.

وهُو بطنٌ عظيمٌ متّسِعٌ من بُطونِ البَرْبَرِ البُتْرِ، يَنْتَسِبونَ إلى لَوَى الأصْغرِ ابنِ لَوَى بن زَجِّيك. ولَوَى الأصْغَرُ هُو أخو نَفْزَاو كما قُلْناهُ. ولَوَى اسمُ أبيهم، والبَرْبَرُ إذا أرادوا العُمومَ في الجَمْع زَادوا الألِف والتّاء فصَاروا لَوَات، فلمّا عَرَّبَتْهُ العربُ حَمَلُوهُ على الإفرادِ وألْحقُوا بهِ هَاءَ الجَمْع.

وذكَرَ ابنُ حَزْم[1] أنّ نسَّابةَ البَرْبَرِ يَزْعُمون أنّ سَدْراتَةَ ولَواتَةَ ومزاتَةَ من القِبْط، ولَيْس ذلكَ بصَحيح. وابنُ حَزْمٍ لم يطّلِعْ[2] على كُتبِ عُلماءِ البَرْبَرِ في ذلك.

وفي لواتَةَ بطونٌ كثيرَةٌ، وفيهم قَبائلُ كثيرةٌ مثْلَ: سَدْراتَةَ بن نيَطط بن لَوَى، ومثْلَ: عَتْرُوزَةَ من مَاصَلْت بن لَوَى، وعَدَّ سابقٌ وأصحابُهُ في بَني ماصِلْت بطوناً أُخرى عندَ عَتْرُوزَةَ / وهم أكورة، وجرماتة، ومغاغة، ومثْلَ: بَني زايَر[أ] بن لَوَى، وأكثَرُ بُطونِهم مَزاتَة. ونَسّابةُ البَرْبَرِ يَعُدّونَ في مَزاتَةَ بطوناً كثيرةً مثْلَ يَلْيان[ب]، وقرنة، ومجيجة، ودكمة[ج]، وجمرة، وتدُونة[د].

(أ) ظ: زابر (ب) د: بلايان (ج) من ظ د. وفي ص: دكبة (د) ص: سدونة، د: تقرأ تدونه وربما ثدونة.

---

(1) الجمهرة 498.

(2) نقل ابن حزم إفادته عن محمد بو يكني البِرْزالي الاباضي، الذي نعته بأنه كان ناسكًا عالمًا بأنسابهم (المصدر نفسه).

وكان لواتةُ هؤلاء ظواعِنَ في مَواطِنِهم بنواحي بَرْقَةَ كما ذكرَهُ المسْعوديُّ[1]، وكان لهم في فِتْنَةِ أبي يَزيد آثارٌ، وكان منهم بجبلِ أوْرَاس أمّةٌ عظيمةٌ ظاهَروا أبا يَزيدَ معَ بَني كُمْلاَنَ على أمْرِه، ولم يَزالوا بأوْراس لهذا العَهْدِ معَ مَن بهِ من قَبائِلِ هَوّارَةَ وكُتامَةَ، ويَدُهُمُ العالِيَةُ عليْهم، تُناهِزُ خَيّالَتُهم ألفاً وتُجاوِزُ رَجّالَتُهم العدّةَ، وتَسْتَكْفي بهمُ الدّولةُ في جِبايَةِ من تَحْتَ أيْديهم بجبلِ أوْرَاس من القَبائلِ الغارِمَةِ، فيُحْسِنونَ الغَناءَ والكِفايَةَ. وكانتِ البُعوثُ مَضْروبةً عليهم يَنْفِرونَ بها في مُعَسْكرِ السُّلْطان، فلمّا تَقَلَّصَ ظلُّ الدّوْلَةِ عنهم صارَ بَنو سَعادَةَ، منهم، في إقْطاعِ أوْلادِ محمّد من الذَّوَاوِدَة، فاسْتَعْمَلوهم في مِثْلِ ما كانتِ الدّوْلَةُ تَسْتَعْمِلُهم فيه، فأصاروهمْ خَوَلاً للجِبَايَةِ وعَسْكراً للاسْتِنْفار، وأصْبحوا من جُمْلةِ رَعاياهم.

وقد كان بَقِيَ جانبٌ منهم لم تَسْتَوْفِهِ الإقْطاعات، وهم بَنو زَيْحانَ وبَنو باديس، فاسْتَضافَهم منْصورُ بنُ مُزْنِي إلى عَمَلِه، فلمّا اسْتَبَدَّ بنو مُزْنِي على الدّوْلَةِ واسْتَقَلُّوا بالزّابِ، صَاروا يتَعَهَّدُونَهم بالجِبَايَةِ بعضَ السِّنينَ، ويُعَسْكِرونَ عليْهم لذلك بأفاريقِ الأعْراب، وهم لهذا العَهْدِ يَعْتَصِمونَ بجَبَلِهم لا يُجاوِزونَهُ إلى البَسيطِ خَوْفاً من عادِيَةِ الأعْراب. ولبَنِي باديسَ، منهم، إتاواتٌ على بَلَدِ نَقَاوُسَ المختطّةِ في سَفْحِ الجبَل، بما تغَلّبوا على ضَواحيها، فإذا انْحَدَرَ الأعْرابُ إلى مَشاتيهم اقتَضَوْا منها إتاواتِهم وخِفَارتَهم، وإذا أقْبَلوا إلى مَصائِفهم رجَعَ لَواتَةُ إلى مَعاقِلِهمُ المُمْتَنِعةِ على الأعْراب.

(1) ليس في مروج الذهب.

وكان من لَواتَةَ هؤلاء أُمَّةٌ عظيمةٌ بضَواحي تاهَرْتَ إلى ناحيةِ القِبْلة، وكانوا ظواعِنَ هنالِك / على وادي ميناسَ ما بَيْنَ جَبلِ يَعُودَ[1] من جهةِ الشَرْق إلى وارصلف من جهةِ المغرب. يُقال: إنّ بعضَ أُمراءِ القَيْروانِ نقلَهم معَهُ في غزْوةٍ وأنْزَلَهم هنالك، وكان كبيرُهم أوْرَغُ بنُ عليّ بن هِشام قائداً لعبْدِ الله الشِّيعيّ، ولَمّا انتَقَضَ حَميدُ بن يَصِل صاحبُ تاهرْتَ على المنصُورِ ثالثِ خُلفاءِ الشِّيعةِ، ظاهَروهُ على خِلافِهِ وحاوَروهُ في مَذاهبِ ضَلالِه، إلى أن غَلَبَه المنصورُ. وأجازَ حَميدٌ إلى الأنْدَلُس سنةَ ستٍّ وثلاثينَ، وزَحَفَ المنصورُ يُرِيدُ لَواتَةَ، فهَربوا أمامَه إلى الرِّمال، ورَجَع عنْهم، ونزَلَ على وادي ميناسَ ثُمّ انصرَفَ إلى القَيْروان. [192]

وذكَرَ ابنُ الرَّقيق: أنّ المنصورَ وقَفَ هنالِكَ على أثرٍ من آثار الأقْدمينَ بالقُصورِ الّتي على الجِبالِ الثّلاثةِ مبنيّةٌ بالحَجرِ المنحوت، تَبدُو للنّاظِر على البُعْدِ كأنّها أسْنِمَةُ قُبورٍ، وأنّه رأى كتاباً في حَجَرٍ منها فُسِّرَ له: أنا سُلَيْمانُ السَرْدَغوس، خالَفَ أهلُ هذا البلدِ على المَلِكِ فأخْرَجَني إليْهم، ففَتَحَ اللهُ لي عليهم وبَنَيْتُ هذا البناءَ لأُذكَرَ به. هكذا ذكَرَ ابنُ الرّقيق.

وكان بنو وجْديجن من قبَائلِ زَناتَةَ بمَواطِنِهم من مِنْداس جيراناً للوَاتَةَ هؤلاءِ، والْتَحَمَ بيْنَهما وادي مِيناسَ وتاهَرْت، وحدَثَتْ بيْنَهما فِتْنةٌ بسَببِ امْرأةٍ أنكَحَها بنو وجْديجنَ في لواتَةَ فعيَّروها بالفقْر، فكتبتْ بذلك إلى قَوْمِها

(1) ص د: يعود.

- ورئيسُهم يومَئذٍ عنان- فتذامَروا[1] واسْتَمَدُّوا مَنْ وراءهم من زَناتَة، فأمدَّهم يَعْلَى بنُ محمَّد اليَفْرَنيُّ، وزحَفَتْ مَطْماطةُ من الجانبِ الآخِرِ في مُظاهَرتِهم وعليهم غزانةُ[ا] أميرُهم، وزَحَفوا جميعاً إلى لَواتَةَ فكانتْ بَيْنَهم وقائعُ وحروبٌ هَلَكَ في بَعْضِها عَلاَّنُ، وأزاحوهم عن الجانِبِ الغَربِيِّ السَّرسُّو، وألجأوهم إلى الجَبَلِ الّذي في قِبْلَةِ تاهَرْتَ، المسَمَّى لهذا العهدِ كَرَيْكَرَة، وكان به قومٌ من مَغْراوَةَ، فغَدَروا بهم، وتظاهَروا جميعاً علَيْهم إلى أن أخْرَجوهم عن آخِرِ مَواطِنِهم / في جهةِ الشَّرقِ بجَبَلِ يَعُوذ، فنَزَلوا من ورائِه الجَبَلَ المُسَمَّى لهذا العَهْدِ دَرّاك، وانتَشَرت عَمائرُهم بتُلولِهِ وما وراءَه إلى الجِبالِ المُطلّةِ على مَتِّيجَةَ[2]. وهُم لهذا العهْدِ في عِدَادِ القَبائِل الغارِمَة، وجبَلُ درّاكٍ في إقطاعِ وَلَدِ يَعقوبَ بن موسَى مشْيخةِ العَطّافِ من زُغْبَة.

ومن لواتَةَ أيضاً بُطونٌ بالجَبلِ المعروفِ بهم قِبْلَةَ قابِس وصَفاقُس، ومنهم: بنو مَكّي رُؤَساءُ قابِس لهذا العَهْد. ومنهم أيضاً بواحاتِ مِصْرَ فيما ذكرَهُ المسْعوديُّ[3] أمّةٌ عظيمةٌ كانوا ملوكَها لعَهْدِه واللهُ أعْلَمُ بما صاروا إليْه.

(ا) كذا في ظ د، ص مهملة.

---

(1) تلاوموا وتحاضّوا على القتال، وحثّ بعضُهم بعضاً.

(2) معجم البلدان 5: 53 .

(3) مروج الذهب 2: 136 (894).

ومنهم: زَنَّارةُ، شعبٌ من شعوبِهم يَعْمُرونَ ضواحيَ إسْكندريّةَ بالبُحَيْرةِ الّتي بيْنَها وبَيْنَ مِصْر، وكان لِمَا قَرُبَ من هذه العُصور شيخُهم هنالِكَ بدرُ ابنُ سَلاّم، وانتَقَضَ على التُّرْكِ وسَرَّحوا إليهِ العساكرَ، فاسْتَلْحَموا كثيراً من قَوْمِه وفرَّ إلى ناحِيةِ بَرْقَة، وهُو الآنَ في جِوَار العَرب بها.

ومنهم أيضاً: أوزاعٌ متفرِّقونَ بمِصْرَ وقُرَى الصَّعيدِ شاوِيةٌ وفلاّحين. ومنهم أيضاً بضَواحي بِجَايَةَ قبيلةٌ يُعرَفُونَ بلَواتة الرّبيع، يَنْزِلونَ ببسيطِ تَاكَبرَرَات من أعْمالِها، ويَعتَمِرونَهُ فُدُناً لمزَارِعِهم ومسارحَ لأنعامِهم، وَمشْيَختُهم لهذا العَهْد في وُلْدِ رَاجح بن صَواب، مِنْهم، وعليهم للسُّلْطانِ جِبَايَةٌ مَضْروبَةٌ وبَعْثٌ مضروب.

هؤلاء هُم المعروفونَ من بُطونِ لواتَة، ولهم شعوبٌ أخْرى كثيرةٌ انْدَرَجوا في البُطونِ وتَوزَّعوا بَيْنَ القبائِل، واللهُ وارِثُ الأرْض ومَن علَيْها.

❁ الخَبَرُ عن بَني فاتِن من ضَريسة، إحدى بطونِ البرابِرةِ البُتْر، وتصاريفِ أحوالِهم.

وهم: مُظَغْرَة، ولـمَاية، وصدّينة، وكومية، ومَدْيونة، ومُغيلَة، وَمطْماطة، ومَلْزوزة، وكشانة، ودوْنة، وكلُّهم من وَلدِ فاتن بن تمصيت بن ضَريس بن زجّيك بن ماذْغَس الأبتَرْ. ولهم ظُهورٌ بَيْنَ / البَرابرِ وأخبارٌ نسرُدُها بَطْناً بَطْناً إلى آخِرِهم.

• مُظَغْرَةُ:

وهُم من أوْفَرِ هذه الشّعوب، وكانوا خَصّاصِينَ آهِلينَ، وكان جُمْهورُهم بالمغربِ منذُ عهدِ الإسْلام ونَوْبَةِ الفَتْح وشُؤونِ الرِّدَّةِ وحُروبِها، وكان لهم فيها مقاماتٌ. ولمّا استَوْسَقَ الإسلامُ في البَرْبرِ وأجازوا إلى فَتْح الأنْدَلُس فأجازَتْ منْهم أُمَمٌ واستقَرّوا هنالِكَ. ولمّا فَشَا دِينُ الخارِجيَّةِ في البَرْبر، أخَذَ مُظَغْرَةُ هؤلاء برأْيِ الصُّفريةِ فيه، وكان شَيْخُهم مَيسَرةُ - ويُعرَفُ بالحَقير- مقدَّماً فيه.

ولمّا وَلِيَ عُبَيد الله بنُ الحَبْحابِ على إفريقيَّةَ من قِبَلِ هِشام بن عَبْدِ المِلِك وأَمَرَهُ أن يَمْضيَ إليها من مِصْر، فقَدِمَها سنةَ أربعَ عَشْرةَ واسْتَعْمَلَ عُمرَ ابنَ عبدِ الله المُراديّ[أ] على طَنْجَةَ والمغرِب الأقْصى، وابنَهُ إسْماعيلَ على السُّوسِ وما وراءَهُ. واتّصَلَ أمَدُ ولايتِهم وساءَتْ سِيرتُهم في البَرْبَر، فنَقَموا

(أ) كذا في البيان المغرب 1: 51 وورد اسم عامل طنجة وما والاها، وفي نسخة د: عمرو بن عبيد الله. وعند ابن خياط 352 : عمرو بن عبد الله العبسي.

عليهم أخوالَهم وما كانوا يُطالِبونَهم بهِ من الوَصائفِ البَرْبريّاتِ، والأفْريةِ العسَلِيّةِ الألْوانِ وأنْواعِ طُرَفِ المَغرب. وكانوا يتَغالَوْنَ في جَمْعِ ذلكَ وانْتِحالِه، حتّى لكانتِ الصِّرْمةُ[1] من الغَنَمِ تُستَهلَكُ بالذَّبحِ لاتّخاذِ الجلودِ العسَلِيّة من سِخالِها ولا يوجَدُ فيها معَ ذلكَ إلاّ الواحِدُ أو ما قَرُبَ منهُ، فكثُرَ عَيْثُهم بذلكَ في أمْوالِ البَرْبرِ وجَوْرُهم علَيْهم، وامتعَضَ لذلكَ مَيْسَرةُ الحقيرُ زعيمُ مُظَغْرَة، وحمَلَ البَرابرة على الفَتْكِ [بعمر بن عبد] الله(أ) عامِلِ طَنْجَةَ، فقَتَلوهُ سنةَ ثِنْتَين وعِشْرينَ، ووَلّى مَيْسرةُ مكانَه عبدَ الأعْلَى بنَ خُدَيج(ب)، الإفريقيَّ الرّوميَّ الأصْل، كان من مَوالِي العَربِ وأهْلِ خارِجيّتِهم، وكان يَرى رَأْيَ الصُّفْريّة، فوَلاّه مَيْسرةُ على طَنْجَةَ، وتقدَّمَ إلى السُّوس فقتَل عامِلَه إسْماعيلَ بنَ عُبَيْدِ الله.

واضْطرَمَ المغرِبُ ناراً وانتَقَضَ أمْرُهُ على خُلفاءِ المَشرق، فلم يُراجِعْ طاعَتَهم بعْدُ. وزَحَفَ ابنُ الحَبْحابِ / [93 ب] إليهِ من القَيْروانِ في العساكِر، وعلى مُقَدِّمتِهِ خالدُ بنُ أبي حَبيب الفِهْريُّ، فلَقِيَهم مَيْسَرةُ في جُموعِ البرابِرَة، فهزَمَ المقدِّمةَ واستَلْحَمَهم وقتَلَ خالِداً[2]. وتسامَعَ البربرُ بالأنْدَلُس بهذا الخَبَر، فثارُوا بعامِلِهم عُقْبةَ بنِ الحجّاجِ السَّلوليِّ وعَزَلوهُ، ووَلَّوْا علَيْهم عبدَ الملكِ بنَ قَطَن الفِهْريّ. وبلَغَ الخبَـرُ بذلكَ إلى هِشام بن عَبْدِ المِلِك، فسرَّحَ كلثومَ بنَ عِيَاض القُشَيْريَّ في اثـنَيْ عَشرَ ألفاً من جُنودِ الشّام، ووَلاّهُ على إفريـقيّةَ وأدالَ بهِ

(أ) من د، وفي ظ: عمرو بن عبيد الله (ب) ابن خياط 247، 253: ابن حُدَيج.

(1) القطعة من الأبل أو الغنم، نحو الثلاثين.

(2) عدّ خليفة بن خياط جماعة من القتلى، كلّهم من الأشراف، وبهم سُميت غزوة الأشراف.

من عُبَيدِ الله بن الحَبْحاب. وزَحَفَ كلثومٌ إلى البرابِرةِ سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ، حتَّى انتهتْ مقدَّمتُهُ إلى وادي سَبُو من أعْمالِ طَنْجَة، فلَقِيَهُ البرابرةُ هنالكَ معَ مَيْسَرةَ وقد فَحَصُوا[1] عن أوْساطِ رُؤُوسِهم ونادَوْا بشعارِ الخارجيَّة، فهزَموا مقدَّمَتَهُ ثُمّ هَزَموهُ وقَتلوهُ. وكان كَيْدُهم في لِقائهم إيّاه أنْ مَلأوا الشِّنانَ[2] بالحجارةِ ورَبَطوها بأذْنابِ الخَيْلِ تَعادَى بها فتَقَعْقَعُ الحجارةُ في شِنِّها، ومَرّتْ بمَصافِّ العساكِرِ من العَربِ فنفَرَتْ خيولُهم واختَلَّ مَصافُّهم وانجرَّتْ عليهمُ الهزيمةُ وافترَقُوا.

وذهبَ بَلْجٌ معَ الطلائِعِ من أهْلِ الشّام إلى سَبْتةَ كما ذَكَرْناهُ في أخْبارِهم، ورَجَعَ أهلُ مِصْرَ وإفريقيّةَ إلى القَيْروان، وظهَرتِ الخوارجُ في كلِّ جهةٍ، واقتُطِعَ المغرِبُ عن طاعةِ الخُلفاءِ، إلى أن هلَكَ مَيْسَرةُ، وقام برئاسةِ مُظَغْرَةَ من بَعْدِه يَحْيى بنُ حارثٍ منهم، وكان حَليفاً لمحمّدِ بن خَزَر ومَغْراوَة.

ثُمّ كان من بَعْدِ ذلكَ ظهورُ إدريسَ بالمغْرِب، فقام بها البرابِرَة، وتوَلّى كِبرْهَا أوْرَبَةُ منهم كما ذكَرْناهُ؛ وكان على مُظَغْرَةَ يومئذٍ شَيْخُهم بُهلولُ بنُ عبدِ الواحِد، فانْحرَفَ لذلكَ عن إدْريسَ إلى طاعةِ هارون الرّشيدِ بمُداخَلَةِ إبراهيمَ بنِ الأغْلبِ عاملِ القَيْروان، فصالَحه إدْريسُ واتّقاهُ بالسِّلْم. ثُمّ رَكَدَ ريحُ مُظَغْرَةَ من بَعْدِ ذلك / وافترَقَ جَمْعُهم وجَرّتِ الدّوَلُ عليْهم أذْيالَهَا، [184]

(1) فحَصوا عن أوساط الرؤوس: حلقوا وسطها وتركوها مثل أفاحيص القَطا. وفَحَص المطرُ الترابَ قَلَبَهُ وكشفه.

(2) الشِّنان: جمع شَنّ، وهي قِرَبُ الماء، وفي المثل: لا يُقعقَعُ له بالشِّنان.

واندَرَجوا في غِمارِ البَرْبرِ الغارِمينَ لهذا العَهْدِ بتُلولِ المغربِ وصَحْرائِه. فمِنْهم ما بَيْنَ قابِسَ وتِلِمْسانَ أُمَمٌ يتّصِلونَ بكومية، ويَدْخُلونَ في حِلْفِهم، واندَرَجوا من لَدُنِ الدّعْوةِ الموحِّديّةِ فيهم، ورئاسَتُهم لولَدِ خَليفة، كان شيخَهم على عَهْدِ الموحّدينَ، وبنَى لهم حِصْناً بمَواطِنهم على ساحِلِ البَحْر يُسمّى تاوَنْت.

ولمّا انقرضَتْ دولةُ بَني عَبْدِ المؤمن واسْتَوْلى بَنو مَرينَ على المَغْرب، قام هارونُ بنُ موسَى بنِ خليفَةَ بدَعْوةِ يَعْقوبَ بن عبدِ الحقِّ سُلطانِهم، وتَغَلَّبَ على نَدْرومَةَ، وزحَفَ إليه يَغْمَراسِنُ بنُ زيّان، فاسْتَرجَعَ نَدْرومَةَ من يَدِه وغلَبَهُ على تاوَنْت، ثُمّ زحَفَ يَعْقوبُ بنُ عبدِ الحقِّ إليْهم وأخَذَها من أيديهم، وشَحَنَها بالأقْواتِ، واسْتَعْمَلَ هارونَ [ورجع إلى المغرب، فحدَّثت هارونَ][1] نفسُهُ بالاستِبْداد، فدَعا لنَفْسِه مُعْتَصِماً بذلكَ الحِصْن خَمْسَ سِنين، ثُمّ حاصَرَهُ يَغْمَراسِنُ، واسْتَنْزَلَهُ على صُلْحٍ سنةَ ثِنْتَيْنِ وسبْعينَ وستِّ مائة، ولَحِقَ هارونُ بيعقوبَ بن عبدِ الحقّ، ثُمّ أجازَ إلى الجهادِ بإذْنِه واسْتُشْهِدَ هنالِكَ. وقامَ بأمْرِ مَظْغَرَةَ من بَعْدِه أخوه تاشَفينُ إلى أن هلكَ سنةَ ثلاثٍ وسبْعٍ مائة، واتّصَلَتْ رئاسَتُهم في عَقِبِه لهذا العَهْد.

ومن قبائِلِ مَظْغَرَةَ أيضاً أُمّةٌ بجبَلٍ قِبْلةَ فاسَ معروفٍ بهم. ومنهم أيضاً قبائلُ كثيرونَ بِنواحي سِجِلْماسَة، وأكْثَرُ أهْلِها منهم، وربّما حدثَتْ بها عصبِيّةٌ من جرّاهم.

(1) من د ص.

ومن قبائل مُظَغْرَةَ أيضاً بصَحْراء المغرِب أُمَمٌ كثيرونَ، نَزَلوا بقُصورها واغْتَرَسوا شجرةَ النَّخْلِ على طريقةِ العَرب، فمِنْهم بتوات قِبْلَةَ سِجِلْماسةَ إلى تمنطيت آخر عَمَلِها، قومٌ كثيرونَ مُوَطَّنونَ معَ غيْرِهِم من أصْنافِ البَرْبر، ومنهم في فيكيك قِبْلَةَ تِلِمْسَان، وعلى سِتِّ مراحلَ منها، وهيَ قصورٌ مُتقارِبَةٌ بعضُها من بعضٍ، ائتلَفَ منها مِصْرٌ كبيرٌ مستَبْحرٌ بالعُمْرانِ البَدويّ، [94 ب] / معدودٌ في آحادِ الأمْصارِ بالصَّحْراءِ، ضاحٍ من ظِلِّ المُلْكِ والدُّوَلِ، لبُعْدِه في القَفْر؛ ورئاسَتُه في بَيْتِ بَني سَيّدِ المُلوك، منْهُم.

وفي شَرْقِيّها وعلى مراحِلَ منها، قُرًى أخرى مُتناسِقةٌ على سَمْتِها، متصاعدةٌ قليلاً إلى الجَوْفِ، آخِرُها على مَرْحلةٍ من قِبْلَةِ جَبَلِ راشِد، وهيَ في مَجالاتِ بَني عامِر من زُغْبَةَ وأوْطانِهم من القَفْر، وقد تملّكوها لحَطِّ أثقالِهم وقَضاءِ حاجاتِهم حتّى نُسِبَتْ إليهم في الشُّهْرة.

وفي جهةِ الشَّرْق عن هذه القُصور وعلى خَمْسِ مراحلَ منْها، قُلَيْعةٌ مُتوغِلَةٌ في القَفْرِ تُعْرَفُ بقُلَيْعةِ وَالَّنْ، يَعْتَمِرُها رَهْطٌ من مُظَغْرةَ هؤلاء، وتَنْتهي إليها ظواعِنُ الملثَّمينَ من أهْلِ الصَّحْراء بعضَ السِّنينَ إذا لَفَحَهُمُ الهَجيرُ، يَسْتَبْرِدونَ في تُلولِها لتَوَغُّلِها في ناحِيَتِهم. ومن مُظَغْرَةَ هَؤُلاءِ أوْزاعٌ في أعْمالِ المَغرِبِ الأوْسَطِ وإفريقيّة، ولله الخَلْقُ جميعاً.

• لَمايَة

وهم من بطونِ فاتِن بن تمزيت - كما ذكرْناهُ - إخْوةِ مُظَغْرَة، ولهم بطونٌ كثيرةٌ عَدَّ منها سابِقٌ وأصْحابُهُ زكَوفا، ومزيزة، ومليزة بني مدين، كلُّهم من لماية. وكانوا ظَواعِنَ بإفريقيّةَ والمغرب، وكان جُمْهورُهم بالمَغْربِ الأوْسَطِ موطّنون بتُخومِهِ ممّا يَلي الصَّحْراء. ولمّا فشَا دِينُ الخارِجيّةِ في البَرْبَر، أخذوا برَأْيِ الإباضِيّةِ فيهِ، ودانوا بِهِ وانتَحَلوهُ وانتَحَلهُ جِيرانُهم في مَواطِنِهم تلك، من لَواتَةَ وهَوّارَةَ، وكانوا بأرض السّرسُو قِبْلَةَ مِنْداس وزواغَة، وكانوا في ناحيةِ الغَرْب عنهم. وكانت مَطْماطَةُ ومِكناسةُ وزَناتَةُ جميعاً في ناحيةِ الجَوْف والشّرق، فكانوا جميعاً على دِينِ الخارجيّةِ وعلى رأْيِ الإباضيّةِ منهم، وكان عبدُ الرّحمن بنُ رُسْتُمَ من مَسْلَمةِ الفَتْح، وهُو من ولَدِ رُسْتَمَ أميرِ الفُرْس بالقادِسيّة، وقَدِمَ إلى إفريقيّةَ مع طَوالعِ الفَتْح، فكان بها، وأخذَ بدين الخارجيّةِ والإباضِيّةِ منهم، وكان شِيعةً لليَمنيّةِ وحَليفاً لهم.

ولمّا / خرجَتِ الإباضِيّةُ بناحِيةِ طرابُلُس مُنكِرينَ على وَرْفَجّومَةَ [195] فَعْلَتَهم في القَيْروانِ كما مَرّ، واجْتَمعوا إلى أبي الخطّابِ عبدِ الأعْلَى بن السّمح المَعافِرِيّ إمامِ الإباضيّةِ، فملكوا طرابُلُس ثُمّ مَلكوا القَيْروانَ وقَتلوا والِيَها من وَرْفَجُّومةَ عبدَ الملكِ بنَ أبي الجَعْدِ، وأثْخَنوا في وَرْفَجّومَةَ وسائِر نَفْزاوةَ سنةَ إحْدى وأربعينَ، ورجَعَ أبو الخطّابِ والإباضيّةُ الّذين مَعَهُ من زَناتَةَ وهَوّارَةَ وغيرُهم بعدَ أن اسْتَخْلَفَ على القَيْروان عبدَ الرّحمن بنَ رُسْتُم. وبلَغ

الخبرُ بفِتْنَةِ وَرَفَجُومَةَ هذه واضطرابِ الخوارجِ من البَرْبَرِ بإفريقيّةَ والمغرب وانْتِزائِهم على كُرسيِّ الإمارةِ بالقَيْروانِ، إلى المنصور أبي جعفر، فسَرَّحَ محمّدَ ابنَ الأشعثِ الخُزاعيَّ في العَساكِرِ إلى إفريقيّةَ، وقلّدَهُ حَرْبَ الخوارج بها، فقَدِمَها سنةَ أربعٍ وأربعين، ولَقِيَهم أبو الخطّابِ في جُموعِه قريباً من طَرابُلُس، فأوْقَعَ بهِ ابنُ الأشعَثِ وبقَوْمِه، وقُتِلَ أبو الخطّابِ.

وطارَ الخبرُ بذلكَ إلى عبدِ الرّحمن بن رُسْتُمَ بمكانِ إمارتِه في القَيْروان، فاحْتَملَ أهلَه ووَلَدَه ولَحِقَ بإباضِيّةِ المَغرِب الأوسَطِ من البَرابِرَةِ الّذين ذكَرْناهم، ونزَلَ على لَمايَة بقَديم حِلْفٍ بَيْنَهُ وبَيْنَهم، فاجْتمعوا إليهِ وبايَعُوا لهُ بالخِلافة، وائْتَمروا في بُنْيانِ مدينةٍ يَنصبونَ بها كُرسيّاً لإمارَتِهم، فشَرَعوا في بناءِ مَدينةِ تاهَرْت في سَفْحِ جبَلِ كَزولْ، السّيَاجِ على تُلولِ مِنْداس، واخْتَطُّوها على وادي مِيناس المنْبَعِثِ من عُيونٍ بالقِبْلَةِ، ويَمُرُّ بها وبالبَطْحاءِ إلى أن يَصُبَّ في وادي شَلَف. فأسّسَها عبدُ الرّحمن بنُ رُسْتَمَ واختَطَّها سنةَ أربعٍ وأربعينَ ومائةٍ، فتَمَدَّنتْ واتّسعَتْ خُطّتُها إلى أن هلَكَ عبدُ الرّحمنِ ووَلِيَ ابنُه عبدُ الوهّابِ من بَعْدِهِ، وكان رأسَ الإباضيّة.

وزَحَفَ سنةَ سِتٍّ وتِسْعينَ مع هَوّارةَ إلى طرابُلُس وبها عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ بن الأغْلبِ من قِبَلِ أبيه، فحاصَرَهُ في جُموعِ الإباضِيّةِ من البَرْبرِ إلى أن هلَكَ إبراهيمُ بن الأغْلب، واستُقْدِمَ ابنُهُ عبدُ الله لإمارتِه بالقَيْروان، فصالحَ / [95 ب] عبدَ الوهّاب على أن تكونَ الضّاحِيَةُ لهم، وانصرَفَ إلى نفوسة، ولَحِقَ عبدُ الله بالقَيْروان، ووُلّيَ بعدَ عبدِ الوهّاب ابنُه مَيْمونٌ وكان رأسَ الإباضِيّةِ

والصُفريّة والواصِليّة[1]، وكان يُسَلَّمُ عليهِ بالخلافة، وكان أتباعُه من الواصِليّة وَخدَمِهم ثلاثينَ ألفاً ظواعِنَ ساكِنينَ في الخِيام.

ولم يَزلِ المُلْكُ في بني رُسْتمَ هؤلاء بتاهَرت، وحارَبَهم جيرانُهُم من مَغراوَةَ وبَني يَفرَن على الدّخولِ في طاعَةِ الأدارِسَةِ لمّا مَلكوا تِلِمْسَانَ وأخَذَتْ بها زَناتَةُ من لَدُنْ ثلاثٍ وسَبْعينَ ومائة، فامْتَنعوا عليهم سائرَ أيّامِهم، إلى أن كان اسْتيلاءُ أبي عبْدِ الله الشِّيعيُّ على إفريقيّةَ والمغربِ سنةَ سِتٍّ وسَبْعين، فغَلَبَهم على مَدينةِ تاهَرت وابتَزّهم مُلْكَهم بها وبَثَّ دعوةَ عُبَيدِ الله في أقْطارِ المغرِبَيْن، فانقرَضَ أمرُهم بظُهورِ هذه الدّوْلة. وعقَدَ عَروبَةُ ابنُ يوسُفَ الكُتاميُّ فاتحُ المغربِ للشّيعةِ على تاهَرْتَ لأبي حميدٍ دَوّاسِ بن صولات اللّهيصيّ في غَزاتهِ إلى المغربِ سنةَ ثمانٍ وتسْعين، فأثْخَنَ في بَرابِرِها الإباضِيّةِ من لَمايَةَ وأزدَاجةَ ولوَاتَة ومِكْناسَةَ ومطْماطَةَ، وحَملَهم على دِينِ الرّافِضيّةِ ونَسَخَ بها دِينَ الخارجيّةِ حتّى اسْتَحْكَمَتْ في عَقائِدهم. ثُمّ وَليهَا أيّامَ إسماعيلَ المنصور يَصْلاَصَن بنِ حَبُوس، ثُمّ نَزَعَ إلى دَعْوةِ الأمَويّةِ وراءَ البَحْرِ، ولَحِقَ بالْخَيْرِ بن محمدِ بن خَزَر صاحبِ دَعْوتِهم في زَناتة، واسْتَعْملَ المَنصورُ بعدَهُ على تاهَرْتَ مَيْسوراً الخصِيَّ، مَوْلاه، وأحمدَ بنَ الزَّجّاليّ(ا) من صَنائِعهِ، فزَحَفَ إليها حَميدٌ والْخَيْرُ وانهزَمَ ميسُورٌ،

(ا) ص: الرجالي

(1) فرقةٌ من المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء، تلميذ الحسن البصري. كان ظهورهم بإفريقية: زَمَنَ أبي مَعدّ المنصور الفاطمي ثالث خلفائهم.

واقتحموا تاهَرْتَ عَنوةً وتقبَّضوا على أحمدَ الزَّجّاليِّ وميْسورٍ إلى أن أطلقوهُما بعدَ حينٍ.

ولم تَزلْ تَاهَرْتُ هذه ثَغراً لأعمالِ الشِّيعَةِ وصِنْهاجةَ سائِرَ أيّامِهم، وتغلَّبَتْ علـيها زَنَاتةُ مِراراً، ونازلتْها عساكِرُ بني أُميّةَ زاحِفةً في إثْرِ زيري بن عَطيّةَ أميرِ المَغربِ من مَغْراوَة / أيّامَ [أجازَ][ب] المظفَّرُ بنُ أبي عامِرٍ من العُدْوةِ إلى حَرْبِه. ولم يزلْ الشّأنُ هذا إلى أن انقرَضَ أمرُ تلكَ الدّوَلِ وصارَ أمرُ الـمَغربِ إلى لَمتونَة.

ثـمّ جاءتْ دولةُ الموحِّدينَ مِنْ بَعْدِهم، ومَلكوا المَغرِبَيْنِ، وخرَجَ عليهم بَنو غانِيَةَ بناحِيةِ قابِس، ولم يَزلْ يَحْيى منهم يجلُبُ على ثُغورِ الموحِّدينَ ويَشُنُّ الغاراتِ على بَسائطِ إفريقيّةَ والمغربِ الأوْسط؛ وتكرَّرَ دخولُه إليها عَنوةً مرّةً بعدَ أخرى، إلى أن اختَملَ ساكِنُها وخَلاً جوُّها وعَفَا رَسْمُها لِمَا يُناهِزُ عشْرينَ من المائةِ السّابِعةِ، والأرضُ لله.

وأمّا قبائلُ لَمَايَةَ فانقَرَضوا وهَلَكوا بهَلاكِ مصْرِهِمُ الّذي اختَطُّوهُ وجاوَروهُ ومَلكوه، [سُنّةَ اللهِ في عِبادِه][ج]. وبقيَتْ فِرَقٌ منهم أوْزاعاً في القَبائل.

• ومنْهم: جِزْنَةُ الّذين سُمّيتْ بهمُ الجزيرَةُ البَحْريّةُ تِجاهَ ساحِلِ قابِس، وهمْ بها لهذا العَهْد. وقد كانَ النّصْرانيّةُ من أهْلِ صِقِلّيّةَ مَلكوها على مَنْ بها

(أ) من د ص (ب) من د ص.

من المسلمينَ من قَبائلِ لـمَايةَ وكُتامَةَ، مثلَ: جزِنةَ وسَدويكْش، ووَضَعوا علَيْهُم الـجِزيةَ، وشَيَّدوا على ساحِل البَحْرِ بهَا مَعْقِلاً سَمَّوْهُ القَشْتِيلَ، وطالَ تمَرُّسُ العَساكِرِ بهِ من حَضْرةِ الدَّوْلةِ الحَفْصيَّةِ بتونِسَ حتَّى كان افْتِتاحُها أعوامَ ثَمانٍ وثلاثينَ من المائةِ الثَّامِنة في دَوْلة مَوْلانا السّلطانِ أبي بَكْر، وعلى يَدِ مخلوفِ بن الكَمَّادِ من صَنائِعه. [ثمّ لمّا كانَتْ دولةُ حافِدِه السلطان أبي العَباس واستَوْلَى على إفريقية، تَظلَّمَ أهلُ هذه الجزيرة من عُمّاله، ورفَعوا إليه أمْرَهم فلم يُشْكِهِم، فراسلوا نَصارَى صقلّية واستدعَوْهم إليها وأتوهم طاعتَهم، فنازلوها سنة خمس[ا] وثمانين في أسطول رَكبوه إليها، وأذعن أهلُها بالطاعة لهم. وأنزلوا منهم أميرًا بالقَشْتِيل، وأقاموا كذلك ثمانيًا أو تسعًا، ثم بعث السلطانُ عساكرَه برًّا وبحْرًا فملكَها عليهم][ب]

واسْتقَرَّتْ بها الدّعوة الإسلاميّةُ إلى هذا العَهْد، إلاّ أنّ القبائلَ الّذين بها من البَرْبر لم يزالوا يَدِينونَ بدِين الـخارِجيَّةِ ويَتَدارسونَ مذاهِبَـهم، وبَيْنَهم مُجَلَّداتٌ تـشْتَملُ على تَواليفَ لأئمَّتِهم في قواعِد دِيانَتِهم وأُصولِ عَقائدِهم وفُروع مَذاهِبِهم، يَتَناقَلونَها ويَعْكِفونَ على دِراسَتِها وقِراءَتِها. ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات، من الآية 96].

(ا) كُتب عليها في نسخة د بالخط نفسه لفظ: "ستّ" على وجه التردد. وكتبهُ في حاشية ص رقمًا (٨٦)
(ب) حاشية انفردت بها نسخة د بخط المؤلف، وتاريخها سنة خمس أو ستّ وثمان مائة، ونُقِلَتْ في حاشية ص بخط دقيق متأخر.

• مَطْماطَة[1]:

وهم إخوةُ مَظْغَرَةَ ولَـمَايةَ، من ولدِ فاتنٍ بن تمصيتَ الّذينَ مَرَّ ذِكْرُهمْ آنِفاً. وهم شعوبٌ كثيرةٌ، وعند سابِقِ الـمَطْماطِيّ وأَصْحابِهِ من النَّسّابَة: أنّ اسْمَ مَطْماطِ مصكـات، / [96 ب] ومَطْماطٌ لَقَبٌ له، وأنّ شعوبَهم كلَّها من لَوَى ابن مَطْماط، وأنّه كان لهُ وَلَدٌ آخرُ اسمُه وزنشيط ولم يَذكُروا لهُ عَقِباً. قالوا: وكان للَوَى أربعةٌ من الوَلَد: وَرَماكسَنْ وَيَلاَغَـف، وَوَرَيَكـبول، ويَليصن. ولم يعقُبْ يَليصن وأعقَبَ الثلاثَةُ البَاقُونَ، ومنهمُ افترقَتْ شُعوبُ مَطْماطة كلِّها. فأمّا وَرَماكسنْ فمِنهُ مصطود، ويونُس، ويَفْرِين. وأمّا وَرَيَكـبول فكان لهُ من الوَلَدِ: كلثام، ومسيدة، وقيدَن، ولم يَعقُبْ مسيدة ولا قيدن، وكانَ لكلثامَ: عِصفراض وسلْيَاتَاِن. فمن سلْيَاتَان: سايحان، ووَرْيَغني، و ورصدى، ونَطسَايَان، وعمر، ويقالُ لهؤلاءِ الخَمْسةِ: بنو مصطكودة، سُمُّوا بأُمِّهم. وكان لِعصفراض: يزهَاصَن ويصْرَاصَن، فمن يَصراصن: ورتَجِّينْ، ووَرَيَكـبول، وجَلِّيدَا، وسُكـبُوم، ويقالُ لـهم: بنو تلِيكَفْتَان سُمُّوا بأمِّهم. وكان ليرهاصَن يَلِّيت، ويَصِلاَسَن. فمن يَلِّيت: وَرسفلاسَن، وسَكن، ومحمد، ومكـديل، ودكوال. ومن يصِلاسَن: فاوِيُولن، وتيـمَّاسَن، وماركسن، ومسافر، وفلّوسن، ووزيجيدْ، ونافع، وعبدُ الله، وَغَرْدَايْ. وأمّا يَلاَغَف بنُ لَوَى بن مَـطْماط، فكان لهُ من الوُلْدِ: دهيَا، وتابتَّهْ. فمن تابتَّهْ: مَاجَرْسَن، وريغ وعَجْلان، ويقام،

(١) أصل هذا التعريف بشعوب مطماطة جاء في رقعة مضافة بنسخة د ومحررة بخط المؤلف، وفي الحاشية: التخريج للصفح المقابل للدرج. وأدرج في متن النسختين ص ظ.

وقُرة. وكان لدهيتا: وزَتّجي ومجّلين، فمن وزَتّجي: مَقْرين، وتورُورسكم، وغَنجميس. ومن مجلين: ماكورو، وأشكول، وكيلان، ومزكون، وفطار، وأيوَرَه. هذه شُعوبُ مَطماطةَ كما ذكَرَ نسَّابةُ البَرْبرِ سابِقٌ وأصحابُه(●●)، وهم مُفترِقونَ في المَواطِنِ، فمنهم في نَواحي فاسَ مِن قِبْلِيِّها في جَبَلٍ هنالكَ معروفٍ بهم ما بيْنَ فاسَ وصفرُويْ، ومنهم بجهاتِ قابِسَ والبَلدِ المختَطِّ على العَيْنِ الحامِيَة من جِهةِ غَرْبِيِّها منسوبٍ إليهم لهذا العَهْد، يقال: حُمّةُ مَطْماطَة، ويأْتي ذِكْرُهَا في الدّوْلةِ الحَفْصيّةِ وممالكِ إفريقيّة، وبقاياهمُ أوزاعٌ في القَبائِل. / وكانتْ مَواطنُ جُمْهورِهم بتُلول مِنداسَ عندَ جَبلٍ وانْشَريسَ وجبَلِ [197] كزُول من نواحي تاهَرْت، وكان لهم بتلكَ المَواطِن - أُخْرَياتِ دَوْلةِ صِنهاجةَ- استفحالٌ وصَوْلةٌ، وَفي فِتْنةِ حمّادِ بن بُلُكّين معَ [باديس](أ) ابن المنصُور، مَقاماتٌ وآثار. وكان كبيرَهُم يومَئذٍ عَزانةُ(ب)، وكانتْ لهُ معَ البرابِرَةِ والمجاورِينَ لهُ من وجْديجنْ ولَواتَةَ وغيرِهم حروبٌ وأيّام.

ولما هلَكَ عَزَانةُ قامَ بأمْرِه في مَطْماطةَ ابنُه زيري، فمكَثَ فيهم أيّاماً ثُمّ غَلَبهُ صِنهاجةُ على أمْرِهِ فأجازَ البحرَ إلى العُدْوةِ ونزَلَ على المنْصُور بن أبي عامِر، فاصْطنَعَهُ ونظَمَهُ في وظيفةِ الأُمراءِ من البَرْبرِ الّذين كانوا في جُمْلَتِه، واستَظْهَرَ بهم على أمْرِه، فكان من أوْجَهِ رِجَالَتِهم عندَه وأعظمِهم قَدْراً لديْهِ، إلى أن هلَكَ؛ وأجراهُ ابنُه المظفّر من بَعْدِه وأخوه عبدُ الرّحمن النّاصرُ على سَنَنِ أبيهما في تَرْفيع مَكانِه وإخلاص وِلايَتِه؛ وكان عندَ ثورةِ محمّدِ بن هشام

(●●) آخر الرقعة الطيّارة التي أضافها المؤلف بخطه إلى نسخة د   (أ) ظ: بابس   (ب) ص: عرانة.

ابن عبدِ الجبّار غائِباً معَ ابنِ أبي عامِر في غَزاةِ النُّعمانِ معَ مَن كان معَهُ من أُمراءِ البَرْبرِ وعُرفائِهم، فلمّا رأَوْا انتقاضَ أمْرِه وسُوءَ تَدْبيرِه، لحِقُوا بمحمّدِ بن هِشام المهديّ، فكانوا معَهُ إلى أن كانتِ الفِتْنَةُ البَرْبريّةُ بالأنْدَلُس، وهلَكَ زيري هُنالك لا أدري أيَّ السِّنينَ كان مَهْلِكُهُ.

وأجازَ إلى الأنْدلُس أيضاً من رِجالاتِهم كهْلانُ بنُ أبي لَوَى بن [يَصلاسنْ][1]، ونزَلَ على النّاصرِ. وهُو من أهْلِ العِلْمِ بأنْسابِ البَرْبر. وكان من مشاهِيرِهم أيضاً النّسّابةُ سابِقُ بنُ سُلَيْمانَ بن حَرّاثِ بن مولات بن دوناس، وهُو كبيرُ نَسّابةِ البَرْبرِ فيما علِمْناه. وكان منهم أيضاً: عبدُ اللهِ بنُ إدريسَ كاتبُ الخراجِ لعُبَيْدِ الله المهديّ، في آخَرينَ يَطولُ ذِكْرُهم.

هذا ما تلقّيناهُ من أخْبارِ مَطْماطَة.

(1) في ص د : يَصْلاصنْ، وتقدم رسْمُها على هذه الصورة.

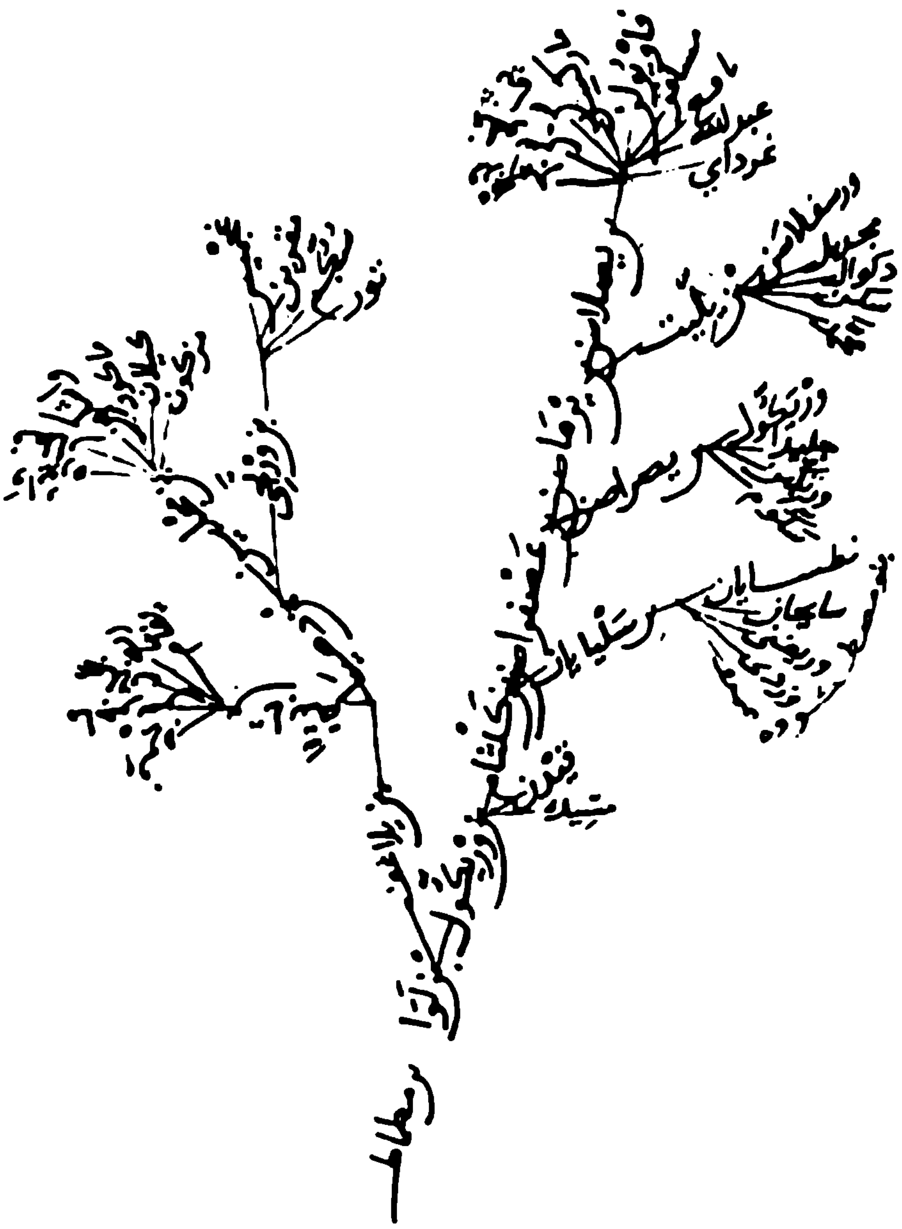

[شعوب مَطْماطة، من لَوَى بن مَطْماط]

وأمّا مَوْطِنُ مِنْداس، فزَعَمَ بعضُ الأخْبارِيّينَ من البَرْبَرِ، ووَقَفْتُ على كِتابِهِ في ذَلِك، أنّه سُمِّيَ بِمِنْداس بن مقَّر بن أُوْرِيغَ بن كبوري بن المثنّى، وهو هَوّار، وكأنّه يُشيرُ - واللهُ أعلمُ - إلى أدّاس بن زجّيك الذي يُقالُ إنّه رَبيبُ هَوّارٍ كما يأتي في ذِكْرِهم. إلاّ أنّهُ خُلّط عليه الأمرُ، قالوا: وكان لِمِنْداس ثلاثةٌ من الوُلْدِ: شراوة، وكلثوم، وتُكُمْ[أ]. قال: ولما اسْتَفْحَلَ أمرُ مَطماطَة، وكان شيخَهم لذلكَ العَهْدِ أرهاصن بنُ عصفراض[ب]، فأخْرَجَ مِنْداس من الوَطنِ وغلَبَهُ على أمْرِهِ، واعْتَمرَ بَنوهُ مَوْطنَ مِنْداسِ ولم يَزالوا به. انتهى كلامُه.

وبَقيّةُ[ج] هؤلاءِ القَوْمِ لهذا العَهْدِ بجَبَلِ وانْشَرِيس[د]، لَحِقُوا بهِ لمّا غَلَبَهم بَنو تُوجّين من زَناتةَ على مِنْداس، وصاروا في عِدادِ قَبائِلِهِ الغارِمةِ. واللهُ وارثُ الأرْضِ ومن عَلَيْها.

- [مُغَيلَةَ][هـ]:

وهُم إخوةُ مَطْماطَةَ ولَمَايَةَ كما قُلناهُ، وإخوتُهم مَلْزوزَة / مَعْدودونَ منهم، وكذلك دوّنة وكشّاتة، ولهمُ افتراقٌ في المواطِن. وكان منهُم جمْهورانِ، أحدُهما: بالمغربِ الأوْسَطِ عِنْدَ مَصبِّ شَلَفَ في البَحْرِ، من ضَواحي مازونَة المِصْرِ لهذا العَهْدِ. ومن ساحِلِهم أجازَ عبدُ الرّحمن الدّاخِلُ إلى الأنْدَلُس ونزَلَ

(أ) كذا ضبطت في ص (ب) ص: عصفراص (ج) ظ: بقيّة كلام هؤلاء القوم، ولفظة كلام زائده لا معنى لها فاسقطناها كما في ص د (د) في د: وراشنيس (هـ) سقط من ظ.

بالمُنَكّب. فكان منهم: أبو قُرّةَ المَغِيليُّ الدّائنُ بدِينِ الصُّفْرِيّةِ من الخَوارجِ، ملَكَ أربعينَ سنة، وكانتْ بينَهُ وبَيْنَ أمراءِ العَربِ بالقَيْروانِ لأوّلِ دوْلةِ بَني العبّاس حروبٌ، ونازَلَ طُبْنَة. وقد قيل: إنّ أبا قُرّةَ هذا من بَني يَفْرَن، وهُو عندي أصحُّ، فلذلكَ أخّرْتُ ذكْرَ أخبارِهِ إلى أخْبارِ بَني يَفْرَن، من زَناتَة. وكان منهم: أبو حَسّان، ثار بإفريقيّةَ لأوّلِ الإسْلام. وأبو حاتِم يَعْقوبُ بنُ لَبِيب بن مَدْيَنَ بن يطوفْت بن مَلْزوز الثّائرُ معَ أبي قُرّةَ سنةَ خمسينَ ومائة، وتغلّبَ على القَيْروانِ فيما ذكَرَ خالِدُ بنُ خِدَاش[1] وخَليفةُ بنُ خيّاط[2] من عُلَمائهم.

وذكَروا من رُؤَسائهم أيضاً: موسَى بنَ خليد، ومَليحَ بنَ علْوان، وحَسّانَ ابن صِرْوال[أ] الدّاخلَ معَ عبدِ الرّحمن. وكان منهم أيضاً: دلولُ بنُ حمّاد في سُلطانِ يَعْلى بن محمد اليَفْرَني، وهُو الّذي اختطَّ بلَدَ إيكَري على اثنَيْ عشَرَ ميلاً من البَحْر، وهيَ لهذا العَهْدِ خَرابٌ لم يَبْقَ منها إلاّ أطلالٌ ماثِلَةٌ.

ولم يَبْقَ من مَغيلَةَ بذلكَ المَوْطن جَمْعٌ ولا حَيّ، وكان جُمْهورُهُم الآخَرُ بالمغْربِ الأقصَى، وهم الّذين تَوَلّوْا معَ أوْرَبةَ وصدّينةَ القِيامَ بدَعْوةِ إدْريسَ

(أ) في د: زروال.

---

(1) سمّى صاحب كتاب "مفاخر البربر" كتابَ المؤرخ البربري خالد بن خِداش: تاريخ إفريقيّة، ونقل عنه خبر أبي حاتم المغيلي الثائر بالمغرب (انظر ثلاثة نصوص عربيّة عن البربر 188). ونقل الطبري عن خالد هذا روايتين عن خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن على الخليفة المنصور سنة 145هـ. وأشار إلى أنّه مولى عمر بن حفص [أو عمرو بن حفص، هزارمَرْد]. التاريخ 7: 633.

(2) خليفة بن خياط شيباني بصري، مؤرخ نسّابة، سبق الطبري في ترتيب كتابه التاريخ على الحوليات، وليس من علماء البربر كما ذكر ابن خلدون. وفاته 240 هـ. وفيات الأعيان 2: 243، تذكرة الحفاظ 2: 21.

ابن عبدِ الله لـمّا لَحِقَ بالـمغرب، فأجارُوهُ وحمَلوا قبائِلَ البَرْبَرِ على طاعَتِه والدّخولِ في أَمْرِه. ولم يَزالوا على ذلك إلى أنِ اضْمَحَلَّتْ دولةُ الأدارِسَة، وبقاياهم لهذا العَهْدِ بمَواطِنِهم ما بَيْنَ فاسَ وصفرويْ ومِكْناسَة. واللهُ وارِثُ الأَرْضِ ومَن عليْها.

• مَدْيونَة:

وهم إخوةُ مُغيلَةَ ومَطْماطة، ومن وَلَدِ فاتِنَ كما قلناهُ. وكانت مواطِنُ جُمْهورِهم / بنَواحي تِلِمْسانَ ما بَيْنَ جَبَلِ راشِد لهذا العَهْدِ إلى الجَبَلِ المعْروفِ بهم قِبْلَةَ وَجْدة، يتقَلَّبونَ بظواعِنهم في ضَواحيه وجِهاتِه. وكان بنو يلومي وبَنو يَفْرَنَ من قَبْلِهم يُجاوِرونَهم من ناحِيةِ الشَّرْق، ومِكْناسَةُ من ناحيةِ الغَرْب، وكومية ووَلْهاصَةُ من جهةِ السّاحل. وكان من رِجالتِهمُ المذكورين: جريرُ بنُ مَسْعود، وكان أميراً عليْهم، وكان معَ أبي حاتِم وأبي قُرَّةَ في فِتْنَتِهم.

وأجازَ إلى الأنْدَلُس في طَوالِعِ الفَتْح كثيرٌ منهم، فكان لهم هنالِك استِفْحالٌ. وخرَجَ هلالُ بن أبزيا، منهم، بشَنْتَمَرِيَّةَ على عبدِ الرّحمن الدّاخِلِ متبعاً شقْياً المكناسِيَّ في خُروجِه، ثمّ راجَعَ الطّاعةَ فتقَبَّلَه وكتَبَ لَهُ على قَوْمِه [فكان رأسَ البَرْبَرِ بشَرْقِ الأنْدَلُس وشَنْتَمَرِيّة، ثمّ خلَفَهُ بها مِن قَوْمِه][(أ)] ثابتةُ[(ب)] بنُ عامِر.

(أ) من د ص (ب) ظ: ثابتة. وفي د: نابتة، والأول الثاني مهملان في ص.

ولمّا تغلّبَ بنو تُوجّين وبنو راشِد من زَناتةَ على ضَواحي المغْربِ الأوْسط، وكانَ مديونةُ هؤلاء قد قَلَّ عدَدُهم وفَلَّ حَدُّهم، [فزَحَلَتْهم][أ] زَناتةُ عن الضَّواحي من مَوطِنِهم وتَملّكوها، وصارتْ مَدْيونَةُ إلى الحُصونِ من بلادِهِم من جَبَلِ تاسالةَ وجَبل وَجْدةَ المعروفِ بهم، وضُرِبَتْ عليهمُ المَغارم وتَمرّسَتْ بهمُ الأيّامُ فلم يَبْقَ هنالِكَ منهم إلاّ صُبابةٌ محتَرِفونَ بالفَلْح، ومِنْهم أيضاً أوْزاعٌ في القَبائلِ مُنْدرِجونَ فيهم. وبنَواحي فاسَ ما بيْنَها وبَيْنَ صفْرُويْ قبيلةٌ منهم مجاوِرَةٌ لمَغِيلَةَ. واللهُ وارثُ الأرضِ ومَن عليها.

• كومِيَة:

وهمُ المعروفونَ قديماً بِصَطْفورَه إخوةُ لمايَة ومَطْغرَة، وهم من ولدِ فاتِنَ كما قدَّمْناهُ، ولهم ثلاثُ بُطونٍ منها تـفرَّعَتْ شُعوبُهم وقبائِلُهم، وهي: نَدْرومَة، وصغارة وبنو يَلُولْ: فمن نَدْرومَة: يَفوطة، وخرسة، وفردة، وهفّانة، وقرانة[ب]. ومن بَني يَلُول: مسِّيفة، ووتيوه، وهيشبة، وهَيْوارة، ووالغة. ومن صغاره: ماتيلة، وبنو حَباسَه. وكان من يفوطة منهم النسَّابةُ المشهورُ هاني بن مصدور بن برنس / بن يفوط. هذا هُو المعروفُ في كُتُبِهم. [199]

وكانتْ مواطِنُ كومـيَةَ بالمغرِبِ الأوْسَط بسِيف البَحْر من ناحيةِ أرْشكُولْ وتِلِمْسَان، وكان لهم كثرةٌ مؤفورةٌ وشوْكَةٌ مرهوبةٌ، وصاروا آخِراً

(أ) من د، وفي ظ: فزحلتهم (ب) د: قرّانة.

من أعْظم قبائِل الموحِّدينَ بما ظاهَروا المَصامِدَةَ على أمْرِ المَهْديّ وكلِمةِ توْحيدِه، وبما كانوا رَهطَ عبدِ المؤمنِ صاحبِهِ وخليفَتِه من بَعْدِه، فإنّه كان من بَني عابِدٍ أحدِ بُيوتاتِهم، وهُو عبدُ المؤمِن بنُ عليّ بن [1]مَخلوفِ بن يَعْلى بن مَرْوانَ بن نَصْر بن عليّ بن عامِرِ بن الأميرِ[2] موسَى بن عبدِ الله بن يَحْيى ابن ورزايغ بن سَطْفور، هكذا نَسَبَهُ مؤرّخُو دَوْلَةِ الموحّدينَ إلى سَطْفور. ثُمّ يقولون: سَطْفورُ بنُ نفور بن مَطْماطَ بن هودج بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَر. ويذكُرُ بعضُهم أنّه مَنقولٌ من خَطِّ أبي محمّدٍ عبدِ الواحِدِ المخلوعِ ابن يوسُفَ بن عَبْدِ المؤمن.

فأمّا انْتِسابُهُم في قَيْسِ عَيْلانَ فقدْ ذكَرْنا أنّهُ غيرُ صحيحٍ، وفي أسْماءِ هذا العَمُودِ من نَسَبِ عبْدِ المؤمن ما يَدُلّ على أنّه مَصْنوعٌ، إذْ هذه الأسْماءُ لَيْست من أسْماءِ البَرْبر، إنّما هيَ كما تَراهُ كلُّها [عَربيّةٌ][أ]، والقومُ كانوا من البرابِرَة معروفونَ بَيْنَهم. وانْتِسابُ سَطْفورَ إلى مَطْماطَ تخليطٌ أيضاً، فإنّهمَا أخَوانِ عنْدَ نَسّابةِ البَرْبرِ أجْمع، وعبدُ المؤمنِ [بلا شكٍّ منْهم، والله أعلمُ بما سِوَى ذلك.

وكان][ب] عبدُ المؤمِن هذا من بُيوتاتِهم وأشْرافِهم. وموطِنُهم بتاكرارت، وهوَ حصْنٌ في الجَبلِ المُطِلّ على هُنَيْنَ من ناحِيةِ الشّرْق.

(أ) ظا: غربية (ب) من ص د.

(1) في البيان المغرب 79 (قسم الموحدين): علوي بن يملى بن مروان.

(2) البيان المغرب: الأمير بن موسى بن عون الله بن يحيى بن ورجايغ

ولمّا نجَمَ عبدُ المؤمنِ فيهم وشَبَّ، ارْتَحَلَ في طَلَبِ العِلْم، فنَزَلَ بتِلِمْسَانَ وأخَذَ عن مَشْيَخَتِها، مثْلَ ابن صاحِب الصّلاةِ[1]، وعبْدِ السّلام التّونِسيّ[2]، وكانَ فقيهاً صالِحاً، وهو ضَجيعُ الشّيخ أبي مِدْيَنَ في تُرْبتِه. ولـمّا هلَكَ عبدُ السّلام هذا ولم يحذِق تلميذُهُ بعْدُ في فُنونِه، وكانَ شيْخَ عَصْرِهِ في الفِقْهِ والكَلام، تعَطّش التّلميذُ بَعْدَهُ إلى القِراءة. وبلَغَهم خبَرُ الفقيهِ محمّدِ ابن تومَرْتَ المَهْديّ ووصُولِهِ إلى بِجَايَة، وكان يُعْرَفُ إذْ ذاكَ بالفَقيه / السُّوسيّ نسبةً إلى السُّوس، ولم يكنْ لَقَبُ المَهْديّ وُضِعَ علَيْه بعْدُ، وكان [99 ب] في ارْتِحالِهِ من المَشْرقِ إلى المَغْرِبِ قد أخَذَ نَفْسَهُ معَ تَغْييرِ المنكَرِ الّذي كان شأنَهُ وطريقَتَه بنَشْرِ العِلْم وبَثِّ الفُتْيا وتَدْريس الفِقْهِ والكلام، وكان لهُ في طريقَةِ الأشْعريّةِ إمامَةٌ وقَدَمٌ راسِخَة، وهُو الّذي أدْخَلَها إلى المغربِ كما ذكَرْناهُ. فتَشَوّفَ طلَبَةُ العِلْمِ بتِلِمْسَانَ إلى الأخْذِ عنهُ، وتَفاوَضُوا في ذلكَ وَندَبَ بعضُهم بَعْضاً إلى الرِّحْلَةِ إليه لاسْتِجْلابِه، وأن تكونَ لهُ المِنّةُ في إتْحافِ القُطْر بعُلومِهِ. فانتَدَبَ لها عبدَ المؤمِن علَى مكانِه من صِغَرِ السّنّ بنَشاطِه للسّفَرِ لبَداوَتِه. فارْتَحَلَ إلى بِجَايَةَ للقائِه وتَرْغيبه في نُزولِ تِلِمْسَان، فلَقِيَهُ بِمَلاّلَة وقدِ اسْتَحْكَمَتْ بيْنَهُ وبيْنَ العزيز صاحِبِها النُّفْرةُ، وبَنو

(1) هو المؤرخ عبد الملك بن محمد بن أحمد، المعروف بابن صاحب الصلاة، من أهل باجة. أقام بإشبيلية وانتقل بين قرطبة ومَرّاكش. وفاته بعد سنة 594 هـ. انظر عنه مقدمة المؤرخ عبد الهادي التازي لكتاب " تاريخ المَنّ بالإمامة".

(2) الفقيه أبو محمد عبد السلام التونسي، أخذ على عمه بأغمات، وأقام بتِلِمْسَان زاهدا يأكل من كدّ يمينه حتى وفاته سنة 589هـ، فدفن بالعبّاد. ومات بعده بنحو خمس سنين أبو مدين شعيب فدفن إلى جواره. ابن خلدون: بغية الروّاد 1: 24 ، 64.

وَزِيَاكَـلْ متعَصّبُونَ على إجارَتِه منهُ ومَنْعِهِ من إذايَتِه والوصولِ إليْه، فألقَى إليْهِ عبدُ المؤمنِ ما عندَهُ من التّرْغيب، وأدّى إليه رسالةَ طلَبةِ العِلْمِ بتِلِمْسَان، فوعَاها، وشَأْنُهُ غيرُ شَأْنِهم. وعكَفَ عبدُ المؤمنِ على التّعْليم والأخْذِ عنهُ في ظَعْنِهِ ومُقامِه، وارْتَحلَ إلى المغربِ في صِحابَتِه. وحَذِقَ في العِلْمِ، وآثَرَهُ الإمامُ بمزيدِ الخُصوصِيّةِ والقُرْبِ لِمَا خَصَّهُ اللهُ بهِ من الفَهْم والوَعْيِ للتّعْليمِ، حتّى كان خالصةَ الإمامِ وكبيرَ صَحابتِهِ، وكان يُؤمِّلُه لِخلافَتِه لِمَا ظَهَرَ عليْه من الشّواهِدِ المؤذِنةِ بذلك. ولما اجْتازُوا في طَرِيقِهم إلى المَغْرِبِ بالثّعالِبَةِ من بُطونِ العَرَبِ الّذين ذكَرْناهم قَبْلُ في نواحي المديّة، قَرّبوا إليهِ حِماراً فارِهاً يَتّخِذُهُ مَطيّةً لِرُكوبِه، فكان يُؤثِرُ به عبدَ المؤمن ويَقولُ لأصْحابِه: أرْكِبوهُ الحمارَ يُرْكِبْكُم الخيولَ المُسَوَّمةَ. ولمّا بويِعَ لهُ بهَرْغَةَ سنةَ خَمْسَ عشْرةَ وخمسِ مائة، واتّفقَتْ على دَعْوتِهِ كلمةُ المَصامِدَة، وحارَبُوا لَمْتونَة، نازَلوا مَرّاكُش، وكانتْ بَيْنَهم في بَعْض أيّامِ مُنازَلَتِها حربٌ شديدةٌ / هلَكَ فيها من الموحِّدينَ آلافٌ. فقيلَ للإمام: إنّ المُوَحِّدينَ قد هَلَكوا [100أ] سائرَ اليوم، فقال لهم: ما فعَلَ عبدُ المؤمن؟ قالوا: هُو على جَوادِه الأدْهَم قد أحْسَنَ البَلاءَ، فقال: ما بَقِيَ عبدُ المؤمن فلم يَهْلِكْ أحدٌ.

ولمّا احتُضِرَ الإمامُ سنةَ ثِنْتيْنِ وعشرين، عَهِدَ بخلافَتِهِ في أمْرِه لعَبْدِ المؤمن، واسترابَ لِخُلُوِّهِ من العصَبِيّةِ بيْنَ المَصامِدَة، فَكُتِمَ موتُ المَهْدِيّ وأُرجِئَ أمرُهُ حتّى صدَعَ الشّيخُ أبو حَفْص أميرُ هَنْتاتَةَ وكبيرُ المَصامِدَةِ بمُصاهَرتِهِ، وأمضَى عهدَ الإمامِ فيه. فقام بالأمْرِ، واستَبَدَّ بشِياخَةِ المُوَحِّدينَ

وخلافةِ المُسْلمينَ، ونهض سنةَ سبْع وثلاثينَ إلى فَتْح المَغْرِبِ فدَانتْ لَهُ غُمارَةُ، ثُمَّ ارتَحَلَ منها إلى الرّيف، ثُمَّ إلى بطّويةَ[أ]، ثُمَّ إلى بطالسة[ب]، ثُمَّ إلى بَني يزناسَنَ، ثُمَّ إلى مديونةَ، ثُمَّ إلى كومية وجِيرانِهم وَلْهاصَة، وكانوا تِلْوَهم في الكثْرة، فاشتَدَّ عضُدُه بقَوْمِه، ودَخلُوا في أمْرِهِ وشايَعوهُ على تَمْكين سُلْطانِه بَيْنَ الموحِّدينَ وخِلافَتِه.

ولمّا رجَعَ إلى المغربِ وافتَتَحَ أمْصارَهُ واستَوْلى على مَرّاكُش، استَدْعى قَوْمَه للرِّحلةِ إليْها والعَسكرَةِ عليه. فتخفَّ جُمهورُهم إلى المغْربِ واستَوْطنوا مَرّاكُش لحَمْلِ سَريرِ الخلافَةِ والقيامِ بأمْرِ الدّعْوةِ والذّبّ عن يَغْسوبِهم والمُدافَعةِ. فاعْتَضَدَ بِهم عبدُ المؤمن وبَنوهُ سائرَ الدّوْلة، وكانوا لمكانتِهم فاتحةَ الكِتابِ وفَذْلكةَ الجماعَة، وأنْفقَهُم المُلْكُ في الفُتوح والعَساكِر، وأكَلَتْهمُ الأقْطارُ في تَجْميرِ الكتائِبِ وتدْويخ الممالِك، فانْقَرَضوا وبَقِيَ في مواطِنِهمُ الأُولى بقاياهم.

وبَيْت بني عابِدٍ منهم، وهم في عِدادِ القَبائِل الغارِمَة، قد أثْقَلَتْ زَناتَةُ كاهِلَهم بِحَمْلِ المغْرَمِ والعَسْف، وبَهَضُوهُمْ بالتّكاليفِ، ونَظَموهُم معَ جِيرانِهم وَلْهاصَةَ في سَوْمِ الخَسْفِ والذُّلِّ واقْتضاءِ الخَراج بالنَّكالِ والعَذاب. واللهُ مُبدّلُ الأمْرِ ومالِكُ المُلْكِ، سُبْحانَه.

(أ) ص: بطونة (ب) ص: بطاله.

[100 ب] ● / الخَبَرُ عن زَوَارَةَ وزَوَاغَةَ[1] من بُطون ضَرِيسةَ من البرابرِ البُتْرِ، والإلمامُ ببعضِ أخوالِهم

هؤلاءِ البُطونُ من بُطونِ البرابرَةِ البُتْرِ من وَلَدِ سمكان بن يَحْيى ابن ضَرِي بن زجّيك بن مَادْغَس الأبتَرِ، وأقرَبُ ما إليهم من البَرابِرِ زَنَاتةُ؛ لأنّ أباهم جانا هُوَ أخو سمكان ابن أبيه، فلذلكَ كانوا ذُوي قُرْبَى لهم.

● زَوارة:

فأمّا زَوارَةُ، فهم من بُطونِهم، وقد يقالُ: إنّ زَوَاوَةَ من قَبائلِ كُتامَة، ذكَرَ ذلك ابنُ حَزمٍ[2]. ونَسّابَةُ البَرْبَرِ إنّما يَعُدّونَهم من وَلَدِ سمكان كما قُلناهُ، والصّحيحُ عندي ما ذكَرَهُ ابنُ حَزمٍ، يَشْهَدُ لذلكَ المَوْطِنُ وَنِحْلَةُ التَّشيُّعِ مَعَ كُتامةَ لعَبْدِ الله[3]. ويَعُدُّ نَسابَةُ البَرْبرِ لهم بطوناً كثيرةً: بني مَجَسْطَة، وبَني مليكَش، وبني كُوفي، ومَشْدَّالَة[أ]، وبَني زريقف، وبَني كرزيت، وكرسنينة، ووَزَلْجَة، وتُوجَةَ، وزكلاوة، وبني مزَّاية[ب]. ويُقال: إنّ بَني مَليكش من صِنْهاجةَ، والله أعلَمُ.

(أ) ظ: مَشْدّالَة (ب) ص: مزاته. د: مزاته.

---

(1) في حاشية ص علّق قارئ هذه النسخة وكاتب الهوامش الكثيرة على حواشيها: لعلّ منهم الزواغي رائص مركب قدم عام 1063 [هـ] الإسكندرية من المغرب بمركبه

(2) الجمهرة 501.

(3) ظ د ص تذكر اسم المهدي هنا بدون تصغير.

ومن قَبائِلِهِمُ المشهورةِ لهذا العَهْد: بنو بَجْرٍ، وبنو مَانْكَلاَت، وبنو بَتْرُون، وبنو يَانِّي، وبنو بو غَرْدان، وبنو يَتُّورَغ، وبنو بو يوسُف، وبنو عيسَى، وبنو بو شُعَيْب، وبنو صَدَقَة، وبنو غبْرِين، وبنو كَبْشطولة[أ].

• ومواطنُ زَواوَةَ بنواحي بِجَايَةَ ما بَيْنَ مَواطِنِ كُتامَةَ وصِنْهاجَة، أوْطَنوا منها جِبالاً شاهِقَةً مُتَوَعِّرَةً ترتَدُّ عنها الأبصارُ، وتضِلُّ في خَمَرِها[1] المسالِك، مثْلَ بَني غبْرِينَ بجبلِ زيري، وفيهِ شَعْراءُ من شَجَرِ الزّان يُشْهَرُ بها لهذا العَهْد، ومثْلَ بَني فراوسنَ وبَني يِراتن[ب]، وجَبَلُهُم ما بَيْنَ بِجايَةَ وتَدَلّس، وهُو أعْصَمُ مَعاقِلِهم وأمنَعُ حُصونِهِم، فلَهم بِهِ الاعتِزازُ على الدُّوَلِ، والخِيَارُ عليها في إعْطاءِ المَغْرَم، مع أنّ كلَّهم لهذا العَهْدِ قدِ امْتنعَ بشاهِقِهِ، واعتزَّ / على السُّلْطان في إيتاءِ طاعَتِه وقانونِ خَراجِه[ج]. [101 أ] وكانتْ لهُم في دَوْلَةِ صِنْهاجَةَ مَقاماتٌ مذكورَةٌ في السِّلْمِ والحرْبِ بما كانوا أولياءَ لكُتامَةَ وظُهَراءَ لَهُمْ على أمْرِهم مُنْذُ أوّلِ الدّوْلة. وقَتَلَ باديسُ بنُ المنصورِ في إحْدى وقائِعِهِ بِهم شَيْخَهم زيري بنَ أجانا لاتّهامِهِ إيّاهُ في أمْرِ حَمّاد، ثُمّ اخْتَطَّ بنو حَمّادٍ بعدَ ذلك بِجَايَةَ بساحِهِم وتمرَّسُوا بهِمْ، فانْقادوا وأذْعَنوا لهم إلى آخرِ الدّوْلَة، واتَّصلَ إذْعانُهم إلى هذا العَهْدِ إلا تَمْريضاً في المَغْرَم يَحْمِلُهم عليْه الوُثوقُ بمَنَعَةِ جِبالِهم. وكانتْ رِئاسَةُ بَني يِراتن، منْهم، في بَني عبدِ الصَّمدِ من بُيوتاتِهم.

(أ) هذه الفقرة مُضافة في حاشية د ومدرجة في متن ظ ص (ب) ص: يسراين (ج) ص: خرجه.

(1) الخَمَرُ: ما وَاراكَ من شَجرٍ وغيره، الأشجارُ الملتفّة والأعشاب المتشابكة.

وكانَتْ عندَ تغلُّبِ السُّلْطانِ أبي الحَسن على المَغربِ الأوْسطِ شَيْخةٌ عليهم من بَني عبدِ الصَّمدِ هؤلاء اسمُها شمْسِي، وكان لها عَشرةٌ من الوُلْد، فاسْتَفْحلَ شأنُها بِهِمْ وملكَتْ عليهم أمرَهم. ولمّا تَقبّضَ السّلطانُ أبو الحسَن على ابنِهِ يَعْقوبَ المُكَنّى بأبي عبدِ الرّحمن عندَما فَرّ من مُعَسْكرِه بمَتّيجَةَ سنةَ ثمانٍ أو تِسْعٍ وثلاثينَ، وسَرّحَ في إثْرِه الخَيّالةَ فرجَعُوهُ واعْتَقَلَهُ ثُمّ قتَلَهُ من بَعْدِ ذلكَ حسبَما يُذْكَرُ في أخْبارِهم(1)، لَحِقَ حينَئذٍ ببَني يِرَاتَن هؤلاء جَازرٌ من مطبخه(2)، فَموّهَ عليهم باسْمِه وشَبّهَ بمثالِهِ ودَعا إلى الخُروج على أبيهِ بزَعْمِه، فشمَّرتْ شَمْسِي هذه عَزَائِمَها في إجَارتِه، وحَمَلَتْ قومَها على طاعَتِه. وسَرّبَ السّلطانُ أبو الحسَن أموالَه في قَوْمِها وبَنِيها على إسْلامِهِ فأبَتْهُ: ثُمّ نُمِيَ إليها الخبرُ بكَذِبِه وتَمْوِيهِه فنَبَذَتْ إليهِ عهدَهُ وخرَجَ عنها إلى بِلادِ العَربِ كما نَذكُرُ بعدُ في أخْبارِهم(3). وقَدِمَتْ على السُّلطانِ أبي الحسَن في وَفْدٍ من قَوْمِها وبَعْضِ بَنِيها، فاسْتَبْلَغَ السّلطانُ في تَكْريمِها وأحسَنَ صِلَتَها وأجازَ الوفْدَ ورجَعَتْ بهم إلى مَوْطِنِها. ولم تَزِلِ الرّئاسةُ في هذا البَيْت.

• زَوَاغَة:

[101 ب] وأمّا زَوَاغَةُ فلم يَتَأدَّ إلينا من أخْبارِهم / وتَصاريفِ أحْوَالِهم ما نُعمِلُ فيهِ الأقلامَ. ولهم ثلاثةُ بُطونٍ، وهي: دمّر بن زَوَاغْ، وبنو وَاطِيلْ

(1) انظر خبره مفصّلاً في العبر 14: 241.

(2) اسمه ابن هَيْدور. العبر 14: 243.

(3) العبر 14: 244.

[بن زَجّيك] بن زَواغ، وبنو [ماجِر][أ] بن تِيفُون بن زَوَاغ. ومن دمَّر بنو سمكان، وهم أوْزَاعٌ في القبائِل، ومنهم بنواحي طرابُلُس مُفترقُون في بَرابرها، ولهم هنالِكَ الجبَلُ المعروفُ بِدَمَّر[ب]. وفي جِهاتِ قُسَنطينةَ أيضاً رَهطٌ من زَوَاغَةَ، وكذلِكَ بجبالِ شَلَف: بنو وَاطيل، منهم، وبنواحي فاسَ آخرونَ. ولله الخلْقُ والأمْرُ.

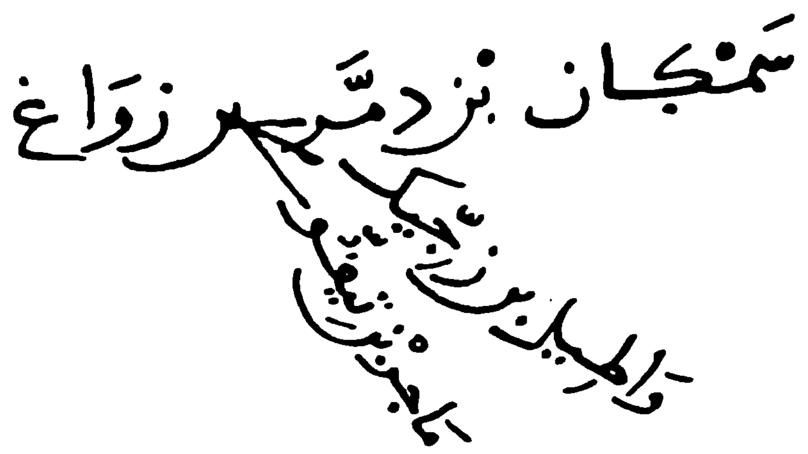

[زواغة وبطونها]

(أ) من د ص، ظ: ماجرتن بن تيفُون. ويلاحظ إسقاط النون من " تيفُون" في مشجرات النسخ الثلاث ظ، د، ص (ب) كذا ضُبط في ظ د بفتح الدال وتشديد الميم.

● الخبرُ عن مِكْنَاسة وسائرِ بُطون بني وَرْصَطْف، وهم بَقيّةُ ضَرِيسةَ من البَرابرةِ البُتْر، وما كانَ لِمكناسَةَ من الدُّولِ بالمغرب، وأَوّليةِ ذلكَ وتصاريفِه.

كان لورْصَطْف بن يَحْيى وهُو أخو جَانا بن يَحْيى وسمكان بن يَحْيى، ثلاثةٌ من البُطونِ، وهم: مِكناسَة، ووَرْتَنَاجَة[أ]، وأوْكتَة. ويقال: مكتَة. وبَنو وَرْتَنَاجَة أربعةُ بطونٍ: سَدْرَجَة، ومكْستة، وبَطالِسَة، وكَرْنِيطَة؛ وزادَ سابِقٌ وأصحابُهُ في بُطونِهم: هُناطة، وفُولالَة. وكذلِكَ عَدّوا في [بُطونِ] مكتَة[ب] بَني يَصْلَتَنْ، وبني تُولالين، وبَني تَرين، وبَني جَرْتَن، وبَني فوغال.

ولِمكناسَةَ عندَهم أيضاً بطونٌ كثيرةٌ، منها: [صولات][ج]، وبَنو حرّات[د]، وبنو وَرْفَلاَّس، وبَنو وَرْيَدُوس، وقنصارة، ونيفَة، ووَرْتفلنَة. وبطونُ وَرْصَطْف، كلُّهم مُندرجونَ في بُطونِ مِكْنَاسَة.

[102 ا] وكانتْ / مَواطِنُهم على وادي مَلْويّة من لَدُنْ أعلاهُ بسِجِلْماسَةَ إلى مَصَبّه في البَحْر، وما بَيْنَ ذلك من نَواحي تَازَى وتسول؛ وكانتْ رئاسَتُهم جميعاً في بَني أبي يَزُول[هـ]، واسمُهُ مجدولُ بنُ تافريس[و] بن فراديس بن وَنيف بن مِكْناس. وأجازَ منهم إلى العُدْوَةِ عندَ الفَتْح أُمَمٌ، وكانتْ لهم بالأندَلُس رئاسَةٌ وكَثْرةٌ، وخرجَ منهم على عبدِ الرّحمن الدّاخِل شقيّا بنُ عبدِ

(أ) ظ: ورتناجة. وتالية ذكرتها بالزاء (ب) د: نكتة (ج) كذا في د، ص وفي ظ: مولات (د) كذا في ظ. ص: جواب د: حوّات (هـ) ص: نزول (و) ظ: تافريسن، خطأ انظر المشجر.

الواحِدِ سنةَ إحْدى وخَمْسين، واعْتَصمَ بشَنْتَمَرِيَّةَ ودَعَا لنفْسِهِ مُنْتَسِباً إلى الحَسن بن عليّ، وتَسَمَّى عبدَ الله بنَ محمّد، وتَلقَّبَ بالفاطِميّ، وكانتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ عبدِ الرّحمن حروبٌ إلى أن غلَبَهُ ومَحَا أثَرَ ضَلالَتِهِ.

وكان من رِجالِتِهم لعَهْدِ دَوْلةِ الشِّيعَة مَصَالَةُ بنُ حَبُوس بن منازل، اتصَلَ بعبيدِ[أ] الله الشِّيعيّ وكان من أعْظمِ قُوّادِهِ وأوْليائهِ، ووَلاّهُ تاهَرْتَ، فافْتَتَحَ لهُ المغربَ وفاسَ وسِجِلْماسَةَ، ولما هَلَكَ أقامَ أخاهُ يصِلْتَّن بنَ حَبُوس مَقامَهُ [في ولايةِ تاهَرْتَ والمغرِب، ثُمّ هلَكَ وأقام ابنَهُ حُمَيْداً مقامَه][ب]، فانْحرَفَ عن الشِّيعَةِ ودَعَا لعَبْدِ الرّحمن النّاصِر، واجتَمعَ معَ بَني خَزَر أمراءِ مَغْراوَةَ على وَلايَةَ المَرْوانيّة، ثُمّ أجازَ إلى الأنْدَلُس ووَلِيَ الولاياتِ أيّامَ النّاصِرِ وابْنِه الحكَمَ، ووَلِيَ في بَعْضِها تِلِمْسَانَ بدَعْوَتِهم، ثُمّ هلَكَ وأقام ابْنَه يَصَلَ بنَ حُمَيْد. وأخوهُ قياطن بن يَصَلْتّن وعَلِيّ ابنُ عمّهِ مَصالَةَ في ظلِّ الدَّولَةِ الأُمَويّةِ إلى أن أجازَ المظفَّر [بن][ج] أبي عامِر إلى المَغرِبِ، فوَلَّى يَصَل بنَ حُمَيْدٍ على سِجِلْماسَةَ كما نَذكُر.

ثُمّ إنّ رئاسةَ مِكناسَةَ بالعُدوَةِ انقسَمَتْ في بَني أبي يَزُولْ، وانقَسَمَتْ قبائلُ مِكناسَةَ بانْقِسامِها، وصارَت رئاسَةُ مِكْناسَةَ في مَواطِن سِجِلْماسَةَ وما إليْها لبَني وَاسُول بن مَصْلاَن بن أبي يَزُولْ، ورئاسَةُ مِكْناسَةَ بِجهاتِ تازَى وتسولَ ومَلْويّةَ ومُلِيلَةَ لبني أبي العافِيَة بن أبي باسِل بن أبي الضَّحّاك

(أ) ظ: لعبيد (ب) من د ص (ج) سقط من ظ.

ابن أبي يَزُول، ولكلٍّ واحدٍ من هذَيْنِ الفريقَيْنِ في الإسْلام دولةٌ وسُلْطانٌ
[102 ب] صاروا بهِ / في عِدَادِ المُلوكِ على ما نَذكُرُهُ.

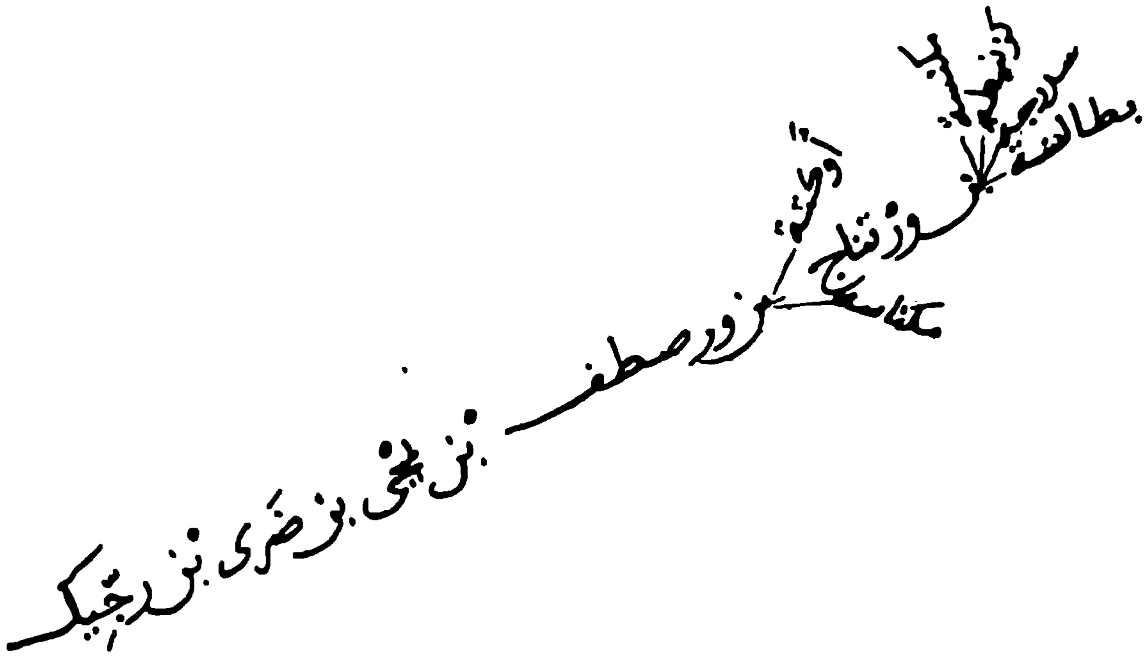

[بطون بني وَرْصَطَّف: مِكْناسة وأوكته وورتّناج]

● الخَبَرُ عَنْ دَوْلَةِ بني وَاسُول مُلوكِ سِجِلْماسَةَ وأَعْمالِها من مِكْنَاسَةَ

كان أهلُ مواطِن سِجِلْماسَةَ من مِكْناسَةَ يَدِينونَ لأوّلِ الإسْلام بدِينِ الصُّفْرِيّةِ، لَقِنُوهُ عن أئمّتِهم ورؤوسِهم من العَرَبِ لـمّا لحِقُوا بالمغربِ وانتَزَوْا على الأصْقاعِ، وماجَتْ أقطارُ المغربِ بفِتْنَةِ مَيْسرة. فلَمّا اجتَمعَ على هذا المذهبِ زُهاء أربعينَ من رِجَالَتِهم، نقَضوا طاعَةَ الخُلَفاء وولّوا عليهم عيسَى ابنَ يَزيدَ الأسْودَ، من مَوالِي العرب ورؤوسِ الخَوارِج، واختَطُّوا مدينةَ سِجِلْماسَةَ لأربعينَ ومائةٍ من الهِجْرَة، ودَخَل سائرُ مِكْناسَةَ من أهْلِ تلكَ النّاحِيةِ في دينِهم. ثُمّ سَخِطوا أميرَهم عيسَى ونَقَموا عليه كثيراً من أحوالِهِ، فَشَدّوهُ كِتافاً ووَضَعوهُ على قُنّةِ / جَبلٍ إلى أن هَلَكَ سنةَ خمْس [103 أ] وخَمْسين. واجْتَمعوا بعدَهُ على كبيرِهم أبي القاسِمِ سمكو بن وَاسُول بن مَصْلان(أ) بن أبي يَزُول. كان أبوهُ سَحْقُو من حَمَلَة العلم، ارتحل إلى المدينة فأدرَكَ التّابعين، وأخَذَ عن عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابنِ عَبّاس، ذَكَرَهُ عَريبُ بنُ حُميدٍ في تاريخِه. وكان صاحبَ ماشيةٍ، وهُو الّذي بايَع لعيسَى بن يَزيدَ وحمَلَ قومَهُ على طاعَتِه، فبايَعُوهُ من بَعْدِه وقاموا بأمْرِه إلى أن هَلَكَ فجْأةً سنةَ سَبْع وستّينَ ومائةٍ، لثِنْتَيْ عشْرةَ سَنَةً من ولايَتِه. وكان إباضِيّاً صُفْرِيّاً، وخَطبَ في عَمَلِهِ للمنصور والمَهْديّ من بَني العَبّاس، ولـمّا هَلَكَ ولّوْا عليهم

(أ) د: مزلان.

ابنَهُ إلْيَاس، وكان يُدْعَى بالوَزير، ثُمّ انتقَضُوا عليهِ سنةَ أرْبَعٍ وسَبْعينَ، فخلَعوهُ ووَلّوْا مكانَهُ أخاه اليَسَعَ بنَ أبي القاسم، وكُنيتُه أبو مَنصور(1)، [ولقبهُ المُنتصِر]، فلم يَزلْ أميراً عليهم، وبنَى سورَ سِجِلْماسَةَ لأربعٍ وثلاثينَ سَنةً من ولايَتِه، وكان إباضِيّاً صُفرِيّاً، وعلى عَهْدِهِ اسْتَفحَلَ مُلكهُم بسِجِلْماسَة، وهُو الّذي أتمّ بناءَها وتشييدَها واختَطَّ بها المصانعَ والقصورَ، وانتقلَ إليها آخِرَ المائةِ الثّانية. ودَوّخ بلادَ الصّحراء، وأخذَ الخُمُسَ من مَعادنِ دَرْعَةَ، وأصْهَرَ لعَبْدِ الرّحمن بن رُسْتُمَ صاحبِ تاهَرْتَ بابْنِه مِدْرارٍ في ابْنَتِه أرْوَى، فأنْكَحَه إيّاها.

ولـمّا هَلَكَ سنةَ ثمانٍ ومائتينِ وَلِيَ بعدَهُ ابنُهُ مِدْرار، ولَقَبُه المُنتَصِر. وطالَ أمَدُ ولايَتِه، وكانَ لهُ ولَدانِ اسمُ كلٍّ واحدٍ منْهما مَيْمون، أحدُهما لأرْوَى بنْتِ عبدِ الرّحمن بن رُسْتُم، وقيلَ إنّ اسْمَهُ أيضاً عبدُ الرّحمن، والآخرُ لِبَغِيّ، وتنازَعَا في الاستِبْدادِ على أبيهما، ودامَتِ الحربُ بَيْنَهما ثلاثَ سِنين، وكانتْ لأبيهما مِدْرارٍ صاغيةٌ إلى ابنِ أرْوَى، فمالَ معَهُ حتّى غلَبَ أخاهُ وأخْرَجَهُ من سِجِلْماسَة، ولم يَلْبَثْ إلى أن خَلَعَ أباه واسْتَبَدَّ بأمْرِه.

[103 ب] ثُمّ ساءَتْ سيرَتُه في قَوْمِه ومَدينَتِه فخلَعوهُ وصارَ إلى دَرْعَةَ، / وأعادوا مِدْراراً إلى أمْرِه. ثُمّ حدّثَ نَفْسَه بإعادَةِ ابنِه مَيْمونِ بن الرُّسْتُمِيّةِ إلى إمارَتِه

(1) في حاشية د وحدها: ولقبه المنتصر.

لصَاغِيَتِه إليْه، فخلَعوهُ ورَجّعوا ابْنَهُ مَيْموناً ابنَ البَغيّ، وكان يُعْرَف بالأمير. وماتَ مِدْرارٌ إثْرَ ذلك سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ لخمْسٍ وأرْبعينَ من مُلكِه. وأقامَ ابنُه ميمونٌ في اسْتِبْدادِه إلى أن هَلَكَ سنةَ ثلاثٍ وسِتّينَ. ووَلِيَ ابنُه مُحَمّدٌ وكان إباضِيّاً، وتوفّيَ سنةَ سبْعينَ، فوَلِيَ اليَسَعُ بنُ المُنْتَصِر وقامَ بأمْرِه.

ولَحِقَ عُبَيْدُ اللهِ الشّيعيُّ وابنُهُ أبو القاسم بسِجِلْماسةَ لعَهْدِه؛ وأوْعَزَ المُعتضِدُ بالله في شأنِهما، وكانَ على طاعَته، فاسْترابَ بهما وحبَسَهما إلى أن غلَبَ الشّيعيُّ بني الأغلَبِ وملَكَ رَقّادَة، فزحَفَ إليه لاسْتِخراج عُبَيْدِ الله وابنِه من مَحْبِسِه، وخَرجَ إليهِ اليَسَعُ في قَوْمِه مِكْناسَةَ، فهزَمَهُ أبو عبدِ الله الشّيعيُّ واقْتحَمَ عليهِ بسِجِلْمَاسَةَ وقَتَلَهُ سنةَ ستٍّ وتسْعينَ، واسْتَخْرَجَ عُبَيْدَ اللهِ وابنَهُ من مَحْبِسِهما وبايَعَ لَهُما.

ووَلّى عُبَيْدُ الله المَهْديُّ على سِجِلْماسَةَ إبراهيمَ بنَ غالِب المَزاتيَّ من رِجَالاتِ كُتامَة، وانصرَفَ إلى إفريقيّة.

ثُمّ انتقَضَ أهل سِجِلْماسَةَ على وَاليهم إبراهيمَ ومنْ كانَ معَهُ مِن كُتامَةَ سنةَ ثمانٍ وتِسْعينَ، وبايَعوا للفَتْح بن مَيْمونٍ، الأميرِ ابن مِدْرار، ولَقَبُهُ واسُولْ، ومَيْمونٌ أبوهُ هو ابنُ البَغيّ الّذي تَقدّمَ ذكرُه، وكان إباضيّاً، وهَلَكَ قريباً من وِلايَتِه لرأسِ المائةِ الثّالثة، فوَلِيَ أخوهُ أحمدُ، واسْتقامَ أمرُهُ، إلى أن زَحَفَ مَصالةُ بنُ حَبُوس في جُموعِ كُتَامَةَ ومِكْناسَةَ إلى المَغربِ سنةَ

تسْعٍ وثلاثِ مائة، فدَوّخَ المغربَ وأخَذَهم بدَعْوةِ صاحِبِه عُبَيْدِ الله المهْديّ، وافتتح سِجِلْماسَةَ وتقبّضَ على صاحِبِها أحمدَ بنِ مَيْمونِ بن مِدْرار، ووَلّى عليْها ابنَ عمّهِ المعتزّ بنَ محمدِ بن بَسّادن بن مِدْرار، فلمْ يلْبَثْ أنِ اسْتبدَّ وتلقّبَ المُعْتزّ، وهلَكَ سنةَ إحْدى / وعشْرينَ قُبَيْلَ مَهْلِكِ المهْديّ، ووَلِيَ من بَعْدِه [104أ] ابنُه أبو المنْتَصِر محمّدُ بنُ المعتزّ، فمكثَ عشْراً ثُمّ هلَكَ، ووَلِيَ من بَعْدِه ابنُه المُنتَصِرُ سَمْكُو شهْرَيْن، وكانتْ جَدّتُه تُدَبّرُ أمْرَهُ لصِغَرِه. ثُمّ ثارَ عليه ابنُ عمّه محمّدُ بنُ الفَتْح بن مَيْمون الأمير، وتغلّبَ علَيْه، وشُغِلَ عنْهُ بنو عُبَيْدِ الله بفِتْنَةِ ابن أبي العافِيَة وتاهَرْت، ثُمّ بفِتْنَةِ أبي يَزيدَ بَعْدَها، فدَعَا محمّدُ بنُ الفَتْح لنفْسِه مُمَوّهاً بالدُّعاءِ لبَني العبّاس، وأخَذَ بمذاهِبِ أهْلِ السُّنّة ورَفَض الخارجيّة، وتلقّبَ الشّاكِرَ لله، واتّخذَ السِّكّةَ باسْمِه ولَقَبِه، وكانَت تُسَمّى الدّراهمَ الشّاكِريّة. كذا ذكر ابن حزْمٍ[1]. وقالَ فيه: كان في غايَةِ العَدْل. حتّى إذا فرَغَ لهُ بَنو عُبَيْد من الفِتَن، زَحَفَ جوهرٌ الكاتِبُ أيّامَ المُعِزِّ لدينِ الله مَعَدّ في جُموعِ كُتامَةَ وصِنْهاجَةَ وأوْليائِهم إلى المَغْرِبِ سنةَ سَبْعٍ وأرْبعينَ، فغلَبَ على سِجِلْماسَةَ ومَلَكَها، وفرَّ محمدُ بنُ الفَتْحِ إلى حِصْن تاسكدلت - على أمْيالٍ من سِجِلْماسَةَ - وأقامَ به، ثُمّ دخَل سِجِلْماسَةَ مُتَنكِّراً، فعرَفَهُ رجلٌ من مَطْغَرَةَ وأنْذَرَ به، فتَقَبَّضَ عليهِ جَوْهَرٌ وقادَهُ أسيراً إلى القَيْروان معَ أحْمدَ ابن بَكْرٍ صاحبِ فاسَ كما نَذكُرُه، وقَفَلَ إلى القَيْروان.

(1) لم نقف عليه في الجمهرة. ولعلّ المقصود هو أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله الغافقي الجياني الأندلسي (توفي سنة 575هـ). ونقل عنه واعتمده الذهبي في سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام، وكتابه الضائع هو: المُغرب في محاسن أهل المغرب. انظر عن حياة اليسع، عزّ الدين موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي 43.

فلمّا انتقَضَ المغربُ على الشّيعَةِ وفشَتْ بهِ دَعْوةُ الأُمَوِيَّةِ، وأخذَ زَناتَةُ بطاعةِ الحَكَمِ المُسْتَنْصِر، ثارَ بسِجِلْماسَةَ قائمٌ من ولَدِ الشّاكِر وتَلَقَّبَ المنْتصرَ بالله، ثُمّ وَثَبَ بهِ أخوهُ محمّدٌ سنةَ ثِنْتَيْنِ وخَمْسينَ فقتَلَهُ وقامَ بالأمْرِ مكانَهُ وتلقَّبَ المعتزَّ بالله، وأقامَ على ذلك مُدّةً، وأمْرُ مِكْناسَةَ يومَئذٍ قد تداعَى إلى الانْحِلال، وأمْرُ زَناتَةَ قدِ اسْتَفْحَلَ [بالمغربِ][1] عليْهم. إلى أن زحَفَ خَزْرونُ بنُ فَلْفول - من مُلوكِ مَغراوَةَ - إلى سِجِلْماسَةَ سنَةَ ستٍّ وسِتِّين، وبرَزَ إليهِ أبو محمّدٍ المعتزُّ، فهَزَمَهُ خَزْرونُ وقَتَلَهُ واستَوْلَى على بلَدِه وذَخيرَتِهِ، وبعثَ برَأْسِه إلى قُرْطُبَةَ معَ كتابِ الفَتْحِ، وكان ذلكَ لأوّلِ حِجابَةِ المَنْصورِ بن / أبي عامرٍ فَنُسِبَ إليهِ، واحْتُسِبَ له جَدًا و يُمْنَ نَقيبَتِهِ. وعقَدَ [104 ب] لخَزْرونَ على سِجِلْماسَة، فأقامَ دعوةَ هِشامٍ بأنْحائها، وكانت أوّلَ دَعْوةٍ أُقيمتْ لهم بالأمْصارِ في المَغْربِ الأقْصَى.

وانقَرَضَ أمرُ بَني مِدْرار ومِكْناسَةَ من المَغْربِ أجْمَعَ، وأُديلَ منْهم بمَغْراوَةَ وبَني يَفْرَن، حَسْبَما يأتي ذكرُهُ في دُوَلِهم. والأمرُ للهِ وَحْدَه ولهُ البقاءُ سُبْحانَهُ.

(1) من ص د.

[بنو واسول المكناسيين ملوك سجلماسة]

/ الخَبَرُ عن دَوْلَةِ بني أبي العافِيَةِ مُلوكِ تَسُول من مِكْناسَةَ، وأوَّلِيَّةِ أمْرِهم وتصارِيفِ أحْوالِهم [105 ب]

كان مِكْناسَةُ الظَّواعِنُ أهلَ مَواطِنِ مَلْوِيَةَ وكَرسِيف ومَلِيلَةَ وما إليْها من التُّلولِ بنَواحي تازَى وتَسُول ولكايْ، يَرْجِعونَ في رئاسَتِهم إلى بَني أبي باسِل بن أبي الضَّحّاك بن أبي يَزُولَ، وهُمُ الذين اختَطُّوا بلدَ كَرسِيف ورِباطَ تازَى. ولم يَزالوا على ذلك منذُ أوّلِ الفَتْح. وكانتْ رئاستُهم في المائةِ الثّالثة لمَصالَةَ بنِ حَبُوس وموسَى بنِ أبي العافِيَةِ بنِ أبي باسِل، واسْتَفْحَلَ أمْرُهم في أيّامِه وعَظُمَ سُلطانُهم، وتَغلَّبوا على قَبائِلِ البَرْبَر بأنْحاءِ تازَى إلى لكّايْ، وكانت بَيْنَهم وبَيْنَ الأدارِسَةِ مُلوكِ المغربِ لذلكَ العَهْدِ فِتَنٌ وحروبٌ، وكانوا يغْلِبونَهم على كثيرٍ من ضَواحيها لِمَا كانَ نزَلَ بدَوْلتِهم من الهَرَم.

ولمّا استَوْلَى عُبَيْدُ اللهِ على المَغربِ واستَفْحَلَ أمرُهُ كانوا من أعْظَم أوْليائهِ وشِيَعِه، وكان مَصالةُ بنُ حَبُوس من أكْبرِ قُوّادِهِ لانْحِياشِهِ إليْه، ووَلّاه مدينةَ تاهَرْت والمَغْربَ الأوْسَط، ولمّا زَحفَ مَصالةُ إلى المَغْربِ الأقْصَى سنةَ خَمْسٍ وثَلاثِ مائةٍ، واستَوْلَى على فاسَ ثمّ على سِجِلْماسَة وفَرَغَ من شَأْنِ المغرب، واستَنْزَلَ يَحيى بنَ إدْريسَ من إمارَتِه بفاسَ إلى طاعَةِ عُبَيْدِ الله المَهْديّ وأبقاهُ أميراً على فاسَ، عقَدَ حينئذٍ لابْن عَمّه موسَى ابن أبي العافِيةِ أميرِ مِكْناسَةَ على سائِرِ ضَواحي المَغْربِ وأمْصارِه، مُضافةً إلى عَمَلِه من قَبْل بتَسُول وتازَى وكَرسِيف، وقَفَلَ مَصالةُ إلى القَيْروان.

وقامَ موسَى بنُ أبي العافِيَة بأمْرِ المَغرِب، وناقَضَه يَحْيى بنُ إدْرِيس صاحبُ فاسَ بما كان يضْطَغِنُ له من المُظاهَرة عليْه. فلمّا عاوَدَ مَصالَةُ غَزْوَ المغْرب سنةَ تِسْعٍ أغزاهُ ابنُ أبي العافِيَة بيَحْيى بن إدْريس، فتقبَّضَ عليْهِ واسْتَصْفاهُ وطرَدَهُ / عن عَمَلِه، فلَحِقَ ببَني عَمِّه بالبَصْرةِ والرِّيف. ووَلّى مَصالةُ [106 أ] على فاسَ رَيْحاناً الكُتاميَّ وقَفَلَ إلى القَيْروانِ، فهلَكَ. وعَظُمَ مُلْكُ ابن أبي العافيةِ بالمَغرب.

ثُمّ ثارَ بفاسَ سنةَ ثلاثَ عَشْرةَ الحسنُ بنُ محمّدِ بن القاسِم بنُ إدْريس، كان قِدْماً شُجاعاً ويلقَّبُ الحَجّامَ لطَعْنِهِ في المَحاجِم. دخَلَ فاسَ على حين غَفْلَةٍ من أهْلِها وقَتَلَ رَيْحاناً واليهَا، واجتَمعَ النّاسُ على بَيْعَتِه. ثُمّ خرَجَ لِقتالِه ابنُ أبي العافِيَة، فتَزاحَفوا بفَحْص أدّادْ مَا بيْنَ تازَى وفاس، ويُعرَفُ لهذا العَهْدِ بوادي المطاحِن. واشتَدّتِ الحربُ بيْنَهم، وهلَكَ مِنْهالُ بنُ موسى ابنِ أبي العافِيَة في ألْفيْنِ من مِكْناسَةَ، ثُمّ كانتِ العاقِبَةُ لهم وانفَضَّ عسكرُ الحَسَن ورجَعَ مَفْلولاً إلى فاس، فغدَرَ بهِ عامِلهُ على عُدْوةِ القَروِيّينَ حامدُ ابنُ حَمْدانَ الهمْدانيُّ واستَمكَنَ من عِقالِه، واستَحَثَّ ابنَ أبي العافِيَة للقُدوم وأمْكنَهُ من البَلد، وزَحفَ إلى عُدْوةِ الأنْدلُس لملكِهَا وقَتلَ عامِلَها عبدَ الله ابنَ ثعلةَ بن مُحاربِ بن عَبُّود، ووَلّى مكانَه أخاهُ محمّداً، وطالَبَ حامِداً بصاحِبِه الحسن، فَدَسَّ إليهِ حامدٌ بالفِرارِ تَجافِياً عن دماءِ أهْلِ البَيْت. وتَدَلّى الحسَنُ من السُّورِ فسقَطَ وانكَسرَتْ ساقُهُ وماتَ مُسْتَخْفِياً بعُدْوةِ الأنْدلُس لثلاثِ ليالٍ منها. وحذِرَ حامدٌ من سَطْوةِ ابن أبي العافِيةِ فلَحِقَ بالمهْديّة.

واسْتَوْلى ابنُ أبي العافِيةِ على فاسَ والمَغربِ أجْمع، وأجْلى الأدارِسَةَ عنهُ وألْجأهم إلى حِصْنِهم بقَلْعةِ حَجَرِ النَّسْرِ ممّا يَلي البَصْرةَ، وحاصَرَهم بها مِراراً، ثُمّ جَمَّرَ علَيْهم العساكِرَ وخلَّفَ فيهم قائِدَه أبا الفَتْح لِحصارِهم. ونَهَضَ إلى تِلِمْسانَ سنةَ تِسْعَ عَشْرةَ بعْدَ أن اسْتَخْلَفَ على المغربِ الأقصى ابنَهُ مَدْيَنَ وأنْزَلَه بعُدْوةِ القَرَوِيِّين، واستعْمَلَ على عُدْوةِ الأندَلُس طوالَ بنَ أبي يَزِيد، وعزلَ به مُحَمّدَ بن ثَعْلَبة. وزحَفَ إلى تِلِمْسانَ فملَكَها وغلَبَ عليها صاحبَها الحسَنَ بنَ أبي العَيْش بن عيسَى بن إدْريسَ بن مُحَمّدِ بن سُلَيْمان، من عَقِبِ سُليمانَ بنِ عبْدِ الله أخي إدْريسَ الأكْبَرِ الدّاخِلِ إلى المغربِ / بَعْدَه، [106 ب] فغلَبَ موسَى بنُ أبي العافِية الحسَنَ هذا على تِلِمْسانَ وأزْعَجَهُ عنها إلى مَلِيلَة من جَزائرِ مَلْوِيّةَ ورَجَعَ إلى فاس.

وقد كان الخليفةُ النّاصِرُ عندَما فشَتْ دَعْوتُه في المغربِ خاطَبَهُ بالمُقارَبةِ والوعْد، فسارَعَ إلى إجابَتِه ونقَضَ طاعَةَ الشّيعَةِ وخطَبَ للنّاصِر على منابِرِ عَمَلِه، فسَرَّحَ إليه عُبَيدُ اللهِ المهْديُّ قائدَه ابنَ أخي مَصالَةَ وهُو حُمَيدُ(أ) بنُ يصِلْتن(ب) [المِكْناسيُّ](ج) قائدُ تاهَرْت، فزحَفَ في العسَاكِرِ إلى حَرْبِه سنةَ إحْدى وعشرينَ. ولقِيَهُ موسَى بنُ أبي العافيةِ بفَحْص مَسُّون، فتزاحَفوا أيّاماً، ثُمّ بَيَّتَهُ حُميدٌ فهزَمَهُ. ولَحِقَ ابنُ أبي العافِيةِ بتَسُول فامْتَنعَ بها، وأفرَجَ قائدُه ابنُ أبي الفَتْح(د) عن حِصْنِ الأدارِسَةِ فاتّبَعوهُ وهَزَموهُ

(أ) كذا ضبطه ابن خلدون بخطه في المشجّر التالي مصغرًا. وضبطه محقق الأنيس المطرب بفتح الحاء وكذلك ناشروا المجالس والمسايرات 252- (ب) كذا في ظ د، وفي المشجّر اللاحق: حميد بن يصليتن كذا وهو الأقل تداولاً. انظر المجالس والمسايرات 252، ح 4 (ج) من ص (د) في ظ ص د: أبي فتح منكرًا، وتقدّم.

ونَهَبوا مُعَسْكَرَهُ. ثُمَّ نهضَ حُميدٌ إلى فاسَ ففَرَّ عنها مَدْيَنُ بنُ موسى إلى أبيه، واسْتَعْمَلَ عليها حامدَ بنَ حَمْدان، كانَ في جُمْلَتِه، وقَفَلَ حُميدٌ إلى إفريقيَّةَ وقد دَوَّخَ المغربَ.

ثُمّ انتقَضَ أهلُ المغرِبِ على الشّيعةِ بَعْدَ مَهْلِكِ عُبَيْدِ الله، وثارَ أحمدُ ابنُ بَكْرِ بن عبْدِ الرّحمن بن سَهْلٍ الجُذاميُّ على حامِدِ بن حَمْدانَ فقتَلَه وبعَثَ برأسِهِ إلى ابْنِ أبي العافِية، فأرسلَه إلى النّاصِرِ بقُرْطُبة، واسْتولى على المغرِبِ.

وزَحَفَ مَيْسُورُ الخَصِيُّ قائدُ أبي القاسم الشّيعيِّ إلى المغرِبِ سنةَ ثلاثٍ وعشْرينَ، وخامَ ابنُ أبي العافِيةِ عن لقائِه واعْتَصَمَ بحِصْنِ لكاي، ونهَضَ ميسورٌ إلى فاسَ فحاصَرَها واستَنْزَلَ أحمدَ بنَ بَكْرٍ عامِلَها ثُمّ تقبَّضَ عليهِ وأشخَصَهُ إلى المهْديّة[1]. ونذَرَ أهلَ فاسَ بغَدْرِهِ فامْتَنعوا وقَدَّموا على أنْفُسِهم حسنَ بنَ قاسِم اللّوَاتيّ. وحاصَرَهم ميسورٌ مدّةً حتّى رَغِبوا في السِّلْمِ، واشترَطوا على أنفسِهمُ الطّاعةَ والإتاوةَ، فقبِلَ ميسورٌ ورَضيَ، وأقرَّ حسنَ بنَ قاسمٍ على وِلايتِهِ بفاسَ، وارْتَحلَ إلى حَرْبِ ابنِ أبي العافِية فكانَتْ بيْنَهما حروبٌ، إلى أن غلَبَهُ ميسورٌ وتَقَبَّضَ / على ابنِهِ البُورِيّ وطَيَّرَ [107 أ] بهِ إلى المَهْديّة، وأجْلى موسَى بنَ أبي العافِية عن أعْمالِ المَغْرِبِ إلى نَواحي مَلْويّةَ ووطاطَ وما وراءَهما من بلادِ الصّحْراء، وقَفَلَ إلى القَيْروان.

(1) النعمان بن محمد: المجالس والمسايرات 418، 458، 459، 462، 483 البيان المغرب 1: 209، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب 103 ، 111.

ولمّا مَرّ إلى أرْشكُول خرجَ إليهِ صاحبُها مُلاطِفاً لهُ بالتُّحَف، وهُو إدْرِيسَ بنُ إبراهيمَ من ولَدِ سُليمانَ بن عبدِ الله أخي إدْرِيسَ الأكْبر، فتقبّضَ عليهِ واصْطَلَمَ نِعْمَتهُ، ووَلّى مكانَه أبَا العَيْش بنَ عيسى، منْهم. وأغذّ السَّيْرَ إلى القَيْروان سنةَ أرْبعٍ وعشْرينَ.

ورَجعَ موسَى بنُ أبي العافِيةِ من الصّحْراء إلى أعْمالِه بالمغرِب لملكِهَا، ووَلّى على الأنْدَلُس[ا] أبا يوسُفَ بنَ مُحارِبٍ الأزْديّ، وهُو الّذي مَدَّنَ عُدْوةَ الأنْدَلُس، وكانت حُصوناً. واحتَلّ موسَى بنُ أبي العافِيةِ قلعةَ كُوماط، وخاطبَ النّاصرَ، فبعَثَ إليْهِ مَدَداً من أسْطولِه. وزحَفَ إلى تِلِمْسَان، ففَرّ عنها أبو العَيْش واعْتصَمَ بأرْشكُول، فنازَلَه وغلبَهُ عليها سنةَ خمْسٍ وعشْرينَ. ولحِقَ أبو العَيْش بنكُورَ[ب] واعْتصَمَ بالقَلْعةِ الّتي بَنَى هنالكَ لنفسِه. ثمّ زحَفَ ابنُ أبي العافِيةِ إلى مدينة نكُورَ فحاصَرَها مدّةً، ثمّ تغلّبَ عليْها وقتَلَ صاحِبَها عبدَ البديع بنَ صالحٍ وخَرّبَ مدينَتَهم، ثُمّ سرَّحَ ابنَهُ مَدْيَنَ في العَساكِرِ فحاصَرَ أبا العَيْش بقَلْعَتِه حتّى عقَدَ لهُ السِّلْمَ عليها.

واسْتَفْحَلَ أمرُ ابنِ أبي العافِيةِ بالمغرِبِ الأقْصَى، واتّصَلَ عملُه بعَملِ محمّدِ بنِ خزَر مَلكِ مَغْرَاوَةَ وصاحبِ المغربِ الأوْسَط، وبثُّوا دعوةَ الأُمَويّةِ في أعْمالِها، وبعَثَ ابنَه مدْيَنَ إلى مُنازَلةِ فاس، فحاصَرَها، وهلَكَ موسَى خِلالَ ذلكَ سنةَ سَبْعٍ وعشْرينَ، وقامَ ابنُه مَدْيَنُ بأمْرِه في قَوْمِه، وعَقَدَ لهُ

(ا) كذا ويعني عدوة الأندلس بفاس (ب) ضبطها الأستاذ ع. بن منصور بتشديد الكاف. انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب 102 .

النّاصِرُ على أعْمالِ أبيهِ، واتّصلَتْ يدُهُ بيَدِ الخَيْرِ بن محمّدٍ كما كان بَيْنَ آبائِهما، ثُمّ فَسدَ ما بَيْنَهما وتزاحفا للحَرْب. وبعَثَ النّاصِرُ قاضيَهُ مُنذرَ بنَ سعيدٍ لمُشارَفَةِ أحْوالِهما والإصْلاحِ بَيْنَهما فتمّ ذلكَ كما أرادَهُ، ولَحِقَ بهِ سنةَ خَمْسٍ وثلاثينَ أخوُه البُوريُّ فارّاً من عَسْكرِ / [107 ب] المَنْصور مَعَ أحْمَدَ بن بَكْرٍ الجُذاميّ عامِلِ فاسَ بعدَ أن لحِقا بأبي يَزيد، فصارَ أحمدُ بن بكْرٍ إلى فاس، وأقامَ بها متنكِّراً إلى أن وثَبَ بعامِلِها حسنِ بنِ قاسمِ اللّوَاتيّ وتخَلّى لهُ عن العَمل.

وصار البُوريُّ إلى أخيه مَدْيَنَ، واقتَسَمَ أعمالَ أبيهِ معَهُ ومعَ أخيهما الآخَرِ أبي مُنقِذ، فكانوا ثلاثَ الأثافيّ. وأجازَ البوريُّ إلى النّاصِرِ سنةَ خمسٍ وثلاثينَ، فعقَدَ لهُ وأكْرَمَ وِفادَتَهُ ومُنقلَبَهُ، وهلَكَ سنةَ خَمْسٍ وأربعين، فعقَدَ النّاصرُ لابْنِهِ مَنصورٍ على عَمَلِه، وكانتْ وَفاتُه وهُو مُحاصِرٌ لأخيهِ مَدْيَنَ بفاس. وأجازَ ابْناهُ أبو العَيْش ومَنْصورٌ إلى النّاصِر، فأجراهُما [على][أ] الكرامةَ على سَنَنِ أبيهما، ثُمّ هلَكَ مَدْيَنُ فعقَدَ النّاصرُ لأخيهِ أبي مُنقِذٍ على عَمَلِهِ سنةَ....[ب]

ثُمّ غلبَ مَغْراوَةُ على فاسَ وأعْمالِها، واسْتَفحل أمرُهم بالمغرب، وأزاحوا مِكْناسَةَ عن ضَواحيهِ وأعمالِه، وصَاروا إلى مَواطِنِهم، وأجازَ إسْماعيلُ بنُ البُوريّ ومحمّد بنُ عبدِ الله بنِ مَدْيَنَ إلى الأنْدَلُس، فنزَلوا بها إلى أن أجازوا معَ واضح أيّامَ المنصورِ بن أبي عامِرٍ عنْدَما نقَضَ زِيري بنُ عطِيّةَ طاعتَهم

(أ) زيادة يقتضيها السّياق (ب) بياض لموقع التاريخ في ظ ص د .

سنةَ ستٍّ وثمانين، لملك واضحٌ المَغربَ ورجّعَهم إلى عملِهم، وتغلَّبَ بُلُكّينُ بنُ زيري على المَغرب الأوسَطِ وغلبَ عليه ملوكَه بَني خَزَر من مَغراوَة، فاتّصلَتْ يَدُ مِكْناسَةَ بهِ، ولم يَزالوا في طاعَةِ بَني زيري ومُظاهَرَتِهم.

وهَلَكَ إسماعيلُ بنُ البوريّ في حُروبِ حمّادٍ مَعَ بادِيسَ بشَلَف سنةَ خَمْسٍ وأربعِ مائة، وتوارَثَ مُلكَهم في أعْقابِ موسَى أبيهم إلى أن ظَهَرَتْ دولةُ المرابِطينَ. وغلَبَ يوسُفُ بنُ تاشفين على أعْمالِ المغرِب، فزحَفَ إليهمُ القاسِمُ ابنُ محمّد بن إبراهيمَ بن موسى بن أبي العافِية، فاستَدعَى أهلَ فاسَ وصريخَ زَناتَةَ بَعْدَ مَهْلِكِ مُعَنْصَر[أ] المَغراوِيّ، فلَقِيَ عساكرَ المُرابطينَ بوادي صفير فهزَمَهم، وزَحفَ إليهِ يوسُفُ بنُ تاشفين من مكانِهِ بحِصارِ قَلْعَةِ فازاز / فهزَمَ القاسمَ بنَ محمّدٍ وجموعَ مِكْناسَةَ وزَناتَةَ، ودخَلَ فاسَ عَنوةً كما [108 أ] ذكَرْناهُ في أخْبارِه، ثُمّ زحَفَ إلى أعْمالِ مِكْناسَةَ، فاقتَحمَ حِصْنَ تَسُول وقتَلَ القاسِمَ.

وفي بَعْضِ تواريخِ المَغرِب: أنّ مَهْلِكَ إبراهيمَ بن موسَى كان سنةَ خَمْسٍ وأربعِ مائة، ووَليَ ابنُه عبدُ الله أو عبدُ الرّحمن وهلَكَ سنةَ ثلاثينَ، ووَليَ ابنُه محمّدٌ وهلَكَ سنةَ .....[ب]، ووَليَ ابنُهُ القاسِمُ، وهَلَكَ بتَسُول عندَ اقْتحامِ لَمْتونَةَ عليهِ سنةَ ثلاثٍ وستّينَ.

وانقرضَ مُلْكُ مِكْناسَةَ من المَغْربِ بانقراضِ مُلْكِ مَغْراوَة. والأمرُ للهِ وَحْدَه.

(أ) د: مُعَنْصَر، وانظر الأنيس المطرب 142 (ب) بياض لموقع التاريخ في ظ ص د .

وبقِيَ من قَبائلِ مِكْناسَةَ لهذا العَهْدِ بهذه المواطِن، أفاريقُ في جِبالِ تازَى بعْدَما تمرَّسَتْ بهِمُ الدّولُ وأناخت بِساحِهِمُ الأُمَمُ، وهم مَوْصُوفونَ بوُفورِ الجِبَايةِ وقُـوّةِ الشَّكيمةِ، ولَهم غَـناءٌ في مُظاهَرةِ الدّوْلَةِ وحُفوفٌ عنْدَ الحَشْدِ والعَسْكرةِ، وفيهم مَيُّون[1] من الخيَّالَة. ومن مِكْناسَةَ - غيرُ هؤلاءِ - أوزاعٌ في القَبائِل لهذا العَهْدِ مُفْترِقونَ في نَواحي إفريقيّةَ والمغْربِ الأوْسَط ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [سورة إبراهيم، الآية 19-20].

وهذا آخِرُ الكلامِ في بَني وَرْصَطْف.

فلنَرْجِعْ إلى من بَقِيَ علَيْنا من البَرْبَر، وهم زَنَاتةُ، واللهُ وليُّ العَوْن.

(١) كذا في ظ د وفي ص: ميون، بياء متوسطة غير مشدّدة، ولعلها: بمئون.

[108 ب]

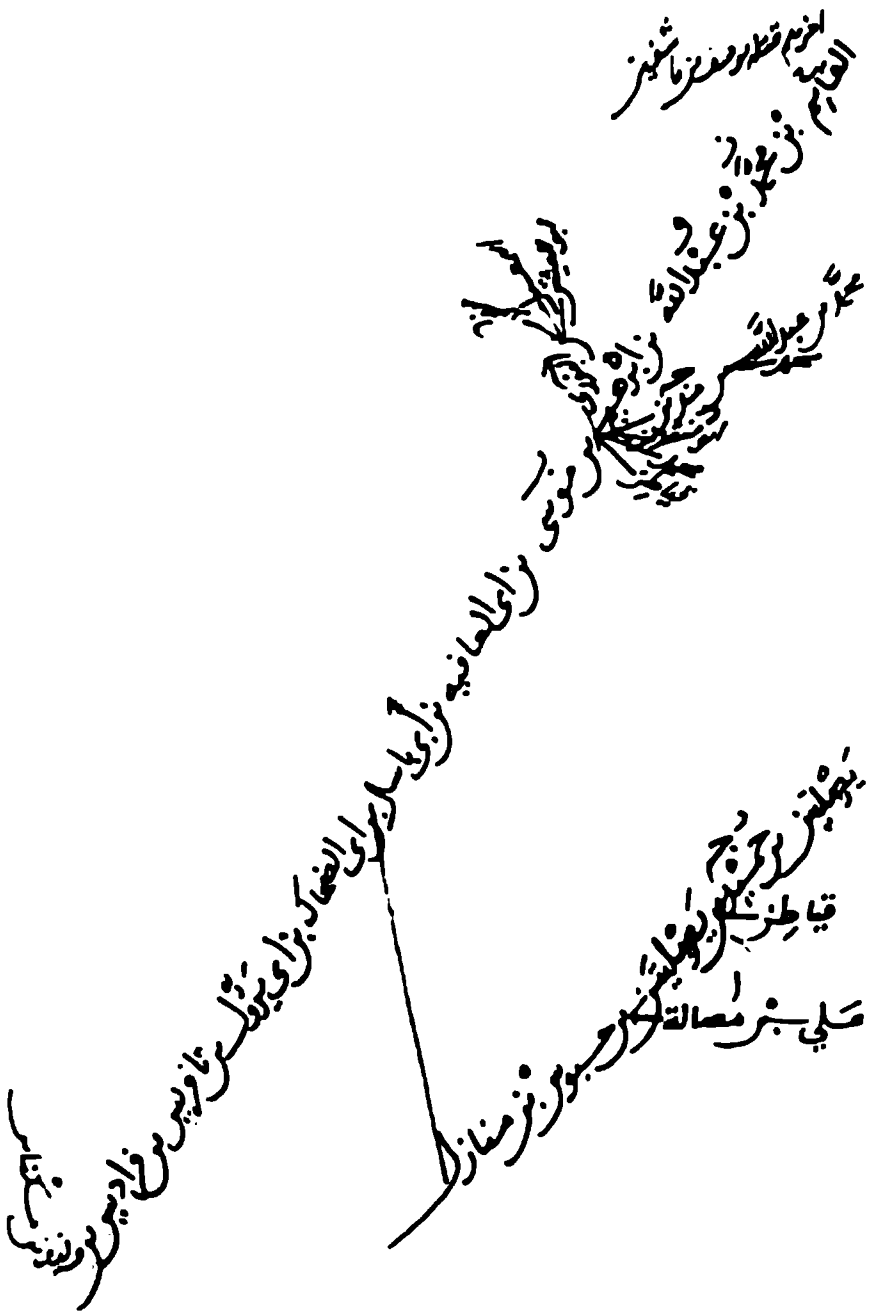

[انقسام بني أبي يزّول من مكناسة، إلى بني العافية، وبني واسُول. نسخة ظ]

[109 ا] ● / أخبارُ البرانس من البربر.

ونبدأ أولاً: بالخبرِ عن هوّارة، من شعوبهم، وذكر بطونهم، وتصاريف أحوالهم، وافتراق شعوبهم في عِمالات إفريقيّة والمغرب.

• وهَوّارةُ(1) هؤلاء من بُطونِ البَرانِس باتّفاقٍ من نَسّابةِ العَربِ والبَرْبَر؛ من ولَدِ هَوّارِ بن أوْرِيغ بن بُرْنس، إلاّ ما يَزْعُمُ بعضُهم أنّهم من عَربِ اليَمن، تارةً يقولونَ: من عامِلةَ إحدَى بُطونِ قُضاعَةَ، وتارةً يقولونَ: من وَلدِ المِسْوَرِ بن السّكاسِك بن واثلِ بن حِمْيَرَ، وإذا [تحرّوا](أ) الصّوابَ يقولونَ: المِسْوَرُ بنُ السّكاسِك بن أشْرَس بن كِنْدَةَ، وينسُبونَهُ هكذا: هَوّارُ ابنَ أوْرِيغ بن خَبُّوز بن المُثَنّى بن المسْوَر. وعندَ هَؤلاءِ أنّ هَوّارَةَ وصِنْهاجَةَ ولَمْطَةَ وكزولَةَ وهَسْكُورَة يُعرَفُ جميعُهُم بني تِيِصكي، وأنّ المِسْورَ جَدُّهم جميعاً، وأنّه وقَعَ إلى البَرْبَرِ ونزَلَ على بَني زجّيك بن مادغَس الأبتَر، وكانوا أربعةَ إخْوة: لَوَى وضَريس وأدّاس ونفوس، وأنّهم زوَّجُوهُ أخْتَهم تيصكي العَرجاءَ بنتَ زجّيك، فولَدَتْ منهُ المُثَنّى أبو هَوّارةَ وتزَوّجَها بعدَ المِسْوَرِ عامِيلُ بنُ زَعْزاع أبو صِنْهاجَةَ ولَمَطَةَ وكزُولةَ وهَسْكُورَةَ كما يأتي بعدُ، فهمْ إخْوَةُ المثَنّى لأمِّه، وبها عُرِفَ جميعُهم. قالوا: ووَلَدَ المُثَنّى بنُ المِسْورَ

(أ) من د، ظ: تجوزوا.

---

(1) البيان والإعراب 56 – 60، صبح الأعشى 1: 363 - ،نهاية الأرب 118 - ، قلائد الجمان 167.

خَبُوزاً، ووَلَد خَبُوزُ بنُ المثَنَّى ريغَ الّذي يُقال فيه: أوْرِيغ بنُ بُرنس، ومنهُ تفرّقَتْ قبائلُ هَوّارَة. قالوا: وإنّما سُمِّيتْ هَوّارَةُ لأنّ المِسْورَ لمّا جالَ البلادَ ووَقَعَ بالمغربِ قال: لقدْ تَهَوَّرْنا. هكذا عندَ بَعض نَسّابةِ البَرْبَر.

وعندي - واللهُ أعلمُ - أنّ هذا الخبرَ مَصْنوعٌ، وأنّ أثرَ الصَّنْعةِ بادٍ عليه، ويُعَضِّدُ ذلكَ أنّ المحقِّقينَ من نَسّابتِهم مثلَ سابِقٍ وأصحابِهِ قالوا: إنّ بطونَ أدّاسْ بن زجّيك دخَلَتْ كلُّها في هَوّارَةَ، من أجْل أنّ هَوّاراً خلَفَ زجّيكَ على أمِّ أدّاسْ، فرَبِيَ أدّاسْ في حِجْرِه، وزجّيكَ على ما في الخَبَرِ الأوّلِ هو جَدُّ هوّار، / لأنّ المُثَنّى جدَّهُ الأعلى هو ابنُ تيْصكي، وهي بِنْتُ زجّيكَ، فهُو الخامِسُ من زجّيكَ، فكَيْفَ يَخلُفُهُ على امرأتِه؟ هذا بَعيدٌ! والخبرُ الثّاني أصحُّ عندَ نَسّابتِهم من الأوّل. [109 ب]

وأمّا بطونُ هَوّارةَ فكثيرٌ، وأكثرُهم بنو أبيه أوْرِيغ، اشتُهِرَ بنَسَبِه لشُهرَتِه وكِبَرِ سِنّهِ من بَيْنِهم، فانتَسَبُوا جَميعاً إليه. وكان لأوْرِيغ أربعةٌ من الوَلَد: هَوّار وهُو أكبرُهم، ومَقَّر، وقَلْدَنْ ومَلْد، ولكلّ واحدٍ منهم بطونٌ كثيرةٌ، وكلُّهم يَنْتَسِبونَ إلى هَوّار.

فمن بُطونِ مَقَّر: مَاوَس، [وزَمّوز][أ] وكبَا، ومَسْوَايْ. ذكَرَ هذه البُطونَ الأربعةَ ابنُ حَزم[1]. وزادَ سابقٌ المَطْماطِيُّ وأصحابُهُ: ورِيجَنْ ومِنْداسَة وكَزْكُودَة.

(أ) من د .

---

(1) الجمهرة 497- وفيه: مسرات بدل مسواي.

ومن بُطونِ قَلْدَن: قُمْصانَة، [ووَزَصَطِيف][أ]، وبَيَاتَة، وبَل. ذكَرَ هذه الأربعةَ ابنُ حَزْم[1] وسابقٌ.

ومن بطونِ مَلْد: مْلِيلَة، وسَطَطْ، ووَزْقَل، وأَسِيلْ، ومَسْرَاتَة. ذكَرَها ابنُ حزم، وقال[2]: جميعُهم بَنو لهانَ بن مَلْد، وكذا عندَ سابِق. ويقال: إنّ وَنِيفَن أيضاً من لهانة.

ومن بُطونِ هَوّارة: بنو كُمْلاَن، ويقال: إنّ مْلِيلَةَ من بُطونهم، وعنْدَ نسّابةِ البَرْبر من بُطونِهم: غَرْيان، ووَرْغة، وزُكّارَة، ومَسَلاّتَة، ومَجْرِيس. وَيُقَالُ: إنّ وَنِيفَنْ منهم، ومَجْرِيسُ لهذا العهدِ يَنْتسبُونَ الى وَنِيفَن، وعنْدَ سابِقٍ وأصحابِه أنّ بَني كُمْلاَنَ من وَريجَن إحْدى بطون مغْر، وأنّ من بُطونِ بني كُمْلاَنَ: بَني كَسَى[ب]، ووَرْتاكَبط، ويَشْوَه، وهَيْوَارَة.

وأمّا بُطونُ أدّاس بن زجّيك بن ماذغَس الأبتَرِ الّذين دخَلُوا في هَوّارةَ فكثيرٌ، فمنهم: هُراعَة، وتَرْهونَةُ، ووَشْتَاتَةُ، وأنْدارة، وهَنْزُوتَة، وَأوْطِيطَة، وصَنْبَرَة، هؤلاء باتّفاقٍ من ابنِ حَزمٍ[3] وسابِقٍ وأصحابِه.

(أ) من د، ظ: ووَسْطِيف (ب) في المشجر التالي بالشين: كشى.

---

(1) الجمهرة 498 وسمي جذر النسب: قلتن.

(2) المصدر نفسه 497 وفيه، ويقال لهؤلاء لهانة.

(3) المصدر نفسه 496- مع اختلاف في ضبط الأسماء.

[مشجر أنساب هوّارة من البرانس، وبطونها]

[110 ب] • / وكانَتْ مَواطنُ الجُمْهورِ من هَوّارَةَ هؤلاءِ ومَن دخَلَ في نَسَبِهم من إخوانِهِمُ البَرانِسِ والبُتْرِ لأوّلِ الفَتْحِ، بنواحي طَرابُلُسَ وما يليها من بَرْقَةَ كما ذكَرَهُ المسْعودِيُّ والبَكْرِيُّ. وكانوا ظواعِنَ وآهِلِينَ، ومنْهم من قَطَعَ الرّمْلَ إلى بلادِ القَفْرِ، وجاءوا لَمْطَةَ من قبائِلِ الملَثَّمينَ فيما يَلي بلادَ كَوْكَوْ من السّودانِ تُجاهَ إفريقِيّةَ، ويُعرَفونَ بنَسَبِهِم هكّارَةَ، قَلَبَتِ العُجْمَةُ واوَهُ كافاً أعْجَمِيّةً تخرُجُ بَيْنَ الكافِ العربيّةِ والقافِ. وكان لهم في الرِّدّةِ وحُروبِها آثارٌ ومَقاماتٌ، ثمّ كان لهم في الخارِجيّةِ والقِيامِ بها ذِكْرٌ، وخُصوصاً بالإباضيّةِ منها، وخرَجَ على حَنظلةَ منْهم عبدُ الواحِدِ بنُ يَزيدَ معَ عكاشةَ الفَزارِيّ، فكانتْ بيْنَهما وبيْنَ حَنْظَلةَ حُروبٌ شديدةٌ، ثُمّ هزَمَهم وقَتلَهُما، وذلك سنةَ أربعٍ وعشرينَ ومائةٍ أيّامَ هِشام بنِ عبدِ الملِك. وخرَجَ على يَزيد بن حاتِم سنةَ ستٍّ وخمسينَ ومائةٍ يَحيى بنُ فوناس، منْهم، واجتمَعَ إليهِ كثيرٌ من قَوْمِهِ وغيرِهم، وزَحَفَ إليهِ قائدُ طرابُلُسَ عبدُ الله بنُ السِّمْط الكِنْديُّ على شاطىءِ البَحْر بسوارِيةَ من سواحِلِهم، فانْهزَمَ وقُتِلَ عامّةُ هَوّارَةَ. وكانَ منهم معَ عبدِ الرّحمن بن حَبيبٍ مجاهدُ بنُ مُسْلم من قُوّادِهِ. ثمّ أجازَ منهم إلى الأنْدَلُسِ معَ طارق رِجالاتٌ مذكورونَ واستقَرّوا هنالكَ، وكان من خَلَفِهم بنو عامرِ بن وهْبٍ أميرِ رَنْدَةَ أيّامَ لَمْتونَة، وبَنو ذي النّونِ الّذين مَلكوها من أيْديهم واستَضافوا معَها طُلَيْطُلَةَ، وبنو رَزينٍ أصحابُ السَّهْلَة.

ثُمّ ثارَتْ هَوّارةُ من بعْدِ ذلكَ على إبراهيمَ بن الأغْلَبِ سنةَ ستٍّ وتسْعينَ ومائة، وحاصَروا طرابُلُسَ وافْتتَحوها وخرّبوها، وتولّى كِبْرَ ذلكَ

منهم عِيَاضُ بنُ وَهْب، وسَرّحَ إبراهيمُ إليهم ابْنَه أبا العبّاس، فهزَمَهم وقتَلَهم وبَنَى طرابُلُس. وجَاْجَأ هوّارةُ بعَبْدِ الوهّابِ بن رُسْتُمَ من مكانِ إمارَتِهم بتاهَرت، فجاءهم واجتمعوا إليهِ ومعَهم قبائلُ نفوسة، وحاصَروا أبا العبّاسِ ابنَ الأغْلَبِ بطرابُلُسَ إلى أن هلَكَ أبوه إبراهيمُ بالقَيْروانِ وقد عَهِدَ إليه، فصالحَهم على أن تكونَ / الضّاحِيةُ لهم، وانصرَفَ عبدُ الوهّابِ إلى نفوسة. [١١١ ا]

ثمّ [أصْحَبُوا][أ] بعدَ ذلك وغَزَوْا معَ الجُيوش صِقلّيّةَ، وشهِدَ فتْحَها [منهم][ب] زواةُ بن نِعْمَ الخَلَف. ثمّ كانَ لهم معَ أبي يَزيدَ النكّاريّ وفي حُروبِه مقاماتٌ مذكورةٌ، اجتمعوا إليهِ من مَواطنِهم بجَبَلِ أوْرَاس ومَرْماجنّة لمّا غلَبَ عليْها وأخَذَ أهْلَها بدَعْوتِه، فانحاشوا إلى ولايَتِه وفَعلوا الأفاعيل. وكان من أظهرِهم في تلْكَ الفتنةِ بنو كُمْلاَن[ج]. ولمّا هلَكَ أبو يَزيدَ كما نَذكُرُهُ سَطَا إسماعيلُ المنصُورُ بهم وأثْخَنَ فيهم، وانقطَعَ ذكْرُ بني كُمْلاَن.

ثُمّ جرَتِ الدُّولُ عليهم أذْيالَها وأناخَتْ بِكَلاكلِها، وأصبَحوا في عِدَادِ القبائلِ الغارِمَةِ في كلِّ ناحية، فمنْهم لهذا العَهْدِ بمصرَ[1] أوْزاعٌ مُتفرّقونَ، أوْطَنوها أكْرَةً وعَيّارةً وشاوِيّة، وآخَرونَ موطّنونَ ما بيْنَ بَرْقَةَ وإسْكَنْدريةَ يُعرَفُونَ بالمثانية ويَظْعَنونَ معَ العزّةِ من بطون هيب من سُلَيْم.

(أ) من د، وفي ظ: أصبحوا (ب) من د (ج) وردت الكاف منقوطة في د ظ.

---

(1) المقريزي: البيان والإعراب 56-

ومنهم بأرْضِ التُّلولِ من إفريقيّةَ ما بَيْنَ تِبَسّة إلى مَرماجَنّةَ إلى باجَةَ، ظواعنُ صاروا في عِدَادِ النّاجعةِ من عَرَبِ بَني سُلَيْم، في اللّغة والزِيّ وسُكْنَى الخِيام ورُكوبِ الخَيْل وكَسْبِ الإبل ومُمارَسَةِ الحروبِ وإيلافِ الرّحْلَتَيْنِ في الشّتاء والصّيْفِ في تُلولِهم، قد نسُوا رَطانةَ البَرْبَر واستَبْدلوا منها بفصاحةِ العَرَب، فلا تكادُ تُفَرّقُ بَيْنَهم.

فأوّلُهم ممّا يلي تِبَسّة قبيلةُ ونِيفَنْ ورئاسَتُهم لهذا العَهْدِ في ولَدِ بَغرةَ بن حَنّاشٍ لأولادِ سُلَيْم بن عبْدِ الواحِد بن عسْكرِ بن محمّدِ بن بَغرة، ولأولا[دِ] زَيْتونِ بنِ محمّدِ بن بَغرة، ولأولادِ دَخْمانَ بن فُلانَ بن بَغرة، وكانتِ الرّئاسةُ قبْلَهم لبِبايةَ من بطونِ ونِيفَن، ومواطِنُهم ببسائطِ مَرماجنّةَ وتِبَسّة وما إليها.

وتَليهم قبيلةٌ أخرى في الجانب الشّرْقيِّ منهم يُعرَفونَ بقَيْصر، ورئاسَتُهم في بَيْتِ بَني مُؤْمن ما بَيْنَ وَلَدِ زَعَازع ووَلَدِ حَرَكات، ومواطِنُهم بفَحْص أبّة وما إليها من نَواحي الأُرْبُص[أ]. وتليهم إلى جانِبِ الشّرْقِ قبيلةٌ أخرى منهم يُعرَفونَ ببَصْوة[ب]، ورئاستُهم في بَيْتِ الرّمامِنةِ لولَدِ سُلَيمانَ بنِ جامع، [111 ب] / ويُرادِفُهم في رئاسة بَصْوَةَ [قبيلةُ][ج] وَرْتِمّاتة، ومَواطِنُهم ما بَيْنَ تُبُرْسُق إلى جامّةَ إلى جَبَلِ الرّيْحان، [الإطارِ][د] على ساحلِ تونِسَ وبَسائِطِها.

ويُجاوِرُهم مُتساحِلِينَ إلى ضواحي باجَة قبيلةٌ أخرى من هَوّارَة يُعرَفُونَ ببني سُلَيْم، ومعَهم بطنٌ من عَرَبِ مُضَرَ من هُذَيْلِ بن مُدْرِكةَ بن إلياس،

(أ) د: الأرْبُس (ب) ص: بطوة (ج) من د (د) من د، وفي ظ: إلى طار .

جاءوا من مَواطِنِهم بالحِجاز معَ العَربِ الهلاليّينَ عندَ دُخولِهم إلى المَغْرِبِ وأوْطَنوا بهذه النّاحِيةِ من إفريقيّةَ، واختَلَطوا بهوّارة وحُملوا في عِدادِهم. ومعهم أيضاً بطنٌ أخَرُ من بطون رِياح بن هلاَل ينْتَمون إلى عُتْبةَ بن مالكِ بن رِياح، صاروا في عِدَادِهم وجرَوْا على مَجْراهم من الظَّعْنِ والمَغْرَم. ومعَهم أيضاً بطنٌ من مِرْدَاس بَني سُلَيْم يُعرَفونَ ببني حَبيب، ويقولونَ: هُو حَبيبُ ابنُ مالك، وهم غرّامَةٌ مثْلَ سائرِ هوّارةَ.

وضواحي إفريقيّةَ لهذا العَهْدِ معمورةٌ، [بهؤلاء][أ] الظّواعِن[ب] ومُعظمُهم من هوّارَة، وهم أهلُ بقَرٍ وشاء ورُكوبٍ للخَيْل، وللسُّلْطانِ بإفريقيّةَ عليهم وَظائفُ من الجِبَايَةِ وضَعَها عليهم دَهاقينُ العُمّالِ بديوانِ الخَراج قوانينَ مقدّرةً، ويُضْرَبُ عليهم معَ ذلك البعْثُ في غَزَواتِ السُّلْطان بعَسْكرٍ مفروضٍ يَحْضُرُ بمُعَسْكرِ السُّلْطان متّى اسْتُنْفِروا لذلكَ. ولرُؤَسائهم إزاءَ ذلك إقطاعاتٌ ومكانٌ في الدّوْلَة بَيْنَ رِجَالاتِ البَدْو.

• ومن بُطونِ هَوّارةَ بمَواطِنِهِمُ الأُولى من نَواحي طرابُلُس، ظَواعِنُ وآهِلونَ تَوزَّعَتْهُمُ العرَبُ من دَبّابٍ[ج] فيما توَزَّعوهُ من الرّعايا وغلَبوهم على أمْرِهم منذُ ضَحَا[1] عَمَلُهم من ظلِّ الدّولة، فتملّكوهم تملُّكَ العِبْدّي للجِبَايَةِ منهم والاسْتِكْثارِ بهم في الانتجاع والحَرْب، مثْلَ: تَرْهونَةَ، ووَرْفَلَّةَ الظّواعِنِ، ومجْرِيس الموطّنينَ بزَنْزُورْ من ونِّيفَن، وهيَ قريةٌ من قُرَى طرابُلُس.

(أ) من د (ب) ظ: بطولا الصواغن (ج) من ظ ص، د: ذباب .

---

(1) ضحا ظِلُّه: مات وانقضى.

ومن هَوّارةَ هؤلاء بآخرِ عَمَلِ طرابُلُس مما يَلي بَلَدَ سُرْت وبَرْقةَ قبيلةٌ يُعرَفونَ بمَسْرَاتَة، لهم كثْرةٌ واعتزازٌ، ووضائعُ العَربِ عليهمْ قليلةٌ ويُعطونَها / عن عِزّةٍ، وكَثيراً ما يَتقلّبونَ في سَبيلِ التّجارَةِ ببِلاد مِصْرَ والإسْكندريّة، وببلادِ الجَريدِ من إفريقيّةَ، وبأرْض السّودانِ إلى هذا العَهْد. [112 أ]

واعلَمْ أنّ في قِبْلةِ قابِسَ وطرابُلُس جِبالٌ متّصِلٌ بَعْضُها ببَعْضٍ من الغربِ إلى الشّرق، فأوّلُها من جانبِ الغَرْبِ جَبَلُ دَمَّر، يَسْكُنهُ أُمَمٌ من لَوَاتَة، ويتّصلونَ في بَسيطِهِ إلى فاسَ[1] وصَفاقُسَ من جانبِ الغَرْبِ، وأُمَمٌ أُخرى من نفوسة من جانبِ الشّرق، وفي طولِهِ سبْعُ مراحِلَ. ويتّصلُ بهِ شرقاً جبَلُ نفوسة، تَسكنُهُ أُمّةٌ كبيرةٌ من نفوسة ومَغْراوَةَ وسَدْراتَةَ، وهُو قِبلَةَ طرابُلُسَ على ثلاثِ مَراحِلَ عنها، وفي طولِه سَبْعُ مراحِل. ويتّصلُ بهِ من جانبِ الشّرقِ جَبَلُ مسَلاّتَة، وتعتَمِرُه قبائلُ هَوّارَةَ إلى بَلَدِ مَسْرَاتَة، ويُفْضي إلى بَلَدِ سُرْت وبَرْقَة، وهُو آخِرُ جبالِ طرابُلُس.

وكانتْ هذه الجبالُ من مَواطِنِ هَوّارَةَ ونفوسة ولواتَة، وكانتْ هُنالك مدينةُ صَبْرَةَ بَلَدُ نفوسة قبْلَ الفَتْح، وكانت بَرْقَةُ من مواطِنِ هَوّارةَ هؤلاءِ، ومنهم كان بَنو خطّابٍ مُلوكُ زُوَيْلَةَ، إحدَى أمْصارِ بَرْقة، كانتْ قاعدةَ مُلكِهم حتّى عُرِفَتْ بهم، فكان يقالُ: زُوَيْلَةُ ابنِ خَطّاب، ولمّا خرِبَتِ انتَقلوا منها إلى فَزّانَ من بلادِ الصّحْراء وأوْطنوها، وكان لهم بها مُلْكٌ ودولةٌ. حتى إذا جاءَ قَراقُش الغُـزّيُّ النّاصِريُّ، مَمْلوكُ تقيّ الدّين ابنِ أخي صَلاح الدّين من

(1) كذا في ظ د: وهْنا، ولعلها قابس.

مِصْرَ في المائةِ السّادِسةِ، كما يُذكَرُ في مَكانِهِ عِنْدَ ذِكْرِ المَيُورْقِيِّ من مَسُّوفَةَ وأخبارِه، وافتتح رلة[أ] و أوجلَة، افتتحَ فزّانَ بعْدَها وتَقَبَّضَ على مَلِكِها محمّدِ بن خَطّابِ بن يَصْلُتَنْ بن عبدِ الله بن صنْفل بن خطّابٍ آخرِ مُلوكِهم، وامتَحنَهُ وطالَبَهُ بالأموال، وبسَطَ عليهِ العذابَ إلى أن هلَكَ. وانقَرَضَ أمرُ بَني خطّابٍ هؤلاء الهَوّارِيّين.

(أ) د ص: زلة. ولعلها زالة وهي مدينة صغيرة تبعد عن أوجلة عشر مراحل كما يذكر الحميري: الروض المعطار 282.

[112 ب]

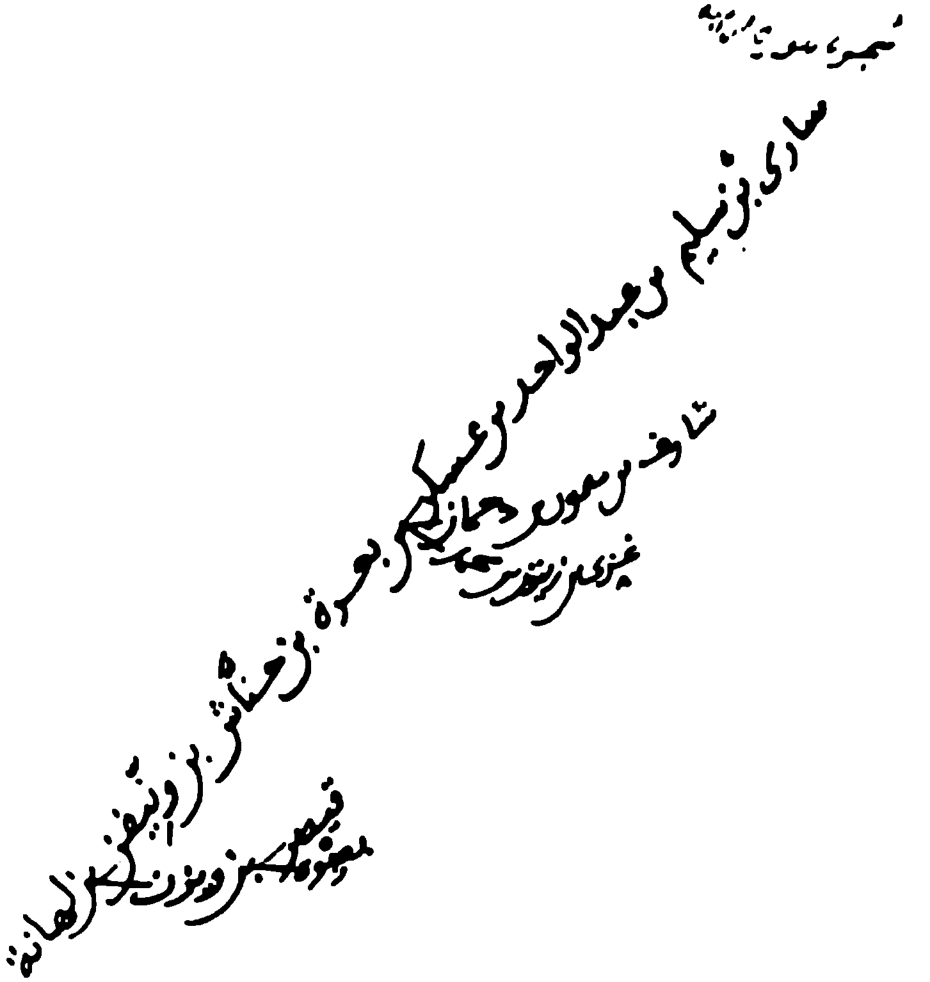

[بنو سُلَيم، بطن من عرب مضر بن هذيل بن مُدركة، جاؤوا مع الهلاليين، وأوطنوا بناحية باجة، واختلطوا بهوّارة فحملوا في عِدادهم]

ومن قَبائل هَوّارةَ هؤلاء بالمَغربِ أُمَمٌ كثيرةٌ في مَواطِنَ من أعمالِهِ تُعْرَفُ بهم، وظواعِنُ شاوِيَةٌ تَنْتَجِعُ لسَرْحِها في نواحيه، وقد صاروا عَبيداً للمَغارِمِ في كلِّ ناحية، وذهَبَ ما كان لهم من الاعْتِزازِ والمَنَعَةِ أيّامَ الفُتوحاتِ بسَببِ الكَثْرة، وصاروا إلى الافتراقِ والذِّلّةِ بسَببِ القِلّة، واللهُ مالِكُ الأمور.

ومن أشهرِهم بالمغربِ الأوسط: أهلُ الجبَلِ المُطلِّ على البَطْحاء، وهُو مشهورٌ باسْم هوّارَة، وفيهِ من مَسْرَاتَةَ وغيرِهم من بُطونِهم، ويُعْرَفُ رُؤساؤُهم ببَني إسْحاق، وكان الجبَلُ من قَبْلِهم - فيما زَعَموا - لبَني يلومي، فلمّا انقَرَضوا صارَ إليهِ هَوّارَةُ وأوطنوهُ، وكانتْ رئاستُهم في بني عبدِ العزيزِ، منْهم.

ثُمّ ظهَرَ من بَني عَمِّهم رجُلٌ اسمُهُ إسْحاق، واسْتَعْمَلَهُ ملوكُ القَلْعة، وصارَتْ رئاستُهم في عَقبِه بني إسْحاق. واختَطّ كبيرُهم محمّدُ بنُ إسحاقَ القَلْعةَ المنسوبةَ إليْهم، ووَرِثَ رئاسَتَه فيهم أخوهُ حَيّون[1]، وصارَتْ في عَقِبِهِ. واتّصلوا بالسُّلْطانِ أيّامَ مُلْكِ بَني عبْدِ الواد على المَغْربِ الأوْسَط، وانتَظَموا في صَنائِعِهم، واستَعْمَلَ / أبو تاشفين من مُلوكِهم يَعقوبَ بنَ يوسُفَ بن [113 أ] حَيّون، منْهم، قائداً على بني تُوجّين عندَما غلَبَهم على أمْرِهم وفرَضَ المغارمَ عليهم، فقامَ بها أحسَنَ قيامٍ ودَوّخَ بلادَهم وأذلَّ مِن عِزّهم. وبعدَ أن غلَبَ بَنو مَرينَ بَني عبْد الواد على المَغْربِ الأوْسط، استَعْمَلَ السُّلْطانُ أبو الحسنِ

(1) كذا في مشجر نسخة ظ ومشجر نسخة د، وفي نص كليهما: حتون، وجاءت مهملة في ص.

عبدَ الرّحمن بنَ يَعْقوبَ على قبيلهِ هؤلاء، ثُمّ استَعْمَلَ بعْدَهُ عمّهُ عبدَ الرّحمنِ، ثُمّ ابنَه محمّدَ بنَ عبدِ الرّحمن بن يوسُف، ثم تلاشى حالُ هذا القَبيلِ وخَفّ ساكِنُ الجَبلِ بما اضطهَدَتْهم[أ] دولةُ بني عبد الواد وأجْحَفتْ بهم في المغارِم بالظُّلاماتِ.

وانقرَضَ بيْتُ بني إسحاق، والأمْرُ على ذلكَ لهذا العَهْد. واللهُ وارِثُ الأرْض ومَن عليها.

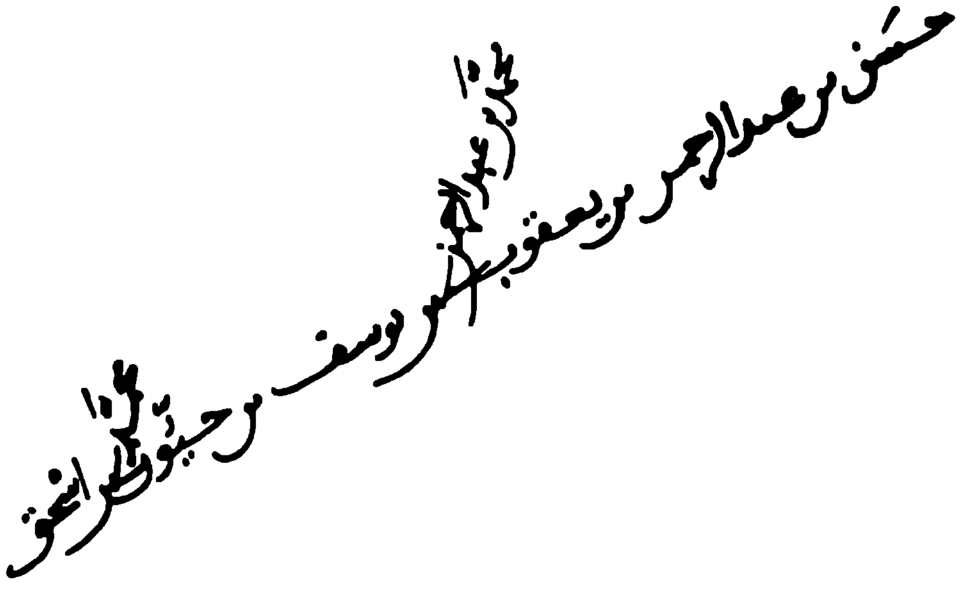

[بنو إسحاق، أهل جَبل هَوّارة]

(أ) د: اضطهرتهم.

• الخَبَرُ عن أَزْداجَةَ[1] ومَسْطَاسَةَ وعَجيسةَ[2] من بُطونِ البَرْبر، ووَصْفُ أحْوالِهم

• أمّا أزْدَاجَةُ، ويُعْرَفونَ أيضاً وَزْداجَة، فَمِن بُطونِ البَرانِس، وكثيرٌ من نَسّابةِ البَرْبرِ يَعُدّونَهم في بُطونِ زَناتَة. وقد يُقالُ: إنّ أزْدَاجَةَ من زَناتةَ ووَزْدَاجَةُ من هَوّارَة، وإنّهما بَطْنانِ مُفْترقانِ، وكان لهم وُفورٌ وكثْرةٌ، وكان موطِنُهم بالمَغربِ الأوْسَطِ بناحيةِ وَهْران، وكان لهمُ اعتزازٌ وآثارٌ في الفِتَنِ والحروب.

• وَمَسطَاسَةُ مُنْدرجونَ مَعهم، فيُقالُ: إنّهم من عِدَادِ بُطونِهم، ويقال: إنّهم إخوةٌ، وإنّ مَسَطّاسَ أخو وَزْدَاجَ. والله أعلم.

/ وكان من رِجَالاتِهمُ المذكورينَ: شَجرةُ[3] بنُ عبدِ الكريم المسَطّاسِي، [113 ب] وأبو دُلَيم بن خَطّاب، وأجازَ أبو دُلَيْم[4] إلى الأنْدلُس من ساحِل تِلِمْسَان، وكان لبَنيهِ بها ذكرٌ وفي فُقهاءِ قُرْطُبَةَ مكانٌ. وكان من بُطونِ أَزْدَاجَةَ بنو مَسْقَن[أ]، وكانوا يُجاوِرونَ وَهْرانَ.

(أ) مهملة في ص. وترد بعدُ بصيغة مَسْكن.

(1) قبائل المغرب 1: 313.

(2) المصدر نفسه 1: 336.

(3) مفاخر البربر 206 سمى والده عبد الله، وذكر أن الرازي عدّه في أعلام القبائل.

(4) يقول ابن حزم (الجمهرة 498): بنو وزداجة منهم بنو دُلَيم الفقهاء.

ونَزَلَ مَرْسَى وَهْرانَ من رِجال الدّولةِ الأمويّةِ محمّدُ بنُ أبي عَوْن، ومحمّدُ ابنُ عَبْدون، فداخَلوا بني مسْكَنْ[ا]، ومَلكوا وَهْرانَ سَبع سنينَ مُقيمينَ فيها للدّعوةِ الأُمَويّة، فلمّا ظَهَرتْ دعوةُ الشِّيعَةِ ومَلَكَ عُبَيدُ الله المَهْديُّ تاهَرْتَ وَوَلّى عليها دوّاسَ بنَ صولات اللّهيص من كُتامةَ، وأخذَتِ البرابِرةُ بدَعْوتِهم، أَوْعَزَ إليهم دَوّاس بحصارِ وَهْرانَ، فرَجَعوا إليها سنةَ سَبْعٍ وتسْعينَ وداخَلوا بَني مَسْكَنْ في ذلكَ فأجابوهم، وَفَرَّ محمّدُ بنُ أبي عَوْن فلحِقَ بدَوّاس بنِ صولات، واسْتُبيحَتْ وَهْرانُ وأُضْرِمَتْ ناراً، ثُمّ جدَّدَ بِناءَها دَوّاس، وأعاد محمّدَ بنَ أبي عَوْن إلى ولايتِها، فعادَتْ أحْسنَ ما كانتْ، وأُمراءُ تِلِمْسانَ لذلكَ العَهْدِ من الأدارِسَةِ: بَنو أحْمدَ بن محمّدِ بن سُلَيْمان، وسليمانُ هو أخو إدْريسَ الأكبرِ كما ذكَرْناهُ، وكانوا يُقيمونَ دعوةَ الأُمَويّةِ لذلكَ العَهْد.

ثُمّ وَلِيَ على تاهَرْتَ أيّامَ أبي القاسِم بن عُبَيْدِ الله، أبا مالِك يَغْمَراسِنَ ابن أبي شَحْمَة، وانتقَضَ عليهِ البربرُ وحاصَروهُ عندَ زَحْفِ ابن أبي العافِيَةِ إلى المَغربِ الأوْسطِ بدَعْوةِ المَرْوانيّة، وكان مِمّنْ أخَذَ بها محمّدُ بنُ أبي عَوْن صاحبُ وَهْران. وسَرَّحَ أبو القاسِم مَيْسوراً مَوْلاهُ إلى المَغْرب، وآتاهُ محمّدُ بن[ب] عَوْنٍ طاعَتَهُ فتقَبّلَها وأقَرَّهُ على عَمَلِه. ثُمّ نكثَ محمّدُ بن[ب] عَوْن عندَ مُنْصَرَف مَيْسورٍ من المَغْرب، وراجَعَ طاعَةَ المرْوانِيّة. ثُمّ كان شأنُ أبي يَزيدَ، وانتقَضَ سائرُ البرابِرَة على العُبَيْديّين، واسْتَفْحلَ أمرُ زَناتَةَ

(ا) كذا ضبطت بالشكل في ظ مسْكَنْ، وفي د: مسْكَن. وتقدمت بالقاف (ب) ظ: أبي.

وأخذوا بدَعْوةِ المرْوَانيّين. وكان النّاصِرُ قد عَقَدَ ليَعْلَى بن محمّد اليفرنيّ على المَغْرب، لمخاطَبَةُ بمُراوَغةِ / محمّدِ بن[أ] عَوْنٍ وقَبائِلِ أزْداجَةَ في الطّاعة، للعَداوَةِ بَيْنَ القَبيلتَيْن بالمُجاوَرَة. [114 أ]

وزَحَف إلى أزْداجَةَ لحاصرَهم بجبَلِ كيدَزَة[ب]، ثمّ تغلّبَ عليهم واسْتأصَلَهم وفرّقَ جماعَتَهم، وذلك لسَنةِ ثلاثٍ وأرْبعينَ وثلاثِ مائة، ثمّ زحفَ إلى وَهْرانَ ونازَلَها، ثمّ افتتَحها عَنوةً وأضرَمَها ناراً، واسْتَلْحمَ أزداجَةَ ولَحِقَ رِجالُهم بالأندلُس فكانوا بها، وكان مِنْهم: خَزرونُ بنُ محمّد من كبارِ أصْحابِ المَنْصورِ بنِ أبي عامِرٍ وابْنِه المظَفّر، وأجازَ إلى المَغْربِ في حُروبِهم معَ زيري بن عَطيّةَ في جُمْلةٍ[ج] واضِحٍ. وأقامَتْ وَهْرانُ خراباً أيّاماً ثُمّ شَيّدَها وانْتَقَلَ إليْها بأهْلِهِ ووَلَدِه من إيفكان وبَقِيَ أزْداجَةُ بعْدَ ذلك على حالٍ من الهَضِيمةِ والمذَلّة، وانتظَموا في عِدادِ الغارم من القَبائل.

• وأمّا عَجيسَةُ، وهُم من بُطونِ البَرانِس من وَلَدِ عَجيسةَ بن بُرْنس. ومدلولُ هذا الاسْم البَطْنُ؛ فإنّ البرْبرَ يُسمُّونَ البَطْنَ بلُغَتهم أعَدّيْس[د]، بالدّالِ المُشَدَّدة، فلمّا عَرّبَتها العربُ قلَبَتْ دالَها جيماً مخفّفة. وكانتْ لهم بَيْنَ البَرْبرِ كثْرةٌ وظُهورٌ، وكانوا مُجاورِينَ في مَواطِنِهم [الهُوّارة][هـ] ولصِنْهاجَة، وبَقاياهم لهذا العَهْدِ في ضَواحي تَدَلّس والجبالِ المطلّةِ على المَسيلة.

(أ) ظ: أبي (ب) كذا ضبطت بالحركات في د (ج) جاءت مهملة في ظ ص، ومشكولة على ما أثبتناه في د، وقد تكون: في خملة واضح (د) د: عدّش (هـ) إضافة من حاشية د .

وكانتْ أُمَّةٌ منهم يَسْكنونَ جبَلَ القَلْعة، وكان لهم في فِتْنةِ أبي يَزيدَ أثرٌ، ولمّا هَزَمهُ المنصورُ لَجأَ إليهم واعْتَصَمَ بقَلْعةِ كِيانة[أ] من حُصُونهم، حتّى اقتُحِمَ عليه. ثُمّ ارْتادَ حَمّادُ بنُ بُلُكّين من بَعْدِ ذلك مكاناً لبناءِ مَدينَتِهِ، فاختَطَّها بَيْنَهم ونزَلَها ووسَّعَ خُطّتَها واستَبْحَرَ عُمْرانُها وكانتْ حاضرةً لمُلْكِ آلِ حَمّاد، فأخلَقَتْ هذه المدينةُ من جِدَّةِ عَجيسَةَ لِما تَمرَّستْ بهم وخَضَدَتْ من شَوْكتِهم، ورَاموا كَيْدَ القلْعَة مِراراً وأجلَبوا على مُلوكِها بالأغْياصِ منْهم، فاستَلْحَمهمُ السّيفُ. ثُمّ هلكوا وهلكتِ القلْعَةُ من بَعْدِهم، ووَرِث مواطِنَهم
[114 ب] بذلكَ الجَبلِ عِيَاضٌ[ب] من أفاريقِ العرَبِ / الهِلاليّينَ، وسُمّيَ الجبَلُ بهم.

وفي القَبائِل بالمَغرِبِ كثيرٌ من عَجيسةَ هؤلاءِ مُتفرّقونَ فيهم، [وبنواحي طرابُلُسَ شعوبٌ أخرى منهم مثْلَ: زكوجة، ورئاسةُ طرابُلُسَ لهذا العَهْدِ في بني ثابتٍ، منهم][ج].

(أ) من د، وظ: كبانة (ب) ص: عياص (ج) زيادة في د.

* الخبرُ عن أوْربَةَ[1] من بُطونِ البَرانِس، وما كانَ لهم من الرِّدَّة والثَّوْرة، وما صارُوا إليهِ آخِراً من الدُّعاءِ لإدْرِيسَ الأكبر

كانتِ البطونُ الّتي فيها الكثْرةُ والغلَبُ من هؤلاءِ البَرْبرِ كلِّهم لعَهْدِ الفتْح أوْرَبَةُ وهَوّارةُ وصِنْهاجَةُ وكُتامَةُ من البَرانِس، ونفوسة وزَناتَةُ ومُطْغَرَةُ ونَفزاوةُ من البُتْر. وكان التقدّمُ لعَهْدِ الفَتْح لأوْرَبَةَ هؤلاءِ بما كانوا أكْثَرَ عدداً وأشدَّ بأسًا وقُوّةً. وهمْ من ولَدِ أوْرَب بن بُرْنس، وهم بطونٌ كثيرةٌ. فمنهم: لَجايَةُ، وأنْفاسَةُ، ونيجَه، وزَهْكُوجَه[أ]، ومزْياتَة، ورغيوه، وديقوسه.

وكان أميرُهم بيْنَ يدَي الفَتْح سَكَرْديدَ بنَ زوفي بن بارزت بن يزْزيات، وَليَ عليهم ثلاثاً وسَبْعينَ سنةً، وأدْرَكَ الفَتْحَ الإسْلاميَّ، ومات سنةَ إحدى وسبْعينَ. ووَليَ عليهم من بَعْدِهِ كسيلة بنُ لَمْزَم[ب] الأوْرَبِيُّ، فكانَ أميراً على البَرانِس كلِّهم، ولما نَزلَ أبو المُهَاجِر تِلِمْسَانَ سنةَ خَمْسٍ وخمسينَ كان كسيلة ابنُ لَمْزَم مُرْتَدًا بالمغربِ الأقْصَى في جُموعِه من أوْرَبةَ وغيْرِهم، فظفِرَ بهِ أبو المُهاجِر وأرادَهُ على الإسْلام، فأسْلمَ واسْتَبْقاهُ وأحْسَنَ إليهِ وصَحِبَه.

وقَدِم عُقْبةُ في الولايةِ الثّانِية أيّامَ يَزِيدَ سنةَ ثنْتَيْنِ وسِتّين، فاضْطغَنَ[2] عليهِ صِحابَتَهُ لأبي المُهَاجِر، وتقَدَّمَ أبو المهاجِر في اضطِناعِه، فلمْ يَقْبَل،

(أ) كذا في ظ، وفي متن د ص: زجوكة، وأصلحت في حاشيتيهما، زمككوجة (ب) د: لمرم.

(1) قبائل المغرب 1: 313.

(2) أضمر الحقد.

وزَحفَ إلى المَغربِ وعلى مُقدِّمتِه زُهَيرُ بنُ قَيْس البَلَوِيُّ، فدوّخهُ، ولقيَهُ مُلوكُ البَربرِ ومَنِ انْضَمّ إليهم من الفِرِنْجةِ بالزّاب وتاهَرْتَ فهزَمَهم واسْتَباحَهم، وأذْعَنَ لهُ بَلْيانُ أميرُ غُمارَة ولاطَفَهُ وهاداهُ ودَلَّهُ على عَوْراتِ البرابِرَةِ وراءهُ بوليلةَ[أ] والسُّوسِ وما وراءَهما من مَجالاتِ الملثّمينَ، فغَنِمَ وسَبَى، وانْتَهى

[115أ] إلى ساحلِ البَحْرِ، وقَفَلَ ظافِراً. وكانَ / في غَزاتِه تِلْكَ يَسْتهينُ كسيلةَ ويَستخِفُّ بهِ وهُو في اعْتقالِه.

وأمَرَهُ يوماً بسَلْخِ شاةٍ[1] بَيْنَ يَدَيه، فدَفَعها إلى غِلْمانِه، وأرادَه عُقْبةُ على أن يَتولاّها بنَفسِه وانْتَهرَهُ، فقام كسيلةُ إليها مُغْضَباً، وجَعَلَ كلّما دَحَسَ يدَهُ في الشّاةِ مَسَحَ بلحْيَتِه، والعرَبُ يقولونَ: ما هذا يا بَرْبريّ؟! فيقولُ: هذا جَيّدٌ للشَّعْر، فقال لهم شيْخٌ مِنهم: إنّ البربَريَّ يتوَعّدُكم! وبلَغَ ذلكَ أبا المُهاجِر، فنَهى عُقبةَ عنه، وقال: كان رسولُ الله ﷺ يَسْتألِفُ جَبابِرةَ العَربِ، وأنْتَ تعْهَدُ إلى رجُلٍ جَبّارٍ في قَوْمِهِ بدارِ عِزّه، قريبِ عهْدٍ بالشِّرْكِ فتُفسِدَ قلبَه، وأشارَ عليه بأن يَتَوثّقَ منهُ، وخَوَّفهُ فَتْكَه، فتهاونَ عُقبةُ بقَوْلِه. فلَمّا قَفَلَ من غَزاتِه وانْتهى إلى طُبْنَةَ، صرَفَ العساكِرَ إلى القَيْروانِ أفواجاً، ثقةً بما دَوَّخَ من البِلادِ وأذلَّ من البَرْبر، حتّى بَقِيَ في قليلٍ من النّاس، وسارَ إلى [تَهودَه][ب] أو بادِس ليَنْزِلَ بها الحاميةَ، فلمّا نَظرَ إليْهِ الفِرِنْجةُ طمِعُوا

(أ) كذا رسمت في الأصول، ووردَتْ وتردُ بصيغة: وليلي (ب) في ظ د ص: تهوه.

---

(1) أورد هذا الخبر المالكي: رياض النفوس 1: 40- ،ابن ناجي: معالم الايمان 1: 52- ، البيان المغرب 1: 29 .

فيه، وراسلوا كسيلةَ بنَ لَمْزم[أ] ودَلُّوهُ على الفُرصةِ فيه، فانتهزَها وراسل بني عمِّهِ ومن مَعَهم من البَرابر، فاتَّبَعوا عُقْبةَ، حتّى إذا غشَوْهُ بتهودة ترجَّلَ القومُ وكسروا أجفانَ سُيوفِهم، ونَزَلَ الصَّبرُ، واستَلْحَمَ عُقْبةُ وأصحابُه -رضيَ اللهُ عنهم- ولم يُفْلِتْ منهم أحدٌ، وكانوا زُهاءَ ثلاثِ مائةٍ من الصّحابةِ والتّابعينَ، استُشْهدوا في مَصْرعٍ واحدٍ وفيهم أبو المهاجِر، كانَ أصْحَبَهُ في اعْتقالِهِ فأبْلى - رضيَ اللهُ عنه - في ذلكَ اليوم البلاءَ الحسَنَ. وأجْداثُ أولئك الشّهداءِ عُقْبةُ وأصحابُه بمكانِهم ذلكَ من أرْض الزّابِ لهذا العَهْد.

وقد جُعِلَ على قَبْرِ عُقْبةَ أسْنِمةٌ، ثمّ جُصِّصَ واتُّخِذَ عليه مسجدٌ عُرِفَ باسْمِه، وهُو في عِدادِ المَزاراتِ ومَظانِّ البَرَكَة، بل هُوَ أشْرفُ مَزُورٍ من الأجداثِ في بِقاعِ الأرْض، لِمَا توفَّرَ فيهِ من عَددِ الشُّهداءِ منَ الصّحابةِ والتّابعينَ الّذين لا يَبْلُغُ أحدٌ مُدَّ أحَدِهم ولا نصِيفَه.

/ وأُسِرَ من الصّحابةِ يَوْمئذٍ مُحمّدُ بنُ أوْس الأنْصاريُّ[1]، ويزيدُ بنُ [115 ب] خَلَفٍ القيسيُّ، ونفرٌ معَهما، ففَدَاهم ابنُ مصاد صاحبُ قَفْصَة.

وكان زهيرُ بنُ قَيْس البَلَويُّ بالقَيْروان، وبَلَغهُ الخبرُ، فخرَجَ هارِباً بفَلِّ المُسْلمينَ ونَزَلَ بَرْقةَ، وأقامَ بها يَنْتظرُ المَددَ من الخُلفاء. واجْتَمعَ إلى كسيلةَ

(أ) من د، وفي ظ: لـمزم.

(1) أبو العرب التميمي: طبقات علماء إفريقية 18 وعدّه في التابعين الذين دخلوا إفريقية. ويذكر ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها 215 أنه كان على بحر تونس، توفى سنة 102 هـ. ابن ناجي: معالم الايمان 1: 189.

جميعُ أهْلِ المَغربِ من البَرْبرِ والفِرِنْجة، وزَحَفَ إلى القَيْروان، فخرجَ العربُ منْها ولحِقوا بزُهَيْرِ بنِ قَيْس وبَقِيَ بها أصحابُ الذَراري والأثقالِ فأمَّنَهم، ودَخَلَ القَيْروانَ وأقامَ أميراً على إفريقيَّةَ ومَن بَقِيَ بها من العَربِ خَمْسَ سِنين. وقارنَ ذلك مَهْلِكَ يَزيدَ[1] بنِ مُعاويةَ وفِتْنةُ[2] الضَّحّاكِ بن قَيْسٍ مع المَرْوانيّةِ بمَرْج راهِطٍ وحُروبَ آلِ الزُّبَيْر، فاضطَربَ أمرُ الخِلافةِ بعضَ الشيء، واضطرمَ المغرِبُ ناراً، وفشَتِ الرِّدَّةُ في زَناتةَ والبَرانِس، ثُمّ اسْتَقَلَّ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ من بَعْدِ ذلك كلِّه بالخِلافة، وأذْهَبَ بالمَشْرقِ آثارَ الفِتْنة.

وكان زُهيْرُ بنُ قَيْس مُقيماً ببَرْقةَ منذُ مَهْلِكِ عُقْبة. فبَعَثَ إليهِ بالمَدَدِ ووَلّاهُ حرْبَ البَرابِرَةِ والثأرَ بدمِ عُقْبة، فزحَفَ إليها في آلافٍ من العَربِ سنةَ سَبْعٍ وستّينَ. وجمَعَ كسيلةُ البرانِسَ وسائِرَ البَرْبرِ ولَقِيَهُ بِمَمْسَ من نواحي القَيْروان، واشتَدَّ القِتالُ بَيْنَ الفريقَيْنِ، ثمّ انهزمَ البَرْبرُ وقُتِلَ كسيلةُ ومَن لا يُحْصَى منهم، واتَّبَعَهمُ العربُ إلى مَرْمَجَنّةَ ثُمّ إلى مَلْوِيةَ. وذَلَّ البَرْبرُ، ولَجأوا إلى القِلاعِ والحُصون، وخُضِدَتْ شَوْكةُ أوْرَبَةَ من بَيْنِهم، واستَقَرَّ جمهورُهم بدِيارِ المَغْربِ الأقْصى فلم يكنْ لهمْ بَعْدَها ذِكْرٌ، واسْتَولَوْا على مَدينةِ وَلِيلِي بالمَغربِ، كانتْ ما بَيْنَ فاسَ ومِكْناسَةَ بجانِبِ جَبلِ زَرْهونَ. وأقاموا على ذلكَ والجيوشُ من القَيْروانِ تُدَوِّخُ المغربَ مَرّةً بعدَ أُخرى، إلى أن خَرَجَ محمّدُ بنُ عَبْدِ الله بن حَسَنِ بن الحَسَنِ بن عليٍّ أيّامَ المَنصور

(1) كان موته بحوارين في صفر سنة 64 هـ، ودفن في دمشق. اليعقوبي: التاريخ 2: 301.

(2) خارجي ثار على مروان بن محمد، وواقعه وتغلب عليه غير مرة. مات سنة 127 هـ.

وقُتِل بالمَدينةِ سنةَ خَمْسٍ وأربعينَ. ثمّ خرجَ بَعْدَهُ ابنُ عمِّه حُسَينُ بنُ عليِّ ابن حَسنِ المُثلَّثِ بن حَسنٍ المثنّى بن الحسَنِ السِّبْطِ أيّامَ / الهادي، [116أ] وقُتِلَ بفَخٍّ[1] على ثلاثةِ أميالٍ من مَكّةَ سنةَ تِسْعٍ وستّينَ ومائة.

واستَلْحَمَ كثيرٌ من أهْلِ بَيْتِه، وفرّ إدْريسُ بنُ عبدِ الله إلى المَغْرب، ونزَلَ على أوْرَبَةَ سنةَ ثِنْتَيْن وسَبْعينَ، وأميرُهم يومَئذٍ بولِيلي إسحاقُ بنُ محمّدِ ابن عبدِ الحميد، منهم، فأجارَهُ وجمَعَ البَرابِرَ على دَعْوَتِه، واجْتَمعتْ عليهِ زَوَاغَةُ ولَوَاتَه وسَدْراتَةُ وغيَاثَة ونَفْزَةُ ومِكْناسَةُ وغُمارَةُ وكافّةُ بَرابِرةِ المَغْرب، فبايَعوهُ وقاموا بأمْرِه، وتمّ لهُ المُلْكُ والسُّلْطانُ بالمَغْرب، وكانَتْ له الدَّوْلةُ التي وَرِثَهَا أعْقابُه إلى حينِ انقِراضِها كما ذكَرْناهُ[2] في دَوْلةِ الفاطِميّين.

(1) الرازي: وقعة فخ.

(2) كتاب العبر 7: 3- 19.

الخَبرُ عن كُتامةَ[1] من بُطون البرانس، وما كان لهم من العِزّ والظهورِ على القبائل، وكيف تناولوا المُلك من أيدي الأغالِبة بدَعْوة الشّيعَة

هذا القَبِيلُ من قَبائلِ البَرْبرِ بالمَغرب، وأشدِّهم بأساً وقُوّةً، وأطولِهم باعاً في المُلْكِ. وهم عندَ نَسّابةِ البَرْبر من وَلدِ كُتّام بن بُرْنُس، ويُقال: كتم. ونَسّابةُ [العَرب][أ] يقولونَ إنّهم من حِمْيَرَ. ذكَرَ ذلكَ ابنُ الكلْبيّ[2] والطَّبريُّ[3]، وأنّ أفريقَسَ بنَ قَيْس بن صَيْفيّ من مُلوكِ التّبابِعة، وهُو الّذي افتَتحَ إفريقيّةَ وبه سُمّيت، وقَتلَ مِلِكَها جرجيرَ، وسَمّى البَرْبرَ بهذا الاسْم كما ذكرناهُ، فقال: وأقامَ في البَرْبرِ من حِمْيَر صِنْهاجةَ وكُتامَةَ، فهم فيهِ إلى اليَوْم. انتهى.

وتَشعَّبوا في المَغرب وانبَثّوا في نَواحِيه، إلاّ أنّ جُمْهورَهم كانوا لأوّلِ المِلّةِ بَعْدَ هَيْجِ الرِّدّة وطَيْخة تلك الفِتَن، مُوطِّنينَ بأرْيافِ قُسَنطينةَ إلى تُخوم بجَايةَ غَرْبًا إلى جَبلِ أوْراس من ناحِيةِ القِبْلة، وكانَتْ بتلك المَواطنِ بلادٌ مذكورةٌ أكثرُها لهُم وبَيْنَ ديارِهم ومَجالاتِ تقَلُّبهم، مثْلَ: إيكجان[ب] وسطِيف وباغـايةَ ونَقاوُس وبَلْزمَة وتِيكبسْت وميلَة وقُسنطينةُ والسيكَدَة والقُلّ وجيجِل من حُدودِ جَبل أوْرَاس إلى سِيفِ البَحْرِ ما بيْنَ بجَايَةَ وبُونَة.

(أ) من د، وفي ظ: البربر (ب) كذا مشكولة في ظ.

---

(1) قبائل المغرب 1: 318.

(2) نسب معدّ واليمن الكبير 2: 548، ياقوت: المقتضب 373.

(3) تاريخ الرسول والملوك 1:442، وقد نقل ابن خلدون قوله عن الطبري الذي استوعب أقوال ابن الكلبي.

وكانت بُطونُهم كثيرةً يَجمَعُها كلَّها غرسَنْ ويَسُودَةُ ابنا كتم بن برنُس، فمِن يَسُودَةَ: فَلأَسَة ودنهاجَه. ومتوسَة وورنيسَنْ، كلُّهم بنو يَسُودَة بن كتم. وإلى دَنهاجةَ يُنسَبُ قَصْرُ كُتامَةَ بالمغربِ لهذا العَهْد.

/ ومن غرسَنْ[أ] مَصالة وقَلْدن ومَاوَطَنْ ومَعَاذْ بنو غرسَنْ [بن كتم [116 ب] ولهيصة وجِيمَلَة ومَسَّالَتَه بنو يَنَاوَة بن غرسَنْ][ب] ولَطايَة وإجَّانَة وغَسْمَانْ وأوْفَاس بنو يَنطاسَنْ بن غرسَنْ، ومَلُوسَة من آيّانْ بن غرسَنْ.

ومن مَلُوسَة هؤلاءِ: بنو زَلْدويْ أهلُ الجبَلِ المُطِلِّ على قُسَنطينةَ لهذا العهد. ويُعَدُّ البَرابرةُ من كُتامَةَ بني يَسْتِيتَن وَهَشْتِيوَه ومَسَّالَتَه وبني قَنْسِيلَةَ. وعَدَّ ابنُ حَزم[1] منهم زواوَةَ بجميع بُطونهم، وهُوَ الحقُّ على ما تقدَّم.

وكان بالمغربِ الأقصَى كثيرٌ مُنتَبذونَ عن مَواطِنِهم وهُم بها إلى اليَوم، ولم يزالوا بهذهِ المواطنِ وعلى هذه الحالَةِ من لدُنْ ظُهور المِلَّةِ ومُلْكِ المغربِ[ج] إلى دَوْلةِ الأغالِبَة. ولم تكُنِ الدُّوَلُ تَسُومُهم [بهَضيمَةٍ][د] ولا تنالُهُم بعَسْف، لاعْتزازِهم عليها بكَثْرةِ جُموعِهم كما ذكَرَه ابنُ الرَّقيق في تاريخه، إلى أن كانَ من قِيامِهم بدَعْوةِ الشِّيعَةِ ما ذكَرْناهُ في دَوْلتِهم عندَ ذِكْرِ دُوَلِ الفاطِميّين إثْرَ دَوْلةِ بني العبّاس، فانظُرْهُ هنالك وتَصَفَّحْهُ تجِدْ تفصيلَه.

(أ) من د، ظ: عوسن (ب) زيادة من د (ج) د: الغرب (د) ظ: بهصيبة.

---

(1) الجمهرة 501.

ولمّا صارَ لهُم المُلْكُ بالمَغرِبِ زَحفوا إلى المَشرِقِ لملكوهُ: الإسكندريّة ومِصرَ والشّامَ، واختَطّوا القاهِرَةَ أعظمَ الأمصارِ بمِصْر، وارتَحلَ المعِزُّ رابعُ خُلفائهم فنزَلَها، وارتَحَلَ معَهُ كُتامةُ على قَبائلِهم، واستَفْحَلَتِ الدّولةُ هنالِكَ، وهلكوا في تَرَفِها وبَذَخِها، وبقيَ في مَواطِنِهمُ الأُولى بجَبلِ أوْرَاس وما حَوالَيهِ منَ البَسائطِ بقايا من قَبائِلِهم على أسمائها وألْقابِها، وآخَرونَ تغيَّرَ لَقَبُهُم، وكلُّهم رَعايا مُعَبَّدونَ للغارِمِ إلاّ مَن اعتَصَم بقُنَّةِ الجَبل، مثْلَ: بَني زَلْدُوي بجَبَلِهم، وأهلُ جبالِ جِيجِل وزَواوَةَ أيضاً في جِبالِهم. وأمّا البسائطُ فأشْهَرُ مَن فيها منْهم قبائلُ سَدْويكش ورئاسَتُهم في أولادِ سَوّاق، ولا أدْري إلى مَن يَرجِعونَ من قَبائلِ كُتامَةَ المُسَمَّيْنَ في هذا الكِتاب، إلاّ أنَّهم سلَفُهم باتّفاقٍ من أهْلِ الأخْبار.

ونحنُ الآنَ ذاكِرونَ ما عرَفْناهُ من أخْبارِهُم المتأخّرةِ بَعْدَ دَوْلَةِ كُتامَة. واللهُ وليُّ العَوْن.

[مشجَر نسب كُتامة، من بُطون البَرانِس]

[117 ب] ## ❁ / الخَبَرُ عن سَدْوِيكش ومَنْ إليهم من بَقايا كُتامَةَ في مَواطِنِهم.

• هذا الحيُّ لهذا العَهْدِ وما قَبْلَهُ من العُصورِ يُعرَفون بسَدْوِيكش، وديارُهم في مواطِنِ كُتامَة ما بَيْن قُسَنطينةَ وبِجَايَةَ في البَسائطِ منها. ولهم بطونٌ كثيرةٌ مثل: سيلين، وطرسونْ، وصَدْغِيَانْ(أ)، ومَوليت، وبني قشّة، وبني لمَايْ وكايازة، وبني زَغلانْ(ب) والنّورة، وبني مزوان ووارمكسن وسكدال، وبنى غَيَاز. وفيهم من لمَاية ومكلاتة و وريغة، والرّئاسةُ على جَميعِهم في بَطْنٍ منهم يُعرَفونَ أولادَ سَوّاقٍ، لهمْ جَمْعٌ وقُوّةٌ وعَديدٌ وعُدّة، وكان جميعُ هذه البطونِ رَعايا لهم غارِمَةً، فيَمتطونَ الخَيلَ ويَسكنُونَ الخيامَ ويَظْعَنونَ على الإبلِ والبَقر، ولهم معَ الدّوَلِ في ذلك الوَطنِ اسْتِقامَةٌ ونَفرة، شأنَ القبائِلِ الأعِزّةِ من [العَرَب](ج) لهذا العَهْد.

• وهم يَنتَفونَ من نَسبِ كُتامَةَ ويَفتَدونَ منهُ، لِما وقَعَ منذُ أربع مائةِ سَنةٍ من النَّكيرِ على كُتامَةَ بانْتِحالِ الرّافِضيّةِ وعَداوةِ الدُّوَل بَعْدَهم، فيَتَفادَوْنَ من الانْتِسابِ إليْهم، وربّما انتَسبوا في سُلَيْم من قَبائِلِ مُضَر، ولَيْس ذلكَ بصحيحٍ، وإنّما هم من قَبائلِ كُتامَة، وقد ذكَرَهم مؤرّخو صِنْهاجَةَ بهذا النّسَب، وشهِدَ لذلكَ الموطِنُ الّذي اسْتَوْطنوهُ من إفريقيّة.

(أ) د ص: طوغيان (ب) د ص: زعلان (ج) من د. ظ: القرب.

ويَذكُرُ نَسّابتُهم ومُؤرِّخوهم أنّ مَواطنَ أولادِ سَوّاق، منهم، كان في قِلاعِ بَني بوخَضْرةَ من نَواحي قُسَنطينة، ومنهُ انتقَلوا وانتَشروا في سائرِ تلكَ الجِهات. وأولادُ سَوّاق بَطْنان، وهم: أولادُ علاوةَ بن سَوّاق، وأولادُ يوسُف بن حَمُّو بن سوّاق. فأمّا أولادُ عَلاّوَة فكانَتِ الرئاسةُ على قبائلِ سَدْويكش لهم فيما سَمِعْناهُ من مَشْيَختِنا، وأنّ ذلكَ كان لعَهْدِ دَوْلةِ الموحّدينَ، وكان منهم عليُّ بنُ عَلاّوَة، وبَعْدَهُ ابنُه طَلْحَةُ بنُ عليّ، وبَعْدَهُ أخوهُ يَحْيى بنُ عليّ، وبَعْدَه أخوهُما مَنْديل بن عليّ؛ وعُزِلَ [بتازيرَ][أ] ابن [أخيه][ب] طَلْحة، ولمّا بُويِعَ السُّلْطانُ أبو يَحْيى بقُسَنطينةَ سنةَ عَشْرٍ من هذه المائة، وقَعَ مَن تازيرَ انحرافٌ عن طاعَتِه، واعْتَلَقَ بطاعَةِ ابنِ الخَلوفِ ببِجَايَةَ، / [118 أ] فقدَّمَ عوضاً منهُ عَمَّه منْديل، ثُمّ استَبْدَلَ منهم أجْمعينَ بأوْلادِ يوسُف، فشَمَّروا في طاعَتِه وأبْلَوْا.

وغلَبَ السُّلْطان على بِجَايَة، وقَتلَ ابنَ الخلوف، فظهَرَ أولادُ يوسُف وزَحَموا أولادَ عَلاوَةَ وأخْرَجوهم من الوَطن، فصَاروا إلى عِيَاضٍ من أفاريقِ هِلال، وسَكنوا في جِوَارِهم بجَبَلِهِمُ الّذي أوْطَنوهُ المُطلّ على المَسِيلَة، واتّصلتِ الرئاسةُ على سَدْويكش في أولادِ يوسُف، وهم لهذا العَهْدِ أربعُ قَبائل: بنو محمّد بن يوسُف، وبَنو المهديِّ بن يوسُف، وبَنو إبراهيمَ ابن يوسُف، والعزيزيُّونَ، وهم: بَنو منْديل، وظافر، وجري، وسَيّد الملوك،

(أ) من د، ظ: تبازين ومثله ص غير معجمة؛ وجاء الاسم تاليا: تازير، في كل النسخ، وفي المشجر الآتي (ب) من د.

والعبّاس، وعيسى؛ والستّةُ أولادُ يوسُف، وهم أشِقّاء، وأمُّهم تاعْزيزت فنُسِبوا إليها. وأولادُ محمّدٍ والعزيزيُّون يُوطِّنون بنواحي بِجَاية، وأولادُ المهديّ وإبراهيمَ بنَواحي قُسَنطينة. وما زالَتِ الرئاسةُ في هَذه القبائلِ الأَربع تجتمع تارَةً في بَعْضِهم وتَفْترِقُ أخرى إلى هذا العَهْد. وكانتْ لآخِرِ دَوْلةِ مَولانا السُّلطانِ أبي يَحْيى اجتمعَتْ رئاستُهم لعَبْدِ الكريم بن منديلِ بن عيسَى من العزيزيِّين، ثُمّ افترقَتْ واستَقلّ كلُّ بَطْنٍ من هَؤلاء الأَربعةِ برئاسَتِه. وأولادُ عَلاّوَة في خِلال هذا كلّه بجَبل عِياض.

ولمّا تغلَّبَ بَنو مَرِينَ على إفريقيّةَ نَكِرَ السّلطانُ أبو عِنَان أولادَ يوسُف ورَمَاهم بالمَيْلِ إلى الموحّدينَ، وصَرَفَ الرّئاسةَ على سَدْويكش إلى مُهَنّا بنِ تازيرَ بن طلحةَ من أوْلادِ عَلاّوَة، فلم يتمّ لهُ ذلكَ وقتَلَهُ أولادُ يوسُف، ورجَعَ أولادُ عَلاوَةَ إلى مَكانِهم من جَبلِ عِياضٍ. وكان رئيسَهم لهذه العُصور عدوانُ بنُ عبْدِ العزيزِ بن زَرُّوقٍ[1] بن عليّ بن عَلاوة، وهَلَكَ، ولم تجتَمعْ رئاسَتُهم بعدَهُ لأحدٍ.

وفي بُطونِ سَدْويكش هؤلاء بَطْنٌ يُرادِفُ أولادَ سَوّاقٍ في الرئاسةِ على بعضِ أحْيائهم، وهم بنو سيلين، ومواطِنُهم في جِوار لَواتةَ بجَبلِ بابورَ وما إليهِ من نَواحي بِجَايَة، ورئاسَتُهم في بَني موسَى بن ثابر، منهم. أدرَكْنا ابنَهُ / صَخْرَ بن مُوسَى. واختَصّه السُّلطانُ أبو يَحْيى بالرّئاسة على قَوْمِه، [118ب]

(1) كذا في ظ د. وأهملت في ص ويقرأ في المشجرين: رزّوق.

وكان لهُ مَقاماتٌ في خدمتِه. ثُمّ غرّب بعْدَهُ في الوَفاء ابنُه الأميرُ أبو حفص، فلم يَزَلْ معَهُ إلى أن أوْقعَ بهِ بَنو مَرِينَ بناحِيةِ قابِسَ، وجيءَ بهِ معَ أسْرى الوَقيعةِ، فقَطّعَهُ السّلطانُ أبو الحسَن من خِلافٍ، وهلكَ بعدَ ذلك. وقام برئاستِه ابنُه عبدُ الله، وكان له فيهَا وفي خدْمةِ السُّلْطان بِبجَايَة شأنٌ إلى أن هَلَكَ لأعوامِ الثّمانين، ووَلِيَ ابنُه محمّدٌ من بَعْدِه، وهو لهذا العَهْدِ، واللهُ وارثُ الأرْض ومَنْ عليها.

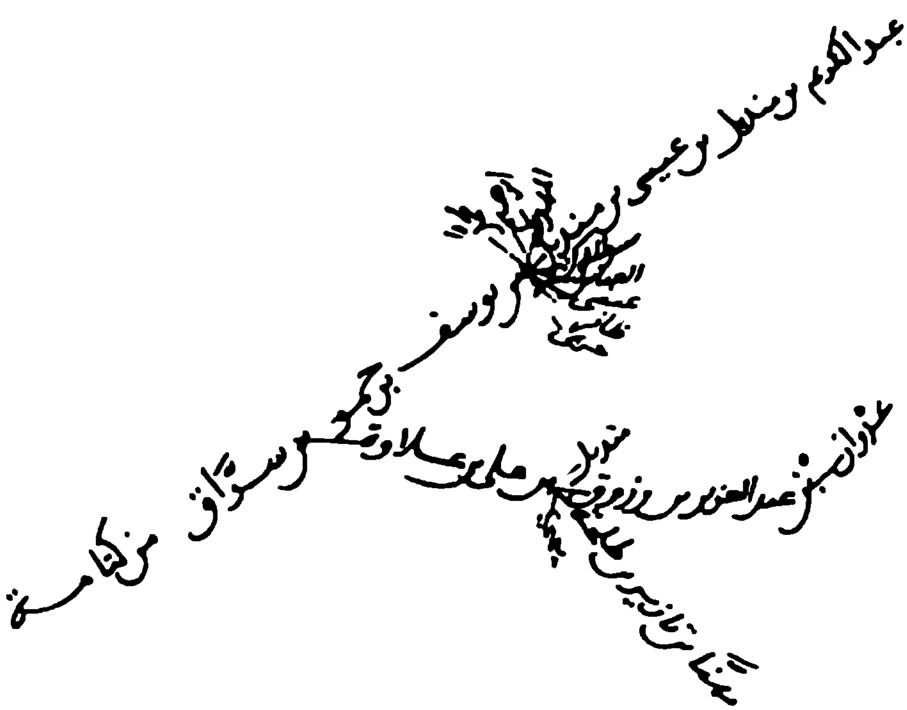

[مشجر بطن أولاد سوّاق، رؤساء سدويكش ومن إليهم من بقايا كتامة]

[119 أ] ❁ / الخَبَرُ عن بَني ثابِت، أَهْلِ الجَبَلِ المُطِلِّ على قُسَنْطينةَ من بقايا كُتامَةَ.

ومن بُطونِ كُتامَةَ وقبائِلِهم: أهلُ الجبلِ المُطلِّ على القُلِّ، ما بَيْنَهُ وبَيْنَ قُسَنْطينةَ، المعروفِ برئاسةِ أَوْلادِ ثابِت، ويُقالُ: إنّه ثابتُ بنُ[أ] ...... بنُ أبي بَكْرٍ من بَني تليلان، ويُقالُ: إنَّ أبا بكْرٍ هذا الجدُّ هو الّذي فَرضَ المغْرَمَ على هذا الجبَلِ لأيّامِ المُوَحّدينَ، ولم يكنْ قبْلَ ذلك عليهِ مَغرمٌ. فلمّا انقرَضَ أمْرُ صِنْهاجَةَ وغلَبَ الموحّدونَ على إفريقيّةَ وَفَدَ أبو بكْرٍ هذا على الخَليفةِ بمَرّاكُش وبَخَعَ[1] بالطّاعةِ والانْقياد، وتقرَّبَ إليهِ بفَرْضِ المَغرم على قَبيلِهِ بالجَبَلِ.

وكانتْ لثابِتٍ من الوَلَد: عليٌّ وحسنٌ وسُلْطانُ وإبراهيمُ، كلُّهم رَأَسُوا بالجَبَل، وأمّا حَسنٌ، منهم، فحجَبَ السّلطانَ أبا يَحْيى لأوّلِ دَوْلَتِه وفي غَيْبةِ ابن غَمَر بجهةِ طرابُلُس أعوامَ أحدَ عشَرَ وسَبْعِ مائةٍ كما نَذكُره، فلَمّا تَملّكَ السُّلْطانُ بِجَايَةَ وقتَلَ ابنَ خَلوفٍ ورَجَعَ ابنُ غَمَر من تونِسَ إلى حِجابَتِهِ، وجَدَ حسَنَ بنَ ثابتٍ مُعسكِراً بفزجيوةَ لاقْتِضاءِ مَغارمِ الوَطنِ، فبعَثَ إليْهِ مَن قَتَلَه. وكان آخرَهم رئاسةً بالجبلِ عليٌّ، أدْرَكَ دوْلةَ بني مَرِينَ بإفريقيّة، ووَلِيَ بَعْدَهُ ابنُه عبدُ الرّحْمن، ووَفَدَ على السّلطانِ أبي عِنانٍ بفاس، ولمّا استَجَدَّ مَوْلانا السّلطانُ أبو العبّاسِ دَوْلَتَه بإفريقيّةَ استَوْلَى عليهم

(أ) فراغ في ظ د، وفي مكانه فراغ في مشجر النسب التالي.

(1) أقرّ إقرارَ مذعنٍ، بالَغَ جهْدَه في الإذعان.

ومَحَى أثرَ مَشْيَخَتِهم ورئاسَتِهم وصَيَّرَهم من عِدَادِ جُنْدِه وحاشِيَتِه، واسْتَعْمَلَ في الجبَلِ عمّالَهُ. وهُو جبَلٌ مِطْواعٌ وجِبايَتُهُ مؤدّاةٌ لسُهولتِه وجِوارِه للمُعَسْكَرِ بقُسَنْطينَة.

• ومن بقايا كُتامَةَ أيضاً قبائلُ أُخرَى بناحيةِ تَدَلَّس في هِضابِهِ مكتنِفةٌ بها، وهم في عِدَادِ القَبائِلِ الغارِمَة. وبالمغربِ الأقْصَى منهم قبيلةٌ من بَني يستيتَّنْ بجبَلٍ قِبْلةَ جبَلِ بَني يَزْناسَنْ، وقبيلةٌ أُخرى بناحيةِ الهَبْط مُجاورونَ لقَصْرِ ابن عَبْدِ الكريم، وقبائلُ أُخرَى بناحيةِ مَرّاكُش نَزلوا مَع صِنْهاجَةَ هنالك. ونَسَبُ كُتامَةَ لهذا العَهْدِ بيْنَ القَبائِل المثَلُ السّائِرُ في الذِّلّةِ بما نَكِرَتْهُم الدّوَلُ من بَعْدِهم أربعَ مائةِ سنةٍ بانْتحالِهم الرّافِضَةَ ومذاهِبَها الكُفْريّةَ / [119 ب] حتّى صارَ كثيرٌ من أهْلِ نسَبِهم يَفِرّونَ منهُ ويَنْتَسِبونَ فيمَن سِواهم من القَبائِل، فِراراً من هُجْنَتِه. والعزّةُ للهِ وَحْدَه.

[نسب أولاد ثابت الكتاميين]

• الإلمامُ بذِكرِ زُواوةَ من بُطونِ كُتامة

هذا البطنُ من أكبرِ بُطونِ البَرْبَر، ومواطِنُهم كما تراهُ مُختفَةٌ بِبجَايَة إلى تَدَلّس في جبالٍ شاهِقَةٍ وأوْعارٍ مُتَسَنِّمَةٍ، ولهم بطونٌ وشعوبٌ كثيرةٌ، ومواطِنُهم متّصِلَةٌ بمواطِنِ كتامَةَ هؤلاء. وأكثرُ النّاس جاهِلونَ بنَسبِهم؛ وعامّةُ نَسّابةِ البَرْبرِ على أنّهم من بني سمكانَ[1] بن يَحْيى بن ضَريس، وأنّهم إخوةُ زواغَة، والمحقِّقونَ من النسّابةِ مثلَ ابنِ حَزْم[2] وأنْظارِهِ إنّما يَعُدّونَهم في بُطونِ كُتامَة، وهُو الأصْوبُ، والمَوَاطِنُ أوضَحُ دليلٍ عليه، وإلاّ فأيْنَ مواطِنُ زواغَةَ، وهِيَ بطرابُلُس وبالمغربِ الأقْصى من مواطِنِ كُتامَة. وإنّما حمَلَ على الغَلَطِ في نِسْبَتِهم إلى كُتامَة تصْحيفُ اسم زوَارَة بالرّاء بعْدَ الواو، وهم إخوةُ زواغَةَ بلا شكٍّ، فصُحِّفَ على القارِىءِ الرّاءُ بالواو، فعَدَّ زوَاوةَ إخوةَ زواغَةَ، ثُمّ استمرَّ التّصحيفُ وجُمِعا في نَسَبِ سمكان. واللهُ أعلم. وقد مَرَّ ذِكرُهم هنالِكَ معَ ذكْرِ زواغَةَ وتعديدِ بُطونِهم.

(1) يسميه ابن حزم: سَمْجان بن يحيى (الجمهرة 496).

(2) الجمهرة 501: زُواوة من كتامة.

● الخَبَرُ عن صِنْهاجةَ[1] من بُطونِ البَرانِس، وما كان لهُم من الظُّهورِ والدُّوَلِ في بلادِ المغرِبِ والأندلس

● هذا القَبيلُ من أوْفرِ قبائِلِ البَرَبَرِ. وهُم أكثرُ المَغرِبِ لهذا العَهْدِ وما قَبْلَهُ، لا يكادُ / قُطْرٌ من أقْطارِهِ يَخلو عن بَطْنٍ من بُطونِهم في جيلٍ أو سِبْطٍ، حتّى لقد زعَمَ كثيرٌ من النّاسِ أنّهم الثّلُثُ من أُمَمِ البَرْبر. وكان لهم في الرِّدَّةِ ذكرٌ، وفي الخُروجِ على الأمراءِ بإفريقيّةَ شأنٌ تقدَّمَ منهُ في صَدْرِ ذِكْرِ البَرابِرِ؛ ونذكرُ منهُ هنا ما تيسّر. [120 أ]

وأمّا ذكْرُ نَسَبهِم فإنّهم من ولَدِ صِنْهاج، وهو صِناكِ، بالصاد المُشَمَّةِ بالزّاي، والكافِ القريبةِ من الجيم؛ إلاّ أنّ العرَبَ عَرَّبَتْه وزادَتْ فيه الهاءَ بَيْنَ النّونِ والألفِ فصار صِنْهاجاً. وهُو عندَ نَسّابةِ البَرْبرِ من بُطونِ البَرانِس من وَلدِ بِرْنُس(أ) بن بَرّ.

وذكَرَ ابنُ الكَلْبيّ[2] والطَّبريُّ[3] أنّهم وكُتامَةَ جميعاً من حِمْيَرٍ كما تقدَّمَ في كُتامَة. وفيما نقَلَ الطَّبريُّ[4] في تاريخِهِ أنّه صِنْهاج بن يصوكان بن مَيْسورِ ابن الفندِ بن أفريقس بن قَيْس.

(أ) ظ: برنس.

---

(1) قبائل المغرب 1: 328.

(2) في "نسب معدّ واليمن الكبير" 2: 548 : وأقام من حِمْيَر في البربر صِنهاجة وكتامة. وهذا النصّ أورده الطبري في التخريج التالي.

(3) الطبري 1: 442.

(4) لم أجده عند الطبري.

وبعضُ النسّابةِ يزعمُ أنه: صِنْهاجُ بنُ المثنّى بن المنصورِ بن الصيّاح[أ] ابن يحْصُبَ بن مالكِ بن عامِرِ بن حِمْيرٍ الأصغرِ بن سَبَأ. كذا نقَلَ ابنُ النَّحْويّ من مُؤرِّخي دَوْلتِهم، وجعَلَهُ من يَحْصُب، وقد مَرَّ ذِكْرُهُ في أنْسابِ حِمْير، وليس كما ذكَروا، والله أعلم.

وأمّا المحقِّقونَ من نَسّابةِ البَرْبرِ فيقولونَ: هُو صِنْهاجُ بنُ عاصيلَ[ب] بن زعْزاعَ بن تمِتّا بن سَدُّورَ بن مولان بن مصيلتن بن تين[ج] بن مكسيلية[ج] ابن ديقوس بن جلجال بن شرُو بن مصرايم بن حام. ويزعُمونَ أنّ كزولَ ولَمْط وهَسْكور إخوةُ صِنْهاج، وأنّ أُمَّهُم الأربعةِ تيصكي وبها يُعرَفونَ، وهيَ بنْتُ زجّيك بن مادغس، ويُقال لها: العرجاء، فهذه القبائلُ الأربعةُ من البَرْبرِ إخوةٌ لأمّ، والله أعلم.

وأمّا بُطونُ صِنْهاجةَ فكثيرةٌ، فمنهم: تلكاتة، وأنجفة، وصَرْطه، ولمتونة، ومسُّوفة، وكدالة، ومِنْداسة، وبنو وارث، وبنو يتّين. ومن بُطون أنْجفة: بنو مزوارت، وبنو تيليت[ج]، وفشتالة، وملوانة. فكذا نقَلَ بعضُ نسّابةِ البَرْبرِ في كُتُبِهم. وذكَرَ آخَرونَ من مؤرِّخي البَرْبرِ أنّ بطونَهم تَنْتهي إلى سبْعينَ بَطْناً. وذكَرَ الطَّبريُّ وابنُ الكلبيّ أنّ بلادَهم في الصَّحْراءِ مسيرةُ ستّةِ أشهُر.

[120 ب] وكان أعظمُ / قبائلِ صِنْهاجةَ تلكاتة، وفيهم كان المُلْكُ الأوّلُ، وكانت مواطِنُهم ما بَيْنَ المغربِ الأوْسَطِ وإفريقيّة، وهم أهلُ مَدَرٍ[د]. ومواطنُ مَسّوفة

(أ) د: الصباح (ب) د: عاصل (ج) مهملة في ظ د (د) ص: مدن .

ولَمْتونة وكُدالة وشَرْطَه[أ] بالصّحراء، وهُم أهلُ وَبَر. وأمّا أنجفَةُ فبطونُهم مُفترِقةٌ، وهم أكثرُ بطون صِنْهاجة.

ولِصنْهاجَةَ وَلايةٌ لعليِّ بن أبي طالبٍ، كما أنّ لمَغْراوةَ وَلايةٌ لعُثْمانَ بن عفّانَ رضيَ الله عنهما، إلاّ أنّا لا نَعْرفُ سبَبَ هذه الوَلايةِ ولا أصلَها.

وكان من مَشاهيرِهم في الدّولةِ الإسْلاميّة: ثابتُ بنُ وزْريدَن، ثارَ بإفْريقيّةَ أيّامَ السّفّاح عندَ انقراض الأمويّة، وعبدُ الله بنُ سكَرْديد كذلك، وعبّادُ بنُ صادقٍ من قُوّادِ حمّادِ بن بُلُكّين، وسليْمانُ بنُ بطفيان[ب] بن عليانَ أيّامَ باديسَ بن بلُكّين، وبَنو حَمْدونَ وُزراءُ بني حَمّاد، وهو حَمْدونُ بنُ سُليمانَ بن محمّدِ بن عليّ بن عُليم، منهم ميمونُ بنُ [أبي جميلٍ] [ج] ابنُ أُختِ [طارق بن زياد] [ج] صاحبِ فَتْح الأنْدلُس، في آخرينَ يَطولُ ذكْرُهم.

وكان المُلْكُ في صِنهاجةَ في طبقتَيْن، الطّبقةُ الأولَى: تلكاتة مُلوكُ إفريقيّةَ والأندلُس، والثّانية: مَسُوفةُ ولمتونة من الملثّمينَ ملوكُ المَغْربِ المُسمَّوْنَ بالمُرابطينَ؛ ويأتي ذكْرُهم كلّهم.

(أ) تقدم قبله: سَرْطَه، ولم نعرف الوجه فيه (ب) مهملة في ظ د (ج) فراغ في ظ د. والتكملة من جمهرة ابن حزم 502.

• الطَّبقةُ الأُولَى من صِنهاجَةَ وما كان لهم من المُلْكِ:

كان أصلَ هذه الطَّبقةِ بنو تلكّات بن كرت بن صِنْهاج، وكانت مواطِنُهم بالـمَسِيلَةِ إلى حمزة إلى الجزائِرِ والمديّة[1] ومَلْيانة، حيثُ مواطِنُ بني يَزِيدَ وحُصَيْن والعَطّاف من زُغْبَةَ، ومواطنُ الثّعالِبةِ لهذا العَهْد. وكان مَعهم بطونٌ كثيرةٌ من صِنهاجةَ بقِيَتْ أعقابُهم هنالِكَ من متنّان، ووانوغة، وبنو عثمان، وبنو مَزْغَنّة(ب) وبنو جعْد، وتلكّاتة، وبطُّويّة، وبنو إيفاوَنْ، وبنو جليل(ج). ومن أعقابِ تلكّاتةَ بجهاتِ بجَاية، ومنهم بنواحي تونِس. وكان التقدُّمُ منهم جميعاً لتلكّاتة، وكان كبيرُهم لعَهْدِ الأغالِبة مَناد بنُ منقوش(د) بن صِنْهاجِ الأصغرِ، وهو صِنْاكِ بن واشفان بن جِبْرِيلَ بن زَيْدِ بن واسلي بن سمليلَ / بن [121أ] جعفرِ ابن إلياسَ بن عُثمانَ بن سكّاد بن تلكّات بن كُرْت بن صِنْهاج [الأكبر](هـ)، هكذا نسبَهُ ابنُ النّحْويّ من مؤرّخي الأنْدَلُس [وقال ابنُ خلكانَ[1]، ونقله من العِماد الأصْفهانيّ في كتابه الخَريدَة[2]: مَناد بنُ منقوش بن صِنْاكِ(و) ابن زيري(ز) الأصغرِ بن وَاشْفان(ح) بن وَزْغْفي بن سري بن وتلكي بن سليمانَ ابن الحارثِ بن عَديّ الأصغرِ وهو المثنّى بن المسْورِ بن يحْصُبَ بن مالكِ بن

(أ) د: ولمدية (ب) من د، ظ: مرغنة (ج) د: خليل (د) من د، ظ: منقوس (هـ) من د
(و) من د، ظ: صنهاكـ (ز) الخريدة: زيد (ح) الخريدة: واشفال.

---

(1) وفيات الأعيان 1:304 مع اختلاف في ضبط الأسماء.

(2) الخريدة (قسم شعراء المغرب) 1: 142. واقتطفه ابن خلكان من ترجمة العماد لتميم بن المعز بن باديس صاحب المهدية.

زَيْد ابن الغوثِ الأصغرِ بن سعد، وهو عبدُ الله بنُ عوف بن عديٍّ بن مالِك بن زيدِ بن سدد[(أ)] بن زُرعة، وهو حِمْيَر الأصغر، ابن سَبأ الأصغر، ابن كعب بن زَيْدِ بن سهلِ بن عَمْرو[(ب)] بن كثير، وبقيةُ النسبِ معروف][(ج)].

وذكرَ بعضُ مؤرِّخي المَغرب أنّ مَناد بنَ منقوش ملَكَ جانِباً[(د)] من إفريقيّة والمغربِ الأوْسَطِ مُقيماً لدَعْوةِ بَني العبّاس، وراجَعاً إلى أمْرِ الأغالبَة، وقامَ بأمرِهِ من بعدِهِ ابنُه زِيري بنُ مَناد، وكان من أعْظم مُلوكِ البَرْبر، وكانتْ بَيْنَهُ وبيْنَ مَغراوَةَ من زَناتةَ المُجاورينَ لهُ من جهةِ المَغربِ الأوْسَط، - كما نَذكُر- حروبٌ وفِتَنٌ طويلةٌ.

ولمّا اسْتَوْسَقَ المُلْكُ للشّيعةِ بإفريقيّة تحيّزَ إليهم، للولايةِ الّتي لعليّ رضيَ الله عنهُ فيهم، وكان من أعْظَم أوْليائهم، واسْتطالَ بهم على عَدُوّهِ من مَغْراوةَ، فكانوا ظُهَراءَ لهُ عليْهم، وانْحَرَفَت لذلكَ مَغْراوَةُ وسائرُ زَناتةَ عن الشّيعةِ سائرَ أيّامِهم، وتحَيّزوا عن المَروانيّينَ ملوكِ العُدْوةِ بالأنْدَلُس، فأقاموا دَعْوتَهم بالمغرب الأوْسَطِ والأقصَى كما نذكرُهُ بعدُ. ولمّا كانتْ فِتْنةُ أبي [يزيْد][(هـ)] والتاثَ أمرُ العُبَيديّينَ بالقَيْروانِ والمَهْديّة، كان لزيري بن مَناد من مُنابَذةِ الخَوارج أصْحابِه والأخْذِ بأعْقابِهم وتسريب الحشُودِ إلى مُناصرةِ العُبَيديّينَ بالقيروان غَناءٌ مشهور.

(أ) الخريدة شداد (ب) ابن خلكان: قيس الخريدة: بن عمر بن قيس (ج) المحصور حاشية من د بخط ابن خلدون (د) د: ونجا بنا (هـ) في ظ د: زيد.

واختَطَّ مدينةَ أشير للتَّحصُن[أ] بها سَفحَ الجبَلِ المُسَمَّى تيطْري لهذا العَهْد، حيثُ مواطِنُ حُصَين، وحَصَّنها بأمْرِ المَنصور، وكانتْ من أعظم مُدنِ المَغرب، واتَّسعَتْ بعْدَ ذلكَ خُطَّتُها واستَبْحَرَ عُمْرانُها ورَحَلَ إليها العُلماءُ والتَّجْرُ من القاصِية.

وحينَ نازَلَ إسماعيلُ المنصورُ أبا يَزيدَ بقَلْعةِ كِيانه[ب] جاءه زيرى في قَوْمِه ومن انضَمَّ إليهِ من حُشودِ البَرْبرِ، وعَظُمتْ نِكايَتُه في العدُوّ، وكان الفَتْحُ، وصَحِبَهُ المنصورُ إلى أن انْصرَفَ من المَغْربِ، ووَصَلَهُ بصِلاتٍ سَنِيَّة وعقَدَ لهُ على قَوْمِه وأذِنَ لهُ في اتِّخاذِ القُصورِ والمنازِلِ والحَمّاماتِ بمدينةِ أشير، وعقَدَ لهُ على تاهَرْتَ وأعمالِها.

[121 ب] ثمّ اختَطّ ابنُه بُلُكّين بأمْرِه وعلى / عَهْدِه مدينةَ الجزائرِ المَنْسوبةَ لبني مزْغَنّة[ج] بساحلِ البَحْر، ومدينةَ مَلْيانَة بالعُدْوةِ الشَّرْقيّةِ من شلَف، ومدينةَ المَديَّة[د]، وهُم بَطنٌ من بُطون صِنْهاجَة. وهذه المُدُنُ لهذا العَهْدِ من أعْظم مُدنِ المغْربِ الأوْسط. ولم يزَلْ زيري على ذلكَ قائماً بدَعْوةِ العُبيديّينَ مُنابِذاً لمَغْراوَة، واتّصَلتِ الفِتْنةُ فيهم.

ولمّا نَهَضَ جوْهَرٌ الكاتِبُ إلى المَغْربِ الأقْصَى أيّامَ معَدِّ المُعِزّ لدينِ الله، أمرَهُ أن يَسْتَصْحبَ زيري بنَ مَناد، فصَحِبَهُ إلى المغْرب، وظاهَرَهُ على أمْرِه. ولمّا قُتِلَ يَعْلى بنُ محمّدٍ اليَفْرَنيُّ اتَّهمهُ زَناتةُ بالمُمالأةِ عليه. ولمّا نَزلَ

(أ) د: للتحصين (ب) من د، وفي ظ: كنامة (ج) مهملة في ظ (د) د: لمديه مهملة.

جوهرٌ فاسَ وبها أحمدُ بنُ بَكْرٍ الجُذاميُّ وطالَ حِصارُهُ إيّاها، كان لزيري في حِصارِها معَهُ أعظمُ الغَناء، وكان فَتحُها على يَدِه، بَيَّتَها ذاتَ ليلةٍ وصَعِدَ سُورَها، فكان الفَتْحُ.

ولمّا اشتَدَّتِ الفتنةُ بيْنَ زيري بن مَناد ومَغراوَةَ، ووَصَلوا يدَهم [بالحَكَم][أ] المُستَنصِر، وأقاموا دَعْوةَ المَرْوانيّةِ بالمغربِ الأوْسط، وشمَّرَ محمّدُ بنُ الخَيْر بن محمدِ بن خزَر لذلك، رماهُ معَدٌّ لقَريعهِ زيري وقَوْمِه من صِنْهاجة، وعقَدَ لهُ على المغرب، وأقطَعَ لهُ ما افتَتَح من أقْطارِه، فنهَضَ زيري في قَوْمِه واحتَشَد أهلُ وَطنِه وقد جمَعَ لهُ محمّدُ بنُ الخَيْر وزَناتَة، فسَرَّحَ إليهم ولَده بُلُكّين في مقدّمتِه، وفارَصَهم[1] قبْلَ استِكمالِهِمُ التَّعْبئةَ، فدارَتْ بينَهم حربٌ شديدةٌ بَعُدَ العَهْدُ بمثْلِها يومئذٍ، واختَلَّ مَصافُّ مغراوَةَ وزَناتَة، ولمّا أيْقَنَ محمّدُ بنُ الخَيْر بالهَلَكَةِ وعَلِمَ أنّه أُحيطَ به، مالَ إلى ناحِيةٍ من العَسْكر، وتحامَلَ على سَيْفه فذَبحَ نَفْسَه، وانفضَّتْ جموعُ زَناتَةَ [واستمرَّتِ][ب] الهزيمةُ عليهم سائرَ يَوْمِهم، فاستُلْحِموا، ومكثَتْ عِظامُهم ماثِلةً بمصارِعِهم عُصوراً، وهلَكَ - فيما زعَموا- بضْعةَ عشَرَ أميراً منْهم، وبعَثَ زيري برُؤوسِهم إلى المُعِزّ بالقَيْروان، فعَظُمَ سرورُه، وغَمَّ لها الحَكَمُ المُستَنصِرُ صاحبُ الدّعْوةِ بما أوْهنوا من أمْرِه.

(أ) في ظ د: الحاكم، وقنا بتصويبه (ب) من د.

---

(1) فارصهم: انتهز الفُرْصة.

[122أ] واستطالَ / زيري وصِنْهاجةُ على بَوادي المغرب، وعَلَتْ يدُه عن جَعْفرِ بن عليّ صاحبِ المَسيلَة والزّابِ ومُساميه في الرُّتْبةِ عند الخِلافةِ، ومُناجِمِه في العِمالَةِ.

واستدْعَى مَعدٌّ جعفرَ بنَ عليّ من المَسيلَة ليولّيَهُ إفريقيّةَ حينَ اعتزَمَ على الرّحيلِ إلى القاهِرة، فاستَرابَ بما كانتِ السّعايَةُ كثُرَتْ فيه، وبعَثَ عنهُ المُعِزُّ بَعْضَ(ا) مَواليهِ، فخافَهُ جعفرٌ على نَفْسِه وهرَبَ من المَسيلَة ولحِقَ بمَغْراوَة، فاشْتَملوا عليهِ وألْقَوْا بيدِه زمامَ أمْرِهم، وقام فيهم بدَعْوةِ الحَكَمِ المُسْتَنْصر، وكانوا أقدمَ لها إجابةً. وفارَصَهم زيري الحربَ قَبْلَ اسْتِفْحالِهم، فزحَفَ إليْهم واقتَتلوا قِتالاً شديداً، وكانتْ على زيري الدَّبْرَة، وكَبَا بِهِ فرَسُه وأجْلَتِ الهزيمةُ عن مَصْرعِه ومَصْرعِ حامِيَتِه من قَوْمِه، فاجتَزّوا رأسَهُ وبعَثوا بهِ إلى الحَكَمِ المستَنْصِر بقُرْطبَةَ في وفْدٍ أوْفَدوهُ عليه من أُمَرائهم، يؤَدُّونَ الطّاعةَ ويؤكّدونَ البَيْعةَ ويَخْطُبونَ لقومِهمُ النُّصْرَة. وكان مُقدَّمَ وفْدِهم يَحْيى ابنُ عليّ أخو جَعْفرٍ، هذا كما ذكَرْناهُ ونذكرُه. وهَلكَ زيري هذا سنةَ ستّينَ وثلاثِ مائةٍ لستٍّ وعشرينَ من ولايَتِه.

ولمّا وصَلَ خَبرُهُ إلى ابنِه بُلُكّين وهُو بأشير، نَهضَ إلى زَناتَةَ ودارتْ بيْنَهم حربٌ شديدةٌ، فانهزَمتْ زَناتةُ وثأَرَ بُلُكّين منهم بأبيهِ وقَوْمِه، واتّصلَ ذلك بالسُّلْطانِ فحمِدَ أثرَهُ وعقَدَ لهُ على عَمَلِ أبيهِ بأشيرٍ وتاهَرْتَ(ب)

(ا) ظ: لبعض (ب) د: تيهرت.

وسائرِ أعمالِ المغرب، وضمّ إليه المَسيلةَ والزّاب وسائرَ عَمَل جعفر، فاستفحلَ أمرُه واتّسعتْ ولايتُه وأثخنَ في البَربرِ أهلِ الخصوص من مزاتة وهوّارة ونفزة، وتوغّلَ في المغربِ في طلبِ زناتة فأثخنَ فيهم، ثمّ رجعَ.

واستخدمَهُ السلطانُ لولايةِ إفريقيّة، فقَدِمَ سنةَ إحدى وستّين،
و واستبلغَ السلطانُ في تكريمِه ونَفِسَ ذلك عليهِ كُتامَةُ.

ثمّ نهضَ السلطانُ إلى القاهرةِ كما نذكرُه، وكان ذلك [أوّلَ][1]
/ دولةِ آلِ زيري بإفريقيّة.

(1) س د.

• الخبرُ عن دولةِ آلِ زيري بن مَناد وُلاةِ العُبَيْديّينَ من هذه الطَّبقةِ بإفريقيّة، وأوّليّةِ أمْرِهِم وتصاريفِ أحْوالِهِم

لمّا أخذَ المُعِزُّ في الرّحلةِ إلى المشرقِ وصَرَفَ اهتمامَهُ إلى ما يتخلّفُ وراءَ ظهْرِهِ من المَمالكِ والعِمالاتِ، ونظرَ فيمَن يُولّيهِ أمْرَ إفريقيّةَ والمغربِ، ممّن لهُ الغَناءُ والاضْطِلاعُ وبهِ الوُثوقُ من صِدْقِ التّشْييعِ[أ] ورُسوخِ القَدَمِ في وَلايةِ الدّوْلَةِ، فعثَرَ اختيارُهُ على بُلُكّينَ بن زيري بن مَناد وَليِّ الدّوْلَةِ منذُ عهدِ سَلَفِه، والمَوْتورِ[1] بأبيهِ من أيْدي زَناتَةَ أعدائِها في سَبيلِ الذّبِّ عن الدّعْوةِ والمُظاهَرةِ للدّوْلَة.

• دولةُ بُلُكّين بن زيري

فبَعَثَ عن بُلُكّين بن زيري وكان مُتَوَغّلاً في المغربِ في حُروبِ زَناتَة، ووَلاّهُ أمرَ إفريقيّةَ والمغربِ، ما عَدا صِقِلّيّةَ كانتْ لبَني أبي الحُسيْنِ الكَلْبيّ، وطرابُلُسَ لعبدِ الله بن يَخْلُفَ الكُتاميّ، وسمّاه يوسُفَ بدلاً من بُلُكّين، وكنّاه [أبا] [ب] الفُتوح ولقّبَهُ سيفَ الدّوْلة، ووَصَلَهُ بالخِلَعِ الخِلافيّةِ والكِساءِ الفاخِرة، وحَمَلَه على مُقْرَباتِه بالمراكِبِ الثّقيلة، وأنفَذَ أمْرَهُ في الجَيْشِ والمالِ، وأطلَقَ يدَهُ في الأعْمال، وأوْصاهُ بثلاثٍ: أن لا يرفَعَ السّيفَ عن البَرْبر،

(أ) كذا في ظ د ص، ولعله يعني الصدق في الإقناع بمذهب الشيعة (ب) د، وفي ظ أبو.

(1) في ظ الموثور، وصوابه ما أثبتُّ، والمَوْتورُ هو الذي قُتِل له قتيلٌ فلم يدركْ بدَمِه. اللسان: وتر.

ولا يرفعَ الجِبَايةَ عن أهلِ الباديةِ، ولا يُوَلِّيَ أحداً من أهلِ بَيْتِه. وعهدَ إليه أن يفتتحَ أمرَه بغزوِ المغرب لحسْمِ دائه وقطْعِ عَلائِقِ الأمويةِ منه، وارتحلَ يُريدُ القاهرةَ سنةَ ثنتَيْنِ وستِّين، ورَجعَ عنهُ بُلكّين من نواحي صَفاقُس فنزَلَ قَصْرَ مَعَدّ بالقَيْروان[1]. واضطلعَ بالولايةِ، وأجمعَ غَزْوَ المغرب، فغزاهُ في جُموعِ صِنْهاجَة ومُخلِّفِ كُتامَة، وارتحَلَ إلى المغرب، وفرّ أمامَهُ ابنُ خزر صاحبُ المغربِ الأوْسطِ إلى سِجِلْماسَة.

وبلَغَه خلافُ أهلِ تاهَرْتَ وإخراجُ عامِلِه، فرَحلَ إليها وخرّبَها. ثُمّ بلَغَه أنّ زَناتَةَ اجتَمعوا على تِلِمْسَان، فرحَلَ إليهم فهَربوا أمامَه / ونزَلَ على [123 أ] تِلِمْسَانَ فحاصَرَهَا حتّى نزَلَ أهلُها على حُكْمِه ونقَلَهم إلى أشِير، وبلَغَه كتابُ مَعَدٍّ يَنْهاهُ عن التّوغُّلِ في المغربِ، فرجَع.

ولـمّا كان سنةُ سبْعٍ وستّينَ رَغِبَ بُلُكّين من الخَليفةِ نِزارِ بن المُعِزّ يُضيفُ إليه عمَلَ طرابُلُس وسُرْت وأجدابِيَة، فأجابَهُ إلى ذلك وعقَدَ لهُ عليها، ورَحَلَ عنها عبدُ الله بنُ يَخْلف الكُتاميُّ، ووَلِيَ بُلُكّين عليها من قِبَلِه. ثُمّ ارتَحَلَ بُلُكّين إلى المَغربِ وفَرّتْ أمامَهُ زَناتَة، فملَكَ فاسَ وسِجِلْماسَةَ وأرضَ الهَبْط، وطرَدَ منها عُمّالَ بني أُميّة. ثُمّ غزَا جُموعَ زَناتَةَ بسِجِلْماسَةَ وأوْقَعَ بهم، وتَقَبّضَ على ابنِ خَزَر أميرِ مَغراوَةَ فقتَلَه، وأجْفَلَ ملوكُهم أمامَهُ، مثْلَ بَني يَعْلى بنِ محمّدٍ اليَفْرَنيّ، وبَني عطيّةَ بنِ عَبْدِ الله بن

(1) يريد: صَبْرة المنصورية حذْوَ القيروان، عاصمة الفاطميين الثانية بعد المهدية.

خزز، وبني فلفولِ بن خزر، ويحيى بن عليّ بن حمدون صاحبِ البَصْرة، وأزرُوا(1) جميعُهم بقياطِنِهم إلى سَبتة.

وبعَثوا الصَّريخَ إلى المنصورِ بن أبي عامِر، فخرجَ بعساكرِه إلى الجزيرةِ الخضراء، وأمَدَّهم بمن كان في حضرتِه من مُلوكِ زناتةَ ورؤوسائهم النازعينَ إلى خُلفاءِ الأمويّةِ بالأندلس بقُرطبةَ في سبيلِ الطّاعةِ واغتنام فضلِ الرِّباطِ بثغورِ المسلمينَ في إيالَةِ الخلفاء، اجتمعَتْ منهم وراءَ البحرِ أُممٌ معَ ما انضمَّ إليهم من العَساكرِ والحُشود، وأجازَهُم البحرَ لنظرِ جعفرِ بن عليّ بن حمدونَ صاحبِ المَسيلَة، وعقَدَ لهُ على حَربِ بلُكّين، وأمَدّهُ بمائةِ حِمْلٍ من المال، فنقلَتْهُ ملوكُ زناتةَ واجتمعوا إليه، وضربوا مَصافَّ القِتالِ بظاهرِ سَبتة، وهرَعَ إليهمُ المدَدُ من الجزيرةِ من عساكرِ المنصور، وكادوا يخوضونَ البَحْرَ من فِراضِ الزُّقاقِ إلى مُظاهَرةِ أوليائهم من زَناتة. ووصَل بلُكّين إلى تيطّاوين، وتَسنَّمَ هِضَابَها وقطَعَ شَعْراءَها لنَهْجِ المسالِكِ والطُّرُق لعَسْكرِه، حتّى أطلَّ على مُعَسكرِهم بظاهِرِ سَبتة، فرأى ما هالَهُ واستَيْقَنَ امْتِناعَهم. / [123 ب] ويُقالَ: إنه لمّا عايَنَ سَبتَةَ من مُستَشْرَفِه ورأى اتّصالَ المدَدِ من العُدوةِ إلى مُعَسكرِهم بها، قال: هذه أفعى فَغَرتْ إلينا فاهَا، وكَرَّ راجِعاً على عَقِبِه. وكان مَوْقفُه ذلك أقصى أثرِه، ورجَعَ إلى البَصْرةِ فهدَمَها وكانتْ دارَ مُلْكِ ابنِ الأندلُسيّ وبها عِمارةٌ عظيمة. ثُمّ انفتَح لهُ بابٌ في جهادِ بُرْغواطَة، فارْتحَلَ إليهم وشُغِلَ بجهادِهِم، وقَتَلَ مَلِكَهم عيسَى بنَ أبي الأنصارِ كما نَذكُرُهُ وأرْسَلَ

(1) ص د: أرزوا.

بالسَّبي إلى القَيْروان، وأذهَبَ دعوةَ بَني أُميَّةَ من نَواحي المَغربِ كافَّةً. ولم يَزَلْ بالمغربِ وزَناتَة مُشرَّدونَ بالصَّحراء، إلى أن هلَكَ سنةَ ثلاثٍ وسَبْعينَ بواركسن، ما بيْنَ سِجِلْماسَةَ وتِلِمْسَانَ، مُنْصَرِفاً من هذه الغَزاةِ الطَّويلَةِ.

• دَوْلَةُ المَنْصورِ بن بُلُكّين

ولمَّا تُوفِّيَ بُلُكِّين بعَثَ مَوْلاهُ أبو زَغْبَل[1] بالخبَرِ إلى ابْنِهِ المَنْصور، وكانَ والِياً بأشيرَ وصاحبَ عَهْدِ أبيه، فقام بأمْرِ صِنْهاجةَ من بَعْدِه ونزَلَ صَبْرةَ، وقَلَّدَهُ العزيزُ بنُ مَعَدٍ أمْرَ إفريقيّةَ والمَغْربِ على سَنَنِ أبيه، وعقَدَ لأخيهِ أبي البَهارِ على تاهَرْت، ولأخيهِ يَطُوفَت على أشير، وسَرَّحَهُ بالعَساكِرِ إلى المَغْربِ الأقصَى سنة أرْبعٍ وسبْعينَ لِيَسْتَرْجِعَه من أيْدي زَناتَة، وقد بلَغَهُ أنهم مَلكوا سِجِلْماسَةَ وفاس. فلَقِيَه زيري بنُ عطيّةَ المَغْراويُّ المُلَقَّبُ بالقَرْطَاس أميرُ فاس، فهَزَمَهُ ورجَعَ إلى أشِير، وأقْصَرَ المنصورُ بعدَها عن غَزْوِ المَغْربِ وزَناتَة، واسْتَقَلَّ بهِ ابنُ عطيّةَ وابنُ خَزْرون ويَدُّو بنُ يَعْلى كما نَذْكرُ بَعْد.

ثُمَّ رحَلَ بُلُكِّين إلى رَقّادَة وفتَكَ بعبدِ الله بن الكاتبِ عامِلِهِ وعامِلِ أبيهِ على القَيْروانِ، لهَنَاتٍ كانتْ منهُ وسِعَاياتٍ أنْجحَتْ فيه، فهلَكَ سنةَ تِسْعٍ وسبْعين، ووليَ مكانَه يوسُفُ بنُ أبي محمّد.

وكثُرَ الثُّوّارُ بكُتامَة، فقَتَلَهُم وأثْخَنَ فيهم حتى أذْعنوا، وأخْرجَ إليهم العُمّالَ، وعهِدَ لأخيهِ حمّادٍ على أشير.

(١) د: زغل.

[124أ] وطالتِ / الفِتنةُ مَعَ زَناتَةَ، ونَزعَ إليهِ منهم سعيدُ بنُ خَزْرونَ سنةَ تسْعٍ وسَبْعينَ، فتقبَّلَهُ وأكرَمَهُ ووَصَلَهُ، ووَلاّهُ طُبْنَةَ، وأصْهَرَ إليهِ بابْنَتِهِ، وتتابَعَتْ إليهِ وُفودُ زَناتَةَ لِفَعْلَتِهِ مَعَ سَعيدِ بنِ خَزْرون، ولم يَزَلْ سعيدٌ بطُبْنَةَ إلى أن هلَكَ سنةَ إحْدى وثمانِينَ. ووَلِيَ ابنُه فلْفولُ بنُ سَعيد.

وخالَفَ أبو البَهارِ بنُ زيري سنةَ تسْعٍ وسَبْعِينَ، فزحَفَ إليه المنصورُ، وفرَّ بيْنَ يدَيْهِ إلى المَغْرِبِ، وأمَّنَ المنصورُ أهلَ تاهَرْتَ، ومضَى في اتّباعِ أبي البهَارِ حتّى فقَدَ عسْكرُهُ المَرافِقَ وأُشيرَ عليهِ بالرّجوعِ، فرَجَعَ، وبعَثَ أبو البهارِ إلى ابنِ أبي عامِرٍ صاحبِ الأنْدلُسِ في المظاهَرةِ والمَدَدِ، واسْتَرْهَنَ ابنَه في ذلكَ. فكتَبَ إلى زيري بن عطيّةَ صاحبِ دعوةِ الأُمَويّةِ، من زَناتةَ بفاسَ، أن يكونَ معَهُ يَداً واحدةً، فظاهَرَهُ زيري واتّفَقَ رأيُهما مُدّةً، وحارَبَهما يَدُّو بنُ يَعْلَى فهزَماهُ ومَلَكا فاسَ وما حَوْلَها، ثُمّ اختلَفَ ذاتُ بَيْنِهِما سنةَ ثنْتَيْنِ وثمانِينَ، ورجَعَ أبو البهارِ إلى قَوْمِهِ، ووَفَدَ على المَنْصورِ سنةَ ثنْتَيْنِ وثمانينَ بالقَيْروانِ، فأكْرَمه ووَصَلَه وأنْزلَهُ أحْسَنَ نُزُلٍ وعقَدَ لهُ على تاهَرْت. ثُمّ هلكَ المنصورُ سنةَ خَمْس وثمانين.

• دولةُ باديس بن المَنْصور

ولمّا هلَكَ المنصورُ قام بأمْرِهِ بعْدَهُ ابنُه باديسُ، وعقَدَ لعَمّهِ يَطُوفَت على تاهَرْت، وسرّحَ عساكِرَه لحرْبِ زَناتَةَ معَ عَمَّيْهِ يَطُوفَت وحمّاد، فوَلَّوا مُنْهزِمينَ أمامَ زَناتَةَ إلى أشير، ونهَضَ بنفْسِه سنةَ تسْعٍ وثمانينَ لحَرْبِ زيري

ابن عَطيّةَ راجِعاً إلى المَغرب، فوَلّى باديسُ أخاه يَطوفتَ على تاهَرْتَ وأشِير، وخالَفَ عليه عُمومَتُهُ ماكسنُ وزاوِي وجلالُ ومَغْنين وعَزمُ، واستَباحُوا عَسْكرَ يطُوفت، وأفلَتَ منهم، ووصَل أبو البَهارِ متبرّئاً من شَأْنِهم. وشغَلَ السّلطانُ باديسَ بحَرْبِ فلْفولِ بن سعيدٍ كما نذكرُهُ في أخبارِ بني خَزْرون، وسَرَّحَ عمَّه حَمّاداً / [124 ب] لحَرْبِ بَني زيري أخوَيْه، ووصَلَ بَنو زيري أيْدِيَهم بفلْفولٍ، ثُمّ رَجَعوا إلى حَمّادٍ فهزَمَهم وتَقبَّضَ على ماكسنَ، منهم، فأطْعَمَهُ الكلابَ وقتلَ أولادَهُ مُحسناً وباديسَ، كذا ذكَرَ ابنُ حَزم[1]، ونَجا فَلُّهم إلى جَبلِ شَنُوَة فنازَلَهم حَمّادٌ أيّاماً وعقَدَ لهمُ السِّلْمَ على الإجازَةِ إلى الأنْدَلُس، فلَحِقوا بابْنِ أبي عامِر سنةَ إحدى وتِسْعينَ وثَلاثِ مائةٍ. وهلَكَ زيري بنُ عطيّةَ المغراويُّ لتسعةِ أيّام من مَهْلِكِ ماكسنَ.

وأقْفَلَ باديسُ عمَّهُ حماداً إلى حَضْرتِه ليَسْتعينَ بهِ في حُروبِ فلْفول، فاضْطَربَ المغربُ لقُفولِه، وأظْهَرتْ زَناتَةُ الفسادَ وأضَرُّوا بالسّابِلَةِ، وحاصَروا المَسِيلَةَ وأشيرَ، فسرَّحَ إليهم باديسُ عمَّه حَمّاداً وخرَجَ على أثرِهِ سنَةَ خمسٍ وتسْعين، فنَزَلَ تيجَسْت، ودوَّخَ حمادٌ المغربَ وأثْخنَ في زَناتَةَ واختَطَّ مدينةَ القَلْعة.

ثُمّ طلَبَ منه باديسُ أن يَنْزِلَ عن عَمَلِ تيجَسْت(أ) وقُسَنْطينَةَ [اختبارًا للطاعة](ب) فأبَى وأظْهَرَ الخلافَ، وبعَثَ إليْهِ أخاهُ إبراهيمَ فأقامَ معَهُ.

(أ) د: تيجس (ب) في ظ د ص اختيارًا للطاغية، ولعلّها صحّفت عمّا افترضناه بما يناسب.

---

(1) ليس في الجمهرة، ولعله اليسع بن عيسى بن حزم.

وزَحفَ إليهم باديسُ ثُمّ رحَلَ في طلَبه إلى شلَف، ونزَعَ إليهِ بعضُ العساكِر، ودَخَلَ في طاعَتِه بنو تُوجّين وجَازُوا في مَدَدِه، ووصَلَ أميرَاهم: عَطيّةُ بنُ دافلتن وبدْرُ بنُ لُقْمانَ بن المعتزّ فوصَلَهما، وكان حمّادٌ قتَلَ دافلتن. ثُمّ نزَلَ باديسُ نهرَ واصِل والسَّرْسُو وكزولْ، ففرّ حمادٌ راجعاً إلى القَلْعة، واتّبعَهُ باديسُ ونازَلَهُ بها، وهلَكَ بمُعَسْكرِه عليها سنةَ ستٍّ وأربعِ مائة. فجاءه وهُو نائمٌ بيْنَ أصْحابِهِ بمَضْرِبه فارْتحلوا راجِعينَ، واحتَملوا باديسَ على أعْوادِه.

• دولةُ المُعِزّ بن باديس

ولمّا بلَغَ الخبرُ إلى القَيْروانِ بهلاكِ باديس، بُويِعَ ابنُه المعزّ ابنَ ثمان سِنين، ووصَلَ العَسْكرُ فبايعوهُ البَيْعةَ العامّةَ. ودخَلَ حمّادٌ المَسيلَةَ وأشيرَ واستَعَدّ للحَرْب، وحاصَرَ باغايَةَ، وبلَغَ الخبَرُ بذلكَ فزحَفَ المُعِزُّ إليهِ وأفْرَجَ
[125أ] عن باغايَة، ولَقِيَهُ فانهزَمَ / حمادٌ وأسلَمَ مُعَسْكرَه ونجا إلى القَلْعة، ورَغِبَ في الصُّلْح فأُسْعِفَ على أن يَبْعَثَ ولَدَه. وانتهى المُعِزُّ إلى سَطيف وقصْرِ الطِّينِ وقَفَل إلى حَضْرتِه. ووصَلَ إليهِ القائدُ بنُ حمّادٍ سنةَ ثمانٍ وأربَع مائةٍ راغباً في الصُّلح، فعقَدَهُ، واستقَلّ حمادٌ بعمَلِ المَسيلَةَ وطُبْنَةَ والزّابِ وأشير وتاهَرْتَ وما يَفْتَتحُ من بلادِ المَغرب، وعقَدَ للقائدِ بن حمّادٍ على طُبْنَةَ والمَسيلَةَ ومقّرةَ ومَرْسَى الدّجاج وسُوقِ حَمْزةَ وزوَاوَةَ، وانقلَبَ بهديّةٍ ضَخمةٍ كفَاءَ هَديّتِه.

ووَضَعتِ الحربُ أوزارَها من يومئذٍ، واقتَسموا الخطّةَ والتَحموا بالإصْهار، وافترَق مُلكُ صِنهاجةَ إلى دَولتين: دولةٍ إلى المنصور بن بُلُكّين أصْحابِ القَيْروان، ودولةٍ إلى حمّادِ بن بُلُكّين أصحابِ القَلْعة. ونهَض المعزُّ إلى حمّادٍ سنةَ ثنتَيْنِ وثلاثينَ فحاصَرَهُ في القَلْعَةِ مدّةَ سنينَ، ثُمّ أقْلعَ عنها وانكفأ راجِعاً ولم يُعاوِدْ فتْنتَهُ بعدُ. ووصَلَ زاوي بنُ زيري من الأندلُسِ سنةَ عشْرٍ وأربعِ مائةٍ كما نَذكُرُه في خَبَرِه، فتلَقّاهُ المُعِزُّ أعظمَ لقاء، وسلّمَ عليْه راجِلاً، وفُرِشَتِ القصورُ لنُزُلِه، ووَصَلَهُ بأعظمِ الصِّلاتِ وأرْفَعِها.

واستمرَّ مُلْكُ المُعِزّ بإفريقيّةَ والقَيْروان، وكان أضْخمَ مُلكٍ عُرِفَ للبَرْبرِ بإفريقيّةَ وأتْرَفَهُ وأبْذَخَه. نقَلَ ابنُ الرّقيقِ من أحْوالِهم في الولائمِ والهدايا والجوائزِ والأُعْطِيَاتِ ما يَشْهَدُ بذلك، مثْلَ ما ذُكِرَ أنّ هديّةَ صَندلَ عامِلِ باغايةَ مائةُ حِمْلٍ من المال، وأنّ بعضَ تَوابيتِ الكُبَراءِ منهم للدّفْنِ كان من العُودِ الهِنديّ بمسامِيرِ الذّهَب، وأنّ باديسَ أعطَى لفلفولَ بن سعيدٍ الزّناتي ثلاثينَ حِمْلاً من المالِ وثلاثينَ تَخْتاً من الثّياب، وأنّ أعْشارَ بَعْضِ أعْمالِ السّاحِلِ بناحِيةِ صَفاقُسَ كانَ ثمانينَ ألف قفيزٍ، وغيرِ ذلك من أخْبارِهم. وكانت بَيْنَهُ وبَيْنَ زَناتَةَ حُروبٌ ووقائعُ كان لهُ الغلَبُ في جَميعِها كما هُو مَذكور.

وكان المعزُّ مُنحرِفاً عن مَذاهب الرّافِضَة، مُنْتحِلاً للسُّنّة، فأعلَنَ بمذْهبِهِ لأوّلِ ولايَتِهِ ولَعَنَ الرّافضةَ، ثُمّ صارَ إلى قَتْلِ من وَجَدَ / منهم. وكَبا [125 ب] بهِ فرسُهُ يوماً فنادَى مُستغيثاً باسْم أبي بَكْرٍ وعُمَر، فسمِعَتْه العامّةُ فثاروا لحينِهم بالشّيعَةِ وقتَلوهم أبرحَ قَتْل، وقُتِلَ دُعاةُ الرّافِضَةِ يومَئذٍ. وامتعَض

لذلكَ خُلفاءُ الشَّيعَةِ بالقاهِرة، و[خاطبه][أ] وزيرُهم أبو القاسم الجَرْجَرائيّ مُحذِّراً ومُخوِّفاً ومُستَمِيلاً، وهُو يُراجِعُهُ بالتَّعريض بخُلفائِه والقَدْح فيهم، حتّى أظلَمَ الجوُّ بَيْنَهُ وبينَهم إلى أن قَطَعَ الدّعاءَ لهم سنةَ أربعينَ وأربعِ مائةٍ على عَهْدِ مَعَدِّ المُسْتَنصِرِ من خُلفائهم، وأحرَقَ بنُودَه ومَحى اسْمَه من الطُّرُزِ والسِّكَّة، ودَعَا للقائِمِ بن القادِرِ من خُلفاءِ بَغْداد، وجاءه خطابُ القائِمِ وكتابُ عَهْدِهِ صُحْبةَ داعِيَتِه أبي الفَضْل بن عبدِ الواحدِ التَّميميّ، فرَماهُ معَدٌّ المستنصرُ خَليفةُ العُبَيْدِيّينَ بالعرَبِ من هِلالٍ الّذين كانوا معَ القَرامِطة، وهُم رِيَاحٌ وزُغْبةُ والأثْبَجُ، وذلك بمُشاركةٍ من وَزيرِهِ أبي محمّدٍ [الحسن][ب] بن عليٍّ اليازُوريّ كما ذكَرْنا في أخبارِ العرَب ودُخولِهم إلى إفريقيّة.

وتقدَّموا إلى البلاد، وأفْسَدوا السَّابِلَةَ والقُرى. وسرَّحَ إليهمُ المُعِزُّ جيوشَهُ فهزَموها، فنَهضَ إليهم ولَقِيَهم بجبَلِ حَيْدَرانَ فهزَموهُ، واعْتَصَمَ بالقَيْروانِ فحاصَروهُ وتَمَرَّسُوا بِهِ. وطالَ عَيْثُهُم في البلادِ وإضرارُهم بالرّعايا، إلى أن خَرِبَتْ إفريقيَّةُ. وخرَجَ المُعِزُّ من القَيْروانِ سنةَ تِسْعٍ وأربعينَ معَ خَفيرِه مِنهم، وهُو مُؤْنِسُ بنُ يَحْيى الصُّنْبريّ[ج] أميرُ رِياحٍ، فلَحِقَ في خِفارتِهِ بالمَهْديَةِ بعدَ أن أصْهَرَ إليْهِ في ابنَته فأنكَحَه إيّاها. ونَزلَ بالمَهْديَةِ وقد كان قَدَّم إليها ابنَهُ تميماً فنزَلَ عليه. ودخَلَ العَرَبُ القيروانَ وانْتَهبُوها. وأقامَ المُعِزُّ بالمَهْديةِ، وانتَزَى الثُّوارُ بالبلادِ.

(أ) من د ص، وفي ظ: خاطبهم (ب) من د ص (ج) في ظ: الضبري، وصوابه ما أثبتناه، والنسبة لصُنْبر أحدى بطون مرداس من قبائل رياح. انظر 25 أ من هذا الجزء، وقبائل المغرب 1: 421 .

• فغَلبَ حَمّو بنُ مليل البرْغواطيُّ على مدينةِ صَفاقُس ومَلكَها سنةَ إحدَى وخمسين.

• وخالفَتْ سُوسةُ، وصارَ أهلُها إلى الشّورَى في أمْرِهم.

• وصارتْ تونسُ آخِراً إلى وِلايةِ النّاصِرِ بن عَلنّاس بنِ حمّادٍ صاحبِ القَلْعة، ووَلّى عليْهم عبدَ الحقّ بنَ خُراسان، فاستبَدَّ بها واستقرّتْ في مُلكِهِ ومُلْكِ بَنيه.

• وتغلّبَ مُؤْنسُ بنُ يَحْيى على قابِسَ / وصار عامِلُها المُعزُّ بنُ محمّدٍ الصِّنْهاجيُّ إلى ولايَتِه، وأخوهُ إبراهيمُ من بَعْدِه كما يَأْتي ذِكْرُهُ. [126 أ]

والتَاثَ مُلْكُ آل بادِيسَ وانْقَسَمَ في الثُّوارِ كما نَذكُرُ في أخْبارِهم بَعدُ.

وهلَكَ المُعزُّ سنةَ أرْبع وخمْسين.

• دولة تَميم بن المُعزّ

ولمّا هلَكَ المُعزُّ قام بأمْرِه ابنُهُ تميمٌ، وغلبَهُ العرَبُ على إفريقيّةَ فلم يكنْ لهُ إلاّ ما ضَمَّهُ السُّورُ، خلاَ أنّه كان يُخالفُ بيْنَهم ويسَلِّطُ بعْضَهم على بَعْض. وزَحفَ إليْه حَمّو بنُ مليل البرْغواطيُّ صاحبُ صَفَاقُس، فخرجَ تميمٌ للقائِه وانْقسَمتِ العَربُ عليْها، فانهزَمَ حَمّو وأصحابُهُ وذلك سنةَ خَمْسٍ وخَمْسين، وسارَ منها إلى سُوسَةَ فافْتَتَحها، ثُمّ بعَثَ عساكِرَهُ [إلى] تونِس، فَحاصروا ابنَ خُراسانَ حتّى استقامَ على الطّاعةِ لتميم، ثُمّ بعثَ

عساكرَهُ][1] أيضاً إلى القَيْروان، وكان بها قائدُ بنُ مَيمونٍ الصِّنهاجيُّ من قِبَلِ المُعِزّ، فأقامَ بها ثلاثاً، ثمّ غلبَتْه عليها هَوّارَةُ وخرَجَ إلى المهديّة، ثمّ رَدّهُ تَميمٌ إلى ولايَتِه بها، فخالَفَ بعْدَ ستٍّ من ولايَتِه، وكاتَبَ النّاصرَ بنَ عَلَنّاس صاحبَ القَلْعة، فبعَثَ تميمٌ إليهِ العساكرَ فلَحِقَ بالنّاصرِ وأسْلَمَ القَيْروانَ. ثُمّ رجَعَ بعْدَ ستٍّ إلى حَمّو بنِ مليل البَرْغُواطيّ بصَفاقُس، وابتاعَ لهُ القَيْروانَ مِنْ يَبْقى بن عليّ أميرِ زُغْبة، فوَلاّهُ عليها وحَصّنَها سنةَ سبْعين.

وكانتْ بيْنَ تَميم والنّاصِرِ صاحبِ القَلْعةِ أثناءَ ذلكَ فِتْنَةٌ كا[نَ] سَمَاسِرَتَها العَربُ، يُجَاجِئُون بالنّاصِرِ من قَلْعَتِه، ويُوطِّئُونَ عساكرَهُ بلادَ إفريقيّة، وربّما ملَكَ بعضَ أمْصارِها، ثُمّ يَرُدّونَه على عَقِبِه إلى دَارِه، إلى أنِ اصْطلَحَا سنةَ سبْعين، وأصْهَرَ إليْه تَميمٌ بابْنَتِه.

ونَهَضَ تَميمٌ سنةَ أرْبع وسَبْعينَ إلى قابِس وبها قاضي بنُ محمّد الصِّنهاجيُّ، ولِيَها بعْدَ أخيهِ إبْراهيم، فحاصَرَها ثمّ أفرَجَ عنْها، ونازَلَتْهُ العرَبُ سنةَ ستٍّ وسبْعينَ بالمَهْدِيَةِ ثُمّ أفْرَجوا عنهُ وهزَمَهم، فقَصَدوا القَيْروانَ ودخَلوها، فأخْرَجَهم عنْها.

وفي أيّامِه كان تغلُّبُ نَصارَى جَنْوَةَ على المَهْدِيَةِ سنةَ ثمانين، نَزلوهَا في ثلاثِ مائةِ مَرْكَبٍ وثلاثينَ ألْفَ مُقاتل، واسْتَوْلَوْا عليها وعلى زَويلَة، فبذَلَ لهم تَميمٌ في النّزولِ عنْها مائةَ ألْفِ دينارٍ بعدَ أن انْتَهَبُوا جميعَ ما كانَ بهَا، / [126 ب] فاسْتَخْلَصَها من أيْديهم ورجَعَ إليْها.

(1) من د.

ثُمّ استَوْلَى على قابِسَ سنةَ تسعٍ وثمانِينَ من يَدِ أخيهِ عُمَرَ بن المُعِزّ، بايَعَ لَهُ أهلُها بعْدَ مَوْتِ قاضي[أ] بن إبراهيم. ثُمّ استَوْلَى بعدَها على صَفاقُسَ سنةَ ثلاثٍ وتسْعِين، وخرَجَ [منها][ب] حَمّو بنُ مليل إلى قابِسَ، فأجارَه مِكّنَ بنُ كامل الدُّهْمانِيُّ إلى أن ماتَ بها، وكانتْ رِيَاحٌ قد غلَبَتْ زُغْبةَ على إفرِيقيّةَ من لَدُنْ سَبْعٍ وستِّينَ وأخرَجوهم منها. وفي آخرِ هذه المائةِ الخامِسَةِ غلَبَ الأخضَرُ من بُطونِ رِيَاحٍ على مَدينةِ باجَةَ ومَلكوها، وهلَكَ تَميمٌ إثْرَ ذلك سنةَ إحدى وخَمْسِ مائة.

• دَوْلةُ يحيى بنَ تَميم

ولمّا هلَكَ تَميمُ بنُ المُعِزّ وليَ ابنُه يَحْيى، وافتَتَحَ أمْرَهُ بافْتتاحِ إقليبيّةَ وغلَبَ علَيْها ابنُ محفوظٍ الثّائرُ بها. وثارَ أهلُ صَفاقُسَ على ابنِه أبي الفتوح، فألْطَفَ الحِيلَةَ في تَفْريقِ كَلِمتِهم وراجَعَ طاعةَ العُبَيْدِيِّينَ، ووَصلَتْه المخاطَباتُ والهدايا، وكان قد صرَفَ هِمَّةُ إلى غزْوِ النّصارَى في الأساطيلِ البَحْريّة، فاستَكْثَرَ منها واستَبْلَغَ في اقتنائها، ورَدَّدَ الغَزْوَ إلى دارِ الحَرْبِ فيها حتّى اتّقَتْهُ أمَمُ النّصْرانيّةِ بالجِزَى من وراءِ البَحْرِ من بلادِ الفِرنْجةِ وجنْوَةَ وسَرْدانِيَة، وكان لهُ في ذلك آثارٌ ظاهِرةٌ عزيزةٌ. وهلَكَ فجْأةً في قصرِهِ سنةَ تسعٍ وخَمْسِ مائة.

(أ) د: قاض (ب) من د.

• دولة علي بن يحيى

ولما هلك يحيى بن تميم وولي ابنه علي، استُقدِم لها من صفاقس، فقدم في خفارة أبي بكر بن جابر بن عسكر وخفرائه من أمراء العرب، وكان معظم عساكر صنهاجة محاصرين لقصر الأجم، فاجتمعوا إليه وتمت بيعته، ونهض إلى حصار تونس حتى استعلم أحمد بن خراسان على الطاعة.

وفتح جبل وسلات وكان ممتنعاً على من سلف من قومه، جهز إليه عسكراً مع ميمون بن زياد الصخري المغاوي من أمراء العرب، فاقتحموه وقتلوا من كان به.

ووصل رسول الخليفة من مصر بالمخاطبات والهدايا على العادة. ثم نهض إلى حصار رافع بن مكن بقابس سنة إحدى عشرة وخمس مائة. وكانت لها قبائل هلال من بني علي إحدى / بطون رياح كما نذكره في أخبار رياح.

ثم حدثت الفتنة بينه وبين رجار صاحب صقلية بممالأة رجار لرافع ابن كامل[1] عليه، واستمداده إياه بأسطوله، فجهز على ساحل علي بن يحيى ورصد لأساطيله. فاستنفر علي بن يحيى الأساطيل وأخذ في الأهبة للحرب. وهلك سنة خمس عشرة وخمس مائة.

(1) هو رافع بن مكن نفسه.

• دولةُ الحسَنِ بنِ عليّ

ولمّا هلَكَ عليُّ بنُ يَحْيى بن تَميم وَلِيَ بَعْدَهُ ابنُه الحسَنُ بنُ عليّ، غُلاماً يَفَعَةً ابنَ ثِنْتَيْ عشْرةَ سنة، وقامَ بأمْرِه مَوْلاهُ صَنْدلُ، ثُمّ ماتَ صَنْدلُ وقام بأمْرِه مَوْلاهُ مُوفَّق، وكانَ أبوه أصْدَرَ المُكاتبةَ إلى رُجّار عنْدَ الوَحْشَةِ يُهدِّدُهُ بالمُرابطِينَ مُلوكِ المغْربِ لِمَا كان بَيْنَهُ وبَيْنَهم من المكاتَبَة.

واتّفقَ أنْ غزَا محمّدُ بنُ مَيْمونٍ قائدُ أسْطولِ المُرابطِينَ صِقِلّيةَ وافتَتحَ قَرْيةً منها، فَسبَاها وقتَلَ أهْلَهَا سنةَ ستَّ عَشْرةَ، فلم يَشُكَّ رُجّارُ أنّ ذلك بإمْلاءِ الحسَن، فزحفَتْ أساطيلُهُ إلى المَهْديّةِ وعلَيْهم عبدُ الرّحمن بنُ عبدِ العزيز وجُرْجي بنُ ميخائيلَ الأنْطاكيُّ، وكان جُرْجي هذا نَصْرانيّاً هاجَرَ من المَشْرق، وقد تعَلَّمَ اللِّسانَ وبرَعَ في الحِسابِ وتهَذَّبَ في الشّام بأنْطاكيَة وغَيْرِها، فاصْطنَعَهُ تَميمٌ واستَوْلى عليه، وكان يَحْيى يَشْنَؤُهُ، فلَمّا هلَكَ تَميمٌ أعْمَلَ جُرْجي الحِيلةَ في اللَّحاقِ برُجّارَ، فلَحِقَ بهِ وحظِيَ عندَه واستَعْمَلَهُ على أسْطولِه، فلمّا اعتزَمَ على حِصارِ المَهْديّة بعثَهُ لذلكَ، فزحَفَ في ثَلاثِ مائة مَرْكبٍ وبها عدَدٌ كثيرٌ من النَّصْرانيّةِ فيهم ألفُ فارس، وكان الحسَنُ قدِ استَعَدَّ لحرْبِهم، فافتتَحَ جَزيرَة قَوْصَرةَ، وقَصَدوا إلى المَهْديَةِ ونَزَلوا إلى السّاحِل، وضَرَبوا الأبْنيَةَ ومَلكوا قَصْرَ الدّيماس وجَزيرةَ [الأحاسي][1] . وتكرّرَ

(1) ظ د: الأحاس. والتصويب من رحلة التجاني 335- . والأحاسي جمع حِسْي، سَهْلٌ من الأرض تُسْتَنْقع فيه الماء، أو غِلَظٌ فوقه رَمْلٌ يجمع ماءَ المطر. وكلّما نزحت دلوًا اجتمعت أخرى .

القتالُ بَيْنَهم إلى أن غلَبَهم المسلمون وأقْلَعوا راجِعينَ إلى صِقلِّيَةَ بعْدَ أنِ اسْتَحَرَّ القَتْلُ فيهم[1]. ووَصَلَ بإثْرِ ذلك مُحَمَّدُ بنُ مَيْمونٍ قائِدُ المرابِطينَ [127ب] بأسْطولِه، فعاثَ في نَواحي صِقِلِّيَة. واعتَزَمَ رُجّارُ على إعادةِ / الغَزْوِ إلى المهديّة.

ثُمَّ وصَلَ أسطولُ يَحْيى بنِ العزيزِ صاحبِ بِجَايَةَ لِحصارِ المَهْدِيَة، ووصَلَتْ عساكِرُه في البَرِّ معَ قائِدِه مُطرِّفِ بن عليِّ بن حَمْدونَ الفقيه، فصالَحَ الحسَنُ صاحبَ صِقِلّيَةَ ووَصلَ يَدَهُ به واستَمدَّ منهُ أسطولَه[1]، فأمدَّهُ، وارتَحلَ مُطَرِّفٌ إلى بَلدِه، وأقامَ الحسَنُ مُمَلَّكاً بالمَهْدِيَة، وانتقَضَ عليه رُجّارُ وعادَ إلى الفِتْنةِ معَهُ، ولم يَزَلْ يتَردَّدُ إليْهِ الغَزْوُ إلى أنِ استَوْلَى على المَهْدِيَةِ قائدُ أسْطولِه جُرْجي بنُ ميخائيلَ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ وخَمْسِ مائة، وصَلَها بأسْطولِه في ثلاثِ مائةِ مَرْكَب، وخادَعَهم بأنّه إنّما جاءَ مَدَداً له. وكان عسكرُ الحسَنِ قد تَوجَّهَ صَريخاً لمُحْرِزِ بن زيادٍ الفادِعيِّ صاحبِ المعلَّقةِ علَى ابن خُراسانَ صاحبِ تونِس، فلم يَجِدْ صَريخاً. فتَخلَّى عن المَهْدِيَةِ ورحَلَ واتَّبَعَهُ النّاسُ. ودخَلَ العدُوُّ إلى المدينةِ وتملّكوها دونَ دفاعٍ، ووَجَدَ جُرْجي القَصْرَ كما هُو لم يَرْفَعْ منهُ الحسَنُ إلاّ ما خَفَّ وتَرَكَ الذَّخائِرَ

(أ) في ظ د بعده: واستَمدَّ الحسنُ أسطولَ رُجّار. وهو تكرار لما تقدمه، كتبه المؤلف وأعاد صياغته ولم يشطبه.

---

(1) رحلة التجاني 335- وفيها تفصيل الوقعة. وسَجَّلَ الحدَثَ ابنُ حمديس الصقلي في قصيدة مدح بها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، ويذكر عدوّ صقلية عام الديماس. الديوان 252 - 257، وطالع القصيدة:

أبى اللهُ إلاّ أن يكون لكَ النّصْرُ وأن يهدمَ الإيمانُ ما شادَهُ الكُفْرُ

الملوكيّةِ، فأمَّنَ النّاسَ وأبقاهم تحتَ إيالَتِه وردَّ الفارّينَ منهم إلى أماكِنِهم. وبعَثَ أسْطولاً إلى صَفاقُسَ فملَكَها، وأخَذَ إلى سُوسَةَ فملَكَها أيضاً، وأخَذَ إلى طَرابُلُسَ كذلكَ.

واستَوْلَى رُجّارُ صاحبُ صِقِلّيَةَ على بِلادِ السّاحِلِ كلِّها ووضَعَ على أهْلِه الجِزَى وولّى عليهم كما نَذكُرُه، إلى أن اسْتَنقذَهم من مَلَكَةِ الكُفْرِ عبدُ المؤمنِ شيخُ الموحِّدينَ وخليفَةُ إمامِهم المَهْدِيّ.

ولَحِقَ الحسنُ بنُ [علي بن] يَحْيى[1] بعْدَ اسْتيلاءِ النّصارَى على المَهْدِيّةِ بالعَربِ من رِياحٍ وكبيرُهم مُحرزُ بنُ زِيادٍ الفادِعيُّ صاحبُ المَعلَّقةِ، فلَمْ يجِدْ لدَيْهم صريخاً[أ]، وأرادَ الرَّحيلَ إلى مِصْرَ للحافظِ عبدِ [المجيد][2]، فأرْصَدَ له جُرْجي، فارتحَلَ إلى المَغرب وأجازَ إلى بُونَةَ وبها الحارِثُ بنُ المَنصورِ أخو العَزيزِ، ثم توجَّهَ إلى قُسَنطينةَ وبها سَبُعُ بنُ العزيزِ، أخو يَحْيى صاحب [بجاية][ب]، فبعَثَ إليهِ يَحْيى مَن أجازَهُ إلى الجزائر، ونَزَلَ على / ابنِ العَزيز [128 ا] فأحْسَنَ نُزُلَهُ وجِوارَه إلى أن فَتَحَ الموحِّدونَ الجزائرَ سنةَ سبْعٍ وأرْبعينَ بعْدَ مُلْكِهم المغربَ والأنْدلس، فخرَجَ إلى عبدِ المُؤمن فلَقّاهُ تَكْرِمَةً وقَبولاً وصَحِبَهُ إلى إفْريقيَّةَ في غَزاتِه الأولَى، ثُمّ الثّانيةِ سنةَ أربعٍ وخمْسينَ، فنازَلَ المَهْدِيّةَ

(أ) في د: مصرخا (ب) ظ: يحيى .

---

(1) صاحب إفريقيّة، وأضفنا ما سقط من الأصول.

(2) في الأصول: عبد الحميد خطأ. وهو الحافظ لدين الله الخليفة الفاطمي عبد المجيد بن محمد، توفي سنة 543هـ، وتقدم خبره في العبر 7: 221. وانظر ترجمته في ابن خلكان: وفيات الأعيان 3: 235، وعند الصفدي: الوافي بالوفيات 19: 126.

وحاصَرَها أشهُراً ثُمَّ افتَتَحها سنةَ [خمسٍ وخَمْسينَ وخمس مائة][1] وأسكَنَ بها الحسَنَ وأقْطَعَهُ رُجَيْش، فأقام هنالكَ ثمانيَ سنينَ. ثُمَّ استدْعاهُ يوسُفُ ابن عَبْدِ المؤمن فارْتَحَلَ بأهْلِه يُريدُ مَرّاكُش وهلَكَ بتامَسْنا من طَريقهِ بآبارِ زُلُّو سنةَ ستٍّ وثلاثينَ. واللهُ وارثُ الأرضِ ومَن علَيْها.

(1) بياض في ظ ص د، والاستكمال من البيان المُغرب (قسم الموحدين) 64.

[128 ب]

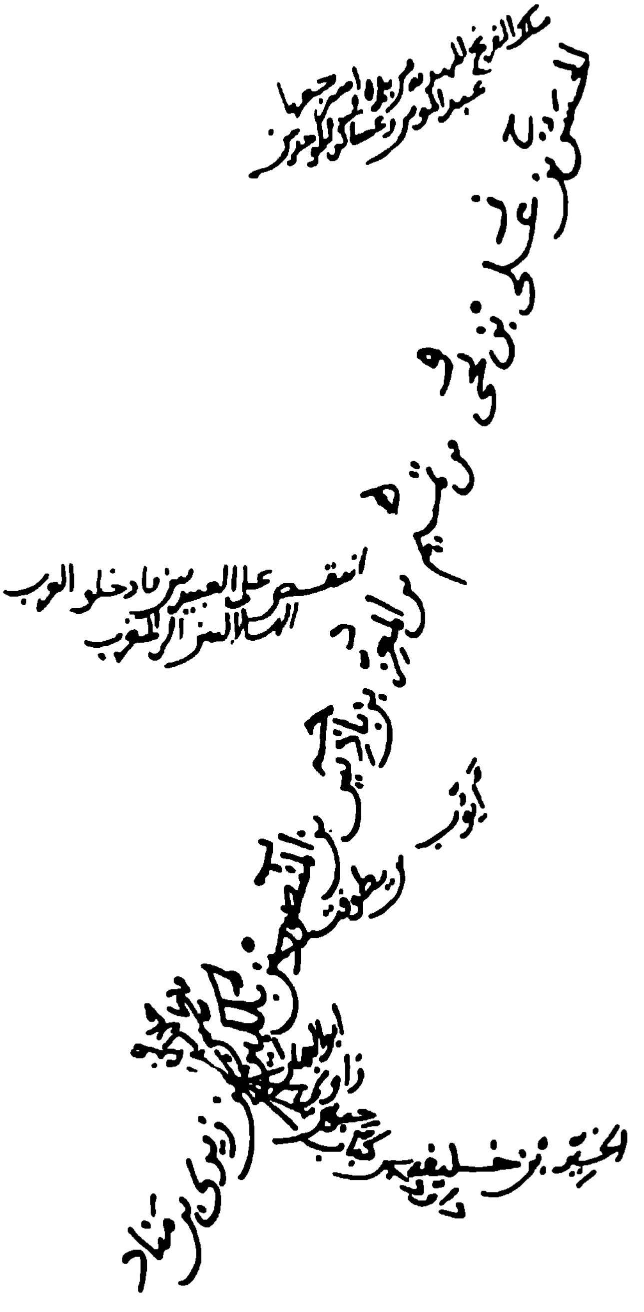

[مشجّر نسب آل زيري بن مَناد، المتعاقبين على ولاية إفريقية]

[129 أ] ## ● / الخبرُ عن بني خُراسانَ من صِنْهاجَة، الثُّوّارِ بتونس على آل باديسَ عندَ اضطِرابِ إفريقيّة بالعَرب، ومبدإِ أمْرِهم ومصائرِ أحْوالِهم

لمّا تغلَّبَ العَربُ على القَيْروانِ وأسلَمَها المُعِزُّ وتحوّلَ إلى المَهْديّة، اضطرَمَتْ إفريقيّةُ ناراً، واقْتَسمتِ العربُ البلادَ عِمَالاتٍ ومَجالاتٍ، وامْتنعَ كثيرٌ من البلادِ على مُلوكِ آل باديسَ؛ مثلَ: أهْلِ سُوسَة وصَفاقُس وقابِس، وصارَتْ صاغِيةُ أهْل إفريقيّة إلى بني حمّادٍ ملوكِ القَلْعة، وملكوا القَيْروانَ.

وانْقطعَتْ تونِسُ عن مُلْكِ المُعِزّ، ووفَدَ مشْيَخَتُها على النّاصرِ بن عَلَنّاس فوَلّى عليْهم عبدَ الحقّ بنَ عبدِ العزيز بنَ خُراسان، يُقالُ: إنّهُ من أهْلِ تونِس، والأظْهَرُ أنّه من قَبائلِ صِنْهاجَة، فقامَ بأمْرِهم وشارَكَهُمْ في أمْره، وتَودَّدَ إليْهم وأحسَنَ السِّيرةَ فيهم، وصالَحَ العرَبَ أهلَ الضّاحيةِ على إتاوَة مَعْلومةٍ لكَفِّ عاديَتِهم.

وزحَفَ تَميمُ بنُ المعزِّ من المهديّةِ إليهِ سنةَ ثمانٍ وخَمْسينَ في جُموعِه، ومعَهُ يَبقى بنُ عليّ أميرُ زُغْبَةَ، فحاصَرَ تونِسَ أرْبعةَ أشْهرٍ إلى أن صالَحهُ ابنُ خراسانَ واسْتقامَ على طاعَتِهِ فأفرجَ عنْه، ولم يَزَلْ قائماً بأمْرِهِ إلى أن هَلَكَ سنةَ ثمانٍ وثَمانينَ، فوَلِيَ ابنُهُ عبدُ العزيز وكان مُضَعَّفاً، وهلَكَ على رَأْسِ هذه المائةِ الخامِسة، وقام بأمْرِهِ ابنُه أحمدُ بنُ عبْدِ العزيز بنِ عَبْدِ الحقّ، فقَتَلَ عَمَّهُ إسماعيلَ بنَ عبدِ الحقّ لمكانِ تَرْشيحِهِ. وفرَّ ابنُه أبو بَكْرٍ إلى بنزرتَ فأقامَ بها خوفاً على نَفْسِه.

ونزَعَ أحمدُ إلى التَخلُّق بسِيَرِ المُلْك والخروج عن سيرَةِ المشيَخة، واشتَدَّتْ وَطْأتُه، وكان من مَشاهيرِ رُؤساءِ بني خُراسانَ هؤلاءِ، فاستَبَدَّ بتونِسَ لأوّلِ المائةِ السّادِسة، وضَبَطَها وبَنَى أسوارَها، وعاملَ العَربَ على إصْلاح سابِلَتِها، فصَلَحَتْ حالُهُ، وبَنى قُصورَ بني خُراسان. وكان مُجالِساً للعُلَماء مُحِبّاً فيهم.

ونازَلَهُ عليُّ بنُ يَحْيى بن تَميم سنةَ عشرٍ وخَمْسِ مائة، وضَيَّقَ / عليهِ، [129 ب] ودافَعَهُ بإسْعافِ غَرَضِهِ فأفْرجَ عنه، ثمّ نازلَتْه عساكِرُ العَزيز بن المنصورِ صاحبِ بِجَايَةَ، فعادَ إلى طاعَتِه سنةَ أربَعَ عشْرَةَ. ولم يزَلْ والياً على تونِسَ إلى أن نَهَضَ سنةَ ثنتَينِ وعشرينَ مطرِّفُ بنُ عليِّ بن حَمْدونَ قائدُ يَحْيى بن العَزيزِ من بِجَايَةَ في العساكِرِ إلى إفريقيَّة، وملَكَ عامّةَ أمْصارها، فتغلّب على تونِسَ وأخرَجَ أحْمدَ بنَ عبدِ العزيز صاحبَها ونقَلَهُ إلى بِجَايَةَ بأهْلِه ووَلَدِه، ووَلّى على تونِسَ كرامت بنَ المنصور عمَّ يَحْيى بن العزيز، فَبَقِيَ والِياً عليْها إلى أن ماتَ، ووَلِيَ عليها بعدَه أخوهُ أبو الفتوح بنُ المنصور إلى أن مات، ووَلِيَ مكانَه ابنُه محمّد، وساءَتْ سيرتُه فعُزِلَ، ووَلِيَ مكانَه عمُّهُ معَدُّ بنُ المنصورِ إلى أن استَوْلَى النّصارَى على المَهْدِيَّةِ وسَواحِلِها ما بَيْنَ سُوسَةَ وصَفاقُسَ وطرَابُلُسَ سنةَ ثلاثٍ وأربعين، وَصارَتْ لصاحِبِ صِقِلّيَةَ.

وأُخرِجَ الحسَنُ بنُ عليّ كما هو مَذكورٌ، فأخذَ أهلُ تونِس في الاستِعْداد والحذَر، واستَأْسَدوا لذلكَ على وَاليهم واستَنْسَر بُغاثُهم، ورُبَّما ثاروا بعضَ الأيّام عليْهِ فقَتلوا عَبيدَه بمَرْأى منه، وأبقَوْا عليهِ في خاصّتِه،

فبعَثَ عنهُ أخوه يَحْيى من بِجَايَةَ فركِبَ البحْرَ في الأسْطولِ وتركَ بتونِسَ نائبَهُ العزيزَ بنَ دافال منْ وُجوهِ صِنْهاجَة. فأقامَ بيْنَهم وهم مُستَبِدُّونَ عليه. وكان بالمُعَلَّقَةِ جِوارَهم مُحرِزُ بنُ زيادٍ أميرُ بني عليٍّ من بُطونِ رِياحٍ قد تغلَّبَ عليها، وكانت الحربُ بَيْنَه وبَيْنَ أهلِ تونِسَ سِجَالاً، والتحَمَ بينَهما المنصف[ا]، وكان مُحْرِزٌ يستَمِدُّ عساكِرَ صاحبَ المَهْدِيَةِ على أهْلِ تونِسَ فتَأْتيهِ، إلى أنْ غلَبَ النَّصارى على المَهْدية وحدَثَتِ الفتْنَةُ بينَهم بالبلدِ، فكانَ المصافُّ بيْنَ أهْلِ بابِ السُّوَيْقَةِ وأهْلِ بابِ الجَزِيرَة، وكانوا يرْجِعونَ في أمورِهم إلى القاضي عبدِ المُنعم ابنِ الإمام أبي الحسَن.

ولمّا غلبَ عبدُ المؤمنِ على بِجَايَةَ وقُسَنْطينةَ وهزَمَ العرَبَ بسطيف ورجَعَ إلى مَرّاكش، انتهَتْ إليهِ شكوَى الرّعايا بإفريقيَّةَ / ممّا نَزَلَ بهم من العَرَب، بَعثَ ابنَهُ عبدَ الله من بِجايَةَ إلى إفريقيَّةَ في عساكِرِ المُوَحِّدين، [130 أ] فنازَلَ تونِسَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وخَمْسين، وامتَنعَتْ عليه، ودخَلَ معَهم مُحرِزُ بنُ زِيادٍ وقومُهُ من العرَبِ، واجتَمعَ جُنْدُهم وبَرزُوا للموَحِّدِينَ فأوْقَعوا بهم، وأفْرَجُوا عن تونِسَ وهلَكَ أميرُها عبدُ اللهِ بنُ خُراسانَ خلالَ ذلك، ووَلِيَ مكانَه عليُّ بنُ أحْمَدَ بنِ عبدِ العزيز خمسةَ أشهُرٍ. وزحَفَ عبدُ المؤمنِ إلى تونِسَ وهُو أميرُها، فانْقادوا لطاعَتِه، كما نَذكُرُهُ في أخْبارِ الموحِّدين، ورحَلَ عليُّ بنُ أحمدَ بن خُراسانَ إلى مَرّاكُش بأهْلهِ ووَلَدِه، وهلَكَ في طريقِهِ سنةَ

(ا) كذا في الأصول، ولم يتضح لي معناه على التدقيق. ولعله على ما يترجح: المَصَف، وهو الموقف في الحرب، والجمع المصاف: لسان العرب ص ف ف.

أرْبعٍ وخَمْسين. وأفرَجَ مُحرِزُ بنُ زيادٍ عن المُعَلَّقةِ، واجْتمعَ[أ] إليْه قومُه، وتذامَرَتِ[1] العرَبُ على مُدافعَةِ الموحِّدينَ، واجْتمعوا بالقَيْروان. وبلَغَ الخبَرَ إلى عبْدِ المؤْمن وهُو مُنصرِفٌ من غَزاتِه إلى المَغرب، فبعَثَ إليْهمُ العساكرَ وأدْرَكوهم بالقَيْروانِ فأوْقَعوا بهم واسْتَلْحَمُوهم قَتْلاً وسَبْياً. وتُقُبِّضَ على مُحرِزِ ابن زيادٍ أميرِهم فقُتِلَ وصُلِبَ شِلْوُه بالقَيْروان. واللهُ يحكُمُ ما يَشاءُ لا مُعقِّبَ لحُكمِه.

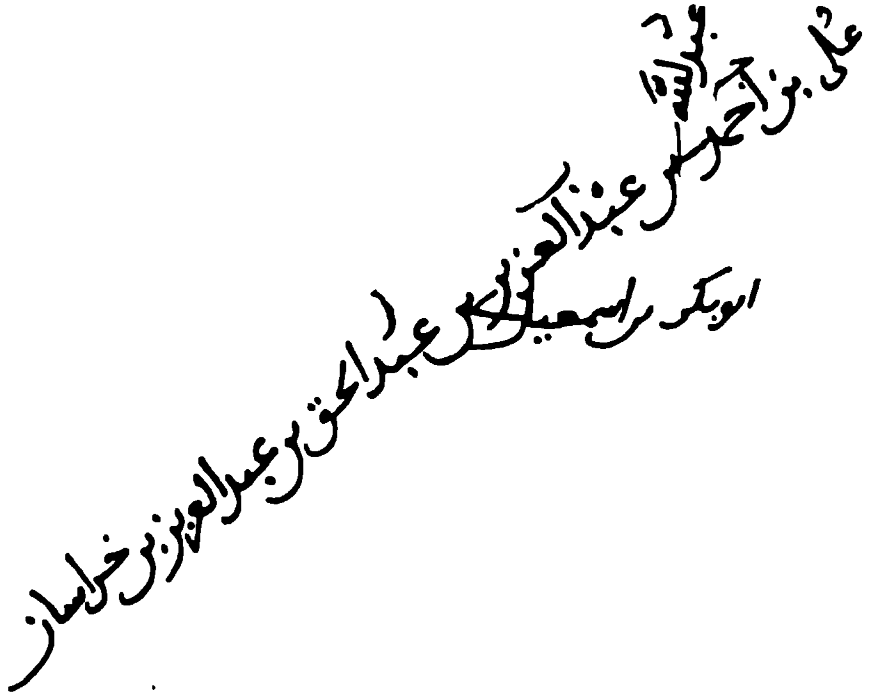

[مشجّر دولة بني عبد الحق بن عبد العزيز بن خُراسان بتونس]

(أ) ظ: اجتمعت.

(1) تحاضوا على القتال.

• الخبرُ عن بَني الرَّنْد مُلوك قَفْصةَ، الثائرين بها عند التياث مُلك آل بَاديس بالقَيْروانِ واضطرابِه بفتنة العَرب، وَمَبْدإ دَولتهم ومصائرِ أُمورِهم

[130 ب] / لمّا تغلّبَ العَربُ على إفريقيّةَ وانحَلَّ نظامُ الدّولةِ الصِّنهاجيّةِ، وارْتحَلَ المُعزُّ من القَيْروانِ إلى المَهْدِيّة، وكان بقَفْصةَ عامِلاً لصِنْهاجَةَ عبدُ الله بنُ محمّدِ بن الرَّنْد، وأصْلُه من جِزْيَةَ من بَني صدْغِيان؛ وقال ابنُ نَخيل[1]: هُو من بَني يَزْمَرْتَن من مَغْراوَة، كان مَسْكَنُهم بالجوسينِ من نَفْزاوةَ، فضَبطَ قَفْصةَ وقطَعَ عنْها عادِيَةَ الفَساد، وصالَحَ العربَ على الإتاوةِ فصَلَحتْ بالسّابِلَةِ واستقامَتِ الحال. ثُمّ اسْتَبدَّ بأمْرِهِ وخَلَعَ الامْتِثالَ من عُنُقِهِ سنةَ خمْس وأرْبعين، واسْتمرَّ على ذلكَ، وبايَعتْهُ تَوْزَرُ ونَفْطةُ وتَقْيوس والحامَّةُ ونَفْزاوةُ وسائرُ أعْمالِ قَسْطيلية، فاسْتَفْحَلَ أمرُهُ وعظُمَ سُلْطانُه، ووفَدَ عليهِ الشُّعراءُ والقُصّادُ، وكان مُعظِّماً لأهْلِ الدّين، إلى أن هلَكَ سنةَ خَمْسٍ وستّين.

ووَلِيَ من بعْدِه ابنُه المعتَزُّ، وكُنْيتُه أبو عَمْرٍو، وانقادَ لهُ النّاسُ، فضَبَطَ الأمورَ وجَبَى الأموالَ واصْطنعَ الرّجالَ، وتغلّبَ على قَمُودة وجَبلِ هَوّارَةَ

(1) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد، ابن نخيل (القرن السابع الهجري) استكتبه الأمير عبد الواحد بن أبي حفص منذ وَلي إفريقية سنة 603هـ، فعمل في ديوان الأعمال وديوان الرسائل، حيث استأثر بثقته، وتقدمت منزلته عنده. ووُشيَ به وتجاوز الأمير عنه. ثم امتحن ثانيةً بأمر المستنصر الموحدي الذي عهد لوالي إفريقية أبي العلاء بنكبته لفلتاتٍ منه. فصادره وأخويه أبي بكر ويحيى، وقتله أوائل سنة 619هـ.

وله تاريخ نقل عنه التجاني وابنُ خلدون وابن القُنفد، انظر عنه: ابن الأبار: إعتاب الكُتّاب، 237، 245، 247، ابن القنفد: الفارسية 105، 220.

وسائِر بلادِ قَسْطيلِيَةَ وما إليها، وحَسُنَتْ سيرتُهُ وطالَتْ أيّامُهُ إلى أن عَمِيَ. وهلَكَ في حياتِه ابنُه تَميم، فعَهِدَ لابْنِهِ يَحْيى بنِ تَميم، [وقام بالأمر](أ) واستَبدَّ على جدِّه.

ولم يزالوا بخيرِ حالٍ إلى أن نازَلَهم عبدُ المؤمن سنةَ أربعٍ وخمسين، فخلَعَهم من الأمرِ ونَقَلَهم إلى بِجايَة، فماتَ المعتزُّ بها سنةَ سبعٍ وخمسين لمائةٍ وأربعَ عَشْرَةَ من عُمُرِه، وقيل: لِتسعين. وماتَ بعدَه بيسيرٍ حافِدُهُ يَحْيى ابنُ تَميم.

ووَلّى عبدُ المؤمِن على قَفْصةَ نُعمانَ بنَ عبدِ الحقِّ الهِنْتاتِيَ، ثُمّ عزَلَهُ بعْدَ ثلاثٍ بمَيْمونِ بن أجانا الكُنْفيسي، ثُمّ عزَلَه بعِمْرانَ بن موسى الصِنْهاجِيّ، وأساءَ إلى الرَّعيّة، فبَعثوا عن عليِّ بن المُعِزِّ بن المعتزِّ من بِجايَة، وكان بها في مَضْيَعةٍ يحترِفُ بالخياطَة، فقدِمَ عليهم، وثاروا بعِمْرانَ بنِ موسَى عامِلِ الموحِّدينَ فقَتلوهُ وقَدَّموا عليَّ بنَ المُعِزِّ، فساسَ مُلْكَهُ وحاطَ رعيَّتَه.

وأغزاهُ يوسُفُ بنُ عبدِ المؤمنِ سنة ثلاثٍ / وستّينَ أخاهُ السيّدَ أبا [131 أ] زكريّاء، فحاصَرَهُ وضيَّقَ عليهِ وقطَعَ نَخْلَ البلَدِ، وأفرجَ عنه. ثُمّ نازَلَه ثانيةً يوسُفُ بنُ عبدِ المؤمن بنفسِهِ سنةَ ستٍّ وسبْعينَ فغلَبَ عليْهِ وأخَذَهُ وأشْخَصَهُ إلى مَرّاكُش بأهْلِهِ ومالِه، واستَعْمَلَهُ على الأشْغالِ بمدينةِ سَلاً إلى أن هلَكَ.

وفَنِيتْ دولَةُ بَني الرَّنْد. والبقاءُ للهِ وَحْدَهُ.

(أ) من د.

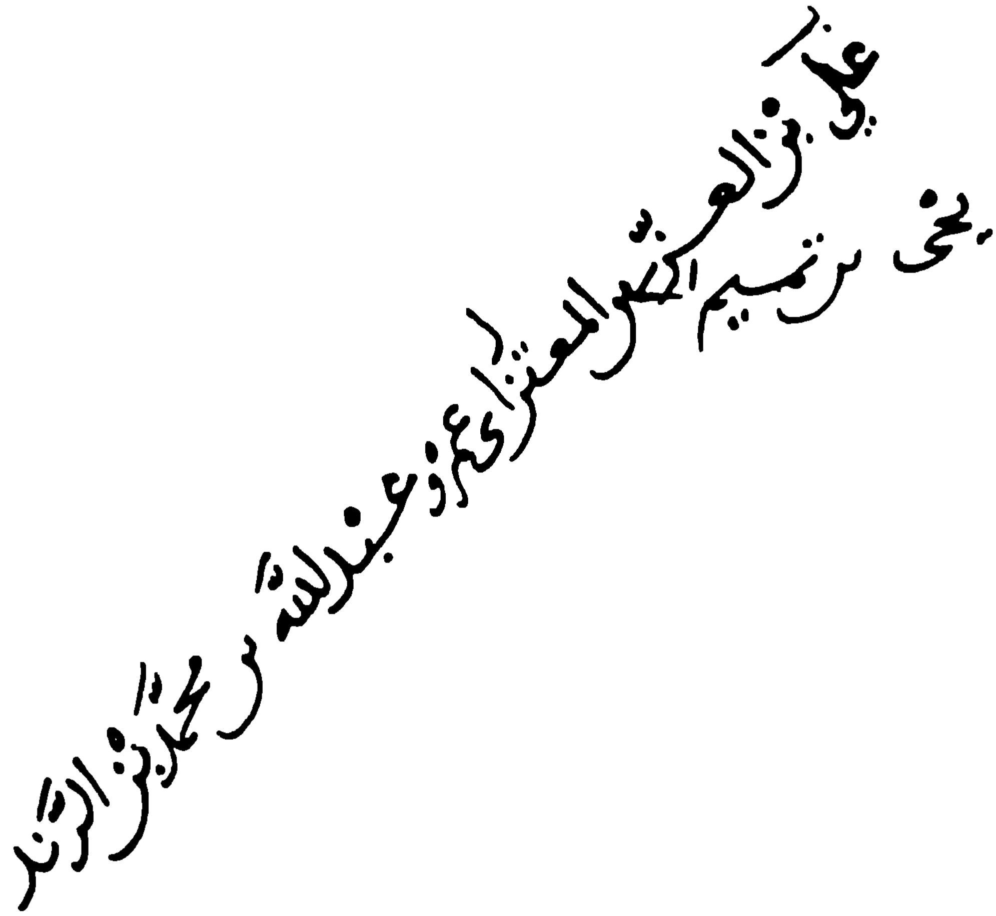

[مشجّر أسرة محمد بن الرَّند الجزبي الصُّدْغِيانيِّ، ملوك قَفصة]

• الخَبَرُ عن بَني جامعٍ الهلاليّينَ أُمراءِ قابِس لعَهْدِ الصّنهاجيّين، وما كانَ لهم بها من المُلْكِ والدّوْلةِ، وذلك عند فِتْنةِ العَرَبِ بإفريقيّة

لمّا دخلتِ العَربُ إلى إفْريقيّةَ وغَلَبوا المُعِزَّ على الضّواحي ونازَلُوهُ بالقَيْروان، وكان الوالي بقابِسَ المُعِزّ بنَ محمّدِ بن وُولْمُويَت الصِّنْهاجيّ، وكان أخواه إبراهيمُ وقاضي بالقَيْروانِ قائدَيْن للمُعِزّ على جُيوشِه، فعزلَهما ولحِقا مُغاضِبَيْنِ بمؤْنِس بن يَحْيى الصُّنبريّ أميرِ رِياحٍ فأكرَمَهما وبعَثَهما إلى أخيهما بقابِس، واتّفقوا على صَرْفِ الطّاعةِ لمُؤْنِس بن يَحْيى، فكانَ ذلكَ أوّلَ تملُّكِ العَربِ. ثُمّ أقامَ إبراهيمُ، منهم، والِياً بقابِسَ ولحِقَ المُعِزُّ بنُ محمّدٍ بمُؤْنِس، فكان معَهُ إلى أن هلَكَ إبراهيمُ، ووَلِيَ مكانَه أخوه قاضِي، وكان سَيّئَ السّيرة، فقتلَهُ أهلُ قابِس، وذلكَ لعَهْدِ تَميمِ بنِ المُعِزِّ بن باديس، / وبَعَثوا [131 ب] إلى عُمَرَ أخي السُّلْطانِ تَميمٍ وكان مُخالِفاً عليْه، فأمّروُه عليهم سنةَ تسعٍ وثمانينَ وأربعِ مائة، وزحَفَ إليهِ تميمٌ فغلَبَهُ عليها، ثُمّ خالَفوا ورجَعوا إلى طاعةِ العرَبِ فوَلِيَها مِكّنُ[1] بنُ كاملِ بن جامع أميرُ المَناقِشَة من دُهْمانَ، من بَني عليّ إحْدى بطون رِياحٍ، فقامَ بأمْرِها واسْتَبَدَّ على صِنْهاجَة، ولحِقَ بهِ مُثَنّى بنُ تَميم بن المُعِزِّ نازِعاً عنْ أبيهِ، فأجابَهُ ونازَلَ مَعهُ المَهْديّةَ حينَ امْتنعَتْ عليْه، واطّلَعَ على قَبائِح مُثَنّى فأفْرَجَ عنها. ولم يزَلْ مِكّنٌ على حالِهِ في ولايةِ قابِسَ وإمارةِ قَوْمِهِ دُهْمانَ إلى أن هلَكَ، وقام بأمْرِهِ بعْدَه ابنُه

(1) كذا في د ظ ص، وقد عُرِّبَ أو حُرِّف هذا الإسم في رحلة التِّجاني إلى مكّي.

رافِعٌ واسْتَفْحَلَ بها مُلكُه، وهُو الّذي اختَطَّ قَصْرَ القَرُوسَيْنِ من مَصانع المُلْكِ بها، واسمُه مكتوبٌ لهذا العَهْدِ في جُدرانها.

ولمّا وَلِيَ عليٌّ بن يَحْيى بن تَميم فَسَدَ ما بَيْنَه وبَيْنَ رافِع، وأعانَ عليه رافِعٌ صاحبَ صِقِلِّيَةَ فغلَبَ أسْطولُ عليّ بن يَحْيى على أسْطول النَّصارَى، ثُمَّ دَوّنَ قبائلَ العَرَبِ والأساطيلَ وزحَفَ إلى قابِس سنةَ إحْدى عَشْرةَ وأرْبع مائة؛ قال ابنُ أبي الصَّلْت[1]: دَوّنَ الثّلاثةَ الأخْماسِ من قبائل العَربِ الذين هم: سعيدٌ ومحمّدٌ ونَجَبَة، وأضافَ إليهم من الخُمُسِ الرّابع أكابرَ بَني مُقدَّم، فوافَى مَنْ كان منهم بفَحْص القَيْروان، وفَرَّ رافعٌ إلى القَيْروانِ وامتَنَعَ عليهِ أهلُها، ثُمَّ اجتَمعَ شيوخُ دُهْمانَ واقْتَسَموا البلادَ، وعَيَّنوا القيروانَ لرافِع وأمْكَنوهُ منها.

وبعَثَ عليٌّ بن يَحْيى عساكِرَه والعربَ المُدَوَّنةَ إلى مُنازَلةِ رافِع بالقَيْروان، وخرَجَ إلى مُحارَبتِهم، فهلَكَ بالطّريقِ في بعض حُروبِه معَ أشْياع رافِع. ثُمّ إنّ مَيْمونَ بنَ زِيادٍ الصَّخْريَّ حَمَلَ رافِعَ بنَ مِكّنٍ على مُسالَمةِ السّلطان، وسعى في إصلاح ذات بينهما، فعقد بينهما الصّلحَ وارْتفعَتِ الفِتْنةُ.

وقام بقابِسَ من بَعْدِ ذلك رشيدُ بنُ كامِل. قال ابنُ نَخيل: وهُو الّذي اختَطَّ قصْرَ القَرُوسَيْنِ وضَرَبَ السِّكّةَ الرّشيديّة. ووَلِيَ بعدَه ابنُه محمّدُ بن رَشيد، / وغلَبَ عليهِ مَولاهُ يوسُف، ثُمّ خرَجَ محمّدٌ في بَعْض وُجوهِهِ وترَكَ [132أ]

(1) هو أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصلت، الشاعر المؤرخ، له كتاب الديباجة في مفاخر صنهاجة، وله ذيلٌ على تاريخ إبراهيم الرقيق، نقل عنه التجاني (الرحلة 125) وابن خلدون. ترجمته في ياقوت معجم الأدباء 2: 740، الصفدي: الوافي بالوفيات 9: 402.

ابنَهُ معَ يوسُف، فطرَدَهُ يوسفُ واستَبدَّ وانتَسَبَ إلى طاعَةِ رُجّار، فثارَ بهِ أهلُ قابِسَ ودَفَعوهُ عنهم، فخرَجَ إلى حَيِّهِ، ولَحِقَ أخوهُ عيسَى برُجّارَ وأخبَرَهُ الخبرَ، فحاصَرَهُمْ رُجّارُ بسَببِ ذلكَ مُدّةً من الأيّام، وكان آخرَ مَن مَلكَها من بَني جامِع أخوه مُدافعُ بنُ رشيدِ بنِ كاملٍ.

ولمّا استَوْلى عبدُ المؤمنِ على المهْدِيّةِ وصَفاقُس وطرَابُلُس بعَثَ ابنَهُ عبدَ اللهِ بعَسْكرٍ إلى قابِس، ففرَّ مُدافِعُ بنُ رشيدٍ من قابِسَ وأسْلَمَها للموَحّدينَ، ولحِقَ بعَربِ طرابُلُس من عَوْفٍ فأجاروهُ سنَتَيْنِ، ثُمّ لَحِقَ بعَبْدِ المؤمن بفاسَ فأكْرَمَه ورَضِيَ عنه.

وانقَرَضَ أمرُ بَني جامِع من قابِسَ. والبقاءُ للهِ وَحْدَهُ.

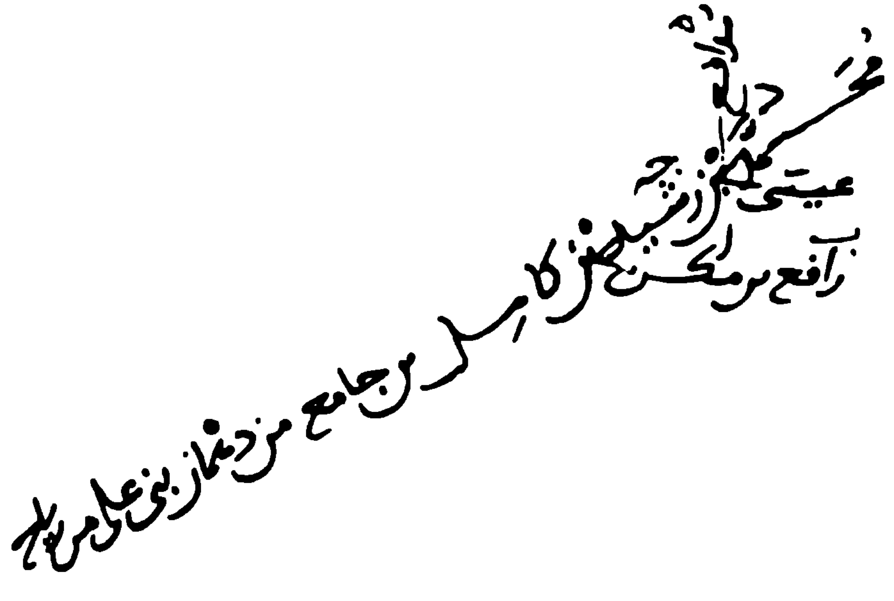

[بنو جامع، أمراءُ قابِس من دُهْمان بن عليّ، من رياح]

❁ الخبرُ عن ثَوْرة ابنِ مَطْروح بطرابُلُس والفِرْيانيّ بصَفاقُس على النّصارى وإخراجِهِم، واستبدادهما بأمرِ بلدَيهما في آخرِ دَوْلةِ بَني باديس

أمّا طرابُلُس، فكان [رجّارُ](1) صاحبُ صِقِلّيّةَ -لعَنَهُ اللهُ- قدِ استَوْلى عليها سنةَ أربعينَ وخمسِ مائةٍ على يَدِ قائِدِه جُرْجي بن مِيخائيل الأنْطاكيّ، وأبقَى المسلمينَ بها واستَعملَ عليهم، وأقاموا في مَلَكةِ النّصارَى أيّاماً. ثُمّ إنّ [132 ب] أبا يَحْيى بنَ مَطْروح / من أعْيانِ البلَد مشَى في وُجوهِ النّاس وأغنيائِهم وداخَلَهم في الفَتْكِ بالنّصارَى، فاجتَمعوا لذلكَ وثاروا بهم وحرَّقُوهم بالنّار. ولمّا وصَلَ عبدُ المُؤمن إلى المَهْديّةِ وافْتَتَحها سنةَ خَمْسٍ وخَمْسينَ، وفَدَ عليه أبو يَحْيى بنُ مَطْروح ووجوهُ أهْلِ طرابُلُسَ، فأوْسَعَهم بِرّاً وتَكْرِمَةً، وقَدَّمَ ابنَ مَطروحٍ المذكورَ علَيْهِمْ ورَدَّهم إلى بَلَدِهم، فلم يَزلْ عليهم إلى أن هَرِمَ وعَجَزَ لعَهْدِ يوسُفَ بنِ عَبْدِ المُؤمن، وطلَبَ الحجَّ فسَرَّحَهُ السيّدُ أبو زَيْدٍ بنُ أبي حَفْص عُمَرُ بنُ عبدِ المُؤمن عاملُ تونِس، فارْتحَلَ في البَحْرِ سنةَ ستٍّ وثمانينَ واستَقرَّ بالإسْكندريّة.

وأمّا صَفاقُسُ فكانتْ وُلاتُها أيّامَ بني باديسَ من صِنْهاجَةَ قبيلِهم إلى أن وَلّى المُعِزُّ بنُ باديسَ علَيْها منصوراً البُرْغُواطيَّ من صَنائِعِه، وكان فارساً مِقْداماً، فحدّثَتْ نَفْسَهُ بالثّوْرةِ أيّامَ تغلُّبِ العَرَبِ على إفريقيّةَ وخُروجِ المُعِزِّ

(1) من د ص.

إلى المَهْدِيّة، فَفَتَكَ بهِ ابنُ عمِّهِ حَمّو بنُ ملِّيل البَرْغَواطيُّ في الحَمّام غَدْراً، وامتَعضَ لهُ حُلفاؤه من العَرب، وحاصَروا حَمّو حتّى بذَلَ لهم من المالِ ما رَضُوا به.

واستَبَدَّ حَمّو بنُ ملِّيل بأمْر صَفاقُس، حتّى إذا هلَكَ المعزُّ حدّثَته نَفْسُه بالتَّغَلّبِ على المهديّة، ولَقِيَهُ تَميمٌ، فانهزَمَ حَمّو وأصحابُهُ سنةَ خَمْسٍ وخَمْسين، ثُمّ بعَثَ ابْنَه يَحْيى معَ العَربِ لحصَارِ صَفاقُس، فحاصَرَها مُدّةً وأقْلَعَ عنْها. وزَحَفَ إليْهِ تَميمُ بنُ المُعِزِّ سنةَ ثلاثٍ وتسْعينَ فغلَبَه عليْها، ولحِقَ حَمّو بِمكِّنَ ابن كامِل أميرِ قابِسَ فأجارَه، وصارَتْ صَفاقُسُ إلى مَلَكَةِ تَميم، ووَلِيَها أبناؤُهم.

ولمّا تغلّبَ النّصارى على المَهْدِيّةِ ومَلَكها جُرْجي بنُ ميخائيلَ قائدُ رُجّار سنةَ ثلاثٍ وأرْبعينَ، تغلَّبوا بَعْدَها على صَفاقُسَ وأبْقَوْا أهلَها، واسْتَعْمَلوا عُمَرَ[1] بنَ أبي الحسَنِ الفَرّيانيَّ[أ] لمكانِهِ فيهم، وحَملوا أباهُ أبا الحسَنِ معَهم إلى صِقِلّيَةَ رَهناً، وكان ذلكَ مذْهَبَ رُجّارَ ودَيْدَنَهُ فيما ملكَ من سَواحِل إفريقيّة، يُبْقيهم / ويَستعمِلُ عليهم منْهم ويَذْهبُ إلى العَدْلِ فيهم؛ فبقيَ عُمَرُ بنُ أبي [133 أ] الحسَنِ عامِلاً عليْهم في أهلِ بَلدِهِ وأبوهُ عنْدَهم.

ثُمّ إنّ النّصارَى السّاكنينَ بصَفاقُسَ امتدّتْ أيديهم إلى المُسْلمينَ ولحِقُوهم بالضَّرَر، وبلَغَ الخَبرُ أبا الحسَن وهُو بمكانِه من صِقِلّيَة، فكتَبَ إلى

(أ) ضُبط هنا الاسم في نسخة د وحدها، وقد ضبط هنا بتشديد الراء وفتحها: الفَرّياني. بينما تقدم ضبطُه في عنوان الفصل بتشديد الرّاء وكسرها.

---

(1) انظر هذا الحدث مفصلا في رحلة التجاني 75- 76.

ابنَه عُمرَ بأمرِهِ بانتهازِ الفُرصةِ فيهم والاستسلامِ إلى اللهِ في حقّ المُسلمين، فثارَ بهم عُمرُ لوقتِهِ سنةَ إحدى وخمسينَ وقتلَهم، وقتلَ النّصارى أباهُ أبا الحسَنِ(1)، وانتقضتْ عليهم بسببِ ذلك سائرُ السّواحِلِ. ولمّا افتتحَ عبدُ المؤمنِ المَهديّةَ من يدِ رُجّارَ وصَلَ إليهِ عُمرُ وأدّى طاعتَهُ، فولّاهُ صَفاقُس، ولم يزلْ والياً عليها وابنُه عبدُ الرّحمن من بعدِهِ إلى أن تغلّبَ يحيى ابنُ غانيةَ عليها، فرغّبَهُ في الحجِّ فسرّحَهُ ولم يعُدْ.

(1) رحلة التجاني 75.

الخبرُ عمّا كانَ بإفريقيّةَ من الثُّوّارِ على صِنْهاجةَ عند اضطِرابِها بفِتْنةِ العَربِ، إلى أن مَحا أثرَها الموحِّدونَ

• كان الوَرْدُ اللَّخْميُّ عندَ اضطِرام نارِ الفِتْنةِ بالعَربِ وتقْويضِ المُعِزِّ عنِ القَيْروان إلى المهدِيّةِ وتَغلُّبِهم عليها، قد ضَمَّ إليها جماعةً من الدُّعّار، وكان ساكِناً بقلْعةِ قرِيشَةَ[1] من جَبلِ شُعَيْب، فكان يضرِبُ على النّواحِي بجهةِ بنْزَرْت ويفرِضُ على أهْلِ القُرَى الإتاواتِ بسببِ ذلك. فطال علَيْهم أمرُه ويَئِسوا من حَسْم دَائِه. وكان ببَلَدِ بنْزَرْت فِرْقتان، إحداهُما: من لَخْمٍ، وهُمْ قومُ الوَرْد، وبقُوا فوْضَى واختلَفَ أمرُهم، فبَعثُوا إلى الوَرْدِ في أنْ يقومَ بأمْرِهم، فوصَلَ إلى بَلَدِهم فاجْتَمعوا عليْهِ وأدْخَلوهُ حِصنَ بنْزَرْت وقدَّموهُ على أنْفُسِهم، فحاطَهم / منَ العربِ ودافَعَ عن نَواحِيهم. وكان بَنو مُقدَّم من الأثْبَج [133 ب] ودُهْمانَ من بَني عليّ إحدى بطونِ رِياحٍ همُ المتغلِّبُونَ على ضاحِيتِهم، فهادَنَهم على الإتاوة وكفَّ بها عادِيَتَهم. واسْتَفْحَلَ أمرُه، وتَسَمَّى بالأميرِ، وشَيَّدَ المصانعَ والمبانِيَ، وكثُرَ عُمْرانُ بنْزَرْت إلى أن هلَكَ. فقام بأمْرِهِ ابنُه طرادٌ وكان شَهْماً وكانتِ العَربُ تَهابُه، وهلَكَ. فولِيَ من بَعْدِه ابنُهُ محمّدُ بنُ طراد، وقتَلَه أخوهُ مقَرَّبٌ لشَهْرٍ من وِلايتِهِ في مُشاجَرة؛ وقامَ بأمرِ بنْزَرْت وسُمِّيَ بالأمير، وحَمَى حَوْزَتَه من العَربِ، واصْطَنعَ الرِّجالَ وعظُمَ سلطانُه، وقصَدَهُ الشّعراءُ وامتَدَحوهُ فوصَلَهم، وهلَكَ. فولِيَ من بَعْدِه ابنُه عبدُ العزيزِ

(1) د: قرشية.

عشْرَ سنينَ، وجرى فيها على سَنَنِ أبيهِ وجَدّه. ثمّ وليَ من بعدِهِ أخوهُ موسَى على سَنَنِهم أربعَ سنين. ثمّ وليَ من بَعْدِهِ أخوهما عيسَى، واقتفى أثرَهم.

ولمّا نازَلَ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ المُؤمن تونِسَ وأفرَجَ عنها، مَرّ بهِ في طريقِه فاسْتَفْرغَ جُهْدَهُ في قِراهُ وبَخَعَ لهُ بالطّاعةِ، وطلبَ منهُ الحافظَ[ا] على بَلدِه فأسْعفَه. ووَلَّى عليهم أبا الحسَن الهَرْغيّ، فلمّا قَدِمَ عبدُ المؤمنِ على إفريقيّةَ سنةَ أربعٍ وخمسينَ رعَى لهُ ذلكَ، وأَقْطَعَهُ واندرَجَ في جُمْلَةِ النّاس.

• وكان بقَلْعةِ زرْعةَ[ب] يروكسنْ[ج] بنُ بوعلي الصِّنْهاجيُّ من أولياء العزيزِ ابن المَنْصورِ - صاحبِ بجَايَةَ والقَلْعةِ - قد ثارَ بها وحصَّنَها. وكان مبْدأُ أمرِهِ أنّ العزيزَ تغيَّرَ عليه في حَرْبٍ وقعَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ العربِ، نسَبَ فيها إلى نَفْسِه الإقْدامَ وإلى السُّلْطانِ العَجْزَ، فخافَهُ على نَفْسِه ولَحِق بباجَةَ فأكْرمَهُ شيْخُها مَحمودُ بنُ بزالَ الرِّبعيُّ وآواهُ، وترافَعَ إلى محمودٍ أهلُ زرْعةَ[ب] من عَملِه وكانوا فِئَتَيْنِ مختلفتَيْن، من زانيمةَ إحْدَى بطون البَرْبَر، وهما أولادُ مديني وأولادُ لاحِق، فبعَثَ عليهم يروكْسنْ بن بو عليّ لينظُرَ في أحْوالِهم، وأقامَ معَهم بالقَلْعة، ثمّ اسْتَجْلَبَ بعضَ الدُّعّارِ كانوا بناحيتِها وأنْزلَهم بالقَلْعةِ معَهُ واصطَنَعهم، وصاهَرَ أولادَ مديني وظاهرَهم على أولادِ لاحِق / وأخْرجَهم من [134 أ] القَلْعةِ واستَبَدَّ بها. وقَصَدَتْه الرّجالُ من كلِّ جانبٍ إلى أن اجتمعَتْ إليهِ نحوُ خمسِ مائة فارِس، وأثْخنَ في نَواحيهِ، وحارَبَ بَني الوَرْدِ بِبَنْزرْت، وابنَ

(ا) كذا، ويعني: أن يكون الحافظَ لبلده (ب) ص: زرقة (ج) ص: عروكس، بإهمال الأول.

علاّن بطُبْرُبَة، وقتلَ محمّدَ بن سِبَاعٍ أميرَ بَني سعيدٍ من رِيَاح، وغَصَّتِ القلعةُ بالسّاكنِ، فاتّخذَ لها رَبَضاً. وجهّزَ إليهِ العزيزُ عسكرَهُ من بجَايَةَ فبارَزَ قائدَ العَسكرِ وفتَكَ به، واسمُهُ غيلاَس، وهلَكَ بعْدَ مدّةٍ طويلةٍ. وقام بأمْرِهِ ابنُه مَنيع، ونازَلَه بَنو سِبَاع وسعيدٌ طالبينَ بثَأر أخيهم محمّد، وتَمادَى بهِ الحصارُ وضاقَتْ أحوالُهُ، فاقْتَحَموا عليهِ القَلْعةَ واستَلْحَمَ هُو وأهلُ بَيْتِه قَتْلاً وسَبْياً. واللهُ مالكُ الأمور.

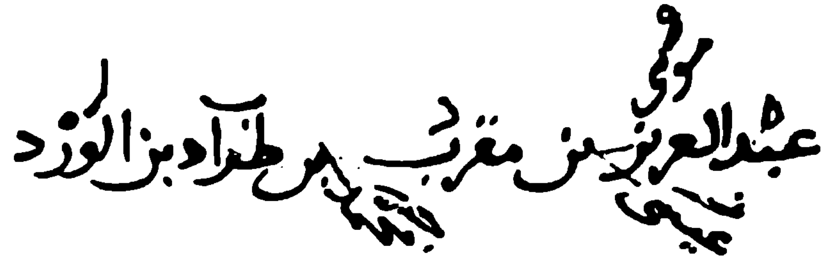

[ظ]

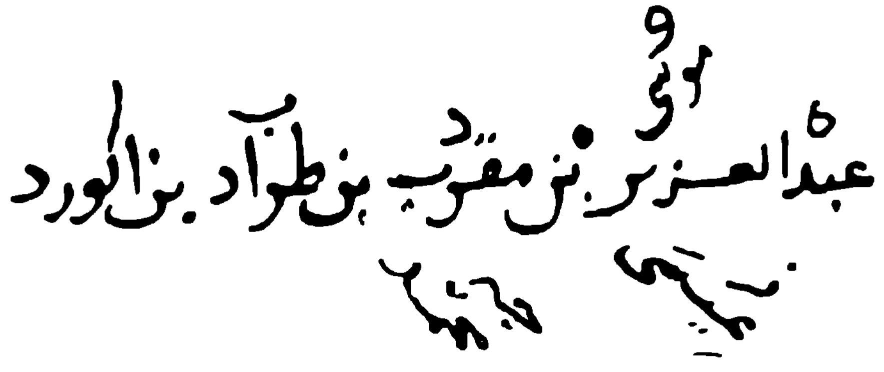

[د]

[بنو الوَرْد اللّخميّون الثوّار، أمراء بنزرت]

• وكان أيضاً بطُبُرْبَةَ مُدافِعُ بنُ علاّلٍ القَيْسيُّ، شيخٌ من شُيوخِهَا، فلمّا اضْطَربَتْ إفريقيّةُ عنْدَ دخولِ العَربِ إليها امْتَنعَ بطُبُرْبَةَ وحصّنَ قلْعتَها واستَبدَّ بها في جُملَةٍ من وَلَدِه وبني عمِّه وجماعَتِه، إلى أن ثارَ عليهِ عليُّ بنُ يَزُون اللَّخْميُّ في البَحْرينِ(أ) على واد بَجْردةَ بإزاءِ الرِّياحِين(1)، وطالَت بيْنَهما الفِتْنةُ والحربُ.

• وكان [فهرونُ](ب) بنُ غنّوش(ج) بمنزلِ دَخْمون قد بَنَى حِصْنَه وشيَّدَهُ وجمعَ إليهِ جيْشاً من أوْباشِ القبائِل، وذلكَ لمّا أخرَجَهُ أهلُ تونِسَ بعْدَ أن وَلاّهُ العامّةُ عليْهم ثُمّ صرَفُوه عن وِلايتِهم لسُوءِ سيرَتِه، فخَرَجَ من البلَدِ ونزَلَ دَخْمونَ وبَنى حصْناً لنَفْسِه معَ الحنايا، ورَدَّدَ الغارةَ على تونِسَ وعاثَ في جهاتِها، فرغِبوا من مُحرِزِ بنِ زِيادٍ أن يُظاهِرَهم عليه، ففعَل. وبلَغَ [134 ب] خبرُهُ ابنَ علاّلٍ صاحبَ / طُبُرْبَةَ، فوصَلَ ابنُ علاّلٍ يدَهُ بصِهْرٍ منْهُ ونقَلَهُ إلى بَعْضِ الحُصونِ ببلَدِه، وهيَ قَلعةُ غنّوش(د)، وتظافَروا على الإفْسادِ وخلَفَهما بَنوهُما من بَعْدِهما إلى أن وصَلَ عبدُ المؤمن إلى إفريقيَّةَ سنةَ أربعٍ وخمسينَ، فمَحَا آثارَ الفسادِ من جوانِبِ إفريقيّة.

(أ) كذا في ظ د ص، ولم نعرفه (ب) من ص، وفي د ظ: فهرون (ج) ص: عبوس (د) ص: غنوش، بإهمال نقط النون.

(1) كان لابن خلدون ضيعة في الرياحين ذكرها في التعريف252. والأغلب عندي أن الاسم في النصّيْن مصحّف عن الرياحيّين، نسبة لرياح التي انتشرت في تلك الأصقاع، وسُمّيت المواقع بأسماء القبائل المنتشرة عليها.

• وكان أيضاً حمّادُ بنُ خليفةَ اللّخميُّ بمنزلِ رَقّطونَ من إقليم زغْوانَ على مثْلِ حالِ ابن علاّلٍ وابنِ غنّوش وابن يَبْزُون، وخَلَفَهُ ولَدُه في مثْلِ ذلك، إلى أن انقَطعَ ذلك على يَدِ عبْدِ المؤْمِن.

• وكان عبّادُ بنُ نَصْرِ الله الكَلاَعيُّ بقَلْعةِ شَقْبنَاريَةَ قد صار إليْهِ جُندٌ من أهْلِ الدّعارَة[أ] وأوْباشِ القبائِل، فحماها منَ العرَب، واستغاث بهِ ابنُ فتاتَةَ شيخُ الأرْبُسِ من العَربِ وسوءِ ملكتِهم، فزحَفَ إليهم وأخرَجَهم من الأرْبُس وفرَضَ عليهم مالاً يؤدّونَه إليه، إلى أن مات، ووَلِيَ ابنُه من بَعْدِه فجرى على سَنَنِه، إلى أن دخَلَ في طاعةِ عَبْدِ المُؤْمنِ سنةَ أرْبعٍ وخمْسينَ وخمسِ مائة. واللهُ مالِكُ المُلْك.

(أ) د: الرعاة، ص: الدعاة.

[135أ] ❁ / الخبرُ عن دَوْلَةِ آلِ حَمّاد بالقَلْعة من مُلوكِ صِنْهاجة، الدّاعينَ لخُلفاءِ العُبَيْدِيّين، وما كان لهم من المُلْكِ والسُّلطانِ بإفريقيّة والمَغرِب الأَوْسَطِ، إلى حين انقِراضِه بالمُوَحِّدين

هذه الدولةُ شُعْبةٌ من دَوْلةِ آلِ زيري، وكانَ المنصورُ بنُ بُلُكّين قد عقَدَ لأخيهِ حَمّادٍ على أشيرَ والمَسيلَة، وكان يَتداوَلُها معَ أخيهِ يَطُوفْت وعمِّه أبي البَهار، ثُمّ استقَلَّ بها سنةَ سبْعٍ وثمانينَ أيّامَ باديسَ ابنِ أخيهِ المَنْصور، ودَفَعَهُ لحرْبِ زَناتَةَ سنةَ خمْسٍ وتِسْعينَ بالمَغرب الأوسطِ من مَغْراوَةَ وبني يَفْرَن، وشَرَطَ له ولايةَ أشيرَ والمَغْرب الأوسطِ وكلِّ بلدٍ يفتَحُه، وأن لا يَسْتَقْدِمَه. فعَظُمَ غَناؤهُ فيها وأثْخَنَ في زَناتَة، وكان مُظَفَّراً عليهم، واختَطَّ مدينةَ القَلْعةِ بجبَلِ كياتة[1] سنةَ ثمانٍ وتسْعينَ، وهُو جَبلُ عَجِيسَة، وبهِ لهذا العَهْدِ قبائلُ عِياضٍ من عَربِ هلال، ونقَلَ إليها أهلَ المَسيلَة وأهلَ حَمْزةَ وحِزَبِها، ونقَلَ جَراوَةَ من المغرب وأنزلَهم بها. وتَمّ بناؤها وتمصيرُها على رأسِ المائةِ الرّابعَة، وشيَّدَ من بُنْيانِها وأسْوارِها واستَكْثرَ فيها من المساجِد والفَنادِق، فاسْتَبْحَرتْ في العِمارةِ واتّسَعَتْ في التّمدُّن، ورحَلَ إليها من الثُّغورِ القاصِيةِ والبَلَدِ البعيد طُلاّبُ العلوم وأربابُ الصّنائِع لنَفاقِ أسْواق المَعارِفِ والتَّجْرِ والصّنائِع بها.

(1) جاءت مهملة في ص.

ولم يزَلْ حمادٌ أيّامَ باديسَ هذا أميراً على الزّاب والمَغربِ الأوسطِ، ومُتوليّاً حروبَ زَناتَة، وكان له نُزُلُهُ ببلَدِ أشيرَ والقَلْعة، مُتاخِماً لملوكِ زَناتَةَ وأخيائِهمُ الباديةِ بضَواحي تِلِمْسَانَ وتاهَرْتَ، وحارَبَهُ بنو زيري عندَ خُروجِهم على باديسَ سِنِي تسعينَ وثلاثِ مائة، وهُم زاوي وماكسنٍ وإخوتُهما، فقتَلَ ماكسن ابنَيْه[أ]، وألْجَأَ زاوي وإخوتَهُ إلى جَبلِ شَنُوّة[ب]، / وأجازَهُمُ [135 ب] البَحْرَ إلى الأندَلُس.

ثُمّ إنّ بطانَةَ باديسَ ومَن إليهِ من الأعْمامِ والقَرابَةِ نَفِسُوا على حَمّادٍ رُتْبتَهُ، وسَعَوْا في مكانِه من باديسَ إلى أن فَسَدَ ذاتُ بَيْنِهما، وطالبَهُ باديسُ أن يُسلِّمَ عَمَلَ تيجِسْت وقُسَنْطينةَ لوَلَدِه المُعِزِّ، لِما قلّدَهُ الحاكِمُ ولايةَ عَهْدِ أبيه، فأبَى حَمّادٌ وخالَفَ دعوةَ باديس، وقتَلَ الرّافِضَةَ وأظهَرَ السُّنّةَ ورضِيَ عن الشَّيْخَيْنِ ونبَذَ طاعةَ العُبَيْدِيِّينَ جُملةً وراجَعَ دعوةَ آلِ العبّاس، وذلك سنةَ خمسٍ وأربعِ مائة. وزحَفَ إلى باجَةَ فدَخَلَها بالسَّيْف، ودَسَّ إلى أهْلِ تونِسَ الثّورةَ على المشارِقَةِ والرّافِضَة، فثاروا بهم، فناصَبَهُ باديسُ الحَرْبَ وعبَّأَ عساكِرَهُ من القَيْروانِ وخَرَجَ إليه، فنـزَعَ عن حَمّادٍ أكثرُ أصْحابِه مثل بَنِي أبي واليل أصْحابِ مقَرّه من زَناتَةَ، وبَنِي حسَن كبارِ صِنْهاجَةَ، وبَنِي يَطّوفت من زَناتَةَ، وبَنِي غُمَّرَةَ أيضاً منهم، وفَرَّ حَمّادٌ وملَكَ باديسُ أشيرَ، ولحِقَ حَمّادٌ بشَلِف بَنِي واطِيل، وباديسُ في اتّباعِه حتّى نزَلَ بوالطين[ج] وفَحْصَ السَّرَسُو من بلادِ زَناتَة، ونزَعَ إليهِ عطيّةُ بنُ دافلتَن في قَوْمِهِ من

(أ) ظ ص د: ابناه (ب) الظبط في ظ د (ج) كذا في الأصول، وهو اسم مكان يمكن أن يقرأ: بو الطين .

بني تُوجِّينَ لِما كان حمّادٌ قتلَ أباهُ، وجاء على أثرِه ابنُ عَمِّه بدْر بنُ لُقْمانَ بن المُعتزّ فوصَلَهما باديسُ واستَظْهَرَ بهما على حمّاد.

ثُمّ أجازَ إليهِ باديسُ وادي شلَف وناجَزَه الحربَ، ونزَعَ إليهِ عامّةُ أهْلِ مُعَسْكرِه فانهزمَ، وأغذَّ السّيرَ إلى القَلْعةِ وباديسُ في أثرِه، حتّى نزَلَ لحصَ المَسِيلَة وانحجَزَ[أ] حمّادٌ في القَلْعةِ وحاصَرَهُ، ثُمّ هلَكَ بمعَسْكره من ذلكَ الحِصارِ فَجْأةً بمَضْرِبِهِ وهُو نائمٌ بينَ أصْحابِه آخِرَ سنةِ ستٍّ وأربعِ مائة. فبايَعَتْ صِنْهاجَةُ لابْنِه المُعِزّ صَبِيّاً ابنَ ثماني سنين، وتلافَوْا أُمَراءَ أشيرَ وبَعَثوا كرامةَ ابن المنْصور لسَدِّها فلم يقْدروا، واقْتحَمَها عليهِ حمّادٌ، واحتَملوا باديسَ على أعْوادِه إلى مَدْفَنِهم بالقَيْروان، وبايَعُوا المعزَّ البيْعَةَ العامّةَ. وزحَفَ إلى حمّادٍ [136 أ] ففَضَّهُ بناحيةِ باغايةَ[ب]، / وأشفقَ حمّادٌ فبعَثَ ابنَهُ القائدَ لإحْكام الصُّلْح بَيْنَهُ وبَيْنَ المعزّ، فوصَلَ إلى القَيْروان سنةَ ثمانٍ وأربعِ مائةٍ بهَدِيّةٍ جليلةٍ، وأمْضَى لهُ المعزُّ ما سألَهُ من الصُّلْح ورجَعَ إلى أبيه.

وهلَكَ حمّادٌ سنةَ تسْعَ عَشْرةَ وأربَع مائة، فقامَ بأمْرِهِ ابنُهُ القائِدُ وكان جبّاراً، فاستَعْمَلَ أخاه يوسُفَ على المغْربِ ويغلان على حمزةَ، بلدٍ اختَطّهُ حمزةُ بن إدْريس.

وزحَفَ إليه حمامةُ بنُ زيري بن عطيّةَ مِلِكُ فاسَ من مَغْراوةَ سنةَ ثلاثينَ، فخرَجَ إليه القائدُ وسرَّبَ الأموالَ في زَناتَة، وأحَسَّ بذلكَ حمامةُ فصالَحَهُ ودخَلَ في طاعَتِه ورجَعَ إلى فاس.

(أ) في ظ د ص: الحجر، والصواب ما أثبت (ب) د: باغية.

وزحَفَ إليهِ المعزُّ من القَيْروانِ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ، فحاصَرَهُ مُدّةً طويلةً ثُمَّ صالَحهُ القائدُ، وانصرَفَ إلى أشيرَ فحاصَرَها ثُمّ أقْلَعَ عنها وانكفأ راجِعاً، وراجَعَ القائدُ طاعةَ العُبَيْديِّينَ لمّا انقَضَّ عليهمُ المُعزُّ، ولَقَّبوهُ شرَفَ الدّوْلة.

وهلَكَ سنةَ ستٍّ وأربعينَ، ووَلِيَ ابنُه مُحْسنٌ وكان جبّاراً، وخرَجَ عليهِ عمُّه يوسُفُ، ولحِقَ بالمغرِبِ فقَتَلَ سائرَ أولادِ حمّاد، وبعَثَ مُحسِنٌ في طلَبِه بُلُكّينَ ابنَ عمِّه محمّدِ بن حمّادٍ وأصحابَهُ من العرَبِ: خَليفةَ بنَ مِكْبِنَ وعطيّةَ الشّريفَ، وأمرَهما بقَتْلِ بُلُكّين في طريقِهما، فأخبَرا بُلُكّين بذلك وتعاهَدُوا جميعاً على قَتْلِ مُحْسِن، ونُذِرَ بهم ففرّ إلى القَلْعةِ، وأدْرَكوهُ فقَتَلَه بُلُكّين لتسعةِ أشْهرٍ من ولايَتِه. ووَلِيَ الأمرَ سنةَ سبْعٍ وثلاثين، وكان شهْماً قُدُماً[1] حازماً سَفّاكاً للدّماء، وقُتِلَ وزيرُ مُحْسنٍ الّذي توَلّى قَتْلَه.

وفي أيّامِه قَتَلَ جعفرَ بنَ أبي رمّانَ مُقدَّمَ بِسْكِرَةَ لمّا أحسَّ بنكْثِه، فخالَفَ أهلُ بِسْكِرَةَ بأثرِ ذلكَ حسبَمَا نذكرُهُ. ثُمّ ماتَ أخوهُ مُقاتِلُ بنُ محمّد فاتّهَمَ بهِ زوجتَهُ تانميرت بنتَ عمِّه عَلَنّاس بن حمّاد فقَتَلَها، وأحفَظَ ذلكَ أخاها النّاصرَ وطوَى على النّثّ.

وكان بُلُكّينُ كثيراً ما يرِدِّدُ الغَزْوَ إلى المَغرب، وبلَغَهُ / اسْتيلاءُ [136 ب] يوسُفَ بن تاشفين والمُرابِطينَ على المَصامِدَة، فنهَضَ نحوَهم سنةَ أربعٍ

(1) كذا، والقُدْم الشجاع، ولعلها قِرْمًا.

وخمْسين، وفرَّ المرابطون إلى الصَّحْراء، وتوَغَّلَ بُلُكّين في ديارِ المغرب ونَزلَ بفاس، واحتَملَ من أكابِرِ أهْلِها وأشرافِهم رَهْناً على الطّاعة وانكَفأ راجعاً إلى القَلْعَة، فانتَهزَ منهُ النّاصرُ ابنُ عمِّه الفُرْصةَ في الثّأرِ بأُخْتِه، ومَالأهُ قومُه من صِنْهاجَةَ لِما لَحِقَهم من تكلُّفِ المَشقَّةِ بإبْعادِ الغَزْوِ والتَّوغُّل في أرْضِ العدُوّ، فقتَلَه بتاسَّالة[1] سنةَ أرْبع وخمسين، وقامَ بالأمْرِ من بَعْدِه، واستَوْزرَ أبا بكرِ بنَ الفُتوح، وعقَدَ على المغربِ لأخيهِ كبّاب، وأنْزلَهُ مَلْيانَة، وعلى حَمْزةَ لأخيهِ زَزْمان، وعلى نَقاوُس لأخيهِ خَزَر، وكان المعزُّ قد هَدَمَ سُورَها فأصْلَحَهُ النّاصِرُ، وعقَدَ على قُسَنْطينَةَ لأخيهِ بلبار، وعلى الجزائرِ ومَرْسى الدَّجاج لابْنِه عبدِ الله، وعلى أشيرَ لابْنِه يوسُف.

وكتَبَ إليهِ حمّو بنُ مَليل البُرْغَواطيُّ من صَفاقُس بالطّاعةِ وبعثَ إليهِ بالهَدِيّة. ووفَدَ عليهِ أهلُ قَسْطيلِيَةَ ومُقدَّمهُم يَحيى بنُ واطّاس، فأعْلَنوا لطاعَتِه وأجزَلَ لهم صِلَتَهم ورَدَّهم إلى أماكِنِهم، وعقَدَ عليها ليوسُفَ بن خَلوف من صِنْهاجَة، ودخَلَ أهلُ القَيْروانِ أيضاً في طاعَتِه، وكذلكَ أهلُ تونِس.

وكان أهلُ بِسْكِرَةَ لَمّا قَتَلَ بُلُكّينُ مُقدَّمَهم جعفرَ بنَ أبي رمّان، خَلَعوا طاعةَ آلِ حَمّادٍ واستَبَدُّوا بأمْرِ بَلَدِهم وعليهم بنو جَعْفر، فسرَّحَ النّاصرُ إليهم خلَفَ بنَ أبي حَيْدَرةَ وزيرَهُ ووزيرَ بُلُكّين قبْلَه، فنازَلَها وافتتَحَها عَنْوَةً، واحْتَملَ بَني جَعْفرٍ في جماعةٍ من رُؤسائِها إلى القَلْعة، فقتَلَهمُ النّاصرُ وصلَبَهم. ثُمّ قتَلَ خلفَ بنَ أبي حَيْدرَةَ بسِعَايَةِ رِجَالاتِ صِنْهاجَةَ فيهِ أنّه لـمّا

(1) د: بتسالة.

بلَغَهُ خبرُ بُلُكّين أرادَ تَوْليةَ أخيهِ مَعمر، وشاوَرَهم في ذلك، فقتَلَهُ النّاصرُ ووَلّى مكانَهُ أحمدَ بنَ جعفرِ بن أفلَح.

ثُمّ خرَجَ النّاصرُ / لتفقُّدِ المَغرب، فوثَبَ عليُّ بنُ رَكّان على [137 ا] تاقربوست دارِ مُلكِهم. وكان لمّا قُتِلَ بُلُكّين هرَبَ إلى أخوالِه من عَجِيسةَ، واهتَبلوا الغِرّةَ في تاقربوست لغيبَةِ النّاصِر، فطرَقُوها ليلاً ومَلَكَها عليٌّ، فرجَعَ النّاصرُ من المَسِيلَةِ وعاجَلَهم فسُقِطَ في أيْديهم وافْتتَحَها عليهم عَنوةً، وذبَحَ عليُّ بنُ ركّان نفسَهُ بيَده.

ثُمّ وقَعتْ بيْنَ العَربِ الهِلاليّينَ فِتَنٌ وحروبٌ، ووَفَدَ عليهِ رجَالاتُ الأثبج صَريخاً بهِ على رِيَاحٍ، فأجابَهم ونهَضَ إلى مُظاهَرتِهم في جُموعِه من صِنْهاجَةَ وزَناتَةَ، حتّى نزَلَ الأُرْبُسَ وتواقَعوا بسبيبةَ [فغدَرتْ بهِ زَناتَةُ وجَرَوْا عليهِ وعلى قَومِه الهزيمةَ بدَسِيسَةٍ][(أ)] من المعزّ بن زيري بن عَطيّة، وإغراء تَميم بن المعزّ، فانهزَمَ النّاصرُ واستَباحوا خزائِنَهُ ومَضارِبَهُ، وقُتِلَ أخوهُ القاسِمُ وكاتِبُه، ونجا إلى قُسَنطينةَ في أتْباعِه، ثُمّ لَحِقَ بالقَلْعةِ في فَلٍّ من عَسْكرِه لم يَبْلغوا مائتَيْن، وبعَثَ وزيرَهُ ابنَ أبي الفُتوح للإصْلاح، فعقَدَ بيْنَهم وبيْنَهُ صُلْحاً وتَمَّمَه النّاصِرُ، ثُمّ وفَدَ عليهِ رسولُ تَميمٍ وسعَى عندَهُ بالوزيرِ ابنِ أبي الفُتوح وأنّه مائِلٌ إلى تَميمٍ، فنكَبَهُ وقتَلَهُ.

وكان المُنتَصِرُ بنُ خَزرون الزَّناتيُّ خرَجَ في أيّام الفِتْنةِ بين التُّرْكِ والمغارِبَة بمصر، ووصَلَ إلى طرابُلُس فوجَدَ بني عَدِيّ بها قد أخرَجَهم الأثبج

(أ) من د.

وزُغْبَةُ من إفريقيّةَ كما ذكَرْناهُ، فرَغَّبهم في بلادِ المَغرب، وسارَ بهم حتّى نزَلَ المَسِيلَةَ، ودخَلوا أشيرَ وخرجَ إليهِ النّاصِرُ ففرَّ إلى الصّحراءِ ورجَعَ، فرجعَ إلى مكانِه من الإفساد، فراسَلَهُ النّاصرُ في الصُّلحِ فأسْعَفَهُ وأقطعَهُ ضواحِيَ الزّاب وريغة، وأوْعَزَ إلى عَروسِ بنِ سِنْدي رئيسِ بِسْكِرَةَ لعَهْدِه ووَلِيِّ دَوْلَتِه أن يَمْكُرَ به، فوصَلَ المنتصرُ إلى بِسْكِرَةَ وخرجَ إليه عَروسُ بنُ سِنْدي وأَحْمَدَ نُزُلَه، وأشارَ على حَشَمِه عندَ إكْبابِ المنتَصِرِ وذَويهِ على الطّعام، فبادَروا [مُلَبِّينَ][أ] لطَعْنِه، وفَرَّ أتباعُه، واحتزّوا رَأْسَه وبَعثُوا بهِ إلى النّاصِرِ فنصَبَهُ بِبِجَايَة /، وصُلِبَ شِلْوُهُ بالقَلْعةِ وجعَلُوهُ عِظَةً لغيره. [137 ب]

وقُتِلَ كثيرٌ من رُؤساءِ زَناتَة، فمن مَغراوَةَ: أبو الفتوح بنُ حَبُوس أميرُ بَني سنجاس، وكانتْ له بَلَدُ لِمْدَيَّة، ولمديَّةُ: قَبِيلٌ من بُطونِ صِنهاجَة سُمِّيتِ البلدُ بهم. وقُتلَ مُعَنْصَر بنُ حمّاد، منهم أيضاً، وكان بناحيةِ شلَف، فأجلَبَ على عاملِ مَلْيانَة وقتَلَ شيوخَ بني وَرْسيفان[ب] من مَغراوَة، فكاتبَهَمُ السّلطانُ لمّا كان مشتَغِلاً عنهم بشأنِ العَرب، فزحَفوا إلى مُعَنْصَر وقتلوهُ وبعَثُوا برَأسِه إلى النّاصرِ فنَصَبَهُ مع رأسِ المنتصر.

وبَعَثَ إليهِ أهلُ الزّابِ أنّ غُمَرْتَ ومَغْراوَةَ ظاهَروا الأثْبَجَ من العَربِ على بلادِهم، فبعَثَ ابنَهُ المنصُورَ في العساكِر ونـزَلَ وغلانَ بلدَ المنتَصِرِ ابن خَزْرونَ وهدَمَها. وبعَثَ سراياهُ وجيوشَهُ إلى بلَدِ وارْكلا، ووَلّى عليها

(أ) من د ص، وفي ظ : مُكَبِّين (ب) د: ورسيتان.

وقفَلَ بالغنائِم والسَّبْي. وبلَغه عن بَني تُوجِّين من زناتَةَ أنَّهم ظاهَروا بني عَديّ من العرَبِ على الفَسادِ وقطْع السُّبُل، وأميرُهم إذ ذاكَ مَناد بنُ عبد الله، فبعَثَ ابنَه المنصورَ إليهم في العساكِر، وتقَبَّضَ على أمراءِ بني عَديّ: ساكِن بن عبْد الله، وحميدِ بن خزعل، ولاحِقِ بن جبهان، وتقبَّضَ أيضاً على مَناد بن [العبّاس بن دافَلْتن][أ] أميرِ بني تُوجِّين وأخيهِ زيري، وعمَّيْهما: الأغْلبِ وحمامةِ، وأحضرَهم فوبَّخَهم وقرَّرَ عليهم فَعْلَتَهُ في إجارَتِهم من أولادِ القاسمِ رُؤساءِ بَني عبدِ الواد، وقتَلَهم جميعاً على الخِلاف.

وفي سَنةِ ستّينَ افتتَحَ جبَلَ بِجَايَةَ، وكان لهُ قبيلٌ من البَرْبرِ يُسَمَّوْنَ بهذا الاسْم[1]، إلاّ أنّ الكافَ فيهِ بلُغتِهم ليستْ كافاً، بلْ هيَ بيْنَ الجيم والكاف، وهذا القَبيلُ من صِنْهاجَةَ باقونَ لهذا العَهْدِ أوْزاعاً في البَرْبر، فلمّا افتتَحَ هذا الجبَلَ اختطَّ بهِ المدينةَ وسَمّاها النّاصِريّة، وتُسمّى عندَ النّاس باسمِ وهيَ بِجَايَة، وبنَى بها قصْرَ اللُّؤلُؤة، وكان من أعْجبِ قُصورِ الدُّنيا، ونقَلَ إليها النّاسَ وأسقَطَ الخراجَ عن ساكنيها سنينَ، وانتقَلَ إليها سنةَ إحْدى وستّينَ.

وفي / أيّامِ النّاصِرِ هَذا كان اسْتِفْحالُ مُلكِهم وشُفوفُهُ على مُلْكِ بَني [138أ] باديسَ إخوانِهم بالمَهْديَةِ لَـمّا أضْرَعَ منهُ الدَّهْرَ بفِتْنةِ العَرَبِ الهلاليّين، حتّى اضْطربَ عليْهم أمرُهم وكثُرَ الثّوّارُ عليْهم والـمُنازِعونَ من أهْلِ دَوْلتِهم، فاعتزَّ

(أ) في د: شطب الاسم، واستبدل في الحاشية بخط المؤلف بما أثبتناه.

---

(1) يعني بالاسم الذي لم يذكره بكاية (بجاية)، قُلبت الكاف فيها جيماً.

آلُ حَمّادٍ هؤلاء أيّامَ النّاصِر هذا وعَظُمَ شأنُ أيّامِهم، فبنَى المبانيَ العَجيبةَ المونِقَةَ وشَيَّدَ المدائنَ العظيمةَ، ورَدَّدَ الغَزْوَ إلى المَغربِ وتوغَّلَ فيه.

ثُمّ هلَكَ سنةَ إحْدى وثمانين، وقام بالأمْرِ من بَعْدِه ابنُه المنصورُ بنُ النّاصِر، ونزَلَ بِجَايَةَ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ وأوْطَنَها بعَساكِرِهِ وخاصّته، بُعْداً عن مَنالِ العَرَبِ وما كانوا يَسُومونَهم بالقَلْعَةِ من خُطّةِ الخَسْف وسُوءِ العَذاب، لوَطْءِ ساحَتِها والعَيْثِ في نَواحيها وتخطُّفِ النّاس من حَوْلِها، لسُهولةِ طُروقِها على رَاوحِلِهِمْ وصُعوبةِ المسالِك عليها في الطّريق إلى بِجَايَةَ لمكانِ الأوْعَار. فاتّخذَ من بِجايَةَ هذه معْقَلاً، وصَيَّرها داراً لمُلْكِهِ وجَدّدَ قُصورَها وشيَّدَ جامِعَها. وكان المنصورُ هذا جَمّاعةً مُولعاً بالبِناء، وهُو الّذي حَضَّرَ مُلْكَ بني حمّادٍ وتأنّقَ في اختطاطِ المباني، وتَشْييدِ المصانِع، واتّخاذِ القُصورِ، وإجرَاءِ المياهِ في الرّياضِ والبَساتين، فبنَى في القَلْعةِ: قصرَ المُلْك، والمنار، والكوكبِ، وقصرَ السّلام، وفي بِجَايَةَ: قَصْرَ اللّؤلؤةِ، وقصْرَ أمْسِيوَنْ(أ).

وكان أخوه بَلْبَارُ على قُسَنطينةَ منذُ عهْدِ النّاصرِ أبيهما، وهَمَّ بالاسْتبدادِ لأوّلِ ولايَةِ المنصور، فسَرَّحَ إليه أبا يَكْني بنَ مُحسن بن القائدِ في العساكِر، وعقَدَ لهُ على قُسَنطينةَ وبُونَة، فتَقَبَّضَ على بَلْبَارَ وأشْخَصَهُ إلى القَلْعة، وأقامَ والياً على قُسَنطينةَ مكانَه، ووَلّى أخاه ويغلان على بُونَة، ثُمّ بدا لهُ في الخِلافِ عَلى المَنصور، وثارَ بقُسَنطينةَ سنة سبع وثمانينَ، وبعثَ

(أ) ظ: مامْسيوَنْ .

أخاه من بُونَةَ إلى تَميمِ بن المُعزِّ بالمَهْدِيّةِ واستَدْعاهُ لولايَةِ بُونَة، فبعَثَ / معَهُ ابنَهُ [أبَا] (أ) الفُتوح بنَ تَميم، ونَزَلَ بُونَةَ معَ ويغلان، وكاتَبوا المُرابِطينَ بالمغْرِبِ الأقْصَى وجَمعوا العَرَبَ على أمْرِهم. [138 ب]

وسرَّحَ المنصورُ عساكِرَهُ لحاصَروا بُونَةَ سبْعةَ أشْهُرٍ، ثُمّ اقْتَحَموها غِلاباً وتقَبَّضوا على أبي الفُتوح بنِ تَميم وبَعَثوا بهِ إلى المَنْصور فاعْتقَلَهُ بالقَلْعة. ثُمّ نازلَتْ عساكِرُ قُسَنْطينةَ واضْطَربَتْ أحوالُ أبي يَكْني، لخرَجَ إلى قلْعةِ جبَل (ب) أوْرَاس وتحصَّنَ بها. وتَرَكَ بقُسَنْطينةَ صُلَيْصَل بنُ الأحْمر من رِجَالاتِ الأثبج، وداخَلَ صُلَيْصَلُ المنصورَ في أن يُمكّنَهُ من قُسَنْطينةَ على مالٍ يَبْذُلُهُ ففعَل، واستَولَى عليها المنصورُ، وأقام بويَكني بحِصْنِه من أوْراس، ورَدَّدَ الغارَةَ على قُسَنْطينةَ، فتوجَّهتْ إليهِ العساكِرُ وحاصَروهُ بقلعتِه، ثُمّ اقتَحَموها عليهِ وقَتَلوهُ.

وكان بَنو ومانو من زَناتَةَ حيّاً جميعاً وقوماً أعِزّةً، وكانتْ إليهم رِئاسةُ زَناتَة، وكان رئيسَهم لعَهْده ماخوخُ، وكان بَيْنَهم وبيْنَ آلِ حمّادٍ صِهْر، فكانتْ إحْدى بَناتِهم زوجةً للنّاصِر، وكانتْ أُخرَى عندَ المنصور. ولمّا تجدَّدَتِ الفِتْنةُ بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْمِها أغْزاهُم المنصورُ بنفْسِه في جُموعِ صِنهاجَةَ وحُشودِهِ، وجَمَعَ لهُ ماخوخُ ولَقِيَهُ في زَناتَة، فانْهزَمَ المَنْصورُ ورجَعَ إلى بِجَايَة فقتَلَ أُخْتَ ماخوخَ الّتي كانتْ تَحتَهُ، واستَحْكَمَتِ النُّفْرَةُ بيْنَ ماخوخَ وبَيْنَهُ، وصار

(أ) من د، وفي ظ: أبو (ب) د: بجبل.

إلى وِلايةِ أُمَراءِ تِلِمْسَانَ من لَمْتونَةَ، وحَرَّضَهم على بلادِ صِنْهاجَة، فكان ذلكَ مِمّا دعَا المنصورَ إلى النُّهوضِ إلى تِلِمْسَان، وذلك أنّ يوسُفَ بنَ تاشفين لمَّا ملَكَ المغربَ واستَفْحَلَ بهِ أمرُهُ، سمَا إلى مُلْكِ تِلِمْسَان، فغلَبَ عليهَا أولادُ يَعْلى سنةَ أربعٍ وسبعِينَ على ما يأتي ذكْرُه، وأنزَلَها محمدُ بنُ تينَعْمَرَ المَسُّوفيّ وصَيَّرَها ثغراً لملكِهِ، فاضْطلَعَ بأمْرِها ونازَلَ بلادَ صِنْهاجةَ وثغورَهم، فزحَفَ إليهِ المنصورُ وأخْربَ ثغورَهُ وحصُونَ ماخوخَ / وضيَّقَ عليه، فبعَثَ إليه يوسُفَ بنَ تاشفين وصالَحَهُ وقبَضَ أيْديَ المُرابِطينَ عن بلادِ صِنْهاجَة. ثُمّ عاوَدَ المُرابطونَ إلى شأْنِهم في بلادِه، فبعَثَ ابنَه الأميرَ عبدَ الله، وسمِعَ بهِ المرابطونَ، فانقَبَضوا عن بلادِه ورَجَعوا إلى مَرّاكُش واحتَلّ هُو بالمغربِ الأوْسَط، فشَنَّ الغارَة في بلادِ بَني ومانو وحاصَرَ الجعباتِ وفتَحها ثُمّ مرات كذلكَ، وعَفَا عن أهلِها ورجَعَ إلى أبيه. ثُمّ وقَعتِ الفِتْنَةُ بيْنَهُ وبَيْنَ ماخوخ، وقتَلَ أُختَهُ ولحِقَ ابنُ ماخوخَ بتِلِمْسَانَ فظاهَرهُ ابنُ تينَعْمَرَ صاحبُ تِلِمْسَانَ على أمْرِهِ، وأجْلَبوا على الجزائِرِ فنازَلوها يومَيْنِ ماتَ عَقِبَها محَمّدُ بن تينَعْمَرْ، ووَلّى يوسُفُ بنُ تاشفين مكانَه أخاه تاشفين بنَ تينَعْمَرَ، فنهَضَ إلى أشيرَ وافتَتَحَها، فقام المنصورُ في ركائِبِه وقعَدَ واستَنْفَرَ كافّةَ صِنْهاجَة ومنَ العرَبِ أحياءَ الأثْبجِ وزُغبَةَ ورَبيعةَ وهُمُ المَعْقِل، ومن زَناتَةَ أُمَماً كثيرةً، ونهَضَ إلى غزْوِ تِلِمْسَانَ سنةَ ستٍّ وتسْعينَ في عشْرينَ ألفاً. ونزَلَ وادي إسْطَفْسِيف وبعَثَ العساكرَ في مقدِّمتِه، وجاءَ على أثرِهم،

وكان تاشفين قد أفرَجَ عن تِلِمْسَانَ وخرَجَ إلى تاشَالة، ولقِيَهُ عساكرُ المنصورِ فهزَموهُ ولجأ إلى جبَلِ الصَخْرة.

وعاثَتْ عساكرُ المنصورِ في تِلِمْسَان، فخرجَتْ إليهِ حوَّاءُ زوجةُ تاشفين أميرِهم مُتَذمِّمةً راغبةً في الإبقاء، متوسِّلةً بوشائجِ الصِنهاجيّة، فأكْبَرَ قصْدَها إليهِ وأكرَمَ مَوْصِلَها وأفرَجَ عنهم صَبيحةَ يَوْمِهِ وانكَفَأَ راجِعاً إلى حَضْرتِه بالقَلْعة. وأثخَنَ بعْدَها في زَناتَةَ وشرَّدَهم بنواحي الزّابِ والمَغْربِ الأوْسَط، ورجَعَ إلى بِجَايَة فأثْخَنَ في نَواحيها، ودَوَّخَتْ عساكرُه قبائِلَها، فساروا في جِبالِها المَنيعةِ مثْلَ: بني عِمْرانَ وبني تازْرُوت والمنصُوريّةِ والصّهريجِ والنّاظور، وحجر المعزّ، وقد كان أسْلافُه يَرومونَ كثيراً منها فتَمْتَنِعُ عليهم، فاستقامَ أمرُه واستَفْحَلَ مُلكهُ.

وقَدِمَ عليه مُعزُّ الدّولةِ بنُ صُمادِحَ / من المَرِيّةِ فارّاً أمامَ المُرابطِينَ [139 ب] لـمّا مَلكوا الأندَلُسَ، فنزَلَ على المنصُورِ وأقْطَعَه تَدَلّس وأنزَلَه بها.

وهلَكَ سنةَ ثمانٍ وتسْعين، فوَلِيَ من بَعْدِهِ ابنُه باديسُ، وكان شديدَ البأسِ عظيمَ السَّطْو، فنكَبَ عبدَ الكريمِ بنَ سُلَيْمانَ وزيرَ أبيهِ لأوّلِ ولايتِه، وخرَجَ من القَلْعةِ إلى بِجَايةَ فنكَبَ شِهاباً عامِلَ بِجَايةَ. وهلَكَ قبْلَ أن يَسْتكمِلَ سنَتَهُ.

ووَلِيَ من بَعْدِهِ أخوه العزيزُ، وَقد كان عزَلَهُ عن الجزائرِ وغَرَّبَهُ إلى جيجِل، فبعَثَ عنهُ القائدَ عليَّ بنَ حَمْدون، فوصَلَ وبايَعوهُ وصالَحَ زَناتَةَ،

وأصْهَرَ إلى ماخوخَ فأنكَحَهُ ابنَتَهُ. وطالَ أمَدُ مُلكِه، وكانَتْ أيّامُهُ هُدْنَةً وأمْناً، وكان العُلَماءُ يتناظَرونَ في مَجْلِسِه. ونازلَتْ أساطيلُهُ جِرْبَةَ وتَزَلوا على حُكْمِه وأخَذوا بطاعَتِه، ونازَلَ تونِسَ وصالَحَه صاحِبُها أحمدُ بنُ عبدِ العزيز وأخَذَ بطاعَتِه. وكبَسَ العَربُ في أيّامِهِ القَلْعَةَ وهُم غارّونَ، فاكْتَسَحوا جميعَ ما وَجَدوهُ بظواهِرِها وعَظُم عَيْثُهم، وقاتَلَهم[1] الحامِيَةُ فغَلَبوهم وأخجَروهم بالبَلَد. ثُمّ ارتَحَلَ العَربُ، وبلغَ الخبرُ إلى العَزيز، فبعثَ ابنه يَحيى وقائدَه عليَّ ابنَ حَمْدونَ من بِجَايَةَ في عَسْكرٍ وتَعبِئَة، فوصَلَ إلى القَلْعةِ وسَكَّنَ الأحوالَ، ووفَدَ أمراءُ العَرَبِ فاسْتَعْتَبوا فأُعْتِبوا، وانكَفأ يَحيى راجِعاً إلى بِجَايَةَ في عسكره.

وعلى عهْدِ العزيز هذا كان وصُولُ مَهْديّ الموحِّدينَ إلى بِجَايَةَ قافِلاً من المَشْرقِ سنةَ ثِنْتَيْ عَشْرةَ، وغيَّرَ بها المُنكرَ فسُعِيَ بهِ عندَ العزيز واثْتُمِرَ به، فخرجَ إلى بَني وَرْيَاكَـلْ من صِنْهاجَة، كانوا ساكنينَ بوادي بِجَايَةَ فأجارُوهُ، ونزَلَ عليهم بمَلاّلَة وأقامَ بها يُدَرِّسُ العلْمَ، وطلَبَهُ العزيزُ فمنَعوهُ وقاتَلوا دُونَه إلى أن رحَلَ عنهم إلى المَغرب.

وهلَكَ العزيزُ سنةَ خمسَ عشْرةَ وأربعِ مائة، فوَلِيَ من بَعْدِه ابنُه يَحْيى،
[140 أ] وطالتْ أيّامُه مستَضْعَفاً مُغَلّباً للنّساء، مُولَعاً بالصّيدِ / على حينِ انقراضِ الدَّوْلَةِ وذهابِ الأيّام بقَبائِل صِنْهاجَة. واستَحْدَثَ السِّكّةَ ولم يُحدِثْها أحَدٌ

(1) كذا والصواب: وقاتلتهم.

من قَوْمِه أدباً مع خُلفائهمُ العُبَيْديِّين. ونقَلَ ابنُ حَمّادٍ[1] وأنّ سِكّته في الدّينارِ كانَتْ ثلاثةُ سُطورٍ ودائرةٌ في كلِّ وَجْه.

فدائرةُ الوَجْهِ الواحِد: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية 281] والسّطورُ: لا إلَهَ إلاّ الله محمّدٌ رسُولُ الله. يَعْتصم بحبْلِ الله يَحْيى بنُ العزيزِ الأميرِ المنصُور.

ودائرةُ الوَجْهِ الآخَر: بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم. ضُرِبَ هذا الدّينارُ بالنّاصِريةِ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ وخَمْسِ مائة، وفي سُطورِهِ: الإمامُ أبو عبدِ الله المُقْتفي لأمْرِ اللهِ أميرُ المؤمنينَ العبّاسيُّ.

ووصَلَ سنةَ ثلاثٍ وأربعين إلى القَلْعَةِ لافتقادِها ونَقْلِ ما بَقِيَ بها.

وانْتَقَضَ عليهِ بتَوْزرَ ابنُ فُزقان، فجَهّزَ إليهِ الفقيهَ مُطرِّفَ بنَ عليّ بن حَمْدونَ في العساكِر، فافتَتَحها عَنْوةً وتَقَبَّضَ على ابنِ فُزقانَ وأوْصَلَهُ إليه، فسَجَنَهُ بالجزائِر إلى أن هلَكَ في مُعْتَقَلِه، وقيلَ: قتلَهُ. وبعَثَ مُطرِّفاً ثانيةً إلى تونِسَ فافتَتَحها ونازَلَ في وِجْهَتِه هذه المَهْدِيَّةَ فامتَنَعتْ عليه ورَجَعَ إلى بِجَايَة. وتغلَّبَ النَّصارى على المهديّة، وقصَدَهُ الحسَنُ صاحبُها فأجازَه إلى الجزائِر وأنزَلَهُ بها معَ أخيهِ القائدِ، حتّى إذا زحَفَ الموحِّدونَ إلى بِجَايَةَ وفرَّ القائِدُ من الجزائِر وأسْلَمَها، قدَّموا الحسَنَ على أنْفُسِهم، ولقِيَ عبدَ المؤمن

(1) لا يوجد في أخبار ملوك بني عبيد، ولعله من كتاب النبذ المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة الّتي لم يصلنا فيما نعلم. وانظر عن هذا النّقد صالح بن قربه: المسكوكات المغربيّة من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد. 567 (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيّة الجزائر 1986.

فأمّنهم وأخرجَ يحيى بنُ العزيز أخاهُ سبُعَ للقاءِ الموحِّدينَ فانهزمَ، وملَكَ الموحِّدونَ بجَايَةَ.

وركِبَ يحيى البحرَ إلى صقِلّيةَ يرومُ الإجازةَ منها إلى بغداد، ثُمّ عدَلَ إلى بُونةَ، فنزَلَ على أخيهِ الحارث، ونَكِرَ عليهِ سُوءَ صَنيعهِ وإفراجَه عن البلاد، فارْتحَلَ عنهُ إلى قُسَنطينةَ فنزَلَ على أخيهِ الحسَن فتخلّى لهُ عن الأمْر. وفي خلالِ ذلك دَخَل الموحِّدونَ القَلْعةَ / عَنوةً وقُتِل جوشنُ بنُ [140ب] العزيز وابنُ الدّحامِس - من الأثبج - معَهُ، وخرّجَتِ القلعةُ، ثُمّ بايعَ يحيى لعبدِ المؤمِن سنةَ سبْع وأربعينَ، ونزَلَ عن قُسَنطينةَ واشتَرَطَ لنَفْسِه، فوَفّى لهُ ونقَلَهُ إلى مَرّاكش فسَكنَها، ثُمّ انتقَلَ إلى سَلا سنةَ ثمانٍ وخمسينَ فسَكنَ قَصْرَ بني عشرةَ إلى أن هلَكَ في سنَتِه.

وأمّا الحارثُ بنُ العزيز صاحبُ بُونةَ، ففَرَّ إلى صقِلّيةَ واستَصْرَخَ صاحِبَها فصارَخَهُ على أمْرِهِ، ورجَعَ إلى بُونةَ ومَلَكَها، ثُمّ غلَبَهُ عليها الموحِّدونَ وقَتَلوهُ صَبْراً. وانقرَضَ مُلْكُ بني حَمّاد. والبقاءُ للهِ وَحْدَه.

ولم يَبْقَ من قَبائل تلكّاتةَ إلاّ أوزاعٌ بوادي بِجايَةَ يَنْتَسِبونَ إليْهِم، وهم لهذا العَهْدِ في عِدادِ الجُنْد، ولهم إقْطاعٌ بنَواحي البَلَدِ على العَسْكرةِ في جُمْلَةِ السّلْطانِ مَعَ قُوّادِه. واللهُ وارِثُ الأرْض ومَن علَيْها.

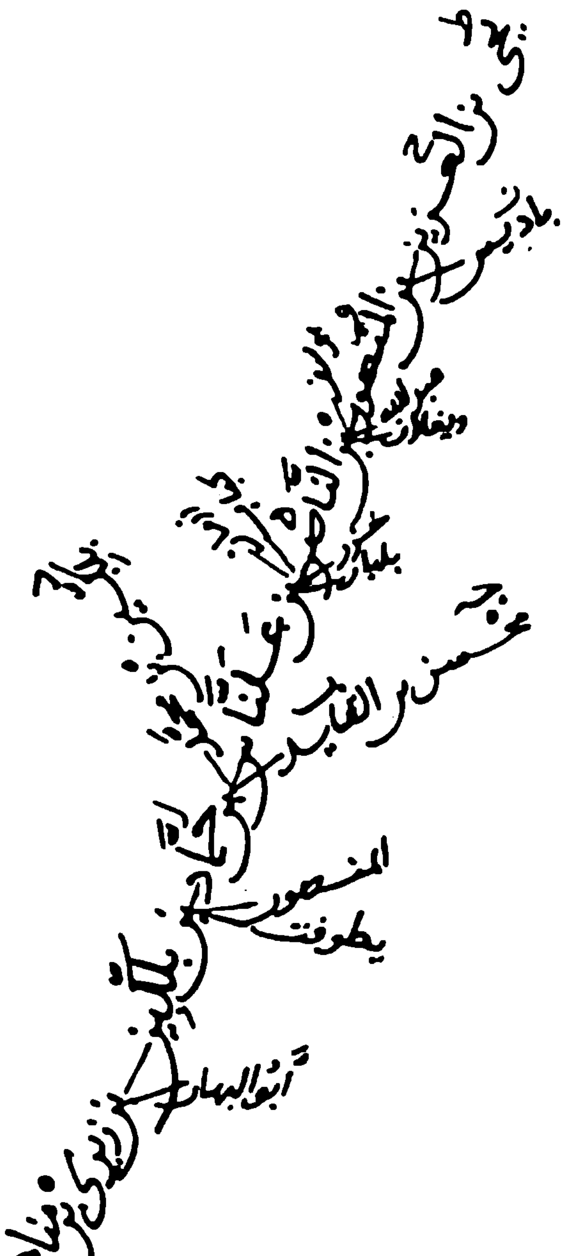

[بنو حمّاد بن بُلُكّين بن زيري بن مناد الصّنهاجيين، ملوك القلعة]

[141 ب] ❁ / الخبرُ عن مُلوكِ بني حبُوس بنِ ماكْسنْ بن زيري من صِنْهاجةَ بِغرْناطة من عُدْوة الأنْدَلُس، وأوّليةِ ذلك ومصائرِه

لمّا استبَدَّ باديسُ بنُ المنصُور [بن] بُلُكِّين[أ] بنِ زيري بن مَناد بِولايةِ إفريقيّةَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وَلّى عُمومَتَهُ وقَرابتَهُ ثُغورَ عَملِه، فأنزَلَ حَمّاداً بأشير، وأخاهُ يطُّوفت بتاهَرْت.

وزَحَفَ زيري بنُ عطيّةَ صاحبُ فاسَ مِن مغراوةَ بدعوةِ المؤيِّدِ هشامِ وخليفةِ قُرطُبةَ إلى عمَلِ صِنْهاجَةَ في جُموعِ زَناتةَ، ونازَلَ تاهَرْت. وسَرَّحَ باديسُ عساكِرَهُ لنَظَرِ محمدِ بنِ أبي العَرب، فالتقَوْا على تاهَرْت وانهزَمَ صِنْهاجَةُ، فزحَفَ باديسُ بنَفْسِهِ للقائهم، وخالَفَ عليه فلْفولُ[ب] بنُ سَعيد بنُ خَزْرون صاحبُ طُبْنَة، ثُمّ أجْفَلَ زيري بنُ عَطيّةَ أمامَهُ ورجَعَ إلى المغرب، فرجَعَ باديسُ إلى القَيْروانِ، وترَكَ عُمومتَهُ أولادَ زيري بأشير معَ حَمّادٍ وأخيهِ يطُّوفت، وهم: زاوي، وجلال، وعَزَم، ومَغْنين فأجْمَعُوا على الخلافِ والخروج على باديسَ سنة [تسعٍ][ج] وثمانينَ، فأسْلَموا حَمّاداً بِرُمَّتِهِ واستَوْلَوْا على جميعِ ما معَهُ.

واتّصَلَ الخبَرَ بأبي البهار بن زيري وهُوَ مَع باديس، فخشِيَهُ على نَفْسِهِ ولَحِقَ بهم، واجتَمعوا في الخلاف. وشُغِلَ باديس عنهُم بحربِ فلْفُولِ بن

(أ) في البيان المغرب 1:247: بن يوسف (ب) البيان: فلفل (ج) متصلة في د، ولا فراغ لنقص والإضافة عن النويري: نهاية الأرب 24: 186.

سَعيدٍ وبِابِنَس مَوْلى الحاكِمِ القادمِ على طرابُلُس مِن قِبَلِه، وانفسَحَ مجالُهم في الفسادِ والعَيْث، ووَصَلوا أيديَهم بفلُولٍ وعاقَدوهُ، ثم رَجَعَ أبو البهار عنهُم إلى باديس فتقبَّلَهُ وصَفَحَ لهُ. ثُم رَجَعُوا إلى حمّادٍ سنةَ إحدى وتسعينَ، ولقِيَهم فهزَمَهم وقَتَلَ ماكسنَ وابنَهُ.

ولَحِقَ زاوي بجبَلِ شَنُوَةَ من ساحِلِ مَلْيانَة، وأجازَ البحرَ إلى الأندَلُس في بَنِيهِ وبني أخيهِ وحاشِيَتِهِ، ونزَلَ على المنصُورِ بنِ أبي عامرٍ صَاحِب الدَّوْلةِ وكافِلِ الخلافةِ الأُمَوِيَة، فأحسَنَ نُزُلَهم / [142 أ] وأكرَمَ وِفادتَهم واصطَنَعَهم لنفْسِهِ واتَّخَذَهم بِطانَةً لدَوْلتِهِ وأوْلياءَ على ما يَرُومُهُ من قَهْرِ الدَّوْلةِ والتغلُّبِ على الخلافة، ونَظَمَهم في طبَقاتِ زَناتَةَ وسائرِ رِجالاتِ البَرْبرِ الذين أدالَ بجُموعِهم من جُنودِ السُّلطانِ وعساكِرِ الأُمَويَةِ وقبائلِ العرَب، فاستَغْلَظَ أمرُ صِنْهاجَةَ بالأندَلُس واستَفْحَلَتْ إمارتُهم، وحَمَلوا دَوْلةَ المنصُورِ بنِ أبي عامرٍ ووَلَدَيْهِ المُظفَّرِ والنّاصِرِ من بعدِهِ على كاهلِهم.

ولمّا انقَرَضَ أمرُهم واضْمَحَلَّتْ دَوْلتُهم ونشَأتِ الفتنةُ بالأندَلُس بيْنَ البَرابرةِ وأهلِها، فكان زاوي كبْشَ تلك الوقائع ومِحَشَّ[1] حروبِها، وتمَرَّسَ بقُرطُبةَ هُوَ وقومُهُ صِنهاجةُ وكافّةُ زَناتَةَ والبَرْبرِ حتى أثْبَتوا قدَمَ خليفتِهِمُ المُستعينِ سُليمانَ بنِ الحَكَمِ بنِ سُليمانَ بن النّاصِرِ الذي أتَوْهُ بِبَيْعتِهِم وأعطَوْهُ على الطّاعةِ صفقتَهم كما ذكَرْناهُ في أخبارِه.

(1) ظ: محس. والمِحَشّ: الشجاع، ومَحَشُّ حرب، أي موقِدٌ لها كأنه آلةٌ لحش نار الحرب.

ثُمَّ اقتَحَموا بهِ قُرطُبةَ عَنْوةً واصطَلَموا نِعمةَ أهلِها وأنزلُوا المَعَرَّاتِ بِذوي الصَّوْنِ منها وبُيوتاتِ السَّتْرِ من خَواصِّها، تحدَّثَ النّاسُ في ذلكَ بأخبار.

وتوصَّلَ زاوي عندَ استباحةِ قُرطُبةَ إلى رأسِ أبيهِ زيري بن مَناد المنصُوبِ بِجُدُراتِ قَصْرِ قُرطُبة، فأزالَهُ وأصارَهُ إلى قومِهِ لِيُدفَنَ في جِذتِه[1].

ثم كان شأنُ بني حَمّودٍ، منَ العَلَويّة، وافترقَ أمرُ البَرابِرة، واضطَرَمتِ الأندَلُس ناراً وامتلأَتْ جَوانبُها فتنةً، وانتَزى الرُّؤساءُ منَ البَرابِرةِ ورِجالاتِ الدَّوْلةِ على النَّواحي والأمْصارِ فَملَكُوها، وتحيَّزَتْ صِنْهاجةُ إلى ناحيةِ إلبيرَةَ، فكانت ضَواحيها لهُم وحصَلَ عليها استيلاؤُهم. وزاوي يومَئذٍ عَميدُ البَرابرة، فنَزَلَ غَرْناطةَ واتَّخَذَها دارًا لِمُلكِهِ ومُعتصَماً لقومِه. ثُمَّ وَقَعَ في نَفْسِهِ سوءُ آثارِ البَرْبرِ بالأندَلُس أيّامَ الفِتنةِ، وحَذِرَ مَغَبَّةَ الفَعْلةِ واستِفاضةَ الدَّوْلة،
[142 ب] فاعتزَمَ على الرِّحلةِ. وأوَى إلى سُلطانِ / قومِهِ بالقَيْروانِ سنةَ عَشْرٍ وأربعِ مائةٍ بعدَ مَغيبِهِ عشرينَ[2] سنةً.

ونزَلَ على المُعِزِّ بنِ باديس، حافِدِ أخيه بُلُكّين، أحْفَلَ ما كانت دَوْلتُهم بإفريقيَّةَ وأترَفَ وأوسَعَ مُلكاً وأوفَرَ عدَداً. فلَقِيَهُ المُعِزُّ بأحسَنِ أحوالِ البُرورِ والتَّجِلّة، وأنزَلَهُ أرفَعَ المنازِلِ منَ الدَّوْلة، وقدَّمَهُ على الأعمامِ والقَرابة، وأسكَنَهُ بِقَصْرِهِ وأبرَزَ الحُرَمَ للقائه. فيقال: إنَّهُ لَقِيَهُ من ذواتِ مَحارِمِهِ ألفُ

(1) الجذة: الجثاء والإزاء. ومعناه: ليُدفَنَ جِثاء جُثمانه، ويرد تاليًا: أنّ رأس أبيهم وُورِيَ مع شِلْوِه بجدثه.

(2) يذكر ابن عذاري أنه اغترب 22 سنة. (البيان المغرب 1:269).

امرأةٍ لا تَحِلُّ له واحدةٌ مِنهُنّ. و وُورِيَ رأسُ أبيهم معَ شِلْوِهِ بِجَدثِهِ[أ]، وكان استَخْلَفَ على عَمَلِهِ ابنَهُ فلان[ب] وكان يَضْطَغِنُ لأهلِ غَرْناطةَ، فانتَفَضُوا عليهِ وبعَثُوا عن حَبُوس ابنِ عَمِّهِ ماكسن بن زيري مكانَهُ ببعضِ حُصُونِ عَمَلِهِ، فبادَرَ إليهم ونَزَل بِغَرْناطة، وبايَعوهُ، واستَجَدَّ بها مُلْكاً. وكان من أعظمِ مُلوكِ الطوائفِ بالأندَلُس إلى أنْ هلَكَ سنةَ تسعٍ وعشرينَ.

ووَلِيَ من بعدِهِ باديسُ بنُ حَبُوس، وتلقَّبَ بالمُظَفَّر، ولم يَزَلْ مُقيماً لدعوةِ الحَمّودِيّينَ أُمراءِ مالَقَةَ بعدَ تخلُّفِهم عن قُرْطُبةَ سائرَ أيّامِه.

وزحَفَ إليهِ زُهَيْرٌ العامِريُّ صاحبُ المَرِيّةِ سنةَ تسع وعِشرينَ، فلقِيَهُ باديسُ بِظاهرِ غَرْناطةَ فهزَمَهُ وقَتَلَهُ، وطالَتْ أيّامُهُ. ومَدَّ ملوكُ الطوائفِ جميعاً أيْدِيَهم إلى مَدَدِهِ، فكان مِمّن استمَدَّهُ: محمدُ بنُ عبدِ الله البِرْزَاليُّ لمّا حاصَرَهُ إسماعيلُ بنُ القاضي بنِ عَبّادٍ بِعساكرِ أبيه، فأمَدَّهُ باديسُ بنفسِهِ وقومِه، وسارَ إلى صريخِهِ مَع ابنِ بَقِنَّةَ قائدِ إدريسَ بنِ حَمّودٍ صاحبِ مالَقَةَ سنةَ إحدى وثلاثينَ، ورَجَعُوا من طريقِهِم، وطَمِعَ إسماعيلُ فيهم، فاتَّبَعَهم ولَحِقَ بِباديسَ في قومِهِ، فاقتَتلوا، وفَرَّ عَسكرُ[هُ] وأسْلَموهُ، فقَتَلَهُ صِنْهاجةُ وحمَلَ رأسَهُ إلى ابنِ حَمّودٍ. وكان القادرُ بنُ ذي النُّونِ صاحبُ طُلَيْطُلَةَ أيضاً يَسْتدفِعُ بهِ وبقومِهِ استطالةَ ابنِ عَبّادٍ وعُدْوانَهُ.

(أ) في ظ: بجدته. وقد تكون ما ذكرناه، أو بجَنَبَه قياسًا على ما تقدم رسمه والتعليق عليه (ب) موقعه فراغ لذكر الاسم، ونقلنا المجهولَ فلانًا من المشجر التالي.

[143 أ] وباديسُ هذا هُوَ الذي مَصَّرَ غَرْناطةَ واختَطَّ / قصَبَتَها وشَيَّدَ قصُورَها وحصَّنَ أسْوارَها، وآثارُهُ في مَبانيها ومَصانِعِها باقِيةٌ لهذا العهد، واستَوْلى على مالَقةَ عندَ انقِراضِ بني حَمّودٍ سنةَ تسعٍ وأربَعينَ وأضافَها إلى عَمَلِه، وَهَلَكَ سنةَ سَبْعٍ وستّينَ وقد ظهَرَ أمرُ المُرابِطينَ بالمغرب واستَفْحَلَ مُلْكُ يوسُف بن تاشفين، فوَلِيَ من بعدِهِ حافِدُهُ عبدُ الله بنُ بُلُكّينَ بنِ باديسَ وتلقَّبَ المُظفَّرَ، وعقَدَ لأخيهِ تَميمٍ على مالَقَة واستقامَ أمرُها إلى أنْ أجازَ يوسُفُ بنُ تاشفين إلى العُدْوَةِ إجازاته المعروفة، كما نَذكُرُ في أخبارِهِ، ونزَلَ بِغَرْناطَة سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ، فتقَبَّضَ على عبدِ الله بنِ بُلُكّين واستَصْفى أموالَهُ وذَخيرتَهُ، وألْحَقَ بهِ أخاهُ تميماً من مالَقةَ، وأشخَصَهُما إلى العُدْوَة، فأنزَلَ عبدَ الله بِأغماتٍ، وتميماً بالسُّوسِ الأقصى، وأقطَعَ لهُما إلى أن هَلكوا في إيالَتِه. ويَزعُمُ بنو التّامسي، من بُيوتاتِ طَنْجةَ لهذا العهدِ، أنّهُم مِن أعقابِهِم. فاضمَحَلَّ مُلْكُ تِلِكّاتةَ من صِنْهاجةَ من إفريقيّةَ والأنْدَلُسِ أجمَعَ، والبقاءُ للهِ وحدَهُ.

[143 ب]

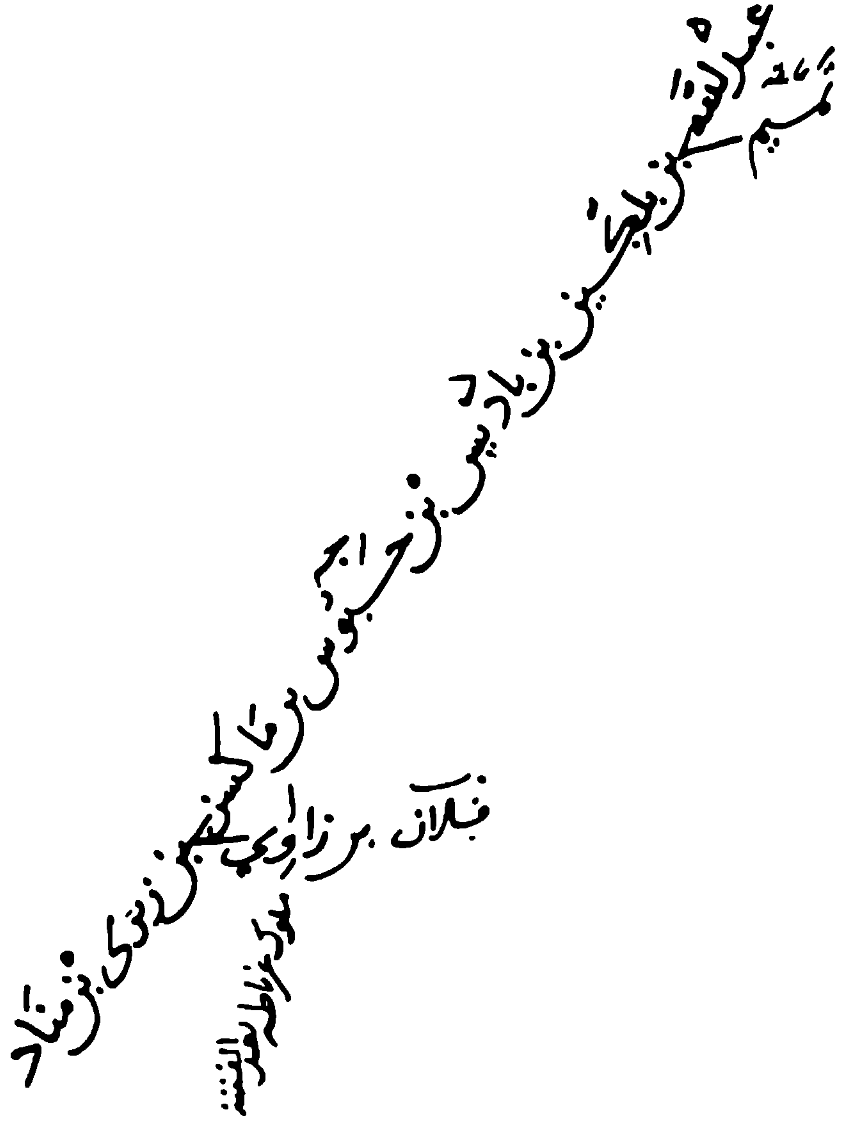

[بنو حَبُوس بن ماكسن بن زيري الصنهاجيين، ملوك غَرْناطة]

[144 ا] ● / الطبقةُ الثانيةُ مِن صِنهاجةَ، وهمُ المُلَثَّمون، وما كان لهُم بالمغربِ مِنَ المُلْكِ والدَّوْلة

هذهِ الطَّبقةُ مِن صِنْهاجةَ همُ المَلَثَّمون، المُوَطِّنُونَ بالقَفْرِ وراءَ الرِّمالِ الصَّحراويّةِ بالجَنوب، أبْعَدُوا في المَجالاتِ هنالكَ منذُ دُهُورٍ قبلَ الفَتْحِ لا يُعرَفُ أوّلُها، فأصْحَرُوا عنِ الأرْياف وحَمِدُوا بها المُرادَ، وهَجَروا التُّلُول وحُبوبَها واعْتاضُوا مِنها بِألْبانِ الأنعامِ ولُحومِها، انتِباذاً عنِ العُمْرانِ واستئناساً بالانفِرادِ وتوحُّشاً بِالعزِّ عن الغَلَبةِ والقَهْر، فتوَلَّوا مِن رِيفِ الحبَشةِ جِوَاراً وصاروا ما بيْنَ بلادِ البَرْبرِ وبلادِ السُّودانِ حِجْزًا، واتَّخَذوا اللِّثام خِطامًا تميَّزُوا بِشِعارِهِ بيْنَ الأُمم، وعَفَوْا في تلك البلادِ وكَثُروا وتعَدَّدَتْ قبائلُهم من كُدالةَ فلَمْتُونةَ فمَسُّوفةَ فوَتْزِيكةَ فتارْكا فزغاوة ثُمّ لَمْطَة إخوةِ صِنهاجَةَ، كلُّهم ما بيْنَ البحرِ المُحيطِ بالمغربِ إلى غدامسَ من قِبْلةِ طرابُلُسَ وبَرْقة.

ولِلَمْتُونةَ فيهم بُطونٌ كثيرةٌ، منهم: بنو ورْتَنْطَق، وبنُو نِيَال، وبنو مُولانَ، وبنو ناسِجة. وكان مَوطِنُهم من الصَّحراء يُعرَفُ كَاكُدَم. وكان دِينُهم جميعاً المَجوسيَّةَ شأنَ بَرابِرةِ المغرب. ولم يزالوا مُستقِرِّين بتلك المَجالاتِ حتى كان إسلامُهم بعدَ فتْحِ الأندلُس.

وكانتِ الرِّئاسةُ فيهم لِلَمْتُونة، واستَوْسَقَ لهُم مُلْكٌ ضَخْمٌ مُذْ دولةِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ معاويةَ الدّاخلِ، توارَثَهُ مُلوكٌ منهم مذكورُونَ، كان مِنهُم: تلاكاكين بنُ وَرَكُوتْ أوراكَبْنْ بنِ ورْتَنْطق جدِّ أبي بكرِ بنِ

عُمَرَ أميرِ لَمتُونةَ في مَبتدَإِ دَوْلتِهم، وطالَتْ أعمارُهم فيه إلى الثّمانينَ ونحوِها، ودَوَّخُوا تلكَ البلادَ الصَّحراويّةَ، وجاهَدوا مَن بِها مِن أُمَمِ السُّودانِ وحَمَلُوهُم على الإسلامِ، فدانَ بهِ كثيرُهم، واتَّقاهُمُ آخَرونَ بالجِزَى فقَبِلُوها مِنهُم.

ومَلَكَ عليهِم بعدَ تلاكَاكِينَ المذكورِ تِيلُوتَانْ. قال ابنُ أبي زَرْعٍ[1]: أوّلُ من مَلَكَ الصَّحراءَ من لَمتُونةَ تيلُوتَانْ، فدَوَّخَ بلادَ الصَّحراءِ واقتَضَى مَغارمَ السّودانِ، وكان يَرْكَبُ / في مائةِ ألفِ نَجِيبٍ، وتوفِّيَ سنةَ [144 ب] ثِنتَيْنِ وعِشرينَ ومائتَيْنِ. ومَلَكَ بعدَهُ يلْتان وقامَ بِأمرِهم، وتوفِّيَ سنةَ سبعٍ وثمانينَ ومائتَيْنِ، وقامَ بِأمرِهم بعدَهُ ابنُهُ تَمِيمٌ إلى سنةِ ستٍّ وثلاثِ مائةٍ، وقتَلَهُ صِنْهاجةُ وافترَقَ أمرُهم. انتهى كلامُ ابنِ أبي زَرْعٍ.

وقال غيرُهُ: كان مِن أشهرِهم تِينَزْوَا بنُ وَاسْنِيقَ بنِ يَزَّارَ، وقيل: يَزْوِيَّانُ ابنِ واسنو بنِ يَزَّارَ، مَلَكَ الصَّحراءَ بِأسْرِها على عهدِ عبدِ الرّحمنِ النّاصرِ وابنِهِ الحَكَمِ المُستنصرِ في المائةِ الرّابعةِ، وفي عَصْرِ عُبيدِ اللهِ وابنه أبي القاسمِ من خُلَفاءِ الشّيعةِ، كان يَرْكَبُ في مائةِ ألفِ نَجِيبٍ، وعَمَلُهُ مَسِيرةُ شهرَيْنِ في مِثْلِها، ودانَ لهُ عِشرونَ مَلِكاً من مُلوكِ السُّودانِ يُعطُونَهُ الجِزَى.

ومَلَكَ مِن بعدِهِ بَنُوهُ. ثُمّ افترَقَ أمرُهم من بعدِ ذلكَ وصَارَ مُلكُهُم طوائفَ ورِئاسَتُهم شِيَعاً. قال ابنُ أبي زرعٍ[1]: افترَقَ أمرُهم بعدَ تَميمِ بنِ يلتَّان مائةً وعشرينَ سنةً إلى أن قامَ فيهم أبو عبدِ اللهِ [محمّد] بنُ تيفَاوت،

(1) الأنيس المطرب 153، وسَماه: يتلوتان بن تكلان الصِّنهاجي اللمتوني، والنقل عن ابن أبي زرع مختصر.

المعروفُ بتارشت[أ]، اللّمْتُونيُّ، فاجتَمَعوا عليهِ وكذَّبُوه، وكان من أهلِ الدِّينِ والصَّلاح، وحَجَّ، وهلَكَ لثلاثةِ أعوامٍ مِن رِئاسَتِهِ في بعضِ غَزَواتِه، وقام بأمرِهم صِهرُهُ يحيى بنُ إبراهيمَ الكُدَالي[2]، وبعدَهُ يحيى بنُ عُمَرَ بنِ تلاكَاكين. انتهى كلامُه.

وكان لهذهِ الطَّبقةِ مُلْكٌ ضَخمٌ بالمغربِ والأندَلُسِ أولاً، وبإفريقيَّةَ بعدَهُ، نَذكرُهُ الآنَ على نَسَقِه.

(أ) الأنيس: بتارشتا.

---

(1) الأنيس المطرب 153.

(2) المصدر نفسه 154، انظر أخبار دولته وقيامه بأمر صنهاجة.

● الخَبَرُ عن دولةِ المُرابطينَ من لَمْتُونَة وما كان لهم بالعُدْوتين من المُلْكِ، وأوليَّةِ ذلك ومصائرِهِ

كان هؤلاءِ المُلَثَّمونَ في صَحارِيهم كما قُلناهُ، وكانوا على دِينِ المَجُوسيَّةِ، إلى أنْ ظهَرَ فيهِمُ الإسلامُ لعهدِ المائةِ الثالثةِ كما ذكَرْنا، وجاهَدوا جِيرانَهم منَ السُّودانِ عليه فدانُوا لهُم، واستَوْسَقَ لهُمُ المُلْكُ ثُمَّ افترَقوا.

وكان رئاسَةُ كلِّ بطنٍ مِنهم في بيتٍ مخصُوصٍ، فكانتْ رِئاسَةُ لَمْتُونةَ في بَني وَرْتانَطَق[أ] بنِ منصُورِ بن مَصالة بنِ منصُورِ بنِ مَصالة بنِ أمَيتْ بن وَاتْمالْ بن تلميت، وهُوَ لَمْتُونة

/ ولمَّا أفْضَتِ الرِّئاسَةُ إلى يحيى بنِ إبراهيمَ الكُدالي، وكان لهُ صِهْرٌ [145 أ] في بَني وَرْتانطَق هؤلاءِ، وتظاهَروا على أمرِهم، وخرَجَ يحيى بنُ إبراهيمَ لقضاءِ فَرْضِهِ في رُؤساءَ مِن قَوْمِهِ في سِني أربَعينَ وأربعِ مائةٍ، فلَقُوا في مُنصَرَفِهم بالقَيْروانِ شيخَ المَذهبِ المالكيِّ أبا عِمْرانَ الفاسيَّ[1]، واغتَنَموا ما مُتِّعوا بهِ من هَدْيِهِ وما شَفَاهُم بهِ في فروضِ أعيانِهم من فتاويهِ، وسألَهُ الأميرُ يحيى أن يَصْحَبَهم مِن تلميذِهِ من يَرجِعُونَ إليهِ في نَوازِلِهم وقَضايا دِينِهم،

(أ) في حاشية د: ويقال ورنيطن. وتقدم الاسم: وزنتطق

(1) هو موسى بن عيسى بن أبي حاج ولادته بفاس سنة 365 هـ ووفاته بالقيروان في رمضان 430 هـ، انظر التادلي: التشوف إلى رجال التصوف 87، القاضي عياض: ترتيب المدارك1: 29، 7: 243- جذوة الاقتباس 1: 344.

فندَبَ تِلميذَهُ إلى ذلكَ حِرْصاً على إيصالِ الخَيْرِ إليهم لِمَا رأى مِن رَغْبَتِهِم فيه، فاستَوْعَروا مَسْغَبةً بلادِهِم، وكَتَبَ لهمُ الفَقيهُ أبو عِمْرانَ إلى الفقيهِ وَاكّاك بنِ زلّو اللّمطيّ[1] بِسِجِلْماسَةَ منَ الآخذِينَ عنهُ، وعهِدَ إليهِ أن يَلتمِسَ لهُم مَن يَثِقُ بِدينِه وفِقْهِه، ويُرَوِّضُ نَفْسَهُ على مَسْغَبَةِ أرضِهِم في مَعاشِه، فبَعثَ معَهم عبدَ الله بنَ ياسين[2] بن مكّو الجزوليّ. ورَحَلَ معَهم يُعلِّمُهُم القرآنَ ويُقيمُ لهمُ الدِّين.

ثمَّ هَلَكَ يحيى بنُ إبراهيم، وافترَقَ أمرُهُم واطَّرَحُوا عبدَ اللهِ بنَ ياسين واستَصْعَبوا(أ) عليه وترَكوا الأخْذَ عنهُ لِمَا تجشَّموا فيهِ مِن مَشاقِّ التَّكليف، فأعرَضَ عنهُم وترَهَّبَ، ونَسَكَ معَهُ يحيى بنُ عُمَرَ بنِ تلاكّاكين من رُؤساءِ لَمْتُونةَ، وأخوهُ أبو بكرٍ، وانتَبَذوا عنِ النّاس في رُبىً يُحيطُ بها بحرُ النّيلِ من جِهاتِها، ضَحْضَاحاً في الصَّيْفِ وغَمْراً في الشِّتاء، فتعودُ جُزُراً مُنقطِعَةً. فدَخَلوا في غِيَاضِها مُنفرِدينَ للعبادة. وتسامَعَ بهِم مَن في قلبِه مِثْقالُ حَبّةٍ من خَيْر، فتسايَلُوا إليهِم ودَخَلوا في دِينِهِم وتَحَنُّثِهِم.

ولمّا كَمُلَ معَهم ألفٌ مِن رِجَالاتِ لَمْتُونةَ، قال لهُم شيخُهم عبدُ الله بنُ ياسين: إنّ ألفاً لن تُغلَبَ مِن قِلّة، وقد تعيَّنَ علينا القِيامُ بالحقِّ والدُّعاءُ إليه

(أ) كذا على التحقيق في ظ د ص. قريبة من معنى: استَوْعَروا المتقدمة، وقد تكون هنا بمعنى: فاستعصَوْا عليه.

---

(1) من أهل السوس، أخذ بالقيروان عن أبي عمران الفاسي ثم عاد، وبنى دار المرابطين لطلبة العلم، وفاته نحو سنة 445 هـ. انظر التشوف 89 والحاشية (24).

(2) سماه ابن أبي زرع: مهدي المرابطين. الأنيس المطرب 156، البيذق: أخبار المهدي.

وحَمْلُ الكافَةِ عليه، فاخرُجوا بِنا لذلك، فخرَجُوا وقاتَلوا مَنِ استَعْصَى عليهِم من قبائلِ لَمْتُونةَ وكُدالةَ ومسُّوفةَ حتى أنابوا إلى الحقِّ واستقاموا على الطَّريقة، وأذِنَ لهُم في أخذِ الصَّدَقاتِ من أموالِ المسلمينَ وسَمَّاهُمْ / بالمُرابِطِينَ، [145 ب] وجعَلَ أمرَهم في الحَرْبِ إلى الأميرِ يحيى بنِ عُمَر، فتَخطَّوا الرِّمالَ الصَّحراويَّةَ إلى بلادِ دَرْعةَ وسِجِلْماسَةَ، فأعْطَوْهم صَدَقاتِهم وانقَلبوا.

ثُمّ كتَبَ إليهم وَاكَّاكُ اللَّمطيُّ بما نالَ المسلمينَ فيما إليهِ من العَسْفِ والجَوْرِ مِن بَني وانُّودين أُمَراءِ سِجِلْماسَةَ من مغراوةَ، وحرَّضَهم على تغييرِ أمرِهم، فخَرجوا منَ الصَّحراءِ سنةَ خمسٍ وأربعينَ وأربعِ مائةٍ في عددٍ ضَخْمٍ رُكْبَاناً على المَهاري أكثَرُهم، وعمَدُوا إلى دَرْعة، لإبِلٍ كانتْ بالحِمى هنالكَ، وكانتْ تُناهِزُ خمسينَ ألفاً أو نحوَها.

ونهَضَ إليهِم مَسْعودُ بنُ وانُّودين أميرُ مغراوةَ وصاحبُ سِجِلْماسَةَ ودَرْعةَ لمُدافعتِهم عنها وعن بلادِهِ، فتواقَعُوا وانهزَمَ ابنُ وانُّودين وقُتِلَ واستُلحِمَ عَسكرُهُ، ونفَّلَهمُ اللهُ أموالَهم وأسلحتَهم ودوابَّهم وإبلَ الحِمَى التي كانتْ ببلدِ دَرْعة. وقَصدوا سِجِلْماسَةَ، فدَخَلُوها غِلاباً وقتَلُوا مَن كان بها من فَلِّ مَغراوَة، وأصْلَحوا من أحوالِها وغيَّروا المُنكراتِ وأسقَطُوا المَغارِمَ والمكوسَ واقتَضَوا الصَّدَقاتِ واستعمَلُوا عليها مِنهم وعادوا إلى صَحرائهم.

فهلَكَ يحيى بنُ عُمَرَ سنةَ سَبْعٍ وأربَعينَ، وقَدَّمَ [الفَقيهُ عبد الله بن ياسين][(1)] مكانَهُ أخاهُ أبا بكرٍ. ونَدَبَ المُرابِطينَ إلى فَتْحِ المغربِ، فغَزَا بلادَ السُّوس سنةَ ثمانٍ وأربَعينَ، وافتَتَحَ مَاسَّةَ وتارَوْدانْت وجميعَ مَعاقلِه، ثُمّ افتَتَحَ مدينةَ أَغْماتٍ سنةَ تسعٍ وأربَعينَ، وفرَّ أميرُها لقُوطُ بنُ يوسُفَ بنِ عليٍّ المغراويُّ إلى تَادْلاَ واستضافَ إلى بني يَفْرَن بها.

ثُمّ افتَتَحَ المُرابِطونَ بلادَ المَصَامِدةِ بجِبالِ دَرَنْ وجاسُوا خِلالَها سنةَ خمسينَ.

ثُمّ أغْزَوْا تَادْلاَ فاستباحُوها، واستَلْحَموا بني يَفْرَن ملوكَها، وقُتِلَ معَهم لقُوطُ بنُ يوسُفَ المغراويُّ صاحبُ أغْمات. وتزوَّجَ[(2)] أميرُهم أبو بكر بنُ عُمر امرأتَهُ زَيْنَبَ بنتَ إسحاقَ النَّفْزاويّةَ وكانتْ مشهورةً بِالجَمالِ والرِّئاسة، وكانت قبْلَ لقُوطِ عندَ يوسُفَ بنِ عليّ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ وَاطَّاس، وكان شَيْخاً / [146أ] على وريكة وهَزرجة وهيلانة في دَوْلةِ إيمَغَارَنْ في بلادِ المَصامِدة، وهمُ الشُّيوخ. وتغلَّبَ بنو يَفْرَن على وريكة، ومَلَكوا أغْمات، فتَزَوَّجَ لقُوطُ زينبَ هذه، ثم تزوَّجَها بعدَهُ أبو بكرٍ بنُ عَمَرَ[(أ)] كما ذكَرْنا.

(أ) د: عُمَر.

---

(1) استكمالاً من الأنيس المطرب 162، وفيه: أن ذلك كان في شهر المحرّم سنة ثمانٍ وأربعين وأربع مائة.

(2) الأنيس المطرب 1:170.

ثُمَّ دَعَا المُرابطِينَ إلى جهادِ بَرْغُواطَةَ الذين كانوا بتامَسْنا وأنْفا[1] وجماتِ الرِّيفِ الغَرْبِيِّ فكانت لهم فيهم وقائعُ وأيامٌ، واستُشهِدَ عبدُ الله بنُ ياسين في بعضِها سنةَ خمسِينَ، وقدَّمَ المُرابِطون بعدَهُ سُليمانَ بنَ عَدُّو ليرجعوا إليه في قضايا دِينِهم.

واستمرَّ أبو بكرِ بنُ عُمَرَ في إمارةِ قومِهِ على جهادِهم حتى استأصَلَ شأفتَهم ومَحَى أثَرَ دعوتِهم منَ المغرب. وهلَكَ في جهادِهم سُليمانُ بنُ عَدُّو سنةَ إحدى وخَمْسينَ لسنةٍ من وفاةِ عبدِ الله بنِ ياسين.

ثُمَّ نازَلَ أبو بكرٍ مدينةَ لواتةَ واقتحَمَها عَنوةً، وقتَلَ مَن كان بها مِن زَنَاتةَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وخمسينَ.

وبلَغَهُ وهُوَ لم يَستتِمَّ فتحَ المغربِ بعدُ، ما وَقَعَ من الخلافِ بيْنَ لَمْتُونَة ومسُوفةَ ببلادِ الصَّحراءِ، حيثُ أَصْلُ أعْيَاصِهم ووشائجُ أعْراقِهم ومَنيعُ[ا] مَدَدِهم، فخَشِيَ افتراقَ الكلِمةِ وانقطاعَ الوَصِيلة، وتَلَافى أمرَهُ بالرِّحلةِ. وأكَّدَ ذلِكَ زَحْفُ بُلُكّينَ بنِ محمدِ بنِ حَمَّادٍ، صَاحبِ القَلْعةِ، إلى المغربِ سنةَ ثلاثٍ وخَمْسينَ لِقتالِهم، فارتَحَلَ أبو بكرٍ إلى الصَّحراء، واستعمَلَ على المغربِ ابنَ عمِّه يوسُفَ بنَ تاشفين، ونزَلَ لهُ عن زوجِهِ زينَبَ بنتِ إسحاقَ. ولَحِقَ

(ا) يمكن أن تقرأ في ص: مَنْبَع.

(1) ضبطت في د. في الصفحة [166ب]: آنْفَى. واعتمدنا رسم كتاب التشوف 166 وبنطق الفاء فيها مرققا. انظر الحاشية فيه رقم 308. وموقعها إلى جانب مدينة الدار البيضاء الحالية، وانظر الأنيس المطرب 517.

بِقَوْمِه، ورَقَعَ ما كان بينَهم مِن خَرْقِ الفتنة، وفَتَحَ باباً مِن جِهادِ السُّودانِ حتّى استَوْلَى على نحوِ تِسعينَ مرحلةً من بلادِهم.

وأقامَ يوسُفُ بنُ تاشفينَ بأطرافِ المغرِب، ونَزَلَ بُلُكّينُ صاحبُ القَلْعةِ فاسَ وأخَذَ رَهْنَها على الطّاعةِ وانكفأَ راجِعاً، فحينَئذٍ سارَ يوسُفُ بنُ تاشفين في عَسْكرِه منَ المُرابِطينَ ودوّخَ أقطارَ المغرِب. ثُمَّ رَجَعَ أبو بكرٍ إلى
[146 ب] المغرِبِ، فوَجَدَ يوسُفَ بنَ تاشفين قدِ استبَدَّ عليه. وأشارَتْ / عليهِ زَيْنبُ أن يُريَهُ الاستبدادَ في أحوالِه، وأن يُعِدَّ له مَتاعَ الصَّحْراءِ وماعُونَها، ففَطِنَ لذلك الأميرُ أبو بَكْرٍ وتجافى عنِ المُنازَعةِ وسَلَّمَ لهُ الأمرَ ورَجَعَ إلى أرضِه فهلَكَ لِمَرْجِعِهِ سنةَ ثمانينَ وأربعِ مائة.

واختَطَّ يوسُفُ مدينةَ مَرّاكُش سنةَ أربعٍ وخمسينَ، ونَزَلَها بالخِيَام، وأدارَ سُورَها على مسجدِ الصَّلاة وقَصَبةٍ صَغيرةٍ لاختزانِ أموالِه وسِلاحِه. وكَمَّلَ تشييدَها وأسوارَها عليٌّ ابنُهُ من بعدِهِ سنةَ ستٍّ وعِشرينَ وخمسِ مائة. وجَعَلَ يوسُفُ مدينةَ مَرّاكُش لِنُزُلِهِ بالمُعسكَر، ولِيتمَرّس بقبائلِ المَصامِدةِ المُطِيفةِ مَواطنُهم بها في جِبالِ دَرَنْ، فلم يكُنْ في قبائلِ المغرب إذّاكَ أشدُّ مِنهم قوّةً ولا أكثرَ جَمْعاً.

ثُمَّ صَرَفَ عَزْمَهُ(1) إلى مُطالَبةِ مَغراوةَ وبني يَفْرَن وقبائلِ زَناتةَ بالمغرِب، وجَذْبِ الحَبْلِ من أيديهم، وكَشْفِ ما نزَلَ بالرَّعايا مِن جَوْرِهم وعَسْفِهم، فقد كانوا

(1) في ظ: همة عزمه. وأصل هذا نسخة د، فقد جاء في متنها: صرف همّه إلى...، ثم وضع على لفظة همّه علامة الالغاء ومثلها في الحاشية لفظة عَزْمَه، فجمع الناسخ بين اللفظين توهمًا. وسَلِم من ذلك ابن الفخار ناسخ النسخة ص.

مِن ذلك على ثَبَج[1]، حَدَّث المُؤرِّخونَ في أخبارِ مدينةِ فاسَ ودَوْلتِهم فيها بكثيرٍ مِنهُ.

فنازَلَ أولاً قَلْعةَ فَازاز وبها مَهْدي[2] بنُ تَوَالا من بني يَحْفش. قال صاحبُ نَظْمِ الجَوْهر: وهُم بَطنٌ مِن زَناتَة، وكان أبوهُ تَوَالاَ صاحبَ تلكَ القَلْعةِ، ووَلِيَها هُوَ مِن بعدِهِ. فنازَلَهُ يوسُفُ بنُ تاشفين. ثُمّ اسْتَجاشَ بهِ على فاسَ مَهْدي بنُ يوسُفَ الكزناتيّ[3] صاحِبُ مِكْناسَةَ بما كان عدُوّاً لمُعَنْصَر المغراويّ صاحبِ فاسَ، فزَحفَ في عسَاكرِ المُرابِطينَ إلى فاسَ، وجَمَعَ لهُ مُعَنْصَر، ففَضَّ جُموعَهُ، وارتَحَلَ يوسُفُ إلى فاسَ وتقَرَّى مَنازِلَها وافتَتَحَ جميعَ الحُصُونِ المُحيطةِ بها، وأقامَ عليها أياماً قلائلَ، وظَفِرَ بعامِلِها بكّارِ بنِ إبراهيمَ فقتَلَه. ثُمّ نهَضَ إلى صُفْرُويْ فافتتَحَها وقتَلَ مَن كان بها من أولادِ وانُودين المَغراويّ. ورَجَعَ إلى فاسَ فافتَتَحَها صُلْحاً سنةَ خمسٍ وخمسينَ. ثُمّ خرَجَ إلى غُمارةَ ونازَلَهم، وفتَحَ كثيراً مِن / بلادِهم. وأشرَفَ على طَنجةَ وبها سكّوت البرغُواطيّ الحاجبُ صاحِبُ سَبْتَةَ وبَقيّةُ الأُمراءِ مِن مَوالي الدَّوْلةِ الحَمّوديّة وأهلِ دعوتِها. [147 أ]

ثُمّ رَجَعَ إلى مُنازَلةِ قَلْعة فَازاز، وخالَفَهُ مُعَنْصَر إلى فاسَ فاستَوْلَى عليها وقتَلَ عامِلَهُ بها. واستَدْعَى يوسُفُ بنُ تاشفين مَهْدي بنَ يوسُفَ صاحِبَ

(1) أي على معظم وأقصى ما يصل إليه الجورُ والعَسْف.

(2) في الأنيس المطرب15: المهدي بن كلاتو بن توالي. وفي مفاخر البربر لمجهول: مَهدي بن توالي اليجفشي. (ثلاثة نصوص عربيّة عن البربر، ص 193).

(3) انظر الأنيس المطرب 177 ورَسْمها: الجزناني.

مِكْناسةَ لِيستَجيشَ بهِ على فاس، فاستَعرضَهُ مُعَنصَر في طريقهِ قبْلَ أن تتَصِلَ أيديهِما وناجَزَهُ الحرْبَ ففَضَّ جُموعَهُ وقتَلَهُ وبَعَثَ برأسِهِ إلى وَليِّهِ ومُساهِمِهِ في شِدّتِهِ الحاجبِ سكّوت البرْغُواطي.

واستَصْرَخَ أهلُ مِكْناسَةَ بالأميرِ يوسُفَ بنِ تاشفين، فسَرَّحَ عَساكرَ لَمْتُونةَ إلى حِصارِ فاسَ، فأخَذُوا بِمُخَنَّقِها وقَطَعوا المَرافق عنها وألَحُّوا بالقتالِ عليها، فَمَسَّهمُ الجَهْدُ، وبرَزَ مُعنصَرُ إلى مُناجَزةِ عدُوِّهِ لإحدى الرّاحتَيْنِ، فكانتِ الدَّبْرَةُ[1] عليهِ وهلَكَ.

واجتمَعَ زَناتةُ من بعدِهِ على القاسمِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرَّحمن، مِن وُلْدِ موسى ابنِ أبي العافِيةِ، كانوا مُلوكاً بِتازَى وتَسُول، فزَحَفُوا إلى عَساكرِ المُرابِطينَ والتقَوْا بِوادي صيفير، فكان الظُّهورُ لِزَناتة، واستَلْحَمَ كثيرٌ مِنَ المُرابِطين.

واتَّصَلَ خبَرُهم بيوسُفَ بنِ تاشفينَ وهُوَ مُحاصِرٌ لقَلْعةِ مَهْدي، من بلادِ فَازاز، فارتَحَلَ سنَةَ ستٍّ وخَمْسينَ وترَكَ عليها عَسْكراً من المُرابِطينَ، وصار ينتقلُ في بلادِ المغرِب، فافتَتَحَ بني مراسَن ثُمّ فَنْدلاوة ثُمّ بلادَ ورْغَة سنةَ ثمانٍ وخمسين، ثُمّ افتَتَحَ بلادَ غُمارةَ سنةَ ستِّين.

وفي سنةِ اثنتَيْنِ وستّينَ نازَلَ فاسَ، فحاصَرَها مُدّةً ثُمّ افتَتَحَها عَنوةً، وقتَلَ بها زُهاءَ ثلاثةِ آلافٍ مِن مَغْراوةَ وبني يَفْرَن ومِكْناسَةَ وقبائلِ زَناتةَ،

(أ) ص: الدائرة.

حتى أعْوَزَتْ مُواراتُهم فُرادى فاتُّخِذَتْ لهمُ الأخاديدُ وقُبِروا جماعاتٍ، وخلَصَ مَن نَجَا مِنهُم منَ القتْلِ إلى بلادِ تِلِمْسان. وأمَرَ بِهَدْمِ الأسوارِ التي كانتْ فاصِلةً بيْنَ / [147 ب] القَرَوِيّينَ والأندَلُسيّينَ من عُدْوَتَيْها، وصَيَّرَهُما مِصْراً واحداً، وأدار عليها الأسوارَ. وحَمَل أهلَها على الاستكثارِ منَ المساجد، ورَتَّبَ بِناءَها.

وارتحلَ سنةَ ثلاثٍ وستّينَ إلى وادي مَلْوِيَةَ[1] فافتتَحَ بِلادَها وحصُونَ وطاط[2] من نواحيها. ثُمّ نهَضَ سنةَ خمسٍ وستّينَ إلى مدينةِ الدّمنةِ فافتتَحَها عَنوةً. ثُمّ افتتَحَ حِصْنَ عَلُوذانَ[أ]، من حصُونِ غُمارَة. ثُمّ نهَضَ سنةَ سَبْعٍ وستّينَ إلى جِبالِ غيّاثةَ وبَني مكُود من أحْوازِ تازَى، فافتَتَحَها ودوَّخَها. ثُمّ قَسَمَ المغربَ عِمّالاتٍ على بَنيهِ وأُمَراءِ قومِهِ وذَويه.

ثُمّ استدْعاهُ المُعتمِدُ بنُ عَبّادٍ إلى الجهادِ، فاعتذَرَ لهُ بِمكانِ الحاجبِ سكّوت البرغواطيّ وقومِهِ من أولياءِ الدّوْلةِ الحَمّوديّةِ بِسَبْتة، فأعادَ إليهِ ابنُ عَبّادٍ الرُّسُلَ بالمُشايَعةِ عليهِم، فجَهَّزَ إليهم قائدَهُ صالحَ بنَ عِمْرانَ في عَساكرِ لَمْتُونة، فلقِيَهُ سكّوت الحاجبُ بِظاهرِ طَنْجةَ في قومِهِ ومعَهُ ابنُهُ ضِياءُ الدّولة، فانكشَفَ وقُتِلَ الحاجبُ سكّوت، ولَحِقَ ابنُهُ العزيزُ ضِياءُ الدّوْلة بِسَبْتة، وكَتَبَ صالحُ بنُ عِمْرانَ بالفَتْحِ إلى يوسُفَ بنِ تاشفين.

(أ) كذا ضبطت في د. وفي ص: علودان.

(1) الأنيس المطرب 200 (ح:299).

(2) المصدر نفسه 179.

ثم أغْزَى الأميرُ يوسُفُ بنُ تاشفين إلى المغربِ الأوسَطِ سنةَ ثِنْتَيْنِ وسَبْعينَ قائدَهُ مَزْدَلي بنَ تِيلَنكان بنِ محمدِ بنِ محمدِ بن وَرْكُوت، مِن عشيرِهِ، في عَساكرٍ لمَئُونَةِ لمحارَبةِ مغراوةَ مُلوكِ تِلِمْسَانَ، وبها يومَئذٍ الأميرُ العبّاسُ بنُ بختي، مِن وُلْدِ يَعْلى بنِ محمدِ بنِ الخَيْرِ بنِ محمدِ بن خزَر، فدَوَّخوا المغربَ الأوسَطَ وساروا في بلادِ زَناتةَ، وظَفِروا بِمَعْلَى ابنِ الأميرِ العبّاس فقَتلُوهُ وانكَفَأُوا راجعِينَ مِن غَزَاتِهم.

ثُم نَهَضَ يوسُفُ بنُ تاشفين سنةَ ثلاثٍ بعدَها إلى الرِّيف وافتَتَحَ كرسيف ومَلِيلَةَ وسائرَ بلادِ الرِّيف، وخرَّبَ مدينةَ نكُورَ(1) فلم تَعمَرْ بعدُ.

ثُم نهَضَ في عَساكرِ المُرابطينَ إلى بلادِ المغربِ الأوسَط، فافتَتَحَ مدينةَ وَجْدةَ وبلادَ بني يَزْناسَن. ثُمّ افتَتَحَ مدينةَ تِلِمْسَانَ واستَلْحَمَ مَن

[148أ] كان بِها من مغراوة وقتَلَ العبّاسَ بنَ بَخْتي / أميرَ تِلِمْسَانَ، وأنزَلَ محمدَ ابنَ تينَعمَرَ المسُوفي بها في عَسْكرٍ منَ المُرابِطينَ، فصارَتْ ثَغرًا لِمُلْكِهِ ونُزُلاً لِعَساكرِه، واختَطَّ بها مدينةَ تاكرارت بمكانِ مَحَلّتِه، وهُوَ اسمُ المَحَلّةِ بلسانِ البَرْبر. ثُم افتَتَحَ مدينةَ تَنَس ووَهْران وجبَلَ وانْشَريس إلى الجزائر(أ). وانكفَأَ راجِعاً إلى المغرِب، فاحتَلَّ مَرّاكُش سنةَ خمسٍ وسَبْعين، ولم يزَلْ محمدُ بنُ تينَعمَرَ والياً بتِلِمْسَانَ إلى أن هلَكَ، ووَلِيَ بعدَهُ أخوهُ تاشفين.

(أ) ظ. بإهمال الزاي.

---

(1) انظر بعض أخبار مدينة نكور وأمرائها في البيان المغرب 1: 176.

ثُم إنّ الطّاغيةَ تكالَبَ على بلادِ المسلمينَ وراءَ البَحْرِ وانتَهزَ الفُرصَةَ فيها بما كان منَ الفُرْقةِ بيْنَ مُلوكِ الطوائف، فحاصَرَ طُلَيْطُلةَ وبها القادرُ يحيى ابنُ ذي النّون، حتّى نالَهُمُ الجَهْدُ، وتسَلَّمَها مِنهُ صُلْحاً سنةَ ثمانٍ وسَبْعين على أن يُمَلِّكَهُ بَلَنْسِيَةَ، فبعَثَ معَهُ عَسْكراً منَ النّصْرانيّة، فدَخَلَ بَلَنْسِيَةَ، وتملَّكَها على حينِ مَهْلِكِ صاحبِها أبي بكرِ بنِ عبدِ الرّحمن بيْنَ يدَيْ حصارِ طُلَيْطُلة.

وسار الطّاغيةُ في بلادِ الأندَلُس حتى وقَفَ بفُرْضَةِ المَجَاز من طريف. وأعْيَا أمرُهُ أهلَ الأندَلُس، واقتَضَى مِنهمُ الجِزَى فأعطَوْها. ثم نازَلَ سَرَقُسْطةَ وضيَّقَ على ابنِ هُودٍ بها، وطَالَ مُقامُهُ عليها، وامتَدَّ أمَلُهُ إلى تملُّكِها، فخاطَبَ المُعتَمِدُ بنُ عَبّادٍ أميرَ المسلمينَ يوسُفَ بنَ تاشفين مُتَنجِّزاً وَعْدَهُ في صريخِ الإسلام بِالعُدْوةِ وجهادِ الطّاغية، وكاتَبَهُ أهلُ الأندَلُس كافّةً من العلماءِ والخاصّة، فاهتَزَّ إلى الجهاد، وبَعَثَ ابنَهُ المُعِزَّ في عَساكرِ المُرابِطينَ إلى سَبْتَةَ فُرْضَةِ المَجَاز، فنازَلَها بَرّاً، وأحاطَتْ بها أساطيلُ ابنِ عَبّادٍ بَحْراً، فاقتَحَمُوها عَنوةً في رَبيعِ الآخِرِ سنةَ ستٍّ وسَبْعين. وتُقُبِّضَ على ضِياءِ الدّوْلة وَقِيدَ إلى المُعِزِّ فقتَلَهُ صَبْراً، وكتَبَ إلى أبيهِ بالفَتْح.

ثُم أجازَ ابنُ عبّادٍ البحرَ صَرِيخاً بهِ وبالمُرابِطينَ، ولقِيَهُ بفاس مُستَنْفِراً للجِهاد، وأنزَلَ لهُ ابنَهُ الرّاضيَ عنِ الجزيرةِ الخَضْراء لتكونَ رِكاباً لجهادِهِ، فأجازَ البحرَ في عَساكرِ المُرابِطينَ وقبائلِ المغرِب، ونزَلَ الجزيرةَ / سنةَ تسعٍ [148 ب] وثمانينَ وأربعِ مائة. ولقِيَهُ المُعتمِدُ بنُ عبّادٍ وابنُ الأفْطَس صاحبُ بطَلْيَوْس.

وجمَعَ ابنُ أذْفُونْش[1] ملِكُ الجَلالِقةِ أُمَمَ النّصْرانيّةِ بقشتالّةَ، ولقيَ المُرابِطينَ بالزّلّاقةِ من نَواحي بَطَلْيَوْس، فكان للمسلمينَ عليهِ اليومُ المشهورُ سنةَ إحدى وثمانينَ[2]. ثُمّ رجَعَ إلى مَرّاكُش، وخلّفَ عسْكراً بإشبيلِيَةَ لنظَرِ محمد وَبجُون بن سَمُوِينْ بنِ محمدِ بنِ وَرَكّوت من عَشِيرِهِ، ويُعرَفُ أبوهُ بالحاجّ، وكان محمدٌ من بِطانتِه وأعاظِمِ قُوّادِه.

ثُمّ تكالَبَ الطّاغِيةُ على شَرْقِ الأندَلُس، ولم تُغْنِ فيهِ أُمراءُ الطّوائفِ شيئاً، فزَحَفَ إليهِ في سَنَتِهِ ابنُ الحاجّ قائدُ يوسُفَ بنِ تاشفين في عَساكرِ المُرابِطينَ فهَزَموا جُموعَ النّصارى هزيمةً شَنِيعَة، وخلَعَ ابنَ رَشِيقٍ صاحبَ مُرْسِيَةَ، وتَمادى إلى دانِيَةَ، ففرَّ عليُّ بنُ مُجاهِدٍ أمامَهُ إلى بِجَايَةَ ونزَلَ على النّاصِرِ بنِ عَلَنّاس فأكرَمَهُ، ووَصَلَ ابنُ جَحّافٍ[3] قاضي بَلَنْسِيَةَ إلى محمدِ ابنِ الحاجّ مُغْرِياً بالقادرِ بنِ ذي النّون، فأنفَذَ مَعَهُ عَسْكراً وملَكَ بَلَنْسِيَةَ وقَتَلَ ابنَ ذي النّون، وذلكَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ.

(1) الفونسو السادس.

(2) كرر ابن خلدون التأكيد على تأريخ وقعة الزلاقة في سنة 481 هـ (العبر 7: 572) والصحيح أنّها حدثت يوم الجمعة 12 رجب سنة 479هـ. انظر الأنيس المطرب 185 -، ابن عذاري: البيان المغرب (قسم الموحدين) 220-221 ابن الأثير: الكامل 10: 151، الحميري: الروض المعطار 287. حجي: التاريخ الأندلسي 403.

(3) قُتِلَ حرْقًا أثناء سقوط بلنسية المأساوي على يد رذريق - الملقب بالقنبيطور - الذي استباح المدينة. وقد سجّل ابن علقمة الصدفي (ت 509هـ) ذلك الدمار في كتاب مفقود سماه: البيان الواضح في المُلِمّ الفادح، بقيت منه فقرات عند ابن عذاري، وبعض النصوص المترجمة ترجمة غير أمينة في المصادر الإسبانية . ع. حجي: التاريخ الأندلسي 372.

وانتهى الخبرَ إلى الطّاغِيةِ، فنازَلَ بَلَنْسِيَةَ واتّصلَ حِصارُهُ إيّاها إلى أنْ مَلَكَها سنةَ سَبْعٍ وثمانينَ، ثُم استخلَصَتْهَا عَسَاكِرُ المُرابِطينَ، ووَلّى عليها يوسُفُ بنُ تاشفينَ الأميرَ مَزْدَلي.

وأجاز يوسُفُ بنُ تاشفينَ ثانيةً سنةَ ستٍّ وثمانينَ، وتثاقَلَ أمَرَاءُ الطوائفِ عن لقائهِ بما أحَسُّوا مِن نَكيرِهِ عليهم لِمَا يَسُومُونَ بهِ رعيّتَهم منَ الظُّلاماتِ والمُكُوسِ وتلاحُقِ المَغارم، فوَجَدَ عليهم وعهِدَ برفعِ المُكُوسِ وتحَرّي المَعْدَلَة. فلمّا أجازَ انقَبَضُوا عنهُ إلاّ ابنَ عبّادٍ، فإنهُ بادَرَ إلى لقائهِ وأغْراهُ بِالكبيرِ مِنهم، فتقَبّضَ على ابنِ رَشيقٍ وأمْكنَ ابنَ عبّادٍ منهُ لِلعَداوةِ التي بينَهَما. وبعَثَ جيشاً إلى المَريّةِ فَفرّ عنها ابنُ صُمَادِح ونزَلَ على المنصُورِ بنِ النّاصرِ ببِجَايَةَ.

[149 أ] وتوافَقَ ملوكُ الطّوائفِ على قَطْعِ المَدَدِ عن عَسَاكرِهِ / ومَحلاّتِهِ، فساءَ نظَرُهُ فيهِم، وأفتاهُ الفُقهاءُ وأهلُ الشُّورى منَ المغرِبِ والأندَلُس بِخَلْعِهِم وانتزاعِ الأمرِ من أيديهم، وصارتْ إليهِ بذلك فتاوى أهلِ العراقِ والأعلام، كالغزاليّ[1] والطّرْطُوشيّ[2]، فعَمَدَ إلى غَرْناطةَ واستَنْزَلَ صاحبَها عبدَ اللهِ ابنَ بُلُكّين بنِ باديس، وأخاه تَميمًا مِن مالَقةَ، بعدَ أنْ كان منهُمَا مُداخَلةٌ للطّاغِيةِ في عَدَاوةِ يوسُفَ بنِ تاشفين، وبَعثَ بهما إلى المغرِب، فخافَ ابنُ عَبّادٍ عندَ ذلكَ مِنهُ وانقبَضَ عن لقائه، وفَشَتِ السّعاياتُ بينَهما.

(1) استفتاه أبو بكر بن العربي، ونص السؤال والجواب مُدرج في كتابه: شواهد الجلّة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان. [منشور ضمن كتاب: ثلاثة نصوص عربية عن البربر 299- 305].

(2) نص فتواه في شواهد الجلّة، ص 315 – 338.

ونَهَض يوسُف بنُ تاشفينَ إلى سَبْتة، فاستقرَّ بها، وعقَدَ للأمير سيْرِ ابنِ أبي بكرٍ بنِ محمدِ بنِ ورَكُوت على الأندلُس وأجازَهُ، فقَدِمَ عليها، وقَعَدَ ابنُ عَبَّادٍ عن تلقِّيهِ وَمِرَّتِهِ[3]، فأحْفَظَهُ ذلكَ وطالَبَهُ بالطَّاعةِ للأميرِ يوسُف والنّزولِ عنِ الأمر، ففَسَدَ ذاتُ بيْنِهما وغَلَبَهُ على جميعِ عَمَلِهِ، واستنزَلَ أولادَهُ: المأمونَ مِن قُرطُبة، ويزيدَ الرّاضيَ من رُنْدَة وقَرمُونَة، واستوْلى على جميعِها وقَتَلَهم. ثُمّ صَمَدَ إلى إشبيلِيَةَ فحاصَرَ المعتمِدَ بها وضيَّقَ عليهِ. واستنجَدَ المُعتمِدُ الطّاغِيَةَ فعَمَدَ إلى استنقاذِهِ من هُوَّةِ الحصار، فلم يُغْنِ عنهُ شيئاً، وكان دِفاعُ لَمْتُونةَ ممّا فَتَّ في عَضُدِه، واقتَحَمَ المُرابِطونَ إشبيلِيَةَ عليهِ عَنْوةً سنةَ أربعٍ وثمانينَ، وتُقُبِّضَ على المُعتمِدِ وقادوهُ أسيراً إلى مَرّاكُش، فلم يَزَلْ في اعتقالِ يوسُفَ بنِ تاشفينَ إلى أن هلَكَ في مَحْبِسِهِ بأغْمات سنةَ تسعينَ وأربعِ مائة.

ثُم عَمَدَ إلى بَطَلْيَوْس وتَقَبَّضَ على صاحِبِها عُمَر بنِ الأفطس، فقتَلَهُ وابنَيْهِ يومَ الأضحى سنةَ تسعٍ وثمانينَ، بما صَحَّ عندَهُ مِن مُداخَلتِهِم الطّاغِيَةَ وأنْ يُملِكوهُ مدينةَ بَطَلْيَوْس.

ثُم أجازَ يوسُفُ بنُ تاشفينَ الجوازَ الثّالثَ سنةَ تسعين، وزَحَفَ إليْه الطاغيةُ، فبعث عساكرَ المُرابِطين لنظَر محمّد بن الحاجّ، فانْهزَم النّصارى أمامَهُ وكان الظُّهورُ للمسلمينَ.

ثم أجازَ الأميرُ يَحيَى بن أبي بكْر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاث وتسْعينَ، وانْضمَّ إليه محمَّد بن الحاجّ وسِيرْ بن أبي بَكْر واقْتحموا عامَّةَ حصون الأنْدلس من أيدي ملوك الطَّوائف، ولَمْ يَبْقَ منها إلاّ سَرقُسْطة في يَد المسْتَعين بن هودٍ مُعْتصِمًا بالنّصارَى.

وغَزَا الأميرُ مَزْدَلي صاحبُ بَلَنْسية إلى بلد برشلونة(أ) فأثْخن فيها وبلغَ إلى حيْث لم يبلغ أحد قبلَهُ، ورجع وانتَظَمتْ بلاد الأنْدَلُس في مَلَكَة يوسف ابن تاشفين.

وانقَرَضَ مُلْكُ الطّوائفِ منها أجْمَعَ كأنْ لم يكُنْ، واستَوْلَى على العُدْوَتَيْنِ. واتّصلَتْ هزائمُ النَّصارى على يَدِ المُرابِطينَ مِرَاراً، وتَسَمَّى بأميرِ المسلمينَ، وخاطَبَ المُستَظْهِرَ العبّاسيَّ الخليفةَ لعهدِهِ / ببَغْداد، وبعَثَ إليهِ [149 ب] عبدَ الله بنَ محمدِ بنِ العربيِّ(1) المَعَافِريَّ الإشبيليَّ ووَلَدَهُ القاضيَ أبا بكرٍ، فتَلطَّفوا في القولِ وأحسَنُوا في الإبلاغ وطَلَبوا منَ الخَليفةِ أن يَعقِدَ لهُ على المغرِبِ والأندَلُس فعَقَدَ لهُ، وتضَمَّنَ ذلك مكتوبُ الخَليفةِ بذلكَ مَنقولاً بيْنَ أيدي النّاس، وانقَلَبوا إليهِ بتقليدِ الخَليفة وعَهْدِهِ على ما لِنَظَرِهِ منَ الأقطارِ والأقاليم، وخاطَبَهُ الإمامُ الغَزَاليُّ والقاضي أبو بكر الطَّرْطُوشيُّ يُحرّضانِهِ على العَدْلِ والتّمسُّكِ بالخَيْر، ويُفْتِيانِهِ في شأنِ ملوكِ الطّوائفِ بحُكْمِ الله.

(أ) في ص د: برشنونة.

---

(1) توفي عبد الله بن العربي سنة 493 هـ وتوفي ابنه أبو بكر سنة 543هـ.

ثُمَّ أجازَ يوسُفُ بنُ تاشفين الجَوازَ الرّابعَ إلى الأندَلُسِ سنةَ سَبْعٍ وتسعينَ وقد كان ما قدَّمناهُ في أخبارِ بني حَمّادٍ مِن زَحْفِ المنصُورِ بنِ النّاصِرِ إلى تِلِمْسَانَ سنةَ ستٍّ وتسعينَ للفتْنةِ التي وقَعَتْ بينَهُ وبيْنَ تاشفينَ ابن تينَغمَرْ وافتتاحِهِ أشيرَ، من بلادِهم، فصالَحَهُ يوسفُ بنُ تاشفينَ واستَرْضاهُ بعَزْلِهِ تاشفين عن تِلِمْسَانَ سنةَ سَبْعٍ وتسعينَ، وبعَثَ إليها مَزْدَلي مِن بَلَنْسِيَةَ عِوَضاً منهُ أبا محمد بنَ فاطمةَ. وكثُرَتْ غَزَواتُهُ في بلادِ النّصرانيّة.

وهلَكَ يوسُفُ على رأسِ المائةِ الخامسة، وقام بالأمرِ مِن بَعْدِهِ ابنُهُ عليُّ ابنُ يوسُف، فكان خَيْرَ مَلِكٍ، وكانتْ أيّامُهُ - صَدْراً منها- وادعةً ولدولتِهِ على الكُفْرِ وأهلِهِ ظُهورٌ وعِزَّة. وأجازَ إلى العُدْوةِ فأثْخَنَ في بلادِ العَدُوِّ قَتْلاً وسَبْياً. ووَلّى على الأندَلُسِ الأميرَ تَميمَ بنَ [يوسف بن تاشفين][1]، وجَمَعَ الطّاغِيةُ للأميرِ تميم فهَزَمَهُ تَمِيمٌ.

ثُمَّ أجازَ عليُّ بنُ يوسُفَ سنةَ ثلاثٍ ونازَلَ طُلَيْطُلَةَ وأثْخَنَ في بلادِ النّصارى ورَجَعَ، وعلى إثْرِ ذلكَ قصَدَ ابنُ رُذْمِير سَرَقُسْطةَ، وخرَجَ ابنُ هُودٍ للقائهِ فانهَزَمَ المسلمونَ وماتَ ابنُ هُودٍ شَهيداً، وحاصَرَ ابنُ رُذْمِير البلدَ حتى نزَلوا على حُكْمِه.

(1) بياض في الأصول، والتكملة من الأنيس المطرب 201 - 202.

ثُمّ كان سنةَ تسعٍ شأنُ مَيُورقةَ، وتغلُّبُ أهلِ جَنْوةَ عليها وخلاؤُها، ثُمّ رجوعُ العُمْرانِ إليها على يَدِ ابنِ تَافَرْطَاسْت(أ)، / من قُوّادِ المُرابِطِين كما مَرّ [150 ا] في ذِكْرِها عندَ ذِكْرِ الطّوائف.

ثُمّ استمَرّتْ حالُ عليِّ بنِ يوسُفَ في مُلكِه، وعَظُمَ شأنُهُ. وعَقَدَ لوَلَدِهِ تاشفينَ على غَرْبِ الأندَلُسِ سنةَ ستٍّ وعِشرينَ وأنزَلَهُ قُرطُبةَ وإشبيلِيَةَ، وأجازَ معَهُ الزُّبَيْرَ بنَ عُمَرَ من وُجوهِ قومِهِ. وعقَدَ لأبي بكرِ بنِ إبراهيمَ المَسُوفيِّ على شَرْقِ الأندَلُسِ وأنزَلَهُ بَلَنْسِيَةَ، وهُوَ ممدوحُ ابنِ خَفَاجةَ(1) ومَخْدومُ أبي بكرِ بنِ باجةَ الحكيمِ المعروفِ بابنِ الصّائغ. وعقَدَ لابنِ غانِيَةَ المَسُوفي على الجزائرِ الشَّرقيّةِ: دانِيَةَ ومَيُورقةَ ومَنورقّةَ، واستقامَتْ أيّامُه.

ولأربعَ عَشْرةَ سنةً من دَوْلتِهِ كان ظهورُ الإمامِ المَهْديِّ صاحبِ دَعْوةِ المُوَحِّدِين، فقيهاً مُنتَحِلاً للعِلمِ والفُتيا والتّدريس، آمراً بالمعروفِ ناهياً عنِ المُنكر، مُتعرِّضاً بذلكَ للمكروهِ في نَفْسِهِ، نالَتْهُ بِبِجَايَةَ وتِلِمْسَانَ ومِكْنَاسَةَ إذَايَاتٌ من الفَسَقةِ والظّالمين.

وأحضَرَهُ الأميرُ عليُّ بنُ يوسُفَ للمُناظَرة، فَفَلَجَ(1) على خُصومِهِ من الفُقهاءِ بمَجْلِسِه، ولَحِقَ بقومِهِ هَرْغةَ، من المَصامِدة. واستَدْرَكَ عليُّ بنُ

(أ) د ص: تافرطست.

---

(1) ديوان ابن خفاجة، 173، 218، 254، وله قصيدة يرثيه بها، ص 225.

(1) ظفر وفاز.

يوسُفَ رأيَهُ فيه، فتَفقَّدَهُ، وطالَبَ هَزرَغةَ بإحضارِهِ فأبَوْا عليهِ، فسَرَّح إليهم البَعْثَ فأوْقَعوا بهِ وتقاسَمَ معَهم هَنْتاتَة وتِينمَلّلْ على إجارتِهِ والوفاء بما عاهَدوهُ عليهِ منَ القيامِ بالحقِّ والدُّعاء إليه حَسْبَما نَذْكُرُ ذلكَ كلَّهُ بعدُ في دولتِهم.

وهلَكَ المَهْديُّ سنةَ أربعٍ وعشرين، وقام بأمرِهِم عبدُ المؤمنِ بنُ عليّ الكُوميُّ كبيرُ أصحابِهِ بعَهْدِهِ إليهِ. وانتَظمَتْ كلِمةُ المَصامِدة، وأغْزَوا مَرّاكُش مِرَاراً، وفَشِلَ رِيحُ لَمْتُونةَ بالعُدْوةِ الأندَلُسيَّة، وظَهَرَ أمرُ المُوحِّدِين، وفَشَتْ كلِمتُهم في بَرابِرةِ المغرِب.

وهلَكَ عليُّ بنُ يوسُفَ سنةَ سبعٍ وثلاثين، وقامَ بأمرِهِ مِن بعْدِهِ وَلَدُهُ تاشفينُ وَليُّ عَهْدِهِ، وأخذ بطاعتِهِ وبَيْعتِهِ أهلُ العُدْوتَيْنِ كما كانوا على حينَ استَغْلَظَ أمرُ المُوحِّدينَ واستَفْحَلَ شأنُهم، وألَحُّوا في طَلَبِه.

وغَزَا عبدُ المؤمنِ غَزْوتَهُ الكُبرى إلى جبالِ المغرِب، ونهَضَ تاشفينُ يُسايِرُهُ بالبسائطِ إلى أنْ نزَلَ تِلِمْسَان، ونازَلَهُ بها عبدُ المؤمنِ / [150 ب] والموحِّدونَ بالكهفِ الضَّحّاك، بيْنَ الصَّخرتَيْنِ من جَبَلِ تِينَرِي المُطِلِّ عليها، ووَصَلَهُ هنالكَ مددُ صِنهاجةَ من قِبَلِ يحيى بنِ العزيزِ صاحبِ بِجَايَةَ معَ قائدِهِ طاهرِ ابنِ كبَّاب. وشَرِهُوا إلى مُدافَعةِ المُوحِّدين، ففَلُّوهم، وهلَكَ طاهرٌ واستُلحِمَ الصِنْهاجيُّونَ. وفَرَّ تاشفينُ إلى وَهْرانَ في مُواعَدةِ لُبِّ بنِ مَيْمونٍ قائدِ البحرِ بأساطيلِه، واتَّبَعَهُ الموحِّدونَ واقتَحَموا عليهِ البلَدَ فهلَكَ، ويُقال

فُقِدَ سنةَ إحدى وأربَعينَ، واستَوْلى الموحِّدونَ على المغرِبِ الأوسَطِ واستَلْحَموا لَمْتُونةَ.

ثُمَّ بُويِعَ بِمَرّاكُشَ ابنُهُ إبراهيمُ، وأَلْفَوْهُ مُضَعَّفاً عاجِزاً، فخُلِعَ، وبُويِعَ عَمُّهُ إسحاقُ بنُ عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفين، وعلى تفْيِئَةِ ذلك وَصَلَ الموحِّدونَ إليها وقد مَلَكوا جميعَ بلادِ المغرِب واستَوْلَوْا عليْهِ، فخَرَجَ إليهم في خاصَّتِهِ وبِطانَتِهِ من قومِهِ، فقَتَلَهُم المُوحِّدونَ بمجلِسِ عبدِ المؤمن.

ثُمَّ أجازَ عبدُ المؤمنِ والموحِّدونَ إلى الأندَلُسِ سنةَ إحدى وخمسِينَ ومَلَكوها واستَلْحَموا أُمراءَ لَمْتُونةَ وكافَّتَهم، وفَرُّوا في كلِّ وَجْه، ولَحِقَ فَلُّهم بالجزائرِ الشَّرقيّة: مَيُورْقَةَ ومَنُورْقَةَ ويابسةَ إلى أنْ جَدَّدُوا مِن بعدِ ذلكَ رَسْماً للمُلْكِ بناحيةِ إفريقيّةَ. واللهُ غالبٌ على أمرِهِ.

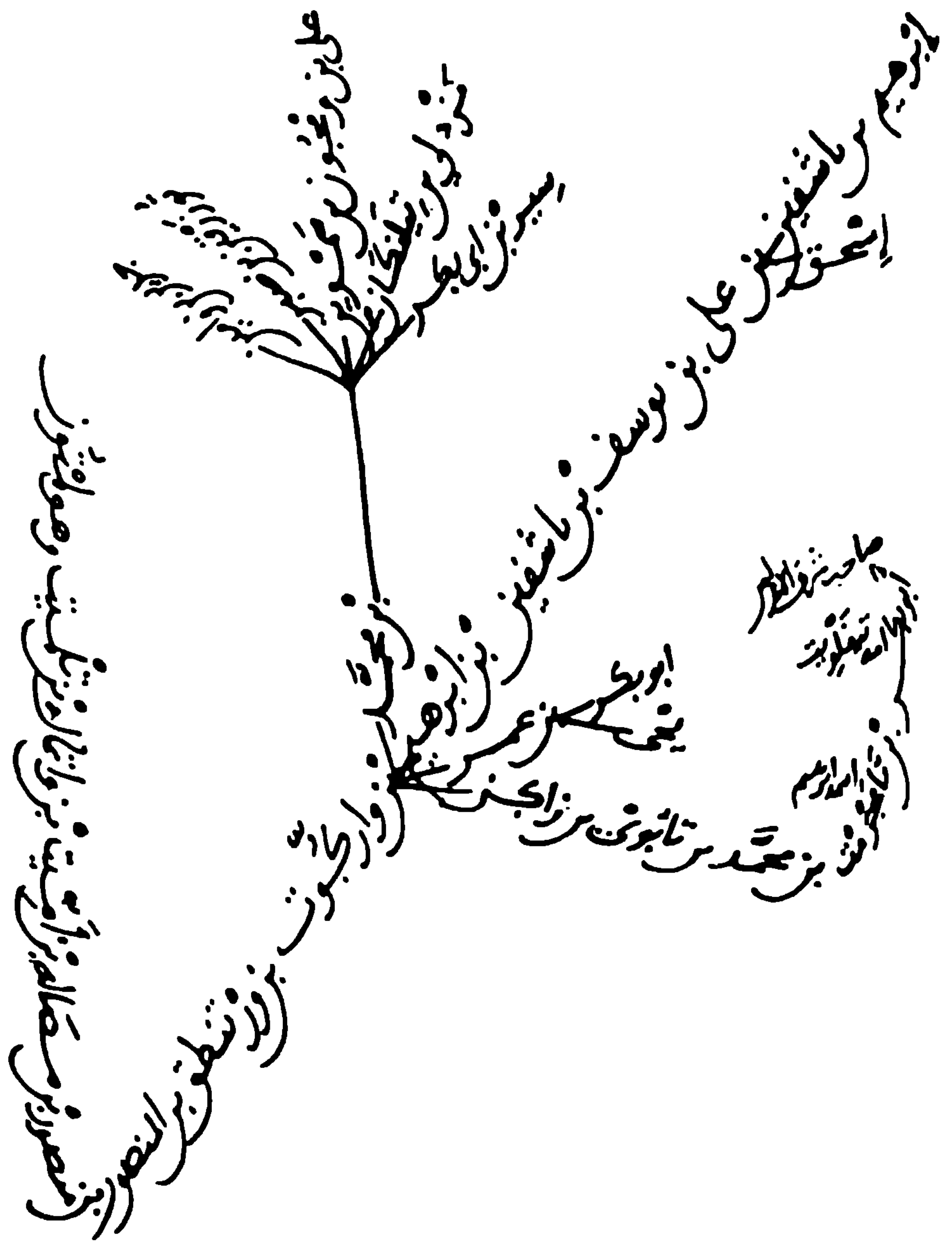

[مشجرّ نَسَب المرابطين من لمتونة]

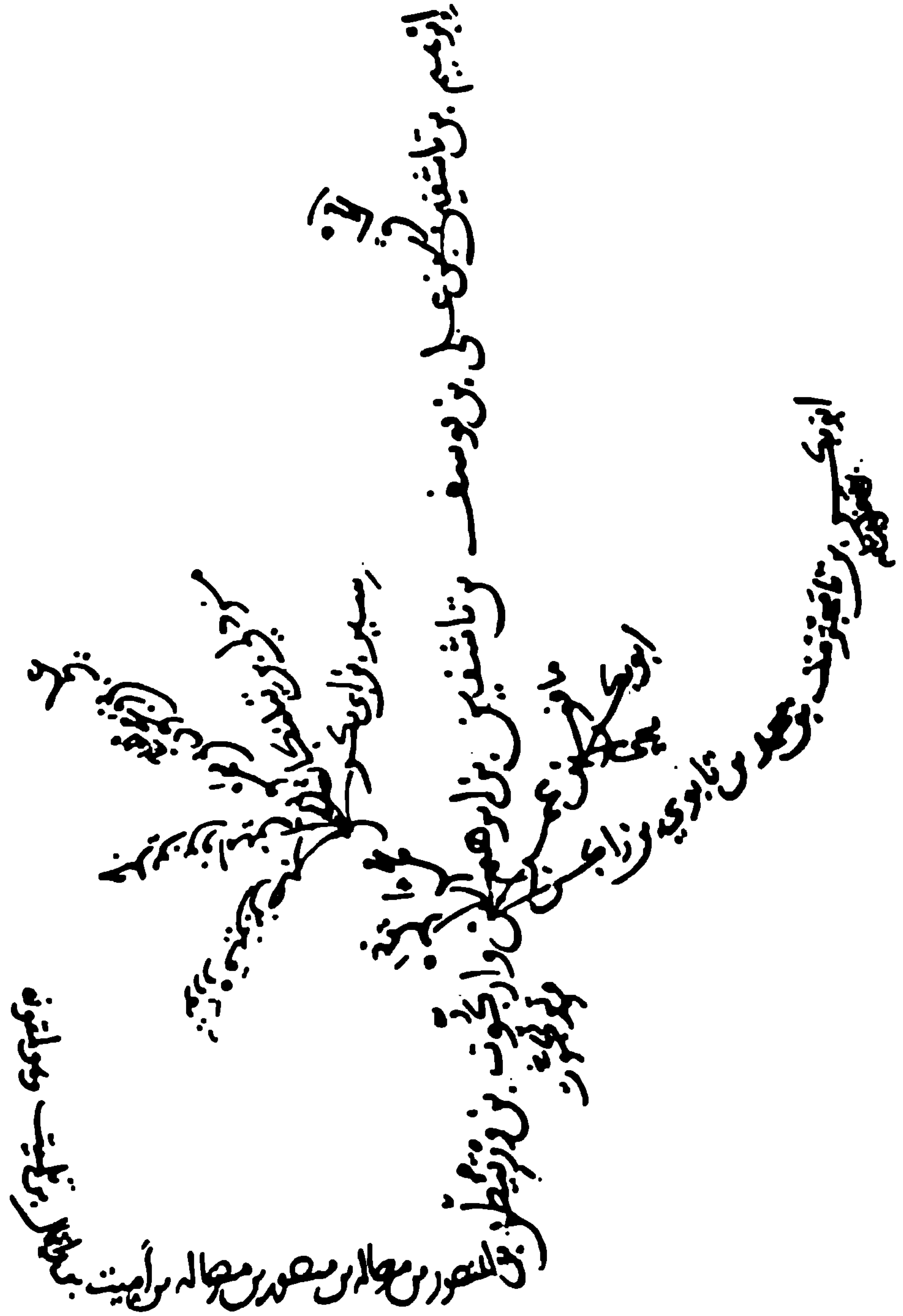

[مشجر نسب المرابطين من لمتونة. نسخة د]

[151 ب] ● / الخَبَرُ عن دَوْلةِ ابن غانيةَ مِن بَقيّةِ المُرابِطِينَ، وما كانَ لهُ من المُلكِ والسُّلطانِ بناحيةِ قابس وطرابُلس، وإجلابه على المُوحّدين، ومُظاهرةِ قراقُش الغزّي لهُ على أمرِهِ، وأوليّة ذلك ومصائره

كان أمرُ المُرابِطينَ من أوّلِهِ في كُدَالةَ، من قبائلِ المُلثَّمينَ، حتّى هلَكَ يحيى بنُ إبراهيمَ فاختَلَفُوا على عبدِ الله بنِ ياسين إمامِهم، وتحوَّلَ عنهُم إلى لَمْتُونةَ، وأقصَرَ عن دَعْوتِهِ ونَسَكَ وترَهَّبَ كما قُلناهُ.

حتى أجابَ دَاعِيَهِ يحيى بنِ عُمر وأبو بكر بنُ عُمَرَ، من بني ورْتانطَقَ بَيْتِ الرِئاسةِ في لَمْتُونة، واتّبَعَهمُ الكثيرُ من قومِهم وجاهَدوا مَعهُ سائرَ قبائلِ المُلثَّمين. وكان مَسُّوفةُ قد دَخَلَ في دعوةِ المُرابِطينَ كثيرٌ مِنهم، فكان لهُم بذلكَ في تلكَ الدَّوْلةِ حَظٌّ من الرِّئاسةِ والظُّهور.

وكان عليُّ بنُ يحيى المَسُّوفيُّ من رِجَالاتِهم وشُجعانِهم، وكان مُقدَّماً عندَ يوسفَ بنِ تاشفين لمكانِهِ في قومِه.

واتّفَقَ أنْ قتَلَ بعضَ رِجَالاتِ لَمْتُونةَ في مُلاحاةٍ وقَعَتْ بينَهما، فتَشاوَرَ الحيَّانِ وفَرَّ هُوَ إلى الصَّحراء، فعَقَلَ[1] يوسُفُ بنُ تاشفينَ القتيلَ ووَدَاهُ واسترْجَعَ عليّاً من مفَرّهِ لِسِنينَ من مَغيبِهِ، وأنكَحَهُ امرأةً من أهلِ بيتِهِ تُسَمّى غانِيةَ بَعْهدِ أبيها إليهِ في ذلكَ، فوَلَدَتْ منهُ محمداً ويحيى، ونَشَآ في ظلِّ

(1) العاقلة: مصطلح فقهي، وهي العصبة والأقارب من قبل الأب، الذي يُعطون دية قتيل الخطإ. ابن الأثير: النهاية 3: 278.

يوسُف بن تاشفينَ وحَجْرِ كَفالتِه، ورَعَى لهُما عليُّ بنُ يوسُف ذِمامَ هذه الأواصر، وعقَدَ ليحيى على غَرْبِ الأندلُس وأنزَلَهُ قُرْطُبة، وعقَدَ لمحمدٍ على الجزائرِ الشرقيّة ومَيُورْقَةَ ومنورْقةَ ويابِسَةَ سنةَ عِشرينَ وخمسِ مائة. وانقطَعَ بعدَ ذلكَ أمرُ المُرابِطينَ.

وتقدَّمَ وفدُ الأندلُس إلى عبدِ المؤمنِ وبَعَثَ معَهم أبا إسحاقَ بَرّازَ بنَ محمدٍ المَصْموديَّ، من رِجَالاتِ المُوحِّدين، وعقَدَ لهُ على حرْبِ لَمْتُونةَ كما نَذكُرُهُ في أخبارِهم، فمَلَكَ إشبيلِيَةَ، واقتَضَى طاعةَ يحيى بنِ عليّ بنِ غانِيةَ، واستَنْزَلَهُ عن قُرْطُبةَ إلى جَيّانَ والقَلْعةِ، فسارَ مِنها إلى غَرْناطةَ ليَسْتنزِلَ مَن بها مِن لَمْتُونةَ ويَحمِلَهم على طاعةِ المُوحِّدين، فهَلَكَ / هنالكَ سنةَ ثلاثٍ [1152] وأربَعينَ، ودُفِنَ بقَصْرِ بادِيس.

وأمّا محمدُ بنُ عليّ فلم يزَلْ والياً إلى أنْ هلَكَ وقامَ بأمرِهِ بعدَهُ ابنُهُ عبدُ الله، ثُمّ هلَكَ وقام بالأمرِ أخوهُ إسحاقُ بنُ محمدِ بنِ علي، وقيل: إنّ إسحاقَ وَلِيَ بعدَ أبيهِ محمدٍ، وإنه قتَلَهُ غَيْرةً من أخيهِ عبدِ الله لمّا كان أحبَّ إليهِ مِنهُ، فقتَلَهُمَا معاً واستبَدَّ بأمرِهِ إلى أنْ هَلَكَ سنةَ ثمانينَ وخمس مائة، وخلّفَ ثمانيةً من الوَلَدِ، وهُم: محمدٌ وعليٌّ ويحيى وعبدُ الله والغازي وسِيرْ والمنصُورُ وجبارة، فقامَ بالأمرِ ابنُهُ محمدٌ.

ولمّا أجازَ يوسُفُ بنُ عبدِ المؤمنِ إلى الأندلُس سنةَ ثمانينَ، حدَّثَ نفْسَه بطاعتِهم، وأوْفَدَ بذلكَ خِطابَهُ، فبَعَثَ يوسُفُ بنُ عبدِ المؤمنِ عليَّ بنَ الرُّبَرْتَيْر لاختبارِ طاعتِهم، ولحِينِ وصُولِهِ نَكِرَ ذلكَ إخوتُهُ وتقَبَّضُوا عليهِ واعتقَلُوهُ، وقامَ

بالأمرِ أخوهُ عليُّ بنُ محمدِ بنِ عليّ. وتَلَوَّمُوا في رَدِّ ابنِ الرُّبُرْتَيْرِ إلى مُرسِلِهِ، وحالوا بيْنَهُ وبيْنَ الأسطول حينَ بَلَغَهم أنّ الخليفةَ يوسُفَ العَسْرِيَّ استُشهِدَ في الجهادِ بأركش، من العُدْوَة، وقامَ بالأمرِ ابنُهُ يعقوبُ، فاعتَقَلُوا ابنَ الرُّبُرْتَيْر ورَكِبوا البحرَ في ثِنْتَيْنِ وثلاثينَ قطعةً مِن أساطيلِهم وأُسطولِه، ورَكِبَ معَهُ إخوتُهُ يحيى وعبدُ الله والغازي، ووَلّى على مَيُورْقَةَ عَمَّهُ أبا الزُّبَيْر.

وأَقْلَعوا إلى بِجَايَةَ فطَرَقوها على حينِ غَفْلَة، وعليها السيّدُ أبو الرَّبيعِ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المؤمن وكان بإيِتيلُولْ من خارجِها في بعضِ مَذاهبِه، فلم يُمانِعْهُ أهلُ البلد، واستَوْلَوْا عليها في صفرٍ سنةَ إحدى وثمانينَ، واعتَقَلُوا بها السيّد أبا موسى بنَ عبدِ المؤمن، كان قافِلاً من إفريقيَّةَ يَؤُمُّ المغرِب، واكتَسَحُوا ما كان بدارِ السّادةِ والمُوحِّدين.

وكان والي القَلْعةِ قاصِداً مَرّاكُشَ، فبَلَغَهُ وهُوَ بِمَتِّيجَةَ خبَرُ بِجَايَةَ، فرَجَعَ وظاهَرَ السيّدَ أبا الرَّبيع، وزَحَفَ إليهما عليُّ بنُ غانِيَةَ فهزَمَهما واستَوْلى على أموالِهما وأبنِيَتِهما. ولَحِقا بتِلِمْسَانَ فنَزَلا بها على السيّدِ أبي الحَسَن بنِ أبي حَفْص بنِ عبدِ المؤمن، / [152 ب] وأخَذَ في تحصينِ تِلِمْسَانَ ورَمِّ أسوارِها، وأقام السيّدانِ يَرُومانِ الكَرَّةَ من صاحبِ تِلِمْسَان. وعاثَ عليُّ بنُ محمدِ بنِ غانِيَةَ في الأموالِ وفرَّقَها في ذُوبانِ(1) العرَبِ ومنِ انْضافَ إليهم، ورَحَلَ إلى الجزائرِ فافتَتَحَها ووَلّى عليها يحيى ابنَ أخي طَلْحةَ، ثُمّ افتَتَحَ مازونةَ، وانتَهى إلى مَلْيَانَة

(1) الصعاليك واللّصوص، لغة في الذُّؤبان بالهمز.

فافتَتَحَها ووَلّى عليها يَدَّرَ بنَ عائشةَ. ثُمّ نهَضَ إلى القَلْعةِ لحاصَرَها ثلاثاً ودَخَلَها عَنوةً، وكانتْ لهُ في العرَبِ خَطْمَةٌ مشهورة. ثُمّ قَصَدَ قُسَنْطينةَ فامتنَعَتْ عليهِ. واجتمَعَتْ إليهِ وفودُ العرَبِ فاستَخْدَمَهم وجاؤوهُ بأحيائهم.

ولمّا اتّصَلَ الخبَرُ بالمنصورِ وهُوَ بِسَبْتةَ مَرْجِعَهُ منَ الغَزْوِ، سَرَّحَ العَساكرَ في البَرِّ لنظَرِ السيّدِ أبي زيدِ بنِ أبي حَفْصِ بنِ عبدِ المؤمن، وعَقَدَ لهُ على المغرِبِ الأوسَط، وبعَثَ الأساطيلَ في البحرِ وقائدُها أحمدُ الصِقِلّيُّ، وعَقَدَ عليها لأبي محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ جامع.

وزَحفَتِ العَساكرُ مِن كلِّ جهة، فثارَ أهلُ الجزائرِ على يحيى ابنِ أخي طَلْحةَ ومَن معَهُ وأمْكَنوا مِنهمُ السيّدَ أبا زيدٍ فقتَلَهم على شَلَف، وعَفَا عن يحيى لهجرةِ عمّهِ طَلْحة. وكان يَدَّرُ بنُ عائشةَ أسْرى مِن مَلْيانَةَ واتَّبَعَهُ الجيشُ فلَحِقُوهُ بأُمِّ العَلْوَ[1]، فتقَبَّضُوا عليهِ بعدَ قتالٍ معَ البَرابِرةِ حينَ أرادوا إجارَتَهُ، وقادوهُ إلى السيّدِ أبي زيدٍ فقتَلَهُ. وسَبَقَ الأسطولُ إلى بِجَايَةَ، فثاروا بيَحْيَى بنِ غانيةَ وفرَّ إلى أخيه عليٍّ بِمكانِهِ من حِصَارِ قُسَنْطِينَةَ بعدَ أنْ كان أخَذَ بمُخَنَّقِها. ونزَلَ السيّدُ أبو زَيْدٍ بعَساكرِه بِتِيكلاتَ، مِن ظاهرِ بِجَايَةَ، وأطلقَ السيّدَ أبا موسى مِن مُعتقَلِهِ، ثُمّ رَحَلَ في طلبِ العَدُوّ، فأفرَجَ عن قُسَنْطِينَةَ ومَضَى شَريداً في الصّحراءِ والمُوحِّدونَ في اتِّباعِهِ، حتى انتَهَوْا إلى مَقَّرَة ونَقَاوُس، ثُمّ قَفَلُوا إلى بِجَايَةَ، واستقَرَّ السيّدُ أبو زيدٍ بها.

(1) كذا ضبطت بفتح العين في ظ د.

وقَصَدَ عليُّ بنُ غانِيةَ قَفْصةَ، فمَلَكها ونازَلَ توزرَ وقَصْطيليةَ فامتنعَتْ، وارتحَلَ إلى طرابُلُس وبها قَراقُش الغُزّيُّ المُظفَّريُّ.

[153 أ] وكان مِن خبَرِه، على ما نقَلَ أبو محمدٍ / التُّجّانيُّ[1] في كتابِ رحلتِهِ، أنّ صَلاحَ الدِّينِ صاحبَ مِصْرَ، بعَثَ تقِيَّ الدِّينِ ابنَ أخيه شاهنْشاه إلى المغرِبِ لافتتاح ما أمكَنَهُ من مُدُنِه، يكونُ لهُ مَعْقلاً يتحصَّنُ فيهِ من مُطالَبةِ نورِ الدِّينِ محمودِ بنِ زَنْكي صاحبِ الشّامِ، الذي كان صَلاحُ الدِّين عمُّهُ من وُزَرائه. واسْتَفْحَلُوا بمِصْرٍ فخَشُوا عادِيَتَهُ، ثُمّ رجَعَ تقيُّ الدِّين من طريقِه لأمرٍ عرَضَ لهُ، ففَرَّ قَراقُش الأرمَنيُّ بطائفةٍ من جُنودِهِ، وفَرَّ إبراهيمُ بنُ قَراتِكين سِلاح دار المُعظَّمي(أ) نِسبةً إلى المَلِكِ المُعظَّم شمسِ الدَّولةِ ابن أيّوبَ، أخي صَلاحِ الدِّين.

فأمّا قَراقُش فلَحِقَ بسَنْتَرِيّة[2] وافتتَحها، وذلك سنةَ ستٍّ وثمانين. وخَطَبَ فيها لصَلاحِ الدِّين ولأُستاذِهِ تقِيِّ الدِّين، وكَتَبَ لهُما بالفَتْح، وافتتَحَ

(أ) في ظ المعظم.

---

(1) الرحلة 111- وضُبط اسم التجاني في حاشية ظ بضمّ التاء وتشديد الجيم. وضبطه شيخنا ح.ح. عبد الوهاب بكسر التاء: والنّسبة الى قبيلة تِجّان من قبائل المغرب الأقصى. (مقدمة الرحلة 7م). وضبطُ ابن خلدون هو الصواب، لأن النسبة إلى تُجّانة، وهي قبيلة من بربر المصامدة بولاية مراكش، لها خمسة بطون، وقد ذهب بعضٌ من هذه القبيلة إلى تونس مع الحفصيين. (الأنيس المطرب 296.ح 471)

(2) بلدة غربيّ الفيّوم دون فَزّان، بينها وبين أوجله عشرة أيام، ذكرها البكري (المسالك والممالك 2: 662) بالشين: شنتريّة، وتسمّى اليوم: سِيوَة. انظر ابن سعيد: الجغرافيا 62، معجم البلدان 3: 261 والضبط منه، الروض المعطار 325.

زلّةَ و[أوجلَةَ[أ]] وغلَبَ بني خطّاب الهَوارِيّينَ على مُلْكِ فزّان، وكان مَلِكَها لعَهْدِهِ محمدُ بنُ خطّاب بنِ يصلْتَنْ بنِ عبدِ الله بنِ صنفل بنِ خَطّاب، وهُو آخِرُ ملوكِهم، وكان قاعدةُ مُلْكِهِ زويلةَ، وتُعرَفُ زويلةَ ابنِ خَطّاب، فتَقَبَّضَ عليهِ وعذَّبَهُ على المال حتّى هلَكَ. ولم يزَلْ يفتتِحُ البلادَ إلى أنْ وَصَلَ طرابُلُسَ. واجتَمَعَ عليهِ عرَبُ دَبّابٍ من سُلَيْم، ونهَضَ بهِم إلى جَبلِ نفوسة فملَكَهُ واستَخْلَصَ أموالَهُ للعرَب. واتّصَلَ بهِ مَسعودُ بنُ زِمام شيخُ الذَّوَاوِدةِ من رِيَاح عندَ مَفَرّهِ منَ المغرِب كما ذكَرْناهُ، فاجتَمعَتْ أيديهم على طرابُلُسَ وافتَتَحَها، واجتَمَعَ إليه ذوبانُ العرَب من هِلالٍ وسُلَيْم، وفرَضَ لهمُ العطاءَ، واستبَدَّ بمُلْكِ طَرابُلُسَ وما وراءَها. وكان قَراقُش منَ الأرْمن، وكان يُقالُ لهُ: المُظَفَّريُّ لأنهُ مَملوكُ المُظفَّرِ، والنّاصِريُّ لأنهُ كان يَخطُبُ للنّاصِرِ صَلاحِ الدِّين، وكان يَكتُبُ في مَراسِمِهِ[ب]: قَراقُش النّاصِريُّ وَلِيُّ أميرِ المُومنين، بِسُكونِ الميم، ويَكتُبُ علامةَ المرسُوم[ج] بخَطِّه: وَثِقْتُ باللهِ وحدَهُ، أسفَلَ الكتاب.

وأمّا إبراهيمُ بنُ قَراتِكين صاحبُهُ، فإنهُ سارَ معَ العرَبِ إلى قَفْصةَ فملَكَ جميعَ مَنازِلِها، وراسَلَ بني الرِّنْد[د] رُؤَساءَ قَفْصةَ، فأمكَنُوهُ منَ البلدِ لانحرافِهم عن بني عبدِ المؤمنِ، / فدخَلَها وخَطَبَ للعبّاسيِّ ولصَلاح الدِّين، إلى أن [153 ب] قتَلَهُ المنصُورُ عندَ فتْح قَفْصةَ كما نَذكرُهُ في أخبارِ المُوحِّدين.

(أ) من د، ص، في ظ: واجله (ب) د: ظهائره (جمع ظهير) وفي الحاشية: مراسمه وعن إصلاحه نقلت نسختا ظ، ص
(ج) في متن د وحدها: الظّهير، وفي الحاشية عُوِّضَتْ بكلمة: المرسوم (د) ضُبطت في ظ بكسر الراء المشدّدة.

رَجَعَ الخبَرُ إلى ابنِ غانِيةَ:

ولمّا وصَلَ عليُّ بنُ غانِيةَ إلى طَرابُلُس ولقِيَ قَراقُش، اتّفَقا على المُظاهَرةِ على المُوحِّدينَ، واستَمالَ ابنُ غانِيةَ كافّةَ بني سُلَيْم من العرَب، وجاءَ[1] بهم من مَجالاتِهم بِبَرْقةَ وخالَصُوهُ في وَلايتِهم. واجتمعَ إليهِ مَن كان مُنحرِفاً عن طاعةِ المُوحِّدينَ مِن قبائلِ هِلالٍ، مثلَ: جُشَمَ ورِياحٍ والأثبَجِ، وخالَفَهم زُغْبةُ إلى المُوحِّدينَ فاعتُقِلُوا بطاعتِهم سائرَ أيّامِهم.

ولَحِقَ بابنِ غانِيةَ فَلُّ قَوْمِهِ من لَمتُونةَ ومَسُّوفةَ من أطرافِ البِقاعِ، فانعقَدَ أمرُهُ وتجدَّدَ بذلكَ القُطرِ سُلطانُ قَوْمِهِ. وجَدَّدَ رسُومَ المُلْك، واتّخَذَ الآلَةَ وافتَتَحَ كثيرًا من بلادِ الجَريد، وأقامَ فيها الدّعوةَ العبّاسيّةَ. ثُمّ بعَثَ وَلَدَهُ وكاتِبَهُ عبدَ البَرِّ بنَ فُرْسان الأندَلُسيَّ إلى الخَليفةِ النّاصرِ بنِ المُستضيءِ ببَغْدادَ مُجدِّداً ما سَلَفَ لقومِهِ منَ المُرابِطينَ بالمغرِب منَ البَيْعةِ والطّاعةِ، وطالباً المَدَدَ والإعانةَ. فعَقَدَ لهُ كما كان لقومِهِ، وصار الكِتابُ من دِيوانِ الخلافةِ إلى مَلِكِ مِصْرَ والشّامِ النائبِ عنِ الخليفةِ بها صَلاحِ الدّين يوسُفَ بنِ أيّوبَ الغزِّي، بأنْ يُمِدَّهُ، فكتَبَ لهُ صَلاحُ الدّينِ إلى قَراقُش. واتّصلتْ أيديهِما في إقامةِ الدّعوةِ العبّاسيّةِ. وظاهَرَهُ ابنُ غانِيةَ على حِصارِ قابِسَ، فافتَتَحَها قَراقُش من يدِ سعيدِ بنِ أبي الحَسَن ووَلّى عليها مَوْلاهُ، وجعَلَ فيها ذخائرَهُ. ثُمّ اتّصَلَ بهما أنّ أهلَ قَفْصَةَ خلَعُوا طاعةَ ابنِ غانِيةَ، فظاهرَهُ قَراقُش عليها فافتَتَحَها عَنْوةً. ثُمّ رَحَلَ إلى توزرَ وقَراقُش في مظاهرتِهِ، فافتَتَحَها أيضاً.

(1) دعاهم واستقدمهم.

ولمّا اتّصلَ بالمنصورِ ما نزَلَ بإفريقيّةَ مِن إجْلابِ ابنِ غانيةَ وقَراقُش على بلادِ الجَريدِ، نهَضَ مِن مَرّاكُش سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ لحَسْمِ هذا الدّاءِ، واستنقاذِ ما غَلَبوا عليه. ووَصَلَ إلى تُونِسَ فأراحَ بها، وسَرَّحَ في مقدّمتِهِ السيّدَ أبا يوسُفَ يعقوبَ / بنَ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ عبدِ المُؤمنِ ومعَهُ عُمَرُ [1154] ابنُ أبي زَيْدٍ، من أعيانِ المُوحِّدينَ، فلَقِيَهُم ابنُ غانيةَ في جُموعِهِ بعَمرةَ، فانهَزَمَ المُوحِّدونَ وقُتلَ ابنُ أبي زَيْدٍ وجماعةٌ مِنهم، وأُسِرَ عليُّ بنُ الرُّبَرْتَيْرِ في آخرِينَ، وامتلأتْ أيدي العَدوِّ من أسْلابِهم ومَتاعِهم. ووَصَلَ سُرْعانُ النّاسِ إلى تونِس.

وصَمَدَ المنصورُ إليهم فأوْقَعَ بهم بظاهرِ الحامّةِ في شَعْبانَ مِن سنَتِهِ، وأفْلَتَ ابنُ غانيةَ وقَراقُش بجُرَيْعَةِ الذَّقَنِ[1]، وبادَرَ أهلُ قابِسَ - وكانتْ خالِصةً لقَراقُش دونَ ابنِ غانيةَ - فأتَوْا طاعتَهم وأسْلَموا مَن كان عندَهم من أصحابِهِ وذَويه، فاحتُمِلُوا إلى مَرّاكُش.

وقصَدَ المنصُورُ تَوْزَر، ففرَّ مَن كان بها من أصحابِ ابنِ غانِية، وبادَرَ أهلُها بالطّاعة. ثُمّ رَجَعَ إلى قَفْصةَ فحاصَرَها حتى نزَلُوا على حُكمِهِ، وقتَلَ مَن كان بها منَ الحُشود، وقتَلَ إبراهيمَ بنَ قراتِكين. وامْتَنَّ على سائرِ الأغْزاز وخَلّى سبيلَهم، وأمَّنَ أهلَ البلدِ في أنفُسِهم، وجَعَلَ أملاكَهم بأيديهم على حُكْمِ المُساقاة.

(1) أفْلَت فلانٌ بجُرَيعَة الذَّقَن، مثل يُضرب لمن نجا بعد إذْ أشرف على التلف. وفي اللسان: وقُرْب الموت منه قُرْبَ الجرَيْعة من الذَّقَن، وأضافها إلى الذَّقَن، لأنّ حركة الذَّقَن تدلّ على قرب زهوق الروح.

ثُم غَزَا العَرَبَ واستَبَاحَ حِلَّتَهم وأحياءهم حتّى استقاموا على طاعتهِ، فنقّلَ المُتولِّينَ كِبْرَ الخِلافِ والفتنةِ منهُم إلى المغرب، مثْلَ: جُشَمَ ورِيَاحٍ والعاصِمِ كما قدَّمناهُ، وقفَلَ إلى المغرِبِ سنةَ أربعٍ وثمانينَ.

ورَجَعَ ابنُ غانِيةَ وقَراقُش إلى حالِهما منَ الإجلابِ على بلادِ الجَريدِ، إلى أنْ هلَكَ في بعضِ حُروبِهما معَ أهلِ نَفزاوةَ سنةَ أربعٍ وثمانينَ، أصابَهُ سَهمٌ غَرْبٌ[1] كان فيه هلاكُهُ، فدُفِنَ هنالكَ وعُفِّيَ على قَبْرِه. ويُقال: بل حُمِلَ شِلْوَهُ إلى مَيُورْقَةَ فدُفنَ بها. وقام بالأمرِ أخوهُ يحيى بنُ إسحاقَ بنِ محمدِ بنِ غانِيَة، وجَرَى في مُظاهرةِ قَراقُش ومُوالاتِهِ على سَنَنِ أخيهِ عليّ.

ثُم نَزَعَ قَراقُش إلى طاعةِ المُوحِّدينَ سنةَ ستٍّ وثمانينَ، فهاجَرَ إليهم بتُونِسَ وتقبَّلَهُ السيّدُ أبو زيدِ بنُ أبي حَفصِ بنِ عبدِ المؤمنِ، وأقامَ معَهُ أياماً، ثُم فرَّ ووَصَلَ إلى قابِسَ فدخَلَها مُخادَعةً، وقتَلَ جماعةً منهم، واستَدْعَى أشياخَ دَبَّابٍ والكُعوبِ / من بني سُلَيْم، فقتَلَ سَبْعينَ مِنهم بِقَصْرِ العَرُوسَيْنِ، كان مِنهم محَمّودِ بنُ طَوْق، أبو المَحاميد، وحميدُ بنُ جاريةَ أبو الجَواري. ونهَضَ إلى طرابُلُسَ فافتتَحها، ورَجَعَ إلى بلادِ الجَريدِ فاستَوْلَى على أكثرِها. [154 ب]

ثُم فَسَدَ ما بيْنَهُ وبيْنَ يحيى بنِ غانِيةَ، وسَار إليهِ يحيى فانهزَمَ قَراقُش ولَحِقَ بالجِبالِ وتوغَّلَ فيها، ثم فرَّ إلى الصَّحراءِ ونزَلَ وَدَّانَ، ولم يزَلْ بها إلى

(1) أي لا يُدرَى رامِيه.

أنْ حاصَرَهُ ابنُ غانِيَةَ من بَعْدِ ذلكَ بِمُدَّةٍ وجَمَعَ عليهِ أهلَ الثّأرِ من دَبّابٍ(أ)، واقتَحَمَها عليهِ عَنْوةً وقتَلَهُ. ولَحِقَ ابنُهُ بالمُوحِّدينَ، ولم يزَلْ بالحَضْرةِ إلى أيّامِ المُستنصرِ، ثُمّ فَرَّ إلى ودّان وأجلَبَ في الفِتْنة، فبَعَثَ إليهِ مَلِكُ كانَمْ(ب) مَن قَتَلَهُ لسنةِ ستٍّ وخمسِينَ وستِّ مائة.

رَجَعَ الخبَرُ:

واستَوْلَى ابنُ غانِيةَ على الجَريدِ، واستَنْزَلَ ياقوتٌ مَوْلى قَراقُش مِن طُرَّة، كذا ذكَرَهُ التِّجّانيُّ في رِحلتِه[1]. ولَحِقَ ياقوتٌ بطرابُلُس، ونازَلَهُ ابنُ غانِيةَ بها، وطال أمَدُ حِصارِهِ وبالَغَ ياقوتٌ في المُدافعة، وبعَثَ يحيى عن أُسطولِ مَيُورْقَةَ فأمَدَّهُ أخوهُ عبدُ اللهِ بقطعتَيْنِ مِنهُ، فاستَوْلَى على طرابُلُس وأشْخَصَ ياقوتاً إلى مَيُورْقَةَ فاعتُقِلَ بها إلى أنْ أخَذَها المُوحِّدونَ.

وكان مِن خبَرِ مَيُورْقةَ أنّ عليَّ بنَ غانِيةَ لمّا نَهَضَ إلى فَتْحِ بِجَايةَ، تَرَكَ أخاهُ محمدًا وعليَّ بنَ الرَّبَرْتَيْر في مُعتقَلِها، فلمّا خَلَا الجوُّ من أولادِ غانِيةَ وكثيرٍ منَ الحامِية، داخَلَ ابنُ الرَّبَرْتَيْر مِن مُعتقَلِهِ أهلَ الجزيرةِ وثاروا بدعوةِ محمد، وحاصَروا القَصَبةَ إلى أن صالَحَهم أهلُها على إطلاقِ محمدِ بنِ إسحاق، فأُطلِقَ من مُعتقَلِهِ وصارَ الأمرُ لهُ، فدَخَلَ في دعوةِ المُوحِّدينَ، ووَفَدَ معَ عليِّ ابنِ الرَّبَرْتَيْر على يعقوبَ المنصور.

(أ) ط: نَبّاب (ب) كذا بفتح النون في د.

(1) الرحلة 147 نقلا عن مياومة القاضي الفاضل البيساني.

وخالَفَهم إلى مَيُورقةَ عبدُ اللهِ بنُ إسحاق، رَكِبَ البحرَ مِن إفريقيّةَ إلى صِقِلِّيَةَ، وأمَدُّوهُ بأُسطول، ووَصَلَ إلى مَيُورقَةَ عندَ وِفادةِ أخيهِ على المنصُور، فملَكَها، ولم يزَلْ بها والياً. وبَعَثَ إلى أخيهِ عليٍّ بالمَدَدِ على طرابُلُس [155 أ] / كما ذكَرْناهُ. وبَعَثُوا إليهِ ياقوتاً، فاعتقَلَهُ عندَهُ إلى أنْ غلَبَ عليهِ المُوحِّدونَ سنةَ تسعٍ وتسعينَ فقُتِلَ، ومَضَى ياقوتٌ إلى مَرّاكُش وبها ماتَ.

رَجَعَ الخَبَر:

ولمّا فَرَغَ ابنُ غانِيةَ من أمرِ طرابُلُس، وَلَّى عليها تاشفين ابنَ عمِّه الغازي، وقَصَدَ قابِس، فوَجَدَ بها عاملَ المُوحِّدينَ عُمَرَ بنَ تافْرَاكين، بَعَثَهُ إليهم صاحبُ تُونِسَ الشَّيخُ أبو سعيدِ بنُ أبي حَفْص باستدعاءِ أهلِها لمّا فَرَّ عنهُم نائبُ قَراقُش عندَ أَخْذِ ابنِ غانِيةَ لطرابُلُس. فنازَلَ قابِسَ، وضَيَّقَ عليها حتى سألوهُ الأمانَ على أن يُخَلِّيَ سَبيلَ ابنِ تافْرَاكين، فعَقَدَ لهُم ذلكَ وأمْكَنُوهُ منَ البلدِ فملَكَها سنةَ إحدى وتسعينَ، وأغْرَمَهم ستينَ ألفَ دينار. وقَصَدَ المَهْدِيّةَ سَنةَ سَبْعٍ وتسعينَ، فاستَوْلَى عليها وقتَلَ الثائرَ بها محمدَ بنَ عبدِ الكريمِ الرُّكراكي.

وكان مِن خبَرِهِ أنهُ نشَأَ بالمَهْدِيّةِ وصارَ مِن جُندِها المُرتَزِقِينَ، وهُوَ كوفِيُّ الأصل، وكانتْ لهُ شجاعةٌ معروفةٌ، فجَمَعَ لنفسِه خَيْلاً ورَجْلاً، وصارَ يُغيرُ على المُفسِدينَ منَ الأعرابِ بالأطراف، فداخَلَتْهم هَيْبتُه، وبَعُدَ في ذلكَ صِيتُه، وأمَدَّهُ النّاسُ بالدّعاءِ. وقَدِمَ أبو سعيدِ بنُ أبي حَفْصٍ على

إفريقيّة مِن قِبَلِ المنصورِ لأوّلِ ولايتهِ، ووَلّى على المَهْدِيةِ أخاهُ يونُسَ، فطالَبَ محمدَ بنَ عبدِ الكريمِ بالسُّهمانِ في المَغانمِ، وامتنَعَ، فأنزَلَ بهِ النَّكالَ وعاقَبَهُ بالسِّجن، فدَبّرَ ابنُ عبدِ الكريمِ الثّورةَ، وداخَلَ فيها بِطانَتَهُ، وتقَبّضَ على أبي عليّ يونُسَ سنةَ خمسٍ وتسعينَ واعتَقَلَهُ، إلى أنْ فَدَاهُ أخوهُ أبو سعيدٍ بخمسِ مائةِ دينارٍ منَ الذّهبِ العَيْنِ.

واستَبَدَّ ابنُ عبدِ الكريمِ بالمَهْديّة، ودَعَا لنفسِهِ، وتلقَّبَ المتوكِّلَ على الله.

ثُمّ وَصَلَ السيدُ أبو زَيْدٍ بنُ أبي حَفص عُمَرَ بنِ عبدِ المؤمنِ والياً على إفريقيّة، فنازَلَهُ ابنُ عبدِ الكريمِ بتُونِسَ سنةَ / ستٍّ وتسعينَ. واضْطَرَبَ [155 ب] مُعسكَرُهُ بِحَلْقِ الوادي، وبرَزَتْ إليه جيوشُ المُوحِّدينَ فهزَمَهم وطال حِصَارُهُ لهم، ثُمّ سألوهُ الإفراجَ عنهُم فأجابَ لذلكَ، وارتَحَلَ عنهُم إلى حِصَارِ يَحيى بنِ غانِيةَ بقابِس، فنازَلَهُ مدّةً، ثُمّ ارتَحَلَ إلى قَفصةَ.

وخَرَجَ ابنُ غانِيةَ في اتّباعِهِ فانهزَمَ ابنُ عبدِ الكريمِ أمامَهُ ولحِقَ بالمَهْدِيّة، وحاصَرَهُ ابنُ غانِيةَ بها سنةَ سَبْعٍ وتسعينَ، وأمَدَّهُ السيّدُ أبو زَيْدٍ بقطعتَيْنِ منَ الغُزاةِ حتى سألَ ابنُ عبدِ الكريمِ النُّزولَ على حُكْمِه. وخَرَجَ إليه، فتَقَبّضَ عليه ابنُ غانِيةَ وهَلَكَ في اعتقالِه، واستَوْلَى على المَهْدِيّة واستَضافَها إلى ما كان بيَدِهِ من طرابُلُسَ وقابِسَ وصَفاقُسَ والجَرِيد.

ثُمَّ نَهَضَ إلى الجانبِ الغربيِّ من إفريقيّةَ، فنازلَ باجةَ ونصبَ عليها المَجانيقَ، وافتتَحها عَنوةً وخرّبَها وقتَلَ عامِلَها عُمَرَ بنَ غالبٍ، ولحِقَ شَرِيدُها بالأُرْبُصِ وشَقْبَنَّارِيةَ، وتركَها خاويةً على عُروشِها. وبعدَ مُدّةٍ تراجَعَ إليها ساكنُها بأمرِ السيّدِ أبي زَيْد، فزَحَفَ إليها ابنُ غانِيةَ ثانيةً ونازَلَها، وزَحَفَ إليهِ السيّدُ أبو الحَسَنِ أخو السيّدِ أبي زَيْد فلقِيَهُ بقُسَنطِينةَ، وانهزَمَ المُوحِّدونَ واستَوْلى على مُعسكرِهم.

ثُمَّ نهَضَ إلى بِسْكِرةَ واستَوْلى عليها وقطَعَ أيديَ أهلِها وتقَبَّضَ على حافظِها أبي الحَسَنِ بنِ أبي يَعْلى. وتَمَلَّكَ بعدَها تِبَسّةَ والقَيْروان، وبايَعَهُ أهلُ بُونَةَ ورَجَعَ إلى المَهْديةِ وقدِ استَفْحلَ مُلكُه، فاعتَزَمَ على حِصارِ تونِسَ وارتَحَلَ إليها سنةَ تسعٍ وتسعينَ، واستعمَلَ على المَهْديةِ ابنَ عمِّهِ عليَّ ابنَ الغازي، ويُعرَفُ بالكافي بنِ عبدِ الله بنِ محمدِ بنِ عليّ بن غانِيَةَ.

فنزَلَ بالجبَلِ الأحمرِ من ظاهِرِ تونِس، ونزَلَ أخوهُ بحَلْقِ الوادي، ثُمَّ ضايَقُوها بمُعَسْكرِهم ورَدَموا خَندقَها، ونَصَبوا المَجانيقَ والآلاتِ واقتحمُوها لأربعةِ أشهرٍ من حصارِها في خاتِمِ المائةِ السّادسة.

[156 أ] / وتقَبَّضَ على السيّدِ أبي زَيْدٍ وابنَيْهِ ومَن كان معَهُ منَ المُوحّدِين، وأخَذَ أهلَ تونِسَ بغُرْمِ مائةِ ألفِ دينارٍ وَلِيَ قبضَها منهم كاتِبُهُ ابنُ عُصْفورٍ وأبو بكرِ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ السكّاك، فأرهَقُوا النّاسَ في الطّلبِ حتى لاذَ مُعظَمُهم بالموت واستَعْجَلَ القَتْلَ. وفيما نُقِلَ أنّ إسماعيلَ بنَ عبدِ الرَّفيع، من بُيوتاتِها، ألقى بنفسِه في بئرٍ فهلَكَ، فرَفَعَ الطّلبَ بِبقيّتِها عنهم. وارتحَلَ إلى

نفوسة، والسيّدُ أبو زَيْدٍ مُعتقَلٌ في مُعسكره، ففعَلَ بهم مثلَ ذلكَ وأغرَمَهم ألفَ ألفٍ مرّتَيْنِ منَ الدّنانير. وكثُرَ عَيْثُهُ وإضرارُهُ بالرّعيّةِ وعَظُمَ طُغيانُهُ وعُتوُّهُ.

واتّصَلَ بالنّاصرِ بمَرّاكُش ما دَهَمَ أهلَ إفريقيّةَ مِنهُ ومِنَ ابنِ عبدِ الكريم قبلَهُ. فامتَعَضَ لذلكَ ورَحَلَ إليها سنةَ إحدى وسِتِّ مائة.

وبلَغَ يحيى بنَ غانيةَ خبَرُ زَحْفِهِ إليه، فخَرَجَ من تونسَ إلى القَيْروانِ ثُمَّ إلى قَفْصة، واجتمَعَ إليهِ العرَبُ وأعطَوْهُ الرّهْنَ على المُظاهَرةِ والدِّفاع. ونازَلَ طُرّةَ، من حصُونِ نَفْزاوة، فاستباحَها، وانتقَلَ إلى حامّةِ مَطْماطة. ونزَلَ النّاصرُ تونسَ ثُمّ قَفْصةَ ثُمّ قابِسَ، وتحَصّنَ مِنهُ ابنُ غانيةَ في جبَلِ دَمَّرْ، فرَجَعَ عنهُ إلى المَهْديّةِ وعَسْكَرَ عليها واتّخذَ الآلةَ لحصارِها.

وسَرَّحَ الشّيخَ أبا محمدٍ عبدَ الواحِدِ بنَ أبي حَفْص لقتالِ ابنِ غانيةَ في أربعةِ آلافٍ من المُوحِّدينَ سنةَ ثِنْتينِ وستِّ مائة، فلقِيَهُ بجبَلِ تاجَرا، من نواحي قابِس، وأوقَعَ بهِ وقتَلَ أخاه جُبارةَ بنَ إسحاق واستَنْقَذَ السيّدَ أبا زَيْدٍ من مُعتقَلِه.

ثُمّ افتتَحَ النّاصرُ المَهْديّةَ، ودخَلَ واليها عليُّ بنُ الغازي في دَعْوتِه فتقَبّلَهُ ورَفَعَ مكانَهُ، ووَصَلَهُ بهديّةٍ وافَقَ وصُولُها من سَبْتةَ إليه على يدِ ناصحٍ مَوْلاهُ، وكان بها ثَوْبانِ مَنسُوجانِ بالجَواهر، فوصَلَهُ بذلكَ كلّه ولم يزَلْ معَهُ إلى أنِ استُشهِدَ مُجاهداً. ووَلّى / النّاصرُ على المَهْديّةِ محمدَ بنَ يَغْمُور من [156 ب]

المُوحِّدينَ، ورَجَعَ إلى تونِسَ. ونظَرَ فيمَن يُولِّيهِ أمرَ إفريقيَّةَ لسَدِّ فُرَجِها والذَّبِّ عنها ومُدافعةِ ابنِ غانيةَ وجُمُوعِهِ دُونَها، فوقَعَ اختيارُهُ على الشَّيخِ أبي محمدِ بنِ أبي حَفْص، فعَقَدَ لهُ على ذلكَ سنةَ ثلاثٍ كما نَذكُرُهُ في أخبارِهِ، ورَجَعَ النّاصرُ إلى المَغرِب.

وأجمَعَ ابنُ غانيةَ النّهوضَ لقتالِ المُوحِّدينَ بتونِس، وجمَعَ ذوبانَ العرَبِ من الذَّواوِدَةِ وغيرِهِم، وأميرُ الذَّواوِدَةِ يومَئذٍ محمدُ بنُ مَسْعودِ بنِ سُلطان. وتحيَّزَ بنو عَوْفِ بنِ سُلَيم إلى المُوحِّدينَ، والتقَوْا بِشَبرو، من نواحي تِبَسَّة، فانهزَمَتْ جموعُ ابنِ غانِيَةَ، ولجأَ إلى جهةِ طرابُلُس. ثُمّ نهَضَ إلى المغرِبِ في جُموعِهِ من العرَبِ والمُلثَّمين، فانتَهى إلى سِجِلْماسَةَ، وامتَلأَتْ أيدي أتباعِهِ منَ النِّهَاب[1]، وحَرَقُوا الأرضَ بالعَيْثِ والفساد. وانكفَأَ إلى المغرِبِ الأوسَط، وداخَلَهُ المُفسِدونَ من زَنَاتَةَ وأغْرَوْا بهِ صاحِبَ تِلِمْسَانَ السيّدَ أبا عِمْرانَ موسى بنَ يوسُفَ بنِ عبدِ المؤمنِ، فلقِيَهُ بتاهَرْتَ فهزَمَهُ ابنُ غانِيةَ وقتَلهُ وأسَرَ ولَدَهُ. وكرَّ راجِعاً إلى إفريقيَّة، فاعترَضَهُ الشَيخُ أبو محمد صاحبُ إفريقيَّةَ في جُموعِ المُوحِّدينَ واستَنْقَذَ الغنائمَ من أيديهِم، ونَجَا ابنُ غانِيةَ إلى جِبالِ طرابُلُسَ، وهاجَرَ أخوهُ سِيرُ بنُ إسحاقَ إلى مَرّاكُش فتقبَّلَهُ النّاصرُ وأكرَمَهُ.

ثُمّ اجتَمَعَ إلى ابنِ غانِيةَ طوائفُ العرَبِ مِن رِيَاحٍ وعَوْفٍ ونفّاتٍ ومَن معَهم من قبائلِ البَرْبر، واعتَزَمَ على دخولِ إفريقيَّةَ. ونهَضَ إليهِم الشَيخُ أبو

(1) النَّهْبُ مصدرٌ، وهو الغلبة على المال، والقهر، والغنيمة، والجمع نِهاب.

محمدٍ سنةَ ستٍّ ولقِيَهم بجبَلِ نفوسة ففَلَّ عَسْكرَهم واستَلحمَ أُمَراءهم وغَنِمَ ما كان معَهم من الظَّهْرِ والكُرَاع والأسلِحة، وقُتِلَ يومَئذٍ محمدُ بنُ الغازي، وجَرّارُ بنُ وِيغَزَنَ المَغراويُّ، وعبدُ الله بنُ محمدِ بنِ مَسْعودِ بن سُلطان الذَّوّادي، / وكان أبوهُ يومَئذٍ أميرَ رِياح، وقُتِلَ معَهُ ابنُ عمِّه حرَكاتُ بنُ أبي [157أ] الشَّيخ بن عَساكرَ بنِ سُلطان، وهلَكَ يومَئذٍ من العرَبِ الهِلاليِّينَ أميرُ قُرَّةَ، سَمّاهُ ابنُ نَخيل.

وحَكَى ابنُ نَخيلٍ أنّ مَغانمَ المُوحِّدينَ، يومَئذٍ من عَساكرِ الملثَّمينَ كانت ثمانيةَ عشَرَ ألفاً من الظَّهْر، فكان ذلك ممّا أوْهَنَ مِن شِدَّتِه وطامَنَ من بأسِه. وثارَتْ قبائلُ نفوسة بكاتِبِه ابنِ عُصْفور، فقَتَلوا ولَدَيْه، وكان ابنُ غانِيةَ بعَثَهُ عليهم للمَغرم. وسارَ أبو محمدٍ في نواحي إفريقيَّةَ، وأوقَعَ بِسُلَيم، واستأْسَرَ أشياخَهم بأهلِيهم، وأسكَنَهم بتونِسَ حَسْماً لفسادِهم، وصَلَحَتْ أحوالُ إفريقيَّةَ إلى أنْ هلَكَ الشَّيخُ أبو محمدٍ سنةَ ثمانِ عَشْرةَ.

ووَلِيَ إفريقيَّةَ السيِّدُ أبو العُلَى إدريسُ بنُ يوسُفَ بنِ عبدِ المؤمن، ويقال: بل وَلِيَها قُبَيْلَ مَهلِكِ الشَّيخ أبي محمدٍ، فاستطارَ بعدَ مَهلِكهِ شرَرُ ابنِ غانِيةَ، ونجَمَ نِفاقُه. ونهَضَ إليهِ السيِّدُ أبو العُلَى، ونزَلَ قابِسَ وأقامَ بقَصْرِ العَرُوسَيْن، وسَرَّح وَلَدَهُ السيِّدَ أبا زَيْدٍ بعَسْكرٍ من المُوحِّدينَ إلى دُرجَ وغَدامِس، وسَرَّحَ عسكرًا آخرَ إلى وَدّان لحصارِ ابنِ غانِيةَ، فأرْجفَ بهِمُ العرَبَ وانفَضُّوا، وهَمَّ بهِمُ السيِّدُ أبو العُلَى، وفَرَّ ابنُ غانِيةَ من وَدّانَ إلى الزّاب، واتَّبَعَهُ السيِّدُ أبو زيدٍ فنازَلَهُ ببِسْكِرةَ واقتحَمَها عليهِ، ونَجَا ابنُ غانِيةَ

وجَمَعَ أوْشاباً من العرَبِ والبَرْبر، واتَّبَعَهُ السيّدُ أبو زَيْدٍ في المُوحِّدينَ وقبائلِ هَوَّارَة، وتزاحَفُوا بظاهرِ تونِسَ سنةَ إحدى وعشرينَ، فانهزَمَ ابنُ غانِيةَ وجموعُهُ وقُتِلَ كثيرٌ من الملثّمين، وامتلأتْ أيدي المُوحِّدينَ من الغنائم. وكان لهَوَّارَةَ يومَئذٍ -وأميرُهم حنَّاشُ بنُ بَغرَة من وَنِيفَنَ- في هذا الزَّحْفِ أثرٌ مذكورٌ وبَلاءٌ حسَن.

وبلَغَ السّيدَ أبا زَيْدٍ - إثرَ هذه الوقيعةِ - خبرُ مَهلِكِ أبيهِ بتُونِس، فانكفَأَ راجِعاً، وأُعيدَ بنو أبي حَفْصٍ إلى مكانِ أبيهمُ الشّيخِ أبي محمدٍ من إمارةِ إفريقيّة.

واستقَلَّ الأميرُ أبو زكريّاء، منهم، بأمرِها واقتَطَعَها عن مَلَكةِ آلِ عبدِ المؤمن، وتناوَلَها من يَدِ أخيهِ أبي محمدٍ عبدِ الله، وهذا الأميرُ أبو زكريّاء هُوَ جَدُّ الخُلفاءِ الحَفصيّينَ وماهِدُ أمرِهم بإفريقيّة، فأحسَنَ دفاعَ / ابنِ غانِيةَ عنها [157 ب] وشرَّدَهُ في أقطارِها، ورَفَع يدَهُ شيئاً فشيئاً عنِ النَّيْلِ من أهلِها ورَعاياها. ولم يزَلْ شَريداً معَ العرَبِ بالقِفارِ يَبلُغُ سِجِلْماسَةَ من أقصى المغرِب والعَقَبةَ الكبرى من تُخومِ الدِّيارِ المِصْريّة.

واستَوْلى على ابن مَذكورٍ صاحبِ السّوَيْقة، من تُخومِ بَرْقةَ، وأوْقعَ بمَغْراوةَ بِوَاجَرْ، ما بيْنَ مَتّيجةَ ومَلْيانَة، وقتَلَ أميرَهم مِنْديلَ بنَ عبدِ الرَّحمنِ وصَلَبَ شِلْوَهُ بسُورِ الجزائر، وكان يَستخدِمُ الجُنْدَ. فإذا سَئِموا الخِدمةَ ترَكَهم لسَبيلِهم. إلى أن هلَكَ لخمسينَ سنةً من إمارتهِ سنةَ إحدى وثلاثين، وقيل: ثلاث وثلاثينَ وستِّ مائة، ودُفِنَ، وعُفّيَ أثَرُ مَدفنهِ، يقال: بوادِ

الرّجوان قِبْلةَ الأُرْبُس[أ]، ويقال: بجهةِ مَلْيَانة من وادي شلَف، ويقال: بصحراء باديس وتَنومَة من بلادِ الزّاب، فانقرَض أمرُ المُلثّمين من مَسوفةَ ولَمْتُونة من جميع بلادِ إفريقيّة والمغرب والأندلُس بِهَلكِهِ، وذهَبَ مُلكُ صِنهاجةَ من الأرض بذهابِ مُلكِه وانقطاع أثرِه.

وتخَلّف بناتٌ بعدَهُنّ، زعَموا، إلى الأميرِ أبي زكرياء بعهدِه بذلك إلى عِلْجِهِ صابر، فوضَعَهُنّ في يدِه وبلّغَهُ وَصاةَ أبيهِنّ إيّاهُ بهِنّ وحُسْنَ ظنّهِ في كَفالتِه إياهُنّ، فأحسَنَ الأميرُ أبو زكرياء كَفالتَهنّ، وبنَى لهُنّ بحَضْرتِه داراً لِصَوْنِهِنّ معروفةً لهذا العهدِ بقَصْرِ البَنات، وأقَمْنَ تحتَ جِرَايته وفي سَعَةٍ من رِزقِهِ، مَعضُولاتٍ[1] لوَصَاةِ أبيهِنّ بذلك فيهِنّ، وحِفْظِهِنّ لِوَصَاتِهِ. ولقد يُقال: إنّ ابنَ عَمّ لهُنّ خطَبَ إحداهُنّ، فبعَثَ إليها الأميرُ أبو زكرياء وقال لها: هذا ابنُ عمِّكِ وأحَقُّ بكِ، فقالت: لو كان ابنَ عمِّنا ما كَفَلَتنا الأجانب! إلى أنْ هلكْنَ عَوانِسَ بعدَ أن مُتِّعنَ منَ العُمُرِ بحَظٍّ.

أخبرَني والدي - رحمَهُ الله - أنهُ أدرَكَ واحدةً مِنهُنّ أيّامَ صِبَاهُ في سِني العَشْرِ والسّبْعِ مائةٍ تُناهزُ التِّسعينَ من السِّنين، قال: و لَقِيتُها، وكانت من أشرَفِ النِّساء نَفْسا وأسْراهُنّ خُلُقاً وأزكاهُنّ خِلالاً. واللهُ وارِثُ الأرض ومَن عليها.

(أ) تَرِدُ في هذا الجزء بالصّاد والسّين.

---

(1) العَضْلُ المنْعُ، والعَضْلُ منعُ الوليّ المرأةَ في ولايته من الزّواج، وهو محرّم بنصّ القرآن.

وبقِيَ هؤلاءِ المُلَثَّمونَ وقبائلُهم لهذا العهدِ بمَجالاتِهم من جِوارِ [158 أ] السُّودانِ، حَجْزاً بينَهم وبيْنَ / الرِّمالِ التي هِيَ تُخُومُ بلادِ البَرْبرِ من المغرِبَيْنِ وإفريقيَّة، وهُم لهذا العهدِ متَّصِلونَ من ساحلِ البحرِ المحيطِ في المغرِب إلى ساحلِ النِّيل بالمشرِق، وهلَكَ مَن قام بالمُلْكِ منهم بالعُدْوتَيْن، وهُم قليلٌ من مَسُوفةَ ولَمْتُونةَ كما ذكَرْناهُ، أكَلَتْهمُ الدَّولةُ، وابتَلعَتْهمُ الآفاقُ والأقطار، وأفْناهُمُ التَّرَفُ، واستَلْحَمَهم آخِرًا المُوحِّدونَ، وبقِيَ مَن أقامَ بالصَّحراءِ منهم على حالِهم الأوّلِ من افتراقِ الكَلِمة واختلافِ البَيْن، وهمُ الآنَ يُعطُونَ طاعةً لملِكِ السُّودانِ، يَجْبُونَ إليهم خَراجَهم وينفُرُونَ في مُعسكرِهم.

واتَّصَلَ سِياجُهم على بلادِ السُّودانِ إلى المشرِق، مُناظِرًا لسِياجِ العربِ على بلادِ المَغرِبيْنِ وإفريقيَّةَ، فكُدالةُ منهم، في مُقابلةِ ذوي حَسّانَ، من المَعْقِل، غَرْبَ السُّوسِ الأقصى؛ ولَمْتُونةُ ووَتْزيكةُ في مُقابلةِ ذوي منصُورٍ وذوي عُبَيْدِ الله، من المَعْقِل أيضاً، غَرْبَ المغرِبِ الأقصى؛ ومَسُوفةُ في مُقابلةِ زُغْبةَ غَرْبَ المغرِبِ الأوسَط؛ ولَمْطَة في مقابلةِ رِياحٍ غَرْبَ الزّاب وبجَاية وقُسَنطِينة؛ وتارْكا في مقابلةِ سُلَيْم غَرْبَ إفريقيَّة.

وأكثرُ مَكاسِبِهم الإبِلُ لمَعاشِهم وحَمْلِ أثقالِهم وركوبِهم، والخَيْلُ قليلةٌ لدَيهم أو مَعْدومة، ويَرْكَبونَ من الإبِلِ الفارِهَ يُسمُّونَها النُّجُبَ، ويقتتِلونَ عليها إذا كانتْ بينَهم حَرْبٌ، وسَيْرُها هَمْلَجةٌ ويكادُ يَلْحَقُ بالرَّكْض.

(أ) د: ظ ص: حجزا.

وربّما يَغْزُوهم أهلُ القَفْرِ من العرَبِ وخصوصاً بنو[ا] سَعيدٍ من بادِيةِ رِيَاح، فهم أكثرُ العرَبِ غُزّى[1] إلى بلادِهم، فيستَبيحُونَ مَن صَبَّحُوهُ منهم ويَنْكَفِئُونَ مُغِذِّينَ، فإذا اتّصلَ الصائحُ بأحيائهم وركِبوا في اتّباعِهم اعترَضُوهم على المياه قبْلَ فُصُولِهم من تلكَ البلاد، فلا يكادونَ يَخلُصُونَ، وتَشتَدُّ الحَرْبُ بينَهم فلا تَخلُصُ العرَبُ بِغنائِمِهم إلاّ بعدَ جَهْدٍ، وقد يَهلِكُ بعضُهم. ولله الخَلْقُ والأمرُ.

وإذ عرَضَ لنا ذِكرُ السُّودان، فلْنذكُرْ مُلوكَهم، لهذا العهدِ، المُجاوِرينَ لمُلوكِ بلادِ المغرِب[2].

(ا) ط: بني.

---

(1) جمع غازي، والمعنى: أكثر العرب ركوناً للغزو.

(2) يتصل هنا في نسخة د، وبخط أحدث منه في آخر صفحتين: "ذكر نسب بني وزتصلن هؤلاء الملوك والأمراء منهم". وهذا النص غير مكتمل، إذ يتوقف بانتهاء الصفحة بعد مساعد بني تيطلوين. وربما كتب بقية النص في ورقة طائرة ضاعت. تليها صفحة بيضاء ربما أعدت لإثبات مشجر نسبهم.

وفي نسخة ص كتب النص نفسه بخط دقيق مغاير لخط ابن القنفذ ناسخها. ويتوقف النقل بنهاية ما في نسخة د المنقول عنها. وبآخره صلوة تركيب مشجر لجملة علي بن ابراهيم بن ترصكوت، وأثبت في صفحة منفردة مشجر نسب يحيى بن إسحاق المسوفي.

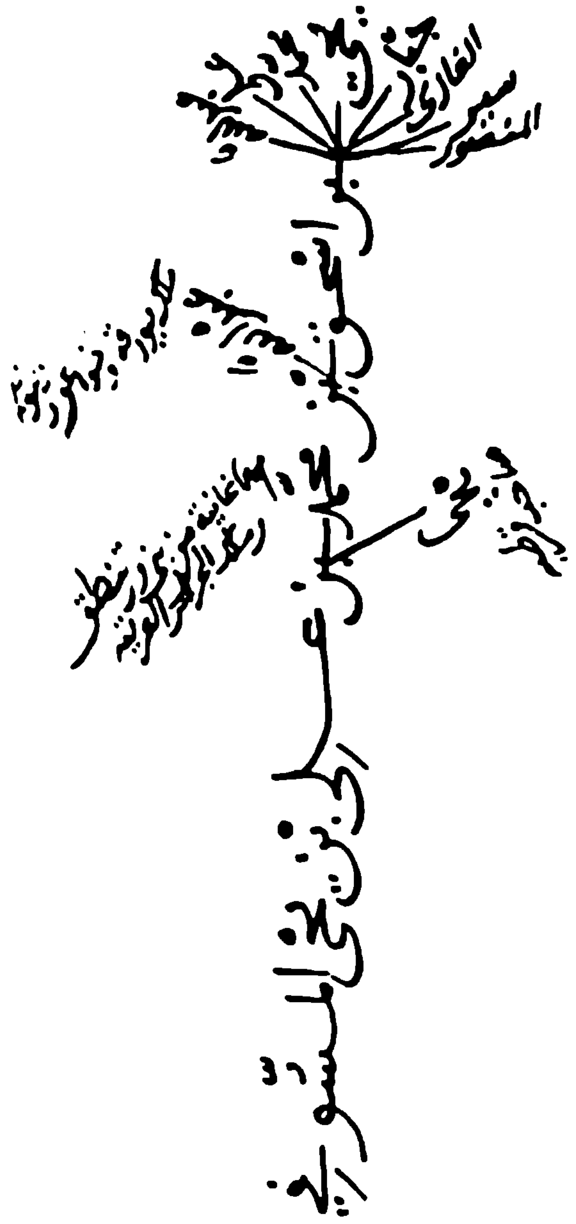

[مشجر نسب يحيى بن إسحاق المسّوفي]

• [ذكر نسب بني وَرْتِيطَنْ هؤلاء، والملوكِ والأُمَراء منهم •

وقد تقدّم لنا أنّه وَرْتِيطَنْ بن منصور بن مَصالّة بن أمِيَل بن واتمال بن تَلَمّيت و هو لَمتُون، ونَسبُه في بُطون البَرْبر مذكور.

وكان لوَرْتِيطَنْ ابنٌ اسْمُه تَرَكُّوت، ومن ولده افترقتْ أنسابُهم، فكان له من الوَلَد مما ذكروا ثلاثةٌ: محمد وإبراهيم ويمّذ.

فأمّا يمَذْ بن تَرَكُّوت فمن وُلْده حسن بن عِمْران بن يِمّذْ، ويوسف ابن أبي بكر بن يِنْمَذْ، ومحمد بن علي بن وَمفُور بن يِنْمَذْ.

وأمّا محمد بن تَرَكُّوت، فمن وُلْده: بنو سِيرْ بن أبي بكر بن يوسف ابن محمد، وهم: وَانُّودين، ويوسف، ومحمد، ويَحْيى. ومن وُلْده أيضًا: بنو يَدْرَارَنْ بن حسن بن محمد، وهم: موسى، وعبد الله المعروف بالحاجي، وابناه عيسى ويحيى.

ومن وُلْد محمد أيضًا: بنو واسِينُو بن حسن بن محمد، وهم: علي، وعبد الله، ومَزْدَلِي، وعمر، الأربعة بنو حُدَير بن واسِينُو. وداود وأبو بكر وعبد الله وتاشفين وعليّ ومحمد، الستّة بنو يحيى بن واسِينُو.

ومن وُلْده أيضًا: بنو يُوبَلَنْكَان بن حسن بن محمد، وهم: أبو محمد، ومزدَلي، وعبد الله، ومحمد، ابنا مزدَلي.

ومن وُلْده أيضًا: بنو صِيد بن حسن بن محمد، وهما: محمد بن صِيد وابنُه يوسف، و يوسف بن صِيد وابنُه عمر.

ومن وُلْده: زياد بن حسن بن محمد، وابنه محمد. ومن وُلْده أيضًا: تاشفين بن محمد وابنه يَطّوفِث، وابناه كَلَطُو ومَزْدلي ابنا يَطّوفِث. وبنو موسى بن تاشفين، وهم: يَحيى ومحمد ويَنفُور ونبلان الأربعة. ومن وُلْده أيضًا: عيسى بن تاشفين، وحافِدُه عمران بن يحيى بن عيسى. انقضَى بنو محمد بن تَرَكّوت وأخيه بِمَدْ.

وأمّا إبراهيم بن تَرَكّوث، فمن وُلْده أيضًا: علي بن إسحاق بن إبراهيم، وابنه يَحيَى، وحافد أخيه أبو بكر بن محمد بن تاشفين بن علي. ومن وُلْده أيضًا: عمر بن إبراهيم، وأبناؤه الأربعة: سِيْر وتميم وإبراهيم وعمر. ومن محمد بن يحيى إبراهيمُ وأبو بكر. ومن تاشفين بن عمر محمدُ بنُ سِيْر بن تاشفين، ومحمد ابن بَنْدَكَز بن تاشفين، ويَحيى بن تاشفين، وأبناؤه الثلاثة: محمد وعلي وأبو بَكْر. ومن وُلْده أيضًا: تاشفين بن إبراهيم أبو الملوك بالمغرب، فمنه: يوسف ابن تاشفين، وأبناؤه: المُعِزّ وإبراهيم وتَميم، وأبو بكر بن علي بن يوسف، وموسى ويَحْيى وعبد الله بنو أبي بَكْر بن يوسف بن تاشفين. وأظنُّه سقط لهذا التشابه من يوسف بن تاشفين ذكرُ إسحاق بن عليّ بن تاشفين بن علي، وابنه إبراهيم الذّي قتله الموحّدون.

ووقفت في كتب أنسابهم على ذكر الأمير أبي بَكْر صاحب شرق الأندلس، وهم من مَسُوفَة إخوةِ لمتونة ومُظاهِرُوهم على الدَّوْلة، ويعرفون ببني تِيفَلْوِيث، وهم أبو بكر بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن تيفِلْجِتْ بن

تَابُلِيِن، وإخوة تاشفين بن إبراهيم وابن أخيه تاشفين بن حسن بن إبراهيم.
ومن بني عَمِّهِم إسحاق بن باران بن تمجُوصِت بن تيفِلْجِتْ][1].

(1) كما سبق أن أشرت، ينقطع النص هنا في د ص، وهو غير مكتمل.

[159 أ] ## ❁ / الخبرُ عن مُلوك السُّودان المُجاوِرين للمغرب من وراءِ هؤلاءِ المُلثّمين، ووَصْفِ أحوالهم والإلمامِ بما اتصَل بنا من دُولهم

هذه الأممُ السُّودانُ من الآدميِّينَ هم أهلُ الإقليمِ الثّاني وما وراءه إلى آخرِ الأوّل، بل وإلى آخرِ المَعْمور، متّصِلون ما بيْنَ المغربِ والمَشْرق، يُجاوِرونَ بلادَ البَرْبرِ بالمغرب وإفريقيّةَ، وبلادَ اليمنِ والحجازِ بالوسَط، والبَصْرةَ ومَا وراءَها من بلادِ الهندِ بالمَشْرق. وهم أصنافٌ وشعوبٌ وقبائلُ، أشهَرُهم بالمشرِق: الزَّنْج والحَبَشةُ والنّوبة. وأمّا أهلُ المغرِب مِنهم فنحنُ ذاكِروهُم بعدُ.

وأمّا نسَبُهم فإلى حام بنِ نوح، فالحَبشةُ من وُلْدِ حبَشِ بنِ كوشِ بن حام، والنّوبةُ من وُلْدِ نوبةَ بنِ كوشِ بنِ كَنْعانَ بن حامٍ فيما قالَهُ المَسْعوديُّ[1]. وقال ابنُ عبدِ البَرّ[2]: إنهم من وُلْدِ نوبا بنِ قُوط بن بنصرَ[أ] ابن حام، والزَّنْجُ من وُلْدِ زَنْجيِّ بنِ كوش. وأمّا سائرُ الأساوِدِ فمن وُلْدِ قوطُ ابنُ حامٍ فيما قالهُ ابنُ عبدِ البَرّ، و يُقال: هُو قوطُ بنُ حام. وَعَدَّ ابنُ سعيدٍ[3] من قبائلِهم وأُممِهم تسعَ عَشْرةَ أمّةً، فمنهم بالمَشْرقِ:

(أ) القصد والأمم: مصر.

---

(1) أخبار الزمان 89، مروج الذهب 2: 110، 276.

(2) ابن عبد البر: القصد والأمم 24.

(3) عدّ ابن سعيد عددًا من أمم السودان أثناء كلامه على المعمور خلف خط الاستواء من الجنوب. وابن خلدون ينقل عن كتابٍ آخر لابن سعيد غير كتاب الجغرافيا.

الزَّنْجُ على بحرِ الهند، لهم مدينةُ مَنْبَسة، وهم مَجُوسٌ، وهمُ الذين غلَبَ رَقيقُهم بالبَصْرةِ على ساداتِهم معَ دَعيِّ الزَّنْج في خلافةِ الـمُعتمِد.

قال: ويَليهم بَرْبَرا، وهمُ الذين ذكَرَهم امرُؤُ القيس[1] في شعرِه، والإسلامُ لهذا العهدِ فاشٍ فيهم، ولهم مدينةُ مقْدِشو على البحرِ الهنديّ، يَعمُرُها تجّارُ المسلمين. ومن غَرْبِيّهم وجنوبِهم الدَّمادِم، وهُم حُفاةٌ عُراة. قال: وخرَجوا إلى بلادِ الحبَشةِ والنّوبةِ عندَ خروج الططَر[2] إلى العراقِ فعاثوا فيها ثُم رَجَعُوا.

قال: وتَليهِمُ[أ] الحبَشةُ، وهُم أعظَمُ أُمِ السُّودان، وهُم مُجاوِرونَ لليَمنِ على شاطئِ البحرِ الغَرْبِيِّ، ومنهُ عَبَروا لمُلْكِ اليمنِ أيّامَ ذي نُواس، وكانَتْ دارُ مَمْلكتِهم كَعْبَر. وكانوا على دِينِ النَّصْرانيّة،وأخَذَ بالإسلام واحدٌ مِنهم زمَنَ الهجرةِ على ما ثبَتَ في الصَّحيح، ثُم عادوا إلى دينِهم، وهُم ينتظرونَ / مُلكَ [159 ب] جزيرةِ العرَبِ[ب] في آخرِ الزّمنِ. والذي أسلَمَ مِنهم لعهدِ النبيِّ ﷺ وهاجَرَ إليهِ الصَّحابةُ قبْلَ الهجرةِ إلى المدينةِ فآواهُم ومَنَعَهم، وصَلَّى عليهِ النبيُّ ﷺ عندَما نُعِيَ إليهِ، كان اسمُهُ النَّجاشيّ، وهُوَ بلسانِهم: أنْكاش بالكافِ الـمُشمّةِ بالجيم، عرَّبَتْها[ج] العرَبُ جيماً مَحضةً وألحقَتْها ياءَ النَّسب،

(أ) ص: يليهم (ب) د: ملك اليمن (ج) د: عرّبها.

---

(1) يشير إلى قول امرئ القيس (الديوان 66):

على كُلِّ مقْصوصِ الذّنابَى مُعاوِدٍ   بَريدَ السُّرى باللّيلِ من خيْلِ بَرْبَرا

(2) ترسم على الطاء نقطتان متجاورتان، وتنطق مشمّة بين الطاء والتاء.

شأنها في الأسماء العَجَمِيّةِ إذا تصرَّفتْ فيها. وليس هذا الاسمُ سِمَةً لكلِّ مَن يملِكُ منهم كما يزعُمُ كثيرٌ من النّاسِ ممّن لا عِلْمَ له بهذا، ولو كان كذلك(ا) لَبقِيَتْ هذه السِّمةُ إلى اليوم؛ لأنّ مُلكَهم لم يتحوَّلْ عنهم، ومَلِكُهم لهذا العَهْدِ اسمُهُ الخطى، ما أدري اسمُ السّلطانِ نَفْسِه أو اسمٌ لعَشيرةِ الذين فيهم المُلْك.

وفي غَرْبيّتِهِ مدينةُ داموث، وكان بها مَلِكٌ(ب) من أعاظِمِهم، وله مُلْكٌ ضَخْمٌ، وفي شَمالِيّتِهِ مَلِكٌ آخرُ مِنهُمُ اسمُهُ حقُّ الدِّين بنُ أحمدَ بنِ عليِّ بن وَلَصْمَعْ، ومدينتُهُ(ج) وفات، أسلَمَ أوّلُوهُ في تواريخَ مجهولة، [وهم من قبائل جَبَرْت](د) وكان جَدُّ وَلَصْمَعْ مطيعاً لِمَلِكِ داموث وأدرَكَتِ الخطى الغَيْرَةُ من ذلك، فغَزَاهُ واستَوْلى على بلادِه، ثُمّ اتّصَلَتِ الفتنةُ وضَعُفَ أمرُ الخطى، فاسترجَعَ بنو وَلَصْمَع بلادَهم منَ الخطى وبنيه واستَوْلَوْا على وفات وخرّبوها.

وبَلَغَنا أنّ حقَّ الدِّين هَلَكَ ومَلَكَ بعدَهُ أخوهُ سعدُ الدِّين، [ثم بعدَه عليّ ابن حقّ الدين](د) وهُم مسلمونَ ويُعطُونَ الطّاعةَ للخطي أحياناً ويُنابِذونَهُ أُخرى، ﴿والله مالِكُ المُلكِ﴾.

[واسم ملك الحبشة لهذا العهد وهو أول المائة التاسعة داود بن سيفَرْعد وسِمَتُه الخطى، ورأيت اسمَه مكتوبا في أوّل كتابه إلى صاحب جزيرة دَهْلَك من أعماله، هكذا: داود بن أرْعَد، ما أدري، تَبْديلاً للأوّل، أو قصورَ باعٍ في الكتابة، فحذفوا سيف من أبيه](هـ).

(ا) سقط من د (ب) كذا في ظ د، وفي ص: ملكهم (ج) د: في مدينة (د) سقط من ظ، وانفردت به د (هـ) من د وحدها.

قال ابنُ سَعيد[1]: [وفي الشمال من الزَّنْج والحبشة قبائل البُجَا][أ] وهُم نَصارى ومسلمونَ، ولهم جزيرةُ سَواكِن • في بحرِ السُّويس•[ب]، ويَليهم [غربًا][ج] النّوبةُ إخوةُ الزَّنْج والحبَشَة، ولهم مدينةُ دُنْقلة غَرْبَ النّيل، وأكثرُهم نَصارَى ومُجاورونَ للدّيارِ المِصْريّة، ومِنهُم رقيقُها. ويَليهم• في الغرب•[د] زَغاوَة[هـ]، وهُم مُسلمونَ، ومن شُعوبِهم: تاجُوة، ويليهم ....[و] الكانم، وهُم خَلْقٌ عظيمٌ والإسلامُ غالبٌ عَليْهم، ومدينتُهم [أَنْجمي][ز]، و•لهمُ التغلُّبُ على بلادِ الصّحراءِ إلى فَزّان، وكانتْ لهمُ مُهاداةٌ معَ الدَّوْلةِ الحَفْصيّةِ مُذْ أوّلِها•[ح]، وملكُهم لهذا العهد ....[ط] منه قبله محمد بن جيل[ي] بن عبد الله بن عثمان ابن محمد بن أُمّيّ بن جيل، وهو أوّل من أَسْلم منهم، ويقالُ إنه من عَقِب سيْف بن ذي يَزَن، وأن بينَه وبينَهُ نحوٌ من أربعينَ مَلِكًا، وهو بَدَويٌّ رَحّالٌ، وإذا جلَس سَجَد أهلُ دولتِهِ وانبطحوا على وُجُوهِهم حتّى ينقضي كلامُهم، وانتَهى عَسْكرهُ في بعض غَزَواته إلى مائةِ ألفٍ بين فارسٍ وراجل وجاملٍ[2].

ومن حواشي بخط ابن سعيد قال: من تونس -يعني قاعدة إفريقيّة تسعون مرحلة إلى سهيل إلى مرماقان للشرق.......[ك]. وبين أنجمي إلى يَلَمْلم

(أ) من د. وفي ظ: وتليهم البُجَا (ب) سقط ما بين النجمين من ص (ج) سقط من ظ ص (د) سقط ما بين النجمين من د (هـ) من حاشية د، وفي المتن: زغاي (و) كلمة في حاشية د لم نقرأها ولعلها: مُسْلمي، كما عند ابن سعيد 26 (ز) من د، وفي ظ ص: حمي، وعند ابن سعيد: جمي (ح) سقط ما بين النجمين من د ص (ط) مُخْرج إشارة إلى استدراكٍ في الحاشية لم يظهَرْ في الصورة (ي) ابن سعيد 29: ابن جيل (ك) بياض في د.

(1) كتاب الجغرافيا 28 باختلاف في النصّ.

(2) الجاملُ: القطيع من الإبل مع رُعاته، وصاحب الجمال، كالباقر لصاحب البقر.

خلقٌ كثير كُفّارٌ ....(أ) من يَلَملَم مع الجنوب ملِكٌ كبيرٌ آخرٌ، ويجاور مَلِك أنجمي - وهو ملك الكانم- خمسةُ ملوكٍ أكبرُ منه، وهم معه في حرب وسِلْم، وخَيلُهم صغار. ومن أنْجمي إلى جَاجَة ستّ مراحِل في الغرب، وفيها ثعابين لا تؤذي، وهي إقليم كبير للكانم يمرّ فيه النّيل النازلُ لغانة. قال: وبين أنْجمي وأوّل بلَد التّاجَويّين(1) عشرة مراحل وهنالك أممٌ من السّودان منهم أهل آكلا وهم عُراةٌ ويعيبون اللباس(ب)، وملِكُهم قويّ عادلٌ. ومنهم آفْنو، وهم أيضًا عراةٌ، واسم ملِكهم مَشورٌ، وهو شديدُ الغيرة و لا يُباشر حُرَمَهُ إلاّ المشوّهو الخَلق من الخِصْيان. ويليه ملِكٌ آخرٌ يقال له منيُو. وبعدها أُمّةٌ أخرى يُقال لها كانكوما ثم كانكوام ثمّ أنقِرِمْ. ثم أمّةٌ أخرى أكبرُ من هؤلاء يقال لهم بَدِى وملكهم زَابُومي، وبينه وبين ملك الكانِم حروبٌ. ويليه مَلِكٌ كبيرٌ يقالُ له هَرْذَمي وقبيلُه أنكِرِزْ، وهم كثيرٌ أهلُ شاءٍ وبقر وفِيَلَة، وقبيلُه شاذي ومابَتِي وأَنْهَمْ. وقبائل أنَفْنَا وتَافَلَمْ ومكْبي وهم عُراة كلهم ويسخرونَ ممّن يَلْبَس. ومابَتِي قبيل كبير في بلاد الإسلام يعطون الجزْيةَ. وهناك قبيلٌ آخر كبيرٌ يقال لهم كَالِين، في بلادهم شجرٌ كبارٌ وبِرَكٌ من النيل. وغَزاهم ملكُ الكانم من أنجمي في أواسط المائة السابعة فقتل وسَبَى. ومن ورائهم في الغرب قبائلُ كثيرة إلى كـوكـو وهم يُغيرون على بلادهم. وآذَرْمي مِمّا يليهم.

(أ) كلمتان لم تقرآ (ب) بعدها في د وشطبت: ويرونه معيبًا.

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق 1: 30، 119.

ودَفُومُو للمسلمين، فيها المساجدُ، وسلطانُها مُظْهِرٌ للعَدْل. وقبيلة أنكلاّيا أهلُ إبلٍ ولباسهم الجلود، وهم كفّارٌ.

وقبيلُ تُوكَامِي أوّل بلاد التّاجويّين أهْلُ نَخْلٍ وأودية من ماء النّيل.

والتّاجويّون جنسٌ من زغَاوَة، يعبدون الحجارةَ، ويحاربون أهل وائكو، وبلَدُهم على عشر مراحل شرقيّ أنجيم وعليها يمرّ النيلُ إلى مصر. ومن أنجيم في الغرب إلى بلاد البَرْبر الملَثّمين أربعون مرحلة على شاطيء النّيل إلى تَادَمْكَةَ بور[أ]. ومنها إلى كوكو عشر مراحل، ومن كوكو إلى غَانة عشرون مرحلة، و وَراءَ ذلك في الغرب البحْر المُحيط.

وبَعد التاجويين مدينة [دُنقلة[ب] قاعدة النّوبة، وفي شمالي الكانم بلدُ فزّان وأهلها بَرْبَرٌ، وتنتهي إلى زُوَيْلة في جنوب برقة، وخرّبَها قَرَاقُش الغُزيّ في آخر المائة السّادسة، وهي بلاد نَخْلٍ، وهؤلاء الكانم أعظمُ ملوك السودان][ج].

ويَليهم من غَرْبِهم كوكو، وبعدَهم نقاره والتّكْرور ولَمِي ويَمِيم وجابي[د] / وأنكزار، ويتّصلونَ بالبحرِ المُحيطِ إلى غانةً في الغَرْب. انتهى [160أ] كلامُ ابنِ سعيد.

[ومن[هـ] كلام غَيْره: أن كانَم كُرْسيٌّ، وبَرْنو كُرْسيّ، يقالُ لهما جميعًا زغايْ، يتّصل بهما جنوبًا الحبشةُ، وشرقًا النّوبة، وشمالاً بلاد بَرْقَة، وغربًا

(أ) مهملة غير واضحة وتلث مرة أخرى بالصيغة نفسها (ب) في د: دنقله، باهمال النون (ج) آخر الزيادة التي انفردت بها نسخة د (د) الباء والياء مهملتان، والقراءة افتراضية (هـ) زيادة من د.

التّكرور. وكان ملكُهم لأوّل المائة الثّامنة الحاجّ إبراهيم، ينتسب بزعمهم إلى سيف بن ذي يَزَن، وقفتُ عليه في مُخاطباتهم لملوك مِصْر. وملك إبراهيمُ هذا كُرْسيَّ كانم وكرسيَّ بَرْنُو، وملك من بعده ابنُه الحاجُ إدريس، ثم أخوه داود بن إبراهيم، ثم عُمر بن أخيه الحاج إدريس، ثم أخوه عثمان بن الحاج إدريس، وهو مَلِكُهم لهذا العهد آخر المائة الثّامنة. وانتقض عليهم أهلُ كانم وارتدُّوا عن دينهم، وبقيتْ بَرْنُو في مَلَكَتهم، وهم مُسْلمون مجاهِدون لأهل كانم، ولهم اثنَا عشر مملكة، ولم يخرجْ عنهم إلاّ أهلُ كانم لرِدَّتهم. انتهى.

ونقل ابنُ سعيد عن أبي عبد الله بن موسى المعروف بابن الزّهْراء اللّمْتونيّ، قال: من تونس إلى تَوْزَر اثنا عشر مرحلة، ومنها إلى..... [أ] دزجين نكزاوه مرحلتان، ومنها إلى غدامِس أربع عَشْرة مَرْحلة، وسُهَيلٌ بين عينَيْك والجَدْيُ على كَتِفَيْك. وغدامِسْ فيها تين ونَخْلٌ ورمّان وعنب ولا ...... [ب] فيها، وفي وسطها عينٌ كبيرةٌ منها شُرْبُهم وسقْيهم. ومن غدامِس إلى قانت أربع وعشرونَ مرحلةً في الصّحراء، يَرِدُونَ فيها بعد يومَيْن [ج] في أخْسِيَة، ولا عُمْران فيها. وقانتْ وادٍ بين جبلَيْن، فيه النّخلُ والعيون والآبار، وأكثرُ شجرِها النّخل، وأهلُها من البرابر الملثّمين من صِنْهاجة، يوَرّثون ابنَ الأُخْت، ويحْرمون الولَدَ، ولا يُحجّبون من النّساء إلاّ المتزوّجات. وطعامُهم اللّحم واللّبنُ والسّمنُ، ولباسُهم الجلود، وثيابُ القُطْن والصّوف مَجْلوبةٌ، ومن قانتْ إلى

(أ) موقع إصلاح له إشارة تخرج إلى الحاشيـة لم نجده، وشطب إلغاء للجملة: مدينة تاذمكة نور (كذا مهملة) ومنها إلى كوكو عشر مراحل، ومن كوكو إلى غانة عشرون مرحلة. (ب) بياض لموقع كلمة (ج) وردت مكررة: يومين يومين.

جيوان أوّل الكانم خمس عشرة مرحلة، وسُهَيلٌ قدّامٌ على الجانب الأيسر، والماءُ معدومٌ في ثمانٍ منها. وجيوانُ بلَيدة فيها نخلٌ وعيونٌ صغارٌ وآبار، وشجرُها تينٌ ورُمّان فقط، ولا يوجد فيها المحمّضات. ومن جيوان إلى القُصَيْبَة سَبْعُ مراحل، وهي بُليدةٌ فيها النّخلُ، من عمالات الكانمي. ومنها إلى كوّار، بُلَيدة أكْبَرَ ممّا تقدّم، فيها النّخلُ والموزُ والرمّان والعنب وآبارٌ، وهي للكانميّين، وآبارُهم من قامتَيْن إلى قامةٍ ونصف. ومن كوّار إلى آفاز مرحلتان، ثم منها إلى ماقان أوّل عمارة الكانم خمسُ عشرة مَرْحلة. وماقان أخْصاصٌ ولا تُنْبت إلاّ الذُّرَة والقطانَى والرزّ واللّوبيا وهي عندهم على أصْناف. ومنها إلى حدّ أنْجمي - مدينةِ مَلك الكانم - خمسُ عشرة مَرْحلة في عمارةِ أخْصاصٍ وآبارٍ وأخْساء. ومن ماقان شرقًا إلى أنْجمي، وسهيلٌ إلى اليَمين، وشجرها مُخالف لأشْجارنا وتُؤكل ثمارُها فلا تُستَمْرَأُ، إلاّ التّمر، وفيها الكابليّ وتَمْر الهنديّ وشجرُ الجمّيز، والخرّوبُ مُرّ تأكُلُه الماشيةُ والجمال، وعندهم القمحُ والرزّ وأنواع القطانَى والسّمسم وحبُّ عزيز دون بَذْر. وبين أنجمي والنّيل يومان، وهو فرعٌ منه يأتيه.

قال في تلك الحواشي: وللملك أنجمي قصرٌ مزوّق وجامع، وشرابُهم من آبار وأخْسِيَة. ويَنْفرِدُ الملك بالبُسْتان عن رعيّته، وفيه التّين والعِنب والرمّان، وثيابُهم القطنُ، وعامّتهم يلبسون الجلودَ، والكلّ ملثّمون إلى غدامِس، ونفوسة برابرةُ الجبَل ملثّمون، والعربُ من دَبّاب وسالم وهيب ورواحة كلّهم ملثّمون][1].

(1) انتهت الزيادة التي تفرّدت بها نسخة د. وتنشر للمرة الأولى. وأكثر مادّة هذا الفصل وما يتصل بملوك وممالك السودان، مستمدّ من جغرافية الإدريسي.

ولمّا فُتِحتْ إفريقيَّةُ والمغرِب، دَخَلَ التُّجّارُ بلادَ أهلِ المغرِبِ منهم، فلم يَجِدوا فيهم أعظَمَ من مُلْكِ غانَة، كانوا مُجاوِرِينَ للبحرِ المحيطِ من جانبِ الغَرْب، وكانوا أعظمَ أُمّةٍ، ولهم أضخَمُ مُلْكٍ، وحاضِرةُ مُلكِهم غانَة، مدينتانِ على ضِفّتَيِ النِّيل مِن أعظمِ مَدائنِ العالَمِ وأكثرِها مُعتمَراً. ذكَرَها مؤلِّفُ كتابِ رجّار [1] وصاحبُ المَسالكِ والممالك [2].

وكانت تُجاوِرُهم من جانبِ الشَّرقِ *أُمّةٌ أُخرى* [أ]، فيما زَعَمَ النّاقِلون، تُعرَفُ صُوْصُوْ [ب]، بصادَيْنِ مَضمومَيْنِ أو سِينَيْنِ مُهملَتَيْن. ثم بعدَها أُمّةٌ أخرى تُعرَفُ مالِّي [ج]، ثُم بعدَها أُمّةٌ أخرى تُعرَفُ كَوْكَوْ، ويُقال: كاغو، ثُم بعدَها أُمّةٌ أُخرى تُعرَفُ بالتَّكرور. وأخبرَني الشيخُ عثمانُ فقيهُ أهلِ غانَةَ وكبيرُهم علماً ودِيناً وشُهرةً، قَدِمَ مِصْرَ سنةَ ستٍّ وتسعينَ حاجّاً بأهلِهِ ووَلَدِهِ، ولقِيتُهُ بها، فقال: إنهم يُسَمّونَ التَّكرورَ: زَغَايْ، ومالّي: انْكَارِيَهْ. انتهى.

ثُمّ إنّ أهلَ غانَةَ ضَعُفَ مُلكُهم، وتَلاشى أمرُهم، واستَفحلَ أمرُ المُلثَّمينَ المُجاوِرينَ لهُم من جانبِ الشَّمالِ ممّا يَلي بلادَ البَرْبرِ كما ذكَرْناهُ، واعتَزُّوا على السُّودان واستَباحوا حِمَاهُم وبلادَهم، واقْتَضَوْا منهمُ الإتاواتِ والجِزَى، وحَمَلوا كثيراً منهم على الإسلام، فدانُوا بهِ. ثُم اضمَحَلَّ مُلْكُ أصحابِ

(أ) سقط ما بين النجمين من د ص (ب) في د ص بصاد مكررة مفتوحة، ولم يلاحظ الناسخ الضبط بعدها بالحرف (ج) كذا في ظ بتشديد اللام.

---

(1) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق 23:1.

(2) البكري: المسالك والممالك 2: 871- .

غانةَ، وتغَلَّبَ عليهم أهلُ صُوْصُوْ المُجاوِرون لهم من أمِ السُّودانِ واستَعْبَدوهُم وأصاروهُم في جُملتِهم. ثُم إنّ أهلَ مالّي كَثُروا أُمَمَ السُّودانِ في نواحيهم تلكَ واستطالُوا على الإقليمِ، فتغَلَّبوا على صُوْصُوْ ومَلَكوا جميعَ ما بأيديهم من مُلكِهمُ القديمِ ومُلْكِ أهلِ غانةَ إلى البحرِ المحيطِ من ناحيةِ المغرب. وكانوا مسلمينَ، يَذكُرونَ أنّ أوّلَ مَن أسلَمَ منهم مَلِكٌ اسمُهُ بَرَمِنْدَانَهْ، هكذا ضَبَطَهُ الشَّيخُ عثمانُ. وحَجَّ هذا المَلِكُ، واقتَفى سَنَنَهُ في الحجِّ مُلوكُهم من بعدِهِ.

وكان مَلِكُهمُ الأعظمُ الذي تغلَّبَ على صُوْصُوْ وافتَتَحَ / بلادَهم وانتزَعَ [160 ب] المُلْكَ مِن أيديهم اسمُهُ مَارِي جَاطَهْ، ومعنى ماري عندَهم: الأميرُ الذي يكونُ مِن نَسْلِ السُّلطان، وجَاطه: الأَسَد، واسمُ الحافِدِ عندَهم تِكِنْ(أ)، ولم يتَّصلْ بنا نسَبُ هذا المَلِك، ومَلَكَ عليهم خمساً وعشرينَ سنةً فيما ذكَروهُ. ولمّا هلَكَ وَلِيَ عليهم من بعدِهِ ابنُهُ مَنْسَا ولي، ومعنى ولي بلسانِهم: عليّ، ومَنْسَا: السُّلطان. وكان مَنْسَا ولي هذا من أعاظمِ مُلوكِهم، وحَجَّ أيّامَ الظّاهرِ بيبَرْس[1]. ووَلِيَ عليهم من بعدِهِ أخوهُ والي، ثُم من بعدِهِ(ب) أخوهُم خليفةُ، وكان مُحمَّقاً رامياً، فكان يُرسِلُ السِّهامَ على النّاسِ فيقتُلُهم مجّاناً، فوَثَبوا عليهِ فقتَلُوهُ، ووَلِيَ من بعدِهِ سِبْطٌ من أسباطِ مارِي جاطه يُسمَّى بأبي بكر، وكان ابنَ بِنْتِهِ، فمَلَّكوهُ على سَنَنِ الأعاجمِ في تمليكِ الأُختِ وابنِ

(أ) ضبطت هكذا في ظ وحدها، وجاء أولها وآخرها مهملاً في د (ب) د: بعدهم.

---

(1) أشار القلقشندي لرحلة حجّه، ولعلّه نقله عن ابن خلدون، صبح الأعشى 5: 293، وانظر المقريزي: التّبر المسبوك فيمن حجّ من الخلفاء والملوك 110.

الأُخت، ولم يقَعْ إلينا نَسَبُهُ ونَسَبُ أبيه. ثم وَلِيَ عليهم من بعدِه مَوْلى من مَواليهم تغلَّبَ على مُلكِهم اسمُهُ ساكُورةُ، وقال الشيخُ عثمانُ: ضَبْطُهُ بلسانِ أهل[ا] غانةَ سِيكُرَة، وحَجَّ أيامَ المَلِكِ[ب] النَّاصِر وقُتِلَ عندَ مَرْجِعِه بتاجُورَا. وكانتْ دَوْلتُه ضَخمةً اتّسَعَ فيها نِطاقُ مُلكِهم وتغلَّبوا على الأُمَمِ المُجاوِرةِ لهم، وافتتَحَ بلادَ كَوْكَوْ وأصارَها في مَلَكَةِ أهلِ مالي، فاتّصَلَ مُلكُهم من البحرِ المحيطِ وغانةَ بالمغرِب إلى بلادِ التَّكرور في المشرِق، واعتَزَّ سُلطانُهم وهابَتْهُمُ [أُمَمُ][ج] السُّودانُ، وارتَحَلَ إلى بلادِهم التُّجّارُ من بلادِ المغرِبِ وإفريقيَّة.

وقال الحاجُ يونُس تُرجُمانُ التَّكرور: إنّ الذي فتَحَ كَوكَو هُو سَغمَنْجَهْ[د] من قُوّادِ مَنْسَا مُوسَى. ووَلِيَ من بعدِ سَاكُورة هذا قُو ابنُ السُّلطانِ ماري جاطة [ثم من بعده ابنُه محمّد بن قُو. ثم انتقل مُلكهم من وَلَد السلطان ماري جاطة][هـ] إلى وَلدِ أخيه أبي بكر، فوَلِيَ عليهم مَنْسَا موسى بنُ أبي بكر، وكان رجُلاً صالحاً ومَلِكاً عظيماً لهُ في العَدْل أخبارٌ تؤثَرُ عنهُ، وحَجَّ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وسبعِمِائة، لقِيَهُ في المَوْسِم شاعرُ الأندَلُس أبو إسحاقَ إبراهيمُ السّاحليُّ المعروفُ بالطُّويجِن[1]، وصَحِبَهُ إلى بلادِه، وكان

(ا) سقط من د ص (ب) سقط من د، ويعني الملك الناصر محمد بن قلاوون (ج) من د ص (د) في د ص بكسر الميم (هـ) من د ص، وسقط من ظ لانزلاق النظر في الاسم المكرر.

(1) إبراهيم بن محمد الأنصاري الساحلي، الطّويجن، مولده بغرناطة، وارتحل ببلاد المغرب، ثم دخل الشام والعراق واليمن وعاد إلى مصر، ويمّم بلاد السودان واتّصل بملوكها وأقام بينهم طويلا، ثم عاد إليهم مرة أخرى واستقرّ عندهم حتّى وفاته سنة 739هـ. الدرر الكامنة 1: 54. وعند المقري أن وفاته سنة 747 هـ بتمبكتو من مالي. نفح الطيب 2: 194.

لهُ اختصاصٌ وعنايةٌ وَرِثَها وُلْدُهُ من بعدِهِ / إلى الآن. وأوطنوا وَالاتَنْ، من تُخومِ بلادِهم من ناحيةِ المغرِب. [161 أ]

ولقيتُهُ في مُنصرَفِهِ صاحبُنا المُعمَّر أبو عبدِ الله بنُ خديجةَ الكوميُّ من وُلْدِ عبدِ المؤمن، كان داعيةً بالزّابِ للفاطميِّ المنتظَر، وأجلَبَ عليهم بعصائبَ من العرَبِ، فمكَرَ بهِ صاحبُ وَارْكـلَا(أ) واعتقَلَهُ، ثُمَّ خلّى سبيلَهُ بعدَ حين، فخاضَ القَفرَ إلى السُلطانِ مَنْسَا موسى مُستَجيشاً بهِ عليهم، وقد كان بلَغَهُ [خروجُه](ب) للحجّ، فأقام في انتظارِهِ ببلدِ غدامِسْ يرجو منهُ نَصْراً على عَدُوِّه ومَعُونةً على أمرِه، لِمَا كان عليهِ مَنْسَا موسى منَ استفحالِ مُلكِهِ بالصّحراءِ المُواليةِ لبلدِ وَارْكـلَا(أ) وقُوَّةِ سُلطانِه، فلَقِيَ مِنهُ مبَرَّةً وترحيباً ووَعدَهُ بالمُظاهرةِ والقيام بثأرِه، واستَصْحبَهُ إلى بلَدِه.

أخبرَني، وهُوَ الثِّقةُ، قال: كنّا نُواكِبُهُ أنا وأبو إسحاق الطّويجِنُ دُونَ وُزرائهِ ووُجوهِ قومِه، فنَأخُذُ بأطرافِ الأحاديثِ فيُمتِع، وكان يُتحِفُنا في كلِّ منزِلٍ بطُرَفِ المآكِلِ والحَلاوات. قال: والذي يحمِلُ آلتَهُ وخُرْثِيَّه من الوصائفِ خاصّةً اثنا عشَرَ ألفاً، لابِساتٍ أقْبِيةَ الدِّيباجِ والحريرِ اليَمَاني.

قال الحاجُّ يونُس تُرْجُمانُ هذه الأُمّة بمِصر: جاء هذا المَلِكُ مَنْسَا موسى من بلدِه بثمانينَ حِمْلاً من(1) التِّبْـرِ، في كلِّ حِمْلٍ ثلاثةُ قَناطيرَ. قال:

(أ) وردت بالألف المقصورة، وجاءت في المرات التالية بالمدّ. فأجريناها على ما غلب واشتهر رسْمُها به
(ب) من د.

---

(1) بيان رحلته في مسالك الأبصار 4: 68، 71، 74.

وإنّما يحمِلونَ على الوَصائفِ والرِّجال في أوْطانِهم فقطْ، وأمّا السَّفَرُ البعيدُ، كالحجِّ، فعلى المَطَايا.

قال ابنُ خديجةَ: ورجَعْنا معَهُ إلى حَضْرةِ مُلْكِه، فأراد أن يتّخِذَ بيتاً لمَقْعدِ سلطانِهِ، مُحْكمَ البناء مُجَلَّلاً بالكِلْس، لغرابتِه بأرضِهم، فأطْرَفَهُ أبو إسحاقَ الطّويجِنُ ببناء قُبّةٍ مربّعةِ الشَّكْل، استفْرَغَ فيها إجادتَهُ، وكان صَنَاعَ اليدَيْن، وأضْفَى عليها من الكِلْس، وغالَى عليها(أ) بالأصْباغ المُنمَّقة، فجاءت من آنَقِ المباني، ووَقَعتْ منَ السُّلطانِ موقعَ الاستغرابِ لفُقدان صِناعةِ البناء بأرضِهم، ووَصَلَهُ باثنَيْ عشَرَ ألفاً من مَثاقيلِ التِّبر مَثُوبةً عليها، إلى ما كان له من الأثَرةِ والمَحَلّ / [161 ب] [التّنْبيه](ب) والصِّلات السَّنِيّة.

وكان بيْنَ هذا السُّلطانِ مَنْسَا موسى وبيْنَ مَلِكِ المغرِب لعهدِهِ من بني مَرِين، السّلطانِ أبي الحَسَن، مُواصَلةٌ ومُهاداة سَفَرَتْ بينَهما فيها الأعلامُ من رجالِ الدّولتَيْن، واستجادَ صاحبُ المغرِب من مَتاع وطَنهِ وتُحَفِ مَمالكِه ما يُحدِّثُ عنهُ النّاسُ زماناً على ما نَذْكُرهُ عندَ مَوْضعِه(2)، بعَثَ بها معَ عليّ بن غانِم أميرِ المَعْقِل وأعيانٍ من رجالاتِ دَوْلتِه، وتَوارَثَ تلك الوُصْلةَ أعقابُهما كما سيأتي.

واتّصَلَتْ أيّامُ مَنْسَا موسى هذا خمساً وعشرينَ سنةً. ولمّا هلَكَ وَلِيَ أمرَ مالّي من بعدِهِ ابنُهُ مَنْسَا مَغَا، ومَعْنى مغا عندَهم: محمد، وهلَكَ لأربعِ سِنينَ

(أ) ص د: عليه (ب) من د، وفي ظ ص: النعه مهملة.

---

(1) العبر 14: 260 وما بعدها.

مِن ولايتِه، ووَلِيَ أمرَهُم من بعدِهِ مَنْسَا سُليمانُ بنُ أبي بكر، وهُو أخو موسَى، واتّصَلَتْ أيّامُه أربعاً وعشرينَ سنةً، ثُم هَلَكَ فوَلِيَ من بعدِهِ ابنُه قَنْبا بنُ سُليمان، وهلَكَ لتسعةِ أشهرٍ من ولايتِه، فوَلِيَ عليهم من بعدِه ماري جاطه بنُ مَنْسَا مَغَا بنِ مَنْسَا موسى، واتّصَلَتْ أيّامُهُ أربعةَ عشَرَ عاماً، وكان شرَّ والٍ عليهم بما سامَهُم منَ النَّكالِ والعَسْفِ وإفسادِ الحُرَم. وأتحَفَ مِلِكَ المغرِبِ لعهدِهِ السُّلطانَ أبا سالمِ ابنَ السُّلطانِ أبي الحَسَنِ بالهَدِيّةِ المذكورةِ سنةَ ثِنْتَيْنِ وسِتِّين، وكان فيها الحيَوانُ العظيمُ الهَيْكَلِ المُستغرَبُ بأرضِ الغَرْب، المعروفُ بالزَّرافة، تحدَّثَ النّاسُ بما اجتمَعَ فيه مِن مُفترِقِ [الخَلْق][1] والشِّيات في جُثمانِهِ ونُعوتِه دَهْراً.

وأخبرَني القاضي الثِّقةُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ وَاسُولْ، من أهلِ سِجِلْمَاسَةَ، وكان أوطَنَ بأرضِ كَوْكَوْ من بلادِهِم واستعمَلُوهُ في خُطَةِ القضاءِ بها، لقِيتُه بمِصْرَ سنةَ ستٍّ وسَبْعينَ وسبعِ مائة، فأخبرَني عن مُلوكِهم بالكثيرِ ممّا كتبْتُه، وذكَرَ لي عن هذا السُّلطانِ جاطةَ أنهُ أفسَدَ مُلكَهم وأتلَفَ ذَخيرتَهم، وكاد أن ينقُضَ مَبانيَ سُلطانِهم. قال: ولقدِ انتهى الحالُ بهِ في سَرَفِهِ وتبذيرِهِ أنْ باعَ حَجَرَ الذَّهَبِ الذي كان في جُملةِ الذَّخيرةِ بخزائنِهم، وهُوَ حَجَرٌ يزنُ عشرينَ قِنطاراً مَنقُولاً من المَعدِنِ / من غيرِ عِلاجٍ بالصِّناعة [162 أ] ولا تَصْفِيةٍ بالنّار، كانوا يَرَوْنَهُ من أنفَسِ الذَّخائر والغَرائبِ لنُدورِ مِثْلِهِ في المَعْدِن، فعرَضَهُ جاطةُ، هذا المَلِكُ المُسرِفُ على تُجّارِ مِصْرَ المُتَرَدِّدِينَ

(1) في ظ، د: الخَلَل، وقد شُطبت في د، وكتب أمامها في الحاشية للاستبدال: الخلق، وهو التصحيح.

إلى بلَدِه، وابتاعوهُ مِنه بأبخسِ الأثمان، إلى ما استُهلِكَ من ذخائرِ مُلكِهم سَرَفاً وتبذيراً في سَبيلِ الفُسوقِ والتخلُّف.

قال: وأصابتْه عِلّةُ النَّوم[1]، وهُوَ مرَضٌ كثيراً ما يَطرُقُ أهلَ ذلكَ الإقليم وخصُوصاً الرُّؤساءَ منهم، يَعتادُهُ غَشْيُ النَّوم عامّةَ أزمانِهِ حتى يكادُ أن لا يُفيقَ ولا يَستيقظ إلاّ في القليلِ من أوقاتِه، ويَزْمُنُ بِصاحبِهِ ويتّصِلُ سَقَمُهُ إلى أن يهلَك. قال: فأزمنَتْ هذه العِلّةُ بجاطةَ هذا مدّةَ عامَيْنِ اثنَيْن، وهَلكَ سنةَ خمسٍ وسَبْعين.

ووَلَّوْا من بعدِه ابنَهُ موسى، فأقبَلَ على مذاهبِ العَدْلِ والنَّظَرِ لهم، ونَكِبَ عن طُرُقِ أبيهِ جُملةً، وهُو الآنَ مَرجُوُّ الهدايةِ. وتغلَّبَ على دَوْلتِهِ وزيرُهُ ماري جاطة، ومعنى ماري عندَهم: الوزيرُ، وجاطةُ تقدَّمَ، وهُوَ الآنَ قد حَجَرَ السُّلطانَ موسى واستبَدَّ بالأمرِ عليه ونظَرَ في تجهيزِ العساكرِ وتجميرِ الكتائبِ، ودوَّخَ أقطارَ الشَّرْقِ من بلادِهم وتجاوَزَ تخومَ كَوْكَوْ، وجهَّزَ إلى مُنازَلةِ بلدِ تكدَّةَ فما وراءَها من بلادِ الملثَّمين كتائبَ نازَلتْها لأوّلِ الدَّوْلةِ وأخذَتْ بمُخنَّقِها ثُمَّ أفرجَتْ عنها، وحالُهمُ الآنَ هذه. وتكدَّةُ هذه على سَبْعينَ مَرحلةً من بلدِ وارْكلا في الجانبِ القِبْليِّ الغَرْبيِّ، ورئيسُها من الملثَّمينَ يُعرَفُ بالسُّلطان، وعليهِ طريقُ الحاجِّ [من السّودان](أ)،

(أ) من د ص .

---

(1) تُسبّبُه ذبابةٌ اسمها العلمي Tsetsefly.

وبينَهُ وبيْنَ أميرِ الزّاب ووَارْكـلا مُهاداةٌ ومراسَلة، قال: وحاضِرةُ المُلْكِ لأهلِ مالّي هُوَ بلدُ بني، بلدٌ متّسعُ الخُطّةِ مُعِينٌ على الزّرْع مُستَبْحِرُ العِمَارَةِ نافِقُ الأسواق، وهُو الآنَ محطٌّ لرِكابِ التَّجْر من المغربِ وإفريقيّةَ ومِصْرَ، والبضائعُ مَجلوبةٌ إليها من كلّ قُطر.

ثُم بَلَغَنا لهذا العهدِ أنّ مَنْسا موسى توفِّيَ سنةَ تسعٍ وثمانينَ، ووَلِيَ بعدَهُ أخوهُ مَنْسَا مَغَا، ثم قُتِلَ لسنةٍ أو نحوِها. / ووَلِيَ بعدَهُ صَنْدَكي(ب) زوجُ أُمِّ [162 ب] موسى، ومعنى صَنْدَكي(ب): الوزير، ووَثَبَ عليهِ بعدَ أشهرٍ رجُلٌ من بيتِ ماري جاطهْ.

ثُم خَرَج من بلادِ الكَفَرةِ وراءَهم رجُلٌ اسمُهُ محْمُود يَنتَسِبُ إلى مَنْسا قُو بن مَنْسا وَلِي بن ماري جاطه الأكبر، فتغَلّبَ على الدَّوْلةِ وملَكَ أمرَهم سنةَ ثِنْتَيْنِ وتسْعِينَ، ولَقّبُهُ مَنْسَا مَغَا(1). والخَلْقُ والأمرُ لله.

(أ) من د ص (ب) كذا في ط، وفي المشجر التالي وفي د بالضاد.

---

(1) في طرف الصّفحة الأيسر الأعلى من نسخة د، كَتَب ابنُ خلدون بخط مائل إلى فوق، قال الحاج يونس: الذي فتح كَوْكَوْ هو سُغمَنجَهْ، من قُوّاد منْسا موسى. وضبطُ الميم من سُغمَنجَهْ بخطّه بالكسر، وتقدّم بالفتح.

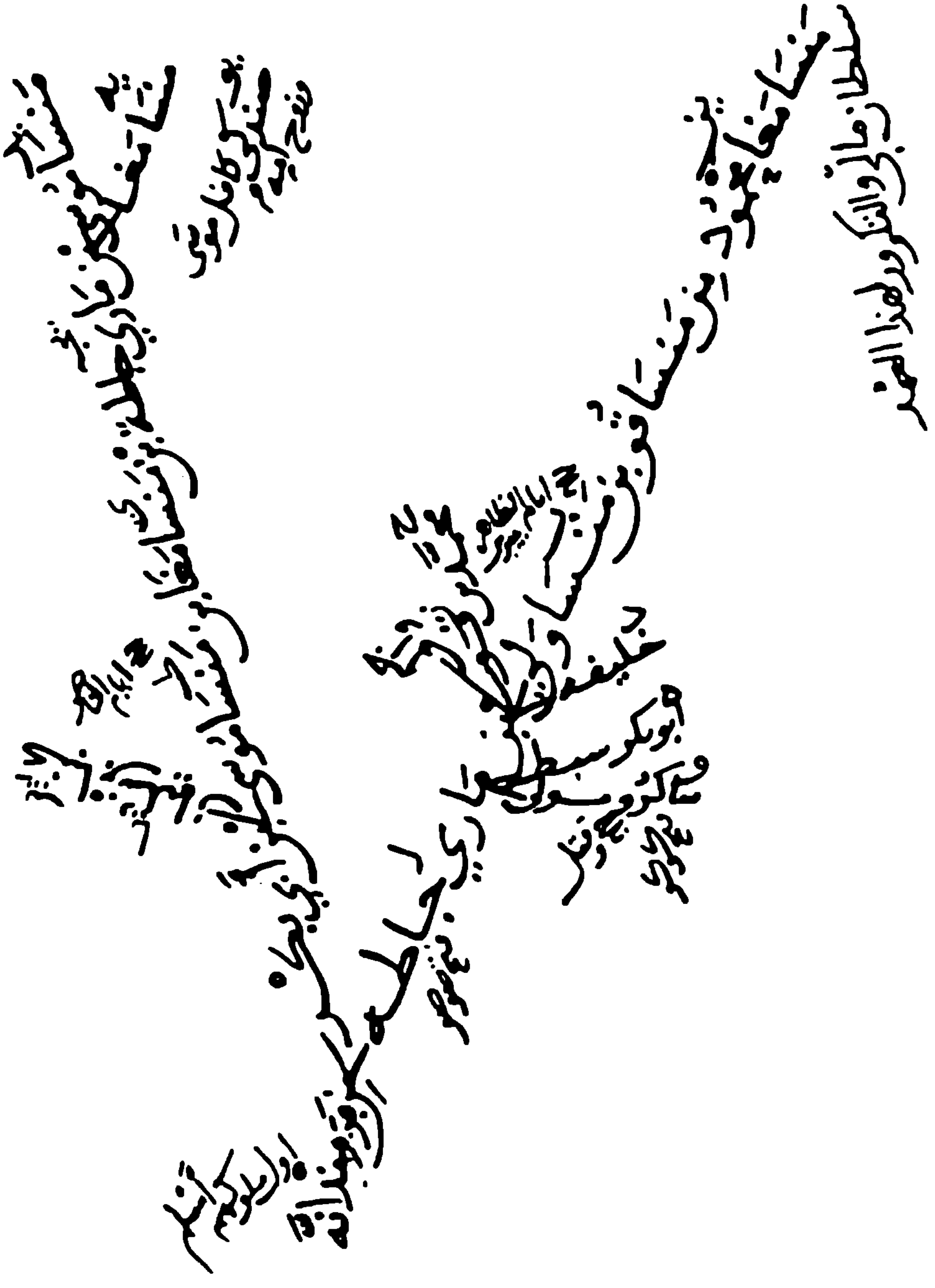

[ملوك مَالّي من بني بَزْمِندانة]

[163 أ]

● / الخبَرُ عن لَمْطَةَ وكزوله وهَسْكورَةَ بني تِصكي، وهم إخوةُ هَوّارةَ وصِنْهاجة

هؤلاءِ القبائلُ الثّلاث قد تقدَّمَ لنا أنهم إخوةٌ لصِنهاجةَ، وأنّ أُمَّهم الخمسةَ تِصكي العَرجاءُ بنتُ زجّيك بن مَادَغْس. فأمّا صِنهاجةُ فمِن وُلْدِ عاميل بنِ زَعْزاع، وأمّا هَوّارةُ من وَلَدِ أوريغ، وهُوَ ابنُها، ابنِ بُرْنُس، وأمّا [الآخَرون][أ] فلا تحقيقَ في نسَبِهم. قال ابنُ حَزْم[1]: إنّ صِنهاجةَ ولَمْطَةَ لا يُعرَفُ لهما أبٌ. وهذه الأُمَمُ الثّلاث مُوَطَّنونَ بالسُّوس وما يَليهِ من جبالِ الصّحراءِ وجبالِ دَرَن، مَلأُوا بسائطَه وجِبالَه.

● فأمّا لَمْطَة، فأكْثَرُهم مُجاورونَ الملثَّمينَ من صِنهاجة، ولهم شُعوبٌ كثيرةٌ، وأكثرُهم ظَواعِنُ أهلُ وَبَر، ومِنهم بالسُّوس قَبيلتا زُكُن[ب] ولَخس، صاروا في عِدَادِ ذَوي حسّانَ من المَعْقِل، وبقايا لَمْطةَ بالصّحراءِ معَ المُلَثَّمينَ، ومُعظَمُهم في قِبْلةِ بلادِ تِلِمْسانَ وإفريقيّة، وكان مِنهمُ الفقيهُ وَاكّاك بنُ زيري صاحبُ أبي عِمْرانَ الفاسيّ، وكان نزَلَ سِجِلْماسَةَ، ومِن تلميذِه كان عبدُ الله بنُ ياسين صاحبُ الدّوْلة اللَّمْتُونيّةُ على ما مرَّ.

● وأمّا كزولَة فبطونُهم كثيرةٌ، ومُعظَمُهم بالسُّوس، ويُجاوِرُونَ لَمْطَةَ، ويُحارِبُونَهم. ومِنهمُ الآنَ ظَواعنُ بأرضِ السُّوس، وكانتْ لهُم معَ المَعْقِل

(أ) من د. وفي ظ ص: خزرون (ب) كذا ضبطت في ظ.

---

(1) الجمهرة 498

حُروبٌ قبْلَ أن يَدْخُلوا السُّوسَ، فلمّا دخَلوهُ تغَلَّبوا عليهم، وهُمُ الآنَ مِن خَوَلِهِم وأحلافِهم ورعاياهُم.

• وأمّا هَسْكُورَة، وهُم لهذا العهدِ في عِدَادِ المَصامِدةِ، وينتسبونَ إلى دعوةِ المُوحِّدينَ، وهُم أُمَمٌ كثيرةٌ وبطونٌ واسِعة، ومواطنُهم بجبالِهم متَّصِلةٌ من دَرَنْ إلى تَادْلاَ من جانبِ الشَّرْقِ، وإلى دَرْعة من جانبِ القِبْلة، وكان دخولُ بعضِهم في دعوةِ المَهْدِيِّ قبلَ فتحِ مَرَّاكُش، ولم يَستكمِلوا الدّخولَ في الدّعوةِ •[أ] إلاّ من بعدِه، فلذلكَ لا يَعُدُّهم كثيرٌ من النّاسِ في المُوحِّدينَ، وإنْ عُدُّوا فلَيْسوا من أهلِ السّابقةِ فيهم، لمُخالفتِهم الإمامَ أوّلَ الأمرِ، وما كان من حروبِهم معَهُ ومَع أوليائهِ وشِيعتِه. وكانوا يُنادُونَ بخِلافِهم وعَداوتِهم ويَجْهَرونَ بلَعْنِهم، فيقولُ خَطيبُهم في مَجامع صَلَواتِهم: لَعَنَ اللهُ هَنْتاتَةَ وتِينْمَلَّلْ وشيخَهمُ الضّالَّ المُضِلَّ. فلمّا استقاموا من بعدِ / [163 ب] ذلك لم يكُنْ لهم مَزِيّةُ السّابقةِ كما كانتْ لهَنْتاتَة وتِينْمَلَّلْ وهَرْغَة وهَزْرجة، فإنّ استقامتَهم على الدّعوةِ كانتْ بعدَ فتحِ مَرّاكُش.

وبطونُ هَسْكُورَة هؤلاءِ مُتعدِّدونَ، فمنهم: مصطاوه وغُجْدَامَة[أ] وفَطواكَة وزمراوه وإينتيفَتْ[ب] وأينولتال وبنو سَكُورْ، إلى آخَرينَ لم

(أ) ص: غجدانة (ب) ص: اينتيفت .

(• أ) ما بين النجمين جاء في بطاقة مُلْصقة في نسخة د بخط ابن خلدون، وهي الأصل الّذي اعتمدته النّسخ التالية لها وأدخلتها في متونها.

تحضُرني أسماؤهم. وكانتِ الرِّئاسةُ عليهم آخِرَ دَوْلةِ الـمُوحِّدين لعُمرَ بنِ أوقاريط[أ] الـمُثْبَتِ نَسَبُهُ[ب] وذِكْرُهُ في أخبارِ المأمونِ والرّشيدِ من بني عبدِ المؤمن من خُلفاءِ المُوحِّدينَ بمَرّاكُش. ثُمّ كان من بعدِهِ مَسْعودُ بنُ كلْدَاسَنْ، وهُوَ القائمُ بأمرِ أبي دَبُّوس والـمُظاهِرُ لهُ على شأنِه، وأظُنُّه جَدَّ بني مَسْعودِ الرُّؤساءِ عليهم لهذا العَهْدِ من فَطْواكَةَ[ج] المعروفينَ ببَني خَطّاب، لاتّصالِ الرِّئاسةِ في هَذا البيت. ولمّا انقرَضَ أمرُ الـمُوحِّدِينَ استَعْصَوْا على بني مَرِين مدّةً واختَلَفَتْ حالُهم معَهم في الاستقامةِ والنُّفْرة، وكانوا مَلْجأً للنّازِعِينَ عن الطّاعةِ من عرَبِ جُشَمَ، ومَأْوًى للثّائرِينَ منهم●[د]، ثُمّ استقاموا وأذْعَنوا لأداءِ الضّرائبِ والـمَغارمِ وجِبايَتِها مِن قومِهم، والخُفوفِ إلى العَسْكرِ معَ السُّلطانِ متى دُعُوا إليها، شأنَ غيرِهم من سائرِ الـمَصامِدة.

● وأمّا إينْتِيفت، فكانتْ رِئاستُهم في أولادِ هنُّو، وكان يوسُفُ بنُ يكْنول منهم، اتّخَذَ لنفسِه حِصنَ تافَيُّوث وامتنَعَ بهِ، ولم يزَلْ وَلَدُهُ عليٌّ ومَخْلوفٌ [يشيدَانِه][هـ] من بعدِه، وهلَكَ يوسُفُ وقام بأمرِهِ ابنُه مخلوفٌ وجاهَرَ بالنِّفاقِ سنةَ ثِنْتينِ وسبعِ مِائة، ثُمّ راجَعَ الطّاعةَ، وهُوَ الذي تقَبَّضَ على يوسُفَ بنِ أبي عَيّادٍ الـمُنْتَزِي على مَرّاكُش أيّامَ أبي ثابت سنةَ سبعٍ وسبعِ مِائةٍ، كما نَذْكُرُ في أخبارِه، ففَرَّ إليه لمّا أُحيطَ به، فتقَبَّضَ [عليه][و]

(أ) د: وقّاريط (ب) المثبت نسبه، سقط من ص (ج) تقدمت في ظ: فيطواكه وضُبطت في المشجر التالي: فطْوَاكَه (د) آخر ما أُثبت في طيارة نسخة د بخط ابن خلدون (هـ) من د ص، في ظ: يَشْدانه (و) من د ص، ظ: على .

مَخْلوف وأمكَنَ منهُ، وكانتْ وسيلتَهُ منَ الطّاعةِ، وكان من بعدِهِ ابنُهُ هلالُ ابنُ مَخْلوف؛ [والرئاسة فيهم مُتَصلةٌ لهذا العهد](أ) .

• وأمّا إينولْتَانْ، فكانتْ رِئاستُهم لأولادِ ترُومِيتْ، وكان مِنهم لعهدِ السُّلطانِ أبي سَعيدٍ وابنِهِ أبي الحَسَن: كبيرُهم عليُّ بنُ محمد، وكان لهُ في الخلافِ والامتناع ذكرٌ، واستَنْزَلَهُ السُّلطانُ أبو الحَسَن من جَبَلِه لأوّلِ ولايتهِ بعدَ حصارِهِ بمكانِه، وأصارَهُ في جُملتِه / تحتَ عنايةٍ وجِرَايةٍ إلى أن هلَكَ بتُونِسَ بعدَ واقعةِ القَيْروانِ في الطّاعونِ الجارِف، ووَلِيَ بَنُوهُ من بعدِهِ أمْرَ قومِهم إلى أنِ انقرَضُوا، والرِّئاسةُ لهذا العهدِ في أهلِ بيتِهم ولأهلِ عُمومتِهم.

• وأمّا فَطْواكَةَ، وهُم أوسَعُ بُطونِهم وأعظمُهَا رِئاسةً فيهم، وأقربُهم اختصاصاً بصاحبِ المُلْكِ واستعمالاً في خِدمتِه، وكان بَنو خَطّابٍ منذُ انقراضِ أمرِ المُوحِّدينَ قد جَنَحُوا إلى بني عبدِ الحقِّ وأعطَوْهُمُ المَقادةَ واختَصُّوا شيوخَهم بني خَطابٍ بالوِلايةِ عليهم. وكان شيخُهم لعهدِ السّلطانِ يوسُفَ بنِ يعقوبَ: محمدُ بنُ مَسْعود، وابنُهُ عُمَرُ مِن بعدِه، وهلَكَ عُمَرُ سنةَ أربعٍ وسبعِ مِائةٍ بمكانهِ من جَبَلِه، ووَلِيَ بعدَهُ عمُّه موسى بنُ مَسْعود، وسَخِطَهُ السّلطانُ لتوقُّعِ خلافِهِ، فاعتقَلَهُ، وكان خَلاصُهُ منَ الاعتقالِ سنةَ ستٍّ وسبعِ مائة، وقام بأمرِ هَسْكُورَةَ من بعدِه محمدُ بنُ عُمَرَ بنِ محمدِ بنِ مسعود.

(أ) من د ص.

ولـمّا استفْحلَ مُلكُ بني مَرِينٍ وذهَبَ أثَرُ المُلْكِ منَ المَصامِدة وبَعُدَ بهِ عَهدُهم، صارَ بنو مَرينٍ إلى استعمالِ رُؤسائهم في جِبايةِ مَغارِمِهم لكَوْنهم من جِلْدتِهم، ولم يكُنْ فيهم أكبرُ رِئاسةً من أولادِ يونُس في هَنْتاتة وبَني خطّابٍ هؤلاءِ في هَسْكُورَة، فداوَلُوا بينَهم وِلايةَ الأعمالِ المَرّاكُشيّة، ووَلِيَها محمدُ بنُ عُمرَ هذا من بعدِ موسى بنِ عليّ وأخيهِ محمدٍ شُيوخِ هَنْتاتَة، فلم يزَلْ والياً بها إلى أنْ هلَكَ قُبَيْلَ نَكْبةِ السُّلطانِ أبي الحَسَن بالقَيْروان، ولَحِقَ ابنَهُ إبراهيمَ بتِلِمْسَانَ ذاهِباً إلى السُّلطانِ أبي الحَسَن. فلمّا دَعَا أبو عِنانٍ لنفْسِهِ رجَعَ عنهُ إلى جَبَلِه، وتمسَّكَ بما كان عليهِ من طاعةِ أبيه، ورَمَاهُ أبو عِنانٍ بعمّهِ عبدِ الحقِّ، وقلَّدَهُ الأعمالَ المَرّاكُشيّةَ، فلم يُغْنِ في مُقارعتِهِ إلى أنْ لَحِقَ السُّلطانُ أبو الحَسَنِ بمَرّاكُش فكان مِن أعظمِ دُعاتِهِ، وأبلى في مُظاهرتِهِ. فلمّا هلَكَ السُّلطانُ أبو الحَسَنِ اعتقَلَهُ أبو عِنانٍ وأودَعَهُ السِّجْنَ، ثم قتَلَهُ بيْنَ يدَيْ نهوضِهِ إلى تِلِمْسَانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسين.

وقامَ بأمرِهِ من بعدِهِ أخوهُ منصورُ بنُ محمدٍ، إلى أنْ مَلَكَ الأميرُ عبدُ الرَّحمنِ / بن أبي يَفَلُوسِنَ مَرّاكُش سنةَ ستٍّ وسَبْعينَ، فاستَقْدمَهُ وتقبَّضَ [164 ب] عليهِ واعتَقَلَهُ بدارِ ابنِ عمِّه يَحُو بنِ العَلام بنِ مَسْرى بنِ مَسْعود بنِ خطّاب، كان في جُملتِه، وكان هُوَ وأبوهُ نازِعاً إلى بَني مَرِين خوفاً على أنفُسِهم من أولادِ محمدِ بنِ عُمرَ لترشُّحِهم للأمر، فلمّا استَمْكَنَ مِنهُ بدارِهِ مُعتقَلاً وثَبَ عليه فقتَلَهُ واستَلْحَمَ بَنيهِ معَهُ، وسَخِطَهُ السّلطانُ لها، فاعتقَلَهُ قليلاً ثُم أطلقَهُ. واستقَلَّ برِئاسةِ هَسْكُورَةَ لهذا العهدِ. واللهُ قادرٌ على ما يشاءُ.

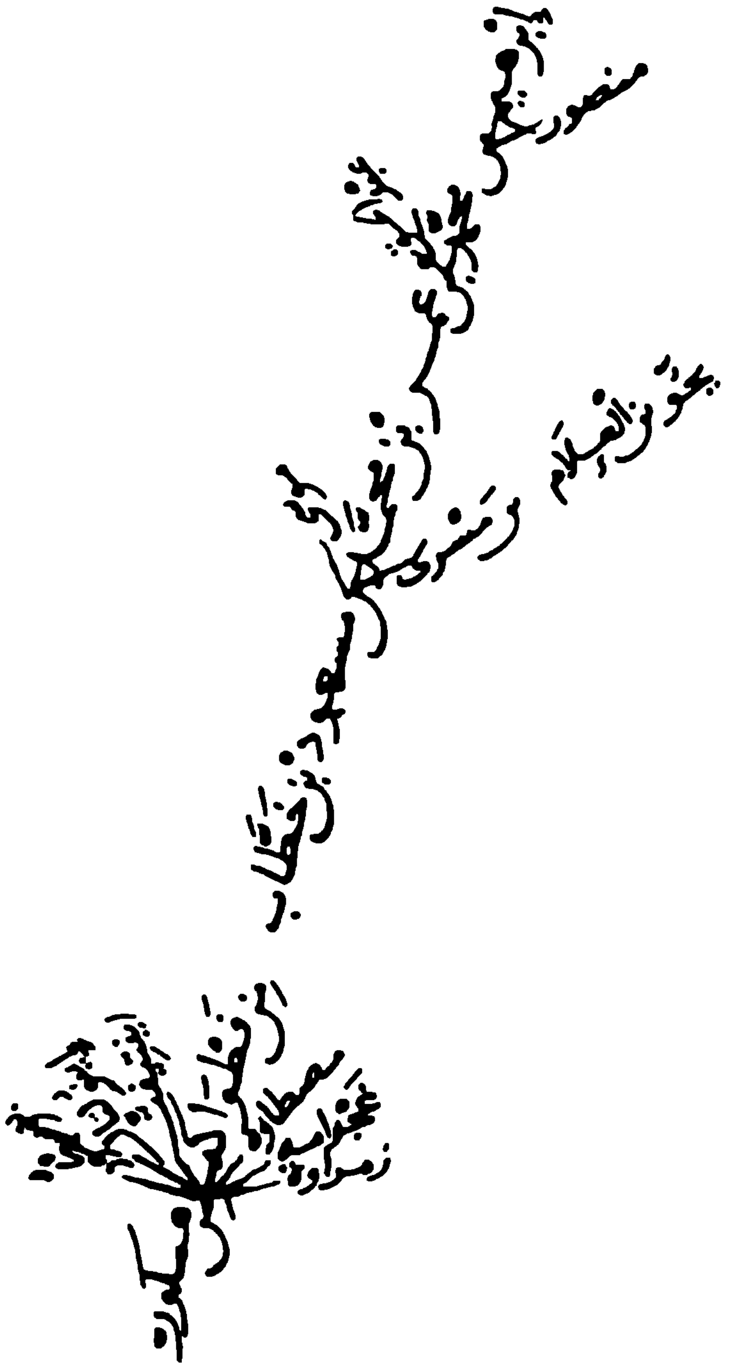

[شيوخُ بني محمد بن مسعود بن خطّاب، من فَطْواكَة الهَسْكوريّين]

● / الطَّبقةُ الثالثةُ من صِنْهاجةَ [165 أ]

وهذه الطَّبقةُ ليس فيها مُلْكٌ، وهُم لهذا العهدِ أوفرُ قبائلِ المغرِب. فِمنهم المُوَطَّنونَ بالجانبِ الشَّرْقيِّ من جبالِ دَرَنْ ما بيْنَ تازَى وتادْلاَ ومَغْدِين بني فازاز، حيثُ الثَّنِيَّةُ المُفْضِيَةُ إلى آكـبزسِلْوِيْن من بلادِ النَّخْلِ، وتفصِلُ تلكَ الثَّنِيَّةُ بيْنَ بلادِهم وبلادِ المَصامِدةِ في المَغرِب من جبالِ دَرَنْ، قدِ اعتَمَروا قُنَنَ تلكَ الجبالِ وشَواهقَها. وتنعطِفُ مَواطنُهم من تلكَ الثَّنِيَّةِ إلى ناحيةِ القِبْلةِ إلى أن تنتهيَ إلى آكـبزسِلْوِيْن ثُمَّ ترجِعُ مُشرِّقَةً من آكـبزسِلْوِيْن إلى دَرْعَة(أ)، إلى ضواحي السُّوسِ الأقصى وأمصارِهِ من تارَوْدَانت وإيفري إن فُوتان(ب) وغيرِهما، ويُعرَفُ هؤلاء كلُّهم باسم صِناكـبة، حُذِفتِ الياءُ منَ اسمِ صِنْهاجةَ، وأشَمُّوا صادَهُ زاياً، وأبْدَلوا الجيمَ بالكافِ المتوسِّطةِ المَخْرَجِ عندَ العربِ لهذا العهدِ بيْنَ الكافِ والقافِ، أو بيْنَ الكافِ والجيم، وهِيَ معروفةُ النُّطق.

ولصِناكـبةَ هؤلاءِ بيْنَ قبائلِ المغرِب وُفورٌ وعُدَّةٌ وشِدَّةُ بأسٍ ومَنَعةٌ، وأعَزُّهم جانباً أهلُ الجبالِ المُطِلَّةِ على تادْلاَ. ورِئاستُهم لهذا العهدِ في وُلْدِ عِمْرانَ الصِّناكـبي، ولهمُ اعتزازٌ على الدُّوَلِ ومَنَعةٌ عن الهَضِيمةِ والانْقِيادِ للمَغْرَم.

ويتَّصِلُ بهم قبائلُ جاناتة، منهم ضواعنُ يَسكُنون بيوتَ الخُصِّ ويَنتجِعُون مَواقعَ القَطْرِ في نَواحي بلادِهم، ما بيْنَ تِينغانيمين من قِبْلةِ مِكْناسةَ

(أ) ظ: دعة (ب) د ص: إن فُوتان.

إلى وادِ أُمّ رَبيعٍ من تامَسْنَا في الجانبِ الشمالِيّ من جانبَيْ جبالِ دَرَنْ، ورِناستُهم في وُلْدِ هَبْرِي من مَشاهيرِهم، ولهمْ اعتيادٌ بالمَغْرَم ورَوْمٌ على الذُّلّ، ويتّصلُ بهم قبائلُ دُكَّالَة في بسيطِ المغرِب من عُدْوةِ أُمّ ربيعٍ إلى مَرّاكُش.

ويتَّصِلُ بهم من جهةِ المغرِبِ على ساحلِ البحرِ المُحيطِ قَبيلةٌ بناحيةِ آزَمُّورَ وافرةُ العَددِ، مُندرِجةٌ في عِدَادِ المَصامِدة وَطَناً ونِحْلةً وجِبايةً وعَمالةً، ورِناستُهم لهذا العهدِ في وُلْدِ عَزيزِ بنِ يَبُّورك، رئيسِهم لأوّلِ دَوْلةِ زَناتة، ويأتي ذِكْرُهُ، ويُعرَفُ عَقِبُهُ الآنَ [بـ]ـبني[1] بطَّان.

[165 ب] ومن / قبائلِ صِنْهاجةَ بطونٌ أُخرى بجبالِ تازَى وما إليها، مثلَ: بطُّويَة، ومجاصة، وبني وَازنْتَن إلى جَبَلِ لكايْ من جبالِ المغرِب معروفٍ ببني لكايْ أحد قبائلِهم يُعطُونَ المَغرَمَ عن عِزّةٍ. ولبطُّويَة منهم ثلاثةُ بطونٍ: بقُّويَة على تازَى، وبنو وَرْياكَـلْ على بلدِ المزمّة، وأولادُ محلى بتافَرْسِيتْ، وكان لأولاد محلى ذِمّةُ صِهْرٍ معَ بني عبدِ الحقّ مُلوكِ بني مَرين، وكانتْ أُمُّ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقّ مِنهم، فاستَوْزَرَهُم، وكان مِنهم طلحةُ بنُ محلى وأخوهُ عُمرُ، على ما يأتي ذِكْرُهُ في دَوْلتِهم.

ويتَّصِلُ ببسيطِ المغرِب، ما بيْنَ جبالِ دَرَنْ وجبالِ الرّيف مِن ساحلِ البحرِ الرُّوميّ حيثُ مَساكنُ غُمارةَ الآتي ذِكْرُهم، قبائلُ أُخرى من صِنْهاجةَ مُوَطَّنُونَ في هضابٍ وأوْدِيةٍ وبسائطَ، يَسْكنُونَ بُيوتَ الحِجَارةِ والطِّين،

(1) من د ص.

مثلَ: فَشتالَة، وبشطَّة، وبني وَزِبَاكَـلْ، وبني حُـمَيد، وبني مَزْكـلْدَةْ، وبني عِمْرانَ، وبني دَزكَول، ووَزتَّزر، وملوانة، وبني وامُّوذْ.

ومَواطنُ هؤلاء كلِّهم بوَرْغَة[أ] وآمَرْكـو، يحترِفون بالحِيَاكةِ والحِراثة، ويُعرَفونَ لذلكَ صِنْهاجةَ البَـزّ، وهُم في عَدَادِ القَبائلِ الغارِمة، ولُغتُهم في الأكثرِ عربيّةٌ لهذا العهد، وهُم مُجاوِرونَ لجبالِ غُمارة.

ويتّصلُ بجِبالِ غُمارةَ من ناحيتِهم جبَلُ شَريف، مَوْطنُ بني وَزَرْوَالْ من صِنْهاجةَ وبني مَعَان، لا يحترِفونَ بـمَعاش، ويُسَمُّوْنَ صِنْهاجةَ العِزّ، لما اقتَضتْهُ مَنَعةُ جِبالِهم. ويقولونَ لصِنهاجةِ آزمُّوز الذين قدَّمْنا ذِكْرَهم: صِنهاجة الزَّزّ[1]، لِمَا هُم عليهِ من الذُّلِ والمَغْرَم. واللهُ وارِثُ الأرضِ ومَن عليها وهُوَ خيرُ الوارِثين.

وقد يُقالُ في بعضِ مَزاعِمِ البَرْبر: إنّ بني وَزينْدْ من صِنْهاجة، وبنو يزناسَنْ وبُطُّويَة، وهما إخوانٍ، وأصلُ يَزْناسَن: أجْناسَنْ، وَمعناهُ بلغةِ العرَب: [اجلس للأرض][ب].

(أ) حروفها غير محرّكة في ظ، وفي د ص: بورغة، ويبدو أن الحركات أُخّرت فوُضعت في غير مواضعها خطأً
(ب) من د ص.

---

(1) قد تكون بمعنى الززّ، جزّ الصوف والعشب والنخل.

[166 أ] ● / الخَبَرُ عن المَصامِدة(1) من قبائل البَرْبر، وما كان لهم من الدَّوْلة والسُّلطان بالمغرِب، ومبادِئِ ذلك وتصاريفه

وأمّا المَصامِدةُ، وهُم من وُلْدِ مصمُودِ بنِ برنس بنِ بَرْبر، فهم أكثرُ قبائلِ البَرْبَر وأوفَرُهم، ومِن بُطونِهم بَرْغُواطة وغُمارة وأهلُ جبالِ دَرَنْ، ولم تزَلْ مَواطنُهم بالمغرِبِ الأقصى منذُ الأحقابِ المتطاولة، وكان التَّقدُّمُ فيهم قُبَيْلَ الإسلام وصَدْرِهِ لبَرْغُواطَة، ثم صار التقدُّمُ بعد ذلك لمصامِدة جبالِ دَرَنْ إلى هذا العهد. وكان لبَرْغُوَاطَةَ في عَصْرِهم دَوْلة، ولأهلِ دَرَنْ مِنهم دَوْلةٌ أخرى أو دُولٌ حسبَما يُذكَر. فلْنَذْكُرْ هذه الشُّعوبَ وما كان فيها من الدُّوَل بحسَبِ ما تأدَّى إلينا من ذلك.

(1) قبائل المغرب 1: 321.

• الخَبَرُ عن بَرْغَواطَة، من بُطونِ المَصامدة، ودَوْلتِهِم، ومَبْدأ أَمْرِهِمْ، وتصاريفِ أحوالهم

وهمُ الجيلُ الأوّلُ منهم، كان لهُم في صَدْرِ الإسلام التقدُّمُ والكَثْرةُ، وكانوا شُعوباً كثيرةً مُفترقِين، وكانتْ مَواطنُهم خصُوصاً من بيْنِ المَصامِدةِ في بسائطِ تامَسْنَا وريفِ البحرِ المُحيطِ من سَلَا وآزمُّور وأَنْفا[1] وأسَفي.

وكان كبيرَهم لأوّلِ المائةِ الثّانية من الهجرةِ طَرِيفٌ أبو صالح، وكان من قُوّادِ مَيْسَرةَ الحَقيرِ المَطْغَريّ القائم بدعوةِ الصُّفْريّة، ومعَهُمَا / معزوزُ بنُ [166 ب] طالوت. ثُم انقرَضَ أمرُ مَيْسرةَ والصُّفْريّةِ[2] وبَقِيَ طَرِيفٌ قائماً بأمرِهم بتامَسْنَا. ويُقال: إنهُ تَنَبّأ أيضاً وشرَعَ لهمُ الشّرائعَ.

ثُم هلَكَ ووَلِيَ مكانَهُ ابنهُ صالحٌ، وقد كان حَضَرَ معَ أبيهِ حُروبَ مَيْسرةَ، وكان من أهلِ العِلم والخَيْرِ فيهم، ثُم انسلَخَ من آياتِ اللهِ وانتحَلَ دَعْوى النُّبوءَةِ وشرَعَ لهُم الدِّيانةَ التي كانوا عليها من بعدِه، وهِيَ معروفةٌ في كتُبِ المؤرِّخينَ، وادَّعَى أنهُ نزَلَ عليه قُرآنٌ كان يَتْلو عليهِم سُوَراً مِنهُ، يُسمّي منها: سُورةَ الدِّيك، وسورةَ الجَمَل، وسورةَ الفِيل، وسورةَ آدمَ، وسورةَ نُوحٍ

(أ) كذا ضبطت في د.

---

(1) ضبطت في د. (في الصفحة [166ب]): آنْفى. واعتمدنا رسم كتاب التشوف 166، وينطق الفاء فيها مرققا. انظر الحاشية رقم 308. وموقعها إلى جانب مدينة الدار البيضاء الحالية. وانظر الأنيس المطرب 517.

(2) كانت وفاته سنة 124هـ. ينظر خبر خروجه سنة 122هـ في تاريخ خليفة بن خياط 352 – 354، النجوم الزاهرة 1: 287، الفرد بل : الفِرَق الإسلامية – 173 وما بعدها.

وكثيرٍ منَ الأنبياء، وسُورةُ هاروتَ وماروتَ وإبليسَ، وسُورةُ غرائبِ الدُّنيا، وفيها العِلمُ العظيمُ بزَعْمِهم، حرَّمَ فيها وحلَّلَ وشرعَ وقَصَّ، وكانوا يقرأونَ بها في صَلَواتِهم[1].

وكان قومُهُ يُسَمُّونَهُ صالحَ المؤمنينَ، كما حَكاهُ البَكْريُّ[2] عن زمُّور بنِ صالحِ بنِ هاشمِ بنِ ورَّادٍ، الوافدِ منهم على [الحَكَم][أ] المُستنصِرِ الخليفةِ بقُرْطُبةَ، من قِبَلِ مَلِكِهم [صاحبِ بَرْغواطةَ أبي منصور][ب] عيسى بنَ أبي الأنصارِ سنةَ ثِنْتَينِ وخمسينَ وثلاثِ مائة، وكان يُترجِمُ عنهُ بجميعِ خبَرِه داودُ بنُ عمرَ المسطَّاسيُّ[ج]، قال: كان ظهورُ صالحٍ هذا في خلافةِ هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ سنةَ سَبْعٍ وعشرينَ من المائةِ الثانيةِ للهجرة، وقد قيل: إنّ ظُهورَهُ كان لأوّلِ الهجرةِ، وإنهُ إنّما انتحَلَ ذلك عِناداً ومُحاكاةً لمّا بلَغَهُ شأنُ النبيّ ﷺ، والأوّلُ أصحُّ.

ثُمّ زَعَمَ أنهُ المَهْديُّ الأكبرُ الذي يَخرُجُ في آخرِ الزّمان، وأنّ عيسى يكونُ صاحبَهُ ويُصلِّي خَلْفَهُ، وأنّ اسمَهُ في العربيّ صالحٌ، وفي السُّريانيّ مَلِكٌ، وفي الأعْجميّ: عالِم، وفي العِبْرانيّ: روبيا[د]، وفي البَرْبَريّ: وَرْيَا[هـ] ومعناه: الذي ليس بعدَهُ نبيٌّ.

(أ) ظ: الحاكم (ب) تكملة من مُغرب البكريّ للتوضيح (ج) البكري: عيسى بن داود السطاسي (د) البكري: وريا (هـ) البكري: ورباوري، وهو ما ورد في شعر سعيد بن هشام المصمودي التالي.

---

(1) الفرد بل: الفرق الإسلامية 174 وما بعدها.

(2) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب 135- وأخباره فيه مفصلة. وسند الخبر عنده: أبو صالح زمّور بن موسى بن هشام بن وارد بن عزن البرغواطي. وانظر أيضا ابن عذاري: البيان المغرب 1:223-.

وخرَجَ الى المشرِقِ بعدَ أن ملَكَ أمرَهُم سَبْعاً وأربعينَ سنةً، ووعَدَهم أنهُ يرجِعُ إليهم في دَوْلةِ السّابعِ منهم، وأوْصى بدِينِه إلى ابنِهِ إلياسَ، وعهِدَ إليهِ بمُوالاةِ صاحبِ الأندَلُس من بني أُميّةَ،/ وبإظهارِ دينِه إذا قَوِيَ أمرُهم. [167 أ]

وقامَ بأمرِهِ بعدَه ابنُه إلياسُ ولم يزَلْ مُظهِراً للإسلام مُسِرّاً لِمَا أوْصاهُ به أبوهُ من كلِمةِ كُفرِهِم. وكان طاهراً عفيفاً زاهداً في الدُّنيا، وهلَكَ لخمسينَ سنةً من مُلكِه.

ووَلِيَ أمرَهم من بعدِهِ ابنُه يونُس، فأظهَرَ دينَهم ودَعَا إلى كُفرِهِم، وقتَلَ مَن لم يدخُلْ في أمرِهِ، حتى خرَّبَ مدائنَ تَامَسْنَا وما إليها، يُقال: إنهُ خرَّبَ ثلاث مائةٍ وثمانينَ مدينةً، واستَلْحمَ أهلَها بالسَّيفِ لمُخالَفتِهم إيّاهُ، وقَتلَ مِنهم بمَوْضِعٍ يُقال لهُ: تَامْلوكَاف، وهُو حَجَرٌ عالٍ نابِتٌ وَسْطَ الطَّريق، فقتلَ سبعةَ آلافٍ وسبعِ مائةٍ وسَبْعين، قال زمُّور: ورحَلَ يونُس إلى المشرِقِ وحَجَّ، ولم يحُجَّ أحَدٌ من أهلِ بيتِهِ قَبْلَهُ ولا بعدَه، وهلَكَ لأربعٍ وأربَعينَ سنةً من مُلكِه.

وانتقَلَ الأمرُ عن بَنيهِ، ووَلِيَ أمرَهم أبو عُفَيْر محمدُ[أ] بنُ مُعاذ بنِ اليَسَعِ ابنِ صالحِ بنِ طَريف، فاستَوْلَى على مَسْلَكِ بَرْغَواطَة وأخَذَ بدِينِ آبائهِ، واشتدَّتْ شَوْكتُهُ وعَظُمَ أثَرُه، وكانتْ لهُ في البَرْبرِ وقائعُ مشهورةٌ وأيّامٌ مذكورةٌ، أشار إليها سعيدُ بنُ هشامٍ المَصْمُوديُّ في قولهِ[1]: [من الوافر]

(أ) البكري: ابو عفير محمد بن معاد

(1) البيان المغرب 1:226. البكري: المغرب 138.

قِفِي قبلَ التفرُّقِ فاخبرِينا ... وقُولِي واخْبِري خَبَراً يَقِيناً[أ]
وهذي أُمَّةٌ هلكوا[ب] وضَلُّوا ... وخابُوا، لا سُقوا ماءً مَعِينا
يقولونَ: النبيُّ أبو عُفَيْر ... فأخْزى اللهُ أُمَّ الكاذِبينا
ألم تَسمَعْ ولم تَرَ يومَ بَهْتٍ[ج] ... على آثارِ خيلِهِمُ رَنينا
رنينَ الباكِياتِ، فبَيْنَ ثَكلى[د] ... وعاوِيةٍ، ومُسقِطةٍ جنينا
سيعلَمُ أهلُ تامَسْنا إذا ما ... أتَوْا يومَ القيامةِ مُهطِعينا[هـ]
هنالكَ يونُسٌ وبنو أبيهِ ... يقودونَ البَرابرَ حائرينا[و]
إذا وَرَيَا وَرِيٌّ رمَتْ عليهم ... جهنمُ قائدَ المُستكبِرينا[ز]
فليس اليومُ يومَكمُ[ح] ولكنْ ... ليَالِيَ كنتُمُ متَيبِّسرينا[ط]

[167 ب] / واتّخذَ أبو عُفَيْرٍ منَ الزَّوْجاتِ أربعاً وأربعينَ، وكان لهُم منَ الوُلْدِ مِثلُها وأكثرُ، وهلَكَ أُخْرَياتِ المائةِ الثّالثةِ لتسعٍ وعشرينَ سنةً من مُلكِه. ووَلِيَ بعدَهُ ابنُهُ أبو الأنصارِ عبدُ الله، فاقتَفى سَنَنَهُ. وكان كثيرَ الدَّعَةِ مُهاباً عندَ مُلوكِ عَصْرِه، يُهادونَهُ ويُدافِعُونَهُ بالمُواصَلة. وكان يلبَسُ المِلْحفةَ والسَّراويلَ، ولا يلبَسُ المَخِيطَ، ولا يعتَمُّ أحَدٌ في بلدِهِ إلاّ الغُرَباء. وكان حافظاً للجارِ وَفِيّاً بالعَهد، وهلَكَ سنةَ إحدى وأربعينَ من المائةِ الرّابعةِ لأربعٍ وأربَعينَ سنةً من مُلكِه، ودُفِنَ بآمسلاخت[ي]، وبها قَبْرُه.

(أ) في البيان المغرب: مُبينا (ب) في البيان: هوم برابر خيبروا وضلّوا (ج) البيان المُغرب: بهْتٍ (د) البيان: بهم نكالى (هـ) سقط البيت السادس من البيان (و) العجز في البيان: يوالون البوار معظّمينا. وقد تُقرأ في د ص: ماسرينا (ز) سقط البيت من البيان (ح) البيان: ردّتكم (ط) البيان: مستيسرينا (ي) ص: اسلاحت.

ووَلِيَ بعدَهُ ابنُهُ أبو منصور عيسى ابن اثنَتَيْنِ وعشرِينَ سنةً، فسارَ بسِيرةِ آبائه، وادَّعَى النُّبوّةَ والكِهَانة، واشتَدَّ أمرُهُ وعَلا سُلطانُه ودانَتْ لهُ قبائلُ المَغرِب. قال زمُّور[1]: وكان فيما أوصَاهُ به أبوهُ: يا بُنَيَّ، أنتَ سابعُ الأُمراءِ من أهلِ بيتِكَ، وأرجو أن يأتيَكَ صالحُ بنُ طَريف. قال زمُّور: كان عَسْكرُهُ يُناهزُ الثَّلاثةَ آلافٍ من بَرْغُواطةَ وعَشْرةَ آلافٍ من سِواهم، مثْلَ جَراوَة وزُواغَة والبرانس ومجكصة ومَطْغَرَة ودَمّر ومطماطة وبني وَارزكيت، وكان أيضاً بنو يَفْرَن وأصّادة وركانة وَإِيزمَنْ ورصافة وَوَنْصارَهْ على دينِهم. ولم يتَّخذْ مُلوكُهُم الآلَةَ منذُ كانوا. انتهى كلامُ زمّور.

وكان لمُلوكِ العُدْوتَيْنِ في غَزْوِ بَرْغُواطَة هؤلاءِ وجهادِهم أثناءَ هذا وبعدَهُ آثارٌ عظيمةٌ منَ الأدارِسةِ والأُمَويّةِ والشّيعة.

ولما أجازَ جَعْفرُ بنُ عليِّ بنِ الأندَلُسيِّ إلى المغرِب، وقلَّدَهُ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ عَمَلَهُ سنةَ ستٍّ وسِتّينَ وثلاث مائة، ونزَلَ البصرةَ ثُمَّ اختلَفَ ذاتُ بَيْنِهِ وبَيْن أخيهِ يَحْيى، واستَمالَ عليهِ وجوهَ الجُند وأُمراءَ زَنَاتةَ، فتَجافى لهُ جَعْفرٌ عنِ العمَل، وصَرَفَ وَجْهَهُ إلى جهادِ بَرْغُواطَة يعتَدُّهُ من صالحِ عمَلِه. وزَحَفَ إليهم في أهلِ المغرب وكافّةِ الجُندِ الأندَلُسيّين، فَلَقُوهُ وَسَطَ بلادِهم، وكانتْ / عليهِ الدَّبَرةُ، ونَجَا بنفسِه في فَلٍّ من جُندِه، ولَحِقَ بأخيهِ بالبَصْرةِ ثُمَّ [168 أ] أجازَ بعدَها إلى المنصُورِ باستدعائه، وتُرِكَ أخوهُ يحيى على عمَلِ المغرِب.

(1) البكري: المسالك والممالك 2: 819 – 827.

ثُمَّ حارَبَتْهم أيضاً صِنْهاجةُ لـمّا غَزا بُلُكّين بنُ زيري المغربَ سنةَ ثمانٍ وسِتّينَ بعدَها وأجْفَلَتْ زناتةُ أمامَهُ، وأرَزُوا(1) إلى حائطِ سَبْتةَ وامتنعوا منهُ بأوْعارِها، فانصرَفَ عنهُم إلى جهادِ بَرْغَواطة. وزحَفَ إليهم، فلقِيَهُ أبو منصُورٍ عيسى بنُ أبي الأنصار في قومِهِ، وكانتْ عليهمُ الهزيمةُ، وقُتلَ أبو منصُورٍ، وأثْخنَ فيهم بُلُكّينُ بالقَتْل، وبعَثَ بِسَبْيِهم إلى القَيْروان. وأقام بالمغربِ يُرَدِّدُ الغَزْوَ فيهم إلى سنةِ اثنتَيْنِ وسَبْعينَ، وانصرَفَ من المغربِ فهَلَكَ في طريقهِ إلى القَيْروان، ولم أقِفْ على مَن مَلَكَ أمرَهُم بعدَ أبي منصُور.

ثُمَّ حارَبَتْهم أيضاً جنودُ المنصُورِ بنِ أبي عامرٍ لـمّا عقَدَ عبدُ الملِكِ بنُ المنصُورِ لمَوْلاهُ واضِحٍ على المغربِ عندَ قُفولِهِ من غَزاةِ زيري بنِ عَطِيّةَ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وثلاث مائة، فافتتَحَ واضحٌ أمرَهُ بغَزْوِ بَرْغَواطة هؤلاء فيمَن قِبَلَهُ منَ الأجنادِ وأُمَراءِ النّواحي وأهلِ الوِلاية، فعَظُمَ الأثَرُ فيهم بالقَتْلِ والسَّبْي.

ثُمَّ حارَبَتْهم أيضاً بَنو يَفْرَن لـمّا استَقَلَّ بَنو يَعْلى بنِ محمدٍ اليَفْرَنيِّ من بعدِ ذلكَ بناحيةِ سَلَا من بلادِ المغرِب، واقتَطعُوهُ من عمَلِ أبناءِ زيري بنِ عَطيّةَ المَغْراويّ بعدَما كان بينَهُما منَ الحُروبِ، وانساقَ أمرُ أولادِ يَعْلى هؤلاءِ إلى تَميمِ بنِ زيري بنِ يَعْلى في أوّلِ المائةِ الخامسة، وكان مؤطِناً لمدينةِ(أ) سَلَا مُجاوِرًا لبَرْغَواطَة، فكان لهُ أثَرٌ كبيرٌ في جهادِهِم، وذلكَ في

(أ) د: بمدينة.

---

(1) أرَزَ إليه التجأ. وأرَزَ الرجُلُ إلى منعته، رحل إليها.

سِني عشرينَ وأربعِ مائة، فغلَبَهم على تامَسْنا ووَلّى عليهم من قِبَلِهِ بعدَ أنْ أثْخنَ فيهم سَبْياً وقتلاً، ثُم تراجَعوا من بعدِهِ، إلى أنْ جاءَتْ دَوْلةُ لَمْتُونةَ وخرَجُوا من مَواطِنِهم بالصحراءِ إلى بلادِ المغرِبِ، وافتتَحُوا الكثيرَ من مَعاقلِ السُّوس الأقصى وجبالِ المَصامِدة. ثُم بَدَا لهُم جِهادُ بَرْغُواطَة بتَامَسْنَا وما إليها منَ الرِّيفِ الغربيِّ، فزَحَفَ إليهم أبو بكرِ بنُ عُمر أميرُ لَمْتُونةَ / في المُرابِطين [168 ب] من قومِه، وكانتْ لهُ فيهم وقائعُ استُشهِدَ في بعضِها صاحبُ الدَّعوةِ عبدُ اللهِ ابنُ ياسين الكُزوليّ سنةَ خمسينَ وأربعِ مائة. واستمَرّ أبو بكرٍ وقومُهُ من بعدِهِ على جِهادِهم، حتى استأْصَلوا شأْفتَهم ومَحَوْا من الأرضِ آثارَهم.

وكان صاحبَ أمرِهم لعهدِ انقراضِ دَوْلتِهم أبو حَفْصٍ عبدُ الله، من أعقابِ أبي منصورٍ عيسى بنِ أبي الأنصار عبدِ الله بن أبي عُفَيْر محمدِ بنِ مُعاذ بنِ اليَسَعِ بنِ صالحِ بنِ طَريف. فهلَكَ في حُروبِهم، وعليه كان انقراضُ أمرِهم وقَطْعُ دابِرِهم على يدِ هؤلاءِ المُرابِطينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وقد يغلَطُ بعضُ النّاس في نسَبِ بَرْغُواطةَ هؤلاءِ، فيَعُدُّهم في قبائلِ زَناتة، وآخَرونَ يقولونَ في صالحٍ: إنهُ يهوديٌّ من وُلْدِ شَمْعونَ بنِ يعقوبَ، نشَأَ بِبَرْباط ورَحَلَ إلى المشرِقِ، وقرَأَ على عبدِ الله المُعتَزليّ، واشتَغلَ بالسِّحر وجمَعَ فنوناً، وقَدِمَ المغرِب ونزَلَ تامَسْنا، فوجَدَ بها قبائلَ جُهّالاً من البَرْبر، فأظهَرَ لهمُ الزُّهدَ وسَحَرَهم بلِسانِه ومَوَّهَ عليهم، فقصَدوه واتَّبعُوهُ فادَّعى النُّبوّةَ. وقيلَ لهُ: بَرْباطي، نِسبةً إلى المَوْطِن الذي نشَأَ به وهُوَ بَرْباط: وادٍ بفَحْصِ شَرِيش من بلادِ الأندلُس، فعَرَّبَتِ العرَبُ هذا الاسمَ وقالوا: بَرْغَواط.

ذكَرَ ذلكَ كلَّهُ صاحبُ كتابِ نَظْم الجَوْهر وغيرُه منَ النَّسابِينَ للبَرْبر. وهُوَ من الأغاليطِ البَيِّنة، وليس القومُ من زَناتة، ويشهَدُ لذلك مَوْطِنُهم وجِوارُهم لإخوانِهمُ المَصامِدة.

وأمّا صالحُ بنُ طَريف فمَعْروفٌ مِنهم، وليس من غيرِهم، ولا يَتِمُّ المُلْكُ والتغلُّبُ على النَّواحي والقبائلِ لمُنقطِعٍ جِذْمُهُ دَخِيلٍ في نَسَبِه، سُنَّةُ اللهِ في عبادِه، وإنّما نسَبُ الرّجُلِ في بَرْغَوَاطَة، وهُم شعبٌ مِن شُعوبِ المَصامِدةِ معروفٌ كما ذكَرْناه. واللهُ وليُّ التوفيق.

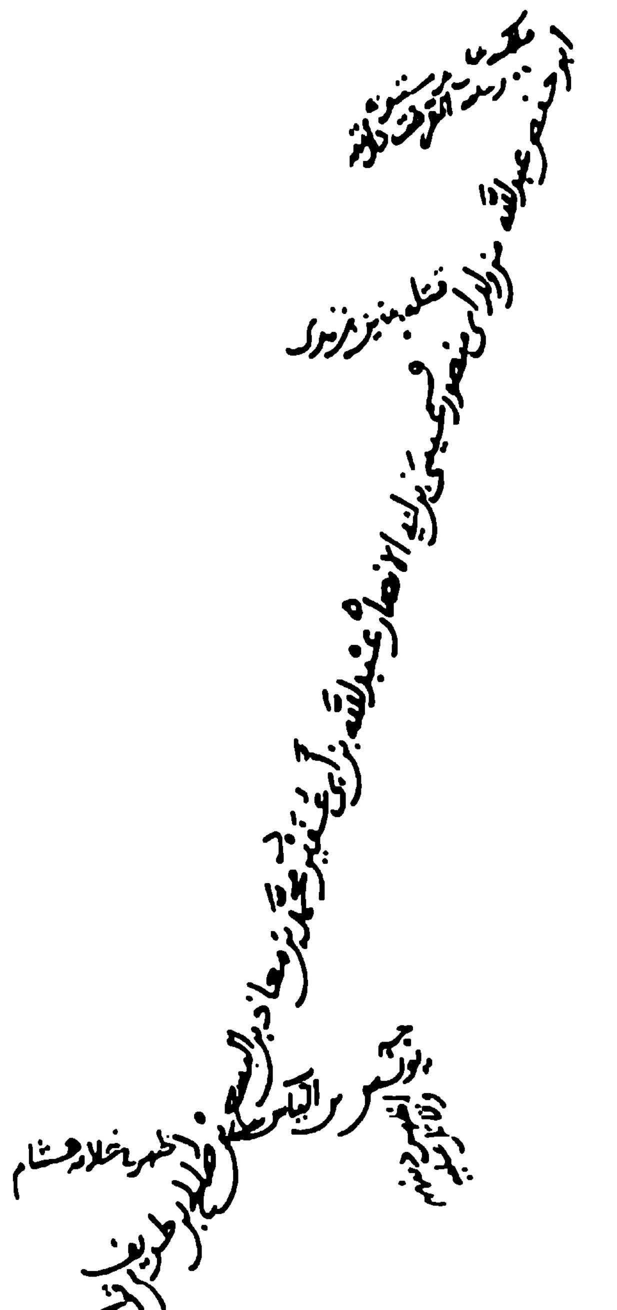

[مشجر نسب أولاد طريف من بُرغواطة. نسخة ظ]

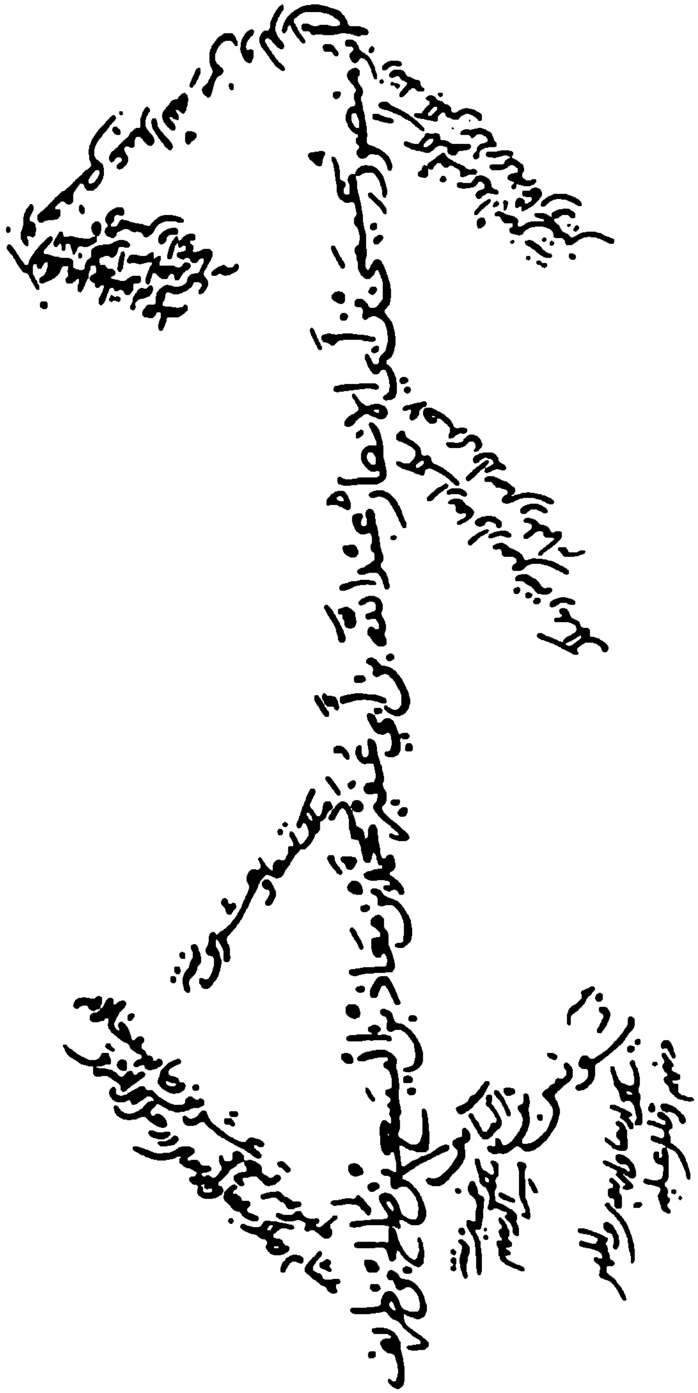

[مشجر نسب أولاد طريف من بَرغواطة. نسخة د]

● / الخبرُ عن غُمارةَ، من بطونِ المَصامِدة، وما كان فيهم من الدُّوَلِ، وتصاريفِ أحوالِهم [169 ب]

هذا القَبِيلُ من بُطونِ المَصامِدة من وَلَدِ غُمارِ بنِ مَصْمُود، وقيل: غُمّار بنِ مسطافِ بنِ مليلِ بنِ مَصْمود، وقيل: غمارُ بنُ أصاد بنِ مَصْمود، ويقولُ بعضُ العامّة: إنهم عرَبٌ غَمَروا في تلكَ الجبالِ فسُمُّوا غُمارة، وهُوَ مذهبٌ عاميٌّ.

• وهُم شعوبٌ وقبائلُ أكثرُ من أنْ تنحَصِرَ، والبطونُ المشهورةُ منهم: بنو حميده[(أ)]، ومسوة، وبنو نال، وأعصاوة، وبنو وَزَرْوَالْ، ومجلسه، وهُم آخِرُ مَواطِنِهم، يَعتَمرونَ جبالَ الرِّيف بساحلِ البحرِ الرُّوميِّ من غيرِ يمِين بسائط المغرِب، من لَدُنْ غِسَاسَة فنُكور فبادِسْ فَتِيَنكيساس فبِنْطاوين فسَبْتَة فالقَصْر إلى طنجةَ، خمسَ مراحلَ أو أزْيَد، أوْطَنُوا منها جِبالاً شاهقةً اتّصَلَ بعضُها ببعضٍ، سِيَاجاً بعدَ سِيَاجٍ خمسَ مراحلَ أُخرى في العَرْض، إلى أنْ تنحَطَّ إلى بسائطِ قَصْرِ كُتامةَ ووادي ورَغَة من بسائطِ المغرِب، تَرتَدُّ عنها الأبصارُ وتزِلُّ في حافاتِها الطُّيورُ لا بل الأوهامُ، وتنفسحُ[(ب)] في رُؤوسِها وبيْنَ قُنَنِها الفِجَاجِ سبُلُ السَّفْرِ، ومَرابِعُ السّائمة، وفُدُنُ الزِّراعة، وأدْواحُ[(ج)] الرِّياض، ومَشابكُ الكرومِ، ومَنابتُ الغُروس، ومَسَابِحُ الأنهارِ، وخَمَرُ الشَّعْراء.

(أ) ظ: حميد (ب) ظ: تنفسخ. ص: تفسح (ج) ظ: أدواج.

ويُبيِّنُ لكَ أنهم منَ المَصامِدة بقاءُ هذا النَّسَبِ المُحيطِ سِمةً فيهم لبعضِ شعوبِهم يُعرَفُونَ بمَصْمودة، ساكِنينَ ما بَيْنَ سَبْتةَ وطَنْجة، وإليهم يُنسَبُ قَصْرُ المجازِ الذي يَعبُرُ منه الخليجُ البَحْريُّ إلى بلدِ طَرِيف، ويَعضُدُهُ أيضاً اتِّصالُ مَواطنِهم بمَواطنِ بَرْغُواطَة، من شعوبِ المَصامِدة، بريفِ البحرِ الغربيِّ، وهُوَ المُحيطُ، إذ كان بنو حسَّانَ، مِنهم، مُوَطَّنينَ[أ] بذلكَ السّاحلِ من لدُنْ أزغَارَ وآصِيلا إلى أنْفَا[ب]، ومن هنالكَ تَتَّصِلُ بهم مَواطنُ بَرْغَواطة ودُكَّالَة إلى قبائلِ دَرَنْ منَ المَصامِدةِ فما وراءَها من بلاد القِبْلة. فالمَصامدةُ هُمْ أهلُ الجبالِ بالمغربِ الأقصَى إلاّ قليلاً منها، وغيرُهم في البسائط.

[170 أ] ولم / يزَلْ عُمَارةُ هؤلاءِ بِمَواطِنِهم هذهِ من لدُنِ الفَتْح، ولم يُعلَمْ ما قبْلَ ذلك. وللمسلمينَ فيهم أزمانَ الفَتْح وقائعُ المَلاحِم، وأعظَمُها لموسى بنِ نُصَيْر، وهُو الذي حمَلَهم على الإسلام واسْتَرْهَنَ أبناءَهم وأنزلَ مِنهُم عَسكرًا معَ طارق بطَنْجةَ، وكان أميرَهم لذلك العهدِ يُلْيان، وهُو الذي وَفَدَ على موسى ابنِ نُصَيرٍ ورَغَّبَهُ في غَزْوِ الأندَلُس، وكان منزِلُهُ سَبْتَةَ كما نَذكُرُهُ، وذلك قبْلَ استحداثِ نُكُور.

وكانتْ في عُمَارةَ هؤلاءِ بعدَ الإسلامِ دُوَلٌ قاموا بها لغيرِهم، وكان فيهم مُتَنبِّئون. ولم تزَلِ الخَوارِجُ تقصِدُ جِبالَهم للمَنَعةِ فيها والاعتصامِ، كما نَذكُرُه.

(أ) ظ: مُوَطَّنُون (ب) د: أنفي.

● الخبَرُ عن سَبْتَةَ ودَوْلةِ بني عصَامٍ بها

كانتْ سَبْتةُ هذه منَ الأمصارِ القديمةِ قبْلَ الإسلام، كانتْ يومَئذٍ منزِلَ يُلْيان ملِكِ غُمارةَ. ولمّا زَحَفَ إليهِ موسى بنُ نُصَيْر صانَعَهُ بالهدايا وأذْعنَ للجِزْيةِ، فأقرَّهُ عليها واسترْهنَ ابنَهُ وأبناءَ قومِه، وأنزَلَ طارقَ بنَ زيادٍ بطَنْجةَ، وضَرَبَ عليهمُ العَسْكرَ للنزولِ معَهُ. ثُمّ كانتْ إجازةُ طارقٍ إلى الأندَلُس فضرَبَ عليهمُ البُعوثَ، وكان الفَتْحُ الذي لا كِفَاءَ لهُ كما مَرَّ في مَوْضِعِه. ولمّا هلَكَ يُلْيان استَوْلَى العرَبُ على مدينةِ سَبْتةَ صُلْحاً من أيدي قومِه، فعَمَروها.

ثُمّ كانتِ فتنةُ مَيْسَرةَ الحَقيرِ وما دَعَا إليهِ من ضَلالةِ الخارِجيّةِ، وأخَذَ بهَا الكثيرُ منَ البَرابِرِ من غُمَارةَ وغيرِهم، فزَحَفَ بَرابِرةُ طَنْجةَ إلى سَبْتة، وأخرَجوا العرَبَ منها وسَبَوْها وخرَّبوها فبَقِيتْ خَلاءً. ثُمّ نزَلَ بها ماجَكْس[1]، من رِجالاتِهم ووجوهِ قبائلِهِم، وبهِ سُمِّيَتْ مَجَكْسَةُ، فبناها ورَجَّعَ إليها النّاسَ، وأسلَمَ، وسَمِعَ من أهلِ العِلمِ إلى أنْ مات، فقام بأمرِهِ ابنُهُ عصام، ووَلِيَها دَهْراً. ولمّا هلَكَ قامَ بأمرِهِ ابنُهُ مجيرٌ، فلم يزَلْ والياً عليها إلى أنْ هلَكَ، ووَلِيَها أخوهُ الرّضا، ويُقال: إنهُ ابنُهُ، وكانوا يُعطُونَ لبني إدريسَ طاعةً مُضَعَّفةً كما نذكرُه.

(1) كذا في ظ د، وفي مشجر ظ، د: مَجَكْس.

ولـمّا سمَا للنّاصرِ أمَلٌ في مُلكِ المغرب، وتناوُلِ حَبْلِهِ من أيدي بني إدريسَ المالكينَ ببلادِ الهَبْط وغُمارةَ حينَ أجْهضَتْهم مِكْناسةُ وزَناتةُ عن مُلكِهِم بفاس، وقاموا / بدعوةِ النّاصرِ وبَثّوها في أعمالِهم، نَزَلُوا حينئذٍ للنّاصرِ [170 ب] عن سَبْتةَ، وأشاروا لهُ إلى تناولِها من بني عِصام، فسَرَّحَ إليهَا عساكرَهُ وأساطيلَهُ معَ قائدِهِ نَجاحِ بن عُفَيْر[1]، فكان فَتْحُها سنةَ تسعَ عَشْرةَ وثلاثِ مِائة، ونزَلَ له الرِّضا بنُ عِصامٍ عنها وآتاهُ طاعَتَهُ، وانقرَضَ أمرُ بني عِصام، وصارَتْ سَبْتةُ إلى النّاصرِ، حتّى استَوْلَى عليها بعدَ حينٍ بَنو حَمّادٍ واستَحْدَثوا بها دَوْلةً أخرى كما نَذكرُه.

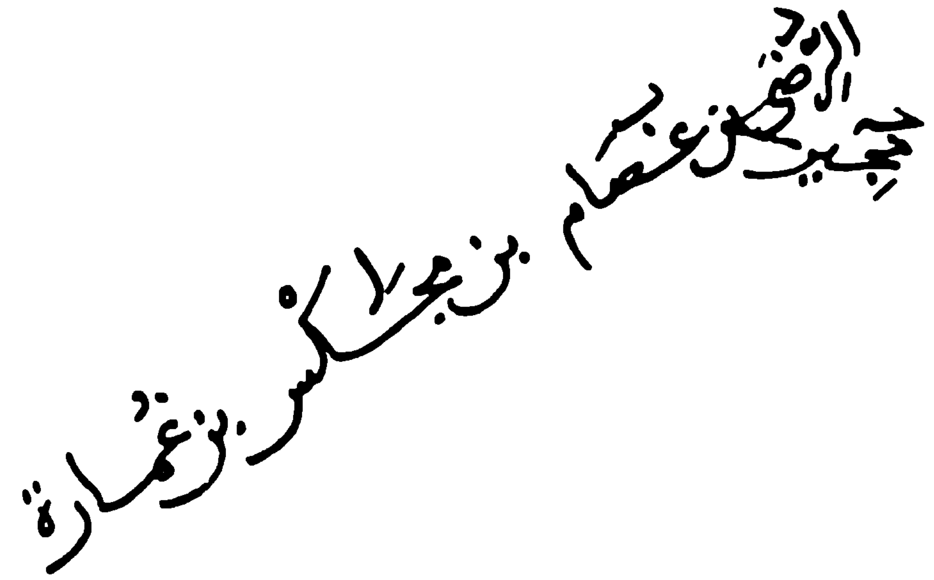

[أمراء دولة بني عِصام بسَبْتة]

(1) د ظ: عفير.

• الخَبَرُ عن بني صالحِ بن منصُور مُلوكِ نُكور ودولتِهم في غُمَارة، وتصَاريفِ أحوالِهم

لمّا استَوْلَى المسلمونَ أيّامَ الفَتْحِ على بلادِ المغرِب وعمالاتِهِ واقتَسَمُوه، وأمَدَّهُمُ الخُلفاءُ بالبعوثِ إلى جهادِ البَرْبر، وكان فيهم مِن كلِّ القبائلِ منَ العرَب. وكان صالحُ بنُ منصور الحِمْيَرِيُّ، من عرَبِ اليَمنِ، في البَعْثِ الأوّل، وكان يُعرَفُ بالعَبْدِ الصّالح، فاستَخْلَصَ نُكورَ لنفْسِه، وأقطَعَهُ إيّاها الوليدُ بنُ عبدِ الملِكِ في أعوامِ واحدٍ وتسعينَ منَ الهجرة، قالهُ صاحبُ المِقْبَاس[1].

• حَدُّ بَلَدِ نُكور[2]

ينتهي من الشّرقِ إلى زواغَة، [أ]وجِوارُه ابنُ أبي العِيص[أ] مسافةَ خمسةِ أيّام، ويُجاوِرُهُ من هنالك[ب] مَطْماطة وأهلُ كِيدانه[ج] ومَرْنِيسَة[د]، وغِسَاسَة أهلُ جَبلِ هرك، وقلوعُ جارة التي لبني وَرْتَنْدي[هـ]، وينتهى من الغَرْبِ إلى بني مَرْوانَ من غُمارةَ، وبني حَمِيْد[و]، وإلى مَسْطَاسَة وصِنْهاجة،

(أ) البكري: زواغة جراوه الحسن بن أبي العيش (ب) البكري: من ها هنا (ج) البكري: كبدان (د) البكري: ولمرنيسة الكدية البيضاء (هـ) البكري: ورتدي (و) البكري: وبني حميد إليهم تنسب الحميدية.

---

(1) هو كتاب المِقْباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس، لأبي مروان عبد الملك بن موسى الوراق، جاءت عنه نقول، ولم يصلنا.

(2) نقل ابن خلدون هذه الفقرة عن البكري: المسالك والممالك 2: 763 وبينهما فروق في الأسماء وتحريف واضح أثبتناه في الفروق. وانظر عن نكور ابن عذاري: البيان المغرب 1: 176.

[17 أ] ومن ورائهم أَوْزَبَة حزبُ فَرْحون، و[بنو] وَليد وزناتة[أ] /، وبنو تمزيتان وبني واسن[ب] حزب قاسم صاحب صا[ج]. والبحر جوفي[د] نكور على خمسةِ أميال.

فأقامَ صالحٌ هنالكَ لمّا اقتطَعَ أرضَها وكثُرَ نسْلُه واجتمَعَ إليهِ قبائلُ غُمارةَ، وصِنهاجة مفتاح[1]. وأسلَموا على يَدِه، وقاموا بأمرِه، ومَلَكَ تمْسَامان، وانتشر الإسلامُ فيهم.

ثُمّ ثَقُلتْ عليهِمُ الشرائعُ والتّكاليفُ، وارتَدُّوا، وأخرَجوا صالحاً ووَلَّوْا عليهِم رجُلاً من نَفْزةَ يُعرَفُ بالرَّنْدي، ثُمّ تابوا وراجَعُوا الإسلامَ ورَجَعُوا صالحاً. فأقامَ فيهم إلى أنْ هلَكَ بِتَمْسَامان سنةَ ثِنْتَيْنِ وثلاثينَ ومائة.

ووَلِيَ أمرَهُم من بعدِهِ ابنُهُ المعتصِمُ بنُ صالح، وكان شَهْماً شَريفَ النَّفْس كثيرَ العبادة، وكان يَلِي الصّلاةَ والخُطْبةَ لهم بنفسِه. ثُمّ هلَكَ لأيّامٍ يَسيرة. ووَلِيَ من بعدِهِ أخوهُ إدريس، فاختَطّ مدينةَ بنُكور في عُدْوةِ الوادي ولم يُكمِلْها وهلَكَ سِني ثلاثٍ وأربَعينَ.

ووَلِيَ من بعدِهِ ابنُهُ سعيدٌ، واستَفْحلَ أمرُهُ، وكان ينزِلُ مدينةَ تَمْسَامان، ثُمّ اختَطّ مدينةَ نكورَ لأوّلِ ولايتِهِ ونزَلَها، وهِيَ التي تُسَمّى لهذا

(أ) البكري: وزناتة أهل تابرهدا (ب) البكري: مراسن (ج) البكري: صاع والكدية المعروفة بتاوررت (د) ظ: حوفي وبين هذه الجملة وما قبلها في نسخة ظ د فراغ .

(1) كذا في النسخ تحقيقًا، وهي قسم فيما يبدو لشعب صنهاجة. غير أنّ مؤلف "قبائل المغرب" يذكر صنهاجة مصباح، فهل هو تصحيف بمفتاح، إلاّ إذا كان المؤلف يستند إلى تسمية لا تزال قائمة ومتداولة. ينظر عن صنهاجة وأقسامها. ع. بن منصور: قبائل المغرب 329، 333.

العهدِ المَزَمّةِ، بيْنَ نهرَيْنِ، أحَدُهما: نُكوز، ومَخْرَجُهُ من بلادِ كزنْتَانه[أ]، ومَخرَجُهُ ومَخْرَجُ وادي وزغَة واحدٌ، والثّاني: عيس[ب] ومَخرَجُهُ من بلدِ بني وَرْياكَل، يجتمعُ النّهرانِ في أكدالْ، ثُم يفترِقانِ إلى البحر. ويُقابِلُ نُكوز من عُدْوةِ الأندَلُس بزَليانة[ج].

• وغزا المَجوسُ نُكوز هذهِ في أساطيلِهم سنةَ أربعٍ وأربَعينَ، فتغلَّبوا عليها واستَباحُوها ثمانياً، ثُم اجتمَعَ إلى سَعيد البَرانسُ وأخرَجُوهم عنها. وانتَقضَتْ غُمَارةُ بعدَها على سَعيد، فخَلَعُوهُ ووَلّوْا عليهِم رجُلاً مِنهمُ اسمُهُ سَكن. وتَزاحَفُوا، فأظهَرَهُ اللهُ عليهِم وفرَّقَ جماعتَهم وقَتَل مُقدَّمَهم، واستَوسَقَ أمرُهُ إلى أنْ هلَكَ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ لسَبْعٍ وثلاثينَ من مُلكِه. وقامَ بأمرِهِ ابنُهُ صالحُ بنُ سعيد، فتَقبَّلَ مَذاهبَ سَلفِهِ في الاستقامةِ والاقتداءِ، وكانتْ لهُ معَ البَرْبرِ حروبٌ ووقائعُ، إلى أنْ هلَكَ سنةَ خمسينَ ومائتَيْن، لثِنْتَيْنِ وسِتّينَ سنةً من مُلكِهِ.

وقام مِن بعدِهِ ابنُهُ سعيدُ بنُ صالح، وكان أصغرَ وَلَدِه، فخَرَجَ عليهِ أخوهُ عُبَيدُ الله / وعمُّه الرِّضَا، وظَفِرَ بهما بعدَ حُروبٍ كثيرة، فغرَّبَ أخاهُ [171 ب] إلى المَشرِقِ وماتَ بمكّة، وأبقى على عمِّهِ الرِّضيِّ لذِمّةِ صِهرٍ بينَهما، وقَتَل سائرَ من ظَفِرَ بهِ من عُمومتِهِ وقَرابتِه.

(أ) ص: كزتنايه، د: كِزْنْتايه (ب) ص عدس (ج) كذا في د، وفي ظ: بزليانه.

وامتَعَضَ لهُما سَعادةُ اللهِ بنُ هارونَ، منهم، ولَحِقَ ببَني يصليتَن أهلِ جبَلِ أبي الحُسَين، ودلَّهم على عَوْرتِه، وبَيَّتوا مُعَسكرَهُ واستَوْلَوْا عليه، وأخذوا آلتَه وقَتَلوا اللُّقَّاء[1] مِن مَواليه، وحاصَرُوهُ بنكور، ثُمَّ كانتْ لهُ الكَرَّةُ عليهم وقتَلَ مِنهم خلقاً. ونَجا سَعادةُ اللهِ إلى تَمْسامان[أ] وتقَبَّضَ على أخيهِ مَيْمونٍ فضَرَبَ عنُقَه، ثُمَّ صارَ سَعادةُ اللهِ إلى طلبِ الصُّلْح، فأسعَفَهُ وأنزَلَهُ معَهُ مدينةَ نُكور.

ثُمَّ غزَا سَعيدٌ بِقومِهِ وأهلِ إيالتِهِ من غُمارةَ بلادَ بطّوية ومرنيسة وقلوعَ جارة وبني [وَزْتَنْدي][ب]، وأصْهرَ بأُختِهِ إلى أحمدَ[2] بنِ إدريسَ بنِ محمدِ بن سُليمانَ صاحبِ[ج] .... وأنزَلَهُ مدينةَ نُكور معَهُ، وتوَطّدَ الأمرُ لسعيدٍ في تلك النّواحي، إلى أنْ خاطَبَهُ عُبيدُ اللهِ المَهْديُّ يَدْعوهُ إلى أمرِه، وفي أسفلِ كتابِه[3]: [الطويل]

فـإن تَـسـتقيـموا أَسْتَقِمْ لِصَلاحِكم وإن تَـعـدِلوا عنِّـي أرى قَتْلَكُم عَدْلاً

وأعلُو بِسَـيْـفي قاهـراً لسُـيوفِكـمْ وأدخُـلُـها عَـنْـوًا وأملأُوها قَـتْـلَا

(أ) د:بمِسامان (ب) تقدم هنا الاسم محققا في د: وزتندي فاعتمدناه، وجاء هنا في ظ: وزندى، و إلى هنا تنتهي قطعة النسخة د [داماد إبراهيم باشا]. (ج) هنا سقط اسم مكان، والكلام متصل في ظ.

---

(1) الملتفين عليه.

(2) رفع البكريّ نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. المسالك والممالك 2: 769.

(3) انظر نصّ الأبيات المتحاورة في المصدر السابق 2: 769 – 770، البيان المغرب 1: 178، الحلة السّيَراء 1: 194، وسماه ابن الأبار الأخمش.

فكتَبَ إليهِ شاعِرُهُ الأحْمَسُ الطُّلَيْطُليُّ بأمرِ يوسُفَ بنِ صالحٍ، أخي الأميرِ سعيد:

كذَبْتَ وبيتِ الله، ما تُحسِنُ العَذْلا ... ولا عَلِمَ الرَّحمنُ مِن قولِكَ الفَضْلا

ومـا أنـتَ إلاّ جـاهـلٌ ومُـنـافـقٌ ... تمـثَّلَ للجُـهّالِ في السُّنةِ المُثْلَى

وهِـمَّـتُـنا الـعُـلْـيا لـدِيـنِ مــحمدٍ ... وقد جعَلَ الرَّحمنُ هِـمَّـتَكَ السُّفْلى

فكتَبَ عبدُ الله(أ) إلى مَصالةَ بنِ حَبُوس صاحبِ تاهَرْت، وأوْعزَ إليهِ بغَزْوِه، فغَزَاهُ سنةَ أربعٍ وثلاثِ مائةٍ لأربعٍ وخمسينَ مِن دَوْلتِه، فحارَبَهُ سَعيدٌ وقومُه أيّاماً، ثُم غلَبَهم مَصالةُ وقتَلَهم، وبعَثَ برؤوسِهم إلى رَقّادة فطِيفَ بها. وركِبَ بَقيّتُهمُ البحرَ إلى مالَقةَ، فتوسَّعَ النّاصرُ في إنزالِهم وإجارتِهم واستَبْلغَ في تكريمِهم. وأقامَ مَصالةُ بمدينةِ نَكور ستّةَ أشهُر ثُم قفَلَ إلى تاهَرْتَ / ووَلَّى عليها دلول من كُتامة، فانقبَضَ العَسكرُ من حولِه. [172 أ]

وبَلَغَ الخبَرُ إلى بني سَعيدِ بنِ صالحٍ وقومِهم بِمالَقةَ، وهُم: إدريسُ، المعتصمُ، وصالحٌ، فرَكِبوا السُّفُنَ إليها. وسبَقَ صالحٌ منهم، فاجتمَعَ إليهِ البَرْبرُ بمَرْسى تَمْسَامان وبايَعُوهُ سنةَ خمسٍ وثلاثِ مائةٍ ولَقَّبُوهُ اليتيمَ لصِغَرِه. وزَحَفُوا إلى دلول فظَفِروا بهِ وبِمَن معَهُ وقتَلُوهم. وكتَبَ صالحٌ بالفَتْحِ إلى النّاصرِ، وأقامَ دَعْوتَهُ بأعمالِه، وبعَثَ إليهِ النّاصرُ بالهدايا والتُّحَفِ والآلة. ووَصَلَ إليهِ إخوتُـهُ وسائرُ قومِه، وآتَـوْهُ طاعتَهُ، ولم يزَلْ على هَذي أوَّلِـيهِ

(أ) يعني عبد الله المهدي الخليفة الفاطمي الأول، ويذكره لاحقا باسم عبيد الله مصغرا.

منَ الاقتداءِ إلى أن هلَكَ سنةَ خمسَ عَشْرةَ وثلاثِ مائة. ووَلِيَ بعدَهُ ابنُه عبدُ البديع، ولُقِّبَ المؤيَّدَ.

وزَحَفَ إليهِ موسى بنُ أبي العافيةِ القائمُ بدعوةِ العُبَيْديّينَ بالمغرِب، فحاصَرَهُ وتغلَّبَ عليه، فقتَلَهُ واستَباحَ المدينةَ وخرَّبَها سنةَ سَبْعَ عَشْرةَ، ثُمّ تراجَعَ إليها فَلُّهم، وقامَ بأمرِهم أبو أيّوبَ إسماعيلُ بنُ عبدِ الملِكِ بنِ عبدِ الرّحمن بن سَعيدِ بنِ إدريسَ بنِ صالحِ بنِ منصُور، وأعادَ المدينةَ التي بناها صَالحُ بنُ منصُورٍ وعَمَّرها وسَكَنَها ثلاثاً.

ثُمّ أغزاهُ مَيْسُورٌ مَوْلى أبي القاسمِ بنِ عُبَيْدِ[أ] الله صَنْدَلاً مَوْلاهُ عندَما أناخَ على فاسَ، فبَعَثَ عَسْكراً معَ صَنْدلٍ هذا، فحاصَرَ جَراوةَ ثُمّ عطَفَ على نُكور، وتحصَّنَ منهُ إسماعيلُ بنُ عبدِ الملِكِ بقَلْعةِ أكدى وبعَثَ إليهِ صَنْدلٌ رُسُلَهُ من طريقهِ فقَتَلَهم، فأغَذَّ إليهِ السَّيْرَ وقاتَلَهُ ثمانيةَ أيّامٍ ثُمّ ظَفِرَ بهِ فقتَلَهُ واستَباحَ القَلْعَةَ وسَبَاها، واستَخْلَفَ عليها من كُتامةَ رجُلاً اسْمُهُ مرمازُو.

وارتَحَلَ صَنْدَلٌ إلى فاسَ، فتراجَعَ أهلُ نُكور وبايَعوُا لموسى بنِ المعتصِمِ بنِ محمدِ بن قُرّةَ[ب] بنِ المعتصِم بنِ صالحِ بنِ منصُورٍ، وكان بجَبَلِ أبي الحسَنِ عندَ بني بصليتنْ، وكان يُعرَفُ بابنِ رُومي، وقال صاحبُ المِقْباس: هُوَ موسى بنُ رُومي بنِ عبدِ السَّميع [بن رُومي][ج] بنِ إدريسَ بن

(أ) تقدم باسم عبد الله، وهو الصحيح. وسبق أن شرحنا وجهة التصغير فيه (ب) في ظ فرة، والإصلاح عن مشجر النسخة (ج) من مشجر النسب التالي .

صَالِحِ بنِ إدريسَ بنِ صَالِحِ بنِ منصُور، فأخَذَ مرمازُو. / ومَن مَعَهُ وضرَبَ [172 ب] أعناقَهم، وبعَثَ برُؤوسِهم إلى النّاصر.

ثُمّ ثارَ عليهِ من أغياصِ بَيْتِهِ عبدُ السّميع بنُ جُرْثُمِ بنِ إدريسَ بن صَالِحِ بنِ منصُور فخَلَعَهُ وأخرَجَهُ عن نُكورَ سنةَ تسعٍ وعشرينَ. ولَحِقَ موسى بالأنْدَلُس ومعَهُ أهلُه ووَلَدُهُ وأخوهُ هارونُ بنُ رُومي وكثيرٌ مِن عُمومتِهِ وأهلِ بيتِه، فمِنهم مَن نزَلَ معَهُ المَرِيَّةَ، ومنهم مَن نزَلَ مالَقَةَ.

ثُمّ انتقَضَ أهلُ نُكورَ على عبدِ السّميع وقَتَلُوهُ واستَدْعَوْا مِن مالَقَةَ جُرْثُمَ بنَ أحمدَ بنِ زيادةِ الله بنِ سَعيدِ بنِ إدريسَ بن صَالِحِ بن مَنصُور، فبادَرَ إليهِم وبايَعُوهُ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ، فاستقامَتْ لهُ الأمور. وكان [على][أ] مَذهبُ سَلَفِهِ في الاقتداءِ والعمَلِ بمذهبِ مالك، إلى أن ماتَ آخِرَ سنةِ سِتّينَ، لخمسٍ وعشرينَ سنةً من مُلكِه.

واتّصلتِ الوِلايةُ في بَنيهِ إلى أن غَلَبَ عليهِم أزداجَةُ المُتغلِّبونَ على وَهْران، وزَحَفَ أميرُهم يَعْلى بنُ الفُتوحِ الأزْداجِي سنةَ ستٍّ وأربعِ مائة، وقيل سنةَ عَشر، فغَلَبَهم على نُكورَ وخرَّبَها، وانقرَضَ مُلكُهم بعدَ ثلاث مائةِ سنةٍ وأربعَ عَشْرةَ سنةً مِن لَدُنْ وِلايةِ صَالح، وبَقِيَتْ في بَني يَعْلى بنِ الفُتُوح وأزداجَةَ إلى أعوامِ سِتّينَ وأربعِ مائةٍ. واللهُ مالكُ الأمورِ لا ربَّ غيرُه.

(أ) زيادة لضبط السياق.

[بنو صالح بن منصور الحميري، ملوك نكوز]

● / الخبرُ عن حاميمَ[1] المتنبّي من غُمارةَ [173 ب]

كان غُمارةُ هؤلاءِ غريقينَ في الجَهالةِ والبُعدِ عنِ الشرائعِ، بالبَداوةِ والانتباذِ عن مَواطنِ الخَيْرِ. وتنبّأ فيهم من مَجَكْسَه حاميمُ بنُ مَنّ اللهُ بنِ جَريرِ بنِ عُمَرَ بنِ زحفو بنِ أزروالَ بنِ مَجَكْسَة، يُكَنّى أبا محمد. وأبوه أبو خَلَف. تنبّأ سنةَ ثلاثَ عَشْرةَ وثلاثِ مائةٍ بجَبلِ[2] حاميمَ المُشتهرِ به قريباً من تِيطّاوِين.

واجتمعَ إليهِ كثيرٌ منهم، وأقرّوا بِنُبوّتِه، وشرّعَ لهمُ الشرائعَ والدِّياناتِ منَ العباداتِ والأحكامِ، ووضَعَ لهم قُرآناً كان يَتلوهُ عليهم بلِسانِهم، من كلامِه: يا مَن يُخلّي[أ] البصرَ يَنظرُ في الدُّنيا خَلّني[ب] منَ الذُّنوب، يا مَن أخرجَ موسى منَ البحرِ آمَنْتُ بِحاميمَ وبأبيهِ أبي خَلَف مَنّ الله، وآمَنَ رأسي وعَقْلي وما يُكِنُّهُ صَدري وما أحاطَ بهِ دَمي ولَحمي، وآمَنْتُ بتابقيت عمّةِ حاميمَ أُختِ أبي خَلَف مَنّ اللهُ. وكانت كاهنةً ساحِرةً، إلى غيرِ هذا. وكان يُلقَّبُ المُفتَرِيَ. وكانتْ أُختُه دَبُّو ساحِرةً كاهنةً، وكانوا يَستغيثونَ بها في الحروبِ والقُحوط. وقُتِلَ في حُروبِ مَصْمودةَ بأحوازِ طَنْجةَ سنةَ خمسَ عَشْرةَ وثلاثِ مائة. وكان لابنِه عيسى من بعدِهِ قَدْرٌ جَليل في غُمارةَ، ووَفَدَ

(أ) البكري: يخل (ب) البكري: حابي

---

(1) البكري: المسالك والممالك 2: 776-. المغرب 100، مجهول: مفاخر البربر 225، الفرد بل: الفرق الإسلامية 180 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه 2: 785.

على النّاصرِ. ورَهطُهم بنو زَخفو مُوطِنُون وَاديَ لأوْ ووَاديَ راس قُربَ تيطّاوين.

وكذلك تَنبّأ مِنهم بعدَ ذلكَ عاصمُ بنُ جَميلٍ اليَزْدحومي[1]، ولهُ أخبارٌ مأثورة، وما زالوا يَنتحِلون السِّحرَ لعهذا العهد. وأخبرَني المَشْيخةُ من أهلِ المغرِب أنّ أكثرَ مُنْتحِلي السِّحرِ مِنهم النِّساءُ العواتِق. قال: ولهُنّ قُوّةٌ على استِجْلابِ رُوحانيّةِ ما يشاؤونَهُ من الكواكبِ، فإذا استَوْلَوْا عليه وتكيّفُوا بتلكَ الرُّوحانيةِ، تصرّفُوا مِنها في الأكوانِ بما شاؤوا. واللهُ أعلم.

(1) من ص، في ظ: اليرد حومي.

● / الخبرُ عن دَوْلةِ الأدارسةِ في غُمارةَ، وتصاريفِ أحوالِهم [174]

كان عُمَرُ بنُ إدريسَ عندَ قَسْمِ محمدِ بنِ إدريسَ أعمالَ المغربِ بيْنَ إخوتِهِ برأْيِ جدَّتِه كَنْزة أُمِّ إدريسَ، اختَصَّ مِنها بتيكيساس وتَرْغة وبلادِ صِنْهاجةَ وغُمارة، واختَصَّ القاسمُ بطَنْجةَ وسَبْتةَ والبصْرةِ[1] وما إلى ذلكَ من بلادِ غُمارة. ثُمّ غلَبَ عُمَرُ عليها عندَما تنكَّرَ لهُ أخوهُ محمّدٌ، واسْتَضافَها إلى عَمَلِهِ كما ذَكَرْنا في أخبارِهم[2]. ثُمّ تراجَعَ بَنو محمدِ بنِ القاسمِ من بعدِ ذلك إلى عمَلِهِمُ الأوّلِ فَمَلَكُوه، واختَطَّ مِنهم محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ القاسم قَلْعةَ حَجَرِ النَّسْرِ[3] الدّانيةَ من سَبْتة، مَعْقِلاً لهم وثغرًا لعمَلِهم. وبَقِيَتِ الإمارةُ بفاسَ وأعمالِ المغرِبِ في وَلَدِ محمدِ بنِ إدريسَ، ثُمّ أدالوا مِنهم بوَلَدِ عُمَرَ بنِ إدريسَ، وكان آخرَهم يحيى بنُ إدريسَ بنِ عُمَرَ، وهُوَ الذي بايَعَ لعُبَيْدِ الله الشِّيعيِّ على يَدِ مَصالةَ بنِ حَبُوس قائِدِهِ، وعقَدَ لهُ على فاسَ ثُمّ نَكَبَهُ سنةَ تِسْعٍ.

(1) البَصْرة: مدينة مغربية أسسها إدريس الثاني بن إدريس الأول بسهل الغرب، وصف الجغرافيون عُمْرانها وازدهارها، وقد خربت بانقراض دولة الإدارسة بموت الحسن بن القاسم كنون سنة 375هـ وموقعُها أطلال تُرى على يمين الذاهب من وزّان إلى سوق أربعاء الغرب، 8 كيلومترات قبل الوصول إلى طريق طنجة – الرباط. انظر الأنيس المطرب 63 (ح 106)، البكري: المسالك والممالك 2: 788، الروض المعطار 108 ليون الإفريقي: وصف إفريقيا 1: 310.

(2) العبر 7:33-

(3) قلعة تقع بقبيلة سماتة، جوار الدُّوّار المسمّى دُوّار الحجر، على بعد 30 كم إلى الشرق من مدينة العرائش. أقامها إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس سنة 317هـ ليلجأ إليها الأدارسة من فاس والبصرة لمّا ضيّق عليهم موسى بن أبي العافية. وقد خربت وانقطعت أخبارها بدءًا من سنة 386هـ. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب 62، ح103.

وخَرَجَ عليهِ سنةَ ثلاثَ عَشْرةَ من بني القاسم الحَسَنُ بنُ محمدِ بنِ القاسم بنِ إدريسَ، ويُلقَّبُ الحَجَّامَ لطَعْنِهِ في المَحاجِم، وكان قِدْماً شُجاعاً.

وثارَ أهلُ فاسَ بَرَيْحانَ ومَلَّكوا الحَسَنَ، وزَحَفَ إليهِ موسى فقتَلَهُ وماتَ. واستَوْلَى ابنُ أبي العافيةِ على فاسَ وأعمالِ المغربِ وأجْلى الأدارِسةَ وأحْجَرَهُم بحِصْنِهِم حَجَرِ النَّسْرِ، وتحَيَّزوا إلى جبالِ غُمارةَ وبلادِ الرِّيفِ. وكان لغُمَارةَ في التمسُّكِ بدَعْوتِهِم آثارٌ ومَقامات. واستَجَدُّوا بتلك النّاحيةِ مُلْكاً توَزَّعُوهِ قِطَعاً كان أعظَمُها لبني محمدٍ هؤلاءِ، ولبني عُمَرَ بتيكِيساس ونَكورَ وبلادِ الرِّيفِ.

ثُمَّ سَمَا النّاصرُ عبدُ الرَّحمنِ إلى مُلْكِ العُدْوةِ ومُدافَعةِ الشِّيعة، فنزَلَ لهُ بنو محمدٍ عن سَبْتَةَ سنةَ تسعَ عَشْرةَ، وتناوَلَها من يدِ الرِّضا بنِ عصام رئيسِ مَجَكْسَه، كان يُقيمُ فيها دعوةَ الأدارِسة، فأفْرَجوا لهُ عنها ودانوا بطاعتِه وأخَذَها من يدِه.

ولمّا أغزى أبو القاسم[1] مَيْسورًا إلى المغربِ لمُحاربةِ ابنِ أبي العافِية
[174 ب] / حين نقَضَ طاعَتَهم ودَعَا للمَرْوانيّة، وجَدَّ بنو محمدٍ السَّبيلَ إلى النَّيْلِ منهُ بمُظاهَرةِ مَيْسورٍ عليه، ومالأَهُم على ذلك بنو عُمَرَ وصاحبُ نَكورَ. ولمّا استَقلَّ ابنُ أبي العافيةِ من نَكْبتِه ورَجَعَ منَ الصَّحراء سنةَ خمسٍ وعشرينَ مُنصَرَفَ مَيْسورٍ من المغرِب، نازَلَ بني محمد وبَني عُمَرَ، وهلَكَ بعدَ ذلك.

(1) هو القائم بأمر الله ثاني الخلفاء الفاطميين. انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا 1: 18- البيان المغرب 1: 208 - 209.

وأجازَ النّاصرُ وزيرَهُ قاسمَ بنَ محمدِ بن طُمْلس سنة ثلاثٍ وثلاثينَ لحَرْبِهم، وكَتبَ إلى مُلوكِ مَغراوةَ محمدِ بنِ خَزَر وابنِهِ الخيّرِ بمُظاهرةِ عَساكرِهِ معَ ابنِ أبي العافيةِ عليهم، فسارَعَ أبو العَيْش بنُ إدريسَ بنِ عُمرَ، المعروفُ ابنَ ميّالةَ إلى الطّاعة، وأوْفَد رُسُلَهُ إلى النّاصرِ، فعقَدَ لهُ الأمانَ، وأوْفدَ ابنَهُ محمدَ بنَ أبي العَيْش مؤكِّداً للطّاعة، فاحتَفَلَ لقدومِه وأُكّدَ لهُ العَقْدَ.

[وتَقَبَّلَ][أ] سائرُ الأدارِسةِ من بني محمدٍ مذهَبهم، وسألوا مِثْلَ سُؤالِهم، فعقَدَ لجميع بني محمدٍ أيضاً. وكان وَفَدَ منهم محمدُ بنُ عيسى بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ، والحَسَنُ بنُ القاسم بنِ إبراهيمَ بنِ محمد، وكان بَنو إدريسَ يَرْجِعونَ في رِئاستِهم إلى بني محمدٍ هؤلاءِ منذُ استبَدَّ بها أخوهُم الحَسَنُ بنُ محمدٍ، المُلقَّبُ بالحَجّامِ، في ثَوْرتِه على ابنِ أبي العافية، فقَدَّموا على أنفُسِهم القاسمَ بنَ محمدٍ، المُلقَّبَ بكَنُّون بعدَ فِرَارِ موسى بنِ أبي العافية، ومَلَكَ بلادَ المغرِب ما عَدَا فاسَ، مُقيماً لدعوةِ الشِّيعةِ إلى أن هَلَكَ بقَلْعةِ حَجَرِ النَّسْرِ سنةَ سَبْعٍ وثلاثينَ.

وقامَ بأمرِهم من بعدِهِ أبو العَيْش أحمدُ بنُ القاسم كَنُّون[ب]، وكان فقيهاً عالِماً بالأيّامِ والأخبار، شُجاعاً كريماً، ويُعرَفُ بأحمدَ الفاضلِ، وكان مِنهُ مَيْلٌ للمَرْوانيّة، فدعا للنّاصرِ وخَطَبَ لهُ على مَنابرِ عَمَلِه، ونقَضَ طاعةَ الشِّيعة، وبايَعَهُ أهلُ المغرِب كافّةً إلى سِجِلْماسَةَ، ولمّا بايَعَهُ أهلُ فاسَ استعمَلَ عليهم محمدَ بنَ الحَسَن.

(أ) من د، وفي ظ: وتقبّل (ب) جاء اسم كنون في ظ بالكاف المخففة.

ووَفَدَ محمدُ بنُ أبي العَيْش بنِ إدريسَ بنِ عُمرَ بنِ مَيَّالةَ على النَّاصرِ عن أبيه سنةَ ثمانٍ وثلاثين، فاتّصلَتْ بهِ وفاةُ أبيه وهُوَ بالحَضْرة، فعقَدَ / لهُ [175أ] النّاصرُ على عَمَلِه وسَرَّحَه. وهجَمَ عيسى ابنُ عمِّهِ أبي العَيْشِ أحمدَ بنِ القاسم كـﭽنّونَ على عمَلِه بتيكـﭽيساس[1] في غَيْبةِ محمدٍ، فملكَها واحتوى على مالِ ابنِ ميّالة. ولمّا أقبلَ محمدٌ من الحَضْرة زَحَفَ برابرةُ غُمَارةَ إلى عيسى المذكورِ بنِ كـﭽنّون فقطَعوا بهِ وأثْخَنُوهُ جِراحةً وقتلوا أصحابَهُ ببلدِ غُمَارةَ.

وأجازَ النّاصرُ قُوّادَهُ إلى المغرِب، وكان أوّلُ مَن أجازَ إلى بني محمدٍ هؤلاءِ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ أحمدَ بنَ يَعْلى مِن طبقةِ القُوّاد، أجازَهُ إليهم في العَساكرِ ودَعاهم إلى هَدْمِ تِيطَّاوِينْ فامتَنعوا، ثُمّ انقادوا وتنصَّلُوا وأجابوا إلى هَدْمِها، ورجَعَ عنهُم فانتقَضُوا، فسَرَّحَ إليهم حُمَيدَ بنَ يصِلَ المِكْناسيَّ في العَساكرِ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ، وزَحَفُوا إليه بِوادي لَاوْ فأوقَعَ بهم فأذْعَنوا من بعدِها. وتغلَّبَ النّاصرُ على طَنجَةَ من يدِ أبي العَيْش أميرِ بني محمد، وبَقِيَ بأصِيلاً على بَيْعةِ النّاصر.

ثُمّ تـخطَّتْ عَساكرُ النّاصرِ إلى بَسائطِ المغرِب، فأذْعنَ لهُ أهلُهُ، وأخَذ بِدعوتِهِ فيه أُمراءُ زَناتةَ من مَغْراوةَ وبني يَفْرَن ومِكْناسةَ كما ذكَرْناهُ، فضَعُفَ أمرُ بني محمد. واستَأذنَهُ أميرُهم أبو العَيْش في الجهاد، فأذِنَ لهُ، وأمَرَ ببناءِ القصُورِ لهُ في كلِّ مرحلةٍ من الجزيرةِ إلى الثَّغر، فكانتْ ثلاثينَ مَرْحلةً، فأجازَ

(1) رُسِم الاسم في ظ بالجيم بدلاً من الكاف المشبعة، ووضع فوقها حرف كاف.

أبو العَيْش واستعمَلَ على عَمَلِه أخاهُ الحَسَنَ بنَ كَنُّون، وتلَقّاهُ النّاصرُ بالمِيرَةِ وأجْرى لهُ ألفَ دينارٍ في كلِّ يوم، وهلَكَ شهيدًا في مَواقِفِ الجهادِ سنةَ ثلاثٍ وأربَعين.

ولمّا أغْزَى مَعدٌّ قائدَهُ جَوْهرًا الكاتبَ إلى المغرِب، واستنزَلَ عُمّالَهُ بحِصنِ الحَسَنِ بنِ كَنُّون مِنهُ بقَلْعةِ النَّسر مَعْقلِهم، وبَعَثَ إليه بطاعتِه، فلم يَعرِضْ لهُ جَوْهر. ولمّا قفَلَ من المغرِب راجَعَ الحَسَنُ طاعةَ النّاصرِ إلى أن هلَكَ سنةَ خمسينَ، فاستجَدَّ الحكَمُ عَزمتَه في سدِّ ثُغورِ المغرِب وإحكامِ دَعْوتِهم فيه، وشَحَذَ لها عزائمَ أوليائِهم من مُلوكِ زَناتةَ، فكان بينَهم وبيْنَ زيري وبُلُكّين ما ذكَرْناه.

ثُمّ أغزى معَدٌّ بُلُكّينَ بنَ / زيري المغرِبَ سنةَ ثِنْتينِ وسِتّينَ أوّلَ [175 ب] غَزَواتِه، فأثْخَنَ في زَناتةَ وأوْغلَ في ديارِ المغرِب. وقامَ الحَسَنُ بنُ كَنّون بدعوةِ الشّيعةِ ونَقَضِ طاعةِ المَرْوانيّة، فلمّا انصرَفَ بُلُكّين أجازَ الحَكَمُ عساكِرَهُ إلى العُدْوة مَع وزيرِهِ محمدِ بنِ قاسمِ بنِ طُمْلس سنةَ ثِنْتينِ وسِتّينَ لقتالِ الحَسَنِ بنِ كَنّون وبني محمد، فكان الظُّهورُ والفَلْجُ[1] للحَسَنِ على عَسْكرِ الحكَم، فقَتَلَ قائدَهُ محمدَ بنَ طُمْلس وخَلْقاً كثيراً من عَسْكرِهِ وأوليائه، ودخَلَ فَلُّهم إلى سَبْتَةَ. واستَصْرَخُوا الحكَمَ، فبَعَثَ غالباً مَوْلاهُ البعيدَ الصِّيتِ المعروفَ الشّهامةِ، وأمَدَّهُ بكِفاءِ ذلك منَ الأموالِ والجُنود، وأمَرَهُ

(1) فَلَجَ فَلْجًا وفُلوجًا: ظفر بما طلب وفاز به. واستظهر على خصمه.

باستنزالِ الأدارِسةِ وإجازتِهم إليه، وقال لهُ: سِرْ ياغالبُ مَسيرَ مَن لا إذْنَ لهُ في الرُّجوعِ إلاّ حيّاً منصوراً أو ميتاً مَعْذوراً.

واتّصلَ خبَرُهُ بالحَسَنِ بنِ كَنّون، فأفْرغَ عن مدينةِ البصْرة واحتمَلَ منها أموالَهُ وحُرَمَهُ وذَخيرتَهُ إلى حَجَرِ النَّسر، مَعْقَلِهم القريبِ من سَبْتة. ونازَلَهُ غالبٌ بِقَصْرِ مَصْمودةَ، فاتّصلتِ الحَرْبُ بينَهم أيّاماً، ثُمّ بثَّ غالبٌ المالَ في رُؤساءِ البَرْبرِ من غُمارةَ ومَن معَهُ من الجُنود ففرّوا وأسْلَموهُ، وانْحَجَرَ بقَلْعةِ حَجَرِ النَّسر، ونالَهُ غالبٌ. وأمَدَّهُ الحكَمُ بعرَبِ الدَّوْلة ورِجالِ الثُّغور، وأجازَهم معَ وزيرِهِ صاحبِ الثَّغْر الأعلى يحيى بنِ محمدِ بنِ هاشمٍ التُّجيبيّ فيمَن معَهُ من أهلِ بيتِه وحَشَمِهِ سنةَ ثلاثٍ وسِتّين، فاجتمَعَ معَ غالبٍ على القَلْعة. واشتَدَّ الحصارُ على الحَسَن، وطلَبَ من غالبٍ الأمانَ، فعَقَدَ لهُ، وتسَلَّمَ الحِصْنَ من يدِه. ثُمّ انعطَفَ على مَن بَقِيَ منَ الأدارِسةِ بِبلادِ الرِّيفِ فأزْعجَهُم وصَيَّرَهم أُسْوةَ ابنِ عمِّهم، واستنْزَلَ جميعَ الأدارِسةِ من مَعاقِلِهِم. وسارَ إلى فاسَ فملَكَها واستعمَلَ عليها محمدَ بنَ عليّ بن قشوش[1] في عُدْوةِ القَرَوِيّين، وعبدَ الكريمِ بنَ ثَعْلَبةَ الجُذاميَّ في عُدْوةِ الأندَلُس. وانصرَفَ غالبٌ إلى قُرْطُبة ومعَهُ الحَسَنُ بن كَنّون / وسائرُ مُلوكِ الأدارِسةِ، [176 أ] وقد مَهَّدَ المغرِبَ وفرَّقَ عُمّالَهُ في جِهاتِهِ وقَطَعَ دعوةَ الشِّيعَة، وذلك سنةَ أربعٍ وسِتّين.

(1) ص: قسوس.

وتلقّاهم الحَكَمُ، وأركَبَ النّاسَ للقائهم، وكان يومُ دخولِهم إلى قُرطُبةَ أحفَلَ أيّامِ الدّولة. وعَفَا عن الحَسَنِ بن كَنّون ووَفَى له بالعَهْدِ، وأجزلَ لهُ ولرجالِهِ العطاءَ والخِلَعَ والحُمْلانَ[1]، وأوسَعَ عليهِمُ الجِرَايةَ وأسنى لهمُ الأرزاقَ، ورتَّبَ من حاشيتِهم في الدّيوانِ سَبْعَ مائةٍ من أنجادِ المغاربة.

وتَجَنّى عليهِ بعدَ ثلاثِ سِنينَ بسُؤالِهِ منَ الحَسَنِ قطعةَ عَنبرٍ[2] عظيمةً تأدَّتْ إليهِ من بعضِ سَواحلِ عَمَلِهِ بالمغربِ أيّامَ مُلكِه، فاتَّخَذَ منها أريكةً يَرْتَفِقُها ويتوسَّدُها، فسألَهُ حَمْلَها إليهِ على أن يُحكِّمَهُ في رِضاه، فأبَى عليهِ، معَ سِعَايةِ بني عمِّه فيهِ عندَ الخليفةِ، وسُوءِ خُلُقِ الحَسَنِ ولَجَاجِهِ، فنَكَبَهُ واستَصْفَى ما لَدَيْهِ من قطعةِ العَنْبرِ وسواها.

واستقام أمرُ المغربِ للحَكَمِ، وتظافَرَ أُمَراؤُهُ على مُدافعةِ بُلُكّين، وعقَدَ الوزيرُ المُصحَفِيُّ[3] لجَعفرِ بنِ عليٍّ على المغرِب، واستَرْجعَ يَحْيى بنَ محمدِ بنِ هاشمٍ، وغَرَّبَ الحَسَنَ بنَ كَنّون والأدارِسةَ جميعاً إلى المَشرق، استثقالاً لنَفقاتِهم، وشَرَطَ عليهِم أن لا يَعُودوا، فعَبَروا البحرَ منَ المَرِيّةِ سنةَ خمسٍ وسِتّينَ، ونزَلُوا من جِوارِ العزيزِ بنِ مَعَدٍّ بالقاهرةِ خيرَ نُزُل، وبالَغَ في الكرامةِ، ووَعَدَ بالنُّصرةِ والتِّرَة[4]. ثُمّ بعثَ الحَسَنَ بنَ كَنّون إلى المغرب

(1) الحُمْلان. ما يُحمل عليه من الدّوابّ في الهِبَة خاصّة.

(2) الأنيس المطرب114.

(3) سمّاه صاحب مفاخر البربر: جعفر بن عثمان المُصحَفي، ونعته بأنّه وزير الحكم الأخصّ وصاحبه. 143- 144.

(4) التِّرَة: الثأر.

وكتَبَ لهُ إلى آلِ زيري بنِ مَناد بالقَيْروان بالمُظاهرة، فلَحِقَ بالمغرِب ودَعَا لنفْسِه، وبعَثَ المنصُورُ بنُ أبي عامرٍ العساكرَ لمُدافعتِه، فغَلَبُوهُ وتقبَّضُوا عليه وأشْخَصُوهُ إلى الأندَلُس، فقُتِلَ في طريقِهِ سنةَ [خمس وسبعين وثلاث مائة](1) كما ذكَرْناهُ في أخبارِهم.

وانقرَضَ مُلْكُ الأدارِسة منَ المغرِبِ أجمَعَ، إلى أن كان رجوعُ الأمْرِ لبني حَمّودٍ، منهم، ببلادِ غُمَارةَ وسَبْتةَ وطَنْجةَ كما نَذكُر.

(1) بياض في الأصول، وفي الأنيس المطرب 116 أنه قُتِل وحُمِلَ رأسُه إلى المنصور بن أبي عامر، فدخل قرطبة في جمادى الأول. وينقل ابن أبي زرع عن ابن فيّاض: أن الحسن هذا كان " فظًّا غليظًا شديد الجرأة قاسي القلب قليلَ الشفقة".

[مشجر بني عمر بن إدريس، أصحاب دولة الأدارسة في غمارة]

● الخبرُ عن دَولةِ بني حَمّود ومَواليهم بسبْتة وطنْجة، وتصاريفِ أحوالِهم، وأحوالِ غُمارة مِن بعدِهم

كان الأدارِسةُ لمّا أجلاهُم الحكَمُ المُستنصِرُ عن العُدْوةِ إلى المشرِق ومَحَا أثرَهم من سائرِ بلادِ المَغرب، واستقامَتْ غُمارةُ على طاعةِ المَروانيّةِ وأذعَنوا لجُندِ الأندلُسيّينَ، ورجَعَ الحَسَنُ بنُ كَنّون لطلَبِ أمرِهم فهلَكَ على يدِ المنصورِ بنِ أبي عامرٍ فانقرَضَ أمرُهم، وافترَقَ الأدارِسةُ في القبائلِ وانتَشروا في الأرضِ ولاذوا بالاختِفاء، إلى أن خَلَعوا شارةَ ذلكَ النَّسبِ
[177 أ] / واستحالَتْ صِبغتُهم مِنهُ إلى البَداوة.

ولَحِقَ بالأندَلُس في جُملةِ البَرابرةِ من وُلْدِ عُمَرَ بنِ إدريسَ رجُلانِ منهم، وهُما: عليٌّ والقاسِمُ ابنا حَمّودِ بنِ مَيمونِ بنِ أحمدَ بنِ عليِّ بن عُبيدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ إدريسَ، فطار لهُما ذِكْرٌ في الشَّجاعةِ والإقدام.

ولمّا كانتِ الفتنةُ البَرْبَريّةُ بالأندلُس بعدَ انقراضِ الدَّولةِ العامِريّةِ، ونَصَبَ البَرابرةُ سُليمانَ بنَ الحكَمِ ولقَّبوهُ المُستعينَ، اختُصَّ بهِ ابنا حَمّودٍ هذانِ وأحسَنوا الغَناءَ في وِلايتِهِ، حتّى إذا استَوْلى على مُلكِه بقُرطُبةَ وعقَدَ للمَغاربةِ الوِلاياتِ، عَقَدَ لعليِّ بنِ حَمّودٍ هذا على طَنْجةَ وأعمالِ غُمارة، نزَلَها وراجَعَ عهدَهُ معَهم فيها. ثُمّ انتقَضَ ودَعا لنفسِهِ، وأجازَ إلى الأندَلُسِ ووَلِيَ الخلافةَ بقُرطُبَةَ كما ذكَرْناهُ، فعَقَدَ على عَمَلِهِ بطَنْجةَ لابنِه يحيى، ثُمّ أجازَ يحيى إلى الأندلُسِ بعدَ مَهلِكِ أبيه عليٍّ مُنازِعًا لعمِّه القاسِم. واستَقَلَّ أخوهُ إدريسُ

مِن بعدِهِ بولايةِ طَنْجةَ وسائرِ أعمالِ أبيه بالعُدْوةِ من مَواطن غُمارة، ثُمّ أجازَ بعدَ مَهلِكِ أخيه يحيى بمالَقةَ، فاستدْعى رجالَ دَوْلتِهم وعقَدَ لحسَنِ ابنِ أخيهِ يحيى على عَمَلِهم بِسَبْتةَ وطَنْجة، وأنفذَ نَجاءَ الخادمَ [معه ليكونَ تحتَ نَظَره واسْتِبْدادِه. ولمّا هلَكَ إدْرِيسُ واعتزَمَ ابنُ بقيّة على الاسْتِبْداد بمالَقة أجاز نَجاءُ الخادمُ][أ] بحَسَنِ بنِ يحيى مِن طَنْجةَ، فملَكَ مالَقةَ، ورتَّبَ أمرَهُ في خلافتِه ورَجَعَ إلى سَبْتة، وعقَدَ لهُ حَسنٌ على عَمَلِهم في مَواطنِ غُمارة.

حتّى إذا هلَكَ حسَنٌ أجاز نَجاءٌ إلى الأندَلُس يَرُومُ الاستبدادَ، واستَخْلفَ على العمَلِ مَن وَثِقَ بهِ منَ المَوالي الصَّقالبة، فلم يَزَلْ إلى نَظَرِهم واحداً بعدَ واحدٍ إلى أنِ استَقلَّ بِسَبْتةَ وطَنْجةَ مِن مَوالي بني حَمّودٍ هؤلاءِ الحاجبُ سَكُّوت البرغُواطيُّ، كان عَبْداً للشيخِ حَدّاد، مِن مَواليهم، اشتَرَاهُ مِن سَبْيِ بُرْغُواطَة في بعضِ أيّامِ جهادِهم، ثُمّ صارَ إلى عليّ بنِ حَمّودٍ، فأخَذَتِ النَّجابةُ بضَبْعِهِ، إلى أنِ استَقلَّ بأمرِهم واقتَعدَ كُرْسيَّ عمَلِهم بِسَبْتةَ وطَنْجةَ، وأطاعتْهُ قبائلُ غُمارة.

واتّصلَتْ أيّامُه إلى أن كانتْ دَوْلةُ المُرابِطينَ، وتَغلَّبَ يوسُفُ / على [177 ب] مَغْراوةَ بفاسَ، ونَجا فَلُّهم إلى بلدِ الدِّمنةِ من آخِرِ بَسيطِ المغرِب ممّا يَلي بلادَ غُمارة. ونازَلَهم يوسُفُ بنُ تاشفين سنةَ إحدى وسَبْعينَ، ودَعَا الحاجبَ سَكُّوت إلى مُظاهَرتِهِ عليهم، فهَمَّ بالانحياش ومُظاهَرتِهِ على عَدوِّه، ثُمّ ثَناهُ

(أ) من ص، وسقط من ظ لانزلاق النظر.

عن ذلك ابنُهُ الفائِلُ[1] الرَّأْيِ. فلمّا فرَغَ يوسُفُ بنُ تاشفين من أهلِ الدِّمنةِ وأوْقَعَ بهم وافتَتَحَ حِصْنَ علُّودان، من حُصونِ غُمارةَ من ورائهِ، وانقادَ المغرِبُ لحكمِهِ، صرَفَ وجهَهُ إلى سَكُّوت، فجهَّزَ إليه العساكرَ وعقَدَ عليها لقائدِهِ صَالحِ بنِ عِمْران من رِجالاتِ لَمتُونةَ، فتباشَرَتِ الرَّعايا بمَقْدَمِهم وانثالوا عليهم.

وبلَغَ الخبَرُ إلى الحاجبِ سَكُّوت، فأقسَمَ أن لا يَسمَعَ أحدٌ من رَعِيَّتِه هَديرَ طُبولِهم، ولَحِقَ هُوَ بمدينةِ طَنْجةَ ثغرِ عَمَلِهِ، وقد كان عليها من قِبَلِهِ ابنُه ضياءُ الدَّولة العِزّ. وبرَزَ للقائهم، فالْتقَى الجَمْعانِ بظاهرِ طَنْجة، وانكشَفَتْ عَساكرُ سَكُّوت و[طَحَنَتْهُ][أ] رَحَى[ب] المُرابِطين، وسالَتْ نفسُه على ظُبَاهُم ودخَلوا طَنْجةَ واستَوْلَوْا عليها، ولَحِقَ ضياءُ الدَّولةِ بِسَبْتَةَ.

ولـمّا تكالَبَ الطّاغيةُ على بلادِ الأندَلُس، وبعَثَ ابنُ عبّادٍ صريخَهُ إلى أميرِ المسلمينَ يوسُفَ بنِ تاشفين، مُستَنْجِزاً وَعْدَهُ في جهادِ الطاغيةِ والذَّبِّ عنِ المسلمينَ، وكاتَبَهُ أهلُ الأندَلُس كافَّةً، اهتَزَّ إلى الجهاد، وبعَثَ ابنَهُ المُعِزَّ سنةَ ستٍّ وسَبْعينَ في عساكرِ المُرابِطينَ إلى سَبْتةَ فُرْضةِ المَجاز، فنازَلَها بَرّاً وأحاطَتْ بها أساطيلُ ابنِ عَبّادٍ بحراً، واقتَحَمُوها عَنْوةً، وتُقُبِّضَ على ضياءِ الدَّوْلةِ فقِيدَ إلى المُعِزِّ، فطالَبَهُ بالمالِ فأساءَ الإجابةَ فقتَلَهُ لوقتِه، وعثَرَ على ذخائرِهِ [وفيها خاتَمٌ][ج] يحيى بن عليِّ بنِ حَمّودٍ، وكتَبَ إلى أبيهِ بالفَتْح.

(أ) من ص، وفي ظ: طنجة (ب) ظ ص: رجا (ج) من ص، وفي ظ: وعثر على ذخائره وفيها خاتم.

---

(1) الضعيف الرأي، المُخطيء.

وانقرَضتْ دَوْلةُ آلِ حَمّودٍ وامَّحَى أثَرُ سُلطانِهم من بلادِ غُمارة، وأقاموا في طاعةِ لَمْتُونةَ سائرَ أيّامِهم.

ولمّا نَجَمَ المَهْديُّ بالمغرب واستَفْحلَ أمرُ المُوحِّدينَ بعدَ مَهْلِكِه، تنقَّلَ خليفتُهُ عبدُ المؤمنِ في بلادِهم في غَزاتِهِ الكُبرى لفَتْح المغرب سني سَبْع / وثلاثينَ وما بعدَها كما نَذكرُهُ في أخبارِهم، قبلَ استيلائهِ على مَرّاكُش، [178أ] فوَحَّدوا واتَّبعوا أمرَهُ، ونازَلوا سَبْتةَ في عساكرِهِ وامتَنعَتْ عليهم، وتَولَّى كِبْرَ امتناعِها قاضيهم عِياضٌ الطّائرُ الذِّكْرِ رئيسُهم لذلك العهدِ بدِينِهِ وأبوَّتِهِ وعِلْمِه ومَنْصِبِه. ثم أصْحَبَتْ[1] بعدَ فتح مَرّاكُش سنةَ إحدى وأربَعينَ، فكانت لغُمارةَ هؤلاءِ السّابقةُ التي رُعِيَتْ لهم سائرَ أيّامِ الدَّوْلة.

ولمّا فشِلَ أمرُ بني عبدِ المؤمنِ وذَهَبتْ رِيحُهم وكثُرَ الثُّوّارُ بالقاصِية، ثارَ فيهم محمدُ بنُ محمدٍ الكُتّاميُّ سنةَ خمسٍ وعشرينَ، كان أبوهُ من قَصْرِ كُتّامةَ مُنقبِضاً عنِ النّاس، وكان يَنتحِلُ السِّيمِياءَ، ولقِنَهُ عنهُ ابنُه محمدٌ هذا، وكان يُلقَّبُ أبا الطَّواجِن. فارتحَلَ إلى سَبْتةَ ونزَلَ على بني سعيدٍ وادَّعَى صناعةَ الكيمياء، فاتّبَعَهُ الغَوْغاءُ، ثُمّ ادَّعى النُّبوَّةَ وشرَعَ شرائعَ وأظهَرَ أنواعاً من الشَّعْوذة، فكثُرَ تابِعوهُ، ثُمّ اطَّلَعوا على خبيئتِه ونَبَذوا إليهِ عهْدَهُ. وزَحفتْ عَساكرُ سَبْتةَ إليه، ففَرَّ عنها، وقتَلَهُ بعضُ البَرابِرةِ غِيلةً.

(1) أصْحَبَ: دخل في الصحبة بعد أن كان نافِرًا، وانقاد بعد صُعوبة.

ثُم غَلَبَ بنو مَرِين على بَسائطِ المغرِبِ وأمصارِهِ سِني أربعينَ وستِّ مائةٍ، واستَوْلَوْا على كرسيِّ الأمرِ بمَرَّاكُش سنةَ ثمانٍ وسِتِّين، فامتنَعَ قبائلُ غُمَارةَ من طاعتِهم واستَعْصَوْا عليهم، وأقاموا بمَنْجاةٍ من الطَّاعةِ وعلى ثَبَجٍ[1] من الخلافِ، وامتَنعتْ سَبْتَةُ من وَرائهم على مُلوكِ بني مَرِين بسببِ امتناعِهم وصار أمرُها إلى الشُّورى، واستبَدَّ بها الفقيهُ أبو القاسِمِ العَزَفيُّ، من مَشيخَتِها كما نَذكرُ ذلكَ كلَّهُ، إلى أن وَقَعَ بينَ قبائلِ غُمارةَ ورُؤسائهم فِتَنٌ وحُروبٌ. ونَزَعتْ إحدى الطَّائفتَيْنِ إلى طاعةِ السُّلطانِ بالمغرب مِن بني مَرِين، فأتَوْها طَوَاعِيَةً، ودَخَلَ الآخَرونَ في الطَّاعةِ بِلَوْهم طَوْعاً أو كَرْهاً.

فمَلَكَ بَنو مَرِين أمرَهم واستَعمَلوا عليهم، وتَخَطَّوْا إلى سَبْتَةَ من ورائهم فَملكوها من أيدي العَزَفِيِّينَ سنةَ تسعٍ وعشرينَ وسبعِ مائةٍ على ما نَذكرُهُ بعدُ عندَ ذِكْرِ دَوْلتِهم، وهمُ الآنَ على أحسَنِ أحوالِهم منَ الاعْتِزازِ والكثْرةِ، يُؤتونَ / طاعتَهم وجبايتَهم عند استِقْلال الدَّوْلَة، ويُمَرِّضونَ[2] فيها [178 ب] عند الْتِياثها بفَشلٍ أو شُغل بخارجٍ، فتُجهَّزُ البُعوثُ إليهم من الحَضْرة حتَّى يَستَقيموا على الطَّاعة، ولهم بوُعورَة جِبالهم عزٌّ ومَنَعةٌ، وجوارٌ لمن لَحِق بهم من أغياصِ المُلْك ومُستأمِني الخَوارجِ إلى هذا العَهْد.

ولبَني يَكْمْ من بَيْنِهم الحظُّ الوافِرُ من ذلكَ، لإشْراف جَبَلهم على سائِرِها، وسُمُوِّ بِقاعهِ إلى مَجاري السُّحُب دونَها، وتوَعُّرِ مَسالكه بهُبوب الرِّياح

(1) ثَبَجُ كل شيء: مُعظمه وأعلاه، ويعني أنهم لم يستبينوا للطاعة وأقاموا على معظم الخلاف.

(2) يتباطأون وتنقص حركتهم فيها.

فيها. وهذا الجبَلُ مطلٌ على سَبْتَةَ من غربِيّها، ورئيسه منهم وصاحبُ أمْره يوسفُ بن عُمر وبَنُوه، ولهم فيه عِزّةٌ وثرْوَة، قد اتّخذوا به المصانعَ والغُروسَ، وفَرَضَ لهم السّلطانُ بديوانِ سبتَةَ العطاءَ، وأقطَعَهم ببَسِيطِ طَنْجة الضِّياعَ والفُدُنَ، استِئلافاً لهم وحَسْماً لزبون سائِرِ غُمَارةَ بإيناس طاعَتهم.

ولله الخلْقُ والأمْرُ، وبيَده مُلْكُ السّماوات والأرْض.

• • •

كَمُلَ السِّفْر الحادي عشر[1] من كِتاب الظّاهِريّ في العِبر، بأخْبار العرَب والعجَم والبَرْبَر، يتْلوه في السِّفْر الثّاني عشر: الخبرُ عن أهْل جبال دَرَنْ بالمَغْرب الأقْصى من بُطون المَصامِدَة ودُوَلِهم.

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآلِه وصَحْبه، وسلّمَ تَسْليماً كثيراً.

(1) تواصل نسخة ص عرض فصول الجزء الثاني عشر من غير خاتمة في هذا الوقف، جريا على تقسيمها السُّباعي.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير الجزري، علي بن محمد: اللباب في تهذيب الأنساب

دار صادر - بيروت 1980

- ــــــــــــ: الكامل في التاريخ

دار صادر بيروت 1965 – 1967

- الإدريسي، محمد بن محمد: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

نشرتها عن طبعة إيطاليا المحققة : مكتبة الثقافة الدينية - الظاهر – مصر. د. ت

- الأصفهاني، علي بن الحسين: الأغاني

تحقيق : إحسان عباس. إبراهيم السعافين . بكر عباس. دار صادر – بيروت 2002

- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم: عيون الأنباء في طبقات الأطباء

صحّحه: أوغست مولر. المطبعة الوهبيّة – القاهرة 1882

- امرئ القيس، ديوان امرئ القيس

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف – ط2 – القاهرة 1964

- الإيلاني، صالح بن عبد الحليم: مفاخر البربر

تحقيق: عبد القادر بوباية. دار أبي رقراق – الرباط 2008

- البرّي، عبد الله خورشيد: القبائل العربية في مصر

دار الكتاب العربي – القاهرة 1967

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

تحقيق: عبد الهادي التازي. الأكاديمية المغربية – الرباط 1997

- ابن بكّار، الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش وأخبارها
شرحه وحققه: محمود محمد شاكر. الجزء الأول – أشرف على طبعه حمد الجاسر. مطبوعات مجلة العرب – الرياض 1999
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز: كتاب المسالك والممالك
تحقيق: أدريان فان ليوفن، أندري فيري. الدار العربية للكتاب – بيت الحكمة – تونس 1992
- ـــــــــــــــ: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع
تحقيق: مصطفى السقا. لجنة التأليف والترجمة والنشر، من منشورات المعهد الخليفي للأبحاث المغربية. القاهرة 1945 – 1951
- البُنّاهي، أبو الحسن علي بن عبد الله الأندلسي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا أو تاريخ قضاة الأندلس
تحقيق: مريم قاسم طويل – دار الكتب العلمية – بيروت 1995
- التادلي، يوسف بن يحيى: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي.
تحقيق: أحمد التوفيق . جامعة محمد الخامس – ط 2 – الرباط 1997
- التجاني، عبد الله بن محمد بن أحمد: رحلة التجاني
قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب. كتاب الدولة للمعارف – المطبعة الرسمية – تونس 1958
- التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج
تحقيق: علي عمر – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة 2004

- التهامي، أبو الحسن: ديوان أبي الحسن التهامي
تحقيق محمد عبد الرحمن الربيع. مكتبة المعارف – الرياض 1982
- ابن حزم، علي بن أحمد: جمهرة أنساب العرب
تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار المعارف – القاهرة 1962
- ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد
نشر م . فندرهايدن M. Vonderheyden الجزائر 1346 هـ / 1927
- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله السلماني: الإحاطة في أخبار غرناطه
تحقيق: محمد عبد الله عنان ط 2 – مكتبة الخانجي – القاهرة 1973
- ابن خفاجة الأندلسي: ديوان ابن خفاجة الأندلسي
شرح عمر فاروق الطباع. دار العلم – بيروت 1994
- ابن دريد، محمد بن الحسن: الاشتقاق
تحقيق : عبد السلام محمد هارون. مؤسسة الخانجي– القاهرة 1958
- ابن أبي زرع، علي، الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس
راجعه: عبد الوهاب بن منصور. المطبعة الملكية – ط 2 – الرباط 1999
- ابن أبي زيد، عبد الله ، أبو محمد النفزي: كتاب الجهاد من النوادر والزيادات
تحقيق : Mathias Von Bredow ماتياس فون بريدو. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية – بيروت 199

- ابن السمعاني، عبد الكريم بن محمد: الأنساب

صورة مخطوط مصوّر، نشره في سلسلة ذكرى E.J.W. Gibb أعدها: د. س . مرجليوث D.S. Margoliouth . مطبعة بريل – ليدن 1912

- ____________: الأنساب

صححه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن 1962

- سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر. دار الغرب الإسلامي – بيروت 1987

- ابن سعيد المغربي: كتاب بسط الأرض في الطول والعرض

تحقيق: خوان قرنيط خينيس. معهد مولاي الحسن – تطوان – 1958

- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل: عيون الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية

مطبعة النيل – القاهرة 1288 هـ

- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد: المنّ بالإمامة على المستضعفين

تحقيق: عبد الهادي التازي. دار الأندلس – بيروت 1964

- صاعد البغدادي، صاعد بن أحمد بن صاعد: طبقات الأمم

تحقيق: حسين مؤنس. دار المعارف – القاهرة 1993

- الصفدي، خليل بن أيبك: أعيان العصر وأعوان النصر

حققه علي أبو زيد، وآخرون. مركز جمعة الماجد – دبي – دار الفكر – دمشق

1418 هـ

- الطبري، محمد بن جزير: تاريخ الرسل والملوك

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف – القاهرة 1960

- ابن ظافر، علي بن منصور: أخبار الدول المنقطعة

تحقيق: اندريه فرّيه. المعهد الفرنسي للآثار الشرقية – القاهرة 1972

- ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد البرّ : القصد والأمَم في التعرف بأصول أنساب العرب والعجم

نشرته مكتبة القُدْسي – القاهرة 1350 هـ

- ـــــــــــــــــ: الإنباه، على قبائل الرواه

نشر مكتبة القدسي – القاهرة 1350 هـ

- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر وأخبارها

حققه: Charles C.Torrey - جامعة يال Yale . مطبعة بريل، ليدن

1920

- ابن عبد الحليم، كتاب الأنساب

دراسة وتحقيق: محمد يعلى. (ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي).

المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – مدريد 1996

- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب
حققه: ج. س كولان، أ. ليفي بروفنسال. دار الثقافة د. ت عن الطبعة الأصلية 1948
- ـــــــــــ: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)
حققه: محمد إبراهيم الكتاني – محمد بن تاويت – محمد زنيبر – عبد القادر زمامه. دار الغرب الإسلامي – دار الثقافة – الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر- المغرب 1985
- ابن أبي عُذَيْبة، أحمد بن محمد المقدسي، إنسان العيون في مشاهير سادس القرون
تحقيق: إحسان الثامري – محمد القدحات . دار ورد – عمّان 2007
- أبو العرب، محمد بن أحمد، التميمي: طبقات علماء إفريقية
حققه وترجمه: محمد بن أبي شنب. المدرسة الثعالبية – الجزائر 1914
- ابن العربي: أبو بكر: شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان
تحقيق محمد يَعْلى. (ثلاثة نصوص عربيّة عن البربر في الغرب الإسلامي). المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – مدريد 1996
- العماد الإصفهاني: خَريدة القَصر وجريدة العصر، (قسم شعراء المغرب).
تحقيق: محمد المرزوقي – محمد العروسي المطوي. الدار التونسية للنشر ط 3 – تونس 1986

- العمري، أحمد بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء 4

  تحقيق: حمزه أحمد عباس. المجمع الثقافي – أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة 2002

- عياض، القاضي عياض بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك، وتقرب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك

  قدم له: محمد بن تاويت الطنجي، وحققه: عبد القادر الصحراوي وآخرون. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الرباط 1965 – 1983

- الفاسي، محمد بن أحمد المكّي: العقْدُ الثمين في تاريخ البلد الأمين

  تحقيق: فؤاد سيّد. مطبعة السنّة المحمديّة – القاهرة 1959 – 1967

- ابن فرحون، إبراهيم بن علي: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب

  تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. دار التراث – القاهرة – 1972

- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم: كتاب المعارف

  تحقيق: ثروت عكاشه. دار المعارف – مصر

- القرافي، محمد بن يحيى بن عمر: توشيح الديباج وحلية الابتهاج

  تحقيق: أحمد الشتيوي. دار الغرب الإسلامي – بيروت 1983

- القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري: صبح الأعشى في صناعة الإنشا

  دار الكتب الخديوية – القاهرة 1915

- ـــــــــــــــــ: قلائد الجمان في التعرف بقبائل عرب الزمان

  تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني – بيروت 1982

- ـــــــــــــــــــــــــ: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب

تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب، بمصر ولبنان - بيروت 1991

- كراتشكفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي

ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1963

- الكلبي، هشام بن محمد بن السائب: جمهرة النسب.

تحقيق: ناجي حسن. عالم الكتب - بيروت 2004

- ـــــــــــــــــــــــــ: نسب معدّ واليمن الكبير

تحقيق: ناجي حسن. عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية - بيروت 1988

- ليون الإفريقي: وصف إفريقيا

ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر. دار الغرب الإسلامي - بيروت 1983

- المالكي، عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم

تحقيق: بشير البكوش- محمد العروسي المطوي. دار الغرب الإسلامي - بيروت 1983

- مجهول: مفاخر البربر، نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى

نشره ليفي بروفنسال - الرباط 1934

- أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

دار الكتب المصرية - القاهرة 1929 - 1972

- المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب

تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. مطبعة الاستقامة – القاهرة 1949

- المسعودي، علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر

نقحه وصححه Charles Pellat شارل بلاّ: عن طبعة B. De Meynard و P. De Courteille. الجامعة اللبنانية – بيروت 1966

- المقدسي، محمد بن أحمد البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

نشر دو غويه M.J. De Goeje . مطبعة بريل – ليدن 1909

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب

تحقيق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت 1968

- المقريزي، أحمد بن علي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا

حققه: أيمن فؤاد سيّد. نشره معهد الدراسات الإسماعيلية، لندن، والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى – بيروت – دمشق – عمان 2010

- ـــــــــــــ: البيان والإعراب، عما نزل بأرض مصر من الأعراب

حققه: عبد المجيد عابدين، عالم دار الكتب – القاهرة 1961

- ابن منصور، عبد الوهاب: قبائل المغرب، الجزء الأول.

المطبعة الملكية – الرباط 1968

- ابن الموصلايا، العلاء بن حسن: رسائل أمين الدولة ابن الموصلايا
  تحقيق: عصام عقلة، مركز زايد للتراث والتاريخ – أبو ظبي 2003
- ابن ناجي، أبو القاسم بن عيسى: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان. الجزء الأول.
  تحقيق : إبراهيم شبوح . مكتبة الخانجي – القاهرة 1968
- النعمان، القاضي النعمان بن محمد: افتتاح الدعوة
  تحقيق: فرحات الدشراوي. الشركة التونسية للتوزيع – تونس 1962
- ــــــــــــــــ: كتاب المجالس والمسايرات
  تحقيق: الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي. الجامعة التونسية - المطبعة الرسمية - تونس 1978
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم الأدباء
  تحقيق: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي – بيروت 1993
- ــــــــــــــــ: معجم البلدان
  دار صادر – بيروت 1995
- ــــــــــــــــ: المقتضب من كتاب جمهرة النسب
  تحقيق: ناجي حسن. الدار العربية للموسوعات – بيروت 1987
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: تاريخ ابن واضح اليعقوبي
  تحقيق: M.TH. Houtsma. مطبعة بريل 1883

المحتوى

الصفحة

تقديم أ

• الطَّبقةُ الرابعَةُ منَ العَرب، وَهُمُ العَربُ المُسْتَعْجمة، أهْلُ الجيلِ النّاشىء لهَذا العهْدِ مِنْ بَقيّةِ أهْلِ الدّولةِ الإسْلاميّةِ منَ العَرب. 3

• [بنو قُرّة بن هلال بن عامر] 8

• [أولاد سلاّم] 9

• خبرُ آلِ فَضْلٍ وبَني مُهَنّا منهم، وَ دَولَتِهم بالشّامِ والعِراق. 13

• [رئاسة فَضْل] 15

• [بنو المُنْتفق] 27

• [بنو عُبادة بن عُقيل، الأخايل] 28

• الخبَرُ عن دُخولِ العَربِ من بَني هلال وسُلَيم، من الطّبقة الرّابعةِ إلى المغرب، وأخبارُهم هنالِك. 30

• الخبرُ عن الأثْبَج وبُطونِهم من هلالٍ بن عَامِر، من هذه الطّبقةِ الرّابعة، و [شَرْحُ] أحوالِهم ومَصائرِ أمُورِهم. 51

• الخبرُ عن جُشَم، المُوطّنينَ بِبَسائِط المَغرب، وبُطونِهم من هذه الطّبقة. 62

• سُفيانُ من جُشَم 64

• الخِلْط من جُشَم 67

• بنو جابِرٍ من جُشَم 71
• القَاصِمُ ومُقَدَّمٌ من الأثْبَج 73
● الخبرُ عن رِيَاح وبُطونهم من هِلالٍ بن عامِرٍ، من هذه الطَّبقَةِ الرّابعة. 74
• [الأصفر] 83
● الخبرُ عن سَعادةَ، القائِمِ بالسُّنَةِ في رِيَاحٍ، ومآلِ أمْرِهِ وتَصاريفِ أحْواله. 86
● الخبرُ عن زُغْبَةَ وبُطونهم من هِلالٍ بن عامِرٍ من هذه الطَّبقَةِ الرّابِعَةِ. 91
• بَنو يَزِيد من زُغْبَة 93
• حُصَيْنٌ من زُغْبَة 98
• [جَنْدَل] 99
• [خِرَاش] 99
• بَنو مالِكِ بن زُغْبَة 102
• بنو عامِر بن زُغْبَة 112
• عُرْوَةُ بنُ زُغْبَة 123
● الخبرُ عن المَعْقِل، من بُطونِ هذه الطَّبقة الرّابعَةِ، وأنسابِهم وتَصاريفِ أحوالِهِم. 126
• ذَوي عُبَيْدِ اللّه 132
• خبرُ يَحْيى بن عِمْران بن العزِّ 135
• الثَّعالبةُ 138
• ذَوي مَنْصُور 142
• [العمَارِنَة] 146

• ذَوي حَسَّانَ، عرَبُ السُّوس 148
• الخَبَرُ عن بَني سُلَيْم بن مَنصُور، منْ هذه الطَّبقَةِ الرَّابعَة، وتعديدِ بطونِهم. وذِكرُ أنسابِهم وأوّليّةِ أمْرِهِم وتَصاريفِ أحوالِهم.
بنو كَعْبٍ وأخبارُهم: 152
• الخَبرُ عن قاسِم بن مِرَا من الكُعوب، القائمِ بالسُّنَّةِ في سُلَيْم، ومآلِ أمْرِهِ وتَصاريفِ أحوالِه. 172
• بنو حِصْنٍ مِنْ عَلاَّق 174
• دَبَّابُ منْ سُلَيْم 180
• الكتَابُ الثَّالثُ، في أخبارِ البَرْبَر، الأُمَّةِ الثَّانية أهلِ المَغرِب. 189
• الأُمَّةُ الثَّانيةُ أهْلُ المَغرب، وذِكْرُ أوّليّتِهم، وأجْيالِهم وَدُولِهم مُنذ مبْدإِ الخليقةِ ولِهذا العَهْد، ونقلُ الخلافِ الذي يقع [بَيْنَ النّاسِ في أنسابِهم]
الكتَابُ الثَّالث: في أخْبارِ البَرْبَر. 191
• [لباسُهم] 192
• [شعوبُ البربر وبطونُهم] 192
• [شعوبُ البرانس] 193
• [شعوبُ البُتْر] 196
• [أدَاسة] 196
• [لَوَى الأكبر] 196
• [بطون نَفْزاوة] 197
• [وَلْهاصَة] 197

• [ضريسة] 197
• [بُطونُ يحيى] 198
• [بُطون زواغة] 198
• [اختلافُ الأقوال في البربر] 200
● الفصْل الثاني: في ذكْرِ مَواطِنِ هؤلاءِ البَرْبر بإفريقيّةَ والمَغْرب. 212
• [التعريف الجغرافي للمغرب] 212
• [الحدّ الغرْبي] 213
• [الحدّ الشّمالي] 214
• [الحدّ القبلي والجنوبي] 216
• [الحدّ الشرقي] 219
• [العُرْف الجاري في تحديد المغرب] 219
• [تعريفُ المغرب الأقصى] 219
• [تعريف المغرب الأوسط] 221
• [تعريفِ إفرِيقيّة] 222
● الفصْل الثّالث: في ذكْرِ ما كانَ لهذا الجيلِ قَديماً وحَديثاً من الفَضائل الإنْسانيّةِ، والخصائص الشّريفةِ الرّاقِية بهمْ إلى مَراقي العِزّ ومَعارج السّلْطان والمُلْك. 224
• [تخَلُّقهم بالفضائل الإنسانيّة] 216
• [إقامتهم لمراسم الشّريعة] 227
• [ظهورُ الكاملين منهم في النّوع الإنساني] 228

● الفصل الرَّابع: في ذكرِ أخبارهم على الجُمْلة، من قبل الفتح
الإسلاميّ ومنْ بعْدِه، إلى ولايةِ بني الأغلب. 231
● الخبرُ عن البرابِرة البُتْرِ وشُعوبِهم.
بذكْرِ نفوسة وبُطونِهم وتصاريفِ أحْوالهم. 249
● الخبرُ عنْ نَفْزاوةَ وبُطونِهم وتصَاريفِ أحوَالِهم. 251
• [بقايا بطون نَفْزاوة] 254
● الخبَرُ عن لَواتَةَ من البَرابرةِ البُتْرِ، وتصاريفِ أحْوالِهم. 256
● الخَبرُ عن بَني فاتِن منْ ضَرِيسةَ، إحْدى بطونِ البرابِرةِ البُتْرِ،
وتصاريفِ أحْوالِهم. 261
• لَماية 266
• [جزِنة] 269
• مَطْماطَة 271
• [مُغِيلَةُ] 275
• مَدْيونَة 277
• كومِيَة 278
● الخَبرُ عن زَوَارةَ وزواغَةَ من بُطون ضَرِيسةَ من البرابرِ البُتْرِ، والإلمامُ
بِبَعض أحْوالِهم. 283
• زَوارَة 283
• [موطن زوارة] 284
• زَوَاغَة 285

• الخبرُ عن مِكْناسة وسائر بُطون بني وَرْصَطُّف، وهم بَقيّةُ ضريسة من البَرابرة البُتْر، وما كان لِمكناسةَ من الدُّولِ بالمغرب، وأوّليةِ ذلك وتَصاريفه. 287
• الخَبرُ عنْ دَولَة بني وَاسُول مُلوكِ سِجلْماسَة وأعْمالِها من مِكْناسَة. 290
• الخَبرُ عن دَوْلَة بني أبي العافِيَة مُلوكِ تَسُول من مِكْناسَةَ، وأوليّةِ أمْرِهم وتصاريف أحْوالِهم. 296
• أخْبارُ البَرانس من البَرْبر.
الخَبرِ عن هَوّارةَ، من شُعوبِهم، وذِكْر بُطونِهم، وتَصاريف أحْوالِهم، وافْتِراق شُعوبِهم في عِمالات إفريقيّةَ والمَغْرب. 305
• [مواطن هوارة] 309
• [بطون هوارة في نواحي طرابُلُس] 312
• الخبَرُ عن أزْداجَةَ ومَسْطَاسَةَ وعَجيسَةَ من بُطونِ البَرْبَر، ووَصْفُ أحْوالِهم. 318
• [أزْداجَة] 318
• [مَسْطاسَة] 318
• [عَجيسَة] 320
• الخبَرُ عن أوْربَةَ من بُطونِ البَرانِس، وما كانَ لهم من الرِّدَّة والثَّوْرة، وما صَاروا إليْه آخِرا من الدّعاء لإدْريسَ الأكْبر. 322
• الخَبرُ عن كُتامةَ من بُطون البرانِس، وما كان لهم من العِزّ والظُّهورِ على القبائل، وكيْف تناولوا المُلْك من أيدي الأغالِبة بدَعْوة الشّيعَة. 327
• الخَبرُ عن سَدْويكش ومَنْ إليهم من بَقايا كُتامَةَ في مَواطِنهم. 331

• [تبرّي سَدْويكش من نسب كُتامة] 331
• الخَبرُ عن بني ثابت، أهْلِ الجبَلِ المُطِلِّ على قُسَنْطِينةَ، من بقايا كُتامَة. 335
• [من بقايا كتامة] 336
• الإلمامُ بذِكْرِ زُواوَة من بُطونِ كُتامَة. 337
• الخبرُ عن صِنْهاجةَ من بُطونِ البَرانِس، وما كان لهُم من الظّهورِ والدُّوَلِ في بلاد المغربِ والأندلُس. 338
• [بطونُ صِنْهاجةِ وقبائلُهم] 339
• الطبقَة الأولى من صِنْهاجَةَ وما كان لهم منَ المُلْكِ. 341
• الخبرُ عن دوْلة آل زيري بن مَناد وُلاةِ العُبيْديّينَ من هذه الطّبقةِ بإفريقيّةَ، وأوّليّةِ أمْرِهم وتصاريفِ أحْوالِهم. 347
• دولةُ بُلُكّين بن زيري 347
• دَوْلةُ المنصورِ بن بُلُكّين 350
• دولةُ باديس بن المَنْصور 351
• دولةُ المُعِزّ بن باديس 353
• [تغلّب حَمّو بن مليل البرغواطي على صفاقس] 356
• [مخالفة سوسة، واعتماد الشّورى في الحكم] 356
• [تحوّل تونس إلى الناصرين عَلَنّاس، وتوليته لعبد الحق بن خراسان] 356
• [تغلّب مؤنس بن يحيى على قابِس] 356
• دولةُ تَميم بن المُعزّ 356
• دَوْلةُ يحيى بنَ تَميم 358

• دولةُ عليّ بن يَحيى 359
• دولةُ الحسَن بن عليّ 360
• الخَبرُ عن بني خُراسانَ من صِنْهاجة، الثُّوّارِ بتونس على آلِ باديس عندَ اضْطِرابِ إفريقيَة بالعَرب، ومبدَإ أمْرِهم ومصايِرِ أحْوالِهم. 365
• الخبَرُ عن بني الرَّنْد مُلوك قَفْصة، الثائرين بها عند التِياث مُلْك آل باديس بالقيْروانِ واضْطرابِه بفتْنة العَرب، وَمبْدإ دَولتهمْ ومصائرِ أمُورِهم. 369
• الخبَرُ عن بَني جامِع الهلاليّينَ أمراء قابِس لعَهْد الصّنْهاجيّين، وما كانَ لهم بها من المُلكِ والدّوْلةِ، وذلك عند فِتْنة العَربِ بإفْريقيّة. 372
• الخبَرُ عن ثَوْرة ابنِ مَطْروح بطرابُلُس والفُرّيانيّ بصَفاقُس على النَّصارى وإخْراجِهم، واسْتبْدادهما بأمْرِ بلَديهما في آخرِ دَوْلةِ بني باديس. 375
• الخبَرُ عمّا كانَ بإفريقيّةَ من الثُّوّار على صِنْهاجةَ عنْد اضطِرابِها بفِتْنة العَربِ، إلى أن مَحا أثَرَها المَوحّدونَ. 378
• [ثورةُ يروكسن بن علي الصّنهاجي على صاحب بِجاية] 379
• [تمرّد مُدافع بن علاّل القيسي بطبرية] 381
• [تمرّد [فِهْرون] بن غَنّوش بحصن منْزل دَخْمون] 381
• [تمرّد حمّاد بن خليفة اللّخمي بمنزل رَقْطون من إقليم زَغْوان] 382
• [تمرّد عباد بن نصر الله الكلاعي بقلعة شَقْبَنارِيّة] 382
• الخبَرُ عن دَوْلة آل حَمّاد بالقَلْعة من مُلوك صِنْهاجة، الدّاعينَ لخُلفاء العُبَيْديّين، وما كان لهم من المُلْك والسُّلْطان بإفْريقيّة والمَغرب الأوْسَطِ، إلى حين انْقراضه بالمُوحّدين. 383

• الخبَرُ عن مُلوك بني حَبُوس بن ماكسَنْ بن زيري من صِنهاجة بِغرناطة مِن عُدوةِ الأندَلُس، وأوّلِيةِ ذلك وَمصايِرِه. 399
• الطبقَة الثّانية مِن صِنْهاجة، وهمُ المُلَثّمون، وما كان لهُم بالمغربِ منَ المُلْكِ والدَّوْلة. 405
• الخبَرُ عن دولةِ المُرابطِينَ من لَمْتُونةَ وما كان لهُمْ بالعُدْوتينِ منَ المُلْكِ، وأولِيّةِ ذلك ومصايِرِه. 408
• الخبَرُ عن دَوْلةِ ابن غانِيةَ مِن بَقيّة المُرابِطِينَ، وما كان لهُ منَ المُلك والسُّلطان بناحية قابس وطرابُلُس، وإجلابِه على المُوحِّدين، ومُظاهرة قَراقُش الغُزّي لهُ عَلى أمرِه، وأولِيّة ذلك وَمصايِره. 429
• [اتّصال سياج الملثّمين على بلاد السّودان إلى المشرق، مُناظِرًا لسِياج العَرب على بلاد المغربين وإفريقيّة] 447
• [ذِكْرُ نَسبِ بني وَرْتِنِيطَنْ، والمُلوكِ والأُمَراء منْهم] 450
• الخبَرُ عن مُلوك السُّودان المُجاورِين للمغرب من وراءِ هؤلاءِ المُلثّمين، ووَصْفُ أحوالهم والإلمامُ بما اتّصل بنا من دُولِهم. 453
• الخبَرُ عن لَمطَةَ وكزوله وهَسْكُورَة بني تصكي، وهم إخوةُ هَوّارةَ وصِنهاج. 470
• [لَمْطة] 470
• [كزولَة] 470
• [هَسْكورة] 471
• [إينتيفتْ] 472
• [إينولْتانْ] 473

• [فطواكة] 473

• الطَّبقَةُ الثَّالثَةُ من صِنْهاجةَ. 476

• الخَبَرُ عن المَصامِدة من قبائل البَرْبرِ، وما كان لهُم من الدَّوْلة والسُّلطانِ بالمغرِب، ومبادِيء ذلك وتَصاريفِه. 479

• الخبَرُ عن بَرْغُواطَة، من بُطون المَصامدة، ودَوْلتِهم، ومَبْدإ أمْرِهِمْ، وتصاريفِ أحوالهم. 480

• الخَبَرُ عن غُمَارةَ، من بطون المَصامِدة، وما كان فيهم من الدُّولِ، وتصاريفِ أحوالِهم. 490

• [البطون المشهورة من غُمارة] 490

• الخَبَرُ عن سَبْتَةَ ودَوْلةِ بني عصَام بها. 492

• الخبَرُ عن بني صالِحِ بن منصُور مُلوكِ نُكورَ، ودولتِهم في غُمَارة، وتصَاريفِ أحوَالِهم. 494

• حَدُّ بلَدِ نُكورَ 494

• [المجوس يغزون نُكُور] 496

• الخَبَرُ عن حَاميمَ المُتَنبّي من غُمَارةَ. 502

• الخبَرُ عن دَوْلةِ الأدارِسةِ في غُمَارةَ، وتَصاريفِ أحوالِهم. 504

• الخبَرُ عن دَوْلة بني حَمّود ومَواليهم بسبْتَة وطنْجة، وتَصاريفِ أحوالِهم، وأحوالِ غُمارة مِن بَعْدِهم. 513